Ibn al-Athir, Diyā' al-Dīn

al-Mathal al-sā'ir

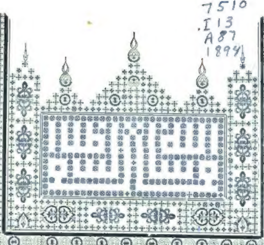
المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر للشيخ
الامام والعلامة الهمام ضياء الدين
أبى الفتح نصر الله بن محمد بن محمد
ابن عبد الكريم الموصلى
الشافعى رحمه الله
آمين

م

وبهامشه كتاب أدب الكاتب تأليف ابى محمد عبد الله بن مسلم
ابن قتيبة الدينورى رضى الله عنه آمين



طبع بالمطبعة البهيه بحوش قدم بمصر المحميه



بســــــــــم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله ربنا أن يبلغ بنا من الحمد ما هو أهله وأن يعلمنا من البيان ما يقصر عنه مزية الفضل وأصله وحكمة الخطاب وفصله ونرغب إليه أن يوفقنا للصلاة على نبينا ومولانا محمد رسوله الذي هو أفصح من نطق بالضاد ونسخ هديه شريعة كل هاد وعلى آله وصحبه الذين منهم من سبق وبدر ومنهم من صابر وصبر ومنهم من آوى ونصر ﴿وبعد﴾ فإن علم البيان لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام وقد ألف الناس فيه كتبا وجلبوا ذهبا وحطبا وما من تأليف إلا وقد تصفحت شينه وسينه وعلمت غثه وسمينه فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلا كتاب الموازنة لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي وكتاب سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي غير أن كتاب الموازنة أجمع أصولا وأجدى محصولا وكتاب سر الفصاحة وإن نبه فيه على نكت منيرة فإنه قد أكثر مما قل به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليها ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لا حاجة إلى ذكره ومن الكلام في مواضع شذ عنه الصواب فيها وسيرد بيان ذلك كله في مواضع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى على أن كلا الكتابين قد أهملا من هذا العلم أبوابا ولما ذكرا في بعض المواضع قشورا وتركا لبابا وكنت عثرت على ضروب كثيرة منه في غضون القرآن الكريم ولم أجد أحدا ممن تقدمني تعرض لذكر شيء منها وهي إذا عدت كانت في هذا العلم بمقدار شطره وإذا نظر إلى فوائدها وجدت محتوية عليه بأسره وقد أوردتها ههنا وشفعتها بضروب أخر مدونة في الكتب المتقدمة بعد أن حذفت منها ما حذفته وأضفت إليها ما أضفته وهداني الله لابتداع أشياء لم تكن من قبلي مبتدعة ومنحني درجة الاجتهاد التي لا تكون أقوالها تابعة وإنما هي متبعة وكل ذلك يظهر عند الوقوف على كتابي هذا وعلى غيره من الكتب (وقد بنيته) على مقدمة ومقالتين (فالمقدمة) تشتمل على أصول علم البيان (والمقالتان) تشتملان على فروعه فالأولى في الصناعة اللفظية والثانية في الصناعة المعنوية ولا أدعي

فيما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قال أبو محمد) عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى (أما بعد) حمد الله بجميع محامده والثناء عليه بما هو أهله (والصلاة) على رسوله المصطفى وآله فإني رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الأدب ناكبين ومن اسمه متطيرين ولأهله كارهين أما الناشئ منهم فراغب عن التعليم والشادي تارك للازدياد والمتأدب في عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل في جملة المجدودين ويخرج عن جملة المحدودين فالعلماء مغمورون وبكرة الجهل مقموعون حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر وبارت بضائع أهله وصار العلم عارا على صاحبه والفضل نقصا وأموال الملوك وقفا على النفوس والجاه الذي هو زكاة الشرف يباع بيع الخلق وآضت المروآت في زخارف النجد وتشييد البنيان ولذات النفوس في اصطفاق المزاهر ومعاطاة الندمان ونبذت الصنائع وجهل قدر المعروف وماتت الخواطر وسقطت همم النفوس وزهد في لسان الصدق وعقد الملكوت فأبعد غايات كاتبنا في كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتا في مدح قينة أو وصف كأس وأرفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئا من تقويم الكواكب وينظر في شيء من القضاء وحد

فيما ألفته من ذلك فضيلة الاحسان ولا السلامة من ساق اللسان فان الفاضل من تعدّ سقطاته وتحصى غلطاته ويسيء بالاحسان ظنا لا كمن هو بابنه وشعره مفتون واذا تركت الهوى قلت ان هذا الكتاب بديع فى اغرابه وليس له صاحب فى الكتب فيقال نعم من أخدانه أو من أترابه مفردين أصحابه ومع هذا فانى أتيت بظاهر هذا العلم دون خافيه وحمت حول حماه ولم أقع فيه اذ الغرض انما هو الحصول على تعليم الكلم التى بها تنظم العقود وترصع وتخلب العقول فتخدع وذلك شئ تحيل عليه الخواطر لا تنطق به الدفاتر (واعلم) أيها الناظر فى كتابى أن مدار علم البيان على حاكم الذوق السليم الذى هو أنفع من ذوق التعليم وهذا الكتاب وان كان فيما يلقيه اليك أستاذا واذا سألت عما ينتفع به فى فنه قيل لك هذا فان الدربة والادمان أجدى عليك نفسا وأهدى بصرا وسمعا وهما يريانك الخبر عيانا ويجعلان عسرك من القول امكانا وكل جارحة منك قلبا ولسانا فخذ من هذا الكتاب ما أعطاك واستنبط بادمانك ما أخطاك وما مثلى فيما مهدته لك من هذه الطريق الا كمن طبع سيفا ووضعه فى يمينك لتقاتل به وليس عليه أن يخلق لك قلبا فان حمل النصال غير مباشرة القتال

وانما يبلغ الانسان غايته * ما كل ماشية بالرحل شملال

ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول أما مقدمة الكتاب فانها تشتمل على عشرة فصول

﴿الفصل الاول فى موضوع علم البيان﴾

موضوع كل علم هو الشئ الذى يسأل فيه عن أحواله التى تعرض لذاته فموضوع الفقه هو أفعال المكلفين والفقيه يسأل عن أحوالها التى تعرض لها من الفرض والنفل والحلال والحرام والندب والمباح وغير ذلك وموضوع الطب هو بدن الانسان والطبيب يسأل عن أحواله التى تعرض له من صحته وسقمه وموضوع الحساب هو الاعداد والحاسب يسأل عن أحوالها التى تعرض لها من الضرب والقسمة والنسبة وغير ذلك وموضوع النحو هو الالفاظ والمعانى والنحوى يسأل عن أحوالهما فى الدلالة من جهة الاوضاع اللغوية وكذلك يجرى الحكم فى كل علم من العلوم وبهذا الضابط انفرد كل علم برأسه ولم يختلط بغيره وعلى هذا فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية وهو والنحوى يشتركان فى أن النحوى ينظر فى دلالة الالفاظ على المعانى من جهة الوضع اللغوى وتلك دلالة عامة وصاحب علم البيان ينظر فى فضيلة تلك الدلالة وهى دلالة خاصة والمراد بها أن يكون على هيئة مخصوصة من الحسن وذلك أمر وراء النحو والاعراب ألا ترى أن النحوى يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ويعلم مواقع اعرابه ومع ذلك فانه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ومن ههنا غلط مفسرو الاشعار فى اقتصارهم على شرح المعنى وما فيها من الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الاعراب منها دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة

﴿الفصل الثانى فى آلات علم البيان وأدواته﴾

اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر الى آلات كثيرة وقد قيل ينبغى للكاتب أن يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذى علم يسوغ له أن ينسب نفسه اليه فيقول فلان النحوى وفلان الفقيه وفلان المتكلم ولا يسوغ له أن ينسب نفسه الى الكتابة فيقول فلان الكاتب وذلك لما يفتقر اليه من الخوض فى كل فن وملاك هذا كله الطبع فانه اذا لم يكن

المنطق ثم يعترض على كتاب الله بالطعن وهو لا يعرف معناه وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدرى من نقله قد رضى عوضا من الله وبما عنده بان يقال فلان لطيف وفلان دقيق النظر يذهب الى ان لطف النظر قد أخرجه عن جملة الناس وبلغ به علم ما جهلوه فهو يدعوهم الرعاع والغثاء والغثر وهو لعمر الله بهذه الصفات أولى وهى به أليق لانه جهل وظن أن قد علم فهاتان جهالتان ولان هؤلاء جهلوا وعلموا انهم يجهلون (ولو أن) هذا المعجب بنفسه الزارى على الاسلام برأيه نظر من جهة النظر لاحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين ولكنه طال عليه أن ينظر فى علم الكتاب وفى أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وفى علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعاداه وانحرف عنه الى علم قد سلمه له ولامثاله المسلمون وقل فيه المناظرون له ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول بلا جسم فاذا سمع الغمر والحدث الغر قوله الكون والفساد وسمع الكيان والاسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والاخبار المؤلفة راعه ما سمع وظن ان تحت هذه الالقاب كل فائدة وكل لطيفة فاذا طالعها لم يحل منها بطائل انما هو الجوهر يقوم بنفسه والعرض لا يقوم بنفسه ورأس الخط النقطة والنقطة لا تنقسم والكلام أربعة أمر وخبر واستخبار ورغبة ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهى الامر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر والآن حد الزمانين مع هذيان كثير والخبر ينقسم الى تسعة آلاف وكذا وكذا مائة من الوجوه فاذا أراد المتكلم أن يستعمل

ثم طبع فانه لا تغني تلك الآلات شيأ ومثال ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد والحديدة التي يقدح بها ألا ترى انه اذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيأ وكثيرا ما رأيناه وسمعنا من غرائب الطباع في تعلم العلوم حتى ان بعض الناس يكون له نفاذ في تعلم علم مشكل المسلك صعب المأخذ فاذا كلف تعلم ما هو دونه من سهل العلوم نكص على عقبيه ولم يكن له فيه نفاذ وأغرب من ذلك أن صاحب الطبع في المنظوم يجيد في المديح دون الهجاء أو في الهجاء دون المديح أو يجيد في المراثي دون التهاني أو في التهاني دون المراثي وكذلك صاحب الطبع في المنثور هذا ابن الحريري صاحب المقامات قد كان على ما ظهر عنه من تنميق المقامات واحدا في فنه فلما حضر ببغداد ووقف على مقاماته قيل هذا يستصلح لكتابة الانشاء في ديوان الخلافة ويحسن أثره فيه فأحضر وكلف كتابة كتاب فأفحم ولم يجر لسانه في طويلة ولا قصيرة فقال فيه بعضهم

شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان وقد * ألجمه في بغداد بالخرس

وهذا مما يعجب منه وسئلت عن ذلك فقلت لا عجب لان المقامات مدارها جميعها على حكاية تخرج الى مخلص وأما المكاتبات فانها بحر لا ساحل له لان المعاني تتجدد فيها بتجدد حوادث الايام وهي متجددة على عدد الانفاس ألا ترى أنه اذا خطب الكاتب المفلق عن دولة من الدول الواسعة التي يكون لسلطانها سيف مشهور وسعي مذكور ومكث على ذلك برهة يسيرة لا تبلغ عشر سنين فانه يدون عنه من المكاتبات ما يزيد على عشرة أجزاء كل جزء منها أكبر من مقامات الحريري حجما لانه اذا كتب في كل يوم كتابا واحدا اجتمع من كتبه أكثر من هذه العدة المشار اليها واذا غلت وغربلت واختير الاجود منها اذ تكون كلها جيدة فيخلص منها النصف وهو خمسة أجزاء والله يعلم ما اشتملت عليه من الغرائب والعجائب وما حصل في ضمنها من المعاني المبتدعة على أن الحريري قد كتب في أثناء مقاماته رقاعا في مواضع عدة فجاء بها منحطة عن كلامه في حكاية المقامات لا بل جاء بالغث البارد الذي لا نسبة له الى باقي كلامه فيها وله أيضا كتابة أشياء خارجة عن المقامات واذا وقف عليها أقسم ان قائل هذه ليس قائل هذه لما بينهما من التفاوت البعيد وبلغني عن الشيخ أبي محمد أحمد بن الخشاب النحوي رحمه الله أنه كان يقول ابن الحريري رجل مقامات أي انه لم يحسن من الكلام المنثور سواها وان أتى بغيرها لا يقول شيأ فانظر أيها المتأمل الى هذا التفاوت في الصناعة الواحدة من الكلام المنثور ومن أجل ذلك قيل شيآن لا نهاية لهما البيان والجمال * وعلى هذا فاذا ركب الله تعالى في الانسان طبعا قابلا لهذا الفن فيفتقر حينئذ الى ثمانية أنواع من الآلات ﴿النوع الاول﴾ معرفة علم العربية من النحو والتصريف ﴿النوع الثاني﴾ معرفة ما يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب ولا المستكره المعيب ﴿النوع الثالث﴾ معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بأقوام فان ذلك جرى مجرى الامثال أيضا ﴿النوع الرابع﴾ الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة والتحفظ للكثير منه ﴿النوع الخامس﴾ معرفة الاحكام السلطانية الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك ﴿النوع السادس﴾ حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وادراجه في مطاوي كلامه ﴿النوع السابع﴾ حفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال ﴿النوع الثامن﴾ وهو مختص بالناظم دون الناثر

بعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالا على لفظه وقيدا للسانه وعيا في المحافل وغفلة عند المتناظرين (ولقد بلغني) أن قوما من أصحاب الكلام سألوا محمد بن الجهم أن يذكر لهم مسئلة من حد المنطق حسنة لطيفة فقال لهم ما معنى قول الحكيم أول الفكرة آخر العمل وأول العمل آخر الفكرة فسألوه التأويل فقال لهم مثل هذا رجل قال اني صانع لنفسي كنا فوقعت فكرته على السقف ثم انحدر فعلم ان السقف لا يكون الا على حائط وأن الحائط لا يقوم الا على أس وأن الاس لا يقوم الا على أصل ثم ابتدأ في العمل بالاصل ثم بالاس ثم بالحائط ثم بالسقف فكان ابتداء تفكره آخر عمله وآخر عمله بدء فكرته فأية منفعة في هذه المسئلة وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج الى اخراجه بهذه الالفاظ الهائلة وهكذا جميع ما في هذا الكتاب ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو لعد نفسه من البكم أو يسمع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته لايقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب فالحمد لله الذي أعاذ الوزير أبا الحسن أيده الله من هذه الرذيلة وأبانه بالفضيلة وحباه بهدي السلف الصالح ورداه رداء الايمان وغشاه بنوره وجعله هدى في الضلالات ومصباحا في الظلمات وعرفه ما اختلف فيه المختلفون على سنن الكتاب والسنة فقلوب الخيار به متعلقة ونفوسهم اليه مائلة وأيديهم الى الله فيه مظان القبول ممتدة وألسنتهم بالدعاء له شافعة يجمع ويستيقظون و يغفل ولا يغفلون وحق لمن قام لله مقامه وصبر على الجهاد صبره ونوى فيه نيته

وذلك

وذلك علم العروض والقوافى الذى يقام به ميزان الشعر * ولنذكر بعد ذلك فائدة كل نوع من هذه الانواع ليعلم أن معرفته مما تمس الحاجة اليه فنقول أما علم النحو فانه فى علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة أبجد فى تعليم الخط وهو أوّل ما ينبغى اتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربى ليأمن معرة اللحن ومع هذا فانه وان احتيج اليه فى بعض الكلام دون بعض لضرورة الافهام فان الواضع لم يخص منه شيأ بالوضع بل جعل الوضع عاما والا فاذا نظرنا الى ضرورته وأقسامه المدونة وجدنا أكثرها غير محتاج اليه فى افهام المعانى ألا ترى أنك لو أمرت رجلا بالقيام فقلت له قوم باثبات الواو ولم تجزم لما اختل من فهم ذلك شئ وكذلك الشرط لو قلت ان تقوم أقوم ولم تجزم لكان المعنى مفهوما والفضلات كلها تجرى هذا المجرى كالحال والتمييز والاستثناء فاذا قلت جاء زيد راكب وما فى السماء قدر راحة سحاب وقام القوم الا زيد فالزمت السكون فى ذلك كله ولم تبين اعرابا لما توقف الفهم على نصب الراكب والسحاب ولا على نصب زيد وهكذا يقال فى المجرورات وفى المفعول فيه والمفعول له والمفعول معه وفى المبتدا والخبر وغير ذلك من أقسام أخر لا حاجة الى ذكرها لكن قد خرج عن هذه الامثلة ما لا يفهم الا بقيود تقيده وانما يقع ذلك فى الذى تدل صيغته الواحدة على معانى مختلفة ولنضرب لذلك مثالا يوضحه فنقول اعلم أن من أقسام الفاعل والمفعول ما لا يفهم الا بعلامة كتقديم المفعول على الفاعل فانه اذا لم يكن ثم علامة تبين أحدهما من الآخر والا أشكل الامر كقولك ضرب زيد عمرو ويكون زيد هو المضروب فانك اذا لم تنصب زيدا وترفع عمرا والا لا يفهم ما أردت وعلى هذا ورد قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكذلك لو قال قائل ما أحسن زيد ولم يبين الاعراب فى ذلك لما علمنا غرضه منه اذ يحتمل أن يريد به التعجب من حسنه أو يريد به الاستفهام عن أى شئ منه أحسن ويحتمل أن يريد به الاخبار بنفى الاحسان عنه ولو بين الاعراب فى ذلك فقال ما أحسن زيدا وما أحسن زيد وما أحسن زيد علمنا غرضه وفهمنا مغزى كلامه لانفراد كل قسم من هذه الاقسام الثلاثة بما يعرف به من الاعراب فوجب حينئذ بذلك معرفة النحو اذ كان ضابطا لمعانى الكلام حافظا لها من الاختلاف * وأوّل من تكلم فى النحو أبو الاسود الدؤلى وسبب ذلك أنه دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشدّ الحر متعجبة ورفعت أشدّ فظنها مستفهمة فقال شهر ناجر فقالت يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك فأتى على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب ويوشك ان تطاول عليها زمان أن تضمحل فقال له وما ذاك فأخبره خبر ابنته فقال هلم صحيفة ثم أملى عليه الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم رسم له رسوما نقلها النحويون فى كتبهم وقيل ان أبا الاسود دخل على زياد ابن أبيه بالبصرة فقال انى أرى العرب قد خالطت العجم وتغيرت ألسنتها أفتأذن لى أن أصنع ما يقيمون به كلامهم فقال لا فقام من عنده ودخل عليه رجل فقال أيها الامير مات أبانا وخلف بنون فقال زياد مات أبانا وخلف بنون ادعوا لى أبا الاسود فردوه فقال له اصنع ما كنت نهيتك عنه فوضع شيأ ثم جاء بعده ميمون الاقرن فزاد عليه ثم جاء بعده عنبسة بن معدان المهرى فزاد عليه ثم جاء بعده عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى وأبو عمرو بن العلاء فزادا عليه ثم جاء بعدهما الخليل بن أحمد الازدى وتتابع الناس واختلف البصريون والكوفيون فى بعض ذلك فهذا ما بلغنى من أمر النحو فى أوّل وضعه وكذلك العلوم كلها يوضع منها فى مبادى أمرها شئ يسير ثم يزاد بالتدريج الى أن يستكمل آخرا (فان قيل) أما علم النحو فسلم اليك أنه تجب معرفته لكن التصريف لا حاجة

أن يلبسه الله لباس الضمير ويرديه رداء العمل ويصور اليه مختلفات القبول ويسمه له بلسان الصدق فى الآخرين فانى رأيت كثيرا من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة واستوطؤا مركب العجز وأعفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب التفكر حين نالوا الدرك بغير سبب وبلغوا البغية بغير آلة ولعمرى كان ذلك فأين همة النفس وأين الانفة من مجانسة البهائم وأى موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه وارتضاه لسره فقرأ عليه يوما كتابا فى الكتاب ومطرنا مطرا كثر عنه الكلا فقال له الخليفة ممتحناله وما الكلا فتردد فى الجواب وتعثر لسانه ثم قال لا أدرى فقال سل عنه ومن مقام آخر فى مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتابا ذكر فيه حاضر طى فصحفه تصحيفا أضحك منه الحاضرين ومن قول آخر فى وصف برذون اهداه وقد بعثت به اليك أبيض الظهر والشفتين فقيل له لو قلت أرثم ألمظ قال فبياض الظهر ما قالوا لا ندرى قال انما جهلت من الشفتين ما جهلتم من الظهر ولقد حضرت جماعة من وجوه الكتاب والعمال العلماء بتحاب الفىء وقتل النفوس فيه واخراب البلاد والتوفير العائد على السلطان بالخسران المبين وقد دخل عليهم رجل من النخاسين ومعه جارية ردت عليه بسن شاغية زائدة فقال تبرأت اليهم من الشفاء فردوها على بالزيادة فكم فى فم الانسان من سن فما كان فيهم أحد عرف ذلك حتى أدخل رجل منهم سبابته فى فيه يعتبها عوارضه فسال اعرابه وضم رجل فاه وجعل يعدها بلسانه فهل يحسن بمن ائتمنه السلطان على

اليه لان التصريف انما هو معرفة أصل الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها وهذا لا يضر جهله ولا تنفع معرفته ولنضرب لذلك مثالا كيف اتفق فنقول اذا قال القائل رأيت سرداحا لا يلزمه أن يعرف الالف في هذه الكلمة زائدة هي أم أصلية لان العرب لم تنطق بها الا كذلك ولو قالت سرداح بغير ألف لما جاز لاحد أن يزيد الالف فيها من عنده فيقول سرداحا فعلم بهذا أنه انما ينطق بالالفاظ كما سمعت عن العرب من غير زيادة فيها ولا نقص وليس يلزم بعد ذلك أن يعلم أصلها ولا زيادتها الا ان ذلك أمر خارج تقتضيه صناعة تأليف الكلام (فالجواب) عن ذلك انا نقول اعلم أنا لم نجعل معرفة التصريف كمعرفة النحو لان الكاتب أو الشاعر اذا كان عارفا بالمعاني مختارا لها قادرا على الالفاظ مجيدا فيها ولم يكن عارفا بعلم النحو فانه يفسد ما يصوغه من الكلام ويختل عليه ما يقصده من المعاني كما أريناك في ذلك المثال المتقدم وأما التصريف فانه اذا لم يكن عارفا به لم تفسد عليه معاني كلامه وانما تفسد عليه الاوضاع وان كانت المعاني صحيحة وسيأتي بيان ذلك في تحرير الجواب فنقول أما قولك ان التصريف لا حاجة اليه واستدلالك بما ذكرته من المثال المضروب فان ذلك لا يستمر لك الكلام فيه ألا ترى أنك مثلت كلامك في لفظة سرداح وقلت انه لا يحتاج الى معرفة الالف زائدة هي أم أصلية لانها انما نقلت عن العرب على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقص وهذا لا يطرد الا فيما هذا سبيله من نقل الالفاظ على هيئتها من غير تصرف فيها بحال فأما اذا أريد تصغيرها أو جمعها والنسبة اليها فانه اذا لم يعرف الاصل في حروف الكلمة وزيادتها وحذفها وابدالها ضل حينئذ عن السبيل وينشأ من ذلك مجال للعائب والطاعن ألا ترى أنه اذا قيل للنحوي وكان جاهلا بعلم التصريف كيف تصغير لفظة اضطراب فانه يقول ضطيرب ولا يلام على جهله بذلك لان الذي تقتضيه صناعة النحو قد أتى به وذلك أن النحاة يقولون اذا كانت الكلمة على خمسة أحرف وفيها حرف زائد أو لم يكن حذفته نحو قولهم في منطلق مطيلق وفي جحمرش جحيمر فلفظة منطلق على خمسة أحرف وفيها حرفان زائدان هما الميم والنون الا أن الميم زيدت فيها لمعنى فلذلك لم تحذف وحذفت النون وأما لفظة جحمرش فخماسية لا زيادة فيها وحذف منها حرف أيضا ولم يعلم النحوي أن علماء النحو انما قالوا ذلك مهملا اتكالا منهم على تحقيقه من علم التصريف لانه لا يلزمهم أن يقولوا في كتب النحو أكثر مما قالوا وليس عليهم أن يذكروا في باب من أبواب النحو شيأ من التصريف لان كلا من النحو والتصريف علم منفرد برأسه غير أن أحدهما مرتبط بالآخر ومحتاج اليه وانما قلت ان النحوي اذا سئل عن تصغير لفظة اضطراب يقول ضطيرب لانه لا يخلو اما أن يحذف من لفظة اضطراب الالف أو الضاد أو الطاء أو الراء أو الباء وهذه الحروف المذكورة غير الالف ليست من حروف الزيادة فلا تحذف بل الاولى أن يحذف الحرف الزائد ويترك الحرف الذي ليس بزائد فلذلك قلنا ان النحوي يصغر لفظة اضطراب على ضطيرب فيحذف الالف التي هي حرف زائد دون غيرها مما ليس من حروف الزيادة وأما أن يعلم أن الطاء في اضطراب مبدلة من تاء وانه اذا أريد تصغيرها تعاد الى الاصل الذي كانت عليه وهو التاء فيقال ضتيرب فان هذا لا يعلمه الا التصريفي وتكليف النحوي الجاهل بعلم التصريف معرفة ذلك كتكليفه علم ما لا يعلمه فثبت بما ذكرناه أنه يحتاج الى علم التصريف لئلا يغلط في مثل هذا (ومن العجب) أن يقال انه لا يحتاج الى معرفة التصريف ألم تعلم أن نافع بن أبي نعيم وهو من أكبر القراء السبعة قدرا وأفخمهم شأنا قال في معايش معائش بالهمز ولم يعلم الاصل في ذلك فأوخذ عليه وعيب من أجله ومن

وثقيته وأمواله ورضي بحكمه وتظره أن يجهل هذا من نفسه وهل هو في ذلك الا بمنزلة من جهل عدد أصابعه ولقد جرى في هذا المجلس كلام في ذكر عيوب الرقيق فما رأيت أحدا منهم يعرف فرق ما بين الوكع والكوع ولا الحنف من الفدع ولا اللمى من اللطع فلما ان رأيت هذا الشأن كل يوم الى نقصان وخشيت ان يذهب رسمه ويعفو أثره جعلت له حظا من عنايتي وجزأ من تأليفي فعملت لمغفل التأديب كتبا خفافا في المعرفة وفي تقويم اللسان واليد يشتمل كل كتاب منها على فن وأعفيته من التطويل والتثقيل لانشطه لحفظه ودراسته ان فاتت به همته وأقيد عليه بها ما أضل من المعرفة وأستظهر له باعداد الآلة لزمان الادالة أو لقضاء الوطر عند تبين فضل النظر وألحقه مع كلال الحد ويبس الطينة بالمرهفين وأدخله وهو الكودن في مضمار العتاق وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الانسانية الا بالجسم ومن الكتابة الا بالاسم ولم يتقدم من الادوات الا بالقلم والدواة ولكنها لمن شدا شيأ من الاعراب فعرف الصدر والمصدر والحال والظرف وشيأ من التصاريف والابنية وانقلاب الياء عن الواو والالف عن الياء وأشباه ذلك ولا بد له مع كتبنا هذه من النظر في الاشكال لمساحة الارضين حتى يعرف المثلث القائم الزاوية والمثلث الحاد والمثلث المنفرج ومساقط الاحجار والمربعات المختلفات والقسي والمدورات والعمودين ويمتحن معرفته بالعمل في الارضين لا في الدفاتر فان المخبر ليس كالمعاين وكانت العجم تقول من لم يكن عالما باجراء المياه وحفر فرض المشارب وردم المهاوي ومجاري الايام في الزيادة

جملة

جملة من عابه أبو عثمان المازني فقال في كتابه في التصريف ان نافعا لم يدر ما العربية وكثيرا ما يقع أولو العلم في مثل هذه المواضع فكيف الجهال الذين لا معرفة لهم بها ولا اطلاع لهم عليها واذا علم حقيقة الامر في ذلك لم يغلط فيما وجب قد حاولا طعنا وهذه لفظة معايش لا يجوز همزها باجماع من علماء العربية لان الياء فيها ليست مبدلة من همزة وانما الياء التي تبدل من الهمزة في هذا الموضع تكون بعد ألف الجمع المانع من الصرف ويكون بعدها حرف واحد ولا تكون عينا نحو سفائن وفي هذا الموضع غلط نافع رحمة الله عليه لانه لا شك اعتقد أن معيشة بوزن فعيلة وجمع فعيلة هو على فعائل ولم ينظر الى أن الاصل في معيشة معيشة على وزن مفعلة وذلك لان أصل هذه الكلمة من عاش التي أصلها عيش على وزن فعل ويلزم مضارع فعل المعتل العين يفعل لتصح الياء نحو يعيش ثم تنقل حركة العين الى الفاء فتصير يعيش ثم يبنى من يعيش مفعول فيقال معيوش به كما يقال مسيور به ثم يخفف ذلك بحذف الواو فيقال معيش به كما يقال مسير به ثم تؤنث هذه اللفظة فتصير معيشة ومع هذا فلا ينبغي لصاحب هذه الصناعة من النظم والنثر أن يهمل من علم العربية ما يخفى عليه باهماله اللحن الخفي فان اللحن الظاهر قد كثرت مفاوضات الناس فيه حتى صار يعلمه غير النحوي ولا شك أن قلة المبالاة بالامر واستشعار القدرة عليه توقع صاحبه فيما لا يشعر أنه وقع فيه فيجهل بما يكون عالما به ألا ترى أن أبا نواس كان معدودا في طبقات العلماء مع تقدمه في طبقات الشعراء وقد غلط فيما لا يغلط مثله فيه فقال في صفة الخمر

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وهذا لا يخفى على مثل أبي نواس فانه من ظواهر علم العربية وليس من غوامضه في شيء لانه أمر نقلي يحمل ناقله فيه على النقل من غير تصرف وقول أبي نواس صغرى وكبرى غير جائز فان فعلى أفعل لا يجوز حذف الالف واللام منها وانما يجوز حذفهما من فعلى التي لا أفعل لها نحو حبلى الا أن تكون فعلى أفعل مضافة وههنا قد عريت عن الاضافة وعن الالف واللام فانظر كيف وقع أبو نواس في مثل هذا الموضع مع قربه وسهولته وقد غلط أبو تمام في قوله

بالقائم الثامن المستخلف اطأدت * قواعد الملك ممتدا لها الطول

ألا ترى أنه قال اطأدت والصواب اتطدت لان التاء تبدل من الواو في موضعين أحدهما مقيس عليه كهذا الموضع لانك اذا بنيت افتعل من الوعد قلت اتعد ومثله ما ورد في هذا البيت فانه من وطد يطد كما يقال وعد يعد فاذا بني منه افتعل قيل اتطد ولا يقال اطأد وأما غير المقيس فقولهم في وجاه تجاه وقالوا تكلان وأصله الواو لانه من وكل يكل فأبدلت الواو تاء للاستحسان فهذه الامثلة قد أشرت اليها ليعلم مكان الفائدة في أمثالها وتوقف على أني لم أجد أحدا من الشعراء المفلقين سلم من مثل ذلك فاما أن يكون لحنا يدل على جهله مواقع الاعراب واما أن يكون أخطأ في تصريف الكلمة ولا أعني بالشعراء من هو قريب عهد بزماننا بل أعني بالشعراء من تقدم زمانه كالمتنبي ومن كان قبله كالبحتري ومن تقدمه كأبي تمام ومن سبقه كأبي نواس والمعصوم من عصمه الله تعالى على أن المخطئ في التصريف أندر وقوعا من المخطئ في النحو لانه قلما يقع له كلمة يحتاج في استعمالها الى الابدال والنقل في حروفها وأما النحو فانه يقع الخطأ فيه كثيرا حتى انه ليشذ في ظاهره في بعض الاحوال فكيف خافيه كقول أبي نواس في الامين محمد رحمه الله

يا خير من كان ومن يكون * الا النبي الطاهر الميمون

فرفع في الاستثناء من الموجب وهذا من ظواهر النحو وليس من خافيه في شيء وكذلك قال

والنقص ودوران الشمس ومطالع النجوم وحال القمر في استهلاله وأفعاله ووزن الموازين وذرع المثلث والمربع والمختلف الزوايا ونصب القناطر والجسور والدوالي والنواعير على المياه وحال أدوات الصناع ودقائق الحساب كان ناقصا في حال كتابته ولا بد له مع ذلك من النظر في جمل الفقه ومعرفة أصوله من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته كقوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه والخراج بالضمان وجرح العجماء جبار ولا يغلق الرهن والمنحة مردودة والعارية مؤداة والزعيم غارم ولا وصية لوارث ولا قطع في ثمر ولا كثر ولا قود الا بحديدة والمرأة تعاقل الرجل الى ثلث ديته ولا تعقل العاقلة عمدا ولا عبدا ولا صلحا ولا اعترافا ولا طلاق في اغلاق والبيعان بالخيار ما لم يتفرقا والجار أحق بصقبه والطلاق بالرجال والعدة بالنساء وكنهيه في البيوع عن المخابرة والمحاقلة والمزابنة والمعاومة والثنيا وعن ربح ما لم يضمن وبيع ما لم يقبض وعن بيعتين في بيعة وعن شرطين في بيع وعن بيع وسلف وعن بيع الغرر وبيع المواصفة وعن الكالئ بالكالئ وعن تلقي الركبان في أشباه لهذا اذا هو حفظها وتفهم معانيها وتدبرها أغنته باذن الله تعالى عن كثير من اطالة الفقهاء ولا بد له مع ذلك من دراسة أخبار الناس وتحفظ عيون الحديث ليدخلها في تضاعيف سطوره متمثلا اذا كتب ويصل بها كلامه اذا حاور ومدار الامر على القطب وهو العقل وجودة القريحة فان القليل معهما باذن الله كاف والكثير مع غيرهما مقصر ونحن نستحب لمن قبل عنا وائتم بكتبنا أن يؤدب بنفسه قبل أن يؤدب

أبو الطيب المتنبي

أرأيت همة ناقتي في ناقة * نقلت يدا سرحا وخفا مجمرا
تركت دخان الرمث في أوطانها * طلبا لقوم يوقدون العنبرا
وتكرمت ركباتها عن مبرك * تقعان فيه وليس مسكا أذفرا

فجمع في حال التثنية لان الناقة ليس لها الا ركبتان فقال ركبات وهذا من أظهر ظواهر النحو وقد خفي على مثل المتنبي ومع هذا فينبغي لك أن تعلم أن الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة ولكنه يقدح في الجاهل به نفسه لانه رسوم قوم تواضعوا عليه وهم الناطقون باللغة فوجب اتباعهم والدليل على ذلك أن الشاعر لم ينظم شعره وغرضه منه رفع الفاعل ونصب المفعول أو ما جرى مجراهما وانما غرضه ايراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن المتصفين بصفة الفصاحة والبلاغة ولهذا لم يكن اللحن قادحا في حسن الكلام لانه اذا قيل جاء زيد راكب ان لم يكن حسنا الا بأن يقال جاء زيد راكبا بالنصب لكان النحو شرطا في حسن الكلام وليس كذلك فتبين بهذا أنه ليس الغرض من نظم الشعر اقامة اعراب كلماته وانما الغرض أمر وراء ذلك وهكذا يجري الحكم في الخطب والرسائل من الكلام المنثور وأما الادغام فلا حاجة اليه لكاتب لكن الشاعر ربما احتاج اليه لانه قد يضطر في بعض الاحوال الى ادغام حرف والى فك ادغام من أجل اقامة الميزان الشعري ﴿النوع الثاني﴾ وهو قولنا انه يحتاج الى معرفة اللغة مما تداول استعماله فسيرد بيانه عند ذكر اللفظة الواحدة والكلام على جيدها ورديئها في المقالة المختصة بالصناعة اللفظية ويفتقر أيضا مؤلف الكلام الى معرفة عدة أسماء لما يقع استعماله في النظم والنثر ليجد اذا ضاق به موضع في كلامه بايراد بعض الالفاظ فيه العدول عنه الى غيره مما هو في معناه وهذه الاسماء تسمى المترادفة وهي اتحاد المسمى واختلاف أسمائه كقولنا الخمر والراح والمدام فان المسمى بهذه الاسماء شيء واحد وأسماؤه كثيرة وكذلك يحتاج الى معرفة الاسماء المشتركة ليستعين بها على استعمال التجنيس في كلامه وهي اتحاد الاسم واختلاف المسميات كالعين فانها تطلق على العين الناظرة وعلى ينبوع الماء وعلى المطر وغيره الا أن المشتركة تفتقر في الاستعمال الى قرينة تخصصها كي لا تكون مبهمة لانا اذا قلنا عين ثم سكتنا وقع ذلك على محتملات كثيرة من العين الناظرة والعين النابعة والمطر وغيره مما هو موضوع بازاء هذا الاسم واذا قرنا اليه قرينة تخصصه زال ذلك الابهام بان تقول عين حسناء أو عين نضاخة أو ملثة أو غير ذلك * وهذا موضع للعلماء فيه مجاذبات جدلية (فنهم) من ينكر ان يكون اللفظ المشترك حقيقة في المعنيين جميعا ويقول ان ذلك يخل بفائدة وضع اللغة لان اللغة انما هي وضع الالفاظ في دلالتها على المعاني أي وضع الاسماء على المسميات لتكون منبئة عنها عند اطلاق اللفظ والاشتراك لا بيان فيه وانما هو ضد البيان لكن طريق البيان أن يجعل أحد المعنيين في اللفظ المشترك حقيقة والآخر مجازا فاذا قلنا هذه كلمة وأطلقنا القول فهم منه اللفظة الواحدة واذا قيدنا اللفظ فقلنا هذه كلمة شاعرة فهم منه القصيدة المقصدة من الشعر وهي مجموع كلمات كثيرة ولو أطلقنا من غير تقييد وأردنا القصيدة من الشعر لما فهم مرادنا البتة هذا خلاصة ما ذهب اليه من ينكر وقوع اللفظ المشترك في المعنيين حقيقة وفي ذلك ما فيه وسأبين ما يدخله من الخلل فأقول في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفكري ولم يكن لاحد فيه قول من قبلي وهو اما قولك ان فائدة وضع اللغة انما هو البيان عند اطلاق اللفظ واللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة فهذا غير مسلم بل فائدة وضع اللغة هو البيان والتحسين

(اما

لسانه ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه ويصون مروءته عن دناءة الغيبة وصناعته عن شين الكذب ويجانب قبل مجانبته اللحن وخطل القول وشنيع الكلام ورفث المزح (وكان) رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا فيه أسوة حسنة يمزح ولا يقول الا حقا ومازح عجوزا فقال ان الجنة لا يدخلها عجوز (وكانت) في علي عليه السلام دعابة (وكان) ابن سيرين يمزح ويضحك حتى يسيل لعابه وسئل عن رجل فقال توفي البارحة فلما رأى جزع السائل قرأ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (ومازح) معاوية الاحنف بن قيس فما رؤي مازحان أوقر منهما قال له معاوية يا أحنف ما الشيء الملفف في البجاد قال له السخينة يا أمير المؤمنين أراد معاوية قول الشاعر

اذا ما مات ميت من تميم
فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بتمر أو بسمن
أو الشيء الملفف في البجاد
تراه يطوف الآفاق حرصا
ليأكل رأس لقمان بن عاد

والملفف في البجاد وطب اللبن وأراد الاحنف أن قريشا تعير بأكل السخينة وهي حساء من دقيق يتخذ عند غلاء السعر وعجف المال وكلب الزمان (فهذا) وما أشبهه مزح الاشراف وذوي المروآت فاما السباب وشتم السلف وذكر الاعراض بكبير الفواحش فما لا يرضاه لنفسه الا العبيد وصغار الولدان (ونستحب) له أن يدع في كلامه التقعير والتقعيب كقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته ان سألتك ثمن شكرها وشبرك انشأت تطلها وتضهلها وكقول عيسى بن عمر ويوسف بن عمر بن هبيرة يضربه

(أما البيان) فقد وفى الاسماء المتباينة التى هى كل اسم واحد دل على مسمى واحد فاذا أطلق اللفظ فى هذه الاسماء كان بينا مفهوما لا يحتاج الى قرينة ولو لم يضع الواضع من الاسماء شيأ غيرها لكان كافيا فى البيان (وأما التحسين) فان الواضع لهذه اللغة العربية التى هى أحسن اللغات نظر الى ما يحتاج اليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونثر ورأى أن من مهمات ذلك التجنيس ولا يقوم به الا الاسماء المشتركة التى هى كل اسم واحد دل على مسميين فصاعدا فوضعها من أجل ذلك وهذا الموضع يتجاذبه جانبان يترجح أحدهما على الآخر وبيانه أن التحسين يقضى بوضع الاسماء المشتركة ووضعها يذهب بفائدة البيان عند اطلاق اللفظ وعلى هذا فان وضعها الواضع ذهب بفائدة البيان وان لم يضع ذهب بفائدة التحسين لكنه ان وضع استدرك ما ذهب من فائدة البيان بالقرينة وان لم يضع لم يستدرك ما ذهب من فائدة التحسين فترجح حينئذ جانب الوضع فوضع (فان قيل) فلم لا تنسب الاسماء المشتركة الى اختلاف القبائل لا الى واضع واحد (قلت) فى الجواب هذا تعسف لا حاجة اليه وهو مدفوع من وجهين أحدهما ما قدمت القول فيه من الترجيح الذى سوغ للواضع أن يضع الآخر أما ترى أنه قد ورد من الجموع ما يقع على مسميين اثنين كقولهم كعاب جمع كعب الذى هو كعب الرجل وجمع كعبة وهى البنية المعروفة واذا أطلقنا اللفظ فقلنا كعاب من غير قرينة لا يدرى ما المراد بذلك أكعب الرجل أم البنية المعروفة وكذلك ورد واحد وجمع على وزن واحد كقولهم راح اسم للخمر وراح جمع راحة وهى الكف وكقولهم عقاب وهو الجزاء على الذنب وجمع عقبة أيضا وفى اللغة من هذا شئ كثير وهو بالاجماع من علماء العربية أنه لم يجر فيه خلاف بين القبائل فاتضح بهذا أن الاسماء المشتركة من واضع واحد (فان قلت) ان الواضع انما وضع المفرد من الالفاظ والجمع وضعه غيره (قلت) فى الجواب ان الذى وضع المفرد هو الذى وضع الجمع لان من قواعد وضع اللغة أن يوضع المفرد والجمع والمذكر والمؤنث والمصغر والمكبر والمصادر وأسماء الفاعلين وما جرى هذا المجرى واذا أخل بشئ من ذلك كان قد أخل بقاعدة من قواعد وضع اللغة ثم لو سلمت اليك أن واضع الجمع غير واضع المفرد لكان ذلك قدحا فى الواضع الثانى اذ جاء بالابهام عند اطلاق اللفظ لانه جمع كعبة التى هى البنية وكعب الرجل على كعاب وهذا اللفظ مشترك مبهم عند الاطلاق ولا فرق بين أن يضعه الواضع الاول أو واضع ثان فان الابهام حاصل منه * وكان فاوضنى بعض الفقهاء فى قوله تعالى فى سورة البقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وقال ان لون البقرة كان أسود والاصفر هو الاسود فأنكرت عليه هذا القول فأخذ يجادل مجادلة غير عارف ويعزو ذلك الى تفسير النقاش وتفسير البلاذرى فقلت له اعلم أن هذا الاسم الذى هو الاصفر لا يخلو فى دلالته على الاسود من وجهين اما أنه من الاسماء المتباينة التى يدل كل اسم منها على مسمى واحد كالانسان والاسد والفرس وغير ذلك واما أنه من الاسماء المشتركة التى يدل الاسم منها على مسميين فصاعدا ولا يجوز أن يكون من الاسماء المتباينة لانا نراه متجاذبا بين لونين أحدهما هذا اللون الزعفرانى الشكل والآخر اللون المظلم الشكل وعلى هذا فانه يكون من الاسماء المشتركة واذا كان من الاسماء المشتركة فلا بد له من قرينة تخصصه باللون الزعفرانى دون اللون المظلم لان الله تعالى قال صفراء فاقع لونها والفاقع من صفات اللون الزعفرانى خاصة لانه قد ورد للالوان صفات متعددة لكل لون منها صفة فقيل أبيض يقق وأسود حالك وأحمر قان وأصفر فاقع ولم يقل أسود فاقع ولا أصفر حالك فعلم حينئذ أن لون البقرة لم يكن أسود وانما كان أصفر فلما تحقق عنده

بالسياط والله ان كانت الاثبابا فى أسيفاط قبضها عشارولك (فهذا) وأشباهه كان يستثقل والادب غض والزمان زمان وأهله يتحلون فيه بالفصاحة ويتنافسون فى العلم ويرونه تلو المقدار فى درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون فكيف به اليوم مع انقلاب الحال وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون المتشدقون (ويستحب له) ان استطاع أن يعدل بكلامه عن الجهة التى تلزمه مستثقل الاعراب ليسلم من اللحن وقباحة التقعير فقد كان واصل بن عطاء سام نفسه للثغة اخراج الراء من كلامه وكانت لثغته على الراء فلم يزل يروضها حتى انقادت له طباعه وأطاعه لسانه فكان لا يتكلم فى مجالس التناظر بكلمة فيها راء وهذا أشد وأعسر مطلبا مما أردناه وليس حكم الكتاب فى هذا الباب حكم الكلام لان الاعراب لا يقبح منه شئ فى الكتاب فلا يثقل وانما يكره فيه وحشى الغريب وتعقيد الكلام كقول بعض الكتاب فى كتابه الى العامل فوقه وأنا محتاج الى أن تنفذ الى جيش الجباعرمرما وكقول آخر فى كتابه عضب عارض ألم فأنهيته عذرا وكان هذا الرجل قد أدرك صدرا من الزمان وأعطى بسطة فى العلم واللسان وكان لا يشان فى كتابته الا بتركه سهل الالفاظ ومستعمل المعانى وبلغنى ان الحسن بن سهل أيام دولته رآه يكتب وقد رد عن هاء الله خطا من آخر السطر الى أوله فقال ما هذا فقال طغيان فى القلم وكان هذا الرجل صاحب جد وأخا ورع ودين لم يعرج بهذا القول ولا كان الحسن أيضا عنده ممن يمازح

ذلك الفقيه ما أشرت اليه أذعن بالتسليم (وأما النوع الثالث) فهو معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التي وردت في حوادث خاصة بأقوام وقولي هذا لا يقتضي كل الامثال الواردة عنهم فان منها ما لا يحسن استعماله كما أن من ألفاظهم أيضا ما لا يحسن استعماله وكنت جردت من كتاب الامثال للميداني أوراقا خفيفة تشتمل على الحسن من الامثال الذي يدخل في باب الاستعمال وسبيل المتصدي لهذا الفن أن يسلك ما سلكته وليعلم أن الحاجة اليها شديدة وذلك أن العرب لم تضع الامثال الا لاسباب أوجبتها وحوادث اقتضتها فصار المثل المضروب لامر من الامور عندهم كالعلامة التي يعرف بها الشيء وليس في كلامهم أوجز منها ولا أشد اختصارا * وسبب ذلك ما أذكره لتكون من معرفته على يقين (فأقول) قد جاء عن العرب من جملة أمثالهم ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر وهو مثل يضرب للامر الظاهر المشهور والاصل فيه كما قال المفضل بن محمد انه بلغنا أن بني ثعلبة بن سعد بن ضبة في الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة من الشهر فقالت طائفة تطلع الشمس والقمر يرى وقالت طائفة يغيب القمر قبل أن تطلع الشمس فتراضوا برجل جعلوه حكما فقال واحد منهم ان قومي يبغون علي فقال الحكم ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر فذهبت مثلا ومن المعلوم أن قول القائل ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر اذا أخذ على حقيقته من غير نظر الى القرائن المنوطة به والاسباب التي قيل من أجلها لا يعطي من المعنى ما قد أعطاه المثل وذلك أن المثل له مقدمات وأسباب قد عرفت وصارت مشهورة بين الناس معلومة عندهم وحيث كان الامر كذلك جاز ايراد هذه اللفظات في التعبير عن المعنى المراد ولولا تلك المقدمات المعلومة والاسباب المعروفة لما فهم من قول القائل ان يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر ما ذكرناه من المعنى المقصود بل ما كان يفهم من هذا القول معنى مفيد لان البغي هو الظلم والقمر ليس من شأنه أن يظلم أحدا فكان يصير معنى المثل ان كان يظلمك قومك لا يظلمك القمر وهذا كلام مختل المعنى ليس بمستقيم فلما كانت الامثال كالرموز والاشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحا صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصارا ومن أجل ذلك قيل في حد المثل انه القول الوجيز المرسل ليعمل عليه وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الاخلال بمعرفتها (وأما أيام العرب) فانها تتنوع وتتشعب فمنها أيام فخار ومنها أيام محاربة ومنها أيام منافرة ومنها غير ذلك ولا يخلو الناظم والناثر من الانتصاب لوصف يوم يمر به في بعض الاحوال شبيه بيوم من تلك الايام ومماثل له فاذا جاء بذكر بعض تلك الايام المناسبة لمراده الموافقة له وقاس عليه يومه فانه يكون في غاية الحسن والرونق هذا لا خفاء به (وأما الوقائع) التي وردت في حوادث خاصة بأقوام فانها كالامثال في الاستشهاد بها وسأبين لك نبذة منها حتى تعلم مقدار الفائدة بها فمن ذلك أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث بيعة الحديبية تحت الشجرة وكان أرسل عثمان رضي الله تعالى عنه الى مكة في حاجة عرضت له ولم يحضر البيعة فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشمال على اليمين وقال هذه عن عثمان وشمالي خير من يمينه وقد استعملت أنا هذا في جملة كتاب فقلت ولا يعد البر برا حتى يلحق الغيب بالحضور ويصل من لم يصله بجزاء ولا شكور فتزنة الغائب بالشاهد من كرم الاحسان ولهذا نابت شمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين عثمان ومن ذلك أنه ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه استدعى أبا موسى الاشعري ومن يليه من العمال وكان منهم الربيع بن زياد الحارثي فمضى الى عمر فأمولي عمر وسأله عما يروج عنده وينفق عليه فأشار الى خشونة العيش فمضى

(وتستحب له أيضا) أن يترك ألفاظه في كتبه جميعها على قدر الكاتب والمكتوب اليه وان لا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام ولا رفيع الناس وضيع الكلام فاني رأيت الكتاب قد تركوا تفقد هذا من أنفسهم وخلطوا فيه فليس يفرقون بين من يكتب اليه فرأيت في هكذا وبين من يكتب اليه فاني رأيت كذا ورأيك انما يكتب بها الى الاكفاء والمساوين ولا يجوز أن يكتب بها الى الرؤساء والاساتذة لان فيهما معنى الامر ولذلك نصبت ولا يفرقون بين من يكتب اليه وأنا فعلت ذلك وبين من يكتب اليه ونحن فعلنا ذلك ونحن لا يكتب بها عن نفسه الا أمير لانها من كلام الملوك والعظماء قال الله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال انا كل شيء خلقناه بقدر وعلى هذا الابتداء خوطبوا في الجواب فقال تعالى حكاية عمن حضره الموت رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ولم يقل رب ارجعني وربما صدر الكاتب كتابه بأكرمك الله وأبقاك فاذا توسط كتابه وعدد على المكتوب اليه ذنوبا له قال فلعنك الله وأخزاك فكيف يكرمه الله ويلعنه ويخزيه في حال وكيف يجمع بين هذين في كتاب (وقال) ابرويز لكاتبه في تنزيل الكلام (انما الكلام أربعة) سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وأمرك بالشيء وخبرك عن الشيء فهذه دعائم المقالات ان التمس اليها خامس لم يوجد وان نقص منها رابع لم تتم فاذا طلبت فأسجح واذا سألت فأوضح واذا أمرت فاحكم واذا أخبرت فحقق (وقال أيضا) واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول يريد الايجاز وهذا ليس بمحمود في كل موضع ولا بمختار

وابس

ولبس جبة صوف وعمامة دسماء وخفا مطابقا وحضر بين يديه في جملة العمال فصوب عمر نظره وصعده فلم يقع الا عليه فأدناه وسأله عن حاله ثم أوصى أبا موسى الاشعري به وقد استعملت أناه هذا في جملة تقليد لبعض الملوك من ديوان الخلافة فقلت واذا استعنت بأحد على عملك فاضرب عليه بالارصاد ولا ترض بما عرفته من مبدأ حاله فان الاحوال تنتقل بنقل الاجساد واياك أن تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع بن زياد فانظر كيف فعلت في هاتين القصتين وكيف أوردتهما في الغرض الذي قصدته وامض أنت على هذ النهج فانه من محاسن هذه الصنعة وعرض علي كتاب كتبه عبد الرحيم بن علي البيساني رحمه الله عن الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الى ديوان الخلافة ببغداد في سنة احدى وسبعين وخمسمائة وضمنه ما أبلاه في خدمة الدولة من فتح الديار المصرية ومحو الدولة العلوية واقامة الدعوة العباسية وشرح فيه ما قاساه في الفتح من الاهوال ولما تأملته وجدته كتابا حسنا قد وفى فيه الخطابة حقها الا انه أخل بشيء واحد وهو أن مصر لم تفتح الا بعد أن قصدت من الشام ثلاث مرات وكان الفتح في المرة الثالثة وهذا له نظير في فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة فانه قصدها عام الحديبية ثم سار اليها في عمرة القضاء ثم سار اليها عام الفتح ففتحها وقد سألني بعض الاخوان أن أنشيء في ذلك كتابا الى ديوان الخلافة معارضا للكتاب الذي أنشأه عبد الرحيم بن علي رحمه الله فأجبته الى سؤاله وعددت مساعي صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله فقلت ومن جملتها ما فعله الخادم في الدولة المصرية وقد قام بها منبر وسرير وقالت منا أمير ومنكم أمير فرد الدعوة العباسية الى معادها وأذكر المنابر ما نسيته بها من زهو أعوادها وكانت أخرجت منها اخراج النبي صلى الله عليه وسلم من قريته وقذف الشيطان على حقها باطله وعلى صدقها بفريته ثم طوتها الليالي طي السجل للكتاب وكر عليها مرور الدهر حتى نسي لها عدد السنين والحساب ولم يعدها الى وطنها حتى تغربت لها الارواح عن أوطانها وسهرت لها أجفان السيوف سهر العيون عن أجفانها وتطاردت الآراء في تسهيل أمرها قبل مطاردة أقرانها وحتى تقدمتها غريبات ثلاث كلها ذوات غروب وكل خطب من خطوبها ذو خطوب الى أن تمخض ليلها عن صبحه وأصبحت في الاسلام كعام حديبيته وعمرة قضائه وعام فتحه وفي ذكر أخبارها ما يطبع الاسنة في رؤس الاقلام ويرهب سامعها ولم ينله شيء من مكروهها سوى الكلام ويومها الذي يومها هو اليوم الذي أرخ فيه معاد نصرها وميعاد بشرها فاذا عدت لياليها السالفة كانت كسائر الليالي وهذه ليلة قدرها فهذا فصل من فصول الكتاب فانظر كيف ماثلت بين الفتح المصري وفتح مكة وذكرت أيضا حديث الحباب بن المنذر الانصاري حيث قال بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم منا أمير ومنكم أمير وذلك لما حضر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم في سقيفة بني ساعدة والقصة مشهورة فقال الحباب بن المنذر منا أمير ومنكم أمير فقال أبو بكر رضي الله عنه بل نحن الامراء وأنتم الوزراء وهذا الذي ذكرته هو نكتة هذا الفتح التي عليها المعول ومركزه الذي عليه يدور (وعجبت) من عبد الرحيم بن علي البيساني مع تقدمه في فن الكتابة كيف فاته أن يأتي به في الكتاب الذي كتبه وكذلك وجدت لابن زياد البغدادي كتابا كتبه الى الملك الناصر صلاح الدين يوسف المقدم ذكره في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وضمنه فصولا تشتمل على أمور أنكرت عليه من ديوان الخلافة فمن تلك الامور التي أنكرت عليه أنه تلقب بالملك الناصر وذلك لقب هو لامير المؤمنين خاصة فانه الامام

في كل كتاب بل لكل مقام مقال ولو كان الايجاز محمودا في كل الاحوال لجرده الله في القرآن ولم يفعل الله ذلك ولكنه أطال تارة للتوكيد وحذف تارة للايجاز وكرر تارة للافهام وعلل هذا مستقصاة في كتابنا المؤلف في تأويل مشكل القرآن وليس يجوز لمن قام مقاما في تحضيض على حرب أو حمالة بدم أو صلح بين عشائر ان يقلل الكلام ويختصره ولا لمن كتب الى عامة كتابا في فتح أو استصلاح ان يوجز ولو كتب كاتب الى أهل بلد في الدعاء الى الطاعة والتحذير عن المعصية كتاب يزيد بن الوليد الى مروان حين بلغه عنه تلكؤه في بيعته أما بعد فاني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت لم يعمل هذا الكلام في أنفسهم عمله في نفس مروان ولكن الصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدئ ويحذر وينذر (هذا) منتهى القول فيما نختاره للكاتب فمن تكاملت له هذه الادوات وأمده الله بآداب النفس من العفاف والحلم والصبر والتواضع للحق وسكون الطائر وخفض الجناح فهذا المتناهي في الفضل العالي في ذرى المجد الحاوي قصب السبق الفائز بخير الدارين ان شاء الله تعالى

﴿باب معرفة ما يضعه الناس في غير موضعه﴾

من ذلك (أشفار العين) يذهب الناس الى أنها الشعر النابت على حروف العين وذلك غلط انما الاشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر والشعر هو الهدب وقال الفقهاء المتقدمون في كل شفر من أشفار العين ربع الدية يعنون في كل جفن وشفر كل شيء حرفه وكذلك شفيره ومنه يقال شفير الوادي وشفر الرحم فان كان

لناصر لدين الله فلما وقفت على ذلك الكتاب وجدته كتابا حسنا قد أجاد فيه كل الاجادة ولم أجد فيه متميزا الا في هذا الفصل الذي يتضمن حديث اللقب فانه لم يأت بكلام يناسب باقي الفصول المذكورة بل أتى فيه بكلام فيه غثاثة كقوله ما يستصلحه المولى فهو على عبده حرام وشيأ من هذا النسق وكان الاليق والاحسن أن يحتج بحجة فيها روح ويذكر كلاما فيه ذلاقة ورشاقة * وحضر عندي في بعض الايام بعض اخواني وجرى حديث ذلك فسألني عما كان ينبغي أن يكتب في هذا الفصل فذكرت ما عندي وهو قد علم أن للانبياء والخلفاء خصائص يختصون بها على حكم الانفراد وليس لاحد من الناس أن يشاركهم فيها مشاركة الانداد وقد أجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في أشياء نص عليها بحكمه ومن جملتها أنه نهى غيره أن يجمع بين كنيته وبين اسمه وهذا موسوع لامير المؤمنين أن يختص بأمر يكون به مشهورا وعلى غيره محظورا وقد وسم نفسه بسمة نزلت عليه من السماء وتميزت به من بين المسميات والاسماء ثم استمرت عليها الايام حتى خوطب بها من الحاضر والباد ورفعها الخطباء على المنابر في أيام الجمع ومواسم الاعياد وقد شاركته أنت فيها غير مراقب لمزية التعظيم ولا فارق بين فسحة التحليل وحرج التحريم والشرع والادب يحكمان عليك بأن تأتي ما فرط منك بالمتاب ولا تحوج فيه الى التقريع الذي هو أشد لعقاب ومثلك من عرف الحق فأمسكه بيده ونسخ اغفال أمسه باستئناف التيقظ في غده والله قد رفع المؤاخذة عمن أتى الشئ خطأ لا عمدا وقبل التوبة ممن أخذ على نفسه بالاخلاص عهدا * فانظر أيها المتأمل كيف جئت بالخبر النبوي وجعلته شاهدا على هذا الموضع ولا يمكن أن يحتج في مثل ذلك الا بمثل هذا الاحتجاج وما أعلم كيف شذ عن ابن زياد أن يأتي به مع أنه كان كاتبا مفلقا أرتضي كتابته ولم أجد في متأخري العراقيين من يماثله في هذا الفن (وأما النوع الرابع) وهو الاطلاع على كلام المتقدمين من المنظوم والمنثور فان في ذلك فوائد جمة لانه يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم ويعرف به مقاصد كل فريق منهم والى أين ترامت به صنعته في ذلك فان هذه الاشياء مما تشحذ القريحة وتذكي الفطنة واذا كان صاحب هذه الصناعة عارفا بها تصير المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشئ الملقى بين يديه يأخذ منه ما أراد ويترك ما أراد وأيضا فانه اذا كان مطلعا على المعاني المسبوق اليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق اليه ومن المعلوم أن خواطر الناس وان كانت متفاوتة في الجودة والرداءة فان بعضها لا يكون عاليا على بعض أو منحطا عنه الا بشئ يسير وكثيرا ما تتساوى القرائح والافكار في الاتيان بالمعاني حتى ان بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الاول وهذا الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر وسيأتي لذلك باب مفرد في آخر كتابنا هذا ان شاء الله تعالى (وأما النوع الخامس) وهو معرفة الاحكام السلطانية من الامامة والامارة والقضاء والحسبة وغير ذلك فانما أوجبنا معرفتها والاحاطة بها لما يحتاج اليه الكاتب في تقليدات الملوك والامراء والقضاة والمحتسبين ومن يجري مجراهم وأيضا فانه قد يحدث في الامامة حادث في بعض الاوقات بأن يموت الامام القائم بأمر المسلمين ثم يتولى من بعده من لم تكمل فيه شرائط الامامة أو يكون كامل الشرائط غير أن الامام الذي كان قبله عهد بها الى آخر غيره وهو ناقص الشرائط أو يكون قد تنازع الامامة اثنان أو يكون أرباب الحل والعقد قد اختاروا اماما وهم غير كاملي الشرائط التي تجب أن توجد فيهم أو يكون أمر غير ما ذكرناه فتختلف الاطراف في ذلك وينتصب ملك من الملوك له عناية بالامام الذي

قد

أحد من الفصحاء سمى الشعر شفرا فانما سماه بجنته والعرب تسمي الشئ باسم الشئ اذا كان مجاورا له وكان منه بسبب على ما بينت لك في باب تسمية الشئ باسم غيره ومن ذلك (حمة العقرب والزنبور) يذهب الناس الى انها شوكة العقرب وشوكة الزنبور التي يلسعان بها وذلك غلط انما الحمة سمهما وضرهما وكذلك هي من الحية لانها سم ومنه قول ابن سيرين يكره الترياق اذا كان فيه الحمة يعني بذلك السم وأراد لحوم الحيات لانها سم (ومنه قوله لا رقية الا من نملة أو حمة أو نفس) فالنملة قروح تخرج في الجنب تقول المجوس ان ولد الرجل اذا كان من اخته ثم خط على النملة يشفى صاحبها قال الشاعر

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر
كرام وأنا لا نخط على النمل

يريد أنا لسنا بمجوس ننكح الاخوات (والنفس) العين يقال أصابت فلانا نفس والنافس العائن والحمة لكل هامة ذات سم فاما شوكة العقرب فهي الابرة (ومن ذلك الطرب) يذهب الناس الى انه في الفرح دون الجزع وليس كذلك انما الطرب خفة تصيب الرجل لشدة السرور أو لشدة الجزع قال الشاعر وهو النابغة الجعدي

وأراني طربا في أثرهم
طرب الواله أو كالمختبل

وقال آخر

يقلن لقد بكيت فقلت كلا
وهل يبكي من الطرب الجليد

وانما هو ههنا بمعنى الجزع ومن ذلك (الحشمة) يضعها الناس موضع الاستحياء قال الاصمعي وليس كذلك انما هي بمعنى الغضب وحكى عن بعض فصحاء العرب انه قال ان ذلك لما يحشم بني فلان أي يغضبهم قال الاصمعي ونحو من هذا قول

قد قام للمصلين ويأمر كاتبه أن يكتب كتابا فى أمره الى الاطراف المخالفة له واذا لم يكن الكاتب عند ذلك عارفا بالحكم فى هذه الحوادث واختلاف أقوال العلماء فيها وما هو رخصة فى ذلك وما ليس برخصة لا يكتب كتابا ينتفع به ولسنا نعنى بهذا القول أن يكون الكتاب مقصورا على فقه محض فقط لانا لو أردنا ذلك لما كنا نحتاج فيه الى كتب كتاب بلاغى بل كنا نقتصر على ارسال مصنف من مصنفات الفقه عوضا عن الكتاب وانما قصدنا أن يكون الكتاب الذى يكتب فى هذا المعنى مشتملا على الترغيب والترهيب والمسامحة فى موضع والمحاققة فى موضع مشحونا ذلك بالنكت الشرعية المبرزة فى قوالب البلاغة والفصاحة كما عمل الكاتب الصابى فى الكتاب الذى كتبه عن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه الى الامام الطائع لما خلع المطيع فانه من محاسن الكتب التى تكتب فى هذا الفن (وأما النوع السادس) وهو حفظ القرآن الكريم فان صاحب هذه الصناعة ينبغى له أن يكون عارفا بذلك لان فيه فوائد كثيرة منها أنه يضمن كلامه بالآيات فى أماكنها اللائقة بها ومواضعها المناسبة لها ولا شبهة فيما يصير للكلام بذلك من الفخامة والجزالة والرونق ومنها أنه اذا عرف مواقع البلاغة وأسرار الفصاحة المودعة فى تأليف القرآن اتخذه بحرا يستخرج منه الدرر والجواهر ويودعها مطاوى كلامه كما فعلته أنا فيما أنشأته من المكاتبات وكفى بالقرآن الكريم وحده آلة وأداة فى استعمال أفانين الكلام فعليك أيها المتوشح لهذه الصناعة بحفظه والفحص عن سره وغامض رموزه واشاراته فانه تجارة لن تبور ومنبع لا يغور وكنز يرجع اليه وذخر يعول عليه (وأما النوع السابع) وهو حفظ الاخبار النبوية مما يحتاج الى استعماله فان الامر فى ذلك يجرى مجرى القرآن الكريم وقد تقدم القول عليه فاعرفه (وأما النوع الثامن) وهو ما يختص بالناظم دون الناثر وذلك معرفة العروض وما يجوز فيه من الزحاف وما لا يجوز فان الشاعر محتاج اليه ولسنا نوجب عليه المعرفة بذلك لينظم بعلمه فان النظم مبنى على الذوق ولو نظم بتقطيع الافاعيل لجاء شعره متكلفا غير مرضى وانما أريد للشاعر معرفة العروض لان الذوق قد ينبو عن بعض الزحافات ويكون ذلك جائزا فى العروض وقد ورد للعرب مثله فاذا كان الشاعر غير عالم به لم يفرق بين ما يجوز من ذلك وما لا يجوز وكذلك أيضا يحتاج الشاعر الى العلم بالقوافى والحركات ليعلم الروى والردف وما يصح من ذلك وما لا يصح فاذا أكمل صاحب هذه الصناعة معرفة هذه الآلات وكان ذا طبع مجيب وقريحة مواتية فعليه بالنظر فى كتابنا هذا والتصفح لما أودعناه من حقائق علم البيان ونبهنا عليه من أصول ذلك وفروعه على أن الذى ذكرناه من هذه الآلات الثمان هو كالاصل لما يحتاج اليه الخطيب والشاعر ومعرفته ضرورية لا بد منها وههنا أشياء أخر هى كالتوابع والروادف وبالجملة فان صاحب هذه الصناعة يحتاج الى التشبث بكل فن من الفنون حتى انه يحتاج الى معرفة ما تقوله النادبة بين النساء والماشطة عند جلوة العروس والى ما يقوله المنادى فى السوق على السلعة فما ظنك بما فوق هذا والسبب فى ذلك أنه مؤهل لان يهيم فى كل واد فيحتاج أن يتعلق بكل فن

﴿الفصل الثالث فى الحكم على المعانى﴾ وفائدة هذا الفصل الاحاطة بأساليب المعانى على اختلافها وتباينها وصاحب هذه الصناعة مفتقر الى هذا الفصل والذى يليه بخلاف غيرهما من هذه الفصول المذكورة لاسيما مفسرى الاشعار فانهم به أعنى * واعلم ان الاصل فى المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه ومن يذهب الى التأويل يفتقر الى دليل كقوله تعالى وثيابك فطهر فالظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأول ذهب الى أن المراد هو القلب لا الملبوس وهذا

الناس (زكنت الامر) يذهبون فيه الى معنى ظننت وتوهمت وليس كذلك انما هو بمعنى علمت يقال زكنت الامر أزكنه قال قعنب ابن أم صاحب

ولن يراجع قلبي ودهم أبدا زكنت منهم على مثل الذى زكنوا

أى علمت منهم مثل الذى علموا منى (ومن ذلك القافلة) يذهب الناس الى انها الرفقة فى السفر ذاهبة كانت أو راجعة وليس كذلك انما القافلة الراجعة من السفر يقال قفلت فهى قافلة وقفل الجند من مبعثهم أى رجعوا ولا يقال لمن خرج الى مكة من العراق قافلة حتى يصدروا ومن ذلك (المأتم) يذهب الناس الى انه المصيبة يقولون كنا فى مأتم وليس كذلك انما المأتم النساء يجتمعن فى الخير والشر والجمع مآتم والصواب ان يقولوا كنا فى مناحة وانما قيل لها مناحة من النوائح لتقابلهن عند البكاء يقال الجبلان يتناوحان اذا تقابلا وكذلك الشجر وقال الشاعر

عشية قام النائحات وشققت جيوب بأيدى مأتم وخدود

أى بأيدى نساء وقال آخر

رمته أناة من ربيعة عامر نؤوم الضحى فى مأتم أى مأتم

يريد فى نساء أى نساء (ومن ذلك قول الناس فلان يتصدق اذا أعطى وفلان يتصدق اذا سأل) وهذا غلط والصواب فلان يسأل وانما المتصدق المعطى قال الله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين (ومن ذلك الحمام) يذهب الناس الى أنه الدواجن التى تستفرخ فى البيوت وذلك غلط انما الحمام ذوات الاطواق وما أشبهها مثل الفواخت والقمارى والقطا قال ذلك الاصمعى ووافقه عليه الكسائى قال حميد بن ثور

وما هاج هذا الشوق الا حمامة * دعت ساق حر ترحة وترنما

لابدله من دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ وكذلك ورد عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال اذا أردت أن تصلي فادخل بيتك وأغلق بابك فالظاهر من هذا هو البيت والباب ومن تأول ذهب الى أنه أراد أنك تجمع عليك همك قبلك وتمنع أن يخطر به سوى أمر الصلاة فعبر عن القلب بالبيت وعن منع الخواطر التي تخطر له باغلاق الباب وهذا يحتاج الى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ فالمعنى المحمول على ظاهره لايقع في تفسيره خلاف والمعنى المعدول عن ظاهره الى التأويل يقع فيه الخلاف اذ باب التأويل غير محصور والعلماء متفاوتون في هذا فانه قد يأخذ بعضهم وجها ضعيفا من التأويل فيكسوه بعبارته قوة تميزه على غيره من الوجوه القوية فان السيف بضاربه

ان السيوف مع الذين قلوبهم * كقلوبهن اذا التقى الجمعان
تلقى الحسام على جراءة حده * مثل الجبان بكف كل جبان

وذهب بعضهم في الفرق بين التفسير والتأويل الى شئ غير مرضي فقال التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة كتفسير الصراط بالطريق والتأويل اظهار باطن اللفظ كقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فتفسيره من الرصد يقال رصدته اذا رقبته وتأويله تحذير العباد من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره والذي عندي في ذلك أنه أصاب في الآخر ولم يصب في الاول لان قوله التفسير بيان وضع اللفظ حقيقة لامستند لجوازه بل التفسير يطلق على بيان وضع اللفظ حقيقة ومجازا لانه من الفسر وهو الكشف كتفسير الرصد في الآية المشار اليها بالرقبة وتفسيره بالتحذير من تعدي حدود الله ومخالفة أوامره وأما التأويل فانه أحد قسمي التفسير وذلك أنه رجوع عن ظاهر اللفظ وهو مشتق من الاول وهو الرجوع يقال آل يؤول اذا رجع وعلى هذا فان التأويل خاص والتفسير عام فكل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويلا ولهذا يقال تفسير القرآن ومن تفسيره ظاهر وباطن وهذا الفصل الذي نحن بصدد ذكره ههنا يرجع أكثره الى التأويل لانه أدق ولايخلو تأويل المعنى من ثلاثة أقسام اما أن يفهم منه شئ واحد لايحتمل غيره واما أن يفهم منه الشئ وغيره وتلك الغيرية اما أن تكون ضدا أو لاتكون ضدا وليس لنا قسم رابع فالاول يقع عليه أكثر الاشعار ولايجري في الدقة واللطافة مجرى القسمين الآخرين وأما القسم الثاني فانه قليل الوقوع جدا وهو من أظرف التأويلات المعنوية لان دلالة اللفظ على المعنى وضده أغرب من دلالته على المعنى وغيره مما ليس بضده فمما جاء منه قول النبي صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد الا المسجد الحرام فهذا الحديث يستخرج منه معنيان ضدان أحدهما أن المسجد الحرام أفضل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من المسجد الحرام أي ان صلاة واحدة فيه لاتفضل ألف صلاة في المسجد الحرام بل تفضل مادونها بخلاف المساجد الباقية فان ألف صلاة فيها تقصر عن صلاة واحدة فيه وكذلك جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم أيضا من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ماشئت وهذا يشتمل على معنيين ضدين أحدهما أن المراد به اذا لم تفعل فعلا تستحي منه فافعل ماشئت والآخر أن المراد به اذا لم يكن لك حياء يزعك عن فعل ماتستحي منه فافعل ماشئت وهذان معنيان ضدان أحدهما مدح والآخر ذم ومثله ورد في الحديث النبوي أيضا وذلك أنه ذكر شريح الحضرمي عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لايتوسد القرآن وهذا يحتمل مدحا وذما أما المدح فالمراد به أنه لاينام الليل عن القرآن فيكون القرآن متوسدا معه لم يتهجد به وأما الذم فالمراد به أنه لايحفظ من القرآن شيأ فاذا نام لم يتوسد معه القرآن وهذان التأويلان من الاضداد وكثيرا مايرد أمثال ذلك في الاحاديث

فالحمامة هنا قرية وقال النابغة الذبياني شعرا
واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت * الى حمام شراع وارد الثمد
قال الاصمعي هذه زرقاء اليمامة نظرت الى قطا قال وأما الدواجن التي في البيوت فانها وماشاكلها من طير الصحراء اليمام الواحدة يمامة (ومن ذلك) الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذي يتبع الشتاء ويأتي فيه الورد والنور ولايعرفون الربيع غيره والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتاء بعده ثم فصل الصيف بعد الشتاء وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ بعده وهو الوقت الذي تدعوه العامة الصيف ومن العرب من يسمي الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ويسمى الفصل الذي يتلو الشتاء وتأتي فيه الكمأة والنور الربيع الثاني وكلهم مجمعون على أن الخريف هو الربيع (ومن ذلك الظل والفئ) يذهب الناس الى انهما شئ واحد وليس كذلك لان الظل يكون غدوة وعشية ومن أول النهار الى آخره ومعنى الظل الستر ومنه قول الناس أنا في ظلك أي في دارك وسترك ومنه ظل الجنة وظل شجرها انما هو سترها ونواحيها وظل الليل سواده لانه يستر كل شئ قال ذو الرمة

قد أعسف النازح المجهول معسفه * في ظل أخضر يدعو هامه البوم

أي في ستر ليل أسود فكان معنى ظل الشمس ماسترته الشخوص من مسقطها والفئ لايكون الا بعد الزوال ولايقال لما قبل الزوال فيء وانما سمي بالعشي فيئا لانه ظل فاء عن جانب الى جانب أي رجع عن جانب المغرب الى جانب المشرق

النبوية ويجري على هذا النهج من الشعر قول أبي الطيب في قصيدة يمدح بها كافورا

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات في نعمائه يتقلب

وهذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم والآخر أن المنعم يحسد المنعم عليه وكذلك ورد قوله أيضا من قصيدة يمدحه

فان نلت ما أملت منك فربما * شربت بماء يعجز الطير ورده

فان هذا البيت يحتمل مدحا وذما واذا أخذ بمفرده من غير نظر الى ما قبله فانه يكون بالذم أولى منه بالمدح لانه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ وصدر البيت مفتتح بان الشرطية وقد أجيب بلفظة رب التي معناها التقليل أي لست من نوالك على يقين فان نلته فربما وصلت الى مورد لا يصل اليه الطير لبعده واذا نظر الى ما قبل هذا البيت دل على المدح خاصة لارتباطه بالذي قبله وكثيرا ما كان يقصد المتنبي هذا القسم في شعره كقوله من قصيدة أولها

عدوك مذموم بكل لسان * ولو كان من أعدائك القمران

ولله سر في علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

ثم قال

فمالك تعنى بالاسنة والقنا * وجدك طعان بغير سنان

فان هذا بالذم أشبه منه بالمدح لانه يقول لم تبلغ ما بلغته بسعيك واهتمامك بل بجد وسعادة وهذا لا فضل فيه لان السعادة تنال الخامل والجاهل ومن لا يستحقها وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم في قصائده الكافوريات (وحكى) أبو الفتح بن جني قال قرأت على أبي الطيب ديوانه الى أن وصلت الى قصيدته التي أولها * أغالب فيك الشوق والشوق أغلب * فأتيت منها على هذا البيت وهو

وما طربي لما رأيتك بدعة * لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فقلت له يا أبا الطيب لم تزد على أن جعلته أبا زنة فضحك لقولي وهذا القسم من الكلام يسمى الموجه أي له وجهان وهو مما يدل على براعة الشاعر وحسن تأتيه * وأما القسم الثالث فانه يكون أكثر وقوعا من القسم الثاني وهو واسطة بين طرفين لان القسم الاول كثير الوقوع والقسم الثاني قليل الوقوع وهذا القسم الثالث وسط بينهما فمما جاء منه قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم فان هذا له وجهان من التأويل أحدهما القتل الحقيقي الذي هو معروف والآخر هو القتل المجازي وهو الاكباب على المعاصي فان الانسان اذا أكب على المعاصي قتل نفسه في الآخرة ومن ذلك ما ورد في قصة ابراهيم وذبح ولده عليهما السلام فقال الله تعالى حكاية عنه وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قد يكون بشارة بنبوته بعد البشارة بميلاده وقد يكون استئنافا بذكره بعد ذكر اسمعيل عليه السلام وذبحه والتأويل متجاذب بين هذين الامرين ولا دليل على الاختصاص بأحدهما ولم يرد في القرآن ما يدل على أن الذبيح اسمعيل ولا اسحق عليهما السلام وكذلك لم يرد في الاخبار التي صحت عن رسول الله صلى

والفيء هو الرجوع ومنه قول الله عز وجل حتى تفيء الى أمر الله أي ترجع وقال امرؤ القيس

تيممت العين التي عند ضارج
يفيء عليها الظل عرمضها طامي

أي يرجع عليها الظل من جانب الى جانب فهذا يدلك على معنى الفيء وقال الشماخ

اذا الارطى توسد أبرديه
خدود جوازئ بالرمل عين

أبرداه الظل والفيء يريد وقت نصف النهار وكأن الظباء في بعض ذلك الوقت كانت في ظل ثم زالت الشمس فتحول الظل فصار فيئا فحولت خدودها (ومن ذلك الآل والسراب) لا يكادون يفرقون بينهما وانما الآل أول النهار وآخره الذي يرفع كل شيء وسمي آلا لان الشخص هو الآل فلما رفع الشخص قيل هذا آل قد بدا وتبين قال النابغة الجعدي

حتى لحقنا بهم تعدي فوارسنا
كأننا رعن قف يرفع الآلا

وهذا من المقلوب أراد كأننا رعن قف يرفعه الآل وأما السراب فهو الذي تراه نصف النهار كأنه ماء قال الله عز وجل كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء (ومن ذلك الدلج) يذهب الناس الى انه الخروج من المنزل في آخر الليل وليس كذلك انما الدلج سير الليل قال الشاعر

كأنها وقد براها الاخماس
ودلج الليل وهاد قياس
شرائج النبع براها القواس

وقال أبو زبيد

كروقوما يسيرون فباتوا يدلجون وبات يسري
بصير بالدجى هاد هموس

يعني الاسد وكان رجل من أصحاب اللغة يخطئ الشماخ في قوله

وتشكو بعين ما أكل ركابها * وقيل المنادي أصبح القوم أدلجي

وقال كيف يكون الادلاج مع الصبح ولم يرد الشماخ ما ذهب

الله عليه وسلم وأما ماروى عنه أنه قال أنا ابن الذبيحين نخارج عن الاخبار الصحيحة وفى التوراة ان اسحق عليه السلام هو الذبيح ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لاز واجه أطولكن يدا أسرعكن لحوقا بى فلما مات صلوات الله عليه جعلن يطاولن بين أيديهن حتى ينظرن أيتهن أطول يدا ثم كانت زينب أسرعهن لحوقا به وكانت كثيرة الصدقة فعلمن حينئذ أنه لم يرد الجارحة وانما أراد الصدقة فهذا القول يدل على المعنيين المشار اليهما ومن ذلك ماروى عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فلم يقل لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم أفعله لم لا فعلته وهذا القول يحتمل وجهين من التأويل أحدهما وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على خلق من يصحبه والآخر أنه وصف نفسه بالفطنة والذكاء فيما يقصده من الاعمال كأنه متفطن لما فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفعله من غير حاجة الى استئذانه ومن ذلك ماورد فى الادعية النبوية فانه صلى الله عليه وسلم دعا على رجل من المشركين فقال اللهم اقطع أثره وهذا يحتمل ثلاثة أوجه من التأويل الاول أنه دعا عليه بالزمانة لانه اذا زمن لا يستطيع أن يمشى على الارض فينقطع حينئذ أثره الوجه الثانى أنه دعا عليه بأن لا يكون له نسل من بعده ولا عقب الوجه الثالث أنه دعا عليه بأن لا يكون له أثر من الآثار مطلقا وهو أن لا يفعل فعلا يبقى أثره من بعده كائنا ما كان من عقب أو بناء أو غراس أو غير ذلك وظفرت الحرورية برجل فقالوا له ابرأ من على وعثمان فقال انا من على ومن عثمان أبرأ فهذا يدل على معنيين أحدهما أنه برئ من عثمان وحده والآخر أنه برئ منهما جميعا والرجل لم يرد الا الوجه الاول ومن ذلك ما يحكى عن عبد المسيح بن بقيلة لما نزل بهم خالد بن الوليد على الحيرة وذلك أنه خرج اليه عبد المسيح بن بقيلة فلما مثل بين يديه قال أنعم صباحا أيها الملك فقال له خالد قد أغنانا الله عن تحيتك هذه بسلام عليكم ثم قال له من أين أقصى أثرك قال من ظهر أبى قال فمن أين خرجت قال من بطن أمى قال فعلام أنت قال على الارض قال ففيم أنت قال فى ثيابى قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط أنا أسأله عن الشئ وهو يخوض فى غيره وهذا من توجيه الكلام على نمط حسن وهو يصلح أن يكون جوابا لخالد عما سأل ويصلح أن يكون جوابا لغيره مما ذكره عبد المسيح بن بقيلة وقد ورد فى التوراة أن لا يؤكل الجدى بلبن أمه وهذا يحتمل التحريم فى وجهين أحدهما ما دل عليه ظاهر لفظه وهو تحريم لحم الجدى بلبن أمه خاصة واذا أكل بلبن غير لبن أمه جاز ذلك ولم يكن حراما وهذا لا يأخذ به أحد من اليهود والوجه الآخر وهو الذى يؤخذ به عند اليهود جميعهم أن أكل اللحم باللبن حرام كائنا ما كان من اللحوم الا طائفة منهم يسمون القرايين فانهم تأولوا فأكلوا لحم الطير باللبن وقالوا انما حرم اللحم باللبن من اللحوم ذوات الالبان والطير من ذوات البيض لا من ذوات الالبان ومما يجرى على هذا النهج ما يحكى عن افلاطون أنه قال ترك الدواء دواء فذهب بعض الاطباء أنه أراد أن لطف المزاج وانتهى الى غاية لا يحتمل الدواء فتركه حينئذ والاضراب عنه دواء وذهب آخرون الى أنه أراد بالترك الوضع أى وضع الدواء على الداء دواء يشير بذلك الى حذق الطبيب فى أوقات علاجه ومثله فى الشعر قول الفرزدق

اذا جعفر مرت على هضبة الحمى * فقد أخذت الاحياء منها قبورها

وهذا يدل على معنيين أحدهما ذم الاحياء والآخر ذم الاموات أما ذم الاحياء فهو أنهم خذلوا الاموات يريد أنهم تلاقوا قتالهم وقوما آخرين فقر الاحياء عنهم وأسلموهم أو أنهم استعبدوهم فلم يجدوهم وأما ذم الاموات فهو أن لهم مخازى وفضائح توجب عارا وشنارا فهم يعدون بها

اليه وانما أراد المنادى كان مرة ينادى أصبح القوم كما يقول القائل لقوم أصبحوا وهم نيام أصبحتم كما تنامون وكان مرة ينادى ادلجى أى سيرى ليلا يقال أدلجت فأنا مدلج ادلاجا والاسم الدلج بفتح الدال واللام والدلجة فان أنت خرجت من آخر الليل فقد ادلجت بتشديد الدال تدلج ادلاجا والاسم منه الدلجة بضم الدال ومن الناس من يجيز الدلجة والدلجة فى كل واحد منهما كما يقال برهة من الدهر وبرهة (ومن ذلك العرض) يذهب الناس الى انه سلف الرجل من آبائه وأمهاته وانا قائل اذا قال شتم عرضى فلان يريد شتم آبائى وأمهاتى وأهل بيتى وليس كذلك انما عرض الرجل نفسه ومن شتم عرض رجل فانما ذكره فى نفسه بالسوء ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق يخرج من أعراضهم مثل المسك يريد يجرى من أبدانهم ومنه قول أبى الدرداء أقرض من عرضك ليوم فقرك يريد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره ودع ذلك قرضا لك عليه ليوم القصاص والجزاء ولم يرد اقرض عرضك من أبيك وأمك وأسلافك لان شتم هؤلاء ليس اليه التحليل منه قال ابن عيينة لو ان رجلا أصاب من عرض رجل شيأ ثم تورع فجاء الى ورثته أو الى جميع أهل الارض فحللوه ما كان فى حل ولو أصاب من ماله ثم دفعه الى ورثته لكان ذلك كفارة فعرض الرجل أشد من ماله قال حسان بن ثابت الانصارى

هجوت محمدا وأجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء
فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وداء

الاحياء

الاحياء ويلصقونها بهم وعلى هذا ورد قول أبي تمام

بالشعر طول اذا اصطكت قصائده * في معشر وبه عن معشر قصر

فهذا البيت يحتمل تأويلين أحدهما أن الشعر يتسع مجاله بمدحك ويضيق بمدح غيرك يريد بذلك ان ماثره كثيرة وما ثرغيره قليلة والآخران الشعر يكون ذا فخر ونباهة بمدحك وذا خمول بمدح غيرك فلفظة الطول يفهم منها ضد القصر ويفهم منها الفخر من قولنا طال فلان على فلان أي فخر عليه (ومما) ينتظم بهذا السلك قول أبي كبير الهذلي

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها * فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

وهذا يحتمل وجهين من التأويل أحدهما أنه أراد بسعي الدهر سرعة تقضي الاوقات مدة الوصال فلما انقضى الوصل عاد الدهر الى حالته في السكون والبطء الآخر أنه أراد بسعي الدهر سعي أهل الدهر بالنمائم والوشايات فلما انقضى ما كان بينهما من الوصل سكنوا وتركوا السعاية وهذا من باب وضع المضاف اليه مكان المضاف كقوله تعالى واسأل القرية أي أهل القرية ومن الدقيق المعنى في هذا الباب قول أبي الطيب المتنبي في عضد الدولة من جملة قصيدته التي أولها أوه بديل من قولتي واها فقال

لو فطنت خيله لنائله * لم يرضها أن تراه يرضاها

وهذا يستنبط منه معنيان غريبان أحدهما أن خيله لو علمت مقدار عطاياه النفيسة لما رضيت له بأن تكون من جملة عطاياه لان عطاياه أنفس منها الآخر أن خيله لو علمت أنه يهبها من جملة عطاياه لما رضيت ذلك اذ تكره خروجها من ملكه وهذان الوجهان أناذكرتهما وانما المذكور منهما أحدهما وهذا الذي أشرت اليه من الكلام على المعاني وتأويلاتها كاف لمن عنده ذوق وله قوة على حملها على أشباهها ونظائرها

﴿الفصل الرابع﴾ في الترجيح بين المعاني وهذا الفصل هو ميزان الخواطر الذي يوزن به تقدير همها ودينارها بل المحك الذي يعلم منه مقدار عيارها ولا يزن به الا ذو فكرة متقدة ولمحة منتقدة فليس كل من حمل ميزانا سمي صرافا ولا كل من وزن به سمي عرافا والفرق بين هذا الترجيح والترجيح الفقهي أن هناك يرجح بين دليلي الخصمين في حكم شرعي وههنا يرجح بين جانبي فصاحة وبلاغة في ألفاظ ومعان خطابية وبيان ذلك أن صاحب الترجيح الفقهي يرجح بين خبر التواتر مثلا وبين خبر الآحاد أو بين المسند والمرسل أو ما جرى هذا المجرى وهذا لا يعترض اليه صاحب علم البيان لانه ليس من شأنه ولكن الذي هو من شأنه أن يرجح بين حقيقة ومجاز أو بين حقيقتين أو بين مجازين ويكون ناظرا في ذلك كله الى الصناعة الخطابية وربما اتفق هو وصاحب الترجيح الفقهي في بعض المواضع كالترجيح بين عام وخاص أو ما شابه ذلك وكنا قد قدمنا القول في الحكم على المعاني وانقسامها ولنبين في هذا الفصل مواضع الترجيح بين وجوه تأويلاتها فنقول (أما القسم الاول) من المعاني فلا تعلق للترجيح به اذ ما دل عليه ظاهر لفظه ولا يحتمل الا وجها واحدا فليس من هذا الباب في شيء والترجيح انما يقع بين معنيين يدل عليهما لفظ واحد ولا يخلو الترجيح بينهما من ثلاثة أقسام اما أن يكون اللفظ حقيقة في أحدهما مجازا في الآخر أو حقيقة فيهما جميعا أو مجازا فيهما جميعا وليس لنا قسم رابع والترجيح بين الحقيقتين أو بين المجازين يحتاج الى نظر وأما الترجيح بين الحقيقة والمجاز فانه يعلم ببديهة النظر لمكان الاختلاف بينهما والشيئان المختلفان يظهر الفرق بينهما بخلاف ما يظهر بين الشيئين المشتبهين فمثال الحقيقة والمجاز قوله تعالى ويوم يحشر

أراد فان أبي وجدي ونفسي فداه لنفس محمد وعاز يد في وضوح هذا حديث حدثنيه الزيادي عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم اني تصدقت بعرضي على عبادك (ومن ذلك العترة) يذهب الناس الى أنها ذرية الرجل خاصة وانه من قال عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما يذهب الى ولد فاطمة رضي الله عنها وعترة الرجل ذريته وعشيرته الادنون من مضى منهم ومن غبر ويدلك على ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه نحن عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خرج منها وبيضته التي تفقأت عنه وانما جيبت العرب عنا كما جيبت الرحا عن قطبها ولو لم يكن أبو بكر رضوان الله عليه ليدعي بحضرة القوم جميعا ما لا يعرفونه (ومن ذلك الخلف والكذب) لا يكاد الناس يفرقون بينهما والكذب فيما مضى وهو أن يقول فعلت كذا وكذا ولم يفعله والخلف ما يستقبل وهو أن تقول سأفعل كذا وكذا ولا تفعله (ومن ذلك الجاعرة) يذهب الناس الى انها حلقة الدبر وهي تحتمل ان تسمى جاعرة لانها تجعر أي تخرج الجعر ولكن العرب تجعل الجاعرتين من الفرس والحمار موضع الرقمتين من مؤخر الحمار قال كعب بن زهير يذكر الحمار والاتن

اذا ما انتحاهن شؤبوبه
رأيت لجاعرتيه غضونا

شؤبوبه شدة دفعته يقول اذا

أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون فالجلود ههنا تفسر حقيقة ومجازا أما الحقيقة فيراد بها الجلود مطلقا وأما المجاز فيراد بها الفروج خاصة وهذا هو المانع البلاغي" الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف الكناية عن المكني "عنه وقد يسأل ههنا في الترجيح بين الحقيقة والمجاز عن غير الجانب البلاغي" ويقال ما بيان هذا الترجيح فيقال طريقه لفظ الجلود عام فلا يخلو اما أن يراد به الجلود مطلقا أو يراد به الجوارح التي هي أدوات الاعمال خاصة ولا يجوز أن يراد به الجلود على الاطلاق لان شهادة غير الجوارح التي هي الفاعلة شهادة باطلة اذ هي شهادة غير شاهد والشهادة ههنا يراد بها الاقرار فتقول اليد أنا فعلت كذا وكذا وتقول الرجل أنا مشيت الى كذا وكذا وكذلك الجوارح الباقية تنطق مقرة بأعمالها فترجح بهذا أن يكون المراد به شهادة الجوارح واذا أريد به الجوارح فلا يخلوا اما أن يراد به الكل أو البعض فان أريد به الكل دخل تحته السمع والبصر ولم يكن لتخصيصهما بالذكر فائدة وان أريد به البعض فهو بالفرج أخص منه بغيره من الجوارح لامرين أحدهما أن الجوارح كلها قد ذكرت في القرآن الكريم شاهدة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج فكان حمل الجلد عليه أولى ليستكمل ذكر الجميع الآخر أنه ليس في الجوارح ما يكره التصريح بذكره الا الفرج فكني عنه بالجلد لانه موضع يكره التصريح فيه بالمسمى على حقيقته ﴿وان قيل﴾ ان تخصيص السمع والبصر بالذكر من باب التفصيل كقوله تعالى فاكهة ونخل ورمان والنخل والرمان من الفاكهة ﴿قلت﴾ في الجواب هذا القول عليك لا لك لان النخل والرمان انما ذكر التفصيل لهما في الشكل أو في الطعم والفضيلة ههنا في ذكر الشهادة انما هي تعظيم لامر المعصية وغير السمع والبصر أعظم في المعصية لان معصية السمع انما تكون في سماع غيبة أو في سماع صوت مزمار أو وتر أو ما سوى هذا المجرى ومعصية البصر انما تكون في النظر الى محرم وكلتا المعصيتين لا حد فيها وأما المعاصي التي توجد من غير السمع والبصر فأعظم لان معصية اليد توجب القطع ومعصية الفرج توجب جلد مائة أو الرجم وهذا أعظم فكان ينبغي أن تخص بالذكر دون السمع والبصر واذا ثبت فساد ما ذهبت اليه فلم يكن المراد بالجلود الا الفروج خاصة (وأما مثال المعنيين) اذا كانا حقيقيين فقول النبي صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في خبايا الارض والخبايا جمع خبية وهو كل ما يخبأ كائنا ما كان وهذا يدل على معنيين حقيقيين أحدهما الكنوز المخبوءة في بطون الارض والآخر الحرث والغراس وجانب الحرث والغراس أرجح لان مواضع الكنوز لا تعلم حتى تلتمس والنبي صلى الله عليه وسلم لا يأمر بذلك لانه شئ مجهول غير معلوم فبقي المراد بخبايا الارض ما يحرث ويغرس وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم اذا ابتلت النعال فالصلاة في الرحال وهذا الحديث مرخص في ترك صلاة الجماعة بسبب المطر وله تأويلان أحدهما أنه أراد نعال الارض وهو ما غلظ منها والآخر أنه أراد الاحذية والوجه هو الثاني لظهوره في الدلالة على المعنى وأكثر العلماء عليه ولو كان المراد به ما غلظ من الارض لخرج عن هذا الحكم كل بلد تكون أرضه سهلة لا غلظ فيها (وأما مثال المعنيين المجازيين) فقول أبي تمام

قد بلونا أبا سعيد حديثا * وبلونا أبا سعيد قديما

ووردناه ساحلا وقليبا * ورعيناه بارضا وجميما

فعلمنا ان ليس الا بشق الأ نفس صار الكريم يدعى كريما

فالساحل والقليب يستخرج منهما تأويلان مجازيان أحدهما أنه أراد بهما الكثير والقليل

بالنسبة

عدا واشتد عدوه ورأيت الجاعرتين تكسير القبضة قوائمه وبسطه اياها وأما قول الهذلي في صفة الضبع * مشترزة جواعرها ثمان * فلا أعرف من أحد علما ثنا فيه قولا أرتضيه (ومن ذلك الفقير والمسكين) لا يكاد الناس يفرقون بينهما وقد فرق الله تعالى بينهما في آية الصدقات فقال جل ثناؤه انما الصدقات للفقراء والمساكين وجعل لكل صنف سهما والفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شئ له قال الراعي

أما الفقير الذي كانت حلوبته
وفق العيال فلم يترك له سبد

بجعل له حلوبة وجعلها وفقا لعياله أي قوتا لا فضل فيه (ومن ذلك الخائن والسارق) لا يكاد الناس يفرقون بينهما والخائن الذي أوتمن فأخذ قال النمر بن تولب

وان بني ربيعة بعد وهب
كراعي البيت يحفظه فخانا

والسارق من سرقك سرا بأي وجه كان ويقال كل خائن سارق وليس كل سارق خائنا والغاصب الذي جاهرك ولم يستتر والقطع في السرق دون الخيانة والغصب (ومن ذلك البخيل واللئيم) يذهب الناس الى أنهما سواء وليس كذلك انما البخيل الشحيح الضنين واللئيم الذي جمع الشح ومهانة النفس ودناءة الآباء يقال كل لئيم بخيل وليس كل بخيل لئيما * قال أبو زيد الملوم الذي يلام ولا ذنب له والمليم الذي يأتي ما يلام عليه قال الله عز وجل فالتقمه الحوت وهو مليم والملام الذي يقوم بعذر اللئام (ومن ذلك التلاد والتليد) لا يفرق الناس بينهما والتليد

بالنسبة الى الساحل والقليب والآخر أنه أراد بهما السبب وغير السبب فان الساحل لا يحتاج فى ورده الى سبب والقليب يحتاج فى ورده الى سبب وكلا هذين المعنيين مجاز فان حقيقة الساحل والقليب غيرهما والوجه هو الثانى لانه أدل على بلاغة القائل ومدح المقول فيه أما بلاغة القائل فالسلامة من هجنة التكرير بالمخالفة بين صدر البيت وعجزه فان عجزه يدل على القليل والكثير لان البارض هو أول النبت حين يبدو فاذا كثر وتكاثف سمى جميما فكأنه قال أخذنا منه تبرعا ومسئلة وقليلا وكثيرا وأما مدح المقول فيه فلتعداد حالاته لاربع فى تبرعه وسؤاله واكثاره واقلاله وما فى معاناة هذه الاحوال من المشاق فهذا ما يتعلق بالترجيح البلاغى بين الحقيقة والحقيقة وبين المجاز والمجاز وبين الحقيقة والمجاز (وههنا) ترجيح آخر لا يتعلق بما أشرنا اليه اذ هو خارج عما تقتضيه المعانى الخطابية من جهة الفصاحة أو البلاغة وذلك أن يرجح بين معنيين أحدهما تام والآخر مقدر أو يكون أحدهما مناسبا لمعنى تقدمه أو تأخر عنه والآخر غير مناسب أو بأن ينظر فى الترجيح بينهما الى شئ خارج عن اللفظ فمثال المعنيين المشار اليهما أن المعنى التام هو الذى يدل عليه لفظه ولا يتعداه وأما المقدر فهو الذى لا يدل عليه لفظه بل يستدل عليه بقرينة أخرى وتلك القرينة قد تكون من توابعه وقد لا تكون (فما) جاء من ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم فى سائمة الغنم زكاة فهذا اللفظ يستخرج منه معنيان أحدهما تام والآخر مقدر فالتام دلالته على وجوب الزكاة فى السائمة لا غير والمقدر دلالته على سقوط الزكاة عن المعلوفة الا أنه ليس مفهوما عن نفس اللفظ بل من قرينة أخرى هى كالتابعة له وهى أنه لما خصت السائمة بالذكر دون المعلوفة علم من مفهوم ذلك أن المعلوفة لا زكاة فيها وللفقهاء فى ذلك مجاذبات جدلية يطول الكلام فيها وليس هذا موضعها والذى يترجح عندى هو القول بفحوى المعنى المقدر وهو الذى يسميه الفقهاء مفهوم الخطاب وله فى الشعر أشباه ونظائر (فما) ورد من ذلك شعرا قول جرى بن كلاب الفقعسى من شعراء الحماسة وقد خطب اليه ابن كوز ابنته فرده

تبغى ابن كوز والسفاهة كاسمها ● ليستادمنا ان شتونا لياليا
فلا تطلبنها يا ابن كوز فانه ● غذا الناس مذ قام النبى الجواريا

وهذا البيت الثانى يشتمل على المعنيين التام والمقدر أما التام فان ابن كوز سأل أبا هذه الجارية أن يزوجه اياها فى سنة والسنة الجدب فرده وقال قد غذا الناس البنات مذ قام النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أيضا أغذو هذه ولولا ذلك لوأدتها كما كانت الجاهلية تفعل وفيه وجه آخر وهو أنهم كانوا يئدون البنات قبل الاسلام فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فقوله غذا الناس مذ قام النبى الجواريا أى فى النساء كثرة فتزوج بعضهن وخل ابنتى وهذان المعنيان هما اللذان دل عليهما ظاهر اللفظ وأما المعنى المقدر الذى يعلم من مفهوم الكلام فانه يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر باحياء البنات ونهى عن الوأد ولو أنكحتكها لكنت قد وأدتها اذ لا فرق بين انكاحك اياها وبين وأدها وهذا ذم للمخاطب وهو معنى دقيق ومجىء المعانى المستخرجة من المفهومة قليل فى الشعر (وأما) ما يستدل عليه بقرينة ليست من توابعه فان ذلك أدق من الاول وألطف مأخذا فما ورد منه قول النبى صلى الله عليه وسلم من جعل قاضيا بين الناس فقد ذبح بغير سكين فهذا يستخرج منه المعنيان المشار اليهما فالتام منهما يدل على أنه من جعل قاضيا فقد عرض نفسه لخطر عظيم كالذبح بغير سكين وأما المقدر فانه يدل على أنه من جعل قاضيا فقد أمر بمفارقة هواه وهذا لا يدل عليه اللفظ بنفسه بل يستدل عليه بقرينة

ما ولد عند غيرك ثم اشتريته صغيرا فنبت عندك والتلاد ما ولد عندك ومنه حديث شريح فى رجل اشترى جارية وشرطوا انها مولدة فوجدها تليدة فالمولدة بمنزلة التلاد وهما ما ولد عندك والتليدة فى حديث شريح التى ولدت ببلاد العجم وحملت صغيرة فنبتت ببلاد الاسلام (ومن ذلك الحمد والشكر) لا يفرق الناس بينهما فالحمد الثناء على الرجل بما فيه من الحسن تقول حمدت الرجل اذا أثنيت عليه بكرم أو حسب أو شجاعة وأشباه ذلك والشكر له الثناء عليه بمعروف أولاكه وقد يوضع الحمد موضع الشكر فيقال حمدته على معروفه عندى كما يقال شكرت له ولا يوضع الشكر موضع الحمد فيقال شكرت له على شجاعته (ومن ذلك الجبهة والجبين) لا يكاد الناس يفرقون بينهما فالجبهة مسجد الرجل الذى يصيبه ندب السجود والجبينان يكتنفانها من كل جانب جبين (ومن ذلك اللبة) يذهب الناس الى أنها النقرة التى فى النحر وذلك غلط انما اللبة المنحر فأما النقرة فهى الثغرة (ومن ذلك الارى) يذهب الناس الى أنه المعلف وذلك غلط انما الارى الاخية التى تشد بها الدواب وهى من تأريت المكان اذ أقمت به قال الشاعر الاعشى

لا يتأرى لما فى القدر يرقبه
ولا يعض على شرسوفه الصفر

أى لا يتحبس على ادراك القدر ليأكل منها وتقدير آرى من الفعل فاعول (ومن ذلك الملة) يذهب الناس الى أنها الخبزة فيقولون أطعمنا ملة وذلك غلط انما الملة

أخرى ولكن البيت من توابعه ووجه ذلك أن لفظ الحديث عام يشمل القضاة على الاطلاق ولا يخلو اما أن يراد به عذاب الآخرة أو عذاب الدنيا ولا يجوز أن يكون المراد به عذاب الآخرة لانه ليس كل قاض معذبا في الآخرة بل المعذب منهم قضاة السوء فوضح بهذا أن المراد بالحديث عذاب الدنيا وعلى هذا فلا يخلو اما أن يكون العذاب صورة أو معنى ولا يجوز أن يكون صورة لانا نرى الانسان اذا جعل قاضيا لا يذبح ولا يناله شئ من ذلك فبقي أن يكون المراد به عذابا معنويا وهو الذبح المجازي غير الحقيقي وفحوى ذلك ان نفس الانسان مركبة على حب هواها فاذا جعل قاضيا فقد أمر بترك ما جبل على حبه من الامتناع عن الرشوة والحكم لصديقه على عدوه ورفع الحجاب بينه وبين الناس والجلوس للحكم في أوقات راحته وغير ذلك من الاشياء المكروهة التي تشق على النفس وتجد لها ألما مبرحا والذبح هو قطع الحلقوم والالم حاصل به وهو كالذبح الحقيقي بل أشد منه لان ألم الذبح الحقيقي يكون لحظة واحدة ثم ينقضي ويزول وألم قطع النفس عن هواها يدوم ولا ينقضي وهو أشد العذاب قال الله تعالى في عذاب أهل النار وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقال في نعيم أهل الجنة وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وكثيرا ما رأينا وسمعنا من حمله حب الشئ على اتلاف نفسه في طلبه وركوب الاهوال من أجله فاذا امتنع عنه مع حبه اياه فقد ذبح نفسه أي قطعها عنه كما يقطع الذابح حلق الذبيحة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انتقلنا عن الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فسمى جهاد الكفار الجهاد الاصغر وجهاد النفس الجهاد الاكبر فكما أن مجاهدة النفس عن هواها قتال بغير سيف فكذلك قطعها عن هواها ذبح بغير سكين وهذا موضع غامض والترجيح فيه مختص بالوجه الآخر لاشتماله على المعنى المقصود وهو المراد من القضاة على الاطلاق (وأما) مثال المعنيين اذا كان أحدهما مناسبا لمعنى تقدمه أو لمعنى تأخر عنه والآخر غير مناسب فالاول وهو ما كان مناسبا لمعنى تقدمه كقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فالدعاء ههنا يدل على معنيين أحدهما النهي أن يدعى الرسول باسمه فيقال يا محمد كما يدعو بعضهم بعضا بأسمائهم وانما يقال له يا رسول الله أو يا نبي الله الآخر النهي أن يجعلوا حضورهم عنده اذا دعاهم لامر من الامور كحضور بعضهم عند بعض بل يتأدبون معه بأن لا يفارقوا مجلسه الا باذنه وهذا الوجه هو المراد لمناسبة معنى الآية التي قبله وهو قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه وأما الثاني وهو ما كان مناسبا لمعنى تأخر عنه كقوله تعالى والتين والزيتون وطور سينين فالتين والزيتون هما هذا الشجر المعروف وهما اسما جبلين أيضا وتأويلهما بالجبلين أولى للمناسبة بينهما وبين ما أتى بعدهما من ذكر الجبل الذي هو الطور وعلى هذا ورد قول الشاعر في أبيات الحماسة

ولو كنت مولى قيس عيلان لم تجد * علي لانسان من الناس درهما

ولكنني مولى قضاعة كلها * فلست أبالي أن أدين وتغرما

فاذا نظرنا الى البيت الاول وجدناه يحتمل مدحا وذما أي أنهم كانوا يمنونه بعطائهم أن يدين أو أنه كان يخاف الدين حذر أن لا يقوموا عنه بوفائه لكن البيت الثاني حقق أن الاول ذم وليس بمدح فهذا المعنى لا يتحقق فهمه الا بآخره وأما الذي يكون الترجيح فيه بسبب شئ خارج عن مفهوم اللفظ فقوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم فهذا مستنبط منه معنيان أحدهما أن الله يعلم السر والجهر في السموات والارض وفي ذلك تقديم وتأخير أي يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض الآخر أنه في السموات وأنه يعلم

السر

موضع الخبزة سمي بذلك لحرارته ومنه قيل فلان يتململ على فراشه والاصل يتملل فأبدل من احدى اللامات ميما ويقال ملت الخبزة في الملة أملها ملا والصواب أن تقول أطعمنا خبزملة (ومن ذلك العبير) يذهب الناس الى أنه أخلاط من الطيب وقال أبو عبيدة العبير عند العرب الزعفران وحده وأنشد للاعشى

وتبرد برد رداء العرو
س في الصيف رقرقت فيه العبير

ورقرقت بمعنى رققت فأبدلوا من القاف الوسطى راء كما قالوا احتثته والاصل حثثته أي صبغته بالزعفران وصقلته وكان الاصمعي يزعم ان العبير أخلاط تجمع بالزعفران ولا أرى القول الا ما قال الاصمعي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة تعجز احداكن أن تتخذ تومتين ثم تلطخهما بعبير أو زعفران ففرق صلى الله عليه وسلم بين العبير والزعفران (والتومة) حبة تعمل من فضة كالدرة وكان بعض أصحاب اللغة يذهب في قول بعض الناس خرجنا نتنزه اذا خرجوا الى البساتين الى الغلط وقال انما التنزه التباعد عن المياه والريف ومنه يقال فلان يتنزه عن الاقذار أي يباعد نفسه عنها وفلان نزيه كريم اذا كان بعيدا عن اللوم وليس هذا عندي خطأ لان البساتين في كل مصر وفي كل بلد انما تكون خارج المصر فاذا أراد الرجل أن يأتيها فقد أراد أن يتنزه أي يتباعد عن المنازل والبيوت ثم كثر هذا واستعمل حتى صارت النزهة القعود في الخضر والجنان (ومن

السر والجهر في الارض من بني آدم لان الوقف يكون على السموات ثم يستأنف الكلام فيقول يعلم سركم وجهركم في الارض الا أن هذا يمنع منه اعتقاد التجسيم وذلك شئ خارج عن مفهوم اللفظ

﴿الفصل الخامس في جوامع الكلم﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم فالكلم جمع كلمة والجوامع جمع جامعة والجامعة اسم فاعلة من جمعت فهي جامعة كما يقال في المذكر جمع فهو جامع والمراد بذلك أنه صلى الله عليه وسلم أوتي الكلم الجوامع للمعاني وهو عندي ينقسم قسمين القسم الاول منهما هو ما استخرجته ونبهت عليه ولم يكن لاحد فيه قول سابق وهو أن لنا ألفاظا تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه أخواتها مما يجوز أن يستعمل في مكانها (فمن ذلك) ما يأتي على حكم المجاز ومنه ما يأتي على حكم الحقيقة أما ما يأتي على حكم المجاز فقوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين الآن حمي الوطيس وهذا لم يسمع من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أتينا بمجاز غير ذلك في معناه فقلنا استعرت الحرب لما كان مؤديا من المعنى ما يؤديه حمي الوطيس والفرق بينهما أن الوطيس هو التنور وهو موطن الوقود ومجتمع النار وذلك يخيل الى السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في حميها وتوقدها وهذا لا يوجد في قولنا استعرت الحرب أو ما جرى مجراه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم بعثت في نفس الساعة فقوله نفس الساعة من العبارة العجيبة التي لا يقوم غيرها مقامها لان المراد بذلك أنه بعث والساعة قريبة منه لكن قربها منه لا يدل على ما دل عليه النفس وذلك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها كما يحس الانسان بنفس من هو الى جانبه وقد قال صلى الله عليه وسلم في موضع آخر بعثت أنا والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى ولو قال بعثت على قرب من الساعة أو والساعة قريبة مني لما دل ذلك على ما دل عليه نفس الساعة وهذا لا يحتاج الى الاطالة في بيانه لانه بين واضح وقد ورد شئ من ذلك في أقوال الشعراء المفلقين ولقد تصفحت الاشعار قديمها وحديثها وحفظت ما حفظت منها وكنت اذا مررت بنظري في ديوان من الدواوين ويلوح لي فيه مثل هذه الالفاظ أجد لها نشوة كنشوة الخمر وطربا كطرب الالحان وكثير من الناظمين والناثرين يمر على ذلك ولا يتفطن له سوى أنه يستحسنه من غير نظر فيما نظرت أنا فيه وبطنه كغيره من الالفاظ المستحسنة (فمما) جاء من ذلك قول أبي تمام

كم صارم عضب أناف على فتى ٭ منهم لأعباء الوغى حمال

سبق المشيب اليه حتى ابتزه ٭ وطن النهى من مفرق وقذال

فقوله وطن النهى من الكلمات الجامعة وهي عبارة عن الرأس ولا يجاء بها في معناها بما يسد مسدها وكذلك ورد قول البحتري

قلب يطل على افكاره ويد ٭ تمضي الامور ونفس لهوها التعب

فقوله قلب يطل على أفكاره من الكلمات الجوامع ومراده بذلك أن قلبه لا تملؤه الافكار ولا تحيط به وانما هو عال عليها يصف بذلك عدم احتفاله بالفوادح وقلة مبالاته بالخطوب التي تحدث أفكارا تستغرق القلوب وهذه عبارة عجيبة لا يؤتى بمثلها بما يسد مسدها (وأما) ما يأتي على حكم الحقيقة فكقول ابن الرومي

سقى الله أوطارا لنا ومآربا ٭ تقطع من أقرانها ما تقطعا

ليال تنسيني الليالي حسابها ٭ بلهنية أقضي بها الحول أجمعا

سوى عزة لا أعرف اليوم باسمه ٭ وأعمل فيه اللهو مرأى ومسمعا

ذلك الاعجمي والعجمي والاعرابي والعربي) لا يكاد عوام الناس يفرقون بينهما فالاعجمي الذي لا يفصح وان كان نازلا في البادية والعجمي المنسوب الى العجم وان كان فصيحا والاعرابي هو البدوي وان كان بالحضر والعربي المنسوب الى العرب وان لم يكن بدويا (ومن ذلك اشلاء الكلب) هو عند الناس اغراؤه بالصيد وبغيره مما تريد ان يحمل عليه وذلك غلط وانما اشلاء الكلب أن تدعوه اليك وكذلك الناقة والشاة قال الراجز

اشليت عنزي ومسحت قعبي

يريد انه دعا عنزه ليحلبها فاما اغراء الكلب بالصيد فهو الايساد تقول أسدته وأوسدته اذا أغريته (ومن ذلك حاشية الثوب) يذهب الناس الى انها جانبه الذي لا هدب له وذلك غلط وحواشي الثوب جوانبه كلها فأما جانبه الذي لا هدب له فهو طرته وكفته (ومن ذلك الهجنة والاقراف) لا يكاد يفرق الناس بينهما فالهجنة انما تكون من قبل الأم فاذا كان الاب عتيقا والام ليست كذلك كان الولد هجينا والاقراف من قبل الاب فاذا كانت الام من العتاق والاب ليس كذلك كان الولد مقرفا وأنشد أبو عبيدة لهند ابنة النعمان بن بشير في روح بن زنباع

وهل هند الا مهرة عربية ٭ سليلة أفراس تجللها بغل

فان نتجت مهرا كريما فبالحرى ٭ وان يك اقراف فأقرفه الفحل

﴿باب ما جاء مثنى في مستعمل الكلام﴾

يقال ذهب منه (الاطيبان) يراد الاكل والنكاح (أهلك الرجال

فقوله لا أعرف اليوم باسمه من الكلمات الجامعة أى انى قد شغلت باللذات عن معرفة الليالى والايام ولو وصف اشتغاله باللذات مهما وصف لم يأت بمثل قوله لا أعرف اليوم باسمه (وأما القسم الثانى) من جوامع الكلم فالمراد به الايجاز الذى يدل به بالالفاظ القليلة على المعانى الكثيرة أى ان الفاظه صلوات الله عليه جامعة للمعانى المقصودة على ايجازها واختصارها وجل كلامه جار هذا المجرى فلا يحتاج الى ضرب الامثلة به وسيأتى فى باب الايجاز منه ما فيه كفاية ومقنع ﴿فان قيل﴾ فما الفرق بين هذين القسمين اللذين ذكرتم ما فانهما فى النظر سواء ﴿قلت﴾ فى الجواب ان الايجاز هو أن يؤتى بألفاظ دالة على معنى من غير أن تزيد على ذلك المعنى ولا يشترط فى تلك الالفاظ أنها لا نظير لها فانها تكون قد اتصفت بوصف آخر خارج عن وصف الايجاز وحينئذ يكون ايجازا وزيادة (وأما) هذا القسم الآخر فانه ألفاظ افراد فى حسنها لا نظير لها فتارة تكون موجزة وتارة لا تكون موجزة وليس الغرض منها الايجاز وانما الغرض مكانها من الحسن الذى لا نظير لها فيه ألا ترى الى قول أبى تمام وطن النهى فان ذلك عبارة عن الرأس ولا شك أن الرأس أوجز لان الرأس لفظة واحدة ووطن النهى لفظتان الا أن وطن النهى أحسن فى التعبير عن الرأس من الرأس فبان بهذا أن أحد هذين القسمين غير الآخر

﴿الفصل السادس فى الحكمة التى هى ضالة المؤمن﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فهو أحق بها اذا وجدها والمراد بذلك أن الحكمة قد يستفيدها أهلها من غير أهلها كما يقال رب رمية من غير رام وهذا لا يخص علما واحدا من العلوم بل يقع فى كل علم والمطلوب منه ههنا هو ما يختص بعلم البيان من الفصاحة والبلاغة دون غيره ومذ سمعت هذا الخبر النبوى جعلت كدى فى تتبع أقوال الناس فى مفاوضاتهم ومحاوراتهم فانه قد تصدر الاقوال البليغة والحكم والامثال ممن لا يعلم مقدار ما يقوله فاستفدت بذلك فوائد كثيرة لا أحصرها عددا وأنا أذكر منها طرفا يستدل به على أشباهه ونظائره فمن ذلك انى سرت فى بعض الطرق وفى صحبتى رجل بدوى من الانباط لا يعتد بقوله فكان يقول غدا ندخل البلد وتشتغل عنى وكان الامر كما قال فدخلت مدينة حلب وشغلت عنه أياما ثم لقينى فقال لى من تروى فترت عظامه وهذا القول من الاقوال البليغة وهى من الحكمة التى هى الضالة المطلوبة عند مؤمنى الفصاحة والبلاغة ثم انى سمعت منه بعد ذلك شيأ يناسب قوله الاول فانى سافرت له الى صاحب فى حلب فى شئ أخذته منه فاستقله وقال الماء أروى لشدوق النيب وهذا أيضا من الحكمة فى بابه وسافرت مرة أخرى على طريق المناظر وكان فى صحبتى رجل بدوى فسألته عن مسافة ما بين تدمر وأراك فقال اذا خرج سرحاهما تلاقيا فعبر عن قرب المسافة بينهما بأوجز عبارة وأبلغها ثم سألته ليلة من الليالى عن الصبح لنرتحل من موضعنا فقال قد ظهر الصبح الا أنه لم يملأ الانسان بصره وهذا القول من الحكمة أيضا وكان تزوج غلام من غلمانى بدمشق فوقعت المرأة منه بموقع وشغف بها ثم انى سافرت عن دمشق لمهم عرض لى وسافر ذلك الغلام فى صحبتى فلما عدنا من السفر شغل بامرأته والمقام عندها فسألته عن حاله فقال انها قد طالت وحسنت وهى كذا وكذا وأخذ يصفها فقال أخ له كان حاضرا يا مولاى هى تلك لم تزد شيأ وانما هى فى عينه جبار من الجبابرة وكذا القول قد ورد فى بعض أبيات الحماسة وهو معدود من أبيات المعانى

أهابك اجلالا وما بك قدرة * على ولكن ملء عين حبيبها

فكثيرا ما يصدر مثل هذه الاقوال عن ألسنة الجهال * وسمعت ما يجرى هذا المجرى من بعض العبيد الاحابيش الذين لا يستطيعون تقويم صيغ الالفاظ فضلا عما وراء ذلك وذلك أنى رأى

الاحمران) الخمر واللحم (والأحامرة) النساء (الاصفران) الذهب والزعفران اجتمع للمرأة (الابيضان) الشحم والشباب أى عليه (العصران) الغداة والعشى (والملوان) الليل والنهار وهما الجديدان (والعمران) أبو بكر وعمر (والاسودان) التمر والماء قالت عائشة رضى الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان التمر والماء وقال حجازى لرجل استضافه ما عندنا الا الاسودان فقال له خير كثير قال لعلك تظنهما التمر والماء فقال والله ما هما الا الليل والحرة (والاصغران) القلب واللسان (والاصرمان) الذئب والغراب لانهما انصرما من الناس (والخافقان) المشرق والمغرب لان الليل والنهار يخفقان فيهما وقولهم

لا يدرى أى طرفيه أطول

يراد نسب أمه أو نسب أبيه لا يدرى أيهما أكرم وأنشد أبو زيد

وكيف بأطرافى اذا ما شتمتنى * وما بعد شتم الوالدين صلوح

يريد أجداده من قبل أبيه وأمه يقال فلان كريم الطرفين يراد به الابوان وقال ابن الاعرابى فى قولهم لا يدرى أى طرفيه أطول قال طرفاه ذكره ولسانه

﴿باب تأويل المستعمل من مزدوج الكلام﴾

(له الطم والرم) الطم البحر والرم الثرى (له الضح والريح) الضح الشمس أى ما طلعت عليه الشمس وما جرت الريح (له الويل والأليل) الأليل الانين قال ابن ميادة

صبياً في يده طاقة ريحان فقال هذه طاقة آس تحمل طاقة ريحان فلما سمعت ذلك منه أخذتني هزة التعجب وذكرت شعر أبي نواس الذي تواصفه الناس في هذا المعنى وهو قوله

ووردة جاء بها شادن * في كفه اليمنى فحيانا
سبحت ربي حين أبصرتها * ريحانة تحمل ريحانا

وحضر عندي في بعض الايام رجل نصراني موسوم بالطب وكان لا يحسن ان يقول كلمة واحدة وهو أقلف اللسان دنيء العبارة فسألته عن زيارة شخص وهل يتردد اليه أم لا فقال

ظلام الليل يهديني الى باب من أوده * وضوء النهار يضلني عن باب من لا أوده

وهذا من ألطف المعاني وأحسنها وهو من الحكمة المطلوبة * وكنت قصدت زيارة بعض الاخوان من الاجناد وهو من الاغتام الاعجام فسألته عن حاله وكان توالت عليه نكبات طالت أيامها وعظمت آلامها فقال لي في الجواب ما معناه انه لم يبق عندي ارتياع لوقوع نائبة من النوائب وهذا معنى لو أتى به شاعر مفلق أو كاتب بليغ لاستحسن منه غاية الاستحسان * وكنت في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بأرض فلسطين في الجيش الذي كان قبالة العدو الكافر من الفرنج لعنهم الله وتقابل الفريقان على مدينة يافا وكان الى جانبي ثلاثة فرسان من المسلمين فتعاقدوا على الحملة الى نحو العدو فلما حملوا اصدق منهم اثنان وتلكأ واحد فقيل له في ذلك فقال الموت طعام لا تحبه المعدة فلما سمعت هذه الكلمة استحسنتها واذا هي صادرة عن رجل من أهل بصرى قدم من الاقدام ولو أخذت في ذكر ما سمعته من هذا الاطلت وانما دللت بيسير ما ذكرته على المراد وهو أنه يجب على المتصدي للشعر والخطابة أن يتتبع أقوال الناس في محاوراتهم فانه لا يعدم مما يسمعه منهم حكماً كثيرة ولو أراد استخراج ذلك بفكره لأعجزه * ويحكى عن أبي تمام أنه لما نظم قصيدته البائية التي أولها

على مثلها من أربع وملاعب * انتهى منها الى قوله

يرى أقبح الاشياء أوبة آمل * كسته يد المأمول حلة خائب

ثم قال وأحسن من نور يفتحه الصبا * ووقف عند صدر هذا البيت يردده واذا سائل يسأل على الباب وهو يقول من بياض عطاياكم في سواد مطالبنا فقال أبو تمام

بياض العطايا في سواد المطالب * فأتم صدر البيت الذي كان يردده من كلام السائل

* وسمعت امرأة قد توفي لها ولد وهو بكرها الذي هو أول أولادها فقالت كيف لا أحزن لذهابه وهو أول درهم وقع في الكيس فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتاباً من كتبي في التعازي وهو كتاب كتبته الى بعض الاخوان وقد توفي بكره من الاولاد فقلت وهو أول درهم ادخرته في كيس الادخار وأعددته لحوادث الليل والنهار (وبلغني) عن الشيخ أبي محمد أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي وكان اماماً في علم العربية وغيره فقيل انه كان كثيراً ما يقف على حلق القصاص والمشعبذين فاذا أتاه طلبة العلم لا يجدونه في أكثر أوقاته الا هنالك فليم على ذلك وقيل له أنت امام الناس في العلم وما الذي يبعثك على الوقوف بهذه المواقف الرذيلة فقال لو علمتم ما أعلم لما لمتم ولطالما استفدت من هؤلاء الجهال فوائد كثيرة تجري في ضمن هذيانهم معاني غريبة لطيفة ولو أردت أنا أو غيري أن نأتي بمثلها لما استطعنا ذلك ولا شك أن هذا الرجل رأى ما رأيته ونظر الى ما نظرت اليه

﴿الفصل السابع في الحقيقة والمجاز﴾ وهذا الفصل مهم كبير من مهمات علم البيان لا بل هو علم البيان بأجمعه فان في تصريف العبارات على الاسلوب المجازي فوائد كثيرة وسيرد بيانها

وقولهم ما تأمرين بوامق
له بعد نومات العيون أليل

(أكذب من دب ودرج) أي أكذب من الاحياء والاموات يقال للقوم اذا انقرضوا درجوا (لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً) الصرف التوبة والعدل الفدية قال الله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أي وان تفد كل فداء وقال يونس الصرف الحيلة ومنه قيل انه يتصرف في كذا وكذا قال الله تعالى فما يستطيعون صرفاً ولا نصراً (ويقولون لا يعرف هراً من بر) قال ابن الاعرابي الهر دعاء الغنم والبر سوقها وقال غيره هر من هررته أي كرهته يقال هر فلان الكاس اذا كرهها يريد ما يعرف من يكرهه ممن يبره (القوم في هياط ومياط) الهياط الصياح والمياط الدفاع والميط الدفع ومنه اماطة الاذى عن الطريق (وقولهم كيف السامة والعامة) السامة الخاصة (ويقولون حياك الله وبياك) حياك الله ملكك والتحية الملك ومنه التحيات لله يراد الملك لله قال عمرو بن معدي كرب

أسيرها الى النعمان حتى
أنيخ على تحيته بجند

يعني الملك ويقال بياك اعتمدك بالملك والخير قال الشاعر

باتت تبيا حوضها عكوفا
مثل الصفوف لاقت الصفوفا

أي تعتمد حوضها وقال ابن الاعرابي بياك جاءك وروى في بياك أضحكك وجاء هذا في حديث يروى في قصة آدم النبي عليه السلام وأنشد ابن الاعرابي

وعسعس نعم الفتى تبياه

فى مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد نبهنا فى هذا الموضع على جلتها دون تفصيلها فأما الحقيقة فهى اللفظ الدال على موضوعه الاصلى وأما المجاز فهو ما أريد به غير المعنى الموضوع له فى أصل اللغة وهو مأخوذ من جاز من هذا الموضع الى هذا الموضع اذا تخطاه اليه فالمجاز اذا اسم للمكان الذى يجاز فيه كالمعاج والمزار وأشباههما وحقيقته هى الانتقال من مكان الى مكان فجعل ذلك لنقل الالفاظ من محل الى محل كقولنا زيد أسد فان زيد انسان والاسد هو هذا الحيوان المعروف وقد جزنا من الانسانية الى الاسدية أى عبرنا من هذه الى هذه لوصلة بينهما وتلك الوصلة هى صفة الشجاعة وقد يكون العبور لغير وصلة وذلك هو الاتساع كقولهم فى كتاب كليلة ودمنه قال الاسد وقال الثعلب فان القول لا وصلة بينه وبين هذين بحال من الاحوال وانما أجرى عليهما اتساعا محضا لا غير ولهذا مثال فى المجاز الحقيقى الذى هو المكان المجاز فيه فانه لا يخلو اما أن يجاز من سهل الى سهل أو من وعر الى وعر أو من سهل الى وعر فالجواز من سهل الى سهل أو من وعر الى وعر هو كقولنا زيد أسد فالمشابهة حاصلة فى ذات بينهما كالمشابهة الحاصلة فى المكان والجواز من سهل الى وعر كقولهم قال الاسد وقال الثعلب فكما أنه لا مشابهة بين القول وبين هذين فكذلك لا مشابهة بين السهل والوعر وسيأتى كشف الغطاء عن ذلك واشباع القول فى تحقيقه فى باب الاستعارة فليؤخذ من هناك وقد ذهب قوم الى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه وذهب آخرون الى انه كله مجاز لا حقيقة فيه وكلا هذين المذهبين فاسد عندى وسأجيب الخصم عما ادعاه فيهما فأقول محل النزاع هو أن اللغة كلها حقيقة أو أنها كلها مجاز ولا فرق عندى بين قولك انها كلها حقيقة أو أنها كلها مجاز فان كلا الطرفين عندى سواء لان منكرهما غير مسلم لهما وأنا بصدد أن أبين أن فى اللغة حقيقة ومجازا والحقيقة اللغوية هى حقيقة الالفاظ فى دلالتها على المعانى وليست بالحقيقة التى هى ذات الشئ أى نفسه وعينه فالحقيقة اللفظية اذا هى دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له فى أصل اللغة والمجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له الى لفظ آخر غيره وتقرير ذلك بأن أقوال المخلوقات كلها تفتقر الى أسماء يستدل بها عليها ليعرف كل منها باسمه من أجل التفاهم بين الناس وهذا يقع ضرورة لا بد منها فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقة له فاذا نقل الى غيره صار مجازا ومثال ذلك أنا اذا قلنا شمس أردنا به هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بازائه وكذلك اذا قلنا بحر أردنا به هذا الماء العظيم المجتمع الذى طعمه ملح وهذا الاسم له حقيقة لانه وضع بازائه فاذا نقلنا الشمس الى الوجه المليح استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة وكذلك اذا نقلنا البحر الى الرجل الجواد استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة ﴿فان قيل﴾ ان الوجه المليح يقال له شمس وهو حقيقة فيه وكذلك البحر يقال للرجل الجواد وهو حقيقة فيه (فالجواب) عن ذلك من وجهين أحدهما نظرى والآخر وضعى أما النظرى فهو أن الالفاظ انما جعلت أدلة على افهام المعانى ولو كان ما ذهبت اليه صحيحا لكان البحر يطلق على هذا الماء العظيم الملح وعلى الرجل الجواد بالاشتراك وكذلك الشمس أيضا فانها كانت تطلق على هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء وعلى الوجه المليح بالاشتراك وحينئذ فاذا ورد أحد هذين اللفظين مطلقا بغير قرينة تخصصه فلا يفهم المراد به ما هو من أحد المعنيين المشتركين المندرجين تحته ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فانا اذا قلنا شمس أو بحر وأطلقنا القول لا يفهم من ذلك وجه مليح ولا رجل جواد وانما يفهم منه ذلك الكوكب المعلوم وذلك الماء المعلوم لا غير فبطل اذا ما ذهبت اليه عا بيناه وأوضحناه ﴿فان قلت﴾ ان العرف يخالف ما ذهبت اليه فان من الالفاظ ما اذا

المطلق

أى ذممته (وقولهم هو لك حل وبل) قال الاصمعى بل مباح بلغة حمير قال وأخبرنى بذلك المعتمر بن سليمان (ما به حبض ولا نبض) النبض التحرك ولم يعرف الاصمعى الحبض (وما عنده خير ولا مير) المير مصدر مارهم يميرهم ميرا من الميرة (ماله سبد ولا لبد) السبد الشعر والوبر يعنى الابل والمعز واللبد الصوف يعنى الغنم (ما يعرف قبيلا من دبير) القبيل ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تفتله والدبير ما أدبرت به وقال الاصمعى أصله من الاقبالة والادبارة وهو شق فى الاذن ثم يفتل ذلك فاذا أقبل به فهو الاقبالة واذا أدبر به فهو الادبارة والجلدة المعلقة فى الاذن هى الاقبالة والادبارة (وهم بين حاذف وقاذف) الحاذف بالعصا والقاذف بالحجر (وهو جائع نائع) قال بعضهم نائع اتباع وقال بعضهم عطشان وأنشد

لعمر بنى شهاب ما أقاموا
صدور الخيل والاسل النياعا

يعنى الرماح العطاش (وما ذقت عنده عبكة ولا لبكة) العبكة الحبة من السويق واللبكة القطعة من الثريد (ومنه ماله ثاغية ولا راغية) الثاغية الشاة والراغية الناقة (ويقولون لا يدالس ولا يوالس) يدالس من الدلس وهو الظلمة أى لا يخادعك ويخفى عنك الشئ فكأنه يأتيك به فى الظلام ومنه يقال دلس على كذا وكذا ويوالس من الالس وهو الخيانة وقولهم (فلان يداجى فلانا) مأخوذ من الدجية وهى الظلمة أى يساتره بالعداوة ويخفيها عنه

أطلق لم يذهب الفهم منه الا الى المجاز دون الحقيقة كقولهم الغائط فان العرف خصص ذلك بقضاء الحاجة دون غيره من المطمئن من الارض (قلت) في الجواب هذا شيء ذهب اليه الفقهاء وليس الامر كما ذهبوا اليه لانه ان كان اطلاق اللفظ فيه بين عامة الناس من اسكاف وحداد ونجار وخباز ومن جرى مجراهم فهؤلاء لا يفهمون من الغائط الا قضاء الحاجة لانهم لم يعلموا أصل وضع هذه الكلمة وأنها المطمئن من الارض وأما خاصة الناس الذين يعلمون أصل الوضع فانهم لا يفهمون عند اطلاق اللفظ الا الحقيقة لا غير ألا ترى أن هذه اللفظة لما وردت في القرآن الكريم وأريد بها قضاء الحاجة قرنت بألفاظ تدل على ذلك كقوله تعالى أو جاء أحد منكم من الغائط فان قوله أو جاء أحد منكم من الغائط دليل على انه أراد قضاء الحاجة دون المطمئن من الارض فالكلام في هذا وأمثاله انما هو مع علم أصل الوضع حقيقة والنقل عنه مجازا وأما الجهال فلا اعتبار بهم ولا اعتداد بأقوالهم والعجب عندي من الفقهاء الذين دوّنوا ذلك على ما دوّنوه وذهبوا الى ما ذهبوا اليه وأما الوجه الوضعي فهو أن المرجع في هذا وما يجري مجراه الى أصل اللغة التي هي وضع الاسماء على المسميات ولم يوجد فيها أن الوجه المليح يسمى شمسا ولا أن الرجل الجواد يسمى بحرا وانما أهل الخطابة والشعر توسعوا في الاساليب المعنوية فنقلوا الحقيقة الى المجاز ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل الوضع ولهذا اختص كل منهم بشيء اخترعه في التوسعات المجازية هذا امرؤ القيس قد اخترع شيأ لم يكن قبله فمن ذلك أنه أول من عبر عن الفرس بقوله قيد الاوابد ولم يسمع ذلك لاحد من قبله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم حنين الآن حمي الوطيس وأراد بذلك شدة الحرب فان الوطيس في أصل الوضع هو التنور فنقل الى الحرب استعارة ولم يسمع هذا اللفظ على هذا الوجه من غير النبي صلى الله عليه وسلم و واضع اللغة ما ذكر شيأ من ذلك فعلمنا حينئذ أن من اللغة حقيقة بوضعه ومجازا بتوسعات أهل الخطابة والشعر وفي زماننا هذا قد يخترعون أشياء من المجاز على حكم الاستعارة لم تكن من قبل ولو كان هذا موقوفا من جهة واضع اللغة لما اخترعه أحد من بعده ولا زيد فيه ولا نقص منه ✻ وأما الفرق بينه وبين الحقيقة فهو أن الحقيقة جارية على العموم في نظائرها ألا ترى أنا اذا قلنا فلان عالم صدق على كل ذي علم بخلاف واسأل القرية لانه لا يصح الا في بعض الجمادات دون بعض اذ المراد أهل القرية لانهم ممن يصح السؤال لهم ولا يجوز أن يقال واسأل الحجر والتراب وقد يحسن أن يقال واسأل الربع والطلل (واعلم) أن كل مجاز فله حقيقة لانه لم يصح أن يطلق عليه اسم المجاز الا لنقله عن حقيقة موضوعة له اذ المجاز هو اسم للموضع الذي ينتقل فيه من مكان الى مكان فجعل ذلك لنقل الالفاظ من الحقيقة الى غيرها واذا كان كل مجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها الى حالته المجازية فكذلك ليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز فان من الاسماء ما لا مجاز له كأسماء الاعلام لانها وضعت للفرق بين الذوات لا للفرق بين الصفات وكذلك فاعلم أن المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة لانه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي الاصل أولى منه حيث هو فرع عليها وليس الامر كذلك لانه قد ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو اثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر اليه عيانا ألا ترى أن حقيقة قولنا زيد أسد هي قولنا زيد شجاع لكن فرق بين القولين في التصوير والتخييل و ثبات الغرض المقصود في نفس السامع لان قولنا زيد شجاع لا يتخيل منه السامع سوى أنه رجل جريء مقدام فاذا قلنا زيد أسد يخيل عند ذلك صورة الاسد وهيئته وما عنده من البطش والقوة

(في الكلام أرغم الله أنفه) أي ألدقه بالرغام وهو التراب ثم يقال على رغمك وعلى رغم أنفك وان رغم أنفك (ويقولون قمم الله عصبه) أي جمعه وقبضه ومنه قيل للبحر قمقام لانه مجتمع الماء (ويقال استأصل الله شأفته) الشأفة قرحة تخرج بالقدم فتكوى فتذهب يقال شأفت رجله شأفا يقول أذهبك الله كما أذهب ذاك (أسكت الله نأمته) مهموزة مخففة الميم وهي من النئيم وهو الصوت الضعيف ويقال نامته بالتشديد بغير مهموز أي ما ينم عليه من حركته (ويقال سخم الله وجهه) أي سوّده من السخام وهو سواد القدر (أباد الله خضراءهم) أي سوادهم ومعظمهم ولذلك قيل للكتيبة خضراء قال الاصمعي لا يقال أباد الله خضراءهم ولكن يقال أباد الله غضراءهم أي خيرهم وغضارتهم والغضراء طينة خضراء حرة علكة يقال أنبط بئره في غضراء (بالرفاء والبنين) يدعى بذلك للمتزوج والرفاء الالتحام والاتفاق ومنه أخذ رفاء الثوب ويقال بالرفاء من رفوت الرجل اذا سكنته قال الهذلي

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع ✻ فقلت وأنكرت الوجوه هم هم

(ويقال من اغتاب خرق) ومن استغفر رفأ وقولهم (مرحبا) أي أتيت رحبا أي سعة وأهلا أي أتيت أهلا لا غرباء فأنس ولا تستوحش وسهلا أي أتيت سهلا لا حزنا وهو في مذهب الدعاء كما تقول لقيت خيرا .

ودق القرائن وهذا الاتراع فيه وأعجب ما في العبارة المجازية أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الاحوال حتى أنها ليسمح بها البخيل ويشجع بها الجبان ويحكم بها الطائش المتسرع ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر حتى اذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال أو ترك عقوبة أو اقدام على أمر مهول وهذا هو فحوى السحر الحلال المستغني عن القاء العصا والحبال (واعلم) أنه اذا ورد عليك كلام يجوز أن يحمل معناه على طريق الحقيقة وعلى طريق المجاز باختلاف لفظه فانظر فان كان لا مزية لمعناه في حمله على طريق المجاز فلا ينبغي أن يحمل الا على طريق الحقيقة لانها هي الاصل والمجاز هو الفرع ولا يعدل عن الاصل الى الفرع لا لفائدة مثال ذلك قول البحتري

مهيب كحد السيف لو ضربت به * ذرى أجإ ظلت وأعلامها وهد

ويروى أيضا لو ضربت به طلى أجإ جمع طلية وهي العنق فهذا البيت لا يجوز حمله على المجاز لان الحقيقة أولى به ألا ترى أن الذرى جمع ذروة وهو أعلى الشيء يقال ذروة الجبل أعلاه والطلى جمع طلية وهي العنق والعنق أعلى الجسد ولا فرق بينهما في صفة العلو فلا يعدل اذا الى المجاز اذ لا مزية له على الحقيقة وهكذا كل ما يجيء من الكلام الجاري هذا المجرى فانه ان لم يكن في المجاز زيادة فائدة على الحقيقة لا يعدل اليه

﴿الفصل الثامن في الفصاحة والبلاغة﴾ اعلم ان هذا باب متعذر على الوالج ومسلك متوعر على الناهج ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكثرون القول فيه والبحث عنه ولم أجد من ذلك ما يعول عليه الا القليل وغاية ما يقال في هذا الباب ان الفصاحة هي الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي يقال أفصح الصبح اذ ظهر ثم انهم يقفون عند ذلك ولا يكشفون عن السر فيه وبهذا القول لا تتبين حقيقة الفصاحة لانه يعترض عليه بوجوه من الاعتراضات أحدها انه اذا لم يكن اللفظ ظاهرا بينا لم يكن فصيحا ثم اذا ظهر وتبين صار فصيحا الوجه الآخر انه اذا كان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين فقد صار ذلك بالنسب والاضافات الى الاشخاص فان اللفظ قد يكون ظاهرا لزيد ولا يكون ظاهرا لعمرو فهو اذا فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا وليس كذلك بل الفصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الاحوال لانه اذا تحقق حد الفصاحة وعرف ماهي لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف الوجه الآخر انه اذا جيء بلفظ قبيح ينبو عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ينبغي أن يكون فصيحا وليس كذلك لان الفصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبح فهذه الاعتراضات الثلاثة واردة على قول القائل ان اللفظ الفصيح هو الظاهر البين من غير تفصيل * ولما وقفت على أقوال الناس في هذا الباب ملكتني الحيرة فيها ولم يثبت عندي منها ما أعول عليه ولكثرة ملابستي هذا الفن ومعاركتي اياه انكشف لي السر فيه وسأوضحه في كتابي هذا وأحقق القول فيه فأقول ان الكلام الفصيح هو الظاهر البين وأعني بالظاهر البين أن تكون ألفاظه مفهومة لا يحتاج في فهمها الى استخراج من كتاب لغة وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم والنثر دائرة في كلامهم وانما كانت مألوفة الاستعمال دائرة في الكلام دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها وذلك ان أرباب النظم والنثر غربلوا اللغة باعتبار ألفاظها وسبروا وقسموا فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه ونفوا القبيح منها فلم يستعملوه فحسن الاستعمال سبب استعمالها دون غيرها واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبيانها فالفصيح اذا من الالفاظ هو الحسن (فان قيل) من أي وجه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ

حتى

﴿باب تأويل كلام من كلام الناس مستعمل﴾

(يقولون حلب فلان الدهر أشطره) أي مرت عليه صروفه من خيره وشره وأصله من أخلاف الناقة ولها شطران قادمان وآخران فكل خلفين شطر (ويقولون ما بفلان طرق) أي ما به قوة وأصل الطرق الشحم فاستعير لمكان القوة لان القوة أكثر ما تكون عنه (ويقولون) ادفعه اليه برمته وأصله ان رجلا دفع اليه رجل بعيرا بحبل في عنقه والرمة الحبل البالي فقيل ذلك لكل من دفع شيأ بجملته لم يحتبس منه شيأ يقول ادفعه اليه برمته أي كله وهذا المعنى أراد الاعشى في قوله للخمار

فقلت له هذه هاتها
بأدماء في حبل مقتادها

أي بعني هذه الخمر بناقة برمتها (ويقولون ما به قلبة) قال الفراء أصله من القلاب وهو داء يصيب الابل وزاد الاصمعي يشتكي البعير منه قلبه فيموت من يومه فقيل ذلك لكل سالم ليست به علة يقلب لها فينظر اليه قال الراجز

ولم يقلب أرضها البيطار
ولا لحبليه بها حبار

الحبار الاثر أي لم يقلب قوائمها من علة بها وقد كان بعضهم يقول في قولهم ما به قلبة أي ما به حول قال أبو محمد عبد الله هذا هو الاصل ثم استعير لكل سالم ليست به آفة (ويقولون فلان نسيج وحده) وأصله ان الثوب الرفيع النفيس لا ينسج على منواله غيره واذا لم يكن نفيسا عمل على منواله سدا

حتى استعملوه وعلموا القبيح منها حتى نفوه ولم يستعملوه (قلت في الجواب) ان هذا من الامور المحسوسة التي شاهدها من نفسها لان الالفاظ داخلة في حيز الاصوات فالذي يستلذه السمع منها ويميل اليه هو الحسن والذي يكرهه وينفر عنه هو القبيح ألا ترى أن السمع يستلذ صوت البلبل من الطير وصوت الشحرور ويميل اليهما ويكره صوت الغراب وينفر عنه وكذلك يكره نهيق الحمار ولا يجد ذلك في صهيل الفرس والالفاظ جارية هذا المجرى فانه لا خلاف في أن لفظة المزنة والديمة حسنة يستلذها السمع وأن لفظة البعاق قبيحة يكرهها السمع وهذه اللفظات الثلاث من صفة المطر وهي تدل على معنى واحد ومع هذا فانك ترى لفظتي المزنة والديمة وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال وترى لفظ البعاق وما جرى مجراه متروكا لا يستعمل وان استعمل فانما يستعمله جاهل بحقيقة الفصاحة أو من ذوقه غير ذوق سليم لا جرم أنه ذم وقدح فيه ولم يلتفت اليه وان كان عربيا محضا من الجاهلية الاقدمين فان حقيقة الشيء اذا علمت وجب الوقوف عندها ولم يعرج على ما خرج عنها واذا ثبت أن الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين وانما كان ظاهرا بينا لانه مألوف الاستعمال وانما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنه وحسنه مدرك بالسمع والذي يدرك بالسمع انما هو اللفظ لانه صوت يأتلف عن مخارج الحروف فما استلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح والحسن هو الموصوف بالفصاحة والقبيح غير موصوف بفصاحة لانه ضدها لمكان قبحه وقد مثلت ذلك في المثال المتقدم بلفظة المزنة والديمة ولفظة البعاق ولو كانت الفصاحة لامر يرجع الى المعنى لكانت هذه الالفاظ في الدلالة عليه سواء ليس منها حسن ومنها قبيح ولما لم يكن كذلك علمنا أنها تخص اللفظ دون المعنى وليس لقائل ههنا أن يقول لا لفظ الا بمعنى فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى فاني لم أفصل بينهما وانما خصصت اللفظ بصفة هي له والمعنى يجيء فيه ضمنا وتبعا ﴿الوجه الثاني﴾ ان وزن فعيل هو اسم فاعل من فعل بفتح الفاء وضم العين نحو كرم فهو كريم وشرف فهو شريف ولطف فهو لطيف وهذا مطرد في بابه وعلى هذا فان اللفظ الفصيح هو اسم فاعل من فصح فهو فصيح واللفظ هو الفاعل للابانة عن المعنى فكانت الفصاحة مختصة به (فان قيل) انك قلت ان الفصيح من الالفاظ هو الظاهر البين أي المفهوم ونرى من آيات القرآن ما لا يفهم ما تضمنه من المعنى الا باستنباط وتفسير وتلك الآيات فصيحة لا محالة وهذا بخلاف ما ذكرته ﴿قلت﴾ لان الآيات التي تستنبط وتحتاج الى تفسير ليس شيء منها الا ومفردات ألفاظه كلها ظاهرة واضحة وانما التفسير يقع في غموض المعنى من جهة التركيب لا من جهة ألفاظه المفردة لان معنى المفردة يتداخل بالتركيب ويصير له هيئة تخصه وهذا ليس قادحا في فصاحة تلك الالفاظ لانها اذا اعتبرت لفظة لفظة وجدت كلها فصيحة أي ظاهرة واضحة وأعجب ما في ذلك أن تكون الالفاظ المفردة التي تركبت منها المركبة واضحة كلها واذا نظر اليها مع التركيب احتاجت الى استنباط وتفسير وهذا لا يختص به القرآن وحده بل في الاخبار النبوية والاشعار والخطب والمكاتبات كثير من ذلك (وسأورد ههنا منه شيئا فأقول) قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صومكم يوم تصومون وفطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون وهذا الكلام مفهومة مفردات ألفاظه لان الصوم والفطر والاضحى مفهوم كله واذا سمع هذا الخبر من غير فكرة قيل علمنا أن صومنا يوم نصوم وفطرنا يوم نفطر وأضحانا يوم نضحي فالذي علمنا به مما لم نعلمه واذا أمعن الناظر نظره فيه علم أن معناه يحتاج الى استنباط والمراد به أنه اذا اجتمع الناس على أن أول شهر رمضان يوم كذا ولم يكن ذلك اليوم أوله فان الصوم صحيح وأوله

عدة أثواب فقيل ذلك لكل كريم من الرجال (ويقولون لئيم راضع) وأصله ان رجلا كان يرضع الغنم والابل ولا يحلبها لئلا يسمع صوت الحلب فقيل ذلك لكل لئيم من الرجال اذا أرادوا توكيد لؤمه والمبالغة في ذمه (ويقولون هو على يدي عدل) قال ابن الكلبي هو العدل بن جزء بن سعد العشيرة وكان ولي شرط تبع وكان تبع اذا أراد قتل رجل دفعه اليه فقال الناس وضع على يدي عدل ثم قيل ذلك لكل شيء قد يئس منه (ويقولون لمن رفع صوته قد رفع عقيرته) وأصله أن رجلا قطعت احدى رجليه فرفعها ووضعها على الاخرى وصرخ بأعلى صوته فقيل لكل رافع صوته قد رفع عقيرته (ويقولون) للمرأة السيئة الخلق غل قمل وأصله انهم كانوا يغلون الاسير وعليه الشعر فيقمل (ويقولون هو ابن عمي لحا) أي لاصق في النسب من قولهم لحت عينه اذا التصقت (ويقولون في النكرة هو ابن عم لح) ويقولون (أريته لمحا باصرا) أي نظرا بتحديق شديد ويخرج باصر مخرج لابن وتامر ورامح أي ذو تمر ولبن ورمح وبصر (ويقولون برح الخفاء) أي انكشف الامر وذهب السر وبرح في معنى زال ويقال صار في البراح وهو المتسع من الارض (ويقولون لا تبسل عليه) أي لا تقبح وأصله من أبلت الناقة اذا ورم حياؤها من شدة الضيق (ويقولون الناس أخياف) أي مختلفون مأخوذ من الخيف وهو أن تكون احدى العينين من الفرس سوداء والاخرى زرقاء

هو ذلك اليوم الذى اجتمع الناس عليه وكذا يقال فى يوم الفطر ويوم الاضحى ولهذا الخبر المشار اليه أشباه كثيرة تفهم معانى ألفاظها المفردة واذا ركبت تحتاج فى فهمها الى استنباط (وأما) ما ورد من ذلك شعرا فكقول أبى تمام

ولهت فأظلم كل شئ دونها * وأضاء منها كل شئ مظلم

فان الوله والظلمة والاضاءة كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بجملته يحتاج فى فهمه الى استنباط والمراد به أنها ولهت فأظلم ما بينى وبينها لما نالنى من الجزع لولهها كما يقول الجازع أظلمت الارض على أى انى صرت كالاعمى الذى لا يبصر وأما قوله وأضاء منها كل شئ مظلم أى وضح لى منها ما كان مستترا عنى من حبها اياى وكذلك ورد قول أبى عبادة البحترى فى منهزم

اذا سار سهبا عاد ظهرا عدوه * وكان الصديق بكرة ذلك السهب

فان السير والسهب والظهر والعدو والصديق كل ذلك مفهوم المعنى لكن البيت بمجموعه يحتاج معناه الى استنباط والمراد ان هذا المنهزم يرى ما بين يديه محبوبا اليه وما خلفه مكروها عنده لانه يطلب النجاة فيؤثر البعد عما خلفه والقرب مما أمامه فاذا قطع سهبا وخلفه وراءه صار عنده كالعدو وقبل أن يقطعه كان له صديقا أى يطلب لقاءه ويحب الدنو منه فانظر أيها المتأمل الى ما ذكرته من هذه الامثلة حتى يثبت عندك ما أردت بيانه ﴿وأما البلاغة﴾ فان أصلها فى وضع اللغة من الوصول والانتهاء يقال بلغت المكان اذا انتهيت اليه ومبلغ الشئ منتهاه وسمى الكلام بليغا من ذلك أى أنه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية والبلاغة شاملة للالفاظ والمعانى وهى أخص من الفصاحة كالانسان من الحيوان فكل انسان حيوان وليس كل حيوان انسانا وكذلك يقال كل كلام بليغ فصيح وليس كل كلام فصيح بليغا ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام وهو أنها لا تكون الا فى اللفظ والمعنى بشرط التركيب فان اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذى ينتظم كلاما ﴿مسئلة تتعلق بهذا الفصل﴾ هل أخذ علم البيان من ضروب الفصاحة والبلاغة بالاستقراء من أشعار العرب أم بالنظر وقضية العقل ﴿الجواب عن ذلك﴾ انا نقول لم يؤخذ علم البيان بالاستقراء فان العرب الذين ألفوا الشعر والخطب لا يخلو أمرهم من حالين اما أنهم ابتدعوا ما أتوا به من ضروب الفصاحة والبلاغة بالنظر وقضية العقل أو أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فان كانوا ابتدعوه عند وقوفهم على أسرار اللغة ومعرفة جيدها من رديئها وحسنها من قبيحها فكذلك هو الذى أذهب اليه وان كانوا أخذوه بالاستقراء ممن كان قبلهم فهذا يتسلسل الى أول من ابتدعه ولم يستقره فان كل لغة من اللغات لا تخلو من وصفى الفصاحة والبلاغة المختصين بالالفاظ والمعانى الا أن اللغة العربية مزية على غيرها لما فيها من التوسعات التى لا توجد فى لغة أخرى سواها ﴿مسئلة أخرى تتعلق بهذا الفصل أيضا﴾ هل علم البيان من الفصاحة والبلاغة جار مجرى علم النحو أم لا (الجواب عن ذلك) انا نقول الفرق بينهما ظاهر وذلك أن أقسام النحو أخذت من واضعها بالتقليد حتى لو عكس القضية فيها لجاز له ذلك ولما كان العقل يأباه ولا ينكره فانه لو جعل الفاعل منصوبا والمفعول مرفوعا قلد فى ذلك كما قلد فى رفع الفاعل ونصب المفعول وأما علم البيان من الفصاحة والبلاغة فليس كذلك لانه استنبط بالنظر وقضية العقل من غير واضع اللغة ولم يفتقر فيه الى التوقيف منه بل أخذت ألفاظ ومعان على هيئة مخصوصة وحكم لها العقل بمزية من الحسن لا يشاركها

فيها

(ويقولون صدقوهم القتال) وهو مأخوذ من الشئ الصدق وهو الصلب ويقال رمح صدق ورجل صدق النظر وصدق اللقاء (ويقولون طعنه فقطره) أى ألقاه على أحد قطريه والقطران الجانبان (ويقال طعنه فجدله) أى رمى به الى الارض ويقال للارض الجدالة قال ذلك أبو زيد وأنشد

قد أركب الآلة بعد الآله
وأترك العاجز بالجداله
منعفرا ليست له محاله

(ويقولون نظرة من ذى علق) أى من ذى هوى قد علق بهواه قلبه (ويقولون بكى الصبى حتى فحم) بفتح الحاء أى انقطع صوته من البكاء من قولك فلان مفحم اذا انقطع عن الخصومة وعن قول الشعر (ويقولون عمل به الفاقرة) وهى الداهية براد انها فاقرة للظهر أى كاسرة لفقاره يقال فقرتهم الفاقرة ورجل فقر وفقير أى مكسور الفقار ويقال هو من فقرت أنف البعير اذا حززته بحديدة ثم وضعت على موضع الحز الجرير وعليه وتر ملوى لتذله وتروضه (ويقولون هو ابن بجدتها) يقال عنده بجدة ذلك أى علم ذلك وهو عالم ببجدة أمرك أى بدخلته (ويقال غضب واستشاط) أى احتد وهو من شاط يشيط اذا احترق كأنه احترق أى التهب فى غضبه قال الاصمعى هو من قولهم ناقة مشياط وهى التى يطير فيها السمن سريعا (ويقولون سكران ما يبت) أى لا يقطع أمرا من قولك بتت الحبل وطلقها ثلاثا بتة قال الاصمعى

فيها غيرها فان كل عارف بأسرار الكلام من أى لغة كانت من اللغات يعلم أن اخراج المعانى فى ألفاظ حسنة رائقة يلذها السمع ولا ينبو عنها الطبع خير من اخراجها فى ألفاظ قبيحة مستكرهة ينبو عنها السمع ولو أراد واضع اللغة خلاف ذلك لما قدناه ﴿فان قيل﴾ لو أخذت أقسام النحو بالتقليد من واضعها لما أقيمت الادلة عليها وعلم بقضية النظر أن الفاعل يكون مرفوعا والمفعول منصوبا ﴿فالجواب﴾ عن ذلك أنا نقول هذه الادلة واهية لا تثبت على محك الجدل فان هؤلاء الذين تصدوا لاقامتها سمعوا عن واضع اللغة رفع الفاعل ونصب المفعول من غير دليل أبداه لهم فاستخرجوا لذلك أدلة وعللا والا فمن أين علم هؤلاء أن الحكمة التى دعت الواضع لرفع الفاعل ونصب المفعول هى التى ذكروها

﴿الفصل التاسع فى أركان الكتابة﴾ اعلم أن للكتابة شرائط وأركانا (أما) شرائطها فكثيرة وهذا التأليف موضوع لجموعها وللقسم الآخر من الكلام المنظوم وليس يلزم الكاتب أن يأتى بالجميع فى كتاب واحد بل يأتى بكل نوع من أنواعها فى موضعه الذى يليق به كما أريناه فيما يأتى من هذا التأليف (وأما) الاركان التى لا بد من ايداعها فى كل كتاب بلاغى ذى شأن فخمسة (الاول) أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة فان الكاتب من أجاد المطلع والمقطع أو يكون مبنيا على مقصد الكتاب ولهذا باب يسمى باب المبادى والافتتاحات فليحذ حذوه وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الثانى) أن يكون الدعاء المودع فى صدر الكتاب مشتقا من المعنى الذى بنى عليه الكتاب وقد نبهنا على طرف من ذلك فى باب يخصه أيضا فليطلب من هناك وهو مما يدل على حذاقة الكاتب وفطانته وكثيرا ما تجده فى مكاتباتى التى أنشأتها فانى قصدته فيها وتوخيته بخلاف غيرى من الكتاب لانه ربما يوجد فى كتابة غيرى قليلا وتجده فى كتابتى كثيرا (الركن الثالث) أن يكون خروج الكاتب من معنى الى معنى برابطة لتكون رقاب المعانى آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضبة ولذلك باب مفرد أيضا يسمى باب التخلص والاقتضاب وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الرابع) أن تكون ألفاظ الكتاب غير مخلولقة بكثرة الاستعمال ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظا غريبة فان ذلك عيب فاحش بل أريد أن تكون الالفاظ المستعملة مسبوكة سبكا غريبا يظن السامع أنها غير ما فى أيدى الناس وهى مما فى أيدى الناس وهناك معترك الفصاحة التى تظهر فيه الخواطر براعتها والاقلام شجاعتها كما قال البحترى

باللفظ يقرب فهمه فى بعده * عنا ويبعد نيله فى قربه

وهذا الموضع بعيد المنال كثير الاشكال يحتاج الى لطف ذوق وشهامة خاطر وهو شبيه بالشئ الذى يقال انه لا داخل العالم ولا خارج العالم فلفظه هو الذى يستعمل وليس بالذى يستعمل أى أن مفردات ألفاظه هى المستعملة المألوفة ولكن سبكه وتركيبه هو الغريب العجيب واذا سموت أيها الكاتب الى هذه الدرجة واستطعمت طعم هذا الكلام المشار اليه علمت حينئذ أنه كالروح الساكنة فى بدنك التى قال الله فيها قل الروح من أمر ربى وليس كل خاطر راق الى هذه الدرجة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومع هذا فلا تظن أيها الناظر فى كتابى أنى أردت بهذا القول اهمال جانب المعانى بحيث يؤتى باللفظ الموصوف بصفات الحسن والملاحة ولا يكون تحته من المعنى ما يماثله ويساويه فانه اذا كان كذلك كان كصورة حسنة بديعة فى حسنها الا أن صاحبها بليد أبله والمراد أن تكون هذه الالفاظ المشار اليها جسما لمعنى شريف على أن تحصيل المعانى الشريفة على الوجه الذى أشرت اليه أيسر

ولا يقال بيت قال الفراء هما لغتان بتت عليه القضاء وأبتته (وقولهم صدقة بتة بتلة) من بتلت أى قطعت اراد أنها بائنة من صاحبها مقطوعة لا سبيل له عليها ومنه قيل لمريم العذراء البتول أى المقطوعة عن الرجال (ويقولون كما تدين تدان) أى كما تفعل يفعل بك وكما تجازى تجازى وهو من قولهم دنته بما صنع أى جازيته (ويقولون عدا فلان طوره) أى جاوز مقداره وهو من أطوار الدار وهو ما كان ممتدا معها من الفناء ومنه يقال أيضا لا أطور به أى لا أقرب فناءه (ويقولون هو فى أمر لا ينادى وليده) نرى أصله شدة أصابتهم حتى كانت المرأة تنسى وليدها وتذهل عنه فلا تناديه ثم صار مثلا فى كل شدة وقال أبو عبيدة هو أمر عظيم لا ينادى فيه الصغار وانما ينادى فيه الجلة الكبار وقال أبو الهيثم الاعرابى الصبيان اذا رأوا شيأ عجبا تحشدوا له مثل القرد والحاوى فلا ينادون ولكن يتركون يفرحون والمعنى انهم فى أمر عجيب وقال غير هؤلاء يقال هذا فى موضع الكثرة والسعة أى متى أهوى الوليد بيده الى شئ لم يزجر عنه وذلك لكثرة الشئ عندهم ونحو منه (قولهم هم فى خير لا يطير غرابه) يقال يقع الغراب فلا ينفر لكثرة ما عندهم (ويقولون هو جلف جاف) وأصله من اجلاف الشاة وهى المسلوخة بلا رأس ولا قوائم ولا بطن (ويقولون لكل ساقطة لاقطة) أى لكل نادة من الكلام من يحملها ويشيعها (ويقولون جلف]

من تحصيل الالفاظ المشار اليها (ويحكى) عن المبرّد رحمه الله تعالى أنه قال ليس أحد فى زمانى الا وهو يسألنى عن مشكل من معانى القرآن أو مشكل من معانى الحديث النبوى أو غير ذلك من مشكلات علم العربية فأنا امام الناس فى زمانى هذا واذا عرضت لى حاجة الى بعض اخوانى وأردت أن أكتب اليه شيأ فى أمرها أحجم عن ذلك لانى أرتب المعنى فى نفسى ثم أحاول ان أصوغه بألفاظ مرضية فلا أستطيع ذلك ولقد صدق فى قوله هذا وأنصف غاية الانصاف ولقد رأيت كثيرا من الجهال الذين هم من السوقة أرباب الحرف والصنائع وما منهم الا من يقع له المعنى الشريف ويظهر من خاطره المعنى الدقيق ولكنه لا يحسن أن يزوّج بين لفظتين فالعبارة عن المعانى هى التى تخلب بها العقول وعلى هذا فالناس كلهم مشتركون فى استخراج المعانى فانه لا يمنع الجاهل الذى لا يعرف علما من العلوم أن يكون ذكيا بالفطرة واستخراج المعانى انما هو بالذكاء لا بتعلم العلم وبلغنى أن قوما ببغداد من رعاع العامة يطوفون بالليل فى شهر رمضان على الحارات وينادون بالسحور ويخرجون ذلك فى كلام موزون على هيئة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب وسمعت شيأ منه فوجدت فيه معانى حسنة مليحة ومعانى غريبة وان لم تكن الالفاظ التى صيغت به صيغة وهذا الركن أيضا يشترك فيه الكاتب والشاعر (الركن الخامس) أن لا يخلو الكتاب من معنى من معانى القرآن الكريم والاخبار النبوية فانها معدن الفصاحة والبلاغة وايراد ذلك على الوجه الذى أشرت اليه فى الفصل الذى يلى هذا الفصل من حل معانى القرآن الكريم والاخبار النبوية أحسن من ايراده على وجه التضمين وتوخى ذلك فى كل كتاب عسر جدا وأنا انفردت بذلك دون غيرى من الكتاب فانى استعملته فى كل كتاب حتى انه ليأتى فى الكتاب الواحد فى عدة مواضع منه ولقد أنشأت تقليدا لبعض الملوك مما يكتب من ديوان الخلافة ثم انى اعتبرت ما ورد فيه من معانى الآيات والاخبار النبوية فكان ما يزيد على الخمسين وهذا لا أتكلفه تكلفا وانما يأتى على حسب ما يقتضيه الموضع الذى يذكر فيه وقد عرفتك أيها الكاتب كيف تستعمل ما تستعمله من ذلك فى الفصل الذى يأتى بعد هذا الفصل فخذه من هناك وهذا الركن يختص بالكاتب دون الشاعر لان الشاعر لا يلزمه ذلك اذ الشعر أكثره مدائح وأيضا فانه لا يتمكن من صوغ معانى القرآن والاخبار فى المنظوم كما يتمكن منه فى المنثور ولربما أمكن ذلك فى الشئ اليسير فى بعض الاحيان (واذا) استكملت معرفة هذه الاركان الخمسة وأتيت بها فى كل كتاب بلاغى ذى شأن فقد استحققت حينئذ فضيلة التقدم ووجب لك أن تسمى نفسك كاتبا

﴿الفصل العاشر فى الطريق الى تعلم الكتابة﴾ هذا الفصل هو كنز الكتابة ومنبعها وما رأيت أحدا تكلم فيه بشئ ولما حببت الىّ هذه الفضيلة وبلغنى الله منها ما بلغنى وجدت الطريق ينقسم فيها الى ثلاث شعب (الاولى) أن يتصفح الكاتب كتابة المتقدمين ويطلع على أوضاعهم فى استعمال الالفاظ والمعانى ثم يحذو حذوهم وهذه أدنى الطبقات عندى (الثانية) أن يمزج كتابة المتقدمين بما يستجيده لنفسه من زيادة حسنة اما فى تحسين ألفاظ أو فى تحسين معان وهذه هى الطبقة الوسطى وهى أعلى من التى قبلها (الثالثة) أن لا يتصفح كتابة المتقدمين ولا يطلع على شئ منها بل يصرف همه الى حفظ القرآن الكريم وكثير من الاخبار النبوية وعدة من دواوين فحول الشعراء ممن غلب على شعره الاجادة فى المعانى والالفاظ ثم يأخذ فى الاقتباس من هذه الثلاثة أعنى القرآن والاخبار النبوية والاشعار فيقوم ويقعد ويخطئ ويصيب ويضل ويهتدى حتى يستقيم على طريقة يفتتحها لنفسه وأخلق بتلك الطريق

ان

بالغموس) وهى اليمين التى تغمس صاحبها فى الاثم (ويقولون خاس البيع والطعام) وأصله من خاست الجيفة فى أوّل ما تروح فكأنه كسد حتى فسد (يقولون ادهل ذلك على ما خيلت) أى على ما شبهت من قولك هو مخيل للخير أى خليق له (ويقولون تركته يتلدد) أى يتلفت يمينا وشمالا وهو من اللديدين وهما صفحتا العنق (ويقولون لحم سخاخ بالتشديد وأصله من سخ يسخ) أى صب كأنه يصب الودك صبا (ويقولون كبر حتى صار كأنه قفة) وهى الشجرة اليابسة البالية يقال قف شعرنا اذا يبس (ويقولون خبيث داعر) قال ابن الاعرابى الدعارة من العود الدعر وهو الكثير الدخان (ويقولون قال ذلك أيضا وفعله أيضا) وهو مصدر آض الى كذا أى صار اليه كأنه قال فعل ذلك عودا (وقولهم مائة ونيف) مأخوذ من أناف على الشئ اذا أطل عليه وأوفى كأنه لما زاد على المائة أشرف عليها (وقولهم بضع سنين وبضعة عشر) قال أبو عبيدة هو ما دون نصف العقد يراد ما بين الواحد الى أربعة وقال غيره هو ما بين الواحد الى تسعة (وقولهم أسد خادر) أى داخل فى الخدر يعنون بالخدر الاجمة (وقولهم نص الحديث الى فلان) أى رفعه اليه وهو من النص فى السير وهو أرفعه (وقولهم فلان يحابى فلانا) هو يفاعل من حبوته أحبوه اذا أعطيته (وقولهم فلان قدم) أى ثقيل ومنه قيل ضبع مقدم أى خاثره شبع ثقيل (وقولهم هرم

أن تكون مبتدعة غريبة لاشركة لاحد من المتقدمين فيها وهذه الطريق هي طريق الاجتهاد وصاحبها يعتد اماما في فن الكتابة كما يعتد الشافعي وأبو حنيفة ومالك رضي الله تعالى عنهم وغيرهم من الائمة المجتهدين في علم الفقه الا أنها مستوعرة جدا ولا يستطيعها الا من رزقه الله تعالى لسانا هجاما وخاطرا رقاما وقد سهلت لك صعابها وذللت محاجها وكنت أشح باظهار ذلك لما عانيت من نيله من العناء فاني سلكت اليه كل طريق حتى بلغته آخرا وانما تكون نفاسة الاشياء لعزة حصولها ومشقة وصولها

ليس حلوا وجودك الشئ تبغيه * طالبا حتى بعزطلابه

ولقد مارست الكتابة ممارسة كشفت لي عن أسرارها وأظفرتني بكنوز جواهرها اذلم يظفر غيري بأحجارها فما وجدت أعون الاشياء عليها الاحل آيات القرآن الكريم والاخبار النبوية وحل الابيات الشعرية وقد قصرت هذا الفصل على ذكر وجوهها وتقسيمها وتمهيد الطريق الى تعلمها فمن وقف على ما ذكرته علم أني لم آت شيأ فريا وان الله قد جعل تحت خواطري من بنات الافكار سريا وهذه الطريق يجهلها كثير من متعاطي هذه الصناعة والذي يعلمها منهم رضي بالحواشي والاطراف ويقنع من لا لئها بمعرفة مافي الاصداف ولو استخرج منها ما استخرجت واستنتج ما استنتجت لهام بها في كل واد وتزود الى سلوك طريقها كل زاد لو يسمعون كما سمعت كلامها * خروا لعزة ركعا وسجودا

ولا أريد بهذه الطريق أن يكون الكاتب مرتبطا في كتابته بما يستخرجه من القرآن الكريم والاخبار النبوية والشعر بحيث انه لا ينشئ كتابا الا من ذلك بل أريد أنه اذا حفظ القرآن الكريم وأكثر من حفظ الاخبار النبوية والاشعار ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على معانيه مفتش عن دفائنه وقلبه ظهرا لبطن عرف حينئذ من أين تؤكل الكتف فيما ينشئه من ذات نفسه واستعان بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية ألا ترى أن صاحب الاجتهاد من الفقهاء يفتقر الى معرفة آيات الاحكام وأخبار الاحكام والى معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة والى معرفة علم العربية والى معرفة الفرائض والحساب من المعلوم والمجهول من أجل مسائل الدور والوصايا وغيرها والى معرفة اجماع الصحابة فهذه أدوات الاجتهاد فاذا عرفها استخرج بفكره حينئذ ما يؤديه اليه اجتهاده كما فعل أبو حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم من ائمة الاجتهاد وكذلك يجري الحكم في الكتاب اذا أحب الترقي الى درجة الاجتهاد في الكتابة فانه يحتاج الى أشياء كثيرة قد ذكرتها في صدر كتابي هذا الا أن رأسها وعمودها وذروة سنامها ثلاثة أشياء هي حفظ القرآن الكريم والاكثار من حفظ الاخبار النبوية والاشعار * وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع فأول ما أبدأ به على عقب ذلك أن أقول حل الابيات الشعرية ينقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) منها وهو أدناها مرتبة أن يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة وهذا عيب فاحش ومثاله كمن أخذ عقدا قد أتقن نظمه وأحسن تأليفه فأوهاه وبدده وكان يقوم عذره في ذلك أن لو نقله عن كونه عقدا الى صورة أخرى مثله أو أحسن منه وأيضا فانه اذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال هذا شعر فلان بعينه لكون ألفاظه باقية لم يتغير منها شئ وقد سلك هذا المسلك بعض العراقيين فجاء مستهجنا لا مستحسنا كقوله في بعض أبيات الحماسة

وألد ذي حنق علي كأنما * تغلي عداوة صدره في مرجل
أرجيته عني فأبصر قصده * وكويته فوق النواظر من عل

ماج) أي يمج ريقه ولا يستطيع ان يحبسه من الكبر (وقولهم أنتم لنا خول) هو جمع خايل وهو الراعي يقال فلان يخول على أهله أي يرعى عليهم هذا قول الفراء وقال غيره هو من خولك الله شيئا أي ملكك اياه (وقولهم ماله دار ولا عقار) العقار النخل ... بيت كثير العقار أي كثير المتاع قال الاصمعي عقر الدار أصلها ومنه قيل العقار والعقار المنزل والارض والضياع قال أبو زيد (الاثاث) المال أجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحد أثاثة (وقولهم اسود مثل حلك الغراب) قال الاصمعي هو سواده وقال غيره هو اسود مثل حنك الغراب وقال يعني منقاره (وقولهم ليت شعري) هو من شعرت شعرة قال سيبويه أصله فعلة مثل الدربة والفطنة فحذفت الهاء والشاعر مأخوذ منه (وقولهم لا جرم) قال الفراء هي بمنزلة لابد ولا محالة ثم كثرت في الكلام حتى صارت كقولك حقا وأصله من جرمت الشئ أي كسبت قال الشاعر

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

أي كسبت لانفسها الغضب قال وليس قول من قال حق لفزارة الغضب بشئ (وقولهم ما رزأته زبالا) الزبال ما تحمله النملة بفيها أو ما رزأته فتيلا وهو ما يكون في شق النواة يراد ما رزأته شيأ (وقولهم شوربه) اذا أخجله وهو من الشوار والشوار الفرج كان رجلا أبدى عورة رجل فاستحيا من ذلك فقيل ذلك لكل من فعل بأحد فعلا يستحيي منه

(فقال) فى نثر هذين البيتين فكم اقى الذى حنق كأنه ينظر الى الكواكب من علو وتغلى عداوة صدره فى مرجل فكواه فوق ناظريه وأكبه لفمه ويديه فلم يزد هذا الناثر على أن أزال رونق الوزن وطلاوة النظم لاغير ومن هذا القسم ضرب محمود لاعيب فيه وهو أن يكون البيت من الشعر قد تضمن شيأ لايمكن تغيير لفظه فحينئذ يعذر ناثره اذ أتى بذلك اللفظ ومثاله قول الشاعر فى أول الحماسة

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى ❊ بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

وقد نثرت ذلك فقلت لست ممن تستبيح ابلى بنو اللقيطة ولا الذى اذا همّ بأمر كانت الآمال اليه وسيطة ولكنى أجل الحمل وأقرب الامل وأقول سبق السيف العذل فذكرى اللقيطة ههنا لابد منه على حسب ماذكره الشاعر وكذلك الامثال السائرة فانه لابد من ذكرها على ماجاءت فى الشعر (وأما القسم الثانى) وهو وسط بين الاول والثالث فى المرتبة وهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ويعزم عن البعض بألفاظ أخر وهنالك تظهر الصنعة فى المماثلة والمشابهة ومؤاخاة الالفاظ الباقية بالالفاظ المرتجلة فانه اذا أخذ لفظا لشاعر مجيد قد نقحه وصححه وقرنه بالالفاظ كان كمن جمع بين لؤلؤة وحصاة ولاخفاء بما فى ذلك من الانتصاب للقدح والاستهداف للطعن والطريق المسلوك الى هذا القسم أن تأخذ بعض بيت من الابيات الشعرية هو أحسن مافيه ثم تماثله وسأورد ههنا مثالا واحدا ليكون قدوة للمتعلم (فأقول) قد ورد هذا البيت من شعر أبى تمام فى وصف قصيدة له

وحذاء تملأ كل أذن حكمة ❊ وبلاغة وتدر كل وريد

فقوله تملأ كل أذن حكمة من الكلام الحسن وهو أحسن مافى البيت فاذا أردت أن تنثر هذا المعنى فلابد من استعمال لفظه بعينه لانه فى الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة فعليك حينئذ أن تؤاخيه بمثله وهذا عسر جدا وهو عندى أصعب منالا من نثر الشعر بغير لفظه لانه مسلك مضيق لما فيه من التعرض لمماثلة ماهو فى غاية الحسن والجودة وأما نثر الشعر بغير لفظه فذلك يتصرف فيه ناثره على حسب مايراه ولا يكون مقيدا فيه بمثال يضطر الى مؤاخاته وقد نثرت هذه الكلمات المشار اليها وأتيت بها فى جملة كتاب فقلت وكلامى قد عرف بين الناس واشتهر وفاق مسير الشمس والقمر واذا عرف الكلام صارت المعرفة له علامة وأمن من سرقته ذو سرقة اذا دلت عليه الوسامة ومن خصائص صفاته أن يملأ كل أذن حكمة ويجعل فصاحة كل لسان عجمة واذا جرت نفثاته فى الافهام قالت أهذه بنت فكرة أم بنت كرمة فانظر كيف فعلت فى هذا الموضع فانى لما أخذت تلك الكلمات من البيت الشعرى الترمت بأن أؤاخيها بما هو مثلها أو أحسن منها فجئت بهذا الفصل كما تراه وكذلك ينبغى أن يفعل فيما هذا سبيله (وأما القسم الثالث) وهو أعلى من القسمين الاولين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بألفاظ غير ألفاظه وثم يتبين حذق الصائغ فى صياغته ويعلم مقدار تصرفه فى صناعته فان استطاع الزيادة على المعنى فتلك الدرجة العالية والا أحسن التصرف وأتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الاول (واعلم) أن من أبيات الشعر مايتسع المجال لناثره فيورده بضروب من العبارات وذلك عندى شبيه بالمسائل السيالة فى الحساب التى يجاب عنها بعدة من الاجوبة ومن الابيات مايضيق فيه المجال حتى يكاد الماهر فى هذه الصناعة أن لايخرج عن ذلك اللفظ وانما يكون هذا لعدم النظير فأما مايتسع المجال فى نثره فكقول أبى الطيب المتنبى

لاتعذل المشتاق فى أشواقه ❊ حتى يكون حشاك فى أحشائه

وقد

ومن ذلك يقال أبدى الله شوارك ثم سمى متاع البيت شوارا منه (وقولهم بنى فلان على أهله) أصله انه كان من يريد الدخول منهم على أهله ضرب عليها قبة فقيل لكل داخل بأهله بان (وقولهم كنا فى املاك فلان) هو من الملك أى املكناه المرأة وأملكناه مثل ملكناه (وقولهم بينناو بينه مسافة) أصله من السوف وهو الشم وكان الدليل ربما أخذ التراب فشمه ليعلم أعلى قصد هو أم جور ثم كثر ذلك حتى سموا البعد مسافة قال رؤبة ❊ اذا الدليل استاف اخلاق الطرق ❊ أى شمها (وقولهم للدية عقل) والاصل ان الابل كانت تجمع وتعقل بفناء ولى المقتول فسميت الدية عقلا وان كانت دراهم أو دنانير (وقولهم للاخيذ اسير) والاصل انهم كانوا اذا أخذوا رجلا شدوه بالقد فلزم هذا الاسم كل مأخوذ شد به أو لم يشد يقال ما أحسن ما أسر قتبه أى ما أحسن ماشده بالقد ومنه قول الله عز وجل وشددنا أسرهم (وقولهم للنساء ظعائن) وأصل الظعائن الهوادج وكن يكن فيها فقيل للمرأة ظعينة قال أبو زيد ولا يقال ظعن ولاحمول الا للابل التى عليها الهوادج كان فيها نساء أو لم يكن (وقولهم للمزادة راوية) والراوية البعير الذى يستسقى عليه الماء فسمى الوعاء راوية باسم البعير الذى يحمله ومثله الحفض متاع البيت فسمى البعير الذى يحمله حفضا (وقولهم لغسل الوجه واليد وضوء) وأصله من الوضاءة وهى الحسن

وقدنثرت هــذا المعنى فمن ذلك قولى لاتمزل المحب فيمايهواه حتى تطوى القلب على ماطواه ومن ذلك وجه آخر وهو اذا اختلفت العينان فى النظر فالعذل ضرب من الهذر ومن هذا الباب قول أبى الطيب المتنبى أيضا

ان القتيل مضرجا بدموعه ✱ مثل القتيل مضرجا بدمائه

أخذت هــذا المعنى فنثرته فمن ذلك قولى القتيل بسيف العيون كالقتيل بسيف المنون غيرأن ذلك لايجرد من غمده ولايقاد صاحبه بمداه فزدت على المعنى الذى تضمنه البيت وغيرت اللفظ ومن ذلك وجه آخر وهو دمع المحب ودم القتيل متفقان فى التشبيه والتمثيل ولاتجد بينهما بونا الاأنهما يختلفان لونا وهــذا أحسن من الاول وأما مايضيق فيه المجال فيعسر على الناثر تبديل ألفاظه فكقول أبى تمام

تردى ثياب الموت حمرافما أتى ✱ لها الليل الاوهى من سندس خضر

وقول أبى الطيب المتنبى

وكان بهامثل الجنون فأصبحت ✱ ومن جثث القتلى عليها تمائم

وأمثال هــذا الاتأتى الاقليلا وسببه أن المعنى ينحصر فى مقصد من المقاصد حتى لايكاد يأتى الاقذا كهذين البيتين الاترى أن أباتمام قصد المؤاخاة فى ذكر لونى الثياب من الاحمر والاخضر وجاء ذلك موافقا على المعنى الذى أراده من لون ثياب القتلى وثياب الجنة فاذا أفلت نظم هذا البيت وأريد صوغه بغير لفظه لايمكن ذلك وبيت أبى الطيب جار هذا المجرى فانه بناء على واقعة من الوقائع وذلك أن حصنا من حصون سيف الدولة قصده الروم وانتزعوه وأخربوه فقصده سيف الدولة اليه واسترجعه وجدد بناءه وهزم الروم ونصب من جثث القتلى على السور فنظم المتنبى فى هذا قصيدا أوله ✱ على قدر أهل العزم تأتى العزائم ✱ فلما انتهى الى ذكر الحصن جاء بهــذا البيت فى جملة أبيات فشرح صورة الحال فى ازعاج الحصن بالقتال وتعليق القتلى عليه وأبرز ذلك فى معنى التمثيل بالجنون والتمائم وهذا لايمكن تبديل لفظه وهو وأمثاله مما يجب على الناثر أن يحسن الصنعة فى فك نظامه لانه يتصدى لنثره بألفاظه فان كان عنده قوة تصرف وبسطة عبارة فانه يأتى به حسنا رائقا وقد نثرت هذين البيتين أما بيت أبى تمام فانى قلت فى نثره لم تكسه المنايا نسج شعارها حتى كسته الجنة نسج شعارها فبدل أحمر ثوبه بأخضره وكأس حمامه بكأس كوثره وهذا من الحسن على غاية يكون كمحسودها من جملة شهودها وأما بيت أبى الطيب المتنبى فانى قلت فى نثره سرى الى حصن كذا مستعيدا منه سبية نزعها العدو اختلاسا وأخذها مخادعة لا افتراسا فمازلها حتى استقادها ولا زلها حتى استعادها وكأنما كان به جنون فبعث لها من عزائمه عزائم وعلق عليها من رؤس القتلى تمائم وفى هــذا من الحسن مالاخفاء به فمن شاء أن ينثر شعرا فلينثره كذا والا فليترك وقد جئت بهذا المعنى على وجه آخر وأبرزته فى صورة أخرى وذلك انى أضفت الى هذا البيت الذى قبله وهو

بناها فأعلى والقنا تقرع القنا ✱ وموج المنايا حولها متلاطم

ولما نثرت هــذين البيتين قلت فى نثرهما ماأذكره وهو بناها والاسنة فى بنائها متخاصمة وأمواج المنايا فوق أيدى البانين متلاطمة وماأحاطت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها ركض الجياد وأصيبت بمثل الجنون فعلقت عليها تمائم من الرؤس والاجساد ولاشك أن الحرب تفرد عن عزجانبه وتقول الا هكذا فليكسب المجد كاسبه وهــذا أحسن من الاول

والنظافة كأن الغاسل وجهه وضأه أى حسنه ونظفه (وقولهم للتمسح بالحجارة استنجا) وأصله من النجوة وهى الارتفاع من الارض وكان الرجل اذا أراد قضاء حاجته تستر بنجوة فقالوا ذهب ينجو كما قالوا ذهب يتغوط ثم اشتقوا منه فقالوا قد استنجى اذا مسح موضع النجو أو غسله (والتغوط) من الغائط وهو البطن الواسع من الارض المطمئن وكان الرجل اذا أراد قضاء حاجته أتى غائطا من الارض فقيل لكل من أحدث قد تغوط (والعذرة) فناء الدار وكانوا يلقون الحدث بأفنية الدور فسمى الحدث عذرة وفى الحديث اليهود أنتن خلق الله عذرة أى فناء (والحش) الكنيف وأصله البستان وكانوا يقضون حوائجهم فى البساتين فسمى الكنيف حشا (والكنيف) أصله الساتر ومنه قيل للترس كنيف أى ساتر وكانوا قبل أن يحدثوا الكنف يقضون حوائجهم فى البراحات والصحارى فلما حفروا فى الارض آبارا تستر الحدث سميت كنفا (والتيمم بالصعيد) أصله التعمد يقال تيممتك وتأممتك قال الله عز وجل فتيمموا صعيدا طيبا أى تعمدوا ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب (وقولهم فلان ضخم الدسيعة) وهو من دسع البعير بجرته اذا دفع بها والمعنى انه كثير العطية (وقولهم حامى الحقيقة) أى يحمى مايحق عليه وحامى الذمار أى اذا ذمر

وأتم معنى * وقد تصرفت فى هذا الموضع بزيادة فى معناه ونثرته على أسلوب أحسن من هذا الاسلوب فقلت بناها ودون ذلك البناء شوك الاسل وطوفان المنايا الذى لا يقال ساوى منه الى جبل ولم يكن بناؤها الا بعد أن هدمت رؤس عن اعناق وكأنما أصيبت بجنون فعلقت القتلى عليها مكان التمائم أو شينت بعطل فعلقت مكان الاطواق وهذا الفصل فيه زيادة على الفصل الذى قبله * واذا انتهى بنا الكلام الى ههنا فى التنبيه على نثر الشعر وكيفية نثره وذكر ما يسهل منه وما يعسر فلنتبع ذلك بقول كلى فى هذا الباب فنقول من أحب أن يكون كاتبا أو كان عنده طبع مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك ثم يأخذ فى نثر الشعر من محفوظاته وطريقه أن يبتدئ فيأخذ قصيدا من القصائد فينثره بيتا بيتا على التوالى ولا يستنكف فى الابتداء أن ينثر الشعر بألفاظه أو بأكثرها فانه لا يستطيع الا ذلك واذا مرنت نفسه وتدرب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضروبا من العبارات المختلفة وحينئذ يحصل لخاطره بمباشرة المعانى لقاح فيستنتج منها معانى غير تلك المعانى وسبيله أن يكثر الادمان ليلا ونهارا ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى يصير له ملكة فاذا كتب كتابا أو خطب خطبة تدفقت المعانى فى أثناء كلامه وجاءت ألفاظه معسولة لا مغسولة وكان عليها حدة حتى تكاد ترقص رقصا وهذا شئ خبرته بالتجربة ولا ينبئك مثل خبير ﴿فان قيل﴾ الكلام قسمان منظوم ومنثور فلم حضضت على حفظ المنظوم وجعلته مادة للمنثور وهلا كان الامر بالعكس (قلت) فى الجواب ان الاشعار أكثر والمعانى فيها أغزر وسبب ذلك أن العرب الذين هم أصل الفصاحة كل جل كلامهم شعر ولا نجد الكلام المنثور فى كلامهم الا يسيرا ولو كثر فانه لم ينقل عنهم بل المنقول عنهم هو الشعر فأودعوا أشعارهم كل المعانى كما قال الله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ثم جاء الطراز الاول من المخضرمين فلم يكن لهم الا الشعر ثم استمرت الحال على ذلك فكان الشعر هو الاكثر والكلام المنثور بالنسبة اليه قطرة من بحر ولهذا صارت المعانى كلها مودعة فى الاشعار وحيث كانت بهذه الصورة فكان حثى على حفظها واستعمال معانيها فى الخطب والمكاتبات لهذا السبب وقد نثرت فى هذا الموضع أبياتا تكون قدوة للمتعلم * فمن ذلك قولى فى فصل من فصول الكلام يتضمن ذكر السيادة وهو الشرف من شرف بنفسه لا بما دفن مع أبيه فى رمسه فان تلك مكارم أتت فتحمل الزمان بأتاها ثم ماتت أربابها فدفنت مع موتاها ولو ساد الناس بآبائهم لكانت السيادة للطينة الاولى ولقد تخلق الابناء من الآباء مجهولا وهذا المعنى مأخوذ من قول الشاعر

وما الفخر بالعظم الرميم وانما * فخار الذى يبغى الفخار بنفسه

غير أن الفصل الذى ذكرته يتضمن من المعنى زيادة على ما تضمنه هذا البيت (ومن ذلك) ما كتبته فى فصل من كتاب يتضمن معاتبة أخ لاخوته وتنصله اليهم فقلت جرحوا قلبى وجبهم يذهب بألم الجراحة وطرفوا عينى وهم يزيدون فى نظرها ملاحة واذا صدرت الاساءة عن الاحباب لم يكن وقرها وقرا واصبحت وهى منسية اذا تعقبت الاساءة بالذكرى وما منهم الا من سيط دمى بدمه ولحمى بلحمه ولولا أن الاسماء معارف الاشخاص لكان اسمى واردا على اسمه وكيف أخشن عليهم وقد جبلنى الله لهم على اللين أم كيف أذود النفس عنهم وهى مشتقة منهم وآدم بين الماء والطين ومتى أؤمل من شجرتى أغصانا كهذه الاغصان وقد أصيبت جرثومتها بالجداد ولهذا قيل ان الاخوة يتعذر الاعتياض عنهم ولا يتعذر الاعتياض

وأغضب حى غضبى (ومن المنسوب عذب ملاحى) بتخفيف اللام مأخوذ من الملحة وهى البياض (عسل ماذى) أى أبيض والدرع ماذية أى بيضاء (زيت ركابى) لانه كان يحمل على الابل من الشام وهى الركاب وواحد الركاب راحلة (القطا كدرى) نسب الى معظم القطا وهى كدر وكذلك (القمرى) منسوب الى طير قمر (والدبسى) منسوب الى طير دبس (مطر الخريف وسمى) لانه يسم الارض بالنبات نسب الى الوسم (الحداد الهالكى) لان أول من عمل الحديد الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ولذلك قيل لبنى أسد القيون وذلك لان الحداد ينهالك على الحديد اذا جلاه ومنه بيت الفاجرة هلوك كأنها تتثنى فى مشيها (الغراب ابن دأية) لانه يقع على دأية البعير الدبر فينقرها والدأية من ظهر البعير الموضع الذى يقع عليه ظلفة الرحل فتعقره

﴿باب أصول أسماء الناس المسمين بأسماء النبات﴾

(ثمامة) واحدة الثمام وهو شجر ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص وربما حشى به خصاص البيوت قال عبيد بن الابرص

عيوا بامرهم كما
عيت ببيضتها الحمامه
جعلوا لها عودين من
نشم وآخر من ثمامه

والحمامة ههنا القمرية (سمرة) واحدة السمر وهو شجر أم غيلان (طلحة) واحدة الطلح وهو شجر عظام من العضاه (سبابه) واحدة السباب وهو البلح (عراده)

عن الاولاد آخر هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومي وهو قوله

تعزيت عمن أثمرتك حياته * ووشك التعزي عن ثمارك أجدر
تعذر أن نعتاض عن أمهاتنا * وأبنائنا والنسل لا يتعذر

غير أن ابن الرومي ذكر ذلك في تعزية انسان بابنه فتصرفت أنا في هذا المعنى ونقلته الى هذا الفصل في تضمنه معاتبة أخ لاخوته (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن ذم المشيب فقلت والعيش كل العيش في سن الحداثة وما يأتي بعدها فلا يدعي الا بسن الفتاثة وليس بعد الاربعين من مصيف للذة ولا مربع وهي نهاية القوة الصالحة من الطبائع الاربع فاذا تجاوزها المرء أشفت ثمار عمره على نقصها وصار تزيادته كزيادة التصغير التي هي زيادة تدل على نقصها وأصبح بعد ذلك يدعي أبا بعد ان كان يدعي ابنا وتقمص ثوبا من المشيب لا يجر ثوبه خيلاء ولا يزهى بحسنا وان قيل ان أحسن الثياب شعار البياض قيل الا هذا الثوب فانه مستثنى ويكفيه من الفظاعة أن ينظر الاحباب اليه نظر القتال ولولا أن الجود بعده لما استعيرله لفظة الاشتمال ومن الناس من يدلس لونه بصبغة الخضاب وليس ذلك الاحدادا على فقد الشباب وهو في فعله هذا كاذب ولا يخفى أنس الصادق من وحشة الكذاب وخداع النفس ان تسلو عن بزه المعطلة وقصره المشيد ويحسن لها الخروج في ثوب مرقع وهي تراه بعين الثوب الجديد وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي وهو قوله

رأيت خضاب المرء بعد مشيبه * حدادا على شرخ الشبيبة يلبس

غير أن في هذا الفصل معاني كثيرة لطيفة لا توجد في كلام آخر (ومن ذلك) قولي في وصف الجود والسخاء وهذا الفصل يشتمل على معان متعددة فمنها قولي في العطاء وهو شأنه تتنى أسباب الغنى برؤيته حتى كادت تنطق واخضرت أكناف منزلي بعطائه حتى كادت تورق ومن فضيلة بره أنه لا يأتي به على أعين الناس واذا غرسه عند انسان رب ذلك الغراس فلا يستكثر ما جادت به سحاب يده ولا يتبع عطاء يومه عن عطاء غده وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي نواس

كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا * لم يهدموا لبنائهم أسسا

ومن هذا المعنى أيضا قولي وهو أخذ المكارم من سمائها وأرضها وقام بنقلها في الناس وفرضها وتحلى ببعض أسماء الشهور حتى أصبح بعضها ساعدا لبعضها فالمحرم للعائذ بحرمه وصفر للطامع في سمادة قدمه وربيع لرائد نواله ورجب لاقوال عذاله وهذا مأخوذ من قول الفرزدق

يداك بدربيع الناس فيهما * وفي الاخرى الشهور من الحرم

وقد قال الشعراء في ذلك كثيرا الا أني أنا تصرفت في هذا المعنى تصرفا لم يتصرف فيه أحد غيري (ومن هذا المعنى) ما ذكرته في فصل من كتاب وهو ولقد سوى بين أعدائه في البغض وبين أمواله فهذه مغنية بوقع نصاله وهذه مغنية بصنائع نواله ولو أحب المال لكان أحبه اليه ما يبذله كما أن أحب الناس اليه من يسأله ومن أحسن ما سنه من الكرم أنه جاد حتى بذل رغب العارفين زهدا ورأى الحمد عوضا من الصنيعة فأبى أن يعتاض من صنائعه حمدا وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبي نواس وهو

ليت أعدائي كانوا * لابي اسحق مالا

(ومن ذلك) قولي في وصف القتال وموطن الحرب ووصف الشجاعة والانجاد وما يتعلق بذلك ويجري معه وهذا الفصل يشتمل على معاني مختلفة (فمن ذلك) ما ذكرته في وصف العسكر وهو فسرنا في غمامة من الكتائب تظلها غمامة من الطيور الاشائب فهذه يضمها بحر من حديد

واحدة المراد وهو شجر (مرارة) واحدة المرار وهو نبت اذا أكلته الابل قلصت عنه مشافرها ومنه قيل بنو آكل المرار (شقرة) واحدة الشقر وهو شقائق النعمان قال الشاعر

* وعلى الخيل دماء كالشقر *

(علقمة) واحدة العلقم وهو الحنظل (حمزة) بقلة حدثني زيد ابن اخزم قال حدثنا أبو داود عن شعبة عن جابر عن أبي نصر عن أنس ابن مالك أنه قال كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقلة كنت أجتنيها وكان يكنى أبا حمزة وقد ذكرت هذا في كتاب غريب الحديث بأكثر من هذا البيان (قتادة) واحدة القتاد وهو شوك وبه سمي الرجل (سلمة) واحدة السلم وهي شجرة وبها سمي الرجل والسلم من العضاه وسلمة اذا كسرت اللام فهو حجر واحد السلام (ارطاة) واحدة الارطى وهو شجر

﴿المسمون باسماء الطير﴾

(هوذة) القطاة وبها سمي الرجل (القطامي) بفتح القاف وضمها الصقر وهو مأخوذ من القطم وهو الشهوان اللحم وغيره يقال فحل قطم اذا كان يشتهي الضراب (اليعقوب) ذكر الحجل واسم الرجل أعجمي وافق هذا الاسم من العربي الا أنه لا ينصرف وما كان على هذا المثال من العربي فانه ينصرف نحو يربوع ويعسوب لانه وان كان مزيدا في أوله فانه لا يضارع الفعل وهو غير مختلف في صرفه اذا كان معرفة (الهيثم) فرخ العقاب (سعدانة) الحمامة (عكرمة) الحمامة

وهذه يضمها رمن صعيد وما مرت ببلد الا أزالت أرضه من سمائه وألبست نهاره ثوب ظلمائه وبدلت أحواره بعبيده وحرائره باماته وكذلك فعلت بمدينة فلانة وقد ضرب الامن عليها أسوارا وبعد عهدها بالنوائب فلم تدخل لها دارا فهي تخبر عن بلهنية الخفض ولم ترع عنه بالانتقال ولا رأت السيف وقد ألقى لونه فى ذوائب الاطفال فما شعر أهلها الا وقد رجها الجيش بكاهله ورماها بوابله قبل طله وطل السحاب قبل وابله وبرزت خيل القوم ولها زى فرسانها وهى مستبقة الى طرادها كاستباقها الى ميدانها الامن تتأود القناة من يده بين لهذمين وتستقل السرج منه ومن جواده بين مطهمين فجرت المناور الى المناور وتلاقت الرياح بالاعاصير وكان الطعن بينهم عناقا وللميت وفاقا وسبق ألم الموت ألم الجراح ونفذت غير مختضبة لسرعتها أسنة الرماح وحصل القوم القبضة وذموا عقبى النهضة وجىء بالاسرى مقرنين فى الاصفاد موقنين أن رؤسهم عوارى على تلك الاجساد ولو استطاع رأس أحدهم أن ينكر عنقه لانكره ولا يود وهو المعظم أن يقال ما أعظمه بل يقال ما أحقره وتصرفت أيدى المسلمين فى القتل والنهاب وكان للسيف رقاب وللسبى رقاب فى هذا الفصل معان كثيرة مستحسنة ومنها ما أخذ من شعر المتنبي كقوله

سحاب من العقبان ترجف تحتها ٭ سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه

وكقوله

واستعار الحديد لونا وألقى ٭ لونه فى ذوائب الاطفال

(ومن ذلك) ما ذكرته فى وصف المسلوبين فى فصل من جملة كتاب يتضمن البشرى بهزيمة الكفار وهو فسلبوا وعاضتهم الدماء عن اللباس فهم فى صورة عار وزيهم زى كاس وما أسرع ما خيط لهم لباسها الاحمر غير أنه لم يجب عليهم ولم يزر وما لبسوه حتى لبس الاسلام شعار النصر الباقى على الدهر وهو شعار نسجه السنان الخارق لا الصنع الحاذق ولم يغب عن لابسه الا ريثما غابت البيض فى الطلى والهام وألف الطعن بين ألف الخط واللام وهذه معان حسنة رائقة ومنها معنى واحد مأخوذ من شعر البحترى وهو

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم ٭ محمرة فكأنهم لم يسلبوا

(ومن ذلك) ما ذكرته فى صدر كتاب يتضمن فتحا وهو أصدر هذا الكتاب والفتح غض طرى لم تنصل حمرة يومه ولا أغمدت سيوف قومه فسطوره مترّبة بثار عجاجه ممتاثة بخط ضربه واعجام زجاجه وهذا المعنى ينظر الى قول أبى تمام

كتبت أوجههم مشقا ونمنمة ٭ ضربا وطعنا يقد الهام والصلفا

كتابة ما تنى مقروءة أبدا ٭ وما خططت بها لاما ولا ألفا

الا أن أبا تمام مثل آثار الضرب والطعن فى الوجوه بالكتابة وأنا مثلت الكتابة واعجامه بالضرب والطعن فكأنى عكست المعنى الذى ذكره أبو تمام وهذا مقصد فى حل الابيات الشعرية حسن فان استخراج المعنى من عكسه أدق من استخراجه من نفسه وقد نبهت على ذلك فى مواضع أخر من هذا الباب (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب يتضمن فتحا من فتوح الكفار وهو وأقبلت احزاب الكفر وهى معتصمة بصليبها ورفعته على أعواد عالية كهيئة حطيبها ولم تعلم أن الله كتب عليه الهوان بعد تلك الكرامة وأنه ذو شعب أربع والتربيع نحس فى حكم الضمامة وكيف ترجو بكفرها ظهورا ولها منه معنى الاحتفاء وللاسلام معنى السلامة ولما التقى الجمعان اصطفقت يمين وشمال وزحفت جبال الى جبال وكثرت النفوس على المنايا

حتى

﴿المسمون بأسماء السباع﴾

(عنبس) الاسد وهو فنعل من العبوس وبه سمى الرجل (أوس) الذئب وبه سمى الرجل ويقال بل بالعطية سمى يقال أست الرجل أأوسه أسا اذا أعطيته قال الشاعر

فلاحشأنك مشقصا ٭ أوسا أويس من الهباله

(حيدرة) الاسد وبه سمى الرجل ومنه قول على عليه السلام

٭ أنا الذى سمتنى أمى حيدره ٭

(فرافصة) بضم الفاء الاسد سمى بذلك لشدته (ذؤالة) الذئب وبه سمى الرجل (أسامة) الاسد وبه سمى الرجل (ثعلبة) أنثى الثعالب (هيصم) الاسد (هرثمة) الاسد (الهرماس) الاسد (الضيغم) الاسد أخذ من الضغم وهو العض (الدلهمس) الاسد (الضرغامة) الاسد (نهشل) الذئب من النهش (كلثوم) الفيل

﴿المسمون بأسماء الهوام﴾

(الحنش) الحية وبه سمى الرجل حنشا والحنش أيضا كل شئ يصاد من الطير والهوام يقال حنشت الطير اذا صدته (شبث) دابة تكون فى الرمل وجمعها شبثان سميت بذلك لتشبثها بما دبت عليه قال الشاعر

٭ مدراج شبثان لهن هميم ٭

(جندب) الجرادة وبه سمى الرجل (الذر) جمع ذرة وهى أصغر النمل قال الله عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره أى وزن ذرة وبه سمى الرجل ذرا وكنى أبا ذر (العلس) القراد وبه سمى المسيب ابن علس الشاعر (المازن) بيض النمل ومنه بنو مازن (الاراقم)

حتى كادت لاتفى بالآجال وأقدمت الخيل اقدام فرسانها وأطلم النقع فلا تبصر الابآذانها ونالت الصور ثارها من ركوب الرماح واشتكت الاسنة فلا طريق بينها لمهب الرياح واستؤصلت شجرة الكافرين بالقطع لا بالجداد ومال حد السيف دون حديد الاصفاد ونقلوا الى جهنم يصلونها وبئس المهاد وانقلب المسلمون وقدماؤا الاغماد نصرا والصحائف أجرا والايدى وقرا والقلوب جذلا والالسنة شكرا وكان ذلك اليوم فى الايام علما وفى الاقسام قسما ولم يره الزمان منسوبا اليه الا راجع شبابا بعد أن ناهز هرما فى هذا الفصل شئ من معانى الشعر وذلك من قول أبى الطيب المتنبى

اتاهم بأوسع من أرضهم * طوال السبيب قصار العسب
تغيب الشواهق فى جيشه * وتبدوا صغارا اذا لم تغب
ولا تعبر الريح فى جوه * اذا لم تخط القنا أو تثب

(ومن قوله أيضا)

فى جحفل ستر العيون غباره * فكأنما يبصرن بالآذان

(ومن ذلك) ماذكرته فى الانجاد واجابة الصريخ وهو اذا استصرخ أصرخ بعزم غذته صحبة الجيش عن لذة العيش فهو يستعذب سر الثغور على برد الثغور ويلهو بالبيض الذكور عن بيض الخدور ولا طيب عنده الاريح العجاج ولا عناق الا لأطراف الزجاج ولا أرب له فى الرقاد الا على صهوات الجياد فعسكر قلبه أمضى فى الوغى من عسكر ونجدة بأسه تأبى لقاء الاقران فى درع أو مغفر وهذه المعانى مأخوذة من أبيات الحماسة ومن شعر مسلم بن الوليد (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف المخبر دون المنظر وهو اذا سموت لامر فكن واحدا فى مكانك ولا ترض بكثرة الشركاء فيقال فلان من أقرانك ألم تر الى الحرباء الذى هو دويبة حقيرة الشان ضعيفة الاركان فانه ارتفع فى هواء عن الارض وأنسها الى أسماء وشمسها وقال لا أحب من تفقد الايام من حسنه ولا من أحد بسمة حلمه ولا خدنه والهمم ليست منوطة بجهارة المناظر والتعويل على الخبر المستتر فى الافئدة الباطنة لا على الظواهر ومن ههنا قيل ان وضاءة النفوس أنضر من وضاءة الاجساد ورقم الشيم أحسن من رقم الابراد وآخر هذا الفصل ينظر الى قول سحيم عبد بنى الحسحاس

ان كنت عبدا فنفسى حرة كرما * أو أسود اللون انى أبيض الخلق

لا أن الفصل يتضمن معنى غريبا لم يسبقنى اليه أحد (ومن ذلك) ماذكرته فى الحسد فى فصل من كتاب وهو حاسد سيدنا ينظر الى زهرة دنياه ولا ينظر الى استحقاقه وهو كالناظر الى الاطواق الموضوعة فى الجيد ولا يدرى أن الجيد أحسن من أطواقه ولو قاس الدنيا بالاستحقاق لذهب الحسد من صدره وقال مالى أحسد من لم ينته قدر دنياه الى معشار قدره (ومن ذلك) ماذكرته فى صدر كتاب يتضمن الاعذار عن تواتر المكاتبات وهو اذا اعتذر من انقطاع الكتب اعتذر الخادم من اتصالها ولو كانت واردة على غير ذلك الباب الكريم لخاف من املالها وقد عد احتمال تثقيلها من جملة الايادى التى أثقلته وأراد أن يجرى معها بسوابق شكره فأعجلته وما أمهلته وهو الآن مرتهن بين قديم وجديد وأصبح كخراش اذ تكاثرت عليه الظباء فلم يدر أكثرتها ما يصيد فان أمسك سيدنا من أياديه والا فليتفضل على الشكر بالانظار وليعلم أن ذمة وفائه كذمة ديوان المال فى الاعسار هذا الفصل فى هذا المعنى لم يؤت بمثله وفيه معنى واحد من قول الشاعر

بنو جشم وناس من تغلب اجتمعوا فقال قائل كأن اعينهم أعين الاراقم والاراقم الحيات واحدها أرقم (المرعة) النملة وتصغيرها فريعة ومنه سمى حسان ابن الفريعة

﴿المسمون بالصفات وغيرها﴾

(النجاشى) هو الناجش والنجش استثارة الشئ ومنه قيل للرجل الزائد فى ثمن السلعة ناجش ونجاش ومنه قيل للصياد ناجش وقال محمد بن اسحق النجاشى اسمه أصحمة وهو بالعربية عطية وانما النجاشى اسم الملك كقولك هرقل وقيصر ولست أدرى أبالعربية هو أم وفاق وقع بين العربية وغيرها (علاثة) مأخوذ من علث الطعام يعلثه ويعلثه اذا خلط به شعيرا أو غيره (مرثد) مأخوذ من رثدت المتاع اذا نضدت بعضه على بعض (الشوذب) الطويل (حوشب) العظيم البطن (حلبس) الشجاع ويقال هو اللازم للشئ لا يفارقه (الصمة) الشجاع وجمعه صمم (عكابة) من العكوب وهو الغبار (ذفافة) من قولك خفيف ذفيف والذفيف السريع ومنه يقال ذففت على الجريح اذا أسرعت قتله (نصاح) الخيط لانه ينصح به الثوب أى يخاط به (ناشرة) واحدة النواشر وهى العصب فى باطن الذراع (ابن القرية) والقرية الحوصلة قال أبو زيد وهى الجربة أيضا (سلم) لدلوها عروة واحدة (الحوفزان) بالزاى المعجمة فوعلان من حفزه يقال انما سمى بذلك لان بسطام ابن قيس حفزه بالرمح حين خاف

تكاثرت الظباء على خراش * فما يدري خراش ما يصيد

(ومن ذلك) ما ذكرته في استصلاح مودة فقلت كنت عنده بالمنزلة التي آمن بها ما أجنيه فصرت أخاف ما لم أجنه وكان لا يقبل علي شهادة عينه فأصبح الآن يقبل علي شهادة أذنه لكن لم يجعل الله القلوب بين أصبعين من أصابعه الا ليذهب بها كل واد ومن ههنا كانت تنتقل من وداد الى قلي ومن قلي الى وداد ولا شك أن لها بين الحالتين عمرا تنتهي اليه كما تنتهي أعمار الاجساد والصبر خير ما استعمل في جفاء الاخوان والماء اذا جرى في مكان ثم انحرف عنه فلا بد أن يعود الى ذلك المكان وبعض هذا مأخوذ من شعر ابن الرومي

عهدتك لا تمتد بالعين شاهدا * علي فلم أصبحت تمتد بالاذن

(ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الملوك على يد بعض العفاة وهو الشيم الكريمة للانسان بمنزلة المسك في سرر الغزلان غير أن طيب هذه يعبق بالانوف وطيب هذه يعبق بالآذان وقد جعل تفاوت المزية بين هذين الطيبين فرقا فأحدهما يبقى دائما ولا يذهب والآخر يذهب ولا يبقى ونصيب مولانا من الطيب الباقي نصيب زكت معادنه وكثرت خزائنه وسارت في الارض محاسنه ورفعه الله به الى محل يبعد شأوه على الطالب ولا يرى الا في لسان شاعر أو لسان خاطب وهو مما استثنى من خلق الناس الذي هو من طين لازب ومن أجل ذلك يرون أشباهاما عداه وما منهم الا من يقر بفضله ولو كان من حساده أو عداه وقد أصبحوا وهم يقلون لديه حين يكثرون ويقول كل منهم لصاحبه أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون هذا الفصل وان تضمن شيأ من القرآن الكريم فليس المراد ههنا القرآن الكريم بل منه شيء مأخوذ من الشعر وهو قول المتنبي

الناس ما لم يروك أشباه * والدهر لفظ وأنت معناه

(ومن ذلك) ما ذكر في وصف الخمر وهو الخمر التي لذة اسكارها بتنغيص خمارها فهي خرقاء البيان بذمة اللسان وتأنيثها يدلك أنها من ناقصات العقول والاديان وقد عرف منها سنة الجور في أحكامها ولولا ذلك لما استأثرت من الرؤس بحماية اقدامها وهذا أحسن من قول الشاعر وأغرب وألطف لانه قال

ذكرت حقائدها القديمة اذ غدت * وهنا تداس بأرجل العصار

لانت لهم حتى انتشوا فتحكمت * فيهم فنادت فيهم بالثار

وكذلك قلت في وصفها أيضا وهو مدامة تنفي خواطر الهموم وتسري مسرى الارواح في الجسوم وتشهد بأن الكرم مستمد من ماء الكروم ويمثل حبابها نجوما الا أنها مضلة والهداية للنجوم وبعض هذا مأخوذ من قول أبي نواس

اذا هي حلت في اللهاة من الفتى * دعى همه من صدره برحيل

وما زال الشعراء يتواردون على هذا المعنى حتى سمج لكن الذي ذكرته بعد هذا المعنى من محاسن المعاني في وصفها وكذلك ما ذكرته في وصفها وهو الخمر كالعذراء في نفورها وملازمة خدورها ولهذا تشمئز من نكاح المزاج وتصعب لمس الماء صعب الابكار لمس الازواج ومن شأنها أن تلبس عند الزفاف اكليلا على رأسها وكذلك شأن العرائس عند زفافها الى أعراسها وهذه المماثلة بين الخمر وبين البكر على هذا النسق لم يأت بها أحد غيري وانما وصفت بأنها بكر كقول أبي نواس

فقلت لشيخ منهم متكلم * له دين قسيس وفي نطقه كفر

أعندك بكر مرة الطعم قرقف * صنيعة دهقان تراخى له العمر

فقال

أن يفوته فسمي بتلك الحفزة الحوفزان قال الشاعر

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة * سقته نجيعا من دم الجوف اشكلا

(وكيع) من استوكع الشيء اذا اشتد يقال دابة وكيع وسقاء وكيع واستوكعت معدته اذا قويت (نائل) من قولك استنتلت أي تقدمت (النضر) الذهب (مجرد) الخفيف السريع وقيل هو مأخوذ من المجرد وهو العريان ومنه جواد مجرد (الحنبل) القصير ويقال للفرو أيضا حنبل (قتيبة) تصغير قتب وجمعه اقتاب وهي الامعاء قال الاصمعي والكسائي واحدتها قتبة (عامر بن فهيرة) تصغير فهر والفهر مؤنثة يقال هذه فهر (عامر بن ضبارة) بالفتح من قولهم فلان ذو ضبارة اذا كان موثق الخلق ومنه ضبر الفرس اذا جمع قوائمه ووثب ومنه قيل للجماعة يغزون ضبر ومنه اضبارة الكتب وضبرت الكتب وقرأت بخط الاصمعي عن عيسى بن عمر انه قال (شرحبيل) أعجمي وكذلك شراحيل وأحسبهما منسوبين الى ايل مثل جبرائيل وميكائيل وايل هو الله عز وجل (زهير) هو ازهر مصغر مرخم مثل سويد من أسود والازهر الابيض (الزبرقان) القمر ويقال انما سمي الزبرقان بن بدر بالزبرقان لصفرة عمامته يقال زبرقت الشيء اذا صفرته واسمه حصين (الحارث) هو الكاسب للمال والجامع له ومنه قول عبد الله بن عمرو احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا

فقال عروس كان كسرى ربيها * معتقة من دونها الباب والستر

ووصف بالنكاح والزواج كقوله أيضا

وقهوة كالعقيق صافية * يطير من كأسها الشرر
زوجتها الماء كي تذل له * فامتعضت حين مسها الذكر

(ومن ذلك) ما ذكرته في الحزم وهو لا ينبغي للحازم أن يساور المورد المؤذن بضيقه وان أفضى الصدر الى رحيبه فان توقى الداخل خير من التعرض له مع وجود طيبه ولندع قول من يقعد على ثبن السلامة ثم يلبس الكتائب بالكتائب ويقول ليس للعزم الا تمام الصدور وليس له تمام العواقب بعض هذا مأخوذ من شعر أبي تمام

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه
لامر عليهم أن يتم صدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبه

(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف الرأي والكيد وهو أخفى على العدو كيده حتى لم يدع كائدا وأعمى عليه سلوك الطريق حتى ظنه حائدا فسيوفه تسطو على بعدها ولا تقطع الا وهي في غمدها وبعض هذا المعنى أخذته من شعر أبي تمام وهو

سكن الكيد فيهم ان من أعـظم كيد أن لا يسمى أريبا

(وكذلك) قولي في هذا المعنى وهو أخذ بسمع العدو وبصره وصد مطلع ورده وصدره فيداه مغلولة مع أنها مطلقة السراح ومقاتله بادية على أنها شاكية السلاح وهذا المعنى ينظر الى المعنى الذي قبله وكذلك قولي أيضا وهو يبيت برأيه العدو قبل جيشه وتلقاه بطيش قامه الذي كل الحلم في طيشه فاذا أظلمت وجوه الآراء كان رأيه لها اصباحا واذا جهزت الجحافل لحرب كان قامه لها سلاحا وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر البحتري

وهو المرء ما غزا ابدا بالرأي الا كفاه غزو الجنود

(ومن ذلك) ما ذكرته في وصف السير والركاب والخيل والقفار وما يتعلق بها (فمنه) ما يتعلق بالسير وهو ركب ظهر الليل يباري مسيره بسير أشهبه ويستقرب بعد المدى في نيل مطلبه غير أن تلك تفري أديم الغياهب وهذا يفري أديم السباسب وهذا مأخوذ من قول المتنبي يباري نجوم القذف في كل ليلة * نجوم له منهن ورد وأدهم

(ومن هذا المعنى) أيضا قولي وهو اتخذ الليل ظهرا واستلان خشونة المسرى فلم يزل يقذف صبغة سواده بصبغة جواده حتى بدت في أديم الليل شيات صباحه وشابه الادهم في غرته وأوضاحه فعند ذلك أخذ أحدهما في رحيله وأخذ الآخر في نزوله وهذا المعنى ينظر الى الذي قبله وفيه من شرف الصنعة ما لا خفاء به (ومن ذلك) ما ذكرته أيضا في فصل من كتاب وهو سرت وتحتي بنت قفرة لا يذهب السرى بمراحها ولا تستزيد الحادي من مراحها فهي طموح باثناء الزمام واذا سارت بين الآكام قيل هذه واحدة من الآكام ولم تسم جسرة لانها تقطع عرض الفلاة كما يقطع الجسر عرض الماء ولا سميت حرفا الا لانها جاءت لمعنى في العزائم لا لمعنى في الافعال والاسماء وخلفها جنيب من الخيل يقبل بجذع ويدبر بصخرة وينظر من عين جحظة ويسمع باذن حشره ويجري مع الريح الزعزع فيذرها وقد ظهر فيها أثر الفترة وما قيد خلفها الا وهو يهتدي به في المسالك المضلة ويطأ على أثرها فيرقم وجوه الصدور باشكال الاهلة هذا والليل قد ألقى جرانه فلم يبرح والكواكب قد ركدت فيه فلم تسبح وأبا أو دلو زاد طوله ولم تظهر غرة أدهمه ولا تحجوله فقد قيل انه أدنى للبعد وأكتم للاسرار

(كهمس) القصير (حفص) ذيل من جلود (كلدة) قطعة من الارض غليظة ومنه الحرث ابن كلدة (النكث) أحد انكاث الاخبية والاكسية وهو ما نقض منها ليغزل ثانية ويعاد مع الجديد ومنه بشير بن النكث (الفزر) القطيع من الغنم (جواب) من قولك جبت الشئ أي خرقته قال الله عز وجل وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (حراش) جمع حرش وهو الاثر ومنه ربعي بن حراش (الدرواس) الغليظ العنق من الناس والكلاب وغيرهم (زفر) وقثم بمعنى زافر وقاثم والزفر الحمل والزفر الحمل على الظهر ومنه قيل للاماء اللواتي يحملن القرب زوافر ويقال قثمت له أي أعطيته (وعمر) معدول عن عامر وعمر واحد عمور الانسان وهو ما بينها من اللحم وعمر الانسان وعمره واحد يقال أطال الله عمرك وعمرك ومنه يقال لعمرك انما هو الحلف ببقاء الرجل ولعمر الله قسم ببقائه عز وجل ودوامه (السام) عروق الذهب واحدها سامة وبها سمي سامة بن لؤي (الفرزدق) قطع العجين واحدها فرزدقة وهو لقب له لانه كان جهم الوجه (الجرير) حبل يكون في عنق الدابة أو الناقة من ادم وبه سمي الرجل جريرا (لاخطل) من الخطل وهو استرخاء الاذن ومنه قيل لكلاب الصيد خطل (دعبل) الناقة الشارف (ذو الرمة) والرمة الحبل البالي (ابن حلزة) والحلزة القصير (ابن الاطنابة) والاطنابة المظلة وهي أيضا السير

ودل عليه القول النبوي بأن الارض تطوى فيه مالا تطوى فى النهار وما زالت أسير بريدها تنويه حتى كاد ينضولون السواد وظهر لون السرحان فأغار على سرح السماء كما يغير السرحان على سرح النقاد فعند ذلك نهلت العين من الكرى نهلة الطائر ولم يكن ذلك على ظهر الارض المطمئنة وانما كان على الظهر السائر فى هذا الفصل كل مليحة من المعانى ولو لم يكن فى هذا الكتاب سواه لكان كافيا وبعضه مأخوذ من الشعر كقول أبى تمام

طموح بأثناء الزمام كأنما * يخال بها من عدوها طيف جنة

وكقوله

بالشدقميات العتاق كأنما * أشباحها بين الاكام اكام

(ومن ذلك) ماذكرته فى النسب فى فصل من كتاب وهو هم نسب لا تدخله لام التعريف وهو موضوع لا يجرى على سنن التوقيف فاذا ذكر أوله وقفت من عرفانه على طلل ووجدته مهملا فى جملة المهمل وان قيل انه من نجوم السماء قلت لكنه لا يخرج عن الثور أو الحمل فما أرهف لوصفه لسان الانبا ولا اقتدح له زناد خاطر الا كبا وهم منه كآوى الذى يرى الناس له ابنا ولا يرون لابنه أبا وهذا من أغرب ما يؤتى به فى ذم النسب وهو من باب توليد المعانى الذى يسمى الكيمياء وبعضه مستولد من قول أبى نواس فى هجاء الخصيب

وما خبره الا كآوى يرى ابنه * ولم ير آوى فى حزون ولا سهل

فأبو نواس ذم خبر الخصيب فى عدم رؤيته وأنا نقلت ذلك الى النسب فجاء ألطف وأحسن وأليق وأدخل فى باب الصنعة واذا حقق النظر فيما ذكره أبو نواس فى هذا المعنى لم يوجد مناسبا فان الخبر فى عدم رؤيته لا يحمل على ابن آوى وانما المناسبة تقع فى النسب من أجل ذكر الابن والاب (ومن ذلك) ماذكرته فى ذم قوم وهو فصل من كتاب فقلت تركت قوما لم ينقعوا صدى ولم يجروا الى مدى فأعراضهم نكرة المعارف وأموالهم حنظلة النافف لا تمطر سحبهم على كثرة مائها ولا تزكوا الزريعة بأرضهم على غنائها وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر الشريف الرضى

تركت أناسا لم يشو المنة * ولم ينقعوا غل الظماء الخوامس

على القرب فيهم انى غير طامع * ومنك على بعد المدى غير آيس

ومن هذا الباب أيضا قولى وهو تركت قوما يسلون الحبيب ويعلون القريب ولا يرمون من يرعاهم ولا يدر اللبن على مرعاهم فنوالهم تحايا وأعراضهم ضحايا ومن أحسن صفاتهم أنهم يعاقبون على النغمة ولا يرتاحون لمنة فالذرائع لديهم مدفونة والصنائع غير مسنونة وبعض هذه المعانى مأخوذ من شعر أبى الطيب المتنبى

رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبن

جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن

(ومن ذلك) ماذكرته على الحث على الاغتراب وهو لولا التغرب لما ارتقت بنات الاصداف الى شرف الاعناق ولا ارتقى تراب الاحجار الى نور الاحداق (وكذلك) قولى فى هذا المعنى وهو فى الانتقال تنويه لخامل الاقدار ولولا ذلك لم يكس الهلال حلة الابدار والمندل الرطب حطب فى أوطانه والمسك دم فى سرر غزلانه ولولا فراق السهم وتره لم يحظ بفضل الاصابة ولا فراق الوشيج منبته لم يتحل بعز السنان ولا شرف الذؤابة وهذا الفصل فصل من القول فى معناه وكم لم ينبش للخواطر ابتناء مبناه فمنه ما هو مأخوذ من الشعر ومنه ما سنح به الخاطر على غير مثال وهو يشهد لنفسه (ومن ذلك) ماذكرته فى وصف الايام وهو أيام تمد

باعوام

الذى على رأس وتر القوس (الطرماح) الطويل يقال طرمح البناء اذا أطاله (المصعب) الفحل من الابل وبه سمى الرجل مصعبا (مهلهل) من هلهلت الشئ اذا رققته ويقال انما سمى مهلهلا لانه أول من أرق الشعر يقال ثوب هلهال اذا كان رقيقا سخيفا أو خلقا باليا (قريش) من التقرش وهو التكسب من التجارة يقال قرش يقرش ويقرش اذا كسب وجمع (دارم) من الدرمان وهو تقارب الخطو وروى ان دارم ابن مالك كان يسمى بحرا فأتى أباه قوم فى حمالة فقال له يا بحر ائتنى بخريطة وكان فيها مال فجاء يحملها وهو يدرم تحتها من ثقلها فقال قد جاء كم يدرم فسمى دارما بذلك (ازدشنوءة) من قولك رجل فيه شنوءة أى تقزز ويقال بل سموا بذلك لانهم تشانؤا وتباعدوا (النوفل) العطية وهو من تنفلت اذا بدأت العطية من غير أن تجب عليك ومنه قيل لصلاة التطوع نافلة وبها سمى الرجل نوفلا (مضر) سمى بذلك لبياضه ومنه قيل مضيرة الطبيخ ويقال بل المضيرة من اللبن الماضر وهو الحامض لانها تطبخ به (ربيعة) اسم بيضة السلاح وبه سمى الرجل (فارعة) من أسماء النساء مأخوذ من قولك فرعت القوم اذا طلتهم (عاتكة) القوس اذا قدمت واحمرت (ريطة) الملاءة وبها سميت المرأة ريطة (الرباب) سحاب وبه سميت المرأة (روبة اللبن) خميرة تلقى فيه من الحامض ليروب وروبة

بأعوام لقصر أعمارها وشهور لا يشعر بانصافها ولا سرارها فالاوقات بها أصائل والمحاسن فيها شمائل والمآرب في ساعاتها رياض في خمائل فما أدري أهي خيالات أحلام غرت أم أحاديث أمان مرت وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة

شهور ينقضين وما شعرنا ✽ بانصاف لهن ولا سرار

(ومن ذلك) ماذكرته في وصف الاخوان وهو ليس الصديق من عد سقطات قرينه وجازاه بغثه وسمينه بل الصديق من ماشى أخاه على عرجه واستقام له على عوجه فذلك الذي ان رأى سيئة وطئها بالقدم وان رأى حسنة رفعها على علم وبعض هذا المعنى مأخوذ من أبيات الحماسة ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ✽ عني وما سمعوا من صالح دفنوا الا أن الذي ذكرته ضد هذا المعنى وقد يستخرج المعنى من ضده وهو أحسن مما يستخرج من نفسه (ومن هذا) قولي أيضا وهو ليس الصديق من صرّى اخلاف وده وغش في صفقة عهده بل الصديق من لا ترد سلعة وده باقالة ولا عيب ولا تخص محافظة اخائه بشهادة دون غيب فذلك أخي من غير نسب وكنزي من غير نشب وهذا مأخوذ من الفقه في تصرية ضرع الشاة عند البيع وذلك يوجب الرد ﴿ومما﴾ ينتظم بهذا السلك قولي وهو الانتقال عن خلة الوداد كالانتقال عن نسب الميلاد وكما يحرم هذا في نص الحكم المشروع فكذا يحرم هذا في خلق الكرم المطبوع على أن نسب الخلة الذي يغيه القلب الى القلب أوصل من نسب الرحم الذي يغيه الابن الى الاب ولهذا كانت مودة سلمان قربى ونسب أبي لهب سباوتبا وبعض هذا مأخوذ من شعر أبي نواس وهو

كانت مودة سلمان له نسبا ✽ ولم يكن بين نوح وابنه رحم

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في وصف الديار وهو دار كانت مقاصر جنة فأصبحت وهي ملاعب جنة ولقد عميت أخبار قطانها وأنشاز أوطانها حتى شاهت احداثها في الحماء الاخرى في العفاء وكنت أظن أنها لا تسق بعدهم بغمام ولا يرفع عنها جلباب ظلام غير أن السحاب بكاهم فجرت بها سوافح دموعه والليل شق عليهم ثوبه فظهر الصباح من خلال صدوعه وهذه معان لطيفة جدا وبعضها مأخوذ من شعر الشريف الرضي رحمه الله تعالى

أمرابع الغزلان غيرك البلى ✽ حتى غدوت مراتع الغزلان

﴿ومما﴾ يلتئم بهذا المعنى قولي أيضا وهو دار أصبحت مراتع أذواد بعد أن كانت مناجع روّاد فلو تصورت الآمال التي مثلت بفنائها كما تصورت الآثار الماثلة من بنائها لرأيت رسومها مع رسوم القباب وعلمت كم غار بها من بحر ونضب من سحاب وهذا معنى حسن له من نفسه مثن وحامد ومن سامعه عين وشاهد وهو من معاني المستخرجة ﴿ومن ذلك﴾ قولي أيضا وهو النقص موكل بكمال النعماء ولذلك كان الوخم مقترنا بالمرعى والماء وقلما ترى غمرة الا ومنهل نمير ولا لذة الا والى جانبها شيء محذور ﴿وكذلك﴾ قولي أيضا وهو لا يظفر الرجل بطالبه شفعا ولا تؤتيه من كل جهة نفعا بل يرى مرعى بلا ماء وماء بلا مرعى ولذلك كانت النحلة مع الشهدة والشوكة مع الوردة وبعض هذه المعاني مأخوذ من قول أبي تمام أرض بها عشب زاك وليس بها ✽ ماء وأخرى بها ماء ولا عشب الا أن في الكلام المنثور زيادة على ما تضمنه الشعر وكأنه ينظر اليه نظرا بعيدا ومن سبيل المتصدي لهذا الفن أن يأخذ المعنى من الشعر فيجعله مثل الاكسير في صناعة الكيمياء ثم يخرج

قوله في آخر الصحيفة قبل هذه أيام تعد الخ هكذا في النسخة المطبوعة بالطبعة البكرية والصواب أعوام تعد بأيام الخ والمراد من قوله في وصف الايام الازمان أياما كانت أو أعواما اه مصححه محمد زكي الدين

الليل ساعة منه يقال أهرق عنا من روبة الليل ومنه قول الشاعر

فأما تميم تميم بن مر ✽ فألفاهم القوم روبى نياما

ألفاهم وجدهم ويقال روبى خثراء الانفس مختلطون ويقال شربوا من الرائب فسكروا وناموا ويقال فلان لا يقوم بروبة أهله أي بما أسندوا اليه من حوائجهم غير مهموز وروؤبة بالهمزة قطعة يرأب بها الشيء أي يسد بها وانما سمي رؤبة بواحدة من هذه وروى نقلة الاخبار أن طيا أول من طوى المناهل فسميت بذلك واسمه جلهمة وان مرادا أول من تمرد فسمي بذلك واسمها يحابر ولست أدري كيف هذان الحرفان ولا أنا من هذا التأويل على يقين

﴿باب آخر من صفات الناس﴾

رجل معربد في سكره وهو مأخوذ من العربد والعربدة حية تنفخ ولا تؤذي (رجل وغد) وهو الدني من الرجال وهو من قولك وغدت القوم أغدهم اذا خدمتهم (أمة لخناء) من اللخن وهو النتن يقال لخن السقاء اذا تغيرت رائحته (أمة وكعاء) من الوكع في الرجل وهو أن تميل ابهام الرجل على الاصابع حتى تزول فيرى شخص أصلها خارجا (رجل متيم) تيمه الحب أي عبده واستعبده ومنه تيم اللات كأنه عبد اللات (رجل جميل) قالوا أصله من الودك يقال اجتمل الرجل اذا أذاب الشحم وأكله والجميل الودك بعينه ووصف الرجل به يراد أن ماء السمن

منه ألوانا مختلفة من جوهر وذهب وفضة كما فعلت فى هذا الموضع فانى أخذت معنى هذا البيت من الشعر فاستخرجت منه ماليس منه وهذا أعلى الدرجات فى نثر المعانى الشعرية وقد بسطت القول فى هذا الموضع وكشفت عن دفائنه فى الكتاب الذى وسمته بالوشى المرقوم فى حل المنظوم وهو كتاب مفرد لهذا الفن خاصة ومن هذا الضرب الذى هو الكيمياء فى توليد المعانى ماذكرته فى وصف الربيع فقلت فصل الربيع هو أحد ميزانى عامه ولمستقيد اسامه من حامه وقد وصف بأنه ميعاد نطق الاطيار وميلاد أجنة الازهار والذى تستوفى به حولها سلافة العقار فاذا سلت الخصب فيه سيوفها كان ذلك للرضا لا للغضب واذا خلعت على الارض غلائلها لدكناء لبست منها ديباجة منسوجة بالذهب وهذا المعنى مستولد من قول أبى تمام فى وصف السحاب

سلبته الجنوب والدين والدنـ * ـيا وصافى الحياة فى سلبه

لأن فى الذى ذكرته معنيين غريبين اذا أمعن الناظر نظره فهمهما ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى لين القول واعادته ومايجرى مجراه كقولى فى فصل من كتاب وهو لم أعد عليه القول لانه لايبلغ مدى ميدانه الابتحريك سوطه وعنانه بل أخذ بأدب الله فى أذكار القرآن واتباعا لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فى تثويب الاذان وبعض هذا مأخوذ من شعر أبى تمام

لو رأينا التأكيد خطة عجز * ماشفعنا الاذان بالتثويب

﴿وكذلك﴾ قولى أيضا وهو وقد علم أن لين القول أنجع قبولا وهو من أدب كليم الله اذ بعثه الى فرعون رسولا ألا ترى أن الحداء يبلغ من المطايا بلطفه مالا يبلغه السوط على عنفه وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر أبى تمام

وتحذهم بالرقى ان المهارى * يهيجها على السير الحداء

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى ذم الدنيا وهو أنكاد الدنيا مشوبة بالاشياء التى جبلت النفوس على حبها وكل ماتستلذه الابدان من ماكلها فانه يضرها من جهة طبها ولهذا يذم من منفعة المهالج ومضرة اللوزينج وأعجب من ذلك أنه لاينتفع الانسان بشئ من لذاتها الاضره من جهة ثوابه وهو كالذى ينتفع باصطلاء النار وهى محرقة لاثوابه وقد ضرب لذلك مثل من الامثال وقيل ان كل ماينفع الكبد مضر بالطحال وهذا مأخوذ من الامثال العربية والمولدة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى الزهد وهو الناس فى الدنيا أبناء الساعة الراهنة وكأن النفوس ليست فيها بقاطنة فكذلك الاحوال ليست بقاطنة ولهذا كانت المآتم والاعراس يتفرق بدى تجمعها فهذه تنسى مامضى من لذة سرورها وهذه تنسى مامضى من ألم فجعها ولاشبيه لها على ذلك الا الاحلام التى يتلاشى خيالها عاجلا وتجعل اليقظة حقها باطلا وماينبغى حينئذ أن يفرح بها مقبلة ولايؤسى عليها مدبرة وكل ماتراه العين منها ثم يذهب فكأنه لم تره وغاية مطلوب الانسان منها أن يعتله فى مدة عمره ويملى له فى امتداد كثره أما تعميره فيعترضه المشيب الذى هو عدم فى وجود وهو أخو الموت فى كل شئ الا فى سكنى اللحود فالجوارح التى يدرك بها الشهوات ترى وكل منها قد تحول وأصبح كالطلل الدارس الذى ليس عنده من معول فلا الليلى بليلى ولا النوار بالنوار ولا الاسماع أسماع ولا الابصار أبصار وأما ماله فان أمسكه فهو عرضة لوارث يأكله أولحادث يستأصله وان أنفقه كان عليه فى الحلال حسابا وفى الحرام عقابا فهذه زهرة الدنيا الناضرة وهذه عقبى الخاسرة وبعض هذا المعنى مأخوذ من شعر صالح بن عبد القدوس

واذا

يجرى فى وجهه (والمصلوب) أيضا من الصليب وهو الودك يقال اصطلب الرجل اذا جمع العظام فطبخها ليخرج ودكها فيأتدم به ومنه قول الكميت ابن زيد

واحتل برك الشتاء منزله
وبات شيخ العيال يصطلب

وقال الهذلى

جريمة ناهض فى رأس نيق
ترى لعظام ماجمعت صليبا

أى ودكا (المخنث) مأخوذ من الانخناث وهو التكسر والتثنى ومنه سميت المرأة خنثاء ومنه الخنثى (امرأة مقلات) اذا لم يعش لها ولد مفعال من القلت وهو الهلاك مثل مهلاك وحكى عن بعض العرب انه قال ان المسافر ومتاعه لعلى قلت الا ماوقى الله (الضيف) مأخوذ من ضاف أى عدل ومال والاضافة الامالة (رجل مأفون) أى كأنه مستخرج العقل من قولك أفن فلان مافى الضرع اذا استخرجه (رجل مأبون) أى معروف بخلة من السوء من قولك أبنت الرجل آبنه وآبنه بشر ومنه الحديث فى وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتؤبن فيه الحرم أى لاتذكر بسوء (والماجد) الشريف (والكريم) الصفوح (والسيد) الحليم (والاريب) العاقل والارب العقل (والسفيه) الجاهل والسفه الجهل (والحسيب) من الرجال ذو الحسب (والحسب) العدد يقال حسبت الشئ حسبا وحسبانا وحسابا اذا عددته والمعدود حسب كما يقال

واذا الجنازة والعروس تلاقيا * ألفيت جمعاً كله يتفرق

ومن قول أبي العتاهية

انما أنت طول عمرك ما عمر * ت في الساعة التي أنت فيها

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في فصل من كتاب يتضمن تعزية وهو كيف ينام ذلك العدو به من أعمال ساكنه أوار أم كيف يجدب وبه من فيض عينيه سحاب مدرار أم كيف توحش أقطاره والملائكة داخلة عليه من تلك الاقطار أم كيف يخفيه طول العهد على زواره وطيب ترابه هاد للزوار وما أعلم ما أقوله في هذا الخطب الجليل الذي دق فيه الحزن الجليل وسمحت له النفوس بالفدية على حب الحياة وذلك من الفداء القليل وقد قيل انه لم يخلق الدمع الا انذارا بأن نوائب الزمان ستنوب وقد جعله الله ذخر اللقائها وانما يذخر السلاح للقاء الحروب والذي ذخرته منه لم يغن عني في هذه النائبة وأي جنة تقوم في وجه سهامها الصائبة لاجرم أني أصبحت بين يديها هدفا للرماء ولم يبق مني الا ذماء الحشاشة ومن العجب بقاء الذماء وشئ من هذا الفصل مأخوذ من شعر ابن الرومي

لم يخلق الدمع لامرئ عبثا * الله أدرى بلوعة الحزن

﴿وكذلك﴾ ذكرت فصلا في كتاب آخر يتضمن تعزية وهو فياويح أيد أسلمته الى الثرى وما كان يسلمها الى الاعدام وألبسته ظلمة اللحود طالما جلا عنها غيابة الظلم والاظلام وغادرته بوحدته مستوحشا وقد كان يؤنسها بنوافل الانعام ومثله لا يوارى القبر منه الا صورة يدركها النفاد وتبلى كما يبلى غيرها من الاجساد ولكنه لا يستطيع مواراة الذكر الخالد الذي يذهب بشماتة الحساد ويتمثل في السماء بصورة الكواكب وفي الارض بصورة الاطواد وبعض هذا مأخوذ من قول بعض شعراء الحماسة

فان تدفنوا البكري لا تدفنوا اسمه * ولا تدفنوا معروفه في القبائل

﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في وصف كلام بالفصاحة وهو فصل من كتاب فقلت وله البيان الذي يفض منه نسق الفريد ولا يخلق نضرة لباسه الجديد وهو فوق كلام المجيد ودون القرآن المجيد واذا اختصر واصفه قال انه يستميل سمع الطروب ويستحق وقار القلوب ويمثل آيات بيضاء من غير ضم الى الجيوب ويرى في الارض غيرلاغب اذا مس غيره فترة اللغوب ولا تزال الناس في عشق معانيه ضربا واحدا والعاشقون ضروب ولما وقفت عليه قلت سبحان من أعطى صاحبه نافذ بجذل وخصه بنبوة البيان الا أنه لم يرسل ولولا أن الوحي قد سد بابه لقيل هذا كتاب منزل ولقد غاره الله لاولي الفصاحة اذ لم يحيوا الى عصره ولم يتلوا فيه بداء الحسد الذي يصليهم بتوقد جمره ولئن سلوا من ذلك فسامات أفواههم من أقواله التي محتها مع المداد وقد كانت باقية بعدهم فلما أتي صارت كما صاروا الى الالحاد وفي هذا الفصل شئ من المعاني الشعرية كقول البحتري

مستميل سمع الطروب المعنى * عن أغاني معبد وعقيد

وقول الشريف الرضي رحمه الله

عشقت ومالي يعلم الله حاجة * سوى نظري والعاشقون ضروب

وفيه أيضا شئ من معاني القرآن الكريم الا أنها جاءت ضمنا وتبعا وموضعها يأتي بعد الابيات الشعرية ﴿وكذلك﴾ ذكرت فصلا آخر من هذا الاسلوب وهو وان للكلمة طعما يعرف مذاقه من بين الكلام وخفة الارواح معلومة من بين ثقل الاجسام فلو لم نعرفه بطعمه

نفضت نفضا والنفوض نفض ومنه يقال ليكن عملك بحسب كذا أي على قدره وعدده بفتح السين فكأن الحسيب من الرجال الذي يعد لنفسه مآثر وأعمالا حسنة أو يعد آباء أشرافا

﴿باب معرفة في السماء والنجوم والازمان والرياح﴾

السماء كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء وللسحاب سماء قال الله تعالى وأنزلنا من السماء ماء مباركا يريد من السحاب (والفلك) مدار النجوم الذي يضمها قال الله عز وجل وكل في فلك يسبحون سماه فلكا لاستدارته ومنه قيل فلكة المغزل وقيل فلك ثدي المرأة وللفلك قطبان قطب في الشمال وقطب في الجنوب متقابلان (ومجرة) النجوم سميت مجرة لانها كأثر المجر ويقال هي شرج السماء ويقال باب السماء (وبروج السماء) واحدها برج وأصل البروج الحصون والقصور قال الله تبارك وتعالى ولو كنتم في بروج مشيدة (وأسماؤها) الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت (ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلا) ينزل القمر كل ليلة بمنزل منها قال تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والعرب تزعم أن الانواء لها وتسميها نجوم الاخذ لأن القمر يأخذ كل ليلة في منزل منها (والازمنة أربعة) الربيع وهو عند الناس الخريف

عرفتـاه بوسمه والصباح لايتمارى فى اسفاره ولا يفتقر الى دليل على اشراق أنواره وقد علم أن العرق يعرف بنصته وأن القول يعرف بطنه ونفائس هذه العقود لا يبرزها الا انفاسه قدرها المقله وسلوكها قرطاسه ﴿ومن﴾ هذا الباب قولى أيضا وهو ألفاظ كخفق البنود أو زأر الاسود ومعان تدل بارهافها أنها هى السيوف وان قلو بانها هى الغمود فيخالها المتأمل حومة طعان أو حلبة رهان وبعض هذا مأخوذ من شعر البحترى

يقظان ينتخب الكلام كأنه * جيش لديه يريد أن يلقى به

﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان من أهل الكتابة كان اعتدى عليه شخص يدعى الكتابة وليس من أهلها فقلت وقد نيط بسيدنا لفظ الخط اللذان ينسب أحدهما الى المداد وينسب الآخر الى الصعاد فهو يديرهذا فى معركة المقال وهذا فى معركة الطراد ولربما اصهل أحد قلبيه من فوق صفحات الدروج كما تصهل الجياد من تحت أعواد السروج فله احتفال المواطن والمجالس واليه غناء أصحاب العمائم والقلانس لا كمن لا يجاوز همه طرفى ردائه واذا نودى لفضيلة قبل انما يسمع الحى بندائه وكم فى الناس من صور لا تجد لمعناها أثرا واذا رأيتها قلت أرى خالا ولا أرى مطرا وأى جمال عند من ليس له الا جمال ثيابه وهل ينفع السيف الكهام أن يجعل من الذهب حلية قرابه وكل من هؤلاء ذنب يسمى بغير راس ولا له هم الا فى عيشة الطاعم الكاس واذا اعتبر حاله وجد من البهائم وان كان منسوبا الى الناس والسيادة ليست فى وشى الثياب ولا فى طيب الطعام والشراب وانما هى فى شيئين اما شهامة قلم تفرق لها قلوب الغمود أو شهامة رمح تفرق لها قلوب الاسود وكأنى بقوم يسمعون هذا وكلهم يتمضض امتعاض المغضب وتتتابع نفسه تتابع المتعب ويعترض الشجى فى حلقه حتى يغص من غير أن يشرب ولم يزل بالحساد من سيدنا داء يورثهم أرقا و يوسعهم شرقا وكثيرا ما تعرق له جباههم وكذا الميت تندى جبينه عرقا وما أرى لهؤلاء دواء الا أن يطرحوا عن مناكبهم ثقل المساجلة والحسد انما يكون ممن يجرى مع صاحبه فى مضمار المماثلة وكنت أحب أن يقام على الكتابة محتسب حتى يتفلس منها خلق كثير وتستريح جيادا كثيرة من ركوب حمير وفى مثل هذا السوق يظهر أهل الخلابة والتجش وما منهم الا من هو فى الحضيض الاسفل وقد أجلس نفسه فى قاعة العرش ونار الآلة العمرية تميز خالص النقود من زيفها ولا حيف فى هذا المقام على من أسرفت دعواه الكاذبة فى حتفها وبعض هذا الفصل مأخوذ من شعر عبد السلام بن رغبان عرف بديك الجن

تزهى به القلمان الآن ذا * لدن المجس وأن ذا مكعوب

عودان يقضب ذا الطلى بلعابه * ويجوب ذا المهجات بالتركيب

ويكفيك أيها المتوشح لنثر الشعر أن تنظر الى هذا الفصل وتتأمل الموضع الذى أخذت معنى هذين البيتين ووضعته فيه فان فيه غناء ومقنعا ﴿وأما﴾ حل آيات القرآن العزيز فليس كنثر المعانى الشعرية لان ألفاظه ينبغى أن يحافظ عليها المكان فصاحتها الا أنه لا ينبغى أن يؤخذ لفظ الآية بجملته فان ذلك من باب التضمين وانما يؤخذ بعضه فاما أن يجعل أولا لكلام أو آخرا على حسب ما يقتضيه موضعه وكذلك تفعل بالاخبار النبوية على أنه قد يؤخذ معنى الآية والخبر فيكسى لفظا غير لفظه وليس لذلك من الحسن ما للقسم الاول للفائدة التى أشرنا اليها وقد سلكت فى ذلك طريقا اخترعتها لو كنت أنا ابن عذرتها وعند تأمل ما أوردته منها فى هذا الكتاب يظهر للتأمل صحة دعاوى ولئن كان من تقدمنى أتى بشىء من ذلك فانى ركبت فيه

جوادا

سمته العرب ربيعا لان أول المطر يكون فيه وسماه الناس خريفا لان الثمار تخترف فيه ودخوله عند حلول الشمس برأس الميزان ونجومه من هذه المنازل الغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة (ثم الشتاء) ودخوله عند حلول الشمس برأس الجدى ونجومه سعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر والرشاء (ثم الصيف) ودخوله عند حلول الشمس برأس الحمل وهو عند الناس الربيع ونجومه السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع (ثم القيظ) وهو عند الناس الصيف ودخوله عند حلول الشمس برأس السرطان ونجومه النثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك الاعزل ومعنى النوء سقوط النجم منها فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله فى المشرق من ساعته وانما سمى نوءا لانه اذا سقط الغارب ناء الطالع ينوء نوءا وذلك النهوض هو النوء وكل ناهض بثقل فقد ناء وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الاضداد وسقوط كل نجم منها فى ثلاثة عشر يوما وانقضاء الثمانية والعشرين مع انقضاء السنة ثم يرجع الامر الى النجم الاول فى استئناف السنة المقبلة فكانوا يقولون اذا سقط منها نجم وطلع آخر فكان عند ذلك مطر أو ريح أو حر أو برد نسبوه الى الساقط الى ان يسقط الذى بعده فان سقط ولم يكن معه مطر قيل قد خوى

جواداور كب جملا ونال من مورده نهلة واحدة ونلت منه نهلا وعللا ومن آتاه الله فى القرآن بصيرة فانه يسبك ألفاظه ومعانيه فى كلامه ويستغنى به عن غيره الا أنه ينبغى أن يكون فيه صواغا يخرج منه ضروب المصوغات أو صيرفيا يتجهبذ فى نقوده المختلفة من الذهب المختلف الالوان ولا أقول من الفضة فانه ليس فيه من الفضة شئ وهو أعلى من ذلك أو يكون فيه تاجرا يديره على يده ويتصرف فى أرباحه ويخرج من الامتعة المجلوبة من مناجمه كل غريبة عجيبة وكل هذا يفهمه من عرف فلزم وحكم فاعلم

وما كل من قال القريض بشاعر * ولا كل من عانى الهوى بمتيم

﴿واعلم﴾ أن المتصدى لحل معانى القرآن يحتاج الى كثرة الدرس فانه كلما ديم على درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل وهذا شئ جربته وخبرته فانى كنت آخذ سورة من السور وأتلوها وكلما مر بى معنى أثبته فى ورقة مفردة حتى أنتهى الى آخرها ثم آخذ فى حل تلك المعانى التى أثبتها واحدا بعد واحد ولا أقنع بذلك حتى أعاود تلاوة تلك السورة وأفعل مثل ما فعلته أولا وكلما صقلتها التلاوة مرة بعد مرة ظهر فى كل مرة من المعانى ما لم يظهر فى المرة التى قبلها وسأورد فى هذا الموضع سورة من السور ثم أردفها بآيات أخرى من سور متفرقة حتى يتبين لك أيها المتعلم ما فعلته فتحذو حذوه وقد بدأت بالسورة أولا وهى سورة يوسف عليه السلام لانها قصة مفردة برأسها وفيها معان كثيرة * فالاول ما ذكرته فى دعاء كتاب من الكتب وهو وصل كتاب الحضرة السامية أحسن الله أثرها وأعلا خطرها وقضى من العلياء وطرها وأظهر على يدها آيات المكارم وسورها وأسجد لها كواكب السيادة وشمسها وقمرها وهذا أول معنى فى السورة وقد نقلته عن قصة المنام الى الدعاء ثم أبرزت هذا المعنى فى صورة أخرى وهو أكرم النعم ما كان فيها ذكرى للعابدين وتقدمه انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين فهذه النعمة هى التى تأتى بتيسير العسير وتجلو ظلمة الخطب بالصباح المنير فانظر الى أثر رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى وهو على كل شئ قدير ثم تصرفت فى هذا المعنى فأخرجته فى معرض آخر وهو فصل من جملة تقليد يكتب من ديوان الخلافة لبعض الوزراء فقلت وقد علم أمير المؤمنين فادنى مجلسه من سمائه وآنسه على وحدة الانفراد بحفل ندمائه ورفعه حتى ودت الشمس لو كانت من أترابه والقمر لو كان من ندمائه وذلك مقام لا تستطيع الجدود أن ترقى الى رتبته ولا الآمال أن تطوف حول كعبته ولا الشفاه أن تتشرف بتقبيل تربته فليزدد ابتهاجا بالتثام مواطئ أقدامه ولينظر الى سجود الكواكب له فى يقظته لا فى منامه ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى ذم بخيل وهو لم أر كراهب فلان ملأت آمالى بطمع وعودها وفرغت يدى من نيل جودها فلم أحظ الا بلامع سرابها وكانت كدم القميص فى كذابها ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى تزكية انسان يمارى به وهو لم ترم بذنب الا نابت البراءة له مناب الشهود وجىء من أهلها بشهادة القميص المقدود ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى عذر الهوى وهو لم يهم وجيبا الا كان لاهل التقى فيه اسوة ولا ليم من أجله الا اعتذر عذر امرأة العزيز الى النسوة ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى فصل من جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو ان كان الكلام كما قيل اذ كر او الجواب أنثى فجوابى هذا عروس تجلى فى حللها الحبره وعقودها المشذرة وتزهى بما آتاها الله من الحسن الذى ليس بالمجلوب ولا ترضى بتقطيع الايدى دون تقطيع القلوب وها قد أرسلتها الى سيدنا حتى يعلم أن نتائج خاطرى على الفطرة وأنها معشوقة الصورة كل

نجم كذا وأخوى (وسرار) الشهر وسرره آخر ليلة منه لاستسرار القمر وربما استسر ليلة وربما استسر ليلتين (والبراء) آخر ليلة فى الشهر سميت بذلك لتبرء القمر فيها من الشمس (والمحاق) ثلاث من آخر الشهر سميت بذلك لانمحاق القمر فيها أو الشهر (والنحيرة) آخر يوم من الشهر لانه ينحر الذى يدخل (والهلال) أول ليلة والثانية والثالثة ثم هو قمر بعد ذلك الى آخر الشهر (وليلة السواء) ليلة ثلاث عشرة (ثم ليلة البدر) لاربع عشرة وسمى بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع كأنه يعجلها المغيب ويقال سمى بدرا لتمامه وامتلائه وكل شئ تم فهو بدر ومنه قيل لعشرة آلاف درهم بدرة لانها تمام العدد ومنتهاه ومنه قيل عين بدرة أى عظيمة والعرب تسمى ليالى الشهر كل ثلاث منها باسم فتقول ثلاث غرر جمع غرة وغرة كل شئ أوله وثلاث نفل وثلاث تسع لان آخر يوم منها اليوم التاسع وثلاث عشر لان أول يوم منها اليوم العاشر وثلاث بيض لانها تبيض بطلوع القمر من أولها الى آخرها وثلاث درع وكان القياس درع سميت بذلك لاسوداد أوائلها وابيضاض سائرها ومنه قيل شاة درعاء اذا اسود رأسها وعنقها وابيض سائرها وثلاث ظلم لاظلامها وثلاث حنادس لسوادها وثلاث دآدى لانها بقايا وثلاث محاق لانمحاق القمر أو الشهر (وللشمس مشرقان ومغربان) وكذلك القمر قال الله عز وجل رب المشرقين ورب المغربين (فالمشرقان) مشرقا

الناس فى هواها بنو عذرة وفى هذا الفصل معنى الآية والخبر النبوى والبيت من الشعر ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرت فى تقلب الايام وهو اقينا أياما ضاحكات وايتها أيام عابسات وكانت كسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف كريم وهو ليس ممن يرقب عجف الزمان فيذر الحب فى سنبله ولكنه يستأنف الصبر فى آخره ويستهلك المال فى أوله فلا يبقى من يومه لغده ولا يتهم ربه فيما بيده ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى حب الرشوة وهو الرشوة تحل عقد القلوب وتهون فراق المحبوب ألا ترى أن رد البضاعة حكم على أخى يوسف بالاضاعة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى الاستسلام لحكم الاقدار وهو لا تحترس من جنود الاقدار بالآراء المتعمقة وسواء عندها الباب الواحد والابواب المتفرقة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى تتابع الاساءة وهو لم يزل يرشقنى بقوارصه حتى تكاثر النبل واستحكم التبل ولم يكفه الالقاء فى غيابة الجب حتى قال ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى التوكل وهو اذا طلب أمر أجمل فى المطلوب ووكله الى الذى بيده مفاتيح الغيوب وتأسى فى حاجته منه بالحاجة التى كانت فى نفس يعقوب ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته فى وصف الكيد وهو لم يأت أمر الا أخفى أسباب أواخيه وبدأ فيه بالاوعية قبل وعاء أخيه وهذه ثلاثة عشر معنى من سورة يوسف عليه السلام ﴿وأما﴾ الآيات التى هى من سور متفرقة فأولها ما كتبته فى صدر كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وهو ورد كتابه عشية يوم كذا فعرض على عرض الجياد على سليمان وتساوى بأنى الاشتغال منه ومنها بالاستحسان غير أن الجياد وان حسنت فانها لا تبلغ فى الحسن مبلغ الكتاب لكن قلت كما قال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ولئن قضى الاشتغال هناك بمسح سوق وأعناق فانه لم يقض ههنا بمسح سطور ولا أوراق وانما اشتغلت عن عبادة بعبادة ولو شئت لقلت عن افادة بافادة وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام فى سورة ص وهى قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق فانظر كيف أخذت هذه القصة وقابلت بينها وبين الكتاب ثم انى تصرفت فيها بالموافقة بينهما تارة والمخالفة بينهما أخرى وهكذا ينبغى أن يعمل فيما هذا سبيله (ومن ذلك) ما كتبته عن الملك الافضل على بن يوسف الى الديوان العزيز النبوى ببغداد فى فصل من كتاب وهو وقد علم أن المال الذى يختزن كالماء الذى يحتقن فكما أن هذا يأجن بتعطيل الايدى عن امتياح مشاربه فكذلك يأجن هذا بتعطيل الايدى عن امتياح مواهبه وأى فرق بين وجوده وعدمه لولا أن تعلق به القلوب وتقل به الخطوب ويركب به ظهر العزم الذى ليس بركوب ومن بسط الله يده فيه ثم قبضها بخلا فانه يقف دون الرجال مقصورا ويقعد عن نيل المعالى ملوما محسورا واذا أدركته منيته مضى وكأنه لم يكن شيأ مذكورا ومذ ناط الله بيد الخادم ما ناطه من أمر بلاده لم يدخر منها الا ربط أشقره ومركز أسمره وما عداهما فانه مصروف الى قوة الاسلام فى سد ثغوره وتكثير جنوده وايقاد حرب عدوه بعد خمودها واستباحة جرها عند وقودها وما يفضل عن ذلك فان الناس يشتركون فى وشله وغمره والمسلم أخو المسلم يساويه فى حقه من بيت المال وان خالفه فى مرتبة قدره ولا سبيل على الخادم وهو يفعل ما يفعله أن يدلس من هذا المال بتبعة المطلوب أو يلحق بالقوم الذين يكنزونه فيجزى عليه بكى الجباه والظهور والجنوب ولم يأت به الله على فترة من مثله الا ليمحو به سيآت

الذين

الصيف والشتاء والمغربان مغربا الصيف والشتاء فشرق الشتاء مطلع الشمس فى أقصر يوم من السنة (ومشرق) الصيف مطلع الشمس فى أطول يوم من السنة (والمغربان) على نحو من ذلك (ومشارق) الايام ومغاربها فى جميع السنة بين هذين المشرقين والمغربين قال الله عز وجل رب المشارق والمغارب (وسمى) النجم نجما بالطلوع يقال نجم السن اذا طلع ونجم النجم وسمى طارقا لانه يطلع ليلا وكل من أتاك ليلا فقد طرقك ومنه قول هند بنت عتبة

نحن بنات طارق
نمشى على النمارق

تريد ان أبانا نجم فى شرفه وعلوه قال الله عز وجل وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب (وسمى) القمر قمرا لبياضه والاقمر الابيض وليلة قمراء أى مضيئة (والفجر) فجران يقال للاول منهما ذنب السرحان وهو الفجر الكاذب شبه بذنب السرحان لانه مستدق صاعد فى غير اعتراض (والفجر الثانى) هو الفجر الصادق الذى يستطير وينتشر وهو عمود الصبح (ويقال) للشمس ذكاء لانها تذكو كما تذكو النار وللصبح ابن ذكاء لانه من ضوئها (وقرن الشمس) أعلاها وأول ما يبدو منها فى الطلوع (وحواجبها) نواحيها (واياة) الشمس ضوؤها (والدارة) حول القمر يقال لها الهالة (والرياح أربع) الشمال وهى تأتى من ناحية الشام وذلك عن يمينك اذا استقبلت قبلة العراق وهى اذا كانت فى الصيف حارة

الدين ويعيده به الاسلام الى وطنه بعد أن طال عهده بمفارقة الوطن ولا يكون حسنة من حسنات أمير المؤمنين ترفعها الدنيا في دواته وتنقل م الى الآخرة كفة ميزانه وفي هذا الفصل معنى آيتين احداهما في سورة هل أتى والاخرى في سورة براءة (ومن ذلك) ما كتبته عنه الى عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب من كتاب يتضمن استعطافه والتنصل اليه وهو من شيعة الاقدار أن تذهب بمآثر ذوي الالباب وتعذل لهم الخطأ في مثل الصواب ولولا ذلك لما زل الحكيم واعوج المستقيم والمملوك يقبل اليد الكريمة المولوية الملكية العادلية لا زال عرفها مأمولا واحسانها عند الله مقبولا وفعلها في المكرمات مبتدعا اذ كان فعل الايادي مفعولا ونستغيث الى عفوها الذي يكفي فيه لفظة الاعتذار ولا ينفد بمواظبة الاصرار ولو عرف ذنبه باديا القرع له سن الندامة وعاد على نفسه بالملامة ولما كان عجبا أن يكون مليما وأن يكون مولانا كريما لكنه حمل اصرة الذنب وهو برىء من حملها وخاف أن تكون هذه كأخواتها التي سلفت من قبلها والامور المتشابهة يقاس البعض منها على البعض والملسوع لا يستطيع أن يرى مجر حبل على الارض ولم يجترم المملوك الآن جريمة سوى ان فر الى الاعتصام والتي بيده الى أقوام لم يكونوا له بأقوام واذا ضاق على المرء أقربه كان الابعد له من ذوي الارحام وليس بأول من ذهب هذا المذهب ولا بأول من حمل نفسه على ركوب هذا المركب ولئن قال بعض الناس انه عجل في اعتصامه وفراره وانه لو صبر لحمد مغبة اصطباره فهذا قول من لم يعرف حال المملوك فيقيم له عذرا ولا ابتلي بما ابتلي به من قوارض مولانا مرة بعد أخرى ولقد تكاثرت عليه هذه الاقوال المؤنبة حتى ملأت طرفه كحل السهاد وجنبه شوك القتاد وأصبح وهو يرى أنه زلق في خطيئته زلقا وغص بندمه من أجلها شرقا وبدت له سوأته حتى طفق يخصف عليها ورقا ومع هذا فانه واثق أن حلم مولانا لا يرقى من الزلل وأن حصاة الذنوب لا تخف بوزن ذلك الجبل وها هو قد جاء نازعا وللنازع العتبى وعاد مستشفعا ولا شفيع أكرم من القربى ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب وفي الذي أوردته من هذا الفصل معنى آية من القرآن في سورة الاعراف وهي قوله تعالى فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة (ومن ذلك) ما كتبته عن الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان ابن مسعود صاحب الموصل الى الديوان العزيز ببغداد بعد وفاة والده يسأل في التقليد وكان عمره اذ ذاك ست عشرة سنة فمما جاء في صدر الكتاب بعد الدعاء قولي وهو اذا توفي ولي من أولياء الدولة في السنة أن يعزى بفقده ويستخرج انهاء سابلة القائم من بعده حتى لا تخلو أرصادها من رواسي الجبال ولا سماؤها من مطالع الكواكب التي تجلو ظلمة الليالي وقد مضى والد العبد الى رحمة الله وهو متزود من الطاعة خير زاد غير خائف من احصاء الرقيب العتيد اذ جعلها له من العتاد وما عليه وقد ثقلت كفة ميزانه ما كان في الكفة الاخرى من الصلات الكثيرة لا عداد ومضمون وصيته التي عهدتم أن نمشي في الطاعة على أثره ونهتدي بالاوامر الشريفة في مورد الامر ومصدره وقد جعلها العبد نجي فكره اذا قام واذ قعد وسجعة صلاته اذ ركع واذا سجد وهو يرى أنه لم يمض والده حتى أبقى للدولة من يثبت قدمه موضع قدمه وعند ذلك يقال ان غصن الشجرة كالشجرة في ثبات أصله وقوة منجمه وهذا مقام لا تمتاز فيه الآباء عن الابناء وليست المزية لاكتمال السن انما هي لشيبة الصباء وقد أوتي يحيى الحكم قبل أن يجري القلم في كتابه وشهد له بالتزكية قبل أن ينتصب في محرابه وكذلك قد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة على قتاء عمره وشهد أنه خليق بما أسند اليه من أمره والعبد وان بسط

بارح وجمعها بوارح (والجنوب) تقابلها (والصبا) تأتي من مطلع الشمس وهي القبول (والدبور) تقابلها وكل ريح جاءت بين مهبي ريحين فهي نكباء سميت بذلك لانها انكبت أي عدلت عن مهاب هذه الاربع (ودراري النجوم) عظامها الواحد دري غير مهموز نسب الى الدر لبياضه (والجدي) الذي تعرف به القبلة وهو جدي بنات نعش الصغرى (وبنات نعش الصغرى) بقرب الكبرى على مثل تأليفها أربعة منها نعش وثلاثة بنات في الاربعة (الفرقدان) وهما المتقدمان ومن البنات الجدي وهو آخرها (والسهى) كوكب خفي في بنات نعش الكبرى والناس يمتحنون به أبصارهم وفيه جرى المثل

* أريها السهى وتريني القمر *

(والفكة) كواكب مستديرة خلف السماك الرامح والعامة تسميها قصعة المساكين وقدام الفكة السماك الرامح سمي رامحا بكوكب يقدمه يقال هو رمحه (والسماك الاعزل) حدها بين الكواكب اليمانية والشامية سمي أعزل كأنه لا سلاح معه كما كان للآخر (والنسر الواقع) ثلاثة أنجم كأنها أثافي وبازائه النسر الطائر وهو ثلاثة أنجم مصطفة وانما قيل للاول واقع لانهم يجعلون اثنين منه جناحيه ويقولون قد ضمهما اليه كأنه طائر وقع وقيل للآخر طائر لانهم يجعلون اثنين منه جناحيه ويقولون قد بسطهما كأنه طائر والعامة تسميها الميزان (والكف

الاستحقاق لسانه فان الادب يحكم بانقباضه وريه أن التفويض الى انعام الديوان العزيز أسرع
في نجح أغراضه ولاشك أن منتهى الآمال لايبلغ أدنى تلك المواهب ولو جمعت في صعيد واحد
ثم سألت مطالبه المانقصت خزائن المطايا من تلك المطالب وهذا الفصل من أول الكتاب وفيه
معنى آيتين من سورة مريم عليها السلام أما الاولى فقوله تعالى عند ذكر يحيى عليه السلام
وآتيناه الحكم صبيا وأما الثانية فقوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وفي هذا الفصل
أيضا معان ثلاثة من الاخبار النبوية وليس هذا موضعها وانما جاءت ضمنا وتبعا (ومن ذلك)
ماذكرته في وصف الغبار في الحرب وهو وعقد العجاج سقفا فانعقد وأرانا كيف رفع السماء
بغير عمد غير أنها سماء بنيت بسنابك الجياد وزينت بنجوم الصعاد فيها ما يوعد من المنايا
لا ما يوعد من الارزاق ومنها تقذف شياطين الحرب لاشياطين الاستراق وهذه المعاني مأخوذة
من سورة الرعد وسورة الصافات وسورة الذاريات (ومن ذلك) ماذكرته في وصف طعام وهو
فصل من كتاب فقلت طعام لا عيب فيه اذ اشتهت الاطعمة عللها وكأنما تولته يد الخلقة ولم تباشره
الايدي بعملها فهو من بقايا المائدة التي نزلت من السماء وقد طاب حتى لا يحتاج من بعده
الى استعمال الماء ومارآه ذو شبع الارأى تركه غبنا ودلو زيد الى بطنه بطنا أو بعض هذا
مأخوذ من سورة المائدة (ومن ذلك) ماذكرته في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة وهو
قد تكاثرت وسائل الخادم حتى لا يدري ما يجعله لطلابه سفيرا ومامنها الاما يقال انه أول وليس
فيها ما يجعل أخيرا غير أنه لا يذكر منها الاما هو توأم ايمانه والذي لا ينظر الله من ابن آدم
الا الى مكانه وفي ذلك كاف عن الوسائل التليدة والطريفة وقول لا اله الا الله لا يعدله شيء من
الحسنات المودعة في الصحيفة وقد تجدد الآن للخادم مطلب هو بالنسبة الى مواهب الديوان
العزيز يسير ولو قامت مطالب الناس في صعيد واحد لأعطى كلا منها مرامه ولم يقل ذلك كثير
وكتابه هذا سائر الى تلك المواهب التي يضيق عنها صدر الارض باتساعه وليس الذي يسأله
ممتنعا فيحال على النظر الى الجبل في امتناعه وكما أن عبيد الديوان العزيز أطوار كذلك مطالبهم
أطوار وقد جعل الله الاشياء متفاوتة في مراتبها وكل شيء عنده بمقدار وهذا الفصل من أحسن
ماكتب في استنجاز مطلوب وفيه معاني ثلاثة أخبار نبوية ومعنى آيتين من القرآن الكريم
وليس هذا موضع الاخبار وانما جاءت ضمنا وتبعا فاما الآية الاولى ففي سورة الاعراف والآية
الثانية في سورة الرعد (ومن ذلك) ماذكرته في وصف كاتب وهو اذا جال الليل قلمه وطلعت
فيه نجوم كلمه لم يقعد لها شيطان بلاغة مقعدا الا وجد له شهابا رصدا فاسرارها مصونة
عن كل خاطف مطوية عن كل قائف وهذا المعنى مأخوذ من سورة الجن (ومن ذلك)
ماذكرته في وصف كاتب أيضا فقلت له بنت فكر ما عمضت بغني الا انتجته من غير ما تحمله
وأتت به قومها تحمله ولم يعرض على ملأ من البلغاء الا ألقوا أقلامهم أيهم يستميره لا أيهم
يكفله وفي هذين السطرين آيتان من القرآن الكريم الاولى في سورة مريم وقصتها وقصة
ولدها عليهما السلام وهي قوله تعالى فأتت به قومها تحمله والثانية في سورة آل عمران في
قوله اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم (ومن ذلك) ماذكرته في فصل من كتاب يتضمن وصف
القلم فقلت وقد أوحى الله تعالى الى قلمه ما أوحاه الى النحل غير أنه تاوي الى المكان الوعر
وهو يأوي الى البيان السهل ومن شأنه أن يجتني من ثمرات ذات أرواح لاذات أكمام
ويخرج من نفثاته شراب مختلف طعمه فيه شفاء للافهام وأين ماتنبته كثافة الخشب مما تنبته
لطافة المعنى ولا تستوي نضارة هذا الثمر وهذا الثمر ولا طيب هذا الجنى وهذا الجنى وقد

ارخص

المصيب) كف الثريا المبسوطة
ولها كف أخرى يقال لها الجذماء
وهي أسفل من الشرطين
(والعيوق) في طرف المجرة الايمن
وعلى أثره ثلاثة كواكب بينة
يقال لها الاعلام وهي توابع
العيوق وأسفل العيوق نجم يقال
له رجل العيوق (وسهيل) كوكب
أحمر منفرد عن الكواكب
وقربه من الافق تراه أبدا كأنه
يضطرب قال الشاعر
أراقب لوحا من سهيل كأنه
اذا ما بدا من آخر الليل يطرف
وهو من الكواكب اليمانية
ومطلعه عن يسار مستقبل قبلة
العراق وهو يرى في جميع أرض
العرب ولا يرى في شيء من بلاد
أرمينية وبين رؤية سهيل بالحجاز
وبين رؤيته بالعراق بضع عشرة
ليلة (وقلب) العقرب يطلع على
أهل الربذة قبل النسر بثلاث
والنسر يطلع على أهل الكوفة
قبل قلب العقرب بسبع وفي مجرى
قدمي سهيل من خلفهما كواكب
بيض كبار لا ترى بالعراق تسميها
أهل الحجاز الاعيار (والشعريان)
احداهما العبور وهي في الجوزاء
والاخرى الغميصاء ومع كل واحدة
منهما كوكب يقال له المرزم فهما
مرزما الشعريين (والسعود)
عشرة أربعة منها ينزل بها القمر
وقد ذكرناها والستة سعد ناشرة
وسعد الملك وسعد البهام وسعد
الهمام وسعد البارع وسعد مطر
وكل سعد منها كوكبان بين كل
كوكبين في رأي العين قدر ذراع
وهي متناسقة فهذه الكواكب
ومنازل القمر مشاهير الكواكب

أرخص الله ما يكثر وجوده فيذهب في لهوات الافواه وأغلى ما يعز وجوده فيبقى خالداً على ألسنة الرواة وكل هذه الاوصاف لا تصح الا في قلم سيدنا الذي اذا خلا بخاطره امتلأت بحديثه المحافل واذا خلا بكتابه وجدت الكتب الخالية من قبله وهي عواطل فله حينئذ أن ينظر الى غيره بعين الاحتقار ولواصفه أن يسهب وهو قائم مقام الاختصار هذا الفصل غريب عجيب وقد جمع بين الاضداد فناله بعيد وفهمه قريب وهو مأخوذ من سورة النحل ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في ذم بخيل وهو له شيعة في الجود لا يشام نائلها واذا اهتزها سائلها فال انها كلمة هو قائلها وهذا مأخوذ من سورة المؤمنين ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في صدر كتاب وهو وصل كتابه فوقف منه على اللفظ الرخيم والمعنى الذي هو في كل وادٍ يهيم وقال يا أيها الملأ اني ألقي الي كتاب كريم ثم أخذ في اعلاء قدره وتنويه ذكره ولم يستفت الملأ في الاذعان لامره ولا أهدى في قبالته سوى هدية لسانه وصدره لاجرم أنها تقبل ولا ترد ويعتد بها ولا تعد فانها مال لا ينفده الانفاق وجوهر تتحلى به الاخلاق لا الاعناق وهذا مأخوذ من قصة سليمان عليه السلام في كتابه الى بلقيس وهي مذكورة في سورة النمل وفي هذا من شرف الصنعة أنه خولف بين معانيه ومعاني ما أتى به القرآن الكريم ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في صدر كتاب يتضمن ذكر معركة حرب بين المسلمين والكفار وهو اذا خطب القلم عن الرمح الذي هو نديده قام محتفلا وأسهب مترويا ومرتجلا حتى يأتي في خطابته بالمعاني الاحائر وأصدق القول ما صدر عن شهادة الصرائر للضرائر وكتابنا هذا يصف معركة احمرت ضبابتها وضاقت بالاسود غابتها فالطعن بها محتضر والموت محتقر والنصر من كلا الفريقين معتصر وكان الاسلام هذا الزجر السنيح وفوز القدح المنيح ولبس الذي يرقب المعونة من الله الذي هو رب المسيح كمن يرقبها من المسيح ولقد نفذت الرماح في أعداء الله تعالى حتى اعتدلت من جانبي الصدور والظهور وتركت الناجي منهم وهو لا ينظر الى الصليب الا نظر الخائف المذعور فليس لهم من بعدها جيش يجمع ولا لواء يرفع وقد كانت بلادهم من قبل مانعة وهي الآن لا تنبت عنها ولا تمنع وهذه معركة قلت بها الرقاب المأسورة وكثرت النفوس المقتولة وقربت بها القرابين التي تأكلها النار لا لانها مقبولة ومعنى الآية في هذا الفصل مأخوذ من سورة آل عمران الا أنه خالفه وذلك أن القربان كان يقبل فتنزل النار تأكله وأجساد هؤلاء الكفار قربان تأكله النار لكنها لا تأكله لانه مقبول وباقي الفصل يتضمن معنى حسنا رقيقا ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن الشكوى من خلق بعض الاخوان وهو ولقد صبرت على أخلاقه العائثة وعاملته بالخليقة الرائثة وعالجته بضروب المعالجات فلم تنفع فيه رقى الراقية ولا نفث النافثة ولما أعيا علي اصلاحه أخذت بمقالة الخضر أوفي المرة الثالثة وهذا مأخوذ من قصة موسى عليه السلام وقصة الخضر في سورة الكهف ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في فصل من كتاب وهو تجمعوا في نار الندم يعرضون عليها غدوا وعشيا وصار الامر الذي كانوا يرجونه مخشيا وأضحوا كأهل النار الذين صاروا أعداء وكانوا شيعا وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا وهذا مأخوذ من سورة حم المؤمن ومن سورة سبأ ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في ذم غلام ابله كنت أقاسي من بلهه نكدا فكتبت يوما من الايام الى بعض اخواني كتابا وعرضت فيه بذكره فقلت ولقد ملكه النسيان حتى كأنه يقظ في صورة نائم وحتى حقق قول التناسخ في نقل أرواح الاناسي الى البهائم فما أرسل في حاجة الا ذهبت عن قلبه عينه وبصره ولا طلب منه ما استحفظه الا قال أرأيت اذ أوينا

التي تذكرها العرب في أشعارها (وأما الخنس) التي ذكرها الله تعالى فيقال هي زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وانما سماها خنسا لانها تسير في البروج والمنازل كسير الشمس والقمر ثم تخنس أي ترجع بينا ترى أحدها في آخر البروج كر راجعا الى أوله وسماها كنسا لانها تكنس أي تستتر كما تكنس الظباء (الاوقات) مضى هزيع من الليل وعنك وهدء من الليل وذلك من أوله الى ثلثه وجوز الليل وسطه وجهمة الليل أول مآخيره (والبلجة) آخره وهي مع السحر (والسدفة) مع الفجر (والسحرة) السحر الاعلى (والتنوير) عند الصلاة والخيط الابيض بياض النهار والخيط الاسود سواد الليل (والهاجرة) من الزوال الى قرب العصر وما بعد ذلك الاصيل والعصر والقصر الى تطفيل الشمس (ثم الطفل) والجنوح اذا أجنحت الشمس للغيب وهما (شفقان) الاحمر والابيض فالاحمر من لدن غروب الشمس الى وقت صلاة العشاء ثم يغيب ويبقى الابيض الى نصف الليل (والصبوح) شرب الغداة (والغبوق) شرب العشي (والقيل) شرب نصف النهار (والجاشرية) حين يطلع الفجر قال أبو زيد سميت جاشرية لانها شرب سحر اذا جشر الصبح وهو عند طلوع الفجر (والحقب) السنون واحدها حقبة والحقب الدهر وجمعه احقاب (والقرن) يقال هو ثمانون سنة ويوم الجمعة

الى الحضرة وهذا فصل يشتمل على عدة معان منها ما هو مأخوذ من القرآن الكريم من سورة الكهف ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى تقليد قاض وهو فصل منه فقلت والفضائل ما بقيت موجودة ولم تفقد وهى حبة وان أودى أربابها ولا يموت من لم يولد ومن أكرم ما أوتيه منها فضيلة التقوى التى الكرم من شعارها والعاقبة والحسنى كلاهما من آثارها وما اقول الا أنه اتخذها حارسا يمنع الخصم من تسور محرابه ويؤمن قلبه من الفتنة الداعية الى استغفاره ومتابه وقد قرن الله له هذه الفضيلة بالعلم الذى أعلمه بعلامته ووسمه بوسامته وقذف فى روعه ما لا يسأل معه عن السفينة وخرقها والغلام وقتله والجدار واقامته وعلى ما بلغه معه فانه فيه أحد المنهومين اللذين لا يشبعان واذا كان لغيره فيه نظر واحد وسمع فله فيه نظران وسمعان وفى هذا الفصل المختصر معانى عدة آيات وخبر من الاخبار النبوية أما الآية الاولى فقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأما الآية الثانية فقوله تعالى والعاقبة للتقوى وأما الثالثة فقوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب وأما الآية الرابعة فقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها وكذلك الى آخر القصة وهذا من أحسن ما يأتى فى هذا الباب ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى جملة كتاب يتضمن عناية ببعض الفقراء فقلت بعد الابتداء بصدر الكتاب وقد علم منه أنه يعد الطالب فضله فضلا ويرى التبرع بمعروفه فرضا اذا رآه غيره مع المسألة نفلا وما ذاك الا لأنه خلق توجد بطيب التربة وشرف الرتبة وأوتى من كنوز الكرم ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وما خرج على قومه من الاخلاق فى زينته وفضل الخلاق بطينة غير طينته ومن فضله أنه يسأل عن السائلين ويعتان فى استنباط أمل الآملين ثم مضيت على هذا النهج حتى أنهيت الكتاب والغرض أن تعلم أيها المتعلم كيف تضع يدك فى أخذ ما تأخذه من بعض الآية ثم تضيف اليه كلاما من عندك وتجعله مصوغا كما قدمته أنا فى هذا الموضع ألا ترى أنى أخذت بعض هذه الآية فى قصة من سورة القصص وهى قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين فهذه الآية أخذت بعضها وأضفت اليه كلاما من عندى حتى جاء كما تراه مصوغا وكذلك فعلت بالآية الاخرى من هذه السورة أيضا وهى قوله فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وهذا ينبغى لك اذا أردت أن تسلك هذه الطريق وقدرت على سلوكها وهى من محاسن الصناعة البلاغية وليس فوقها من الكلام ما هو أعلى درجة منها لانها ممزوجة بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به والله يختص بها من يشاء من عباده وفيما ذكرته من شرح هذه الآيات كفاية للمتعلم (وأما) الاخبار النبوية فكالقرآن العزيز فى حل معانيها ﴿فان قلت﴾ ان الاخبار النبوية لا يجرى فيها الامر مجرى القرآن اذ القرآن له حاصر وضابط وكل آياته تدخل فى الاستعمال كما قال بعضهم لو ضاع منى عقال لوجدته فى القرآن الكريم وأما الاخبار فليست كذلك لانها كثيرة لا تنحصر ولو انحصرت لكان منها ما يدخل فى الاستعمال ومنها ما لا يدخل ولا بد من بيان يمكن الاحاطة به والوقوف عنده ﴿قلت﴾ فى الجواب عن هذا ان أول ما تحفظه من الاخبار هو كتاب الشهاب فانه كتاب مختصر وجميع ما فيه يستعمل لانه يتضمن حكما وآدابا فاذا حفظته وتدربت باستعماله كما أريتك هو نا حصل عندك قوة على التصرف والمعرفة بما يدخل فى الاستعمال وما لا يدخل وعند ذلك تتصفح كتاب صحيح البخارى ومسلم والموطأ والترمذى

ومن

يوم العروبة (وأيام العجوز) عند العرب خمسة صن وصنبر وأخوهما وبر ومطفئ الجمر ومكفئ الظعن هذه الرواية الصحيحة عندهم قال ابن كناسة وهى فى نوء الصرفة وسميت الصرفة لانصراف البرد واقبال الحر (ويوم النحر) يوم الاضحى (ويوم القر) بعده لان الناس يستقرون فيه بمنى (ويوم النفر) اليوم بعده لان الناس ينفرون فيه متعجلين (والايام المعلومات) عشر ذى الحجة (والايام المعدودات) أيام التشريق سميت بذلك لان لحوم الاضاحى تشرق فيها او يقال سميت بذلك لقولهم اشرق ثبير كيما نغير وقال ابن الاعرابى سميت بذلك لان الهدى لا ينحر حتى تشرق الشمس (والتأويب) سير النهار كله (والاسآد) سير الليل كله (وربيعة) القوم ميرتهم فى اول الشتاء والدفئية ميرتهم فى قبل الصيف (وصائفتهم) فى الصيف (المطر) الوسمى مطر الربيع الاول عند اقبال الشتاء ثم يليه الربيع ثم يليه الصيف ثم الحميم الذى يأتى فى شدة الحر (والثرى) الندى تقول العرب شهر ثرى وشهر ندى وشهر مرعى ويقال ثريت السويق اذا بللته ويقال للعرق ثرى والعرب تسمى النبت ندى لانه بالمطر يكون وتسمى الشحم ندى لانه بالنبت يكون قال ابن أحمر

كثور العداب الفرد يضربه الندى تعلى الندى فى متنه وتحدرا

فالندى الاول المطر والندى الثانى الشحم ويقولون للمطر سماء

وسنن أبي داود وسنن النسائي وغيرهما من كتب الحديث وتأخذ ما تحتاج اليه وأهل مكة أخبر بشعابها والذي تأخذه ان أمكنك حفظه والدرس عليه فهو المراد لان ما لا تحفظه فلست منه على ثقة وان كان لك محفوظات كثيرة كالقرآن الكريم ودواوين كثيرة من الشعر وما ورد من الامثال السائرة وغير ذلك مما أشرنا اليه فعليك بداومة المطالعة للاخبار والاكثار من استعمال المعاني كلام حتى ترتقم على خاطرك فتكون اذا احتجت منها الى شيء وجدته وسهل عليك أن تأتي به ارتجالا فتأمل ما أوردته عليك واعمل به وكنت جردت من الاخبار النبوية كتابا يشتمل على ثلاثة آلاف خبر كلها تدخل في الاستعمال وما زلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين فكنت أنتهي من مطالعته في كل أسبوع مرة حتى دار على ناظري وخاطري ما يزيد على خمسمائة مرة وصار محفوظا لا يشذ عني منه شيء وهذا الذي أوردته ههنا في حل معاني الاخبار هو من هناك وسأذكر ما دار بيني وبين بعض علماء الادب في هذا الاسلوب الذي أنا بصدده ههنا وذاك أنه استوعره وأنكره وقال هذا لا يتهيأ الا في الشيء اليسير من الاخبار النبوية فقلت لا بل يتهيأ في الاكثر منها فقال قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اختصم اليه في جنين فقضى على من أسقطه بغرة عبد أو أمة فأين يستعمل هذا فأفكرت فيه ذكره ثم أنشأت هذا الفصل من الكلام وأودعته فيه قد كثر الجهل حتى لا يقال فلان عالم وفلان جاهل وضرب المثل بباقل وكم في هذه الصور المماثلة من باقل ولو عرف كل انسان قدره لما مشى بدن الا تحت رأسه ولا انتصب رأس الا على بدنه ولكان صاحب العمامة بعمامته وصاحب الرسن أحق برسنه وكنت سمعت بكاتب من الكتاب كله الى غثاثة وقلمه بمائة لا يستثمر وأي بطش لبغاثة واذا وجب الوضوء على غيره بالخارج من السبيلين وجب عليه من سبل ثلاثة هذا وهو يدعي أنه في الفصاحة أمة وحده ومن قس اياد وسحبان وائل عنده واذا كشف عن خاطره وجد بليدا لا يخرج عن العمه والبكمه وان رام أن يستنجبه في حين من الاحيان قضى عليه بغرة عبد أو أمة وكثيرا ما يتقدم ونقيصته هذه على الافاضل من العلماء وقد صار الناس الى زمان يعلو فيه حضيض الارض على هام السماء فلما أوردته عليه ظهرت امارة الحسد على صفحات وجهه وفلتات لسانه مع اعجابه به واستغرابه اياه ثم قال وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث وهو لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال فهذا أين يستعمل من المكاتبات فتروّيت في قوله ترويا يسيرا ثم قلت هذا يستعمل في كتاب الى ديوان الخلافة وأمليت عليه الكتاب فجاء هذا الحديث في فصل منه وهو اذا أفاض الخادم في وصف ولائه نكصت هم الاولياء عن مقامه وعلموا أنه أخذ الامر بزمامه فقد أصبح وليس بقلبه سوى الولاء والايمان فهذا يظهر أثره في طاعة السر وهذا في طاعة الاعلان وما عداهما فان دخوله الى قلبه من الاشياء المحظورة والملائكة لا تدخل بيتا فيه تمثال ولا صورة فليعول الديوان العزيز على سيف من سيوف الله يفري بلا ضارب ويسري بلا حامل ولا يسل الا بيد حق ولا يغمد الا في ظاهر باطل وليعلم أنه كرشه وعيبته في تضمن الاسرار وأنه أحد سعديه اذا عقت مواقف الانصار فلما رأى هذا الفصل بهت له وأعجب منه ثم انه لم أقنع بايراد ذلك الحديث حتى قرنت به حديثا آخر وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم الانصار كرشي وعيبتي * وحيث عرفتك أيها المتعلم ما تقتدي به في هذا الموضع فقد ذكرت لك أمثلة كثيرة تتدرب بها (فمن ذلك) ما ذكرته في دعاء كتاب من المكتب وهو أعاذ الله أيامه من الغير وبين بخطر مجده نقص كل خطر وجعل ذكره زاد الكل ركب وأنسا لكل سمر وصحبه من

لانه من السماء ينزل قال الشاعر

اذا نزل السماء بأرض قوم
رعيناه وان كانوا غضابا

وأضعف المطر الطل وأشده الوابل ومنه يكون السيل قال الشاعر

* ان ديموا جاد وان جادوا وبل *

يريد انه يزيد عليهم في كل حال وقال الله تعالى فان لم يصبها وابل فطل يريدان كلها كثير اشتد المطر أو قل النبات (الخلا) هو الرطب (والحشيش) هو اليابس ولا يقال له رطب (والشجر) ما كان على ساق (والنجم) ما لم يكن على ساق قال الله عز وجل والنجم والشجر يسجدان (والنور) من النبت الابيض (والزهر) الاصفر يكون أبيض قبل ثم يصفر هذا قول ابن الاعرابي (والاب) المرعى (والورس) يقال له الغمرة ومنه قيل غمرت المرأة وجهها (والقطبان) ياسمين البر (والخزامى) خيري البر (والعرار) بهار البر (والرف) بهرامج البر (والمظ) رمان البر (والايهقان) الجرجير ويقال هو نبت يشبهه (والاقحوان) البابونج ويقال هو القراص (والذرق) الحندقوق (والحوك) الباذروج (والحرض) الاشنان وهو الحمض (والحمض) ما ملح من النبت (والخلة) ما حلا تقول العرب الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها (والفيجن) السذاب (والعنصل) بصل البر (والفرفخ) البقلة الحمقاء وهي الرجلة ومنه يقول الناس فلان أحمق من رجلة والعوام يقولون من رجله (والقضب) الرطبة وهي أيضا القضاب وأصلها

فضله مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا المعنى مأخوذ من الحديث في وصف نعيم الجنة فنقمته الى الدعاء ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في وصف الحلم وهو تركته حتى جال في الميدان وامتد في الاشطان ولم انتصر خوفا من قيام الملك وقعود الشيطان والحليم لا يظهر أثر حلمه الا عند تلدده والكظيم هو أشد ما يخاف من تبدده وهذا المعنى أخذته من قصة أبي بكر رضي الله عنه في خصامه فانه بغي عليه ثلاث مرات وهو ساكت ففي الثالثة انتصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان الملك جالسا الى جانب أبي بكر يكذب خصمه عما يقول فلما انتصر قام الملك وقعد الشيطان ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في النصرة على العدو في موطن القتال وهو أخذنا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصر الذي نرجوه ونبذنا في وجه العدو كفا من التراب وقلنا شاهت الوجوه فثبت الله ما تزلزل من أقدامنا وأقدم حيزوم فأغنى عن اقدامنا وهذان المعنيان أحدهما مأخوذ من حديث غزوة حنين وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخذه قبضة من التراب وألقاها في وجوه الكفار وقوله شاهت الوجوه والمعنى الآخر مأخوذ من حديث غزوة بدر وذلك أن رجلا من المسلمين لاقى رجلا من الكفار وأراد أن يضربه فخر على الارض ميتا قبل أن يصل اليه وسمع الرجل المسلم صوتا من فوقه وهو يقول اقدم حيزوم فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فقال ذلك من مدد السماء الثالثة ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في ضيق مجال الحرب وهو وضاق الضرب بين الفريقين حتى اتصلت مواقع البيض الذكور وتصافحت الفور بالفور والصدور بالصدور واستظل حينئذ بالسيوف لاشتباك مجالها وتبوئت مقاعد الجنة التي هي تحت ظلالها وهو مأخوذ من الحديث النبوي صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في جملة كتاب أذم فيه الزمان فقلت ولكنها الايام تبدي لنا من جوهرها كل غريبة وتسوسنا سياسة العبد المجدع الذي كأن رأسه زبيبة وليس للمرء فيما يلقاه من احداثها نعمى كانت أو بوسى الا أن يكل الامور الى وليها فيقول حاج آدم موسى وهذا مأخوذ من الخبر النبوي في قوله صلى الله عليه وسلم حاج آدم موسى فقال له موسى أنت أخرجت الناس بخطيئتك من الجنة وأشقيتهم فقال له آدم أنت الذي اصطفاك الله تعالى برسالته وكلامه أتلومني على أمر كتبه الله تعالى علي قبل أن يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في وصف بعض الكتاب وهو فصل من كتاب كتبته اليه فقلت ولقد سردت عليه أحاديث البلاغة فاستغنى عن بسط ردائه وهدى الى جوامع كلمها فاقتدى الناس باهتدائه فاذا اشتبهت عنده مسالك طرقها لم يملكه سلطان الحيرة وان أغرب في أساليبها لم يقل فيه ما قيل في رواية أبي هريرة وهذا الفصل من أحسن ما يؤتى به في صناعة نثر المعاني وهو مأخوذ من حديث أبي هريرة قال قلت يا رسول الله أسمع منك أشياء فلا أحفظها فقال ابسط رداءك فبسطته فحدث حديثا كثيرا فما نسيت شيأ حدثني به ﴿وأما﴾ رواية أبي هريرة فشك فيها قوم لكثرتها وقد اجتمع في هذا الفصل معنى الحديث النبوي وغيره ومثل هذا لا يتفطن له عند الوقوف عليه الا من تبصر في الوقوف على الاخبار النبوية ومن أجل ذلك جعلته ركنا من أركان الكتابة في الفصل التاسع ﴿ومن ذلك﴾ ماذكرته في ذم بعض البلاد الوخمة فقلت ومن صفاتها أنها مدرة مستوبلة الطينة مجموع لها بين حمى مكة ولأواء المدينة الا أنها لم يأمن حرمها في الخطفة ولا نقلت حماها الى الجحفة في هذه الكلمات الفصل آية من القرآن الكريم وخبران من الاخبار النبوية فالآية من سورة العنكبوت وهي قوله

تعالى

بالفارسية أسبست (والعظلم) الوسمة (والعندم) دم الاخوين ويقال هو الابدع ويقال هو البقم (والجادي والزيهقان) الزعفران (والبرناء) الحناء مقصور مهموز وهو الرقون والرقان (والغسل) الخطمي (والفنا) مقصور عنب الثعلب ويقال هو نبت يشبهه (والحفاء) مقصور مهموز البردي (والشقر) شقائق النعمان واحده شقرة (واللصف) شيء ينبت في أصول الكبر كأنه خيار (والخزاب) بزر ابر (والقسط) بزر البحر (والرند) شجر طيب من شجر البادية وربما سموا العود رندا (والوقل) شجر المقل واحدته وقلة وهو الدوم (والخشل) المقل نفسه واحدته خشلة (والمضاف) الخلاف (والشوع) شجر البان (والتوت) هو الفرصاد (والبطم) الحبة الخضراء (والقر) الصبر (والشري) الحنظل وهو الخطبان (والهبيد) حبه (والصرب) الصمغ الاحمر (والمنقر) المرزنجوش (والحبلة) الكرم وكذلك الجفنة (والزرجون) الكرم قال الاصمعي وهو الخمر وهو بالفارسية زركون أي لون الذهب (والفرسك) الخوخ (والبلس) التين ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرق قلبه فليدمن أكل البلس (والضال) السدر البري (والعبري) ما نبت على شطوط الانهار وعظم

﴿أسماء القطنية﴾

(البلس) العدس والجلبان الخلر وهو شيء يشبه الماش (والفول)

تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وهذا موضع مختص بالاخبار لا بالآيات غير أن الآية جاءت ضمنا وتبعا وأما الخبران فالاول منهما قول النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ولأواء المدينة ضمنت له على الله الجنة وأما الثاني فقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه للمدينة اللهم حبب الينا كما حببت الينا مكة وانقل حماها الى الجحفة فانظر أيها المتأمل الى هذه الكلمات حتى تعلم أن عذوبتها مصوغة من الآية والخبرين سواء بسواء وهذا طريق لو ادعيت الانفراد بسلوكه لما اختلف علي في الاعتراف به اثنان ﴿ومن ذلك﴾ ما كتبته في كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتاب ورد منه وكان كتابه تأخر عني زمانا طويلا فقلت ولما تأملته صممته الي والترمته ثم استلمته والتثمته وعلمت أن المعارف وان قدمت أيامها انساب وشيجة وتأسيت بالخلق النبوي في العجوز التي كانت تأتي في زمن خديجة وهذا مأخوذ من الخبر المنقول عن عائشة رضي الله عنها وهو أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذبح الشاة فيعضيها أعضاء ويقسمها في أصدقاء خديجة وكانت تأتيه عجوز فيكرمها ويبسط لها رداءه فسألته عن ذلك فقال هذه كانت تأتينا في زمن خديجة وحسن العهد من الايمان ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في وصف كتاب وهو كل سطر منه روضة غير أنها ليل في صباح وكل معنى منه دمية غير أن ليس على مصورها من جناح وهذا مأخوذ من الحديث في تحريم الصور ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في وصف كريم وهو فأغنى بجوده اغناء المطر وسما الى المعالي سمو الشمس وسار في منازلها مسير القمر ونتج من أبكاره صائله ما اذا ادعاه غيره قيل للعاهر الحجر وهذا المعنى من قول النبي صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في وصف الفصاحة فقلت افكار الخواطر لا تستولد على انفرادها وعايتها أن يتناكح في استنتاج أولادها وأنا أنكح فكري لفكري نكاح الانساب ولا أخاف ان أضوى فأميل الى الاغتراب وهذا مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم في الامر بنكاح البعيدة النسب فقال غربوا لا تضووا يريد بذلك أن الانسان اذا انكح المرأة القريبة اليه حصل بينهما حياء يمنع من قضاء الشهوة كما ينبغي فيجيء الولد ضاويا أي هزيلا وهذا معنى غريب لي استخرجته من الحديث النبوي ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الاخوان جوابا عن كتاب ورد منه يتضمن الشكوى من شخص جرت بينه وبينه مخاصمة فقلت وصل كتابه وهو كتاب من أكثر الشكوى وطلب العدوى ونزل من التظلم بالعدوة الدنيا وأنزل خصمه بالعدوة القصوى والقاضي لا يحكم لاحد الخصمين حتى يحضر صاحبه وان فقئت عين أحدهما فربما فقئت عين الآخر وهشم حاجبه على انه قد اعترف أن كليهما كان للحم أخيه آكلا وعليه في حال محضره جاهلا وسباب المؤمن معدود من فسوقه والطرائق عن ورد هذا المقام أولى من طروقه ولولا تغليظ التكبر لما جعل اللسان واليد سواء فيما اجترحا ولما أخر الله المغفرة عن المتشاحنين فيها حتى يصطلحا فكن أنت من أطاع تقواه لا هواه واتبع من علم الحق فرآه أو سمعه فرواه واعلم أن تهاجر الاخوين فوق الثلاث من منهيات الحرام وان الفائز بالاجر منهما هو البادئ بالسلام ودفع السيئة بالحسنة يجعل العدو وليا حميما وقد جعل الله المتخلق بهذا الخلق صابرا وجعل له حظا عظيما والشيطان انما يحوم على آثاره مواقع الشنآن ولا يعدم من أعماله بينه شيئا لا ما زيل بين الاخوان في هذا الفصل معاني آيات وأخبار وهذا الموضع مختص بذكر الاخبار دون الآيات فأول المعاني المأخوذة من الاخبار قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتاك أحد الخصمين وقد فقئت عينه فلا تحكم له فربما

الباقلا (والجلبان) السمسم (والنفدة) الكزبرة والكرويا (والدخن) الجاورس (والسلت) ضرب من الشعير رقيق القشر صغير الحب (والاحريضة) حب العصفر وهو القرطم (النخل) • الكرنافة • أصل السعفة التي ييبس وجمعها كرانيف (والكربة) التي تيبس فتصير مثل الكف (والجريد والعسب) السعف واحده عسيب (والكثر والجذب) الجمار وهو قلب النخلة وقلبها وقلبها والجميع قلبة وصغار النخل الاشاء (والودي) الفسيل واحدها ودية وأول حمل النخل (الطلع) فاذا انشق فهو الضحك وهو الاغريض ثم البلح ثم السياب ثم الجدال اذا استدار واخضر قبل ان يشتد ثم البسر اذا عظم ثم الزهو اذا احمر يقال أزهى يزهي فاذا بدت فيه نقط من الارطاب فهو موكت فان كان ذلك من قبل الذنب فهي مذنبة وهو التذنوب فاذا لانت فهي ثعدة فاذا بلغ الارطاب نصفها فهي مجزعة فاذا بلغ ثلثيها فهي حلقانة فاذا عمها الارطاب فهي منسبتة (والخلب) الليف واحدها خلبة وأهل الحجاز يدعون الدبس الصقر (والعفار والابار) تلقيح النخل (والجباب والجباب والجداد والجداد والجرام والجرام والقطاع والقطاع) كله الصرام وهو رفال النخل ولا يقال نخل (والعذق) النخلة نفسها (والعذق) الكباسة وعودها عرجون واهان (والشمراخ والعثكال) ما عليه البسر موضع

أنى خصمه وقد فقئت عيناه وأما المعنى الثانى فقوله صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأما المعنى الثالث فقوله صلى الله عليه وسلم ان الاعمال تعرض على الله يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل امرئ لا يشرك بالله شيأ الا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا وأما المعنى الرابع فقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث وأما المعنى الخامس فقول النبى صلى الله عليه وسلم اذا التقى المتهاجران فأعرض هذا وأعرض هذا فخيرهما الذى يبدأ بالسلام وأما المعنى السادس فقوله صلى الله عليه وسلم ان ابليس له عرش على البحر فيبث بنيه فى آفاق الارض فيأتى أحدهم فيقول فعلت كذا وفعلت كذا فيقول ما فعلت شيأ ويأتى أحدهم فيقول زيلت بينه وبين أخيه أو بينه وبين زوجته فيقول نعم الولد أنت فانظر كم فى هذه الاسطر اليسيرة من معنى خبر نبوى هذا سوى ما فيها من معانى الآيات واذا اعددت هذه الكلمات المذكورة فى هذه الاسطر وجدتها جميعها منتظمة من الآية والخبر وهذا مما يدلك على الاكثار من المحفوظ واستحضاره عند الحاجة اليه على الفور

﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى صدر كتاب وهو جواب عن كتاب يتضمن تهديدا وتخويفا فقلت ورد الكتاب مضمنا من الوعد والوعيد ما آنس نفس المملوك وأوحشها ونقع صداه وأعطشها وأقام له من الظنون السيئة جنودا تقاتله وتأخذ عليه شعب الافكار فلا تزاوله وكانت كلماته طوالا وأوراقه ثقالا وما أتت سطر من سطوره الا كان الآخر له عقالا ولما استكمل الوقوف عليه تقلبت أطوار الخوف والرجاء من أطواره وعرضت عليه الجنة والنار فى قرطاسه كما عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عرض جداره ولولا وثوقه بأناة مولانا لذهبت نفسه فرقا وابتغى فى السماء سلما وفى الارض نفقا لكنه قد توسم فى كرمه مخايل الصنع الوسيم وغره منه ما غره من ربه الكريم وعلم أن خلق حلمه يغلب خلق غضبه اذ هذا حادث وذاك قديم وفى هذا الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو أنه كان صلوات الله عليه يخطب فمال بيده الى الجدار وقال عرضت على الجنة والنار فى عرض هذا الجدار فلم أر كاليوم فى الخير والشر

﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى صدر كتاب الى بعض الاخوان وهو الخادم يواصل بالدعاء الذى لا يزال لقلبه زميلا ولسانه رسيلا واذا رفع أدنته الملائكة قربا اذا تباعدت عن غيره ميلا ولا اعتداد بالدعاء الا اذا صدر عن أكرم مصدر ووجد له فوق السماء مظهرا وان لم يكن هنالك من مظهر ووصف باطنه بأنه الابيض الناصع الذى هو خير من ظاهر الاشعث الاغبر ولا يعامل الخادم أهل وده الا بهذه المعاملة ومن خلقه المجازفة فى بذل المودة اذا أخذ الناس بنسبة المكايلة فى هذا معنى خبرين أحدهما قول النبى صلى الله عليه وسلم انه اذا كذب الكاذب تباعد الملك عنه ميلا لنتن كذبه والآخر قوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره

﴿ومن هذا الباب﴾ ما ذكرته فى كتاب يتضمن خطبة مودة فابتدأت الكلام فيه بعد تصدره بالدعاء فقلت لولا العادة لرفع الخادم كتابه هذا أن يسطر فى ورقة وليس ذلك الا لرساله فى خطبة مودة رأى صورتها فى سرقة ولما تأملها قال ان يكن ذلك من عند الله يمضه وأبدى لها صفحة الرضا وان كانت كل مودة لم ترضه وخير المودات ما ليس لها ضرة تشاركها فى وسامتها ولا تضاهيها فى درجة كرامتها فتلك التى تزدهى ذا الهمة أبوة وجمالا ولم يغل له مهرها ولو بذل فيه نفسا الا مالا وما يخطبها الخادم الا هذه المودة التى خطبها وقد علمت أن تكون راغبة ولكن هو الذى أرغبها على أنه لم يترشح لها الا من هو من أكفائها وليست الكفاءة ههنا الا ما تبذله الضمائر من صفائها وقد أتاح

التمر الذى يجمع قبل اذا صرم (المربد) ويسمى الجرين أيضا وجمع الضل الصور والحشش

﴿باب ذكور ما اشتهر منه الاناث﴾

(اليعاقيب) ذكور الحجل واحدها يعقوب (والسلك) الذكر من فراخها والانثى سلكة (والحزب) ذكر الحبارى (وسارقحر) ذكر القمارى (والفياد) ذكر البوم ويقال هو الصدى (واليعسوب) ذكر النحل وهو أميرها (والحنظب والعنظب) ذكر الجراد وفى كتاب سيبويه (العنظباء) فأما الحنظب بفتح الظاء فذكر الخنافس وهو أيضا الخنفس (والحرباء) ذكر أم حبين (والعضرفوط) ذكر العظاء (والضبعان) ذكر الضباع (والافعوان) ذكر الافاعى (والعقربان) ذكر العقارب (والثعلبان) ذكر الثعالب قال الشاعر

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد ذل من بالت عليه الثعالب

(الغيلم) ذكر السلاحف والانثى سلحفاة بتحريك اللام وتسكين الحاء ويقال سلحفية (والعلجوم) ذكر الضفادع (والشيهم) ذكر القنافذ قال الشاعر وهو الاعشى

لئن جد أسباب العداوة بيننا
لترتحلن منى على ظهر شيهم

(والخزز) الذكر من الارانب وجمعه خزان (والحيقطان) ذكر الدراج (والظليم) ذكر النعام (والقط والضيون) ذكر السنانير

﴿باب اناث ما اشتهر منه الذكور﴾

الانثى من الذئاب (سلقة وذئبة) والانثى من الثعالب ثرملة وثعلبة (والانثى) من الوعول (أروية)

الله لهـا كموا كثر من ايناسها ويصدوا من البرق محلة نامسها ويجعل كل يوم من أيامها عرسا حتى تتصل مواسم أعراسها ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب والمعنى المأخوذ فيـه من الخبر النبوى فى موضعين الاول أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشـة رضى الله عنها ان جبريل عليه السلام عرض على صورتك فى سرقة والسرقة حريرة بيضـاء وقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة فقلت ان يكن ذلك من عند الله يمضه فأخذت أنا هذا المعنى ونقلته الى خطبة مودة ولا يأتى فى خطبة المودات شئ أحسن منه ولا ألطف ولا أشد مقصدا الخبر النبوى الثانى قول النبى صلى الله عليه وسلم انما تنكح المرأة لاربع لحسبها أو لدينها أو لمالهـا أو لجمالها فقلت أنا فتلك التى تزدهى ذات المهمة أبوة وجمالا أى قد جمعت الحسب والجمال ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى سبب حب المال وهو بين المال علاقة وكيدة وبين القلوب وهى له بمنزلة المحب وهو لهـا بمنزلة المحبوب وليس ذلك الالان الله قبض قبضة من جميع الارض فخلق آدم من تلك القبضة ويوشك حينئذ أن صورة قلبه تكونت من معدن الذهب والفضـة ولولا أن يكون منهما عنصر ابدائه لما جعلهما الاطباء دواء من دائه فلا تستغرب اذن أن تكون على حبهما مطبوعا اذ كان منهما مصنوعا وهذا المعنى من قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والحزن والسهل والخبيث والطيب غير أنى استنبطت أنا حب المال من هذا الحديث وهو معنى غريب لم أسبق اليه ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى وصف كلام وهو وليس السحر ما أودع فى جف طلعة بل ما أودع فى صوغ معنى أو نظم سجعة وذلك لبيد فى شعره أسحر من لبيد فى سحره وكلا صنعيهما من الغريب العجيب غير أن ما يستنبط من القلب أعجب مما يدفن فى القليب وهذا المعنى مأخوذ من قصة لبيد بن الاعصم فى سحره لنبى صلى الله عليه وسلم ومن عرف القصة وصورتها علم ما قد ذكرته فى نثر هذه الكلمات البديعـة ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى وصف المنجنيق من جملة كتاب فقلت ونصب المنجنيق فجثم بين يدى السور مناصبا وبسط كفه اليه موآتيا ثم تولى عقوبته بعصاه التى تفتك بأحجاره واذا عصى عليها بلد أخذت فى تأديب أسواره فما كان الا أن استمرت عقوبتها عليـه حتى صار قائمه حصيدا وعاصيه مستقيدا وقال ألم يكن نهى عن المد والتجريد فمالى لا أرى الامداد وتجريدا وعند ذلك أذعن لفتح الابواب وتلا قوله تعالى لكل أجل كتاب وكذلك لم يأت صعبا لا استسهل ولا حثثنا مطيا الا استعجل واطالما وقف غيرنا على هذا البلد فشفه طول الانتظار ولم يحظ منـه لا عسالة المنصب أحجار الديار فى هذا الفصل معنى خبر من الاخبار النبوية وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم فى النهى عن ضرب المحدود لا مد ولا تجريد أى لا يمد على الارض ولا يجرد عنـه ثوبه ﴿ومن ذلك﴾ ما ذكرته فى صدر كتاب الى الديوان العزيز النبوى وهو خلد الله دولة الديوان العزيز النبوى ولا زالت أكنافها وادعة وعلياؤها جامعة وجدودها كالنجوم التى ترى فى كل حين طالعة وأيامها كالليالى ساكنة ولياليها كالايام ناصعة وأبوابها كأبواب الجنة التى يقال فيها ثامن وثامنـة اذا قيل فى أبواب غيرها سابع وسابعه وهـذا الدعاء قد استجابه الله قبل أن ترفع اليه يد أو ينطق به ضمير وذا دعا به خادم وجد صنع الله قد سبقه أولا وماء هو فى الزمن الاخـير فليس له حينئذ الا أن يدعو لما خوله الديوان العزيز بالدوام وأن يعيذه من النقص بعد التمام ثم يستهدى ما يؤهل له من الخدم التى يعتدها من لطائف الاحسان واذا ندب لتكاليف أوامرها قال والحمد والشكر يسعدان ولا شك أن درجات

وثلاث أراوى الى العشر فاذا كثرت فهى الاروى والانثى من القرود (قشة) والانثى من الارانب (عكرشة) والانثى من العقبان (لقوة) والانثى من الاسود (لبوة) بضم الباء وبالهمزة والانثى من العصافير (عصفورة) والانثى من النمور (نمرة) ومن الضفادع (ضفدعة) ومن القنافذ (قنفذة) ويقال برذون وبرذونة

﴿باب ما يعرف جمعه ويشكل واحده﴾

(الدوارج) واحدها دارج وذراح وذروح (والمصارين) واحدها مصران بضم الميم وواحد مصران مصير (وأفواه الازقة والانهار) واحدها فوهة (وأفواه الطيب) واحدها فوه (والغرانيق) طير الماء واحدها غرنوق وغرنوق وهو الرجل الشاب التام الناعم (وفرادى) جمع فرد (آونة) جمع أوان على تقدير زمان وأزمنة (الاولى) فى معنى الذين واحدها الذى وأولوا النهى واحدها ذو وهى وذو وسواء (فلان من علية الرجال) واحدهم على مثل صبى وصبية (الشمائل) وحدها شمال قال الشاعر وهو عبد يغوث بن وقاص الحارثى

ألم تعلما أن الملامة نفعها
قليل وما لومى أخى من شماليا

(بلغ أشده) واحدها أشد ويقال شد وأشد مثل قد وأقد ويقال لا واحد لها (سواسية) واحدها سواء على غير قياس (الزبانية) واحدهم زبنية مأخوذ من الزبن وهو الدفع كأنهم يدفعون أهل النار اليها قال قتادة هم الشرط

الاولياء تتفاوت فى الصفات والاسماء فمنها ما يكون ببطن الارض ومنها ما يرى كالكوكب فى أفق السماء ولولا النهى عن تزكية المرء نفسه لادعى الخادم أن له أعلاها وجابالاولياء من بعده مثال والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها لكنه لا يعن عما يعتقده عند الله من ذخره وسر الولاء فى هذا المقام أكرم من جهره وليس الذى يعن بصلاته وصيامه كالذى يعن بسر وقر فى صدره والله لا ينظر الى الاعمال وانما ينظر الى القلوب وفرق بين المطيع بحضر الشهادة وبين المطيع بظهر الغيوب ولو اطلع الديوان العزيز على ضمير الخادم فى الطاعة لسره وعلم أن الاشعث الاغبر الذى لو أقسم على الله لابره فى هذا الفصل من الآيات والاخبار عدة مواضع وهذا الموضع مختص بالاخبار فنذكرها دون الآيات أما الاول منها فقول النبى صلى الله عليه وسلم انكم ترون أهل الدرجات العلى فى الجنة كما ترون الكوكب فى أفق السماء وأما الخبر الثانى فقوله صلى الله عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا صيام ولكن فضلكم بسر وقر فى صدره وأما الخبر الثالث فقوله صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لابره وفيما أوردته من حل المعانى الشعرية وحل آيات القرآن والاخبار النبوية طريق واضح لمن يقوى على سلوكه والله الموفق للصواب

﴿المقالة الاولى فى الصناعة اللفظية﴾

وهى تنقسم قسمين ﴿القسم الاول فى اللفظة المفردة﴾ اعلم انه يحتاج صاحب هذه الصناعة فى تأليفه الى ثلاثة أشياء الاول منها اختيار الالفاظ المفردة وحكم ذلك حكم اللآلى المبددة فانها تتخير وتنتقى قبل النظم الثانى نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها لئلا يجىء الكلام قلقا نافرا عن مواضعه وحكم ذلك حكم العقد المنظوم فى اقتران كل لؤلؤة منه بأختها المشاكلة لها الثالث الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه وحكم ذلك حكم الموضع الذى يوضع فيه العقد المنظوم فتارة يجعل اكليلا على الرأس وتارة يجعل قلادة فى العنق وتارة يجعل شنفا فى الاذن ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه فهذه ثلاثة أشياء لابد للخطيب والشاعر من العناية بها وهى الاصل المعتمد عليه فى تأليف الكلام من النظم والنثر فالاول والثانى من هذه الثلاثة المذكورة هما المراد بالفصاحة والثلاثة بجملتها هى المراد بالبلاغة وهذا الموضع يضل فى سلوك طريقه العلماء بصناعة صوغ الكلام من النظم والنثر فكيف الجهال الذين لم تنفحهم رائحة ومن الذى يؤتيه الله فطرة ناصعة يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار حتى ينظر الى أسرار ما يستعمله من الالفاظ فيضعها فى مواضعها ومن عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد وكلاهما حسن فى الاستعمال وهما على وزن واحد وعدة واحدة الا أنه لا يحسن استعمال هذه فى كل موضع تستعمل فيه هذه بل يفرق بينهما فى مواضع السبك وهذا لا يدركه الا من دق فهمه وجل نظره فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقوله تعالى رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فاستعمل الجوف فى الاولى والبطن فى الثانية ولم يستعمل الجوف موضع البطن ولا البطن موضع الجوف واللفظتان سواء فى الدلالة وهما ثلاثيتان فى عدد واحد ووزنهما واحد أيضا فانظر الى سبك الالفاظ كيف تفعل وعلى ما يجرى هذا المجرى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى وقوله ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فالقلب والفؤاد سواء فى الدلالة وان كانا مختلفين فى الوزن ولم يستعمل فى القرآن أحدهما فى موضع الآخر وعلى هذا ورد قول الاعرج من أبيات الحماسة

نحن

عند العرب قال الكيسائى من قال الالك فواحده ذالك ومن قال أولئك فواحده ذلك (الكماة) واحدها كمء

﴿باب ما يعرف واحده ويشكل جمعه﴾

(الدخان) جمعه دواخن وكذلك (العثان) جمعه عواثن ولا يعرف لهما نظير والعثان الغبار (امرأة نفساء) وجمعها نفاس وناقة (عشراء) وجمعها عشار وجمع (رؤيا) رؤى (والدنيا) دنى مثل الكبرى والصغرى تقول الكبر والصغر وكذلك (الجلى) وهو الامر العظيم جمعها جلل (الكروان) جمعه كروان (المرآة) جمعها مراءى (اللأمة) الدرع جمعها لؤم على مثال فعل على غير قياس كأنه جمع لومة (والحدأة) الطائر جمعها حدأ وحدآن (اللصوص) طائر وجمعه اللصى على غير قياس (الخط) جمعه خطوط واخط على القياس واخط وأخاط على غير قياس (طست) والجمع طساس بالسين لان أصلها السين فابدلوا من احدى السينين تاء استثقالا لاجتماعهما فى آخر الكلمة فاذا جمعت فرقت بينهما الالف فرددت السين ومثلها ست أصلها سدس وذلك انك تقول فى تصغيرها سديسة وتقول سدس وطسيسة اذا انثت (وتقول) فى جمع الايام سبت وسبوت وأسبتوا أحد وآحاد والاثنان لا يثنى ولا يجمع لانه مثنى فان أحببت ان تجمعه كانه لفظ مبنى للواحد قلت اثانين وثلاثاء وثلاثاوات وأربعاء وأربعاوات وخميس وأخمسة

نحن بنو الموت اذا الموت نزل * لاعار بالموت اذا حم الاجل

* الموت أحلى عندنا من العسل *

﴿وقال أبو الطيب المتنبي﴾

اذا شئت حفت بي على كل سابح * رجال كأن الموت في فمها شهد

فهاتان لفظتان هما العسل والشهد وكلاهما حسن مستعمل لايشك في حسنه واستعماله وقد وردت لفظة العسل في القرآن دون لفظة الشهد لانها أحسن منها ومع هذا فان لفظة الشهد وردت في بيت أبي الطيب فجاءت أحسن من لفظة العسل في بيت الاعرج وكثيرا ما نجد أمثال ذلك في أقوال الشعراء المفلقين وغيرهم ومن بلغاء الكتاب ومصقعي الخطباء وتحته دقائق ورموز اذا علمت وقيس عليها أشباهها ونظائرها كان صاحب الكلام في النظم والنثر قد انتهى الى الغاية القصوى في اختيار الالفاظ ووضعها في مواضعها اللائقة بها واعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الالفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها لان التركيب أعسر وأشق ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملها العرب ومن بعدهم ومع ذلك فانه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك الا لفضيلة التركيب وهل تشك أيها المتأمل لكتابنا هذا اذا فكرت في قوله تعالى وقيل ياأرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين أنك لم تجد ماوجدته لهذه الالفاظ من المزية الظاهرة الا لامر يرجع الى تركيبها وأنه لم يعرض لها هذا الحسن الا من حيث لاقت الاولى بالثانية والثالثة بالرابعة وكذلك الى آخرها وان ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى لفظة منها لو أخذت من مكانها وأفردت من بين أخواتها كانت لابسة من الحسن مالبسته في موضعها من الآية ومما يشهد لذلك ويؤيده أنك ترى اللفظة تروقك في كلام ثم تراها في كلام آخر فتكرهها فهذا ينكره من لم يذق طعم الفصاحة ولا عرف أسرار الالفاظ في تركيبها وانفرادها وسأضرب لك مثالا يشهد بصحة ماذكرته وهو أنه قد جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن وبيت من الشعر فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة فأثر التركيب فيها هذين الوصفين الضدين أما الآية فهي قوله تعالى فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق وأما بيت الشعر فهو قول أبي الطيب المتنبي

تلذ له المروءة وهي تؤذي * ومن يعشق يلذ له الغرام

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة الا أن لفظة تؤذي قد جاءت فيه وفي الآية من القرآن فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها وحسن موقعها في تركيب الآية فأنصف أيها المتأمل لما ذكرناه واعرضه على طبعك السليم حتى تعلم صحته وهذا موضع غامض يحتاج الى فضل فكرة وامعان نظر وما تعرض للتنبيه عليه أحد قبلي وهذه اللفظة التي هي تؤذي اذا جاءت في الكلام فينبغي أن تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كقوله تعالى ان ذلكم كان يؤذي النبي وقد جاءت في قول المتنبي منقطعة ألا ترى أنه قال تلذ له المروءة وهي تؤذي ثم قال ومن يعشق يلذ له الغرام فجاء بكلام مستأنف وقد جاءت هذه اللفظة بعينها في الحديث النبوي وأضيف اليها كاف الخطاب فأزال ما بها من الضعف والركة وذلك انه اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام ورقاه فقال بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك فانظر الى السر في استعمال اللفظة الواحدة فانه لم يزد على هذه اللفظة حرف واحد أصلحها

واخمسة وجمعة وجمعات وجمع (وتقول) في جمع الشهور شهور المحرم والمحرمات وصفر وأصفار وشهر ربيع وشهور ربيع وكذلك شهر رمضان وشهور رمضان ورجب وأرجاب فان أفردت قلت أربعاء وأربعة ورمضانات وجماديات وشعبانات وشوال وشوالات وشواويل وذوات القعدة وذوات الحجة (وربيع) الكلا يجمع أربعة وربيع الجدول أربعاء (والسماء) اذا كان مطرا جمع سميا واذا كان السماء نفسها جمع سموات

﴿معرفة في الخيل ومايستحب في خلقها﴾

يستحب في الاذن الدقة والانتصاب (ويكره) فيها الخذا وهو استرخاؤها قال الشاعر

يخرجن من مستطير النقع دامية
كأن آذانها أطراف أقلام

(ويستحب) في الناصية السبوغ (ويكره) فيها السفا وهو خفة الناصية وقصرها قال عبيد

مصبر خلقها تصبيرا
ينشق عن وجهها السبيب

وهو شعر الناصية (وقال سلامة ابن جندل)

ليس بأقنى ولا أسفى ولا سغل
يعطى دواء قفي السكن مربوب

(والسماء) في البغال والحمير محمود (قال الشاعر)

جاءت به معتجرا ببرده
سفواء تردي بنسيج وحده

قال ابن كيسان سفواء ههنا السريعة يعني بغلة (ويكره) أيضا من النواصي الغماء وهي المفرطة في كثرة الشعر (والمحمود) منها

وحسنها ومن ههنا تزاد الهاء في بعض المواضع كقوله تعالى فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت أني ملاق حسابيه ثم قال ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه فان الاصل في هذه الالفاظ كتابي وحسابي ومالي وسلطاني فلما أضيفت الهاء اليها وتسمى هاء السكت أضافت اليها حسنا زائدا على حسنها وكستها لطافة ولباقة وكذلك ورد في القرآن الكريم ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فلفظة لي أيضا مثل لفظة يؤذي وقد جاءت في الآية مندرجة متعلقة بما بعدها واذا جاءت منقطعة لا تجيء لائقة كقول أبي الطيب أيضا

تمسي الاماني صرعى دون مبلغه ● فما يقول لشيء ليت ذلك لي

وربما وقع بعض الجهال في هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه كقول أبي الطيب

ما أجدر الايام والليالي ● بأن تقول ماله ومالي

فان لفظة لي ههنا قد وردت بعدما وقبلها ماله ثم قال ومالي فجاء الكلام على نسق واحد ولو جاءت لفظة لي ههنا كما جاءت في البيت الاول لكانت منقطعة عن النظير والشبيه فكان يعلوها الضعف والركة وبين ورودها ههنا وورودها في البيت الاول فرق يحكم فيه الذوق السليم وههنا من هذا النوع لفظة أخرى قد وردت في آية من القرآن الكريم وفي بيت من شعر الفرزدق فجاءت في القرآن حسنة وفي البيت الشعر غير حسنة وتلك اللفظة هي لفظة القمل أما الآية فقوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات وأما البيت الشعر فقول الفرزدق

من عزه احتجرت كليب عنده ● زربا كأنهم لديه القمل

وانما حسنت هذه اللفظة في الآية دون هذا البيت من الشعر لأنها جاءت في الآية مندرجة في ضمن كلام ولم ينقطع الكلام عندها وجاءت في الشعر قافية أي آخرا انقطع الكلام عندها واذا نظرنا الى حكمة أسرار الفصاحة في القرآن الكريم غصنا منه في بحر عميق لا قرار له فمن ذلك هذه الآية المشار اليها فانها قد تضمنت خمسة ألفاظ هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وأحسن هذه الالفاظ الخمسة هي الطوفان والجراد والدم فلما وردت هذه الالفاظ الخمسة بجملتها قدم منها لفظة الطوفان والجراد وأخرت لفظة الدم آخرا وجعلت لفظة القمل والضفادع في الوسط ليطرق السمع أولا الحسن من الالفاظ الخمسة وينتهي اليه آخرا ثم ان لفظة الدم أحسن من لفظتي الطوفان والجراد وأخف في الاستعمال ومن أجل ذلك جيء بها آخرا ومراعاة مثل هذه الاسرار والدقائق في استعمال الالفاظ ليس من القدرة البشرية ﴿وقد ذكر﴾ من تقدمني من علماء البيان للالفاظ المفردة خصائص وهيآت تتصف بها واختلفوا في ذلك واستحسن أحدهم شيأ خولف فيه وكذلك استقبح الآخر شيأ خولف فيه ولو حققوا النظر ووقفوا على السر في اتصاف بعض الالفاظ بالحسن وبعضها بالقبح لما كان بينهم خلاف في شيء منها وقد أشرت الى ذلك في الفصل الثامن من مقدمة كتابي هذا الذي يشتمل على ذكر الفصاحة وفي الوقوف عليه والاحاطة به غنى عن غيره لكن لابد أن نذكر ههنا تفصيلا لما أجملناه هناك لانا ذكرنا في ذلك الفصل أن الالفاظ داخلة في حيز الاصوات لانها مركبة من مخارج الحروف فما استلذه السمع منها فهو الحسن وما كرهه ونبا عنه فهو القبيح واذا ثبت ذلك فلا حاجة الى ما ذكر من تلك الخصائص والهيآت التي أوردها علماء البيان في كتبهم لانه اذا كان اللفظ لذيذا في السمع كان حسنا واذا كان حسنا

دخلت

المتدلة وهي الجثلة (ويستحب) في الخد الاسالة والملاسة والرقة وذلك من علامات العتق والكرم (ويستحب) في الجبهة السعة ولذلك قال امرؤ القيس

لها جبهة كسراة المجن ● حذفه الصانع المقتدر

والمجن الترس (ويستحب) في العين السمو والحدة قال أبو دواد

طويل طامح الطر ● ف الى مفزعة الكلب

حديد الطرف والمنـ ● كب والعرقوب والقلب

وهم يصفونها بالقلب والشوس والخوص وليس ذلك عيبا فيها ولا هو خلقة انما تفعله لعزة (قالت الخنساء)

ولما ان رأيت الخيل قبلا ● تباري بالخدود شبا العوالي

(ويستحب) في المنخر السعة لانه اذا ضاق شق عليه النفس فكتم الربو في جوفه فيثال له عند ذلك قد كبا الفرس وهو فرس كاب وربما شق منخره قال امرؤ القيس

لها منخر كوجار الضبا ● ع فمنه تريح اذا تنبهر

(وقال آخر)

● لها منخر مثل جيب القميص ●

(ويستحب) في الافواه الهرت قال الشاعر

● وربت قصير عذار اللجا ● م أسيل طويل عذار الرسن

لم يرد بقوله قصير عذار اللجام انه قصير الخد وكيف يريد ذلك وهو يقول أسيل طويل عذار الرسن ولكنه أراد انه هريت وان مشق شدقيه من الجانبين مستطيل فقد قصر عذار لجامه ثم قال طويل

دخلت تلك الخصائص والهيآت فى ضمن حسنه ﴿وقد رأيت﴾ جماعة من الجهال اذا قيل لأحدهم ان هذه اللفظة حسنة وهذه قبيحة أنكر ذلك وقال كل الالفاظ حسن والواضع لم يضع الاحسنا ومن يبلغ جهله الى أن لا يفرق بين لفظة الغصن ولفظة العسلوج وبين لفظة المدامة ولفظة الاسفنط وبين لفظة السيف ولفظة الخنشليل وبين لفظة الاسد ولفظة الفدوكس فلا ينبغى أن يخاطب بخطاب ولا يجاوب بجواب بل يترك وشأنه كما قيل اتركوا الجاهل بجهله ولو ألقى الجعر فى رحله وما مثاله فى هذا المقام الا كمن يسوّى بين صورة زنجية سوداء مظلمة السواد شوهاء الخلق ذات عين محمرة وشفة غليظة كأنها كلوة وشعر قطط كأنه زبيبة وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة ذات خد أسيل وطرف كحيل ومبسم كأنما نظم من أقاح وطرة كأنها ليل على صباح فاذا كان بانسان من سقم النظر أن يسوّى بين هذه الصورة وهذه فلا يبعد أن يكون به من سقم الفكر أن يسوّى بين هذه الالفاظ وهذه ولا فرق بين النظر والسمع فى هذا المقام فان هذا حاسة وهذا حاسة وقياس حاسة على حاسة مناسب فان عاند معاند فى هذا وقال أغراض الناس مختلفة فيما يختارونه من هذه الاشياء وقد يعشق الانسان صورة الزنجية التى ذممتها ويفضلها على صورة الرومية التى وصفتها قلت فى الجواب نحن لا نحكم على الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال بل نحكم على الكثير الغالب وكذلك اذا رأينا شخصا يحب أكل الفحم مثلا أو أكل الجص والتراب ويختار ذلك على ملاذ الاطعمة فهل نستجيد هذه الشهوة أو نحكم عليه بأنه مريض قد فسدت معدته وهو محتاج الى علاج ومداواة ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للالفاظ فى الاذن نغمة لذيذة كنغمة أوتار وصوتا منكرا كصوت حمار وأن لها فى الفم أيضا حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل وهى على ذلك تجرى مجرى النغمات والطعوم ولا يسبق وهمك أيها المتأمل الى قول القائل الذى غلب عليه غلظ الطبع وفجاجة الذهن بأن العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا فهذا دليل على أنه حسن بل ينبغى أن تعلم أن الذى نستحسنه نحن فى زماننا هذا هو الذى كان عند العرب مستحسنا والذى نستقبحه هو الذى كان عندهم مستقبحا والاستعمال ليس بدليل على الحسن فانا نحن نستعمل الآن من الكلام ما ليس بحسن وانما نستعمله لضرورة فليس استعمال الحسن بممكن فى كل الاحوال وهذا طريق يضل فيه غير العارف بسالكه ومن لم يعرف صناعة النظم والنثر وما يجده صاحبها من الكلفة فى صوغ الالفاظ واختيارها فانه معذور فى أن يقول ما قال

لا يعرف الشوق الا من يكابده ٭ ولا الصبابة الا من يعانيها

ومع هذا فان قول القائل بان العرب كانت تستعمل من الالفاظ كذا وكذا وهذا دليل على أنه حسن قول فاسد لا يصدر الا عن جاهل فان استحسان الالفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لانه شئ ليس للتقليد فيه مجال وانما هو شئ له خصائص وهيآت وعلامات اذا وجدت علم حسنه من قبحه وقد تقدم الكلام على ذلك فى باب الفصاحة والبلاغة وأما الذى تقلد العرب فيه من الالفاظ فانما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من لغتها والاخذ بأقوالها فى الاوضاع النحوية فى رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف اليه وجزم الشرط وأشباه ذلك وما عداه فلا وحسن الالفاظ وقبحها ليس اضافيا الى زيد دون عمرو أو الى عمرو دون زيد لانه وصف ذاتى لا يتغير بالاضافة ألا ترى أن لفظة المزنة مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم وهلم جرا لا يختلف أحد فى حسنها وكذلك لفظة البعاق فانها قبيحة عند الناس

عذار الرسن لان الرسن لا يدخل فى فيه شئ منه كما يدخل فاس اللجام فعذار رسنه طويل لطول خده وقال أبو دواد

وهى شوهاء كالجوالق فوها
مستجاف يضل فيه الشكيم

الشكيم فاس اللجام وقال طفيل الغنوى

كأن على أعطافه ثوب مائح
وان يلق كلب بين لحييه يذهب

(ويستحب) فى العنق الطول واللين (ويكره) فيها القصر والجساوة قال الشاعر

ملاعبة العنان بغصن بان
الى كتفين كالقتب الشميم

وقد فرق سلمان بن ربيعة بين العتاق والهجن بالاعناق فدعا بطست من ماء فوضعت بالارض ثم قدمت الخيل اليها واحدا واحدا فما ثنى سنبكه ثم شرب هجنه وما شرب ولم يثن سنبكه جعله عتيقا وذلك لان فى أعناق الهجن قصرا لا تنال الماء على تلك الحالة حتى تثنى سنابكها (ويستحب) ارتفاع الكتفين والحارك والكاهل قال الضبى

وكاهل أفرع فيه مع الافراع اشراف وتقبيب

والمفرع المشرف (ويستحب) من الفرس أن يشتد مركب عنقه فى كاهله لانه يتساند اليه اذا حضر ويشتد حقواه لانهما معلق وركيه ورجليه فى صلبه (ويستحب) عرض الصدر قال أبو النجم

٭ منتفخ الجوف عريض كلكله ٭

والكلكل الصدر فأما الجؤجؤ والزور وهما شئ واحد فيستحب فيهما الضيق قال عبد الله ابن

كافة من العرب وغيرهم فاذا استعملها العرب لا يكون استعمالهم اياها مخرجا لها عن القبح ولا يلتمس اذن الى استعمالهم اياها بل يعاب مستعملها ويغلط له التنكير حيث استعملها هو وقد ذكر ابن سنان الخفاجي ما يتعلق باللفظة الواحدة من الاوصاف وقسمها الى عدة أقسام كتباعد مخارج الحروف وأن تكون الكلمة جارية على العرف العربي غير شاذة وأن تكون مصغرة في موضع يعبر به عن شئ لطيف أو خفي أو ما جرى مجراه وأن لا تكون مبتذلة بين العامة وغير ذلك من الاوصاف في الذي ذكره ما لا حاجة اليه أما تباعد المخارج فان معظم اللغة العربية دائر عليه لان الواضع قسمها في وضعه ثلاثة أقسام ثلاثيا ورباعيا وخماسيا والثلاثي من الالفاظ هو الاكثر ولا يوجد فيه ما يكره استعماله الا الشاذ النادر وأما الرباعي فانه وسط بين الثلاثي والخماسي في الكثرة عددا واستعمالا وأما الخماسي فانه الاقل ولا يوجد فيه ما يستعمل الا الشاذ النادر وعلى هذا التقدير فان أكثر اللغة مستعمل على غير مكروه ولا تقتضي حكمة هذه اللغة الشريفة التي هي سيدة اللغات الا ذلك ولهذا أسقط الواضع حروفا كثيرة في تأليف بعضها مع بعض استثقالا واستكراها فلم يؤلف بين حروف الحلق كالحاء والخاء والعين وكذلك لم يؤلف بين الجيم والقاف ولا بين اللام والراء ولا بين الزاء والسين وكل هذا دليل على عنايته بتأليف المتباعد المخارج دون المتقارب ومن العجب أنه كان يخل بمثل هذا الاصل الكلي في تحسين اللغة وقد اعتنى بأمور أخر جزئية كمماثلته بين حركات الفعل في الوجود وبين حركات المصدر في النطق كالغليان والضربان والنقزان والنزوان وغير ذلك مما جرى مجراه فان حروفه جميعها متحركات وليس فيها حرف ساكن وهي مماثلة لحركات الفعل في الوجود ومن نظر في حكمة وضع هذه اللغة الى هذه الدقائق التي هي كالاطراف والحواشي فكيف كان يخل بالاصل المعول عليه في تأليف الحروف بعضها الى بعض على أنه لو أراد الناظم أو الناثر أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الالفاظ وهل هي متباعدة أو متقاربة لطال الخطب في ذلك وعسر ولما كان الشاعر ينظم قصيدا ولا الكاتب ينشئ كتابا الا في مدة طويلة تمضي عليها أيام وليال ذوات عدد كثير ونحن نرى الامر بخلاف ذلك فان حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام بحسن ما يحسن من الالفاظ وقبح ما يقبح وسأضرب لك في هذا مثالا فأقول اذا سئلت عن لفظة من الالفاظ وقيل لك ما تقول في هذه اللفظة أحسنة هي أم قبيحة فاني لا أراك عند ذلك الا تفتي بحسنها أو قبحها على الفور ولو كنت لا تفتي بذلك حتى تقول للسائل اصبر الى أن اعتبر مخارج حروفها ثم أفتيك بعد ذلك بما فيها من حسن أو قبح لصح لابن سنان ما ذهب اليه من جعل مخارج الحروف المتباعدة شرطا في اختيار الالفاظ وانما شذ عنه الاصل في ذلك وهو أن الحسن من الالفاظ يكون متباعد المخارج فحسن الالفاظ اذن ليس معلوما من تباعد المخارج وانما علم قبل العلم بتباعدها وكل هذا راجع الى حاسة السمع فاذا استحسنت لفظا أو استقبحته وجد ما تستحسنه متباعد المخارج وما تستقبحه متقارب المخارج واستحسانها واستقباحها انما هو قبل اعتبار المخارج لا بعده على أن هذه قاعدة قد شذ عنها شواذ كثيرة لانه قد يجيء في المتقارب المخارج ما هو حسن رائق ألا ترى أن الجيم والشين والياء مخارج متقاربة وهي من وسط اللسان بينه وبين الحنك وتسمى ثلاثتها الشجرية واذا تركب منها شئ من الالفاظ جاء حسنا رائقا فان قيل جيش كانت لفظة محمودة أو قدمت الشين على الجيم فقيل شجي كانت أيضا لفظة محمودة ومما هو أقرب مخرجا من ذلك الباء والميم والفاء وثلاثتها من الشفة وتسمى الشفهية فاذا نظم منها شئ من

سلمة الغامدي

متقارب الثفنات ضيق زوره
رحب اللبان شديد طي ضريس

قال يراد انه طوى كما طويت البئر بالحجارة والضريس جودة الطي فوصفه كما ترى بضيق الزور وسعة اللبان وفرق بينهما ويقال ان الفرس اذا دق جؤجؤه وتقارب من قطاه كان أجود بجريه ويوصف أيضا بارتفاع اللبان ويحمد ذلك فيه (ويكره الدن) وهو تطامن الصدر ودنوه من الارض وهذا أسوأ العيوب (ويستحب) عظم جنبيه وجوفه وانطواء كشحه ولذلك قال الجعدي

خبيط على زفرة فتم ولم
يرجع الى دقة ولا هضم

يقول كأنه زافر أبدا من عظم جوفه فكأنه زفر فخيط على ذلك (والهضم) انضمام أعالي الضلوع يقال فرس أهضم وهو عيب قال الاصمعي ولم يسبق الحلبة فرس أهضم قط وانما الفرس بعنقه وبطنه (ويستحب) اشراف القطاة وهي مقعد الردف (ويكره) تطامنها ولذلك قال امرؤ القيس

• كأن مكان الردف منه على رال •

والرأل فرخ النعامة وهو مشرف ذلك الموضع (ويستحب) في الخيل أن ترفع أذنابها في العدو ويقال ذلك من شدة الصلب قال النمر بن تولب

بجوم الشعشاعة الذنابى
تخال بياض غرتها سراجا

(ويستحب) طول الذنب ولذلك قال امرؤ القيس

لها ذنب مثل ذيل العروس
تسد به فرجها من دبر

الالفاظ كان جميلا حسنا كقولنا فم فهذه اللفظة من حرفين هما الفاء والميم وكقولنا ذقته بفمى وهذه اللفظة مؤلفة من الثلاثة بجملتها وكلاهما حسن لا عيب فيه (وقد ورد) من المتباعد المخارج شيء قبيح أيضا ولو كان التباعد سببا للحسن لما كان سببا للقبح اذ هما ضدان لا يجتمعان (فمن ذلك) أنه يقال ملع اذا عدا فالميم من الشفة والعين من حروف الحلق واللام من وسط اللسان وكل ذلك متباعد ومع هذا فان هذه اللفظة مكروهة الاستعمال ينبو عنها الذوق السليم ولا يستعملها من عنده معرفة بفن الفصاحة (وههنا نكتة غريبة) وهو أنا اذا عكسنا حروف هذه اللفظة صارت علم وعند ذلك تكون حسنة لا مزيد على حسنها وما ندرى كيف صار القبح حسنا الا انه لم يتغير من مخارجها شيء وذلك أن اللام لم تزل وسطا والميم والعين يكتنفانها من جانبيها ولو كان مخارج الحروف معتبرا في الحسن والقبح لما تغيرت هذه اللفظة في ملع وعلم (فان قيل) ان اخراج الحروف من الحلق الى الشفة أيسر من ادخالها من الشفة الى الحلق فان ذلك انحدار وهذا صعود والانحدار أسهل (فالجواب) عن ذلك أنى أقول لو استمر لك هذا لصح ما ذهبت اليه لكنا نرى من الالفاظ ما اذا عكسنا حروفه من الشفة الى الحلق أو من وسط اللسان أو من آخره الى الحلق لا يتغير كقولنا غاب فان الغين من حروف الحلق والالف من وسط اللسان والباء من الشفة واذا عكسنا ذلك صار باغ وكلاهما حسن مليح وكذلك تقول حلم من الحلم وهو الاناة واذا عكسنا هذه الكلمة صارت ملح على وزن فعل بفتح الفاء وضم العين وكلاهما أيضا حسن مليح وكذلك تقول عقر ورقع وعرف وفرع وحلف وفلح وقلم وملق وكلم وملك ولو شئت لأوردت من ذلك شيئا كثيرا تضيق عنه هذه الاوراق ولو كان ما ذكره مطردا لكنا اذا عكسنا هذه الالفاظ صار حسنها قبحا وليس الامر كذلك وأما ما ذكره ابن سنان من جريان اللفظة على العرف العربي فليس ذلك مما يوجب لها حسنا ولا قبحا وانما يقدح في معرفة مستعملها بما ينقله من الالفاظ فكيف يعد ذلك من جملة الاوصاف الحسنة وأما تصغير اللفظة فيما يعبر به عن شيء لطيف أو خفي أو ما جرى مجراه فهذا مما لا حاجة الى ذكره فان المعنى يسوق اليه وليست معانى التصغير من الاشياء الغامضة التي يفتقر الى التنبيه عليها فانها مدونة في كتب النحو وما من كتاب نحو الا والتصغير باب من أبوابه ومع هذا فان صاحب هذه الصناعة مخير في ذلك ان شاء أن يورده بلفظ التصغير وان شاء بمعناه كقول بعضهم

لو كان يخفى على الرحمن خافية * من خلقه خفيت عنه بنو لبد

فهل كان يمكن هذا الشاعر أن يصغر من هؤلاء القوم ويحقر من شأنهم بألفاظ التصغير ويجيء بهكذا كما جاء بيته هذا فالوصية به اذن ملغاة لا حاجة اليها (وأما الاوصاف الباقية التي ذكرت فهي التي ينبغي أن ينبه عليها) فمنها أن لا تكون الكلمة وحشية وقد خفي الوحشي على جماعة من المنتمين الى صناعة النظم والنثر وظنوه المستقبح من الالفاظ وليس كذلك بل الوحشي ينقسم قسمين أحدهما غريب حسن والآخر غريب قبيح وذلك أنه منسوب الى اسم الوحش الذي يسكن القفار وليس بأنيس وكذلك الالفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبحا بل أن يكون نافرا لا يألف الانس فتارة يكون حسنا وتارة يكون قبيحا وعلى هذا فان أحد قسمي الوحشي وهو الغريب الحسن يختلف باختلاف النسب والاضافات وأما القسم الآخر من الوحشي الذي هو قبيح فان الناس في استقباحه سواء ولا يختلف فيه عربي بادو لا قروي متحضر وأحسن الالفاظ ما كان مألوفا متداولا لا انه لم يكن مألوفا متداولا الا لمكان حسنه وقد تقدم الكلام على ذلك في باب الفصاحة

لم يرد بالفرج ههنا الرحم وانما أراد ما بين رجليها اتسده بذنبها (وقالوا) في صفة الفرس ذيال يراد انه طويل الذنب فان كان الفرس قصيرا وذنبه طويلا قالوا ذائل والانثى ذائلة أو ذيال الذنب فيذكرون الذنب (ويستحب) قصر العسيب قال أبو محمد بن قتيبة قال لى اعرابى اختره طويل الذنب قصير الذنب يريد طول الشعر وقصر العسيب (ويستحب) في الفرس شنج النسا والنسا عرق مستبطن الفخذين حتى يصير الى الحافر فاذا هزلت الدابة ماجت فخذاه فخفي واذا سمنت انفلقت فخذاه فجرى بينهما واستبان كأنه حية واذا قصر كان أشد لرجله قال الشاعر بشنج موتر الانساء واذا كان فيه توتير فهو أسرع لقبض رجليه وبسطهما غير انه لا يسمح بالمشى ومن الحيوان ضروب توصف بشنج النسا وهى لا تسمح بالمشى منها الظبي قال أبو دواد

وقصرى شنج الانسا
ء نباح من الشعب

(ومنها) الذئب وهو أزل واذا طرد فكأنه يتوجى (ومنها) الغراب وهو يحجل كأنه مقيد قال الطرماح

شنج النسا حرق الجناح كأنه
في الدار اثر الظاعنين مقيد

فكان شنج النسا يستحب في العتق خاصة ولا يستحب في المماليج (ويستحب) في الكفل الاملاس والاستواء (ويكره) فيها الفرق وهو اشراف احدى الوركين على الاخرى ولذلك قالت

فان أرباب الخطابة والشعر نظروا الى الالفاظ ونقبوا عنها ثم عدلوا الى الاحسن منها فاستعملوه وتركوا ما سواه وهو أيضا يتفاوت فى درجات حسنه فالالفاظ اذن تنقسم ثلاثة أقسام قسمان حسنان وقسم قبيح فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الاول والآخر من الزمن القديم الى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشى والآخر ما تداول استعماله الاول دون الآخر ويختلف فى استعماله بالنسبة الى الزمن وأهله وهذا هو الذى لا يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشيا وهو عندنا وحشى وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة وهى التى يطلق عليها غريب القرآن وكذلك تضمن الحديث النبوى منه شيأ وهو الذى يطلق عليه غريب الحديث (وحضر عندى فى بعض الايام رجل متفلسف) فجرى ذكر القرآن الكريم فأخذت فى وصفه وذكر ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة فقال ذلك الرجل وأى فصاحة هنالك وهو يقول تلك اذا قسمة ضيزى فهل فى لفظة ضيزى من الحسن ما يوصف فقلت له اعلم أن لاستعمال الالفاظ أسرارا لم تقف عليها أنت ولا أمثالك مثل ابن سينا والفارابى ولا من أضلهم مثل ارسطاليس وافلاطون وهذه اللفظة التى أنكرتها فى القرآن وهى لفظة ضيزى فانها فى موضعها لا يسد غيرها مسدها الا ترى أن السورة كلها التى هى سورة النجم مسجوعة على حرف الياء فقال تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وكذلك الى آخر السورة فلما ذكر الاصنام وقسمة الاولاد وما كان يزعمه الكفار قال ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذى جاءت السورة جميعها عليه وغيرها لا يسد مسدها فى مكانها واذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا ان غير هذه اللفظة أحسن منها ولكنها فى هذا الموضع لا ترد ملائمة لاخواتها ولا مناسبة لانها تكون خارجة عن حرف السورة وسأبين ذلك فأقول اذا جئنا بلفظة فى معنى هذه اللفظة قلنا قسمة جائرة أو ظالمة ولا شك أن جائرة أو ظالمة أحسن من ضيزى الا انا اذا نظمنا الكلام فقلنا ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ظالمة لم يكن النظم كالنظم الاول وصار الكلام كالشئ المعوز الذى يحتاج الى تمام وهذا لا يخفى على من له ذوق ومعرفة بنظم الكلام فلما سمع ذلك الرجل ما أوردته عليه ربا لسانه فى فمه افحاما ولم يكن عنده فى ذلك شئ سوى العناد الذى مستنده تقليد بعض الزنادقة الذين يكفرون تشهيا ويقولون ما يقولونه جهلا واذا حوققوا عليه ظهر عجزهم وقصورهم * وحيث انتهى القول الى ههنا فانى أرجع الى ما كنت بصدد ذكره فأقول وأما القبيح من الالفاظ الذى يعاب استعماله فلا يسمى وحشيا فقط بل يسمى الوحشى الغليظ وسيأتى ذكره واذا نظرنا الى كتاب الله تعالى الذى هو أفصح الكلام وجدناه سهلا سلسا وما تضمنه من الكلمات الغريبة يسير جدا هذا وقد أنزل فى زمن العرب العرباء وألفاظه كلها من أسهل الالفاظ وأقربها استعمالا وكفى به قدوة فى هذا الباب قال النبى صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثانى يريد بذلك فاتحة الكتاب واذا نظرنا الى ما اشتملت عليه من الالفاظ وجدناها سهلة قريبة المأخذ يفهمها كل أحد حتى صبيان المكاتب وعوام السوقة وان لم يفهموا ما تحتها من أسرار الفصاحة والبلاغة فان أحسن الكلام ما عرف الخاصة فضله وفهم العامة معناه وهكذا فلتكن الالفاظ المستعملة فى سهولة فهمها وقرب متناولها والمقتدى بألفاظ القرآن يكتفى بها عن غيرها من جميع الالفاظ المنثورة والمنظومة وأما ما ورد من اللفظ الوحشى فى الاخبار النبوية فمن جملة ذلك حديث طهفة بن أبى زهير النهدى وذلك أنه لما قدمت وفود العرب على النبى

الشعراء
لها كفل كصفاة المسيل
لها كفل مثل متن الطراف
والطراف القبة من أدم قال الشاعر
وأحمر كالديباج أما سماؤه
فريا وأما أرضه فمحول
سماؤه أعاليه وأرضه قوائمه
(ويستحب) قصر ساقيه ولذلك قال أبو دواد
لها ساقا ظليم خاضب فوجئ بالرعب
(وقال آخر)
* لها متن عير وساقا ظليم *
(ويستحب) مع ذلك أن يكون ما فوق الساقين من فخذيه طويلا فيوصف حينئذ بطول القوائم قال الشاعر
شرجب سلهب كأن رماحا
حملته وفى السراة دموج
(ويستحب) أن يكون فى رجليه انحناء وتوتير وهو التجنيب فان كان فى اليدين والصلب فهو التحنيب بالحاء غير معجمة هذا قول الاصمعى قال أبو دواد
وفى اليدين اذا ما الماء أسهله
ثنى قليل وفى الرجلين تجنيب
(وقال العمانى)
* ترى له عظما وظيفا أحدبا *
(ويستحب) فى العرقوب التحديد والتأنيف وهو الذى حدد طرفه (ويكره) منها الادرم والاقمع وقد بيناه هذا فى باب العيوب (ويستحب) أن تكون الارساغ غلاظا يابسة قال الجعدى
كأن تماثيل أرساغه
رقاب وعول على مشرب
(ويستحب) أن تكون ثنته تامة سوداء لينة (ويكره) العرفيها قال

صلى الله عليه وسلم قام طهفة بن أبي زهير فقال أتيناك يا رسول الله من غوري تهامة على أكوار الميس ترتمي بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستحيل الجهام في أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الأملوج ومات العسلوج وهلك الهدي ومات الودي برئنا إليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة السلام وشريعة الإسلام ما طما البحر وقام تعار ولنا نعم همل أغفال ما تبض ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتنا سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وفرقها وابعث راعيها في الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة (وكتب) معه كتابا إلى بني نهد من محمد رسول الله إلى بني نهد السلام على من آمن بالله ورسوله لكم يا بني نهد في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ولا يؤكل أكلكم ما لم تضمروا الإماق وتأكلوا الرباق من أقر بما في هذا الكتاب فله من رسول الله الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وفصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتضي استعمال هذه الألفاظ ولا تكاد توجد في كلامه إلا جوابا لمن يخاطبه بمثلها كهذا الحديث وما جرى مجراه على أنه قد كان في زمنه متداولا بين العرب ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يستعمله إلا يسيرا لأنه أعلم بالفصيح والأفصح وهذا الكلام هو الذي نعده نحن في زماننا وحشيا لعدم الاستعمال فلا تظن أن الوحشي من الألفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وإنما هو الغريب الذي يقل استعماله فتارة يخف على سمعك ولا تجد به كراهة وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الكراهة وذلك في اللفظ عيبان أحدهما أنه غريب الاستعمال والآخر أنه ثقيل على السمع كريه على الذوق وإذا كان اللفظ بهذه الصفة فلا مزيد على فظاظته وغلاظته وهو الذي يسمى الوحشي الغليظ ويسمى أيضا المتوعر وليس وراءه في القبح درجة أخرى ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شيء من معرفة هذا الفن أصلا (فإن قيل) فما هذا النوع من الألفاظ (قلت) قد ثبت لك أنه ما كرهه سمعك وثقل على لسانك النطق به وسأضرب لك في ذلك مثالا فمنه ما ورد لتأبط شرا في كتاب الحماسة

يظل بموماة ويمسي بغيرها * جحيشا ويعروري ظهور المسالك

فإن لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة ويالله العجب أليس أنها بمعنى فريد وفريد لفظة حسنة رائقة ولو وضعت في هذا البيت موضع جحيش لما اختل شيء من وزنه فتأبط شرا ملوم من وجهين في هذا الموضع أحدهما أنه استعمل القبيح والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنها وأقبح منها ما ورد لأبي تمام قوله

قد قلت لما اطلخم الأمر وانبعثت * عشواء تالية غبسا دهاريسا

فلفظة اطلخم من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة وأنها غليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة دهاريس أيضا وعلى هذا ورد قوله من أبيات يصف فرسا من جملتها

نعم متاع الدنيا حباك به * أروع لا جيدر ولا جبس

فلفظة جيدر غليظة وأغلظ منها قول أبي الطيب المتنبي

لها أذن تكوا في العقاب

سود يفين إذا تزبئر

تزبئر تنتفش (ويفين) أي يكثرن يقال فدوفي شعره إذا كثر وقال بعضهم

يفئن يرجعن إلى مواضعهن

أي هي لينة (ويستحب) قصر الرسغ إذا لم يكن معه انتصاب وإقبال على الحافر فإذا كان منتصبا مقبلا على الحافر فهو أقفد والقفد عيب قال أبو عبيدة والقفد لا يكون إلا في الرجل (ويستحب) أن تكون الحوافر صلابا غير نقدة والنقدان تراها تقشر وتكون سودا أو خضرا لا بياض منها شيء لأن البياض فيها رقة وتكون تسورها صلابا وفيها تقعب مع سعة قال عوف بن عطية بن الخرع

لها حافر مثل قعب الوليد
يتخذ الفأر فيه مغارا

(وقال آخر)

بكل وأب للحصا رضاح
ليس بمصطر ولا فرشاح

والوأب المقعب والمصطر الضيق والفرشاح المنبطح

﴿عيوب الخيل﴾

الخذا في الأذن استرخاء أصول الأذنين على الخدين (والسعف) بياض يعلو الناصية (والقنا) احديداب في الأنف وذلك يكون في الهجن (والسفا) خفة الناصية وهو مذموم في الخيل ومحمود في البغال (والغمم) أن تغطي الناصية عينيه (والإقراف) ابيضاض الأشفار مع الزرق والقصر في العنق (والجساء)

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم * شيم على الحسب الأغر دلائل

فان لفظة جفخ مرّة لطعم واذا مرّت على السمع اقشعرّ منها وأبو الطيب في استعمالها كاستعمال تأبط شرا لفظة جحيش فان تأبط شرا كانت له مندوحة عن استعمال تلك اللفظة كما أشرنا اليه فيما تقدم وكذلك أبو الطيب في استعمال هذه اللفظة التي هي جفخت فان معناها فخرت والجفخ الفخر يقال جفخ فلان اذا فخر ولو استعمل عوضا عن جفخت فخرت لاستقام وزن البيت وحظى في استعماله بالاحسن وما أعلم كيف يذهب هذا وأمثاله على مثل هؤلاء الفحول من الشعراء وهذا الذي ذكرته وما يجري مجراه من الالفاظ هو الوحشي اللفظ الغليظ الذي ليس له ما يدانيه في قبحه وكراهته وهذه الامثلة دليل على ما أوردناه والعرب اذن لا تلام على استعمال الغريب الحسن من الالفاظ وانما تلام على الغريب القبيح وأما الحضري فانه يلام على استعمال القسمين معا وهو في أحدهما أشد ملامة من الآخر على أن هذا الموضع يحتاج الى قيد آخر وذلك شيء استخرجته أنا دون غيري فاني وجدت الغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر ولا يسوغ في الخطب والمكاتبات وهذا ينكره من يسمعه حتى ينتهي الى ما أوردته من الامثلة ولربما أنكره بعد ذلك اما عنادا واما جهلا لعدم الذوق السليم عنده (فمن ذلك) قول الفرزدق

ولولا حياء زدت رأسك شجة * اذا سبرت ظلت جوانبها تغلي

شرنبثة شمطاء من يرَ ما بها * يشبه ولو بين الخماسيّ والطفل

فقوله شرنبثة من الالفاظ الغريبة التي يسوغ استعمالها في الشعر وهي ههنا غير مستكرهة الا أنها لو وردت في كلام منثور من كتاب أو خطبة لعيبت على مستعملها وكذلك وردت لفظة مشمخر فان بشرا قد استعملها في أبياته التي يصف فيها لقاءه الاسد فقال

وأطلقت المهند عن يميني * فقدّ له من الاضلاع عشرا

فخرّ مضرّجا بدم كأني * هدمت به بناء مشمخرا

وعلى هذا ورد قول البحتري في قصيدته التي يصف فيها ايوان كسرى فقال

مشمخر تعلو له شرفات * رفعت في رؤوس رضوى وقدس

فان لفظة مشمخر لا يحسن استعمالها في الخطب والمكاتبات ولا بأس بها ههنا في الشعر وقد وردت في خطب الشيخ الخطيب بن نباتة كقوله في خطبة يذكر فيها أهوال يوم القيامة فقال اقطرّ وبهالها واشمخر نكالها فما طابت ولا ساغت ومن هذا الاسلوب لفظة الكنهور في وصف السحاب كقول أبي الطيب

يا ليت باكية شجاني دمعها * نظرت اليك كما نظرت فتعذرا

وترى الفضيلة لا ترد فضيلة * الشمس تشرق والسحاب كنهورا

فلفظة الكنهور لا تعاب نظما وتعاب نثرا وكذلك يجري الامر في لفظة العرمس وهي اسم الناقة الشديدة فان هذه اللفظة يسوغ استعمالها في الشعر ولا يعاب مستعملها كقول أبي الطيب أيضا

ومهمه جبته على قدمي * تعجز عنه العرامس الذلل

فانه جمع هذه اللفظة ولا بأس بها ولو استعملت في الكلام المنثور لما طابت ولا ساغت وقد جاءت موحدة في شعر أبي تمام كقوله

هي العرمس الوجناء وابن ملمة * وجأش على ما يحدث الدهر خافض

وكذلك ورد قوله أيضا * يا موضع الشدنية الوجناء * فان الشدنية لا تعاب شعرا وتعاب لو وردت في كتاب أو خطبة وهكذا يجري الحكم في أمثال هذه الالفاظ المشار اليها وعلى هذ

فاعلم

يبس المعطف (والكتف) انفراج يكون في غراضيف أعالي كتف الفرس مما يلي الكاهل (والدنن) طمأنينة في أصل العنق يقال فرس أدن فاذا اطمأنت من وسطها فذلك الهنع يقال عنق هنعاء (والزور) في الصدر دخول احدى الفهدتين وخروج الاخرى (والهضم) استقامة الضلوع ودخول أعاليها يقال فرس أهضم (والاخطاف) لحوق ما خلف المحزم من بطنه يقال فرس مخطف (والصقل) من الخيل الطويل الصقلة وهي الطفطفة يقال فاما طالت صقلة فرس الاقصر جنباه وذلك عيب (والثجل) خروج الخاصرة ورقة في الصفاق يقال فرس أثجل (والقعس) أن يطمئن الصلب من الصهوة وترتفع القطاة فان اطمأنت القطاة والصلب فذلك البزخ (والفرق) اشراف احدى الوركين على الاخرى يقال أقعس وأبزخ وأفرق والعصل التواء عسيب الذنب حتى يبرز بعض باطنه الذي لا شعر عليه (والكشف) أكثر من ذلك (والعزل) أن يعزل ذنبه في احدى الجانبين وذلك عادة لا خلقة (والصبغ) بياض الذنب (والشعل) ان يبيض عرضه وذلك عيب (والفحج) تباعد ما بين الكعبين والصكك (اصطكاك) الكعبين (والحلل) رخاوتهما (والبدد) بعد ما بين اليدين (والقفد) انتصاب الرسغ واقباله على الحافر ولا يكون القفد الا في الرجل (والصدف) تداني الفخذين وتباعد الحافرين

فاعلم أن كل مايسوغ استعماله فى الكلام المنثور من الالفاظ يسوغ استعماله فى الكلام المنظوم وليس كل مايسوغ استعماله فى الكلام المنظوم يسوغ استعماله فى الكلام المنثور وذلك شئ استنبطته واطلعت عليه لكثرة ممارستى لهذا الفن ولان الذوق الذى عندى دلنى عليه فمن شاء فليقلد فيه والا فليدمن النظر حتى يطلع على مااطلعت عليه والاذهان فى مثل هذا المقام تتفاوت (وقد رأيت) جماعة من مدعى هذه الصناعة يعتقدون أن الكلام الفصيح هو الذى يعز فهمه ويبعد متناوله واذا رأوا كلاما وحشيا غامض الالفاظ يعجبون به ويصفونه بالفصاحة وهو بالضد من ذلك لان الفصاحة هى الظهور والبيان لا الغموض والخفاء وسابين لك ماتعتمد عليه فى هذا الموضع (فأقول) الالفاظ تنقسم فى الاستعمال الى جزلة ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه فالجزل منها يستعمل فى وصف مواقف الحروب وفى قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك وأما الرقيق منها فانه يستعمل فى وصف الاشواق وذكر أيام البعاد وفى استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف وأشباه ذلك ولست أعنى بالجزل من الالفاظ أن يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة بل أعنى بالجزل أن يكون متينا على عذوبته فى الفم ولذاذته فى السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكا سفسفا وانما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملمس كقول أبى تمام

ناعمات الاطراف لو أنها تلبس * أغنت عن الملاء الرقاق

وسأضرب لك مثالا للجزل من الالفاظ والرقيق فأقول انظر الى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا وماجرى هذا المجرى فانك لاترى شيأ من ذلك وحشى الالفاظ ولا متوعرا ثم انظر الى ذكر الرحمة والرأفة والمغفرة والملاطفات فى خطاب الانبياء وخطاب المنيبين والتائبين من العباد وماجرى هذا المجرى فانك لاترى شيأ من ذلك ضعيف الالفاظ ولا سفسفا (فمثال الاول) وهو الجزل من الالفاظ قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين فتأمل هذه الآيات المتضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله وذكر النار والجنة وانظر هل فيها لفظة الا وهى سهلة مستعذبة على مابها من الجزالة وكذلك ورد قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون (وأما مثال الثانى) وهو الرقيق من الالفاظ فقوله تعالى فى مخاطبة النبى صلى الله عليه وسلم والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى الى آخر السورة وكذلك قوله تعالى فى ترغيب المسئلة واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وهكذا ترى سبيل القرآن الكريم فى كلا هذين الحالين من الجزالة والرقة وكذلك كلام العرب الاول فى الزمن القديم عما ورد عنها نثرا ويكفى من ذلك كلام قبيصة

في التواء من الرسغين (والتوجيه) نحو من ذلك الا انه أقل منه (والمدع) التواء الرسغ من عرضه الوحشى والقسط أن تكون رجلاه منتصبتين غير منحنيتين وذلك عيب يقال فرس أقسط فاذا كان فيهما انحناء وتوتير فذلك محمود فى الخيل وهو التجنيب قال الاصمعى التجنيب بالجيم فى الرجلين والتحنيب بالحاء فى الصلب واليدين (والقمع) فى العرقوب أن يعظم رأسه ولا يحد وذلك عيب (ومن العراقيب) أدرم وهو الذى عظمت ابرته أى طرفه فاذا حدت ابرته فهو محمود وهو المؤلف (والنقد) فى الحافر ان تراه كالمتقشر (والحافر) المصطر هو الضيق وذلك معيب (والاروح) الواسع وهو محمود (والشرج) محرك الراء يقال فرس أشرج وهو الذى له بيضة واحدة

﴿العيوب الحادثة فى الخيل﴾

الانتشار انتفاخ من العصب للاتعاب والعصبة التى تنتشر هى العجاية وتحرك الشظاة كانتشار العصب غير ان الفرس لانتشار العصب أشد احتمالا منه لتحرك الشظاة والشظاة عظم لاصق بالذراع فاذا تحرك قيل شظى الفرس (والدخس) ورم يكون فى أطرة حافره (والزوائد) أطراف عصب تفرق عند العجاية وتنقطع عندها وتلصق بها (والعرن) جسوء فى رسغ رجليه وموضع ثنتها الشئ يصيبه من الشقاق أو الشقة (والشقاق) يصيبه فى أرساغه وربما ارتفع الى أوظفته

ابن نعيم لما قدم على امرئ القيس فى أشياخ بنى أسد يسألونه العفو عن دم أبيه فقال له انك فى المحل والقدر من المعرفة بتصرف الدهر ما تحدثه أيامه وتنتقل أحواله بحيث لا تحتاج الى تذكير من واعظ ولا تبصير من مجرب ولك من سودد منصبك وشرف اعراقك وكرم أصلك فى العرب محتد يحتمل ما حمل عليه من اقالة لعثرة ورجوع عن الهفوة ولا تتجاوز الهمم الى غاية الا رجعت اليك فوجدت عندك من فضيلة الرأى و بصيرة الفهم وكرم الصفح ما يطول رغباتها او يستغرق طلباتها وقد كان الذى كان من الخطب الجليل الذى عمت رزيته نزارا واليمن ولم تخصص بذلك كندة دون الشرف البارع كان حجر ولو كان يفدى هالك بالانفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ولكنه مضى به سبيل لا يرجع أخراه على أولاه ولا يلحق أقصاه أدناه فأحمد الحالات فى ذلك أن تعرف لواجب عليك فى احدى خلال ثلاث اما ان اخترت من بنى أسد أشرفها بيتا وأعلاها فى بناء المكرمات صوتا فقدناه اليك بنسعة تذهب مع شفرات حسامك بباقى قصرته فنقول رجل امتحن بهالك عزيز فلم يستل سخيمته الا تمكنه من الانتقام أو فداء بما يروح على بنى أسد من نعمها فهى ألوف تتجاوز الحسبة فكان ذلك فداء رجعت به القضب الى أجفانها لم يرددها تسليط الاحن على البراء واما أن وادعتنا الى أن تضع الحوامل فتسدل الازر وتعقد الخمر فوق الرايات قال فبكى ساعة ثم رفع رأسه فقال لقد علمت العرب أنه لا كفؤ لحجر فى دم وانى لن أعتاض جملا ولا ناقة فأكتسب به سبة الابد وفت العضد وأما النظرة فقد أوجبتها الاجنة فى بطون أمهاتها ولن أكون لعطبها سببا وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل فى القلوب حنقا وفوق الاسنة علقا

اذا جالت الحرب فى مأزق * تصافح فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون قالوا بلى ننصرف بأسوإ الاختيار وابلى الاجترار بمكروه وأذية وحرب وبلية ثم نهضوا عنه وقبيصة يتمثل

لعلك أن تستوخم الورد ان غدت * كتائبنا فى مأزق الحرب تمطر

فقال امرؤ القيس لا والله ولكن أستعذبه فرويدا ينفرج لك دجاها عن فرسان كندة وكتائب حمير ولقد كان ذكر غير هذا بى أولى اذ كنت نازلا بربعى (١) ولكنك قلت فأوجبت فقال امرؤ القيس هو ذاك * فتنظر الى هذا الكلام من الرجلين قبيصة وامرئ القيس حتى يدع المتمعقون تمعقهم فى استعمال الوحشى من الالفاظ فان هذا الكلام قد كان فى الزمن القديم قبل الاسلام بما شاء الله وكذلك كلام كل فصيح من العرب مشهور وما عداه فليس بشئ وهذا المشار اليه ههنا هو من جزل كلامهم وعلى ما تراه من السلاسة والعذوبة واذا تصفحت أشعارهم أيضا وجدت الوحشى من الالفاظ قليلا بالنسبة الى السلسل فى الفم والسمع الا ترى الى هذه الابيات الواردة للسموأل بن عاديا وهى

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتف أنفه * ولا طل منا حيث كان قتيل

(١) قوله ولكنك قلت الخ كذا فى النسخ والظاهر ان يقول فقال قبيصة ولكنك الخ اه من هامش المطبوعة

علونا

وهو تشقق يصيبها (والجرذ) كل ما حدث فى عرقوبه من تزيد أو انتفاخ عصب ويكون فى عرض الكعب من ظاهر أو باطن (والسرطان) داء يأخذ فى الرسغ فييبس عروق الرسغ حتى يقلب حافره (والارتهاش) ان يصك بعرض حافره عرض عجايته من اليد الاخرى فربما أدماها وذلك لضعف يده (والمشش) شئ يشخص فى وظيفه حتى يكون له حجم ليس له صلابة العظم الصحيح (والنملة) شق فى الحافر من ظاهره

﴿خلق الخيل﴾

قونس الناصية ما فوق الناصية من منتهاها بين الاذنين (والقذال) جماع مؤخر الرأس وهو معقد العذار خلف الناصية (والفائق) موصل العنق فى الرأس فاذا طال الفائق طال العنق (والعصفور) عظم ناتئ فى كل جبين (وقلت) الصدغ الوقب الذى امام الصدغ (والنواهق) عظمان شاخصان فى وجهه أسفل من عينيه (والمرسن) موضع الرسن من الانف (والجحافل) ما تناول به العلف وفى الجحفلة قيد وهو الشعر الذى عليها (والمعرفة) اللحم الذى ينبت عليه العرف (والعرف) الشعر الذى على العنق والقصرة أصل العنق (والعلباوان) عصبتان بينهما العرف (واللبان) ما جرى عليه اللبب (والبلدة) ثغرة النحر وكل شئ من الظهر فيه فقار فذلك الصلب (والحارك) فروع الكتفين وهو أيضا الكاهل (والمنسج) أسفل من ذلك (والكاثبة) مقدم المنسج وفى

علونا الى خير الظهور وحطنا * لوقت الى خير البطون نزول
فنحن كماء المزن مافى نصابنا * كهام ولا فينا يعد بخيل
اذا سيد منا خلا قام سيد * قؤول لما قال الكرام فعول
وأيامنا مشهورة فى عدونا * لها غرر مشهورة وحجول
وأسيافنا فى كل غرب ومشرق * بها من قراع الدارعين فلول
معودة ألا تسل نصالها * فتغمد حتى يستباح قبيل

فاذا نظرنا الى ماتضمنته من الجزالة خلناها زبرا من الحديد وهى مع ذلك سهلة مستعذبة غير فظة ولا غليظة وكذلك قد ورد للعرب فى جانب الرقة من الاشعار مايكاد يذوب لرقته كقول عروة ابن أذينة

ان التى زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبى * ماكان أكثرها لنا وأقلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

(وكذلك ورد قول الآخر)

أقول لصاحبى والعيس تهوى * بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار
ألا ياحبذا نفحات نجد * وريا روضة غب القطار
وأهلك اذ يحل الحى نجدا * وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وماشعرنا * بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليل * وأطيب مايكون من النهار

ومما ترقص الاسماع له ويرن على صفحات القلوب قول يزيد بن الطثرية فى محبوبته من جرم

بنفسى من لو مر برد بنانه * على كبدى كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل شئ وهبته * فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

واذا كان هذا قول ساكن فى الفلاة لايرى الا شيحة أو قيصومة ولا يأكل الا ضبا أو يربوعا فما بال قوم سكنوا الحضر ووجدوا رقة العيش يتعاطون وحشى الالفاظ وشظف العبارات ولا يخلد الى ذلك الا اما جاهل بأسرار الفصاحة واما عاجز عن سلوك طريقها فان كل أحد ممن شدا شيأ من علم الادب يمكنه أن يأتى بالوحشى من الكلام وذلك أنه يلتقطه من كتب اللغة أو يتلقفه من أربابها وأما الفصيح المتصف بصفة الملاحة فانه لا يقدر عليه ولو قدر عليه لما علم أين يضع يده فى تأليفه وسبكه فان مارى فى ذلك ممار فلينظر الى أشعار علماء الادب ممن كان مشارا اليه حتى يعلم صحة ماذكرته هذا ابن دريد قد قيل انه أشعر علماء الادب واذا نظرت الى شعره وجدته بالنسبة الى شعر الشعراء المجيدين منحطا مع أن أولئك الشعراء لم يعرفوا من علم الادب عشر معشار ما علمه هذا العباس بن الاحنف قد كان من أوائل الشعراء المجيدين وشعره كنسيم على عذبات أغصان وكلؤلؤات طل على طرر ريحان وليس فيه لفظة واحدة غريبة يحتاج الى استخراجها من كتب اللغة فن ذلك قوله

وانى ليرضينى قليل نوالكم * وان كان لا أرضى لكم بقليل
بحرمة ماقد كان بينى وبينكم * من الود الا عدتم بجميل

وهكذا ورد قوله فى فوز التى كان يشبب بها فى شعره

الظهر (صرد) وهو بياض يكون من أثر الدبر (والصهوة) مقعد الفارس (والقطاة) مقعد الردف (والمعدان) فى أعاليهما موقع دفتى السرج من جنب الفرس (والحجبتان) رأس الوركين فى أعاليهما (والخرقفتان) هما الجبتان (والموقمان) والخارقتان سواء وهما رؤس الفخذين فى الوركين (والجاعرتان) منه موضع الرقمتين من است الحمار (والعكوة) أصل الذنب وعظم الذنب وجلده العسيب (وشعره) هلبه (والعجان) بين أصل الخصية وفقحته ومن الانثى بين طبيتها وضرتها (والفهدتان) فى الزور لحمتان ناتئتان مثل الفهرين (ومحزمه) ماجرى عليه الحزام (والمركل) حيث تقع عقباه الفارس (وحصير) الجنب ماظهر من أعالى ضلوع الجنب والموقف والشاكلة (والقرب) والايطل والخقو كل ذلك قريب بعضه من بعض وهو الخاصرة وما يليها (والحالبان) عرقان مكتنفان السرة (والمنقب) قدام السرة حيث ينقب البيطار (والقنب) وعاء جردانه (والثغروران) مثل الحلمتين قدا كتنفا القنب من خارج (والصفن) جلدة البيضتين (والقرف) الذى تراه من تفاعن الغرمول قطعا كأنه سحاءة الحلق البياض الذى فى وسط الغرمول (والضرة) لحم الضرع ولها أربعة أطباء وجلدة الضرع هى خيف (والاحليل) ثقب يخرج منه الشخب ومن الذكر ماؤه وبوله (والخوران) مجرى الروث

يا فوز يا منية عباس * قلبي يفدي قلبك القاسي
أسأت إذ أحسنت ظني بكم * والحزم سوء الظن بالناس
يقلقني شوقي فآتيكمو * والقلب مملوء من الياس

وهل أعذب من هذه الابيات وأعلق بالخاطر وأسرى في السمع وأمثلها تحضر واح لا وزان وعلى مثلها تسهر الاجفان وعن مثلها تتأخر السوابق عند الرهان ولم أجرها ببالي يوما من الايام الا ذكرت قول أبي الطيب المتنبي

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * أراه غباري ثم قال له الحق

ومن الذي يستطيع أن يسلك هذه الطريق التي هي سهلة وعرة قريبة بعيدة وهذا أبو العتاهية كان في عزة الدولة العباسية وشعراء العرب اذ ذاك موجودون كثيرا وكانت مدائحه في المهدي بن المنصور واذا تأملت شعره وجدته كالماء الجاري رقة ألفاظ ولطافة سبك وليس بركيك ولا واه وكذلك أبو نواس وبهذا تقدم على شعراء عصره وناهيك بعصره وما جمعه من فحول الشعراء ويكفي منهم مسلم بن الوليد الذي كان فارس الشعر وله الاسلوب الغريب العجيب غير أنه كان يتعجرف في أكثر ألفاظه ويحكى أن أبا نواس جلس يوما الى بعض التجار ببغداد هو وجماعة من الشعراء فاستسقى ماء فلما شرب قال * عذب الماء وطابا * ثم قال أجيزوه فأخذ أولئك الشعراء يترددون في اجازته واذا هم بأبي العتاهية فقال ما شأنكم مجتمعين فقالوا هو كيت وكيت وقد قال أبو نواس * عذب الماء وطابا * فقال أبو العتاهية * حبذا الماء شرابا * فعجبوا لقوله على الفور من غير تلبث وكل شعر أبي العتاهية كذلك سهل الالفاظ وسأورد منه ههنا شيأ يستدل به على سلامة طبعه وترويق خاطره (فمن ذلك) قصيدته التي يمدح فيها المهدي ويشبب فيها بجاريته عتبة

ألا ما لسيدتي ما لها * تدل فأحمل ادلالها
ألا ان جارية للاما * م قد سكن الحسن سربالها
لقد أتعب الله قلبي بها * وأتعب في اللوم عذالها
كأن بعيني في حيثما * سلكت من الارض تمثالها

فلما وصل الى المديح قال من جملته

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره * لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه بنيات القلوب[٢] * لما قبل الله أعمالها

ويحكى أن بشارا كان شاهدا عند انشاد أبي العتاهية هذه الابيات فلما سمع المديح قال انظروا الى أمير المؤمنين هل طار عن أعواده يريد هل زال عن سريره طربا بهذا المديح ولعمري ان الامر كما قال بشار وخير القول ما أسكر السامع حتى ينقله عن حالته سواء كان في مديح أو غيره وقد أشرت الى ذلك فيما يأتي من هذا الكتاب عند ذكر الاستعارة فليؤخذ من هناك (واعلم) أن هذه الابيات المشار اليها ههنا من رقيق الشعر غزلا ومديحا وقد أذعن لمديحها الشعراء من أهل ذلك العصر ومع هذا فانك تراها من السلاسة واللطافة على أقصى الغايات وهذا هو الكلام الذي يسمى السهل الممتنع فتراه يطمعك ثم اذا حاولت مماثلته راغ عنك كما يروغ الثعلب وهكذا ينبغي أن يكون من خاض في كتابة أو شعر فان خير الكلام ما دخل الاذن بغير اذن (وأما) البداوة والعنجهية في الالفاظ فتلك أمة قد خلت ومع أنها قد دخلت وكانت في زمن العرب العاربة فانها قد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن

(٢) قوله بنيات بتخفيف الياء محافظة على الوزن اه

(والظبية) الرحم وفي رؤس المرفقين ابرة وهي شظية لاصقة بالذراع ليست منها (والداغصة) العظم المدور الذي على رأس الركبة وهما اثنان (والشظا) عظم لاصق بالركبة فاذا شخص قيل شظي الفرس وفي باطن الركبتين (مأبضان) وهما مثنى الوظيفين من باطن الركبتين وفي الوظيفين قيدان وهما حرفا وظيفي اليدين (وفيهما الصعبان) وهما عظمان شاخصان في الوظيفين من باطنهما (والعجايتان) عصبتان تكونان في باطن اليدين (وأسفل) منهما هناة كأنها الاظفار تسمى السعدانات وفي الوظيفين ثنتان وهو الشعر الذي يكون على مؤخر الرسغ فان لم يكن ثم شعر فهو أمرد وأمرط وأمعر وفي الوظيف (حوشب) وهو موصل الوظيف في الرسغ (وأم القردان) بين الثنة والحافر والعامة تسميها السكرجة (والسنبك) طرف مقدم الحافر (والاشعر) ما أحاط بالحافر من الشعر واطار الحافر ما أحاط بالاشعر (والحاميتان) عن يمين السنبك وشماله ويقال لجوف الحافر نحص (والنسور) في باطنه كأنها النوى والحصا (والبسة الحافر) مؤخره (والكاذتان) ما نتأ من اللحم في أعالي الفخذين (والجاعرتان) مضرب الفرس بذنبه على فخذيه (والعائلان) عرقان مستبطنا الفخذين (والنسيان) عرقان قد استبطنا الساق (والحماة) لحم الساق وفي العرقوبين ابرتان وهما حد كل عرقوب من ظاهر وفي

وقد غلب على الناس رقة الحضر (وبعد هذا) فاعلم أن الالفاظ تجرى من السمع مجرى الاشخاص من البصر فالالفاظ الجزلة تتخيل فى السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار والالفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذى دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج ولهذا ترى ألفاظ أبى تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم وتأهبوا للطراد وترى ألفاظ البحترى كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلى واذا أنعمت نظرك فيما ذكرته هنا وجدته قد دلك على الطريق وضربت لك أمثالا مناسبة (واعلم) أنه يجب على الناظم والناثر أن يجتنبا ما يضيق به مجال الكلام فى بعض الحروف كالثاء والذال والخاء والشين والصاد والطاء والظاء والغين فان فى الحروف الباقية مندوحة عن استعمال ما لا يحسن من هذه الاحرف المشار اليها والناظم فى ذلك أشد ملامة لانه يتعرض لان ينظم قصيدة ذات أبيات متعددة فيأتى فى أكثرها بالبشع الكريه الذى يمجه السمع لعدم استعماله كما فعل أبو تمام فى قصيدته الثائية التى مطلعها قف بالطلول الدارسات علاثا * وكما فعل أبو الطيب المتنبى فى قصيدته الشينية التى مطلعها * مبيتى من دمشق على فراش * وكما فعل ابن هانئ المغربى فى قصيدته الخائية التى مطلعها * سرى وجناح الليل أقتم أفتخ * والناظم لا يعاب اذا لم ينظم هذه الاحرف فى شعره بل يعاب اذا نظمها وجاءت كريهة مستبشعة وأما الناثر فانه أقرب حالا من الناظم لان غاية ما يأتى به سجعتان أو ثلاث أو أربع على حرف من هذه الاحرف وما يعدم فى ذلك مايروق اذا كان بهذه العدة اليسيرة فان كلفت أيها الشاعر أن تنظم شيأ على هذه الحروف فقل هذه الحروف هى مقاتل الفصاحة وعذرى واضح فى تركها فان واضع اللغة لم يضع عليها ألفاظا تعذب فى الفم ولا تلذ فى السمع والذى هو بهذه الصفة منها فان هو قليل جدا ولا يصاغ منه الا مقاطيع أبيات من الشعر وأما القصائد المقصدة فلا تصاغ منه وان صيغت جاء أكثرها بشعا كريها على أن هذه الحروف متفاوتة فى كراهة الاستعمال وأشدها كراهية أربعة أحرف وهى الخاء والصاد والظاء والغين وأما الثاء والذال والشين والطاء فان الامر فيهن أقرب حالا وهذا موضع ينبغى لصاحب الصناعة أن يمعن نظره فيه وفيما أشرنا اليه كفاية للمتعلم فليعرفه وليقف عنده (ومن أوصاف الكلمة) أن لا تكون مبتذلة بين العامة وذلك ينقسم قسمين (الاول) ما كان من الالفاظ دالا على معنى وضع له فى أصل اللغة فغيرته العامة وجعلته دالا على معنى آخر وهو ضربان الاول ما يكره ذكره كقول أبى الطيب

أذاق الغوانى حسنه ما أذقننى * وعف فجازاهن عنى بالصرم

فان لفظة الصرم فى وضع اللغة هو القطع يقال صرمه اذا قطعه فغيرتها العامة وجعلتها دالة على المحل المخصوص من الحيوان دون غيره فأبدلوا السين صادا ومن أجل ذلك استكره استعمال هذه اللفظة وما يجرى مجراها لكن المكروه منها ما يستعمل على صيغة الاسمية كما جاءت فى هذا البيت وأما اذا استعملت على صيغة الفعل كقولنا صرمه وصرمته وتصرمه فانها لا تكون كريهة لان استعمال العامة لا يدخل فى ذلك وهذا الضرب المشار اليه لا يعاب البدوى على استعماله كما يعاب الحتضر لان البدوى لم تتغير الالفاظ فى زمنه ولا تصرفت العامة فيها كما تصرفت فى زمن الحتضرة من الشعراء فمن أجل ذلك عيب استعمال لفظة الصرم وما جرى مجراها على الشاعر الحتضر ولم يعب على الشاعر المتبدى ألا ترى الى قول أبى صخر الهذلى

قد كان صرم فى الممات لنا * فعجلت قبل الموت بالصرم

فان هذا لا يعاب على صخر كما عيب على المتنبى قوله فى البيت المتقدم ذكره وقد صنف الشيخ

وظليف فى رجليه ظنبوبان قال أبو عبيدة وليس للفرس طحال (والسيساء) من الفرس الحارك ومن الحمار الظهر (والاعجل) من الفرس والبعير هو الا كحل من الانسان (والابق) من الخيل هو الابقع من الشاء والكلاب والطير (الذيال) الفرس الطويل الطويل الذنب فان كان طويل الذنب قصير اقيل فرس ذائل قال النابغة

* يسمو لى أوصال ذيال رفن *
أراد رفل فحول اللام نونا (فرس) حرورجمع القياد وفرس قؤود ينقاد (الشيطاط) من الخيل السريع السمين (والملواح) الذى لا يسمن (والوقع) الحفى من الخيل (والرحيل) الذى لا يحفى (والصلود) من الخيل الذى لا يعرق (والهضب) الكثير العرق قال طرفة

* وهضبات اذا ابتل العذر *
(مسنفات) فى الخيل بكسر النون متقدمات (ومسنفات) فى الابل بفتح النون مشدودات بالسنف والسنف جمع سناف (وهو) حبل يشد به ويقال للفرس عتيق وجواد وكريم ويقال للبرذون والبغل والحمار فاره قال الاصمعى كان عدى ابن زيد يخطأ فى قوله فى وصف الفرس فارها متتابعا وقال لم يكن له علم بالخيل

﴿شيات الخيل﴾

اذا ابيض أعلى رأسه فهو أصقع واذا ابيض قفاه فهو أقنف واذا ابيض رأسه كله فهو أغشى وأرخم فان شابت ناصيته فهو أسعف فان ابيضت كلها فهو أصبغ فان

أبو منصور بن أحمد البغدادي المعروف بابن الجواليقي كتابا في هذا الفن ووسمه باصلاح ماتغلط فيه العامة فنه ماهذا سبيله وهو الذي أنكر استعماله لكراهته ولانه عالم يتقل عن العرب فهذان عيبان وأما الضرب الثاني وهو أنه وضع في أصل اللغة لمعنى فجعلته العامة دالا على غيره لأنه ليس بمستقبح ولا مستنكره وذلك كتسميتهم الانسان ظريفا اذا كان دمث الاخلاق حسن الصورة أو اللباس أو ماهذا سبيله والظرف في أصل اللغة مختص بالنطق فقط (وقد قيل في صفات خلق الانسان ماأذكره ههنا) وهو الصباحة في الوجه الوضاءة في البشرة الجمال في الانف الحلاوة في العينين الملاحة في الفم الظرف في اللسان الرشاقة في القد اللباقة في الشمائل كمال الحسن في الشعر فالظرف انما يتعلق بالنطق خاصة فغيرته العامة عن بابه ومن غلط في هذا الموضع أبو نواس حيث قال

اختصم الجود والجمال * فيك فصارا الى جدال
فقال هذا يمينه لي * للعرف والبذل والنوال
وقال هذاك وجهه لي * للظرف والحسن والكمال
فافترقا فيك عن تراض * كلاهما صادق المقال

وكذلك غلط أبو تمام فقال

لك هضبة الحلم التي لو وازنت * أجأ اذن ثقلت وكان خفيفا
وحلاوة الشيم التي لو مازجت * خلق الزمان الفدم عاد ظريفا

فأبو نواس غلط ههنا في أنه وصف الوجه بالظرف وهو من صفات النطق وأبو تمام غلط في أنه وصف الخلق بالظرف وهو من صفات النطق أيضا الا أن هذا غلط لا يوجب في هذه اللفظة قبحا لكنه جهل بمعرفة أصلها في وضع اللغة (القسم الثاني) مما ابتذلته العامة وهو الذي لم تغيره عن وصفه وانما أنكر استعماله لانه مبتذل بينهم لا لانه مستقبح ولا لانه مخالف للموضع له وفي هذا القسم نظر عندي لانه ان كان عبارة عما يكثر تداوله بين العامة فان من الكثير المتداول بينهم أسماء الفاظا فصيحة كالسماء والارض والنار والماء والحجر والطين وأشباه ذلك وقد نطق بها القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه وجاءت في كلام الفصحاء نظما ونثرا والذي ترجح في نظري أن المراد بالمبتذل من هذا القسم انما هو الالفاظ السخيفة الضعيفة سواء تداولتها العامة أو الخاصة (فما) جاء منه قول أبي الطيب المتنبي

وملمومة سيفية ربعية * يصيح الحصا فيها صياح اللقالق

فان لفظة اللقالق مبتذلة بين العامة جدا وكذلك قوله

ومن الناس من تجوز عليهم * شعراء كأنها الخازباز

وهذا البيت من مضحكات الاشعار وهو من جملة البرسام الذي ذكره في شعره حيث قال

ان بعضا من القريض هراء * ليس شيأ أو بعضه احكام
فيه مايجلب البراعة والفهم وفيه مايجلب البرسام

ومثل هذه الالفاظ اذا وردت في الكلام وضعت من قدره ولو كان معنى شريفا وهذا القسم من الالفاظ المبتذلة لا يكاد يخلو منه شعر شاعر لكن منهم المقل ومنهم المكثر حتى ان العاربة قد استعملت هذا الا أنه في أشعارها أقل فمن ذلك قول النابغة الذبياني في قصيدته التي أولها

من آل مية رائح أو مغتدي

أو دمية في مرمر مرفوعة * بنيت بآجر يشاد بقرمد

كان بأذنيه نقش بياض فهو أذرأ والغرة ماقوق الدرهم والقرحة قدر الدرهم فما دون فان سالت غرته ودقت ولم تجاوز العينين فهي العصفور فان دقت وسالت وجللت الخيشوم ولم تبلغ الجحفلة فهي شمراخ فان ملأت الجبهة ولم تبلغ العينين فهي الشادخة فان أخذت جميع وجهه غير انه ينظر في سواد فهي المبرقعة فان رجعت غرته في أحد شقي وجهه الى أحد الخدين فهو لطيم فان فشت حتى تأخذ العينين فتبيض أشفارهما فهو مغرب فان كانت احدى عينيه زرقاء والاخرى كحلاء فهو أخيف فان كان بجحفلته العليا بياض فهو أرثم وان كان بالسفلى بياض فهو ألمظ فان كان أبيض الرأس والعنق فهو أدرع وان كان أبيض الظهر فهو أرحل وان كان أبيض العجز فهو آزر فان كان أبيض الجنب أو الجنبين فهو أخصف فان كان أبيض البطن فهو أنبط (والتحجيل) بياض يبلغ نصف الوظيف والمحجل ان تكون قوائمه الاربع بيضا يبلغ البياض منها ثلث الوظيف أو نصفه أو ثلثيه بعد ان يتجاوز الارساغ ولا يبلغ الركبتين والعرقوبين فيقال محجل القوائم فان أصاب البياض من التحجيل حقويه ومغابنه ومرجع مرفقيه من تحجيب بياض يديه ورجليه فهو أبلق وان بلغ البياض من التحجيل ركبة اليد وعرقوب الرجل فهو فرس مجبب والجبة موصل الوظيف في الذراع فان تجاوز البياض الى العضدين والفخذين فهو أبلق مسرول فان

فلفظه

فلفظة آجر مبتذله جدا وان شئت أن تعلم شيأ من سر الفصاحة التى تضمنها القرآن فانظر الى هذا الموضع فانه لما جىء فيه بذكر الآجر لم يذكر بلفظه ولا بلفظ القرمد أيضا ولا بلفظ الطوب الذى هو لغة أهل مصر فان هذه الاسماء مبتذلة لكن ذكر فى القرآن على وجه آخر وهو قوله تعالى وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا فعبر عن الآجر بالوقود على الطين (ومن هذا القسم المبتذل) قول الفرزدق فى قصيدته التى أولها عرفت بأعشاش وما كدت تعرف

وأصبح مبيض الضريب كأنه * على سروات البيت قطن مندف

فقوله مندف من الالفاظ العامية (ومن هذا القسم) قول البحترى

وجوه حسادك مسودة * أم صبغت بعدى بالزاج

فلفظة الزاج من أشد ألفاظ العامة ابتذالا وقد استعمل أبو نواس هذا النوع فى شعره كثيرا كقوله

يا من جفانى وملا * نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحب لما * رأيت مالى قلا
انى أظنك فيما * فعلت تحكى القرلا

(وكقوله)

وا غمر الجلدة صيرته * فى الناس زعزاعا وشقراقا
ما زلت أجرى كلكى فوقه * حتى دعا من تحته قاقا

(وكقوله)

وملحة بالعذل تحسب أننى * بالجهل أترك صحبة الشطار

وقد استعمل لفظة الشاطر والشاطرة والشطار والشطارة كثيرا وهى من الالفاظ التى ابتذلها العامة حتى سمجت من ابتذالها وهذه الامثلة تمنع الواقف عليها من استعمال أشباهها وأمثالها (ومن أوصاف الكلمة) أن لا تكون مشتركة بين معنيين أحدهما يكره ذكره واذا وردت وهى غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت وذلك اذا كانت مهملة بغير قرينة تميز معناها عن القبح فأما اذا جاءت ومعها قرينة فانها لا تكون معيبة كقوله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ألا ترى أن لفظة التعزير مشتركة تطلق على التعظيم والاكرام وعلى الضرب الذى هو دون الحد وذلك نوع من الهوان وهما معنيان ضدان فحيث وردت فى هذه الآية جاء معها قرائن من قبلها ومن بعدها خصت معناها بالحسن وميزته عن القبح ولو وردت مهملة بغير قرينة وأريد بها المعنى الحسن لسبق الى الوهم ما اشتملت عليه من المعنى القبيح مثال ذلك لو قال قائل لقيت فلانا فعزرته لسبق الى الفهم أنه ضربه وأهانه ولو قال لقيت فلانا فأكرمته وعزرته لزال ذلك اللبس (واعلم) أنه قد جاء من الكلام ما معه قرينة فأوجبت قبحه ولو لم تجئ معه لما استقبح كقول الشريف الرضى

أعزز علىّ بأن أراك وقد خلا * عن جانبيك مقاعد العوّاد

وقد ذكر ابن سنان الخفاجى هذا البيت فى كتابه فقال ان ايراد هذه اللفظة فى هذا الموضع صحيح الا أنه موافق لما يكره ذكره فى مثل هذا الشعر لاسيما وقد أضافه الى من يحتمل اضافته اليه وهم العوّاد ولو انفرد لكان الامر فيه سهلا فأما الاضافة الى من ذكره ففيها قبح لا خفاء به هذا حكاية كلامه وهو مرضى واقع فى موقعه ولنذكر نحن ما عندنا فى ذلك فنقول قد جاءت هذه اللفظة المعيبة فى الشعر فى القرآن الكريم فجاءت حسنة مرضية وهى قوله تعالى واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال وكذلك قوله تعالى وانا لمسنا السماء

كان البياض بيديه دون رجليه فهو أعصم فان كان باحدى يديه دون الاخرى قيل أعصم اليمنى أو اليسرى فان كان البياض فى يديه الى مرفقيه دون الرجلين فهو أقفز فان كان البياض برجليه دون اليد فهو محجل ان تجاوز الارساغ وان كان باحدى يديه وتجاوز الرسغ فهو محجل الرجل اليمنى أو اليسرى وان كان كذلك متجاوز الارساغ فى ثلاث قوائم دون رجل أو يد فهو محجل ثلاث مطلق يدا أو رجلا ولا يكون التحجيل واقعا بيد أو يدين الا أن يكون معها أو معهما رجل أو رجلان فان قصر البياض عن الوظيف واستدار بارساغ رجليه دون يديه فذلك التخديم يقال فرس مخدم وأخدم فان كان برجل واحدة فهو أرجل فان لم يستدر البياض وكان فى مآخير ارساغ رجليه أو يديه فهو منعل يد كذا أو رجل كذا أو اليدين أو الرجلين فان كان بياض التحجيل فى يد ورجل من خلاف فذلك الشكال وهو يكره وقوم يجعلون الشكال البياض فى ثلاث قوائم واذا كان محجل يد ورجل من شق قالوا هو ممسك الايامن مطلق الاياسر أو ممسك الاياسر مطلق الايامن وان أصاب الاوظفة بياض ولم يعدها الى أسفل ولا فوق فذلك التوقيف يقال فرس موقف فان ابيضت أطراف الثنن فهو أكسع فان ابيضت الثنن كلها ولم تصل ببياض التحجيل فى يد (١) كان ذلك أو رجل أو أكثر فهو

(١) قوله كان ذلك هكذا بالنسخة المطبوعة والصواب حذفه اه مصححه

فوجدناها ملئت حرساشديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ألا ترى أنها فى هاتين الآيتين غير مضافة الى من تقبح اضافته اليه كما جاءت فى الشعر ولو قال الشاعر بدلا من مقاعد العوّاد مقاعد الزيارة أو ما يجرى مجراه لذهب ذلك القبح وزالت تلك الهجنة ولهذا جاءت هذه اللفظة فى الآيتين على ما تراه من الحسن وجاءت على ما تراه من القبح فى قول الشريف الرضى وعلى هذا ورد قول تأبط شرا

أقول للحيان وقد صفرت لهم * وطابى ويومى ضيق الجحر معور

فانه أضاف الجحر الى اليوم فأزال عنه هجنة الاشتباه لان الجحر يطلق على كل ثقب كثقب الحية واليربوع وعلى المحل المخصوص من الحيوان فاذا ورد مهملا بغير قرينة تخصصه سبق الى الوهم ما يقبح ذكره لاشتهاره به دون غيره ومن ههنا ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن لا يلسع من جحر مرتين وحيث قال يلسع زال اللبس لان اللسع لا يكون الا للحية وغيرها من ذوات السموم وأما ما ورد مهملا بغير قرينة فقول أبى تمام

أعطيت لى دية القتيل وليس لى * عقل ولا حق عليك قديم

فقوله ليس لى عقل يظن أنه من عقل الشئ اذا علمه ولو قال ليس لى عليك عقل زال اللبس فيجب اذا على صاحب هذه الصناعة أن يراعى فى كلامه مثل هذا الموضع وهو من جملة الالفاظ المشتركة التى يحتاج فى ايرادها الى قرينة تخصصها ضرورة (ومن أوصاف الكلمة) أن تكون مؤلفة من أقل الاوزان تركيبا وهذا ما ذكره ابن سنان فى كتابه ثم مثله بقول أبى الطيب المتنبى

ان الكرام بلا كرام منهم * مثل القلوب بلا سويداواتها

وقال ان لفظة سويداواتها طويلة فلهذا قبحت وليس الامر كما ذكره فان قبح هذه اللفظة لم يكن بسبب طولها وانما هو لانها فى نفسها قبيحة وقد كانت وهى مفردة حسنة فلما جمعت قبحت لا بسبب الطول والدليل على ذلك انه قد ورد فى القرآن الكريم ألفاظ طوال وهى مع ذلك حسنة كقوله تعالى فسيكفيكهم الله فان هذه اللفظة تسعة أحرف وكقوله تعالى ليستخلفنهم فى الارض فان هذه اللفظة عشرة أحرف وكلتاهما حسنة رائقة ولو كان الطول مما يوجب قبحا لقبحت هاتان اللفظتان وليس كذلك ألا ترى أنه لو أسقط من لفظة سويداواتها الهاء والالف اللتين هما عوض عن الاضافة لبقى منها ثمانية أحرف ومع هذا فانها قبيحة ولفظة ليستخلفنهم عشرة أحرف وهى أطول منها بحرفين ومع هذا فانها حسنة رائقة والاصل فى هذا الباب ما أذكره وهو أن الاصول من الالفاظ لا تحسن الا فى الثلاثى وفى بعض الرباعى كقولنا عذب وعسجد فان هاتين اللفظتين احداهما ثلاثية والاخرى رباعية وأما الخماسى من الاصول فانه قبيح ولا يكاد يوجد منه شئ حسن كقولنا جحمرش وصهصلق وما يجرى مجراهما وكان ينبغى على ما ذكره ابن سنان أن تكون هاتان اللفظتان حسنتين واللفظتان الواردتان فى القرآن قبيحتين لان تلك تسعة أحرف وعشرة وهاتان خمسة وخمسة ونرى الامر بالضد مما ذكره وهذا لا يعتبر فيه طول ولا قصر وانما يعتبر نظم تأليف الحروف بعضها مع بعض وقد تقدم الكلام على ذلك ولهذا لا يوجد فى القرآن من الخماسى الاصول شئ الا ما كان من اسم نبى عرب اسمه ولم يكن فى الاصل عربيا نحو ابراهيم واسمعيل (ومما يدخل فى هذا الباب) أن تجتنب الالفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها سواء كانت طويلة أو قصيرة ومثال ذلك قول امرئ القيس فى قصيدته اللامية التى هى من جملة القصائد السبع الطوال

غدا

أصبغ (والشعل) بياض فى عرض الذنب فان ابيض كله أو أطرافه فهو أصبغ

﴿ألوان الخيل﴾

فرق ما بين الكميت والاشقر بالعرف والذنب فان كانا أحمرين فهو أشقر وان كانا أسودين فهو كميت والورد بينهما والانثى وردة والجمع وراد والكميت للذكر والانثى سواء والاخضر فى كلام العجم الديزج وهو من الحمير الادغم والورد الاغبس وهو فى كلام العجم السمند (والصنابى) هو الكميت أو الاشقر يخالط شقرته شعرة بيضاء ينسب الى الصناب وهو الخردل بالزبيب (والبهيم) هو المصمت الذى لا شية به ولا وضح أى لون كان (ومما يقال) له بهيم ولا شية به الابرش والاغر والاشيم والمدنر والابقع والابلق (فالابرش) الارقط (والاغر) ان تكون به نقعة بيضاء أو نقعة أخرى أى لون كان (والاشيم) أن تكون به شامة أو شام فى جسده (والمدنر) الذى به نكت فوق البرش (والابقع) الذى تكون فى جسده بقع تخالف سائر لونه

﴿الدوائر فى الخيل وما يكره من شياتها﴾

الدوائر ثمانى عشرة دائرة يكره منها الهقعة وهى التى تكون فى عرض زوره ويقال أن ابقى الخيل المهقوع (ودائرة القالع) وهى التى تكون تحت اللبد (ودائرة الناخس) وهى التى تكون تحت الجاعرتين الى الفائلين (ودائرة اللطاة) فى وسط الجبهة وليست تكره اذا كانت واحدة فان كان

غدائره مستشزرات الى العلا * تضل (٢) المدارى فى مثنى ومرسل

فلفظة مستشزرات مما يقبح استعمالها لانها تثقل على اللسان ويشق النطق بها وان لم تكن طويلة لانا لو قلنا مستنكرات أو مستنفرات على وزن مستشزرات لما كان فى هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة وربما اعترض بعض الجهال فى هذا الموضع وقال ان كراهة هذه اللفظة انما هو لطولها وليس الامر كذلك فانا لو حذفنا منها الالف والتاء وقلنا مستشزر لكان ذلك ثقيلا أيضا وسببه ان الشين قبلها تاء وبعدها زاى فثقل النطق بها والا فلو جعلنا عوضا من الزاى راء ومن الراء فاء فقلنا مستشرف لزال ذلك الثقل ولقد رأيت بعض الناس وأنا أعيب على امرئ القيس هذه اللفظة المشار اليها فأكبر ذلك لوقوفه مع شهرة التقليد فى أن امرأ القيس أشعر الشعراء فعجبت من ارتباطه بمثل هذه الشبهة الضعيفة وقلت له لا يمنع احسان امرئ القيس من استقباح ماله من القبيح ومثال هذا كمثال غزال المسك فانه يخرج منه المسك والبعر ولا يمنع طيب ما يخرج من مسكه من خبث ما يخرج من بعره ولا تكون لذاذة ذلك الطيب حامية للخبث من الاستكراه فأسكت الرجل عند ذلك (وحضر) عندى فى بعض الايام رجل من اليهود وكنت اذ ذاك بالديار المصرية وكان لليهود فى هذا الرجل اعتقاد لمكان علمه فى دينهم وغيره وكان لعمرى كذلك فجرى ذكر اللغات وأن اللغة العربية هى سيدة اللغات وأنها أشرفهن مكانا وأحسنهن وضعا فقال ذلك الرجل كيف لا تكون كذلك وقد جاءت آخرا فنفت القبيح من اللغات قبلها وأخذت الحسن ثم ان واضعها تصرف فى جميع اللغات السالفة فاختصر ما اختصر وخفف ما خفف فمن ذلك اسم الجمل فانه عندنا فى اللسان العبرانى كوميل ممالا على وزن فوعيل فجاء واضع اللغة العربية وحذف منها الثقيل المستبشع وقال جمل فصار خفيفا حسنا وكذلك فعل فى كذا وكذا وذكر أشياء كثيرة ولقد صدق فى الذى ذكره وهو كلام عالم به (ومن أوصاف الكلمة) أن تكون مبنية من حركات خفيفة ليخف النطق بها وهذا الوصف يترتب على ما قبله من تأليف الكلمة ولهذا اذا توالى حركتان خفيفتان فى كلمة واحدة لم تستثقل وبخلاف ذلك الحركات الثقيلة فانه اذا توالى منها حركتان فى كلمة واحدة استثقلت ومن أجل ذلك استثقلت الضمة على الواو والكسرة على الياء لان الضمة من جنس الواو والكسرة من جنس الياء فتكون عند ذلك كأنها حركتان ثقيلتان ولنمثل لذلك مثالا لنهتدى به فى هذا الموضع وهو أنا نقول اذا أتينا بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف وهى ج ز ع فاذا جعلنا الجيم مفتوحة فقلنا الجزع أو مكسورة فقلنا الجزع كان ذلك أحسن من أن لو جعلنا الجيم مضمومة فقلنا الجزع وكذلك اذا والينا حركة الفتح فقلنا الجزع كان ذلك أحسن من موالاة حركة الضم عند قولنا الجزع ومن المعلوم أن هذه اللفظة لم يكن اختلاف حركاتها مغيرا لمخارج حروفها حتى ينسب ذلك الى اختلاف تأليف مخارج بل وجدناها تارة تكتسى حسنا وتارة يسلب ذلك الحسن عنها فعلمنا أن ذلك حادث عن اختلاف تأليف حركاتها (واعلم) أنه قد توالت حركة الضم فى بعض الالفاظ ولم يحدث بها كراهة ولا ثقلا كقوله تعالى ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر وكقوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر وكقوله تعالى وكل شئ فعلوه فى الزبر فحركة الضم فى هذه الالفاظ متوالية وليس بها من ثقل ولا كراهة وكذلك ورد قول أبى تمام

(٢) جمع مدرى ومدراة ومدرية شئ يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر الملبد ويستعمل من لم يكن له مشط هذا والرواية المشهورة تضل العقاص جمع عقيصة وهى الخصلة المجموعة من الشعر اه

هذا له دائرتان فلو افرس نطيح وذلك مكروه وما سوى هذه من الدوائر غير مكروه (ويكره) فى الاشيم ان تكون به شامة بيضاء أو غير بيضاء فى مؤخره أو شقه الايمن (ويكره) الشكال وقد اختلف فيه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله انه كان يكرهه (ويكره) الرجل الا ان يكون به وضح غيره قال الشاعر

أسيل نبيل ليس فيه معابة
كميت كلون الصرف أرجل أقرح

﴿السوابق من الخيل﴾

أولها السابق ثم المصلى وذلك لان رأسه عند صلا السابق ثم الثالث والرابع كذلك الى التاسع والعاشر السكيت ويقال أيضا السكيت مشددا فما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفسكل الذى يجئ فى الحلبة آخر الخيل

﴿معرفة فى خلق الانسان﴾

من عيوب الخلق (الفقم) وهو ان تتقدم الثنايا السفلى اذا ضم الرجل فاه فلا تقع عليها العليا (والضزز) لصوق الحنك الاعلى بالحنك الاسفل فاذا تكلم تكاد أضراسه العلى تمس السفلى (والضجم) ميل يكون فى الفم وفيما يليه من الوجه (والفأفاء) ان يتردد المتكلم فى الفاء فاذا تردد فى التاء فهو تمتام فاذا دخل بعض كلامه فى بعض قيل بلسانه لفف والالثغ الذى يرجع لسانه فى المنطق الى الياء والغين (والشطور) فى البصر هو ان تراه كأنه ينظر اليك والى آخر يقال شطر بصره يشطر شطورا

نفس يحتثه نفس * ودموع ليس تحتبس ومغان للكرى دثر * عطل من عهده درس
شهرت ما كنت أكتمه * ناطقات بالهوى خرس

فانظر كيف جاءت هذه الالفاظ الاربعة مضمومات كلها وهي مع ذلك حسنة لا تثقل بها ولا ينبو السمع عنها وهذا لا ينقض ما أشرنا اليه لان الغالب أن يكون توالي حركة الضم مستثقلا فاذا شذ عن ذلك شيء يسير لا ينقض الاصل المقيس عليه (القسم الثاني في الالفاظ المركبة) قد قدمنا القول في شرح أحوال اللفظة المفردة وما يختص بها وأما اذا صارت مركبة فان التركيب احكاما آخر وذلك أنه يحدث عنه من فوائد التأليفات والامتزاجات ما يخيل للسامع أن هذه الالفاظ ليست تلك التي كانت مفردة ومثال ذلك كمن اخذ لآلي ليست من ذوات القيم الغالية فألفها وأحسن الوضع في تأليفها فخيل للناظر بحسن تأليفه واتقان صنعته أنها ليست تلك التي كانت منثورة مبددة وفي عكس ذلك من يأخذ لآلي من ذوات القيم الغالية فيفسد تأليفها فانه يضع من حسنها وكذلك يجري حكم الالفاظ العالية مع فساد التأليف وهذا موضع شريف ينبغي الالتفات اليه والعناية به (واعلم) أن صناعة تأليف الالفاظ تنقسم الى ثمانية أنواع هي السجع ويختص بالكلام المنثور والتصريع ويختص بالكلام المنظوم وهو داخل في باب السجع لانه في الكلام المنظوم كالسجع في الكلام المنثور والتجنيس وهو يعم القسمين جميعا والترصيع وهو يعم القسمين أيضا جميعا ولزوم ما لا يلزم وهو يعم القسمين أيضا والموازنة وتختص بالكلام المنثور واختلاف صيغ الالفاظ وهو يعم القسمين جميعا وتكرير الحروف وهو يعم القسمين جميعا (النوع الاول السجع) وحده أن يقال تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا به والا فلو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم فانه قد أتى منه بالكثير حتى انه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور فمن ذلك قوله تعالى ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا وكقوله تعالى في سورة طه طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وكذلك قوله تعالى في سورة ق بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج وكقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا وأمثال ذلك كثيرة وقد ورد على هذا الاسلوب من كلام النبي صلى الله عليه وسلم شيء كثير أيضا (فمن ذلك) ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استحيوا من الله حق الحياء قلنا انا لنستحي من الله يا رسول الله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا (ومن ذلك) ما رواه عبد الله بن سلام فقال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئت في الناس لانظر اليه فلما تبينت وجهه علمت انه ليس بوجه كذاب فكان أول شيء تكلم به أن قال أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام (فان قيل) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبعضهم منكرا عليه وقد كلمه بكلام مسجوع أسجعا

السجع

(والاطراق) استرخاء الجفون (والغرب) ورم يكون في المآقي يقال غربت عينه تغرب غربا (والخفش) صغر العين وضعف البصر (والدوش) ضيق العين وضعف البصر (والذلف) في الانف قصره وصغر أرنبته (والخنس) تأخر الانف في الوجه وقصره (والفطس) عرض الانف وتطامن قصبته (والطرامة) الخضرة في الاسنان (والقلح) الصفرة فيها (والوقص) قصر العنق (والهنع) تطامنها (والاوص) المجتمع المنكبين يكاد ان يمس أذنيه (والاوص) أيضا المتقارب الاضراس (والاحدل) المائل الشق (والطلع) في الشفاه بياض فيها وأكثر ما يعتري ذلك السودان ويعتريهم أيضا (الاجرة) وهي خروج السرة (والصدع) في الكف زيغ في الرسغ بينها وبين الساعد وفي القدم كذلك زيغ بينها وبين عظم الساق (والكوع) ان تعوج الكف من قبل الكوع (والفلج) الاعوجاج في اليد فان كان في الرجلين فهو فحج (والقعس) في الظهر دخوله وخروج الصدر (والحدب) دخول الصدر وخروج الظهر (والآدر) عظيم الخصيتين يقال آدر بين الادرة (والشرج) أن تعظم واحدة وتصغر الاخرى (والمشق) أن تصطك أليتا الرجل حتى تنسحجا فاذا عظمتا فلم تلتقيا قيل رجل أفرج وهذا يكون في الحبشة (والمذح) أن تصطك فخذاه (والصكك) ان تصطك ركبتاه قال أبو عمرو الصكك في الرجلين (والبدد) في الناس تباعد

كسجع الكهان ولولا أن السجع مكروه لما أنكره النبي صلى الله عليه وسلم (فالجواب) عن ذلك أنا نقول لو كره النبي صلى الله عليه وسلم السجع مطلقا لقال أسجعا ثم سكت وكان المعنى يدل على انكار هذا الفعل لم كان فلما قال أسجعا كسجع الكهان صار المعنى معلقا على أمر وهو انكار الفعل لم كان على هذا الوجه فعلم أنه انما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير وانه لم يذم السجع على الاطلاق وقد ورد في القرآن الكريم وهو صلى الله عليه وسلم قد نطق به في كثير من كلامه حتى انه غير الكلمة عن وجهها اتباعا لها بأخواتها من أجل السجع فقال لابن ابنته عليهما السلام أعيذه من الهامة والسامة وكل عين لامة وانما أراد ملمة لان الاصل فيها من ألم فهو ملم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مأزورات غير مأجورات وانما أراد موزورات من الوزر فقال مأزورات لمكان مأجورات طلبا للتوازن والسجع وهذا مما يدلك على فضيلة السجع على أن هذا الحديث النبوي الذي يتضمن انكار سجع الكهان عندي فيه نظر فان لو هم يسبق الى انكاره بقال فما سجع الكهان الذي يتعلق الانكار به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم والجواب عن ذلك أن النهي لم يكن عن السجع نفسه وانما النهي عن حكم الكاهن الوارد باللفظ المسجوع ألا ترى أنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنين بغرة عبد أو أمة قال الرجل أأدي من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان أي أتتبع سجعا كسجع الكهان وكذلك كان الكهنة كلهم فانهم كانوا اذا سئلوا عن أمر جاؤا بالكلام مسجوعا كما فعل الكاهن في قصة هند بنت عتبة فانه قال لما امتحن قبل السؤال عن قصتها ثمرة في كمرة فقيل له نريد أبين من هذا فقال حبة بر في احليل مهر والحكاية مشهورة فلهذا اختصرناها هنا وكذلك قال سطيح فانه قال عبد المسيح جاء الى سطيح وهو موف على الضريح لرؤيا الموبذان وارتجاس الايوان وأتم الكلام الى آخره مسجوعا والحكاية مشهورة أيضا فلهذا اختصرناها فالسجع اذا ليس بمنهي عنه وانما المنهي عنه هو الحكم المتبوع في قول الكاهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجعا كسجع الكهان أي أحكما كحكم الكهان به ذلك والا فالسجع الذي أتى الرجل لا بأس به لانه قال أأدي من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل وهذا كلام حسن من حيث السجع وليس بمنكر لنفسه وانما المنكر هو الحكم الذي تضمنه في امتناع الكاهن أن يدي الجنين بغرة عبد أو أمة (واعلم) أن الاصل في السجع انما هو الاعتدال في مقاطع الكلام والاعتدال مطلوب في جميع الاشياء والنفس تميل اليه بالطبع ومع هذا فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد اذ لو كان ذلك هو المراد من السجع لكان كل أديب من الادباء سجاعا وما من أحد منهم ولو شدا شيأ يسيرا من الادب الا ويمكنه أن يؤلف ألفاظا مسجوعة ويأتي بها في كلامه بل ينبغي أن تكون الالفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة رنانة لا غثة ولا باردة وأعني بقولي غثة باردة أن صاحبها يصرف نظره الى السجع نفسه من غير نظر الى مفردات الالفاظ المسجوعة وما يشترط لها من الحسن ولا الى تركيبها وما يشترط له من الحسن وهو في الذي يأتي به من الالفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابا من الكرسف أو ينظم عقدا من الخزف الملون وهذا مقام تزل عنه الاقدام ولا يستطيعه الا الواحد من أرباب هذا الفن بعد الواحد ومن أجل ذلك كان أربابه قليلا فاذا صفي الكلام المسجوع من الغثاثة والبرد فان وراء ذلك مطلوبا آخر وهو أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ فانه يجيء عند ذلك كظاهر مموه على باطن مشوه ويكون مثله

ما بين الفخذين وفي ذوات الاربع في اليدين (والافحج) الذي تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه وتتفحج ساقاه (والاروح) الذي تتدانى عقباه وتتباعد صدور قدميه (والوكع) ميل ابهام الرجل على الاصابع حتى تزول فيرى شخص أصلها خارجا ومنه قيل أمة وكعاء (والحنف) أن تقبل كل واحدة من الابهامين على صاحبتها قال ابن الاعرابي الاحنف الذي يمشي على ظهر قدميه (والاقفد) الذي يمشي على صدورها (والاعلم) المشقوق الشفة العليا (والافلح) المشقوق الشفة السفلى يكون ذلك خلقة (والاجلع) بالجيم معجمة الرجل اذا لم تنضم شفتاه على اسنانه وفي النساء الضهياء التي لا تحيض والتي لا ينبت ثدياها (والمتكاء) التي لا تحبس بولها وهو من الرجال الامشن ويقال للمرأة التي لا تستتر نفسها اذا خلت مع زوجها جليع (والمفضاة) التي صار مسلكاها شيأ واحدا وهي الشريم أيضا (والمأسوكة) التي أخطأت خافضتها فاصابت غير موضع الخفض ومثلها من الرجال المكمور والقرن كالعفلة اختصم الى شريح في جارية بها قرن فقال اقعدوها فان أصاب الارض فهو عيب وان لم يصب الارض فليس بعيب ويقال جاءت المرأة الغلام سهوا أي على حيض (العال) تقول العرب لداء هو الازم يعنون الحمية وأصل الازم ضم الاسنان كأنه يعض وقال ابن مسعود أصل كل داء البردة يعني التخمة ومن

كمعدن ذهب على نصل من خشب وكذلك يجرى الحكم فى الانواع الباقية الآتى ذكرها من التجنيس والترصيع وغيرهما وسأبين لك فى هذا مثالا تتبعه فأقول اذا صورت فى نفسك معنى من المعانى ثم أردت أن تصوغه بلفظ مسجوع ولم يؤاتك ذلك الا بزيادة فى ذلك اللفظ أو نقصان منه ولا يكون محتاجا الى الزيادة ولا الى النقصان وانما يفعل ذلك لان المعنى الذى قصدته يحتاج الى لفظ يدل عليه واذا دللت عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعا الا أن تضيف اليه شيأ آخر أو تنقص منه فاذا فعلت ذلك فانه هو الذى يذم من السجع ويستقبح لما فيه من التكلف والتعسف وأما اذا كان محمولا على الطبع غير متكلف فانه يجىء فى غاية الحسن وهو أعلى درجات الكلام واذا تهيأ للكاتب أن يأتى به فى كتابته كلها على هذه الشريطة فانه يكون قد ملك رقاب الكلام يستعبد كرائمها ويستولد عقائلها وفى مثل ذلك فليتنافس وعن مقامه فيتقاعس ولصاحبه أولى بقول أبى الطيب المتنبى

أنت الوحيد اذا ركبت طريقة * ومن الرديف وقد ركبت غضنفرا

(فان قيل) فاذا كان السجع أعلى درجات الكلام على ماذهبت اليه فكان ينبغى أن يأتى القرآن كله مسجوعا وليس الامر كذلك بل منه المسجوع ومنه غير المسجوع (قلت فى الجواب) ان أكثر القرآن مسجوع حتى ان السورة لتأتى جميعها مسجوعة وما منع أن يأتى القرآن كله مسجوعا الا أنه سلك مسلك الايجاز والاختصار والسجع لا يؤاتى فى كل موضع من الكلام على حد الايجاز والاختصار فترك استعماله فى جميع القرآن لهذا السبب وههنا وجه آخر هو أقوى من الاول ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع وانما تضمن القرآن غير المسجوع لان ورود غير المسجوع معجزا أبلغ فى باب الاعجاز من ورود المسجوع ومن أجل ذلك تضمن القرآن القسمين جميعا (واعلم) أن للسجع سرا هو خلاصته المطلوبة فان عرى الكلام المسجوع منه فلا يعتد به أصلا وهذا شىء لم ينبه عليه أحد غيرى وسأبينه ههنا وأقول فيه قولا هو أبين مما تقدم وأمثل لك مثالا اذا حذوته أمنت الطاعن والعائب وقيل فى كلامك ليبلغ الشاهد الغائب والذى أقوله فى ذلك هو أن تكون كل واحدة من السجعتين المزدوجتين مشتملة على معنى غير المعنى الذى اشتملت عليه أختها فان كان المعنى فيهما سواء فذلك هو التطويل بعينه لان التطويل انما هو الدلالة على المعنى بألفاظ يمكن الدلالة عليه بدونها واذا وردت سجعتان يدلان على معنى واحد كانت احداهما كافية فى الدلالة عليه وجل كلام الناس المسجوع جار عليه واذا تأملت كتابة المفلقين ممن تقدم كالصابى وابن العميد وابن عباد وفلان وفلان فانك ترى أكثر المسجوع منه كذلك والاقل منه على ما أشرت اليه ولقد تصفحت المقامات الحريرية والخطب النباتية على غرام الناس بهما وإكبابهم عليهما فوجدت الاكثر من السجع فيهما على الاسلوب الذى أنكرته فالكلام المسجوع اذا يحتاج الى أربع شرائط الاولى اختيار مفردات الالفاظ على الوجه الذى أشرت اليه فيما تقدم الثانية اختيار التركيب على الوجه الذى أشرت اليه أيضا فيما تقدم الثالثة أن يكون اللفظ فى الكلام المسجوع تابعا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ الرابعة أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها فهذه أربع شرائط لا بد منها * وسأورد ههنا من كلامى أمثلة يحتذى حذوها فانى لما سلكت هذه الطريق وأتيت بكلامى مسجوعا توخيت أن تكون كل سجعة منه مختصة بمعنى غير المعنى الذى تضمنته أختها ولم أخل بذلك فى مكاتباتى كلها واذا تأملتها علمت صحة ما قد ذكرته (فمن ذلك) ما كتبته فى صدر كتاب عن بعض الملوك الى دار الخلافة

وهو

الحمى رسم أو رسيسها وذلك حين تجد لها فترة وتكسيرا (والورد) يوم الحمى (والغب) ان تأخذه يوما وتدعه يوما (والربع) ان تدعه يومين وتأخذه اليوم الثالث (والموم) البرسام (والعذرة) وجع الحلق وأكثر ما يعترى الصبيان فيعلق عنهم (والاعلاق) والدغرة شىء واحد وهو أن ترفع اللهاة ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله عن ذلك وأمر بالقسط البحرى (قال جرير)

غمز ابن مرة يا فرزدق كينها
غمز الطبيب نغانغ المعذور

قال الاصمعى الشغاف داء يسيل من الصدر يقال انه اذا التقى هو والطحال مات صاحبه (قال النابغة)

وقد حال هم دون ذلك داخل
ولوج الشغاف تبتغيه الاصابع

يعنى أصابع الاطباء تلمسه تنظر هل نزل أو لم ينزل (والكباد) وجع الكبد قال النبى صلى الله عليه وسلم الكباد من العب والعب شدة جرع الماء كما تجرع الدواب (والصفار) والصفر الماء المجتمع فى البطن يعالج بقطع النائط وهو عرق فى الصلب (قال العجاج)

* قضب الطبيب نائط المصفور *

وقد يعالج بالكى واللدود وغير ذلك قال ابن احمر وكان شق بطنه

شربت الشكاعى والتددت ألدة
وأقبلت أفواه العروق المكاويا

(والذرب) فساد المعدة يقال ذربت معدته تذرب ذربا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى ألبان الابل وأبوالها شفاء للذرب (والعلوص) اللوى (والرثية) وجع المفاصل (والهلاس) والهلاس

وهو الخادم واقف موقف راج هائب لازم بكتابه هذا وقارحاصر عن شخص غائب موجه وجهه الى ذلك الجناب الذى تقسم فيه أرزاق العباد ويتأدب به الزمان تأدب ذوى الاستعباد وتستمد الملوك من خدمته شرف الجدود كما تستغنى بنسبها اليه عن شرف الاجداد ولو ملك الخادم نفسه لقصرها على خدمة قصره وأخطاها من النظر اليه ببرد العيش الذى عمرها محسوب من عمره وهذا القول يقوله وكل ماجد فيه حاسد ويتأمليه راكع ساجد والديوان العزيز محسود الاقتراب وهو موطن الرغبات الذى الاغتراب لديه انس بالاغتراب ومايتنافس فى القرب من أبوابه الكريمة لاذوو الهمم الكريمة وقدودت الكواكب بأسرها أن تكون له منادمة فضلا عن ندمانى جذيمة (ومن ذلك) ما كتبته من كتاب يتضمن العناية ببعض الناس وهو الكريم من أوجب اسائله حقا وجعل كواذب آماله صدقا وكان خرق العطايا منه خلقا ولم ير بين ذعمه وبين رحمه فرقا وكل ذلك موجود فى كرم مولانا أجراه الله من فضله على وتيرة وجعل همه على تمم كل نقص قديرة وأوطأه من كل مجد سريرا كما بوأه من كل قلب سريرة ولازالت يده بالمكارم جديرة ومن الايام مجيرة واضرائرها من البحار والسحاب مميرة ولا برحت تستولد عقائم المعانى وتستعبد أبيتها حتى تشهد الناس منها فى كل يوم عقيقة أو وكيرة ومن صفات كرمه أنه يسبك الاموال ما تزو يتخذها عند السؤال ذخائر وهى تفنى لديهم بالانفاق وذكرها على مرور الايام باق ومن أربح منه صفقة وقد باع صامتا بناطق وما هو معرض لحوادث السرقات بما لاتصل اليه يد سارق ومثله من عرف الدنيا فرغب عن اقتنائها وجد فى اقتناء محامد هدم بنائها وعلم أن ماله ليس عند الضنين به الاأحجارا وأن غناه منها لا يزيده الا افتقارا فهو له عبد يخدمه ولا يستخدمه وأم ترضعه بسعيها ولا تفطمه (ومنه) ما كتبته فى جواب كتاب يتضمن اباق غلام وهو أول كتاب ورد من المكتوب عنه الى المكتوب اليه فقلت وأما الاشارة الكريمة فى أمر الغلام الآبق عن الخدمة فقد يفر المهر من عليقه ويطير الفراش الحصر بقه وغير بعيد أن ينبو به منجمه أو يكبو به مطمعه فيرجع وقد حمد من رجوعه ماذمه من ذهابه وعلم أن الغنيمة كل الغنيمة فى ايابه فما كل شجرة تحلو لذائقها ولا كل دار ترحب بطارقها ومن أبق عن مولاه مغاضبا وجانب محل احسانه الذى لم يكن له مجانبا فانه يجد من مفارقة الاحسان ما يجده من مفارقة معاهد الاوطان وهل أضل سعيا ممن دفع فى صدر العافية وغدا يسأل عن الاسقام وألقى الثروة من يده ومضى فى طلب الاعدام ومع هذا فان الخادم يشكره على ذنب الاباق الذى أقدم على اجترامه وليس ذلك الالانه صار سبب الافتتاح باب المكاتبة الذى لم يطمع فى افتتاحه ولا جزاءله عنده الا السعى فى اعادته الى الخدمة التى تقلب فى انشائها وهى أربه من أمه التى تقلب فى أحشائها ومن فضلها أنها تلقاه من حلها بوسيلة الشافع ومن كرمها بالوجه الضاحك والفضل الواسع (فانظر) أيها المتأمل الى هذه الاسجاع جميعها وأعطها حق النظر حتى تعلم أن كل واحدة منها تختص بمعنى ليس فى أختها التى تليها وكذلك فليكن السجع والافلا * وسأورد ههنا من كلام الصابى ما ستراه (فمن ذلك) تحميد فى كتاب فقال الحمد لله الذى لاتدركه الاعين بألحاظها ولا تحده الالسن بألفاظها ولا تخلقه العصور بمرورها ولا تهرمه الدهور بكرورها ثم انتهى الى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لم ير للكفر أثرا الا طمسه ومحاه ولا رسما الا أزاله وعفاه ولا فرق بين مرور العصور وكرور الدهور وكذلك لا فرق بين محو الاثر وعفاء الرسم ﴿ومن كلامه﴾ أيضا فى كتاب وهو وقد علمت ان الدولة العباسية لم تزل على سالف الايام

السل (والسنق) كالتخمة (والعاثر) الرمد (واللبن) الذى يشتكى عنقه من الوساد أو غيره (عثيثة) لجرح مدته (والصديد) الرقيق المختلط بالدم قبل أن تغلظ المدة (والعقابيل) بقايا المرض (والداء) الذى لا يبرأ منه يقال له ناجس ونجيس ¹ (الشجاج) أول الشجاج (الحارصة) وهى التى تقشر الجلد قليلا (ثم الباضعة) وهى التى تشق اللحم شقا خفيفا (والمتلاحمة) وهى التى أخذت فى اللحم ثم السمحاق) ² وهى التى بينها وبين العظم قشرة رقيقة (ثم الموضحة) وهى التى توضح عن العظم أى تبدى وضحه (ثم الهاشمة) وهى التى تهشم العظم (ثم المنقلة) وهى التى تخرج منها العظام (ثم الآمة) وهى التى تبلغ أم الدماغ

﴿فروق فى خلق الانسان﴾

ظاهر جلد الانسان من رأسه وسائر جسده البشرة (وباطنه) الادمة والعرب تقول فلان مؤدم مبشر أى قد جمع لين الادمة وخشونة البشرة (وتحض) الانسان اذا كان قاعدا أو نائما جثمة فاذا كان قائما فهو قامة وقد اختلفوا فى الجانب الوحشى

﴿١﴾ جمع شجة وهى جراحة الرأس اه مصححه

﴿٢﴾ هذه الاربع ليس فيها قصاص ولا أرش مقدر وتجب فيها حكومة ومثلها فى ذلك الدامية وهى التى تدمى الجلد اما الموضحة ففيها خمس من الابل والهاشمة فيها عشر والمنقلة فيها خمس عشرة والآمة فيها ثلث الدية وكذا الدامغة وهى التى تبلغ الدماغ وفيها أيضا ثلث الدية فالشجاج عشر بعد الدامية والدامغة المزيدتين على المؤلف اه

ومعاقب الاعوام تعتل طورا وتصح أطوارا وتنثال مرة وتستقل مرارا من حيث أصلها
راسخ لا يتزعزع وبنيانها ثابت لا يتضعضع وهذه الاسجاع كلها متساوية المعانى فان
الاعتلال والالتياث والطور والمرة والرسوخ والثبات كل ذلك سواء وكذلك ورد له فى جملة
كتاب كتبه عن عز الدولة بن بويه جوابا عن كتاب وصله من الامير عبد الكريم ابن المطيع لله
فقال وصلنى كتابه مفتتحا من الاعتزاء الى امارة المؤمنين والتقلد لامور المسلمين بما أعراقه
الزكية مجوزة لاستمراره وأرومته العلية مسوغة لاستقراره اذ هو لكل نجيب أخذ بحظه
من نسبه وضارب بسهم فى منصبه اذ كان ذلك جاريا على الاصول المعهودة فيه والاسباب
العاقدة له من اجماع المؤمنين كافة فان تعذر اجتماعهم مع انبساطهم فى الارض وانتشارهم
فى الطول والعرض فلابد من اتفاق أشراف كل قطر وأفاضله وأعيان كل صقع وأماثله
وهذا الكلام كله متماثل المعانى فى أسجاعه فان امارة المؤمنين والتقلد لامور المسلمين سواء
فى المعنى وكذلك الاعراق والارومة والتجويز والتسويغ والاشراف والافاضل والاعيان
والاماثل والقطر والصقع كل ذلك سواء (وعلى هذا) جاء كلامه فى كتاب آخر فقال يسافر
رأيه وهو دان لم يبرح ويسير تدبيره وهو ثاو لم يبرح وكلا هذين سواء أيضا وما أحسن هذا
المعنى لو قال يسافر رأيه وهو دان لم يبرح ويثخن الجراح فى عدوه وسيفه فى الغمد لم يجرح
فانه لو قال مثل هذا سلم من هجنة التكرار وأمثال ذلك فى كلام الصابى كثير * وعلى منواله
نسج الصاحب بن عباد (فى ذلك) ما ذكره فى وصف مهزومين فقال طاروا واقين بظهورهم
صدورهم وبأصلابهم نحورهم وكلا المعنيين سواء (وكذلك) قوله فى هذا الكتاب يصف
ضيق مجال الحرب مكان ضنك على الفارس والراجل ضيق على الرامح والنابل (ومن كلامه)
فى كتاب وهو لا تتوجه همته الى أعظم مرغوب الاطاع ودان ولا تمتد عزيمته الى أكرم
مطلوب الا كان واستكان وكل هذا الذى ذكره شئ واحد (وله من كتاب) وهو وصل كتابه
جامعا من الفوائد أشدها للشكر استحقاقا وأعمها للحمد استغراقا وتعرفت من احسان الله
فيما وفره من سلامته وهناه من كرامته أنفس موهوب ومطلوب وأجدى مرقوب
ومخطوب وهذا كله متماثل المعانى متشابه الالفاظ وفيما أوردته ههنا مقنع فأنعم نظرك
أيها الواقف على هذا الكتاب فيما بينته لك ووضعت يدك عليه حتى تعلم كيف تأتى بالمعانى فى
الالفاظ المسجوعة والله الموفق للصواب (فان قيل) انك اشترطت أن تكون كل واحدة من
الفقرتين فى الكلام المسجوع دالة على معنى غير المعنى الذى دلت عليه أختها وانما اشترطت
هذه الشريطة فرارا من أن يكون المعنيان شيأ واحدا وترى قد ورد فى القرآن الكريم لفظتان
بمعنى واحد فى آخر احدى الفقرتين المسجوعتين كقوله تعالى واذكر فى الكتاب اسمعيل انه
كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكل رسول نبى (قلت فى الجواب) ليس هذا كالذى اشترطته
أنا فى اختصاص كل فقرة بمعنى غير المعنى الذى اختصت به أختها وانما هذا هو ايراد لمعنيين
فى آخر احدى الفقرتين بمعنى واحد وهذا لا بأس به لمكان طلب السجع ألا ترى ان أكثر
هذه السورة التى هى سورة مريم عليها السلام مسجوعة على حرف الياء وهذا يجوز لصاحب
السجع أن يأتى به وهو بخلاف ما ذكرته أنا ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم قد غير اللفظة
عن وضعها طلبا للسجع فقال مأزورات وانما هى موزورات وقال العين اللامة وانما هى
الملمة لانه ليس فى ذلك زيادة معنى بل يفهم من لفظة مأزورات أنها قائمة مقام موزورات
وكذلك يفهم من لفظة لامة أنها بمعنى ملمة فالسجع قد أجيز معه تغيير وضع اللفظة وأجيز معه

ان

والانسى (قال الاصمعى) الوحشى
الذى يركب منه الراكب
ويحتلب منه الحالب وانما قالوا
جال على وحشيه
وانصاع جانبه الوحشى
لانه لا يؤتى فى الركوب والحلب
والمعالجة الا منه فانما خوفه منه
والانسى الآخر وقال أبو زيد
الانسى الايسر وهو الجانب
الذى يركب منه الراكب
والوحشى الايمن قال أبو عبيدة
الوحشى الايسر من الناس
والدواب والايمن الانسى ويقال
الانسى قال الاصمعى كل اثنين من
الانسان مثل الساعدين والزندين
وناحيتى القدم فما أقبل على
الانسان منهما فهو انسى وما أدبر
عنه فهو وحشى (والوفرة)
الشعرة الى شحمة الاذن فاذا
ألمت بالمنكب فهى لمة (والانزع)
الذى انحسر الشعر عن جانبى
جبهته فاذا ازداد قليلا فهو أجلح
فاذا بلغ النصف أو نحوه فهو أجلى
ثم أجله (والافرع) التام الشعر
الذى لم يذهب منه شئ كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم
أفرع واذا سال الشعر من الرأس
حتى يغطى الجبهة والوجه فذلك
الغمم يقال رجل أغم انتهى وذلك
مما يذم به قال الشاعر وهو هدبة
ابن الخشرم
فلا تنكحى ان فرق الدهر بيننا
أغم القفا والوجه ليس بأنزعا
ويقال رجل ماهوز اذا بدا الشيب
فى رأسه ثم هو أشمط اذا اختلط
السواد والبياض ثم هو أشيب
(والقرن) فى الحاجبين ان
يطولا حتى يلتقى طرفاهما

أن يرد لفظتان بمعنى واحد في آخر احدى الفقرتين ومع هذا فلم يجز في استعماله ان يرد فقرتان بمعنى واحد لانه تطويل محض لا فائدة فيه وبين الذي ذكرته أنت وبين الذي ذكرته أنا فرق ظاهر (والذي قدمته) من الامثلة المصوغة للصابي والصاحب بن عباد ربما كانت يسيرة أتهم فيها بالتعصب ويقال اني التقطتها التقاطا من جملة رسائلهما وقد خرجت من عهدة هذه التهمة وذلك أني وجدت للصابي تقليدا بنقابة الاشراف العلويين ببغداد وكنت أنشأت تقليدا بنقابة الاشراف العلويين بالموصل وقد أوردت التقليدين ههنا ليتأملهما الناظر في كتابي هذا ويحكم بينهما ان كان عارفا أو يسأل عنهما العارف ان كان مقلدا وقد أوردت تقليد الصابي أولا لانه المقدم زمانا وفضلا وهو هذا ما عهد أمير المؤمنين الى محمد بن الحسين بن موسى العلوي الموسوي حين وصلته به الانساب وتأكدت له الاسباب وظهرت دلائل عقله ولبابته ووضحت مخايل فضله ونجابته ومهد له بهاء الدولة وضياء الملة أبو نصر بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين ما مكن له عند أمير المؤمنين من المحل المكين ووصفه به من الحلم الرزين وأشاد به فيه من رفع المنزلة وتقديم المرتبة والتأهيل لولاية الاعمال والحمل للاعباء الثقال وحيث رغبه فيه سابقة الحسين أبيه في الخدمة والنصيحة والمواقف المحمودة والمقامات المشهودة التي طابت بها أخباره وحسنت فيها آثاره وكان محمد متخلقا بخلائقه وذاهبا في طرائقه علما وديانة وورعا وصيانة وعفة وأمانة وشهامة وصرامة بالحظ الجزيل من الفضل الجميل والادب الجزل والتوجه في الاهل والارباء بالمناقب على لداته وأترابه والابراء على قرائبه وأضرابه فقلده ما كان داخلا في أعمال أبيه من نقابة نقباء الطالبيين أجمعين بمدينة السلام وسائر الاعمال والامصار شرقا وغربا وبعدا وقربا واختصه بذلك جذبا بضبعه وانافة بقدره وقضاء لحق رحمه وترفيها لابيه واسعافا له بايثاره فيه أمر أمير المؤمنين واستخلافه عليه من النظر في المظالم وتسيير الحجيج في المواسم والله يعقب أمير المؤمنين فيما أمر ودبر حسن العاقبة فيما قضى وأمضى وما توفيق أمير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب وأمره بتقوى الله التي هي شعار المؤمنين وسناء الصالحين وعصمة عباد الله أجمعين وأن يعتقدها سرا وجهرا ويعتمدها قولا وفعلا ويأخذ بها ويعطي ويسرّ بها وينوي ويأتي ويذر ويورد ويصدر فانها السبب المتين والمعقل الحصين والزاد النافع يوم الحساب والمسلك المفضي الى دار الثواب وقد حض الله أولياءه عليها وهداهم في محكم كتابه اليها فقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وأمره بتلاوة كتاب الله مواظبا وتصفحه مداوما ملازما والرجوع الى أحكامه فيما أحل وحرم ونقض وأبرم وأثاب وعاقب وباعد وقارب فقد صح الله برهانه وحجته وأوضح منهاجه ومحجته وجعله نجما في الظلمات طالعا ونورا في المشكلات ساطعا فمن أخذ به نجا وسلم ومن عدل عنه هوى وندم قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأمره بتنزيه نفسه عما تدعو اليه الشبهات وتطلع اليه الشهوات وأن يضبطها ضبط الحليم ويكفها كف الحكيم ويجعل عقله سلطانا عليها وتمييزه آمرا ناهيا لها ولا يجعل لها عذرا الى صبوة ولا هفوة ولا يطلق منها عنانا عند ثورة ولا فورة فانها أمارة بالسوء منصبة الى الغي فمن رفضها نجا ومن اتبعها هوى فالحازم متهم عند تحرك وطره وأربه واهتياج غيظه وغضبه ولا يدع أن يقضها بالشكيم ويركبها عرك الاديم ويقودها الى مصالحها بالخزم ويتفقدها من مقارفة المآثم

(والبلج) ان ينقطعا حتى يكون ما بينهما نقيا من الشعر والعرب تستحبه وتكره القرن (والزجج) طول الحاجبين ودقتهما وسبوغهما الى مؤخر العينين (والمقلة) شحمة العين التي تجمع السواد والبياض والسواد الاعظم هو الحدقة (والاصغر) هو الناظر وفيه انسان العين وانما الناظر كالمرآة اذا استقبلتها رأيت شخصك فيها والذي تراه في الناظر هو شخصك (والمأق) والموق واحد وهو طرفها الذي يلي الانف (واللحاظ) مؤخرها الذي يلي الصدغ قال أبو عبيدة وذنابة العين مؤخرها (والخوص) صغر العين وغؤورها فان كان في مؤخرها ضيق فهو (حوص) وبه سمي الاحوص (والنجل) سعتها وعظم مقلتها (والخزر) ان يكون الانسان كأنه ينظر بمؤخرها (والشوس) ان ينظر باحدى عينيه ويميل وجهه في شق العين التي ينظر بها (والشمم) في الانف ارتفاع القصبة واستواء أعلاها واشراف في الارنبة (والقنا) طول الانف ودقة أرنبته وحدب في وسطه (وعذبة) اللسان طرفه (وعكدته) أصله (والصردان) العرقان اللذان يستبطنانه (والشدق) سعة الشدقين (والجيد) طول العنق (والتلع) اشرافه (والهنع) تطامنه (والصعر) ميله (والغلب) غلظه (والبتع) شدته (والاخدعان) عرقان في موضع المحجمتين ربما وقعت الشرطة على أحدهما فينزف صاحبه (والودجان) العرقان

والمحارم كما يعز بتذليلها وتأديبها ويجمل برياضتها وتقويمها والمفرط تطمح به اذا طمحت ويجمح معها اذا جمحت ولا يلبث أن توردهُ حيث لا يصدر وتلجئه الى أن يعتذر وتقيمه مقام النادم الواجم وتنكب به سبيل الراشد السالم وأحق من تحلى بالمحاسن وتصدى لاكتساب المحامد من ضرب بمثل سهمه فى نسب أمير المؤمنين الشريف ومنصبه المنيف واجتمع معه فى ذؤابة العترة الطاهرة واستظل بأوراق الدوحة الفاخرة فذلك الذى تتضاعف به المآثر ان آثرها والمثالب ان أسف اليها ولا سيما من كان منه وبابا السياسة ومرشحا للتقليد على أهله اذ ليس يفى بالصلاح لمن ولى عليه ولا يفى باصلاح ما بين جنبيه ومن أعظم الهجنة عليه أن يأمر ولا يأتمر ويزجر ولا يزدجر قال الله تعالى ذكره أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن يتصفح أحوال من ولى عليهم من استقراء مذاهبهم والبحث عن بواطنهم ودخائلهم وأن يعرف لمن تقدمت قدمه منهم وتظاهر فضله فيهم منزلته ويوفيه حقه وزينته وينتهى فى اكرام جماعتهم الى الحدود التى توجبها أنسابهم وأقدارهم وتقتضيها مواقعهم وأخطارهم فان ذلك يلزمه لشيئين أحدهما يخصه وهو النسب الذى بينه وبينهم والآخر يعمه والمسلمين جميعا وهو قول الله جل ذكره قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى فالمودة لهم الاعظام لأكابرهم والاشتمال على أصاغرهم واجب متضاعف الوجوب عليه متأكد اللزوم له ومن كان منهم فى دون تلك الطبقة من أحداث لم يحتنكوا عليه وجذعان لم يقرحوا ويجرون الى ما يزرى بأنسابهم ويغض من احسابهم عذلهم وأنبهم ونهاهم ووعظهم فان نزعوا وأقلعوا فذلك المراد بهم والقصد فيهم وان أصروا وتتابعوا أنالهم من العقوبة بقدر ما يكف ويردع فان نمع والاتجاوزه الى ما يلذع ويوجع من غير تطرق لاعراضهم ولا امتهان لاحسابهم فان الغرض منهم الصيانة لا الاهانة والادالة لا الاذالة واذا وجبت عليهم الحقوق أو تعلقت بهم دواعى الخصوم قادهم الى الانقياد بما يصح منها ويجب والخروج الى سنن الحق فيما يشتبه ويلتبس ومتى لزمتهم الحدود أقامها عليهم بحسب ما أمره الله تعالى فيها بعد أن تثبت الجرائم وتصح وتبين وتتضح وتتجرد عن الشك وتتجلى من الظن والتهمة فان لذى يجب فى حدود الله عز وجل أن تدرأ مع نقصان اليقين والصحة وأن تمضى عليهم مع قيام الدليل والبينة قال الله عز وجل ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأمره بحياطة أهل النسب الاطهر والشرف الاخطر عن أن يدعيه الادعياء أو يدخل فيه الدخلاء ومن انتمى اليه كاذبا أو انتحله باطلا ولم يوجد له بيت فى الشجرة ولا مصداق عند النسابين المهرة أوقع به كذبه وفسقه وشهره شهرة ينكشف بها غشه ولبسه ويتزع بها غيره ممن تسول له ذلك نفسه وأن يحصن الفروج عن مناكحة من ليس كفؤا لها فى شرفها وفخرها حتى لا يطمع فى المرأة الحسيبة النسيبة الا من كان مثلا لها مساويا ونظيرا موازيا فقد قال الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأمره بمراعاة متبتلى أهله ومتهجديهم وصلحائهم ومجاوريهم وأراملهم وأصاغرهم حتى تستد الخلة من أحوالهم وتدر المواد عليهم وتتعادل أقساطهم فيما يصل اليهم من وجوه أموالهم وأن يزوج الايامى ويربى اليتامى ويلزمهم المكاتب فيتلقنوا القرآن ويعرفوا فرائض الاسلام والايمان ويتأدبوا بالآداب اللائقة بذوى الاحساب فان شرف الاعراق محتاج الى شرف الاخلاق ولا حمد لمن شرفه حسبه وسخف أدبه اذ كان لم يكتسب الفخر الحاصل بفضل سعى ولا طلب ولا اجتهاد بل

بصع

اللذان يقطعهما الذابح (والوريدان) عرقان تزعم العرب انهما من الوتين (والصليفان) ناحيتا العنق عن يمين وشمال والسالفتان ناحيتا مقدم العنق عن يمين وشمال من لدن معلق القرط (والزج) طرف المرفق (والباطن) من المرفق يقال له المأبض وهو باطن الركبة أيضا (والاسلة) مستدق لذراع (والعظمة) وسط الذراع الغليظ منها (والرسغ) منتهى الكف عند المفصل (والنواشر) عروق ظاهر الذراع (والرواهش) عروق باطن الذراع (والاشاجع) عروق ظاهر الكف وهى مغرز الاصابع (والرواجب) بطون السلاميات وظهورها (والبراجم) رؤس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت (والزندان) ما انحسر عنه اللحم من الذراع فرأس الزند الذى يلى الخنصر هو الكرسوع ورأس الزند الذى يلى الابهام هو الكوع (والالية) اللحمة التى فى أصل الابهام (والضرة) اللحمة التى تقابلها (والنحر) موضع القلادة (واللبة) موضع النحر (والثغرة) الهزمة بين الترقوتين (والبرك) وسط الصدر (والكلكل) معظم الصدر والاعفاج من الناس ومن الحافر كله ومن السباع كلها والبها يصير الطعام بعد المعدة واحدها عفج (والمصارين) لذوات الخف والظلف مثلها وهى التى تؤدى اليها الكرش ما دبغته (والقوانص) للطير مثلها وهى

بصنع الله تعالى له ومزيد المنة عليه وبحسب ذلك لزوم ما يلزمه من شكره سبحانه على هذه العطية والاعتداد بما فيها من المزية واعمال النفس فى حيازة الفضائل والمناقب والترفع عن الرذائل والمثالب وأمره باجمال النيابة عن شيعه الحسين بن موسى فيما أمره أمير المؤمنين باستخلافه عليه من النظر والاخذ للمظلوم من الظالم وأن يجلس للترافعين اليه جلوسا عاما ويتأمل كلامهم تأملا تاما فما كان منها متعلقا بالحاكم رده اليه ليعمل المصوم عليه وما كان من طريقة الغشم والظلم والتغلب والغصب قبض عنه اليد المبطلة وثبت فيه اليد المستحقة وتحرى فى قضاياه أن تكون موافقة للعدل ومجانبة للخذل فان عادة الحكام وصاحب المظالم واحدة وهى اقامة الحق ونصرته وابانته واثارته وانما يختلف سبلاهما فى النظر اذ كان الحاكم يعمل بما ثبت عنده وظهر وصاحب المظالم يفحص عما غمض واستتر وليس له مع ذلك أن يرد للحاكم حكومة ولا يحل له قضية ولا يتعقب ما ينفذه ويمضيه ولا يتتبع ما يحكم به ويقضيه والله يهديه ويوفقه ويسدده ويرشده وأمره أن يسير حجيج بيت الله عز وجل الى مقصدهم ويحميهم فى بدأتهم وعودتهم ويرتبهم فى مسيرهم ومسالكهم ويرعاهم فى ليلهم ونهارهم حتى لا تنالهم شدة ولا تصل اليهم مضرة وأن يريحهم فى المنازل ويوردهم المناهل ويناوب بينهم فى النهل والعلل ويمكنهم من الارتواء والاكتفاء مجتهدا فى الصيانة لهم ومعذرا فى الذب عنهم ومتوما على متأخرهم ومتخلفهم ومنهضا لضعيفهم ومهيضهم فانهم حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر رسوله عليه الصلاة والسلام قد هجروا الاهل والاوطان وفارقوا الجيرة والاخوان وتجشموا المغارم الاثقال وتعسفوا السهولة والجبال يلبون دعاء الله ويطيعون أمره ويؤدون فرضه ويرجون ثوابه وحقيق على المسلم أن يحرسهم متبرعا ويحوطهم متطوعا فكيف من تولى ذلك وضمنه وتقلده واعتقبه قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وأمره أن يراعى أمور المساجد بمدينة السلام وأطرافها وأقطارها وأكنافها وأن يجبى أموال وقفها ويستقصى جميع حقوقها وأن يلم شعثها ويسد خللها بما يتحصل من هذه الوجوه قبله لا يزيل رسما جاريا ولا ينقض عادة كانت لها وأن يكتب اسم أمير المؤمنين على ما يعمره منها ويذكر اسمه بعده بأن عمارتها جرت على يده وصلاح أداه قول أمير المؤمنين فى ذلك تنويها باسمه واشادة لذكره وأن يولى ذلك من قبله من حسنت أمانته وظهرت عفته وصيانته فقد قال الله جل من قائل انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وأمره أن يستخلف على ما يرى استخلافه عليه من هذه الاعمال فى الامصار الدانية والنائية والبلاد القريبة والبعيدة من يثق به من صلحاء الرجال ذوى الوفاء والاستقلال وأن يعهد اليهم مثل ما عهد اليه ويعتمد عليهم مثل ما اعتمد عليه ويستقصى فى ذلك آثارهم ويتعرف أخبارهم فمن وجده محمودا أقره ومن وجده مذموما صرفه ولم يمهله واعتاض من ترجى الامانة عنده وتكون الثقة معهودة منه وأن يختار لكتابته وحجابته والتصرف فيما قرب منه وبعد عنه من يزينه ولا يشينه وينصح له ولا يغشه ويجمله ولا يهجنه من الطبقة المعروفة بالعفاف المتصونة عن العطف ويجعل لهم من الارزاق الكافية والاجرة الوافية ما يصدهم عن المكاسب الدنية والمآكل الوخيمة فليس تجب عليهم الحجة الا مع اعطاء الحاجة قال الله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأمره

التى تؤدى اليها الحوصلة (والحوصلة) بمنزلة المعدة (والسرة) فى البطن ما تبقى بعد القطع (والسرر) ما تقطعه القابلة (والاهيف) من البطون الضامر (والاثجل) المسترخى (والاحليل) مخرج البول (والحوق) حرف الكمرة وهو اطارها (والوترة) العرق الذى فى باطن الكمرة (والعصعص) عجب الذنب يقال هو أول ما يخلق وآخر ما يبلى (والعير) القدم الشاخص فى وجهها وأخمصها ما دخل من باطنها فلم يصب الارض فان لم يكن فيها اخمص فهى رحاء يقال رجل أرح (والثنة) ما بين السرة والعانة وهى مراق البطن بالتشديد

﴿ورق فى الاسنان﴾

قال أبو زيد للانسان أربع ثنايا وأربع رباعيات الواحدة رباعية مخففة وأربعة أنياب وأربعة ضواحك واثنتا عشرة رحا ثلاث فى كل شق وأربعة نواجذ وهى أقصاها وقال الاصمعى مثل ذلك كله الا أنه جعل الارحاء ثمانيا أربعا من فوق وأربعا من أسفل والناجذ ضرس الحلم يقال رجل منجذ اذا أحكم الامور وذلك مأخوذ من الناجذ (والنواجذ) للانسان والفرس وهى الانياب من الخف والسوالغ من الظلف قال أبو زيد لكل ذى ظلف وخف ثنيتان من أسفل فقط وللحافر والسباع كلها أربع ثنايا وللحافر بعد الثنايا أربع رباعيات وأربعة قوارح وأربعة أنياب وثمانية أضراس

أن يكتب لمن تقوم بينته عنده وتنكشف له حجته الى أصحاب المعارف بالشد على يده واتصال حقه اليه وحسم الطمع الكاذب فيه وقبض اليد الظالمة عنه اذ هم مندوبون للتصرف بين أمره ونهيه والوقوف عند رسمه وحده هذا عهد أمير المؤمنين اليك وحجته لك وعليك قد أبان منه سبيلك وأوضح دليلك وهداك لرشدك وجعلك على بينة من أمرك فاعمل به ولا تخالفه وانته اليه ولا تجاوزه وان عرض لك عارض يعجزك الوفاء به ويشتبه عليك الخروج منه أنهيته الى أمير المؤمنين مبادرا وكنت الى ما يأمرك به صائرا ان شاء الله تعالى

﴿وأما التقليد الذى أنشأته أنا﴾ فقد أوردته بعد هذا التقليد وهو أما بعد فان كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم وكل كتاب لا رقم باسمه فليس بمعلم وعلى هذا فان حمده يتنزل من الكلام منزلة الاعضاء من الاجسام واسمه يتنزل من الكتاب منزلة الرقوم من الثياب وقد جمعنا فى كتابنا هذا بين التسمية والتحميد وجعلنا احداهما مفتتحا للثمين والآخر سببا للمزيد ثم ردفناهما بالصلاة على سيدنا محمد الذى أيده الله بالقرآن المجيد وجعل شهادته قبل كل شهيد وعلى آله وصحبه الذين هدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد ومما يقترن بهذه الصلاة فى ثوابها ويجرى على أعقابها النظر فى أمر الاسرة النبوية التى وصل ودها بوده وجعلها احدى الثقلين المخلفين من بعده وقد تقادم الآن زمانها وتشعبت أغصانها ونسى ما لها فى الرقاب من عهدة الامانة ولم توضع فيما وضعها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من المكانة وأولى الناس بها من أضمر ولاءها حقا وأوجب أن يرد معها الحوض حين يقال لوارده سحقا وكان عن تحت يده منها بارا رفيقا حتى لا يسأله برا ولا رفقا ونحن نرجو أن يفوز بفضيلة هذه الحسنة وأن يسبق اليها سبق المتقرب فى الجمعة ببدنة ومن أهم أمورها أن يختار لها زعيم يرأف بها رأفة الوالد بولده ويقوم بأمرها قيام الرأس بجسده حتى تأتلف أصولها كلها فى مغرسها ولا يحكم عليها من ليس من أنفسها وقد اخترنا لها من وثقنا فى اختياره وأخذنا فيه بيان الرأى وحزمه لا بشبهة الهوى واغتراره ولو لم يكن من القوم الذين ولوها لكان استحقاقه لها بينا والتعويل عليه متعينا فكيف وقدمه فيها قديمة الميلاد وورائه اياها عن سيادة الجدود وسودد الاجداد وهو أنت أيها السيد الاجل الشريف الحسيب النسيب فلان بن فلان الحسينى ولو شئنا لاسندنا هذه النسبة كابرا عن كابر ونضدناها آخرا بعد أول عن أول قبل آخر حتى وصلنا هذا الفرع بشجرته الطيبة وهذا القطر بسحابته الصيبة وشرف الانساب أصدقه ما كان للدهر به شهيدا وأجده ما كان قديما وأخلقه ما كان جديدا وما تولى الروح الامين مدحه قرآنا أكرم ممن تولى الشعراء مدحه قصيدا ولا فضل للمعترى الى هذا النسب حتى تلحق البنوة بالابوة ويضيف درجة الفضيلة الى محتد النبوة وحينئذ يقال ما أقرب الشبه على قدم عهده وهذا ماء الورد بعد ذهاب ورده وأنت ذلك الرجل الذى تردد الشرف فى مناسبه تردد القمر فى منازله وزها المجد بمناقبه زهو الروض فى خمائله فلا جرم أن حسبك تغنيك عن سؤال من وما وعلا بودك وجدك قد باوقا والحسب ما حفظت أواخره أوائله وأوضحت الليالى والايام دلائله وأقرت به الاعداء فطردت فضائله وهذه هى المآثر التى اذا نظمت تغارت الشعراء عليها من الشعر واذا نثرت وجدت فى محكم الذكر وأنت صاحبها وابن صاحبها ومن لم يرثها عن أباعدها بل عن أقاربها ولو جانبت بآسائها مصانعا ومشبهها الضراء متواضعا لدلت عليك وصفها وعرف منك عرفها وقد قلدناك أمر هذه الاسرة الطاهرة التى هى أسرتك وأمرناك عليها وامرتها امرتك فتولها تولى من خفض لها جناحه

واقاص

قالوا وكل ذى حافر يقرح وكل ذى خف يبزل وكل ذى ظلف يصلغ ويسلغ (والفرس) وكل ذى حافر أول سنة حولى والجميع حوالى ثم جذع وجذاع ثم ثنى وثنيان ثم رباع بالكسر وجمعه ربعان ثم قارح وقرح والانثى جذعة وجذعات وثنية وثنيات ورباعية مخففة ورباعيات وقارح وقوارح ويقال اجذع المهر وثنى وربع وقرح هذا وحده بغير ألف (والبعير) أول سنة حوار ثم ابن مخاض فى الثانية لان أمه فيها من المخاض وهى الحوامل فنسب اليها وواحدة المخاض خلفة من غير لفظها ثم ابن لبون فى الثالثة لان أمه فيها ذات لبن ثم حق فى الرابعة يقال سمى بذلك لاستحقاقه ان يحمل عليه ثم جذع فى السنة الخامسة ثم يلقى ثنيته فى السادسة فهو ثنى ثم يلقى رباعيته فى السابعة فهو رباع ثم يلقى السن التى بعد الرباعية فهو سديس وسدس وذلك فى الثامنة ثم يفطر نابه فى التاسعة فهو بازل فاذا أتى عليه عام بعد البزول فهو مخلف وليس له اسم بعد لاخلاف ولكن يقال مخلف عام ومخلف عامين فازاد (ثم لا يزال) كذلك حتى يكون عودا اذا هرم قال أبو زيد المؤنث فى جميع هذه الاسنان بالهاء الا السديس والسدس والبازل فان ذلك بغير هاء (قال الكسائى) الناقة مخلف أيضا بغير هاء (قال أبو زيد) الناقة لا تكون مخلفا

وأفاض عليها سماحته وأنفق فيها غدوه ورواحه حتى يقال انك الراعي الذي تناول ثلاثه فاراح حسيرها وجبر كسيرها وارتاد لها خصبا وأوردها رفه الاغبا وأذكى في كلائها عينا وقلبا ومن حقها عليك أن تنظر الى ذات شمالها وذات يمينها وتتصفح أحوالها في أمر دنياها ودينها فأول ذلك أن تعلمها كتاب الله تعالى الذي في تعليمه نهج الصواب وفي تلاوته مضاعفة حسنات الثواب وقد مثل قارئه بالبيت العامر وتاركه بالبيت الخراب وهو كتاب امتاز عن الكتب بنجوم التنزيل وتولى الله حفظه من التحريف والتبديل واختصه بالسبع المثاني التي لم ينزل مثلها في التوراة ولا في الانجيل وهو الموصوف بأنه النور المستضاء به في غيابة الظلماء والحبل الممدود من الارض الى السماء والبحر الذي لا يستخرج لؤلؤه ومرجانه الا الراسخون من العلماء وكذلك فخذ هذه الاسرة بتعليم الفضائل التي تتفاوت بها القيم وسمها رياضة الآداب وتهذيب الشيم ولا تتركها فوضى لا ينتمي أحدها بسمة القصد المنيف ولا يرجع الى حسب تليد ولا الى سعي طريف وتكون غاية ما عنده من لفضيلة أن يقال فلان الشريف ومن حفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن توفي فضل مكانها وتخالف بين شأن غيرها من المسلمين وبين شأنها فلا تبتذل بمجالس الولاة في انتزاع ظلامة ولا في اقامة حد يسلب معه رداء الكرامة وأنت تتولى ذلك منها اذا وجب عليها من حق تأخذها باقتضائه وأمض فيه احكم الله الذي أمر بامضائه وليكن ذلك على وجه الرفق الذي يسلس له القياد ويتوطأ به لمهاد وان أمكنك افتداء شيء من هذه الظلامات التي تتوجه عليها فافتد وقد أتم الله فضلها بجمع كرائمها الامر كفؤ لا دناءة في عنصره ولا غضاضة في مخبره وهو الذي ان فاته شرف النبوة في مغرسه فلم يفته شرف النباهة في معشره واذا تباينت الاقدار فلا فرق بين المناكح المحظوبة وبين الاسلاب المسلوبة فاحفظ لاسرتك حرمة هذه المنزلة واجعلها في كتاب الوصايا التي وصيت بها مكان البسملة وكما أمرناك بالنظر في صون أقدارها فكذلك نأمرك بالنظر في حفظ مادة درهمها ودينارها وقد علمت أن لها أوقافا وقفها قوم حظوا بأجرها واسمها وستحظى أنت بالعدل في قسمها فأجر على كل منها رزقه وأعط كل ذي حق حقه وفي الناس طائفة أدعياء يرومون الحاق الرأس بالذنب والنبع بالغرب ويلحقون أبا الغيران وابنا الغيراب كل ذلك رغبة في سحت يأكلونه لا في نسب يوصلونه فتنقب عن حال هؤلاء تنقيبا واجعل النسيب نسيبا والغريب غريبا حتى تخلص السلالة من طراقها وتبقى الشجرة قائمة على أعراقها ومن علمت كذبه فازجره بأليم الازدجار وأعلمه بأنه قد تبوأ مقعده من النار وأشهره في الناس حتى ينتهي وينتهي غيره بذلك الاشتهار وههنا وصية هي أهم من هذه الوصية أمرا وأعظم أجرا وأجدر بأن تكون هي الاولى وتكون هذه الاخرى وهي الأخذ على السنة السفهاء من الخوض فيما شجر بين آل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه واظهار العصبية التي تزحزح الحق عن نصابه وترجعه على أعقابه وليس مستندها الا مقالات ذوي الجهل ورعاع نشأ منها فتنة والفتنة أشد من القتل فوكل بهؤلاء غربا قاطعا ونهيا قامعا وكن في ذلك شارعا لما كان الله شارعا فأولئك السادات هم النجوم الذين بأيهم كان الاقتداء كان به الاهتداء وقصارى المحسن في هذا الزمان أن يتعلق منها سببا ويأخذ عنهم دينا أو أدبا ولا يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه ولو أنفق مثل أحد ذهبا ونحن نعلم انك واقف على سنن اقتصادك وأن هذه الوصية هي محض اعتقادك والمنصف في هذا المقام من رمقه بنظر جلي ووفى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما حقهما وان كان من نسل علي فكل قد ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضله وهؤلاء

ولكن اذا أتى عليها حول بعد البزول فهي بزول الى أن تنيب فتدعى عند ذلك نابا (وولد الضأن) أول سنة حمل ثم يكون جذعا في الثانية ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا ثم صالغا في السادسة وليس له بعد ذلك اسم (وولد المعز) أول سنة جدي ثم تنقله في الاسنان مثل تنقل الحمل (وولد البقرة) أول سنة تبيع ثم تنقله في الاسنان مثل تنقل ولد الضأن وولد المعز) كذلك (وولد الظبية) أول سنة طلا وخشف ثم هو في السنة الثانية جذع ثم هو في الثالثة ثني ثم لا يزال ثنيا حتى يموت قال الشاعر يصف ابلا أخذت في دية

جاءت كسن الظبي لم أر مثلها
سناء قتيل أو حلوبة جائع

أي هي ثنيان (وولد الضب) حسل ولا يسقط له سن ولذلك يقال في المثل لا آتيك سن الحسل أي لا آتيك أبدا (ويقال) أفرت الابل افرارا للاثناء اذا ذهبت رواضعها وطلع غيرها (قال) أبو عبيدة أحفر المهر للاثناء والارباع والقروح (وقال) أبو زيد الكلابي اذا سقطت رواضع الصبي قيل ثغر فهو مثغور فاذا نبتت أسنانه قيل أثغر واتغر (ويقال) فم مقنع اذا كانت أسنانه معطوفة الى داخل فان كانت منصبة الى قدام قيل أدفق وهو في الابل عيب

﴿ فروق في الافواه ﴾

(المشفر) للخف (والمرمة والمقمة) للظلف (والجحفلة) للحافر

من صحابته وهذا من أهله ونعوذ بالله من الاهواء الزائغة والاقوال التي ليست بسائغة ولا حجة الا بالحق ولله الحجة البالغة وقد جعلنا لك في مالنا عطاء دارّا تستعين به على لوازم النفقات وتخرج نافلته في وقاية عرضك التي هي محسوبة من الصدقات فان من ساد قوما يفتقر الى تحمل أثقالهم والافاضة من ماله على أحوالهم وهذا ربح يكون منا أصله ومنك فرعه وثواب يكون لك قصده ولنا شرعه وصاحب الاحسان من حسن سبيل الاحساب ولم نرض أن أربناك مكانه حتى أمددناك فيه بالامكان فأعط مالنا وذم من سنة افضالنا ولدولتنا بذلك ثوب جمال كلما لبس زاد جدة وعرف ذكر كلما مضت عليه مدد الايام طال مدة ولا ملك في الدنيا لمن لم يجعل ملكه حديثا حسنا وينشر المحامد فيجعله لها لغنا ومن عرف قدر الثناء جد في تحصيله ولو أنفق الكثير في قليله فكم من دولة أعدمت منه فدرست آثار معالمها ولو كانت منه مثرية لما ذهبت مع بقاء مكارمها واذ ذكرنا هذا فنختمه بما يكون قلادة لصاحب هذا التقليد وهو أن نجرّد لعنايته وجاهته حتى يلبس تقلدهما بذلك التجريد ونحوى ذلك أن يعلم الناس ماله في الدولة من منزلة الكرامة ويعرفوا أنه فيها ابن جلا غير محتاج الى وضع العمامة ونحن نأمر نوابنا وولاتنا وأصحابنا أن يوفوه حق أبوته الشريفة وفضيلته التي ردفتها فأضحت وهي لها رديفة وأن يعطوه ما شاء من اعلاء شانه وعضو افعل يده وقول لسانه ان شاء الله تعالى (وقد وجدت للصابي) أيضا تقليدا أنشأه لفخر الدولة أبي الحسن ابن ركن الدولة أبي علي بن بويه عن الخليفة الطائع رحمه الله وهو مثبت ههنا على صورته وكان عرض علي تقليد كتب للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من الخليفة المستضيء بالله رحمه الله في سنة احدى وسبعين وخمسمائة فوجدت فيه كلاما نازلا بالمرة وسألني بعض الاخوان بمدينة دمشق أن أعارضه فعارضته بتقليد في معناه وهو مثبت ههنا أيضا وكلا التقليدين باسم ملك كبير وفيهما يظهر ما يظهر من فصاحة وبلاغة (وأما التقليد) الذي أنشأه الصابي فهو هذا ما عهد عبد الله عبد الكريم الطائع لله أمير المؤمنين الى فخر الدولة أبي الحسن بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين حين عرف غناه وبلاه واستصح دينه ويقينه ورعى قديمه وحديثه واستنجب عوده ونجاره وأتى عز الدولة أبو منصور بن معز الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين عليه وأشار بالمزيد في الصنيعة اليه وأعلم أمير المؤمنين اقتداءه به في كل مذهب ذهب فيه من الخدمة وغرض رمى اليه من النصيحة دخولا في زمرة الاولياء المنصورة وخروجا عن جماعة الاعداء المدحورة وتصرفا على موجبات البيعة التي هي بعز الدولة أبي منصور منوطة وعلى سائر ما يتلوه ويتبعه مأخوذة مشروطة فقلده الصلات وأعمال الحرب والمعاون والاحداث والخراج والاعشار والضياع والجهبذة والصدقات والجوالي وسائر وجوه الجبايات والعرض والعطاء والنفقة في الاولياء والمظالم وأسواق الدقيق والعيار في دور الضرب والطرز والحسبة بكور همذان واستراباذ والدينور وتوريز والامصارين وأعمال اذربيجان وأران والصامغان وموقان وائتمنه باستقبال استدامتها والاستزادة بالشكر منها والتجنب بغمطها أو جحودها والتنكب لايحاشها وتنفيرها والتعمد لما يمكن له الحظوة والزلفى ويحرس عليه الاثرة والقربى بما يظهره ويضمره من الوفاء الصحيح والولاء الصريح والغيب الامين والصدر السليم والمقاطعة لكل من قطع العصمة وفارق الجملة والمواصلة لكل من حمى البيضة وأخلص النية والكون تحت ظل أمير المؤمنين وذمته ومع عز الدولة أبي منصور وفي حوزته والله جل اسمه يعرف لامير المؤمنين حسن العقبى فيما أبرم ونقض وسداد الرأي

(والصرصر الطير) للسباع قال أبو زيد منقار الطائر ومنسره واحد وهو الذي ينسر به نسرا

﴿فروق في ريش الجناح﴾

قالوا جناح الطائر عشرون ريشة أربع قوادم وأربع مناكب وأربع أباهر وأربع كلى وجناح الطائر يده

﴿فروق في الاطفال﴾

(ولد) كل سبع جرو (وولد) كل ذي ريش فرخ (وولد) كل وحشية طفل هذا جملة هذا الباب (ثم ولد) الفرس مهر وفلو (وولد) الحمار جحش وعفو وتولب وكذلك البغل الصغير (وولد) البقرة عجل وعجول والانثى عجلة (وولد) الضائنة حين تضعه أمه ذكرا كان أو أنثى سخلة وجمعه سخال وبهمة وبهم فاذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه فهو حمل وخروف والانثى خروفة ورخل (وولد) الماعزة حين تضعه أمه ذكرا كان أو أنثى سخلة وبهمة فاذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه فهو جفر والانثى جفرة وعريض وعتود اذا رعى وقوي وجمعه عرضان وعتدان وأعتدة وهو في كل ذلك جدي والانثى عناق (وولد) الناقة في أول النتاج ربع والانثى ربعة والجميع رباع وفي آخر النتاج هبع والانثى هبعة ولا يجمع هبع هباعا وهو في ذلك كله حوار (وولد) الاسد شبل (وولد) الاروية الغفر (وولد) الضبع الفرعل فان كان من الذئب فهو (سمع وولد) الدب الديسم (وولد) الظبية خشف وطلا (وولد) الخنزير

فيمن رفع وخفض ويجعل عزائمه مقرونة بالسلامة محجوبة عن موارد الندامة وحسب
أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل أمره بتقوى الله التي هي العصمة المتينة والجنة الحصينة
والطود الارفع والمعاذ الامنع والجانب الاعز والملجأ الاحرز وأن يستشعرها سرا وجهرا
ويستعملها قولا وفعلا ويتخذها ذخرا دافعا لنوائب القدر وكهفا حاميا من حوادث الغير
فانها أوجب الوسائل وأقرب الذرائع وأعودها على العبد بمصالحه وأدعاها الى كل مناجحه
وأولاها بالاستمرار على هدايته والنجاة من غوايته والسلامة في دنياه حين توبق موبقاتها
وتردي مردياتها وفي آخرته حين تروع رائعاتها وتخيف مخيفاتها وأن يتأدب بأدب الله
في التواضع والاخبات والسكينة وصدق اللهجة اذا نطق وغض الطرف اذا رمق وكظم
الغيظ اذا أحفظ وضبط اللسان اذا أغضب وكف اليد عن المآثم وصون النفس عن المحارم
وأن يذكر الموت الذي هو نازل به والموقف الذي هو صائر اليه ويعلم أنه مسؤل عما اكتسب
مجزي عما ازدمل واحتقب ويتزود من هذا الممر لذلك المقر ويستكثر من أعمال البر
لتنفعه ومن مساعي الخير لتنقذه ويأتمر بالصالحات قبل أن يأمر بها ويزدجر عن السيآت
قبل أن يزجر عنها ويبتدئ باصلاح نفسه قبل اصلاح رعيته فلا يبعثهم على ما يأتي ضده
ولا ينهاهم عما يقترف مثله ويجعل ربه رقيبا عليه في خلواته ومروأته مانعة له من شهواته
فان أحق من غلب سلطان الشهوة وأولى من ضرع لغذاء الحية من ملك أزمة الامور
واقتدر على سياسة الجمهور وكان مطاعا فيما يرى متبعا فيما يشا يلي على الناس ولا يلون
عليه ويقتص منهم ولا يقتصون منه فاذا اطلع الله منه على نقاء جيبه وطهارة ذيله وصحة
سريرته واستقامة سيرته أعانه على حفظ ما استحفظه وأنهضه بثقل ما حمله وجعل له مخلصا
من الشبهة ومخرجا من الحيرة فقد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من
حيث لا يحتسب وقال عز من قائل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم
مسلمون وقال واتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى آي كثيرة حضنا بها على أكرم الخلق
وأسلم الطرق فالسعيد من نصبها ازاء ناظره والشقي من نبذها وراء ظهره وأشقى منهما من
حث عليها وهو صادف عنها واهاب اليها وهو بعيد منها وله ولامثاله يقول الله تعالى
ذكره أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأمره أن
يتخذ كتاب الله اماما متبعا وطريقا متوقعا ويكثر من تلاوته اذا خلا بذكره ويملأ بتأميله
أرجاء صدره فيذهب معه فيما أباح وحظر ويقتدي به اذا نهى وأمر ويستبين بيانه اذا
استغلقت دونه المعضلات ويستضئ بمصابيحه اذا غمت عليه المشكلات فانه عروة
الاسلام الوثقى ومحجته الوسطى ودليله المقنع وبرهانه المرشد والكاشف لظلم الخطوب
والشافي من مرض القلوب والهادي لمن ضل والمتلافي لمن زل فمن نجا به فقد فاز وسلم
ومن لها عنه فقد خاب وندم قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأمره أن يحافظ على الصلوات ويدخل فيها في حقائق
الاوقات قائما على حدودها متبعا لرسومها جامعا فيها بين نيته ولفظه متوقعا لطامح
سهوه ولحظه منقطعا اليها عن كل قاطع لها مشغولا بها عن كل شاغل عنها متمثلا
ركوعها وسجودها مستوفيا عدد مفروضها ومسنونها موفرا عليها ذهنه صارفا اليها
همه عالما بأنه واقف بين يدي خالقه ورازقه ومحييه ومميته ومعاقبه ومثيبه لا تستتر دونه
خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاذا قضاها على هذه السبيل منذ تكبيرة الاحرام الى خاتمة

خنوص (وولد) الارنب خرنق (وولد)
الثعلب هجرس (وولد) الفيل
دغفل (وولد) اليربوع والفارة
درص (وولد) الضب حسل
(وولد) الكلب والذئبة والهرة
والجرذ درص أيضا (والرئال)
فراخ النعام وأحدها رال
(والحوائم) صغارها سميت بذلك
لخفيف الطيران (والفواخ)
يقال لها الجوازل (والنهار) فرخ
القطاة (ويقال) الليل فرخ
الكروان (وقالوا) للذكر من
أولاد الضأن اذا هو كبر كبش
والانثى نعجة (وللذكر) من أولاد
المعز اذا كبر تيس والانثى عنزة

﴿فروق في السفاد﴾

أدلى الفرس ليضرب وودى
ليبول (وكل) ذكر يمذي (وكل)
أنثى تقذي يقال أمنى الرجل
ومنى وأمنى أجود والاسم المني
مشدد قال الله عز وجل من مني
يمنى (والمذي) والودي مخففان
فالمني ما يخرج عن الجماع من
الماء الدافق والمذي ما يخرج
من الذكر عن الملاعبة والتقبيل
(والودي) ما يخرج بعد البول
ويقال مذى وامذى ومذى أكثر
وودى ولا يقال أودى (ويقال)
للشاة اذا أرادت الفحل حنت
فهي حانية واستحرمت أيضا
(والاستحرام) لكل ذات ظلف
(ويقال) للبقرة استقرعت
(والكلبة) صرفت واستحملت
(وكذلك) كل ذات مخلب
(ويقال) لكل ذات حافر
استودقت وودقت والناقة
استضبعت وضبعت (ويقال)
جفر الفحل عن الابل وعدل اذا

التسليم أتبعها بدعاء يرتفع بارتفاعها ويستمع باستماعها لا يتعدى فيه مسائل الابرار ورغائب الاخيار من استصفاح واستغفار واستقالة واسترحام واستدعاء لصالح الدين والدنيا وعوائد الآخرة والأولى فقد قال الله تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقال تعالى وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأمره بالسعى فى أيام الجمع الى المساجد الجامعة وفى الاعياد الى المصليات الضاحية بعد التقدم فى فرشها وكسوتها وجمع القوام والمؤذنين والمكبرين فيها واستدعاء الناس اليها وحضهم عليها آخذين الاهبة متنظفين فى البزة مؤدين لفريضة الطهارة وبالغين فى ذلك أقصى الاستقصاء معتقدين خشية الله وخيفته متزعين تقواه ومراقبته مكثرين من دعائه عز وجل وسؤاله مصلين على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله بقلوب على اليقين موقوفة وهمم الى الدين مصروفة وألسن بالتقديس والتسبيح فصيحة وآمال فى المغفرة والرحمة فسيحة فان هذه المصليات والمتعبدات بيوت الله الذى فضلها ومناسكه التى شرفها وفيها يتلى القرآن الكريم وتعوذ العائذون وتتعبد المتعبدون وتتهجد المتهجدون وحقيق على المسلمين أجمعين من وال ومولى عليه أن يصونها ويعمرها ويواصلها ولا يهجرها وأن يقيم الدعوة على منابرها لامير المؤمنين ثم لنفسه على الرسم الجارى فيها قال الله تعالى فى هذه الصلاة يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقال فى عمارة المساجد انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وأمره أن يراعى أحوال من يليه من طبقات جند أمير المؤمنين ومواليه ويطلق لهم الارزاق فى أوقات الوجوب والاستحقاق وأن يحسن فى معاملتهم ويجمل فى استخدامهم ويتصرف فى سياستهم بين رفق من غير ضعف وخشونة فى غير عنف مثيبا لمحسنهم ما زاد بالاثابة فى حسن الاثر وسلم معها من دواعى الاشر ومتغمدا لمسيئهم ما كان التغمد له نافعا وفيه ناجعا فان تكررت زلاته وتتابعت عثراته تناولته من عقوبته ما يكون له مصلحا ولغيره واعظا وأن يختص أكابرهم وأماثلهم وأهل الرأى والخطر منهم بالمشاورة فى الملم والاطلاع على بعض المهم مستخلصا لخبايا صدورهم بالبسط والادناء ومستشحذا بصائرهم بالاكرام والاجتباء فان فى مشاورة هذه الطبقة استدلالا على مواقع الصواب وتحرزا عن غلط الاستبداد وأخذا بمجامع الحزامة وأمنا من مفارقة الاستقامة وقد حض الله عز وجل على الشورى حيث قال لرسوله عليه الصلاة والسلام وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وأمره بأن يعهد بما يتصل بنواحيه من ثغور المسلمين ورباط المرابطين ويقسم لها قسما وافرا من عنايته ويصرف اليها طرفا بل شطرا من رعايته ويختار لها أهل الجلد والشدة وذوى البأس والنجدة ممن حنكته الخطوب وعركته الحروب واكتسب دربة بخدع المتنازلين وتجربة بمكايد المتقارعين وأن يستظهر بكثف عددهم واعتبار عددهم وانتخاب خيلهم واستجادة أسلحتهم غير مجمر بعثا اذا بعثه ولا مستكره اذا وجهه بل يناوب بين رجاله مناوبة تريحهم ولا تمدهم وترفههم ولا تؤدهم فان فى ذلك من فائدة الاجمام والمعدلة فى الاستخدام زينا فليستو بين رجال النوب فيما عاد عليهم بعز الظفر والنصر وبعد الصيت والذكر واحراز النفع والاجر ما يحق أن يكون الولاة به عاملين وللناس عليه حاملين وأن يكرر فى أسماعهم ويثبت فى قلوبهم مواعيد الله تعالى لمن صبر ورابط وسامح بالنفس

من

زلك الضراب (وربض) الكبش عن الغنم ولا يقال جفر (قال) الاصمعى وأبو زيد يقال للسباع كلها سفد يسفد سفادا وكذلك التيس والثور وكل طائر (ويقال) أيضا قرع الثور وكام الفرس وطرق وباك الحمار يبوك وكا وقط الطائر وقمط (وقال) أبو زيد القفط لذوات الظلف ويقال فى السباع وفى الظلف (وفى) الحافر زابنتر وتر ولوزاه (والعبس) ماء الفحل ويقال له البرون وهو سم والزأجل ماء الظليم (وروبة) الفرس طرقه فى جمامه

فروق فى الحمل

كل ذات حافر تسوج وعقوق والناقة خلفة والجمع مخاض (وكل) سبعة ملع وذلك اذا استقلت ضروعها الحمل واسودت حلماتها وذوات الحافر أيضا كذلك وكل مقرب من الحوامل فهو مجح (قال) أبو زيد أصل الاجحاح للسباع فاستعير فى الانسان وأصل الحبل للنساء

فرق فى الولادة

ان خرجت يد الجنين من الرحم قبل فهو الوجيه (وان) خرج شئ من خلقه قبل يديه فهو اليتن (وان) ألقت الناقة ولدها لغير تمام فقد خدجت (وان) ألقته لتمام المدة وهو ناقص الخلقة فقد أخدجت بالالف فهى مخدج والولد مخدج وأول ولد الرجل بكره والذكر والانثى فيه سواء (وعجزة) أبويه آخر ولدهما والذكر والانثى فيه سواء (ويقال) أصاف الرجل اذا ولد له

من حيث لا يقدمون على تورط عزه ولا يحجمون عن انتهاز فرصه ولا ينكصون عن تورد معركة ولا يلقون بأيديهم الى التهلكة فقد أخذ الله ذلك على خلقه والمرء أمين على دينه وأن يزيح العملة فيما يحتاج اليه من راتب نفقات هذه الثغور وحادثها وبناء حصونها ومعاقلها واستطراق طرقها ومسالكها وافاضة الاقوات والعلوفة فيها للمترتبين بها والمترددين اليها والحاملين لها وأن يبذل أمانه لمن طلبه ويعرضه على من لم يطلبه ويفي بالعهد اذا عاهد وبالعقد اذا عاقد غير مخفر ذمة ولا جارح أمانة فقد أمر الله تعالى بالوفاء فقال عز وجل يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ونهى عن النكث فقال عز من قائل فمن نكث فانما ينكث على نفسه وأمره أن يعرض من في حبوس عمله على جرائمهم فمن كان اقراره واجبا أقره ومن كان اطلاقه سائغا أطلقه وأن ينظر في الشرطة والاحداث نظر عدل وانصاف ويختار لهما من يخاف الله ويتقيه ولا يحابي ولا يراقب فيه ويتقدم اليهم بقمع الجهال وردع لضلال وتتبع الاشرار وطلب الدعار مستدلين على أماكنهم متوغلين الى مكامنهم متولجين عليهم في مظانهم متوثقين ممن يجدونه منهم منفذين أحكام الله تعالى فيهم بحسب الذي يتبين من أمرهم ويصح من فعلهم في كبيرة ارتكبوها وعظيمة احتقبوها ومهجة ان أغاظوها واستهلكوها وحرمة ان استباحوها وانتهكوها فمن استحق حدا من حدود الله المعلومة أقاموه عليه غير مخففين منه وأحلوه به غير مقصرين عنه بعد أن لا يكون عليهم في الذي يأتونه حجة ولا يعترضهم في وجوبه شبهة فان الواجب في الحدود أن تقام بالبينات وأن تدرأ بالشبهات فأولى ما توخاه رعاة الرعايا فيها أن لا يقدموا عليها مع نقصان ولا يتوقفوا عنها مع قيام الدليل ومن وجب عليه القتل احتاط بما يحتاط به على مثله من الحبس الحصين والتوثق الشديد وكتب الى أمير المؤمنين بخبره وشرح جنايته وثبوتها باقرار يكون منه أو بشهادة تقع عليه ولينتظر من جوابه ما يكون عمله بحسبه فان أمير المؤمنين لا يطلق سفك دم مسلم أو معاهد الا ما أحاط به علما وأتقنه فهما وكان ما يمضيه فيه عن بصيرة لا يخالجها شك ولا يشوبها ريب ومن ألم بصغيرة من الصغائر ويسيرة من الجرائر من حيث لم يعرف له مثلها ولم يتقدم له أختها وعظه وزجره ونهاه وحذره واستتابه وأقاله ما لم يكن عليه خصم في ذلك يطالب بقصاص منه وجزاء له فان عاد تناوله من التقويم والتهذيب والتعزير والتأديب بما يرى أن قد كفى فيما اجترم ووفى بما قدم فقد قال الله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأمره أن يعطل ما في أعماله من الحانات والمواخير ويطهرها من القبائح والمناكير ويمنع من يجمع أهل الخنا فيها ويؤلف شملهم بها فانه شمل يصلحه التشتيت وجمع يحفظه التفريق وما زالت هذه المواطن الذميمة والمطارح الدنية داعية من يأوي اليها ويعكف عليها الى ترك الصلوات واهمال المفترضات وركوب المنكرات واقتراف المحظورات وهي بيوت الشيطان التي في عمارتها لله معصية وفي اخرابها للخير مجلبة والله تعالى يقول لنا معشر المؤمنين كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ويقول عز من قائل اخبارا من المذمومين فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وأمره أن يولي الحماية في هذه الاعمال أهل الكفاية والغناية من الرجال وأن يضم اليهم كل من خف ركابه وأسرع عند الصريخ مرتبا لهم في المسالح وسادا بهم ثغر المسالك وأن يوصيهم بالتيقظ ويأخذهم بالتحفظ ويزيح عللهم في علوفة خيلهم والمقرر من أزوادهم وميرهم حتى لا تنقطع لهم عن البلد لا دوطاه

على الكبير وولده صيفيون (وأربع) اذا ولدته في الشمسية وولده ربعيون (والبكر) التي ولدت واحدا (والثنى) التي ولدت اثنين (واذا وضعت) الانثى واحدا فهي مفرد وموحد وان وضعت اثنين فهي متئم

﴿ فرق في الاصوات ﴾

أزمل كل شيء صوته (والجرس) صوت حركة الانسان (والركز) الصوت الخفي (وكذلك) الهمس (والخرير) صوت الماء (والغرغرة) صوت القدر وكذلك الهزمة (والوسواس) صوت الحلي (والتصفير) من الفم (والنخير) من المنخرين (والكرير) من الصدر وقال الاعشى

نفسي فداؤك يوم النزال
اذا كان دعوى الرجال الكريرا

وهو صوت المختنق وقال أبو زيد الكرير الحشرجة عند الموت ويقال (هجهجت) بالسبع اذا صحت به وزجرته ولا يقال ذلك لغير السبع (وشايعت) بالابل (ونعقت) بالغنم (وأشليت) الكلب دعوته (ودجدجت) بالدجاجة (وسأسأت) بالحمار (وجأجأت) بالابل دعوتها للشرب (وهأهأت) بها للعلف (ويقال) الفرس يصهل ويحمحم اذا طلب العلف (والخضيعة) والوقيب صوت بطنه (قال) أبو زيد وأبو عبيدة هو تقلقل الجردان في القنب (والبغل) يشحج (والحمار) ينهق ويسحل (والجمل) يرغو ويهدر (والناقة) تئط وتحن (والثور) يخور ويجأر (واليعار) للمعز (والثؤاج)

ولا يدعوهم الى تحنقهم وتلهم حاجة وأن يحوطوا السابلة بادئة وعائدة ويخفروا القوافل صادرة وواردة ويحرسوا الطريق ليلا ونهارا ويتقصوها رواحا وغدوا وينصبوا الاهل البحث الارصاد ويتكمنوا لهم بكل واد ويتفرقوا عليهم حيث يكون التفرق مضيقا لفضائهم ومؤديا الى انفضاضهم ويجتمعوا حيث يكون الاجتماع مطفئا لجمرتهم وصادعا لرؤيتهم ولا يخلوا هذه السبل من حماة لها وسيارة فيها يترددون فى جوادها ويتعسفون فى عواديها حتى تكون الدماء محقونة والاموال مصونة والفتن محسومة والغارات مأمونة ومن حصل فى أيديهم من لص خائن وصعلوك خارب ومخيف لسبيل ومنتهك لحريم امتثل فى أمره أمر أمير المؤمنين الموافق لقول الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وأمره بوضع الرصد على من يجتاز فى أعماله من اباق العبيد والاحتياط عليهم وعلى ما يكون معهم والبحث عن الاماكن التى فارقوها والطرق التى استطرقوها ومواليهم الذين أبقوا منهم وينتزعوا منهم وأن يردوهم عليهم قهرا ويعيدوهم اليهم صغرا وان ينشدوا الضالة ما أمكن أن تنشد ويحفظوها على ربها ما جاز أن تحفظ ويجتنبوا الامتطاء لظهورها والانتفاع بأوبارها وألبان ما يجز ويحلب وأن يعرفوا اللقطة ويتبعوا أثرها ويشيعوا خبرها فاذا حضر صاحبها وعلم أنه مستوجبها سلمت اليه ولم يعترض فيها عليه والله عز وجل يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها ويقول رسوله صلى الله عليه وسلم ضالة المؤمن حرق النار وأمره أن يوصى عماله بالشد على يد الحكام وتنفيذ ما يصدر عنهم من الاحكام وأن يحضروا مجالسهم حضور الموقرين لها الذابين عنها المقيمين لرسوم الهيبة وحدود الطاعة فيها ومن خرج عن ذلك من ذوى عقل ضعيف وحلم سخيف نالوه بما يردعه وأحلوا به ما يزعه ومتى تقاعس متقاعس عن حضور مع خصم يستدعيه بأمر يوجبه الحكم اليه أو التوى بما تؤدى بحق يحصل عليه ودين يستقر فى ذمته قادوه الى ذلك بأزمة الصغار وخزائم الاضطرار وأن يحبسوا ويطلقوا بأقوالهم ويثبتوا الايدى فى الاملاك والفروج وينزعوها بقضاياهم فانهم أمناء الله فى فصل ما يقضون وبث ما يمضون وعن كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يوردون ويصدرون وقد قال الله عز وجل ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وأن يتوخى بمثل هذه المعاملة عمال الخراج فى استيفاء حقوق ما استعملوا عليه واستنظاف بقاياهم فيه والرياضة لمن تسوء طاعته من معامليهم واحضارهم طائعين أو كارهين بين أيديهم فمن آداب الله تعالى للعبد الذى يحق عليه أن يتخذها ويجعلها للرضا عنه سببا قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب وأمره أن يجلس للرعية جلوسا عاما وينظر فى مظالمها نظرا تاما يساوى فى الحق بين خاصها وعامتها ويوازى فى المجالس بين عزيزها وذليلها وينصف المظلوم من ظالمه والمغصوب من غاصبه بعد الفحص والتأمل والبحث والتبيين حتى لا يحكم الا بعدل ولا ينطق الا بفصل ولا يثبت يدا الا فيما وجب تثبيتها فيه ولا يقبضها الا عما وجب قبضها عنه وأن يسهل الاذن لجماعتهم ويرفع الحجاب بينه وبينهم ويوليهم من حصانة الكنف ولين المنعطف والاشتمال والعناية والصون والرعاية ما تتعادل به أقسامهم وتتوازى منه أقساطهم ولا يصل

الشأن (والتيس) ينب ويهب اذا أراد السفاد (والاسد) يزئر وينهت وينئم (والزمجرة) صوت صدره (والذئب) يعوى ويتضور اذا جاع (والثعلب) يضبح (والكلب) ينبح ويهر (والسنور) تهر وتغو وتامو (والافعى) تفح بفيها وتكش بجلدها قال الشاعر

كشيش أفعى أجمعت بعض

فهى تحك بعضها ببعض

(والحية) تنضنض ويقال النضنضة تحريك لسانها (وابن آوى) يعوى (والغراب) ينغق بالغين المعجمة وينعب (والديك) يزقو ويسقع (والدجاجة) تنق وتنقض اذا أرادت البيض (والنسر) يصفر (والحمام) يهدر ويهدل (والمكاء) يزقو ويغرد (والقرد) يضحك (والنعام) يعار عرارا يقال ذلك فى الظليم والانثى تزمر زمارا (والخنزير) يقبع (والظبي) ينزب نزيبا (والارنب) تضغب (والعقرب) تنق وتصئى ويقال صأى الفرخ والخنزير والفأرة واليربوع يصئى صئيا (والضفادع) تنق وتنقض وكذلك الفراريج (والجن تعزف)

﴿معرفة فى الطعام والشراب﴾

طعام العرس (الوليمة) وطعام البناء (الوكيرة) وطعام الولادة (الخرس) وما تطعمه النفساء نفسها (خرسة) وطعام الختان (اعذار) وطعام القادم من سفره (نقيعة) وكل طعام صنع لدعوة (مأدبة) ومأدبة جميعا ويقال فلان يدعو النقرى اذا خص وفلان يدعو الجفلى (والاجفلى) اذا عم قال طرفة

الركين منهم الى استضامة ما تأخر عنه ولا ذو السلطان الى هضيمة من حل دونه وأن يدعوهم الى أحسن العادات والخلائق ويحضهم على أحمد المذاهب والطرائق ويحمل عنهم كله ويمدّ عليهم ظله ولا يسومهم عسفا ولا يلحق بهم حيفا ولا يكلفهم شططا ولا يجشمهم مضاضا ولا يثلم لهم معيشة ولا يداخلهم فى حرمة ولا يأخذ بريا بسقيم ولا حاضرا بعديم فان الله عز وجل يقول أن لا تزر وازرة وزر أخرى ويرفع عن هذه الرعية ما عسى أن يكون سنّ عليها من سنة ظالمة وسلك بها من محجة جائرة ويستقرى آثار الولاة قبله عليها فيما رجوه من خير أو شر اليها فيقر من ذلك ما طاب وحسن ويزيل ما خبث وقبح فان من غرس الخير يحظى بحصول ثمره ومن زرع الشر يصلى بمرور زرعه والله تعالى يقول والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرّف الآيات لقوم يشكرون وأمره بأن يصون مال الخراج وثمن الغلات ووجوه الجبايات موفورا ويزيد ذلك مثمرا بما يستعمله من الانصاف لاهلها واجرائهم على صحيح الرسوم فيها فانه مال الله الذى به قوة عباده وحماية بلاده ودرور حلبه واتصال مدده وبه يحاط الحريم ويدفع العظيم ويحمى الذمار ويذاد الاشرار وأن يجعل افتتاحه اياه بحسب ادراك اصنافه وعند حضور مواقيته وأحيانه غير متسلف شيأ قبلها ولا مؤخر لها عنها وأن يخص أهل الطاعة والسلامة بالترفيه لهم وأهل الاستصعاب والامتناع بالتشديد عليهم لئلا يقع ارهاق لمذعن أو اهمال لطامع وعلى المتولى لذلك أن يضع كلا من الامرين موضعه ويوقعه موقعه متجنبا الحلال المماطلة من لا يستحقها واعطاء الفسحة من ليس أهلها والله تعالى يقول وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأمره أن يتخير عماله على الخراج والاعشار والضياع والجهبذة والصدقات والجوالى من أهل الظلف والنزاهة والضبط والصيانة والجزالة والشهامة وأن يستظهر مع ذلك عليهم بوصية تنبه أسماعهم وعهود يقلدها أعناقهم بأن لا يضيعوا حقا ولا يأكلوا سحتا ولا يستعملوا ظلما ولا يقارفوا غشما وأن يقيموا العمارات ويحتاطوا ويتحرزوا من انواء حق لازم أو تعطيل رسم عادل مؤدين فى جميع ذلك الامانة مجتنبين للخيانة وأن يأخذوا جهابذتهم باستيفاء وزن المال على تمامه واستجادة نقده على عياره واستعمال الصحة فى قبض ما يقبضون واطلاق ما يطلقون وأن يعزوا الى سعاة الصدقات فى أخذ الفرائض من سائمة مواشى المسلمين دون عاملتها وكذلك الواجب فيها وأن لا يجمعوا فيها متفرقا ولا يفرقوا مجتمعا ولا يدخلوا فيها عارضا ولا يضيفوا اليها ما ليس منها من فحل ابل أو أكولة راع أو عقيلة مال فاذا احتبوها على حقها واستوفوها على رسمها أخرجوها فى سبلها وقسموها على أهلها الذين ذكرهم الله عز وجل فى كتابه العزيز الا المؤلفة قلوبهم الذين ذكرهم الله عز وجل فى كتابه الكريم وسقط سهمهم فان الله تعالى يقول انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم وأن جباة أهل الذمة أن يأخذوا منهم الجزية فى المحرم من كل سنة بحسب منازلهم فى الاحوال وذات أيديهم فى الاموال وعلى الطبقات المطبقة فيها والحدود المعهودة لها وأن لا يأخذوها من النساء ولا ممن لم يبلغ الحلم من الرجال ولا من ذى سن عالية ولا ذى علة بادية ولا فقير معدم ولا مترهب متبتل وأن يراعى جماعة هؤلاء العمال مراعاة يسرّها ويظهرها ويلاحظهم ملاحظة يخفيها ويبديها لئلا

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى
لا ترى الآدب فينا ينتقر

ويقال للداخل على القوم وهم يطعمون ولم يدع (الوارش) وللداخل على القوم وهم يشربون ولم يدع (الواغل) واسم ذلك الشراب الوغل (والضيفن) الذى يجيء مع الضيف ولم يدع (والارشم) هو الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه قال البعيث

* لجاءت بيتن الضيافة أرشما *

(والبشم) فى الطعام (والبغر) فى الماء وعير رجل من قريش فقيل

* مات أبوك بشما وماتت أمك بغرا *

(وصل) اللحم واصل تغير وهو نىء (وخم وأخم) تغير وهو شواء وطبيخ (وسنخ) الدهن وغس (والنقاة) ما يلقى من الطعام وهو مثل نقايته والنقاوة خياره (والجود) الجوع والجواد العطش (قرمت) الى اللحم (وعمت) الى اللبن ويدى من اللحم (غمرة) وزهمة (والزهم) الشحم ومن الزبد واللبن (وضرة) قال الشاعر

سيغنى أبا الهندى عن وطب سالم
أباريق لم يعلق بها وضر الزبد

(ومن السمك سهكة)

﴿الاشربة﴾

الماء (الفرات) العذب (والاجاج) الملح يقال ماء ملح ولا يقال مالح قال الله عز وجل هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج (والشريب) الماء الذى فيه عذوبة وهو يشرب على ما فيه (والشروب) دونه فى العذوبة وليس يشرب الا عند الضرورة والماء (النمير) النامى فى الجسد وان كان غير عذب (والقهوة) الخمر سميت

يزولوا عن الحق الواجب أو يعدلوا عن السنن الاحب فقد قال الله تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا وأمره بأن يندب لعرض الرجال واعطائهم وحفظ جراياتهم وأوقات اطماعهم من يعرفه بالثقة فى متصرفه والامانة فيما يجرى على يده والبعد عن الاسفاف الى الدنية والاتباع للدناءة وأن يعتمد على ضبط الرجال وشيات الخيل وتجديد العرض بعد الاستحقاق وايقاع الاحتياط فى الانفاق فمن صح عرضه ولم يبق فى نفسه شئ منهم من شك يعرض له أو ريبة يتوهمها أطلق أموالهم موفورة وحصلها فى أيديهم غير منثلمة وأن يرد على بيت المال أرزاق من سقط بالوفاة والاخلال ناسبا ذلك الى جهته موردا له على حقيقته وأن يطالب الرجال باحضار الخيل المختارة والآلات المستكملة على ما توجبه مبالغ أرزاقهم وحسب منازلهم ومراتبهم فان أخر أحدهم شيأ من ذلك قاصصه به من رزقه وأغرمه مثل قيمته فان المقصر فيه خائن لامير المؤمنين ومخالف لرب العالمين اذ يقول سبحانه وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وأمره أن يعتمد فى أسواق الرقيق ودور الضرب والطرز والحسبة على من تجتمع فيه آلات هذه الولايات من ثقة ودراية وعلم وكتابة ومعرفة ورواية وتجربة وحنكة وحصانة ومسكة فانها أحوال تضارع الحكم وتناسبه وتدانيه وتقاربه وأن يتقدم الى ولاة أسواق الرقيق بالتحفظ فيمن يطالعون بيعه ويمضون أمره والتحرز من وقوع تحوّن فيه أو اهمال له اذ كان ذلك عائدا بتحصين الفروج وتطهير الانساب وأن يبعدوا عنه أهل الريبة ويقربوا أهل العفة ولا يمضوا بيعا على شبهة ولا عقدا على تهمة والى ولاة العيار بتخليص عين الدرهم والدينار ليكونا مضروبين على البراءة من الغش والنزاهة من الماش وبحسب الامام المقتدر بمدينة السلام وحراسة السكك من أن تتداولها الايدى المرغلة وتتناقلها الجهات المدنية واثبات اسم أمير المؤمنين على ما يضرب ذهبا وفضة واجراء ذلك على الرسم والسنة والى ولاة الطرز أن يجروا الاستعمال فى جميع المناسج على أتم النيقة وأسلم الطريقة وأحكم الصنعة وأفضل الصحة وأن يكتبوا اسم أمير المؤمنين على طرز الكسا والفرش والاعلام والبنود والى ولاة الحسبة بتصفح أحوال العوام فى حرفهم ومتاجرهم ومجتمع أسواقهم ومعاملاتهم وأن يعايروا الموازين والمكاييل ويفرزوها على التعديل والتكميل ومن اطلعوا منه على حيلة أو تلبيس أو غيلة أو تدليس أو بخس ما يوفيه واستفضال فيما يستوفيه نالوه بغليظ العقوبة وعظيمها وخصوه بوجيعها وأليمها واقفين فى ذلك عند الحد الذى يرونه لذنبه مجازيا وفى تأديبه كافيا فقد قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون هذا عهد أمير المؤمنين اليك وحجته عليك وقد وقفك على سواء السبيل وأرشدك الى واضح الدليل وأوسعك تعليما وتحكيما وأقنعك تعليما وتفهيما ولم يألك جهدا فيما عصمك وعصم على يدك ولم يدخرك ممكنا فيما أصلح بك وأصلحك ولا ترك لك عذرا فى غلط تغلطه ولا طريقا الى تورط تتورطه بالقاك فى الاوامر والزواجر الى حيث يلزم الائمة أن يندبوا الناس اليه ويحثوهم عليه مقيما لك على مضيات المسالك صارفا لك عن مرديات المهالك مريدا فيك ما يسلمك فى دينك ودنياك ويعود بالحظ عليك فى آخرتك وأولاك فان اعتدلت وعدلت فقد فزت وغنمت وان تجانفت واعوججت فقد خسرت وندمت والاولى بك عند أمير المؤمنين من مغرسك الزاكى ومنبتك النامى وعودك الانجب وعنصرك الاطيب أن تكون لظنه محققا ولمخايلته فيك مصدقا وأن تستريده بالاثر الجميل

بذلك لانها تقهى أى تذهب بشهوة الطعام قال الكسائى قد أقهى الرجل اذا قل طعمه (والشمول) لانها تشتمل على عقل صاحبها (والعقار) لانها عاقرت الدن أى لازمته ويقال أخذ من عقر الحوض وهو مقام الشاربة (والخندريس) لقدمها ومنه حنطة خندريس قال الاصمعى أحسبه بالرومية وكذلك (الاسفنط والنبيذ) لانه نبذ أى ترك حتى أدرك (والبتع) نبيذ العسل وحده وهو يتخذ بمصر (والجعة) نبيذ الشعير والمزر (والسكركة) من الذرة وهو شراب الحبشة (والطلاء) الخمر ومنهم من يجعله ما طبخ بالنار حتى ذهب ثلثاه وبقى ثلثه شبه بطلاء الابل وهو القطران فى ثخنه وسواده والعلماء بلغة العرب يجعلون الطلاء الخمر بعينها ويحتجون بقول عبيد

هى الخمر تكنى الطلاء

كما الذئب يكنى أبا جعده

(والقهدى) شراب كانت الخلفاء من بنى أمية تشربه بالشام (والمزاء) شراب يقال انه سمى بذلك لقولهم هذا الشراب أمزّ من ذا أى أفضل وهذا الشراب مزّ على هذا أى فضل ومنه قيل للخمرة مزة ومزة لا يريدون الحموضة لان الحموضة عيب فيها ويقال للحامضة (حمطة) ويقال قيل لها مزة للذعها اللسان ويقال الحمطة التى أخذت شيأ من الريح قال الهذلى

عقار كماء النى ليست بخمطة

ولا خلة يكوى الشروب شهابها

(والكسيس) السكر قال الشاعر

فرباروثوابايوم الدين وزلفى عند أمير المؤمنين وثناء حسنا من السلمين تخدمانبذا الملك أمير المؤمنين من معاذيره وأمسك بيدك على ما أعطى من مواثيقه واجعل عهده مثالا تحتذيه واماما تقتفيه واستعن بالله يعنك واستهده يهدك وأخلص اليه فى طاعته يخلص لك الحظ فى معونتك ومهما أشكل عليك من خطب أو أعضل عليك من صعب أو بهرك من باهر أو بهظك من باهظ فاكتب الى أمير المؤمنين منهيا وكن الى ما يرد عليك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ﴿وأما التقليد﴾ الذى أنشأته أنا فهو وهذا أما بعد فان أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون لكل خطبة قيادا ولكل أمر عمادا ويستزيده من نعمه التى جعلت التقوى له زادا وجعلته عباد الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم يأل فيه اجتهادا وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له محرابا ولا عرضت عليه جيادا وحققت فيه قول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا ثم يصلى على من أنزلت الملائكة لنصره امدادا وأسرى به الى السماء حتى ارتقى سبعا شدادا وتجلى له ربه فلم يزغ منه بصرا ولا أكذب فؤادا ثم من بعده على أسرته الطاهرة التى زكت أوراقا وأعوادا وورثت النور المتين تلادا ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وارشادا وخصوصا عمه العباس المدعو له بأن يحفظ نفسا وأولادا وأن تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا ولا تخشى نفادا واذا استوفى القلم مداده من هذه الجملة وأسند القول فيها عن فصاحته المرسلة فانه يأخذ فى انشاء هذا التقليد الذى جعله حلية القرطاسه واستدام سجوده على صفحته حتى لم يكد يرفع من راسه وليس ذلك الا لافاضته فى وصف المناقب التى كثرت فحسن لها مقام الاكثار واشتبه التطويل فيها بالاختصار وهى التى لا يفتقر واصفها الى القول المعاد ولا يستوعر سلوك أطوادها ومن العجب وجود السهل فى سلوك الاطواد وتلك مناقبك أيها الملك الناصر الاجل السيد الكبير العالم العادل المجاهد المرابط صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب والديوان العزيز يتلوها عليك نعمة تابشكرك ويباهى بك أولياءه تنويها بذكرك ويقول أنت الذى تستكفى فتكون للدولة سهمها الصائب وشهابها الثاقب وكنزها الذى تذهب الكنوز وليس بذاهب وماضرها وقد حضرت فى نصرتها اذا كان غيرك هو الغائب فاشكر اذا مساعيك التى أهلتك لما أهلتك وفضلتك على الاولياء بما فضلتك ولئن شوركت فى الولاء بعقيدة الاضمار فلم تشارك فى عزمك الذى انتصر للدولة فكان له بسطة الانتصار وفرق بين من أمد بقلبه وبين من أمد بيده فى درجات الامداد وما جعل الله القاعدين كالذين قالوا وأمرنا الضربنا أكبادها الى برك الغماد وقد كفاك من المساعى أنك كفيت الخلافة أمر منازعيها وطمست على الدعوة الكاذبة التى كانت تدعيها ولقد مضى عليها زمن ومحراب حقها محوف من الباطل بحرابين ورأت ما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السوارين اللذين أولهما كذابين فبصر منهما واحد تاه يجرى أنهارها من تحته ودعا الناس الى عبادة طاغوته وجبته وأعجب بالدين حتى لم يدر يوم جمعته من يوم أحده ولا يوم سبته وأعانه على ذلك قوم رمى الله بصائرهم بالعمى والصمم واتخذوه صنما بينهم ولم تكن الضلالة هنالك الا بعجل أو صنم فقمت أنت فى وجه باطله حتى قعد وجعلت فى جيده حبلا من مسد وقت ليده تبت فأصبح وهو لا يسعى بقدم ولا يبطش بيد وكذلك فعلت بالآخر الذى نجمت باليمن ناجمته وسامت فيه سائمته فوضع بنية موضع الكعبة اليمانية وقال هذه ذو الخلصة الثانية فأى مقاميك يعترف الاسلام بسبقه أم أيهما يقوم بأداء حقه

وان نسق من أعناب وج فاننا
لنا العين تجرى من كسيس ومن خمر

(والمصفق) الممزوج (وكذلك) المشعشع (والمعرق) والمنباطل مكاييل الخمر واحدها باطل (والقحوان) شبيه بالذريرة يعلو الخمر ويقال هو الزبد

﴿باب معرفة اللبن﴾

اللبن (الصريف) الحار منه حين يحلب فاذا سكنت رغوته فهو الصريح (والمحض) الخالص الذى لم يخالطه الماء حلوا كان أو حامضا فاذا أخذ شيئا من التغير فهو (حامط) فاذا حذى اللسان فهو (قارص) فاذا خثر فهو (رائب) فاذا اشتدت حموضته فهو حازر (والمذيق) المخلوط بالماء ومنه يقال فلان يمذق الود اذا لم يخلصه (والدواية) ما ركب اللبن كأنه جلد

﴿الطعام﴾

السلفة ما يتعجله الرجل من الطعام قبل الغداء وهو اللهنة ويقال فلان يأكل الوجبة اذا أكل فى اليوم مرة واحدة (والتمطق) بالشفتين ضم احداهما مع الاخرى مع صوت يكون بينهما (والتلمظ) تحريك الشفتين بعد الاكل كأنه يتتبع بذلك شيئا من الطعام بين أسنانه وتعرف العرب من أطعمة أهل الحضر وصنيعهم (المضيرة) سميت بذلك لانها طبخت باللبن الماضر وهو الحامض وتعرف (الهريسة) سميت بذلك لانها تهرس أى تدق وتعرف (العصيدة) لانها تعصد أى تلوى ومنه قيل للاوى عنقه عاصد

وهو بما انفصح القلم للسيف من الحساد وليقصر مكاثره عن مكاثرته وقد كان له من الانداد ولم يعط هذه المزية الا لانه أصبح لك صاحبا وحربك حتى طال حرا عمار عز جانبا وقضى بولايتك فكان بما قضاه المما كان حده قاضبا وقد قلدك أمير المؤمنين البلاد المصرية واليمنية غورا ونجدا وما اشتملت عليه رعية وجندا وما انتهت اليه أطرافها برا وبحرا وما يستفتح من مجاوريها مسالمة وقهرا وأضاف اليها بلاد الشام وما تحتوي عليه من المدن الممدنة والمراكز المحصنة مستثنيا منها ما هو بيد نور الدين اسمعيل بن نور الدين محمود رحمه الله وهو حلب وأعمالها فقد مضى أبوه عن آثار في الاسلام ترفع ذكره في الذاكرين وتخلفه في عقبه في الغابرين وولده هذا قد هذبته الفطرة في القول والعمل وليست هذه الربوة الا من ذلك الجبل فليكن له منك جار يدنو منه ودادا كما دنا أرضا ويصبح وهو له كالبنيان يشد بعضه بعضا والذى قدمناه من الثناء عليك ربما تجاوز بك درجة الاقتصاد والفتك عن فضيلة الازدياد فاياك أن تنظر سعيك بالاعجاب وتقول هذه بلاد افتتحتها بعد أن أضرب عنها كثير من الاضراب ولكن اعلم أن الارض لله ولرسوله ثم لخليفته من بعده ولا منة للعبد بالامه بل المنة لله بهدايته عبده وكم سلف من قبلك من لو رام مارمته لدنا شاسعه وأجاب مانعه لكن ذخره الله لك لتحظى في الآخرة بعزه وفي الدنيا برقم طرازه فألق بيدك عند هذا القول القاء التسليم وقل لاعلم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم وقد قرن تقليدك هذا بخلعة تكون لك في الاسم شعارا وفي الوسم فخارا وتناسب محل قلبك وبصرك وخير ملابس الاولياء ما ناسب قلوبا وأبصارا ومن جملتها طوق يوضع في عنقك موضع العهد والميثاق ويشير اليك بأن الانعام قد أطاف بك اطافة الاطواق بالاعناق ثم انك خوطبت بالملك وذلك خطاب يقضي لصدرك بالانشراح ولأملك بالانفساح وتؤمر معه بقيدك الى العليا لا بضمها الى الجناح وهذه الثلاثة المشار اليها هي التي تكمل بها أقسام السيادة وهي التي لا مزيد عليها في الاحسان فيقال انه الحسنى وزيادة فاذا صارت اليك فانصب لها يوما يكون في الايام كريم الانساب واجعله لها عيدا وقل هذا عيد الخلعة والتقليد والخطاب هذا ولك عند أمير المؤمنين مكانة تجعلك لديه حاضرا وأنت ناء عن الحضور وتقضي أن تكون مشتركة بينك وبين غيرك ولضنه من شيم الغيور وهذه المكانة قد عرفتك نفسها وما كنت تعرفها وما تقول الا انها لك صاحبة وأنت بوصفها فاحرسها عليك حراسة تقضي بتقديمها واعمل لها فان الاعمال بخواتيمها واعلم أنك قد تقلدت أمرا تسبين به ذوي الملوم ولا ينفك صاحبه عن عهدة الملوم وكثيرا ما يرى حسناته يوم القيامة وهي مقتسمة بأيدي الخصوم ولا ينجو من ذلك الا من أخذ أهبة الحذار وأشفق من شهادة الاسماع والابصار وعلم أن الولاية ميزان احدى كفتيه في الجنة والاخرى في النار قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر انى أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم فانظر الى هذا القول النبوي نظر من لم يخدع بحديث الحرص والآمال ومثل الدنيا وقد سيقت اليك بحذافيرها أليس مصيرها الى زوال والسعيد اذا جاءته قضى بها أرب الارواح لا أرب الجسوم واتخذ منها وهي السم دواء وقد تتخذ الادوية من السموم وما الاغتباط بما يختلف على تلاشيه المساء والصباح وهو كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح والله يعصم أمير المؤمنين وولاة أمره من تباعتها التي لا يسلم ولابسوها وأحصاها الله عليهم ونسوها ولك أنت من هذا الدعاء حظ على قدر محلك من العناية التي جذبت بضبعك ومحلك من الولاية التي بسطت من

درعك

وكذلك (اللفتة) سميت بذلك لانها تلفت أي تلوى والعرب تسمى الفالوذ (مرطراطا) سميت بذلك للاستراط وهو الابتلاع ومنه يقال في المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى يقال أعقى الشيء اذا اشتدت مرارته

﴿فرقة في قوائم الحيوان﴾

قال أبو زيد في فرسن البعير (السلامى) وهي عظام الفرسن ثم قصبها ثم الرسغ ثم الوظيف ثم فوق الوظيف من يد البعير الذراع ثم فوق الذراع العضد ثم فوق العضد الكتف هذا في كل يد وفي رجله بعد الفرسن الرسغ ثم الوظيف ثم الساق ثم فوق الساق الفخذ ثم الورك ويقال لموضع الفرسن من الفرس والبغل والحمار الحافر ثم الرسغ ثم الوظيف ثم الذراع ثم العضد ثم الكتف هذا في كل يد وفي كل رجل الحافر ثم الرسغ ثم الوظيف ثم الساق ثم الفخذ ثم الورك وفي الغنم والبقر في اليد الظلف ثم الرسغ ثم الكراع ثم الذراع ثم العضد ثم الكتف وفي الرجل الظلف ثم الرسغ ثم الكراع ثم الساق ثم الفخذ ثم الورك قال أبو زيد السباع لها المخالب وهي أظافيرها يقال ظفر وأظفار وأظفور وأظافير (والبرثن) منها بمنزلة الاصابع من يد الانسان ورجله واحدها برثن ولكل سبع كفان في يديه لانه يكف بهما على ما أخذ والصقر له كفان في رجليه لانه يكف على الشيء بهما ومخلبه وظفره واحد

درعك فخذ هذا الامر الذى تقلدته أخذ من لم يتعقبه بالنسيان وكن فى رعايته ممن اذا نامت عيناه كان قلبه يقظان ومِلاك ذلك كله فى اتباع العدل الذى جعله الله ثالث الحديث والكتاب وأغنى بثوابه وحده عن أعمال الثواب وقدر يومامنه بعبادة ستين عاما فى الحساب ولم يأمر به آمر الا زيد قوة فى أمره وتحصن به من عدوه ومن دهره ثم يجازيه يوم القيامة وفى يديه كتاب أمان ويجلس على منبر من نور عن يمين الرحمن ومع هذا فان مركبه صعب لايستوى على ظهره الا من أمسك عنان نفسه قبل امساك عنانه وغلبت همته ملكه على لمة شيطانه ومن أوكد فروضه أن يمحى السنن السيئة التى طالت مدد أيامها وبئس الرعايا من رفع ظلامتها فلم يجعلوا أمد الانحسار لظلامها وتلك السنن هى المكوس التى أنشأتها الهمم الحقيرة ولا غنى للايدى الغنية اذا كانت ذات نفوس فقيرة وكلما زيدت الاموال الحاصلة منها فقد زاده الله محقا وقد استمرت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الواجبة فمحوها حقا ولولا أن صاحبها أعظم الناس جرما لما أغلظ فى عقابه ومثلت توبة المرأة الغامدية بمتابه وهل أشقى ممن يكون السواد الاعظم له خصما ويصبح وهو مطالب بما يعلم وبما لم يحط به علما وأنت مأمور بأن تأتى هذه الظلامات فتمحى على ابطالها وتلحق أسماءها فى المحو بأفعالها حتى لايبقى لها فى العيان صور منظورة ولا فى الالسنة أحاديث مذكورة فاذا فعلت ذلك كنت قد أزلت عن الماضى سنة سوء سن ابتداؤه وعن الآتى متابعة ظلم وجده ثم عاد سالوكالجرى على مداه فبادر الى ما أمرت به مبادرة من لم يضق به ذرعا ونظر الى الحياة الدنيا بعينه فرآها فى الآخرة متاعا واحمد الله تعالى على أن قيض للامام هدى يقف بك على هداك ويأخذ بحجزتك عن خطوات الشيطان الذى هو أعدى عداك وهذه البلاد المنوطة بطرفك تشتمل عن أطراف متباعدة وتفتقر فى سياستها الى أيد متساعدة ولهذا يكثر بها قضاة الاحكام وأولو تدبيرات السيوف والاقلام وكل من هؤلاء ينبغى أن يقف على باب الاختيار ويسلط عليه شاهد اعدل من أمانة الدرهم والدينار فما أضل الناس شئ كحب المال الذى فورقت من أجله الاديان وهجرت بسببه الاولاد والاخوان وكثيرا مانرى الرجل الصائم النائم وهو عابد له عبادة الاوثان فاذا استعنت بأحدهم على شئ من أمرك فاضرب عليه بالارصاد ولا ترض بما عرفته من مبدء حاله فان الاحوال تنتقل منتقل الاجساد واياك أن تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالربيع بن زياد وكذلك أوص هؤلاء على اختلاف طبقاتهم بأن يأمروا بالمعروف مواظبين وينهوا عن المنكر محاسبين وليعلموا أن ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم الله الغالبين وليبدؤوا أولا بأنفسهم فيعدلوا بها عن هواها ويأمروها بما يأمرون به سواها ولا يكونوا ممن هدى الى طريق البر وهو عنه حائد وانتصب لطلب المرضى وهو محتاج الى طبيب وعائد فما تنزل بركات السماء الا على من خاف مقام ربه وألزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه واذا صلحت الولاة صلحت الرعية بصلاحهم وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضئ كل قوم الا بمصباحهم ومما يؤمرون به أن يكونوا لمن تحت أيديهم اخوانا فى الاصطحاب وجيرانا فى الاقتراب وأعوانا فى توزع الحمل الذى يثقل على الرقاب فالمسلم أخو المسلم وان كان عليه أميرا وأولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كثيرا وليست الولاية ان يستجدها كثرة اللفيف ويتولاها بالوطء العنيف ولكنها لمن يمال على جوانبه ويؤكل من أطايبه ولمن اذا غضب لم ير للغضب عنده أثر واذا ألحف فى سؤاله لم يلق الالحاف بخلق الضجر واذا حضر الخصوم بين يديه عدل بينهم فى

﴿فرق فى الضروع﴾

(الضرع) لكل ذات ظلف (والخلف) لكل ذات خف (والطبى) للسباع وذوات الحافر وجمعه أطباء وقد يجعل أيضا لذوات الخف والخلف لذوات الظلف والثدى للمرأة

﴿فرق فى الرحم والذكر﴾

(الحياء) لكل ذات ظلف وخف ممدود (والظبية) لكل ذات حافر (والثفر) لكل ذات مخلب (والرحم) للمرأة (والغرمول) قضيب كل ذى حافر (وغلافه القنب) (والمقلم) قضيب البعير وغلافه الثيل فأما التيس فله القضيب

﴿فرق فى الارواث﴾

نجو السبع وجعره وروث الدابة وكل ذى حافر وبعر الشاة وخثى الثور وجمعه اخثاء وزرق الطائر وذرقه وخرؤه وثلط البعير الرقيق منه والبعر اليابس وصوم النعامة وونيم الذباب قال الشاعر

لقد ونم الذباب عليه حتى
كأن ونيمه نقط المداد

(والحصر) احتباس البطن الحدث (والاسر) احتباس البول

﴿معرفة فى الوحوش﴾

(الآرام) الظباء البيض الخوالص البياض (والادم) ظباء طوال الاعناق والقوائم بيض البطون سمر الظهور وهى أسرع الظباء عدوا وهى تسكن الجبال (والعفر) ظباء يعلو بياضها حمرة قصار الاعناق وهى أضعف الظباء

قسمة القول والنظر فذلك الذى يكون فى أصحاب اليمين والذى يدعى بالحفيظ العليم والقوى الامين ومن سعادة المرء أن تكون ولاته متأدبين بآدابه وجارين على نهج صوابه واذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانوا حسنات مثبتة فى كتابه وبعد هذه الوصية فان ههنا حسنة هى للحسنات كالام الولود واطالما أغنت عن صاحبها غناء الجنود وتيقظت لنصره والعيون رقود وهى التى تسبغ لها الآلاء ولا يتخطاها البلاء ولامير المؤمنين بها عناية تبعثها الرحمة الموضوعة فى قلبه والرغبة فى المغفرة لما تقدم وتأخر من ذنبه وتلك هى الصدقة التى فضل الله بها بعض عباده لمرية افضالها وجعلها سببا الى التعويض عنها بعشر أمثالها وهو يأمرك أن تتعقد أحوال الفقراء الذين قدرت عليهم مادة الارزاق وألبسهم التعفف ثوب الغنى وهم فى ضيق من الاملاق فأولئك أولياء الله الذين مستهم الضراء فصبروا وكثرت الدنيا فى يد غيرهم فما نظروا اليها اذ نظروا وينبغى أن يجرى لهم من أمرهم مرفقا ويضرب بينهم وبين الفقر موبقا وما أطال الك القول فى هذه الوصية الا اعلاما بأنها من المهم الذى يستقبل ولا يستدبر ويستكثر منه ولا يستكثر وهذا يعد من جهاد النفس فى بذل المال ويتلوه جهاد العدو الكافر فى مواقف القتال وأمير المؤمنين يعرفك من ثوابه ما تجعل السيف فى ملازمته أخا وتسعوله بنفسك ان كان أحد بنفسه سخا ومن صفاته أنه العمل المحبو بفضل الكرامة الذى يبقى أجره بعد صاحبه الى يوم القيامة وبه تمتحن طاعة الخالق على المخلوق وكل الاعمال عاطلة لا تخلوق لها وهو المختص دونها برتبة الخلوق ولولا فضله لما كان محسوبا بشطر الايمان ولما جعل الله الجنة له ثمنا وليست لغيره من الاثمان وقد علمت أن العدو هو جارك الادنى والذى يبلغك وتبلغه عينا وأذنا ولا تكون للاسلام نعم الجار حتى تكون له بئس الجار ولا عذر لك فى ترك جهاده بنفسك ومالك اذا قامت لغيرك الاعذار وأمير المؤمنين لا يرضى منك بأن تلقاه مكافحا أو تطرق أرضه مماسيا أو مصابحا بل يريد أن تقصد البلاد التى فى يده قصد المستنقذ لا قصد المغير وأن تحكم فيها بحكم الله الذى قضاه على لسان سعد فى بنى قريظة والنضير وعلى الخصوص البيت المقدس فانه تلاد الاسلام القديم وأخو البيت الحرام فى شرف التعظيم والذى توجهت اليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم وقد أصبح وهو يشكر طول المدة فى أسر رقبته وأضحت كلمة التوحيد وهى تشكو طول الوحشة فى غربتها عنه وغربته فانهض اليه نهضة توغل فى قرحه وتبذل صعب قياده بسمحه وان كان له عام حديبية فاتبعه بعام فتحه وهذه الاستزادة انما تكون بعد سداد ما فى اليد من ثغر كان مهملا فحميت موارده أو مستهدما فرفعت قواعده ومن أهمها ما كان حاضر البحر فانه عورة مكشوفة وخطة مخوفة والعدو قريب منه على بعده وكثيرا ما يأتيه فجأة حتى يسبق برقه رعده فينبغى أن يرتب بهذه الثغور رابطة تكثر شجعانها وتقل أقرانها ويكون قتالها لان تكون كلمة الله هى العليا الا لان يرى مكانها وحينئذ يصح كل منها أوله من الرجال أسوار ويعلم أهله أن بناء السيف أمنع من بناء الاحجار ومع هذا لابد لها من اصطول يكثر عدده ويقوى مدده فانه العدة التى تستعين بها على كشف الغماء والاستكثار من سبايا العبيد والاماء وجيشه أخو الجيش السليمانى فذلك يسير على متن الريح وهذا على متن الماء ومن صفات خيله أنها جمعت بين العوم والمطار وتساوت أقدار خلقها على اختلاف مدة الاعمار واذا أشرعت قيل جبال متفرعة بقطع من الغيوم واذا نظر الى أشكالها قيل انها أهلة غير أنها تهتدى فى مسيرها بالنجوم ومثل هذه الخيل ينبغى أن يغالى فى جيادها ويستكثر من قيادها وليؤمر عليها

امير

عدوا وهى تسكن القفاف وصلابة الارض (ونعاج) الرمل هى البقر واحدتها نعجة ولا يقال لغير البقر من الوحش نعاج (والشاة) الثور من الوحش قال الاعشى وكان انطلاق الشاة من حيث خيما لخيم أقام

﴿حجرة السباع ومواضع الطير﴾

يقال بحر الضبع (وجار) وجحر الثعلب والارنب (مكا) مقصور ومكو (والنافقاء) والراهطاء والداماء (والقاصعاء) جحرة اليربوع اذا أخذ عليه منها واحد خرج من آخر (وعرين) الاسد (وعريسته) واحد وأفحوص القطاة مجثمها لانها تفحصه (وأدحى) النعامة كذلك لانها تدحوه وتقديره أفعول (وعش) الطائر وقرموصه ووكره واحد (والوكنة) موقعه

﴿فرق فى أسماء الجماعات﴾

يقال لجماعة الظباء والبقر (أجل) وجمعه آجال وربرب (والصوار) جماعة البقر خاصة (والجماعة) الحمير عانة (والجماعة) النعام خيط (والجماعة) القطا والظباء والنساء سرب (والجماعة) الجراد رجل يقال مر بنا رجل من جراد (والجماعة) النحل دبر وثول وخشرم ولا واحد لشىء من هذا (والذود) من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة (وفوق) ذلك الصرمة الى الاربعين (وفوق) ذلك الهجمة الى ما زادت وقال أبو عبيدة (والعكرة) ما بين الخمسين الى المائة وقال الاصمعى ما بين الخمسين الى السبعين (وهنيدة)

أمير رانى البحر بثلة من سعة صدره وسالك طرقه سلوك من لم تقتله بجهلها ولكن قتلها بخبره وكذلك فليكن من أفنت الايام تجاربه وزحمتها مناكبه ومن يذل الصعب اذا هو ساسه وان لان جانبه وهذا هو الرجل يرأس على القوم ولا يعد هزة بالرياسة وان كان فى الساقة فنى الساقة أو كان فى الحراسة ففى الحراسة ولقد أفلحت عصابة اعتصبت من ورائه وأيقنت بالنصر من رايته كما أيقنت بالنصر من رأيه واعلم أنه قد أخل من الجهاد بركن يقدح فى عمله وهو تمامه الذى يأتى فى آخره كما أن صدق النية يأتى فى أوله وذلك هو قسم الغنائم فان الايدى قد تداولته بالاجحاف وخلطت جهادها فيه بغلوها فلم ترجع بالكفاف والله قد جعل الظلم فى تعدى حدوده المحدودة وجعل الاستئثار بالمغنم من أشراط الساعة الموعودة ونحن نعوذ به أن يكون زماننا هذا زمانه وباسه شر باس ولم يستصفنا على حفظ أو كان دينه ثم نهمله همال مضيع ولا اهمال ناس والذى نأمرك به أن تجرى هذا الامر على المنصوص من حكمه وتبرئ ذمتك مما يكون غيرك الفائز بفوائده وأنت الطالب بمأثمه وفى أرزاق المجاهدين بالديار المصرية والشامية ما يغنيهم عن هذه الاكلة التى تكون غدا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما فتصفح ما سطرناه لك فى هذه الاساطير التى هى عزائم مبرمات بل آيات محكمات وتحبب الى الله والى أمير المؤمنين باقتفاء كلماتها وان لك منها مجدا يبقى فى عقبك اذا أصيبت البيوت فى أعقابها وهذا التقليد ينطق عليك بأنه لم يأل فى الوصايا التى أوصاها وأنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ثم انه قد ختم بدعوات دعا بها أمير المؤمنين عند ختامه وسأل فيها خيرة الله التى تتنزل من كل أمر بمنزلة نظامه ثم قال اللهم انى أشهدك على من قلدته شهادة تكون عليه رقيبة وله حسيبة فانى لم آمره الا بأوامر الحق التى فيها موعظة وذكرى وهى لمن تبعها هدى ورحمة وبشرى واذا أخذ بها بلغ بحجته يوم يسأل عن الحجج ولم يحتج دونه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحوض فى جملة من يحتج وقيل لا حرج عليك ولا اثم اذ نجوت من ورطات الاثم والحرج والسلام ﴿وهذا الذى ذكرته﴾ من كلامى وكلام الصابى فى هذه التقاليد الاربعة لم أقصد به الوضع من الرجل وانما ذكرته لبيان موضع السجع الذى يثبت على المحك ولا شك أن هذا الوصف المشار اليه فى فقر الاسجاع لم يكن مقصودا فى الزمن القديم اما لمكان عسره أو لانه لم يتنبه له وكيف أضع من الصابى وعلم الكتابة قد رفعه وهو امام هذا الفن والواحد فيه ولقد اعتبرت مكاتباته فوجدته قد أجاد فى السلطانيات كل الاجادة وأحسن كل الاحسان ولو لم يكن له سوى كتابه الذى كتبه عن عز الدولة بختيار بن بويه الى سبكتكين عند خروجه عليه ومجاهرته اياه بالعصيان لاستحق به فضيلة التقدم كيف وله من السلطانيات ما أتى فيه بكل عجيبة لكنه فى الاخوانيات مقصر وكذلك فى كتب التعازى (وعندى فيه رأى) لم يره أحد غيرى ولى فيه قول لم يقله أحد سواى وذلك أن عقل الرجل فى كتابته زائد على فصاحته وبلاغته وسأبين ذلك فأقول لينظر الناظر فى هذين التقليدين اللذين أوردتهما له فانه يرى وصايا وشروطا واستدراكات وأوامر ما بين أصل وفرع وكل وجزء وقليل وكثير ولا يرى ذلك فى كلام غيره من الكتاب الا أنه عبر عن تلك الوصايا والاوامر والشروط والاستدراكات بعبارة فى بعضها ما فيه من الضعف والركة وقد قيل ان زيادة العلم على المنطق هجنة وزيادة المنطق على العلم خدعة ومع هذا فانى أقر للرجل بالتقدم وأشهد له بالفضل (واذا فرغت) مما أردت تحقيقه فى هذا الموضع فانى أرجع الى ما كنت بصدد ذكره من الكلام على السجع وقد تقدم من ذلك ما تقدم

المائة لا تدخل فيها ألف ولام ولا تصرف قال جرير

اعطوا هنيدة يحدوها ثمانية
ما فى عطائهم من ولا سرف

والسرف الخطأ ههنا (ويقال) للضأن الكثيرة ثلة (وللمعزى) الكثيرة عيلة فاذا اجتمعت الضأن والمعزى فكثرتا قيل لهما ثلة (والثلة) الصوف يقال كساء جيد الثلة ولا يقال للشعر ولا للوبر ثلة فاذا اجتمع الصوف والوبر والشعر قيل عنده لان ثلة كثيرة قال أبو زيد الفزر من الضأن ما بين العشر الى الاربعين (والصبة) من المعز مثل ذلك (والثلة) بضم الثاء القطعة من الناس قال الله عز وجل ثلة من الاولين وقليل من الآخرين ويقال لجماعة الخيل رعيل (والقطعة) منها رعلة (وجماعة) الناس فئام (وقالوا) النفر والرهط ما دون العشرة (والعصبة) من العشرة الى الاربعين (والقبيل) الجماعة يكونون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى وجمعه قبل (والقبيلة) بنو أب واحد قال ابن الكلبى الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ وقال غيره الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة أسرة الرجل رهطه الادنون وفصيلته وعترته كذلك (والعشيرة) تكون للقبيلة ولمن دونهم ولمن قرب اليه من أهل بيته (والركب) أصحاب الابل وهم العشرة ونحو ذلك (والاركوب) أكثر منهم (والركاب) الابل

وبقي ما أنا ذاكره ههنا وهو أن السجع قد ينقسم الى ثلاثة أقسام (الاول) أن يكون الفصلان متساويين لا يزيد أحدهما على الآخر كقوله تعالى وأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وقوله تعالى والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الاجزاء حتى كأنها أفرغت في قالب واحد وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة وهو أشرف السجع منزلة للاعتدال الذي فيه (القسم الثاني) أن يكون الفصل الثاني أطول من الاول لا طولا يخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا فانه يقبح عند ذلك ويستكره ويعد عيبا فمما جاء من ذلك قوله تعالى بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ألا ترى أن الفصل الاول ثمان لفظات والفصل الثاني والثالث تسع تسع (ومن ذلك) قوله تعالى في سورة مريم وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وأمثال هذا في القرآن كثيرة ويستثنى من هذا القسم ما كان من السجع على ثلاث فقر فان الفقرتين الاوليين يحسبان في عدة واحدة ثم باقي الثلاثة فينبغي أن تكون طويلة طولا يزيد عليهما فاذا كانت الاولى والثانية أربع لفظات أربع لفظات تكون الثالثة عشر لفظات أو احدى عشر مثال ذلك ما ذكرته في وصف صديق فقلت الصديق من لم يعتض عنك بخالف ولم يعاملك معاملة حالف واذا بلغته أذنه وشاية أقام عليها حد سارق أو قاذف فالاولى والثانية ههنا أربع لفظات أربع لفظات لان الاولى لم يعتض عنك بخالف والثانية ولم يعاملك معاملة حالف وجاءت الثالثة عشر لفظات وهكذا ينبغي أن يستعمل ما كان من هذا القبيل وان الاولى والثانية عن هذه العدة فتزاد الثالثة بالحساب وكذلك اذا نقصت الاولى والثانية عن هذه العدة فافهم ذلك وقس عليه الا أنه لا ينبغي أن تجعله قياسا مطردا في السجعات الثلاث أين وقعت من الكلام بل تعلم أن الجواز يعم الجانبين من التساوي في السجعات الثلاث ومن زيادة السجعة الثالثة ألا ترى أنه قد وردت ثلاث سجعات متساويات في القرآن الكريم كقوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود فهذه السجعات كلها من لفظتين لفظتين ولو جاءت الثالثة منها خمس لفظات أو ستا لما كان ذلك معيبا (القسم الثالث) أن يكون الفصل الآخر أقصر من الاول وهو عندي عيب فاحش وسبب ذلك أن السجع يكون قد استوفى أمده من الفصل الاول بحكم طوله ثم يجيء الفصل الثاني قصيرا عن الاول فيكون كالشيء المبتور ويبقى الانسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها (واذ انتهينا الى ههنا) وبينا أقسام السجع وأبوابه وقشوره فسنقول فيه قولا كليا وهو أن السجع على اختلاف أقسامه ضربان (أحدهما) يسمى السجع القصير وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ قليلة وكلما قلت الالفاظ كان أحسن لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع وهذا الضرب أوعر السجع مذهبا وأبعده متناولا ولا يكاد استعماله يقع الا نادرا (والضرب الآخر) يسمى السجع الطويل وهو ضد الاول لانه أسهل متناولا وانما كان القصير من السجع أوعر مسلكا من الطويل لان المعنى اذا صيغ بألفاظ قصيرة عز مواتاة السجع فيه لقصر تلك الالفاظ وضيق المجال في استجلابه وأما الطويل فان الالفاظ تطول فيه ويستجلب له السجع من حيث وليس كذلك وكان ذلك سهلا وكل واحد من هذين الضربين تتفاوت درجاته في عدة ألفاظه (أما السجع القصير) فأحسنه ما كان

مؤلفا

﴿معرفة في الشاء﴾

(الجدود) من الضأن القليلة (الدر) وهي المصور من المعزى (شاة) لبون في غنم لبن ولبن اذا كان بها لبن غزيرة كانت أو بكيئة (وشاة) لبنة اذا كانت كثيرة اللبن (نعجة) رغوث (وعنز) ربى (وأعنز) رباب (وهي) التي وضعت حديثا (والجداء) من الشاء التي نجف ضرعها فان يبس أحد خلفيها فهي شطور فأما الشطور من الابل فالتي يبس خلفان من أخلافها لان لها أربعة أخلاف (فان) يبس منها ثلاثة فهي ثلوث (يقال) جززت النعجة والكبش وحلقت العنز والتيس ولا يقال جززتهما وهذه حلاقة المعزى (العقيقة) صوف الجذع (والجنيبة) صوف الثني قال أبو زيد في (شيات) الضأن (الرقطاء) التي فيها سواد وبياض (والنمراء) مثلها فان اسود رأسها فهي (رأساء) فان ابيض رأسها من بين جسدها فهي (رخماء) فان اسودت احدى العينين وابيضت الاخرى فهي (خوصاء) فان اسودت العنق فهي (درعاء) فان ابيضت خاصرتاها فهي (خصفاء) فان ابيضت شاكلتها فهي (شكلاء) فان ابيضت رجلاها مع الخاصرتين فهي خرجاء فان ابيضت احدى رجليها فهي (رجلاء) فان ابيضت أوظفتها فهي (عجلاء وحجلاء) فان ابيض وسطها فهي (جوزاء) فان اسود ظهرها فهي (رحلاء) فان اسود طرف ذنبها فهي (صبغاء) فان اسودت أطراف أذنيها فهي

مؤلفامن لفظتين لفظتين كقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا وقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ومنه ما يكون مؤلفا من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة وكذلك الى العشرة وما زاد على ذلك فهو من السجع الطويل فمما جاء منه قوله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى وقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر (وأما السجع الطويل) فان درجاته تتفاوت أيضا في الطول فمنه ما يقرب من السجع القصير وهو أن يكون تأليفه من احدى عشرة الى اثنتي عشرة لفظة وأكثره خمس عشرة لفظة كقوله تعالى ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور فالاولى احدى عشرة لفظة والثانية ثلاث عشرة لفظة وكذلك قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (ومن السجع الطويل) ما يكون تأليفه من العشرين لفظة فما حولها كقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور ومن السجع الطويل أيضا ما يزيد على هذه العدة المذكورة وهو غير مضبوط (واعلم) أن التصريع في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور وفائدته في الشعر أنه قبل كمال البيت الاول من القصيدة تعلم قافيتها وشبه البيت المصرع بباب له مصراعان متشاكلان وقد فعل ذلك القدماء والمحدثون وفيه دلالة على سعة القدرة في أفانين الكلام فأما اذا كثر التصريع في القصيدة فلست أراه مختارا الا أن هذه الاصناف من التصريع والترصيع والتجنيس وغيرها انما يحسن منها في الكلام ما قل وجرى مجرى الغرة من الوجه أو كان كالطراز من الثوب فأما اذا تواترت وكثرت فانها لا تكون مرضية لما فيها من أمارات الكلفة وهو عندي ينقسم الى سبع مراتب وذلك شيء لم يذكره على هذا الوجه أحد غيري (فالمرتبة الاولى) وهي أعلى التصريع درجة أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه غير محتاج الى صاحبه الذي يليه ويسمى التصريع الكامل وذلك كقول امرئ القيس

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وان كنت قد أزمعت هجرا فأجملي

فان كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه غير محتاج الى ما يليه وعليه ورد قول المتنبي

اذا كان مدح فالنسيب المقدم * أكل فصيح قال شعرا متيم

(المرتبة الثانية) أن يكون المصراع الاول مستقلا بنفسه غير محتاج الى الذي يليه فاذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به كقول امرئ القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالمصراع الاول غير محتاج الى الثاني في فهم معناه لكن لما جاء الثاني صار مرتبطا به وكذلك ورد قول أبي تمام

ألم يان أن تروى الظماء الحوائم * وأن ينظم الشمل المبدد ناظم

وعليه ورد قول المتنبي

الرأي قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهي المحل الثاني

(المرتبة الثالثة) أن يكون الشاعر مخيرا في وضع كل مصراع موضع صاحبه ويسمى التصريع الموجه وذلك كقول ابن الحجاج البغدادي

مطرفة وهذا اذا كانت هذه المواضع مخالفة لسائر الجسد من سواد أو بياض ومن المعزى (الذراء) وهي الرقشاء الاذنين وسائرها أسود (والنبطاء) البيضاء الجنب (والغشواء) التي غشي وجهها كله بياض (والوشحاء) المتوشحة ببياض (والعصماء) البيضاء اليدين ولذلك قيل للوعول عصم (والعقصاء) التي التوى قرناها على أذنيها من خلفها (والقبلاء) التي أقبل قرناها على وجهها (والنصباء) المنتصبة القرنين (والشرقاء) التي انشقت أذناها طولا (والخذماء) التي انشقت أذناها عرضا (والقصواء) المقطوعة طرف الاذن (قال) أبو زيد خصيت الفحل خصاء اذا نزعت أنثييه فاذا رضضتهما فقد وجأته وهو الوجاء ومنه قيل في الحديث الصوم وجاء فاذ شددتهما حتى تندرا فقد عصبته عصبا

﴿معرفة في الآلات﴾

المحلات القربة والفاس والقداحة والدلو والشفرة والقدر (وانما قيل) لها محلات لان الذي تكون معه يحل حيث شاء والا فلا بد له ان ينزل مع الناس (والفاس) هي التي لها رأس واحد (والحدأة) التي لها رأسان وجمعها حدأ (والمعاول) فاس عظيمة لها رأس تكسر بها الحجارة وهي المعول (والكرزين) فاس عظيمة يقطع بها الشجر (والعلاة) السندان ومنه الحديث ان آدم صلى الله عليه وسلم هبط معه بالعلاة (والمتلة) وهي الميرم (والحت)

من شروط الصبوح فى المهرجان * خفة الشرب مع خلو المكان

فان هذا البيت يجعل مصراعه الاول ثانيا ومصراعه الثانى أولا وهذه المرتبة كالثانية فى الجودة (المرتبة الرابعة) أن يكون المصراع الاول غير مستقل بنفسه ولا يفهم معناه الا بالثانى ويسمى التصريع الناقص وليس بمرضى ولا حسن فما ورد منه قول المتنبى

مغانى الشعب طيبا فى المغانى * بمنزلة الربيع من الزمان

فان المصراع الاول لا يستقل بنفسه فى فهم معناه دون أن يذكر المصراع الثانى (المرتبة الخامسة) أن يكون التصريع فى البيت بلفظة واحدة وسطا وقافية ويسمى التصريع المكرر وهو ينقسم قسمين أحدهما أقرب حالا من الآخر فالاول أن يكون بلفظة حقيقية لا مجاز فيها وهو أنزل الدرجتين كقول عبيد بن الابرص

فكل ذى غيبة يؤوب * وغائب الموت لا يؤوب

القسم الآخر أن يكون التصريع بلفظة مجازية يختلف المعنى فيهما كقول أبى تمام

فتى كان شربا للعفاة ومرتعا * فأصبح للهندية البيض مرتعا

(المرتبة السادسة) أن يذكر المصراع الاول ويكون معلقا على صفة يأتى ذكرها فى أول المصراع الثانى ويسمى التصريع المعلق فما ورد منه قول امرئ القيس

الا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

فان المصراع الاول معلق على قوله بصبح وهذا معيب جدا وعليه ورد قول المتنبى

قد علم البين منا البين أجفانا * تدمى وألف فى ذا القلب أحزانا

فان المصراع الاول معلق على قوله تدمى (المرتبة السابعة) أن يكون التصريع فى البيت مخالفا لقافيته ويسمى التصريع المشطور وهو أنزل درجات التصريع وأقبحها فمن ذلك قول أبى نواس

أقلنى قد ندمت على الذنوب * وبالاقرار عذت من الجحود

فصرع بحرف الباء فى وسط البيت ثم قفاه بحرف الدال وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا الا نادرا (النوع الثانى فى التجنيس) اعلم أن التجنيس غرة شادخة فى وجه الكلام وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا لاسيما المحدثين منهم وصنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوه أبوابا متعددة واختلفوا فى ذلك وأدخلوا بعض تلك الابواب فى بعض فمنهم عبد الله بن المعتز وأبو على الحاتمى والقاضى أبو الحسن الجرجانى وقدامة بن جعفر الكاتب وغيرهم وانما سمى هذا النوع من الكلام مجانسا لان حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد (وحقيقته) أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا وعلى هذا فانه هو اللفظ المشترك وما عداه فليس من التجنيس الحقيقى فى شئ الا أنه قد خرج من ذلك ما يسمى تجنيسا وتلك تسمية بالمشابهة لا لانها دالة على حقيقة المسمى بعينه وعلى هذا فانى نظرت فى التجنيس وما يشبه به فأجرى مجراه فوجدته ينقسم الى سبعة أقسام واحد منها يدل على حقيقة التجنيس لان لفظه واحد لا يختلف وستة أقسام مشبهة (فأما القسم الاول) فهو أن تتساوى حروف ألفاظه فى تركيبها ووزنها كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة وليس فى القرآن الكريم سوى هذه الآية فاعرفها ويروى فى الاخبار النبوية أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله البجلى زمامه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلوا بين جرير والجرير أى دعوا زمامه ومما جاء منه فى الشعر قول أبى تمام

فأصبحت غرر الايام مشرقة * بالنصر تضحك عن أيامك الغرر

فالغرر

زقاق السمن واحدها حميت وكذلك الانحاء واحدها نحى (والوطاب) زقاق اللبن واحدها وطب (والدوارع) زقاق الخمر ولم أسمع لها بواحد (والاسقية) للماء واسم الزق يجمع ذلك كله والحمت أيضا تكون للعسل (قال) أبو زيد يقال لمسك السخلة ما دامت ترضع (الشكوة) فاذا فطم فمسكه (البدرة) فاذا أجذع فمسكه (السقاء) وهو نصاب السكين والمدية (وجزأة) الاشفى والمخصف (الكر) الحبل يصعد به على النخل ولا يكون كرا الا كذلك (والمسد) يكون من ليف وخوص وجلود وسمى مسدا بالمسد وهو الفتل والضفر (والمطمر) الخيط الذى يقدر به البناء وهو الامام أيضا (والقوس) الحبل الذى يمد بين يدى الخيل فى الحلبة وهو المقبض أيضا ومنه قيل أخذت فلانا على المقبض (والخيط) الذى يرفع به الميزان هو العذبة (والحديدة) المعترضة التى فيها اللسان هى المنجم (ويقال) لما يكتنف اللسان منها الفيلران (والسعدانات) العقد التى فى أسفل الميزان (والحلقة) التى يجمع فيها الخيوط فى طرف الحديدة هى الكظامة (والخشبتان) اللتان تعترضان على الدلو كالصليب هما العرقوتان (والسيور) التى بين آذان الدلو والعراقى هى الوذم (والعناج) فى الدلو الثقيلة حبل أو بطان يشد تحتها ثم يشد الى العراقى فيكون عونا للوذم (فان كانت) الدلو خفيفة شد خيط فى احدى آذانها الى العرقوة (والكرب) ان يشد

فالغر والاولى استعارة من غرر الوجه والغرر الثانية مأخوذة من غرة الشئ أكرمه فاللفظ اذا واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

من القوم جعد أبيض الوجه والندى * وليس بنان يجتدى منه بالجعد

فالجعد السيد والبنان الجعد ضد البسيط فأحدهما يوصف به السخى والآخر يوصف به البخيل وكذلك قوله

بكل فتى ضرب يعرض للقنا * محيا محلى حليه الطعن والضرب

فالضرب الرجل الخفيف والضرب بالسيف فى الحرب وكذلك قوله

عدا الدهر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب

فالثغور جمع ثغر وهو واحد الاسنان وهو أيضا البلد الذى على تخوم العدو ثم قال فى هذه القصيدة

كم أحرزت قضب الهندى مصلتة * تهتز من قضب تهتز فى كثب

بيض اذا انتضيت من حجبها رجعت * أحق بالبيض أبدانا من الحجب

فالقضب السيوف والقضب القدود على حكم الاستعارة وكذلك البيض السيوف والبيض النساء وهذا من النادر الذى لا يتعلق به أحد وكذلك قوله

اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا * صدور العوالى فى صدور الكتائب

فلفظ الصدور فى هذا البيت واحد والمعنى مختلف وكذلك قوله

عامى وعام العيس بين وديقة * مسجورة وتنوفة صيهود

حتى أغادر كل يوم بالفلا * للطير عيدا من بنات العيد

فالعيد فحل من فحول الابل والعيد اليوم المعروف من الايام وقد أكثر أبو تمام من التجنيس فى شعره فمنه ما أغرب فيه فأحسن كالذى ذكرته ومنه ما أتى به كريها مستثقلا كقوله

ويوم أرشق والهيجاء قد رشقت * من المنية رشقا وابلا قصفا

وكقوله يا مضغنا خالد الاشكل ان * خلد حقدا عليك فى خلده

وكقوله وأهل موقان اذ ماقوا فلا وزر * أنجاهم ومنك فى الهيجا ولا سند

وكقوله مهلا بنى مالك لا تعلقن الى * حق الاراقم دؤلول ابنة الرقم

ثم قال فيها ان الردينية اللاتى اذا عسلت * تشم بق الصغار الانف ذا الشمم

وكقوله قرت بقران عين الدين واشترت * بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

وله من هذا الغث البارد المتكلف شئ كثير لا حاجة الى استقصائه بل قد أوردنا منه قليلا يستدل به على أمثاله ومن الحسن فى هذا الباب قول أبى نواس

عباس عباس اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ربيع

وكذلك قوله قل لابى العباس ان كنت مذنبا * فأنت أحق الناس بالاخذ بالفضل

فلا تجحدونى ود عشرين حجة * ولا تفسدوا ما كان منكم من الفضل

وعلى هذا النهج ورد قول البحترى

اذا العين راحت وهى عين على الهوى * فليس بسر ما تسر الاضالع

فالعين الجاسوس والعين معروفة وكذلك ورد قول بعضهم

وترى سوابق دمعها فتوا كفت * ساق تجاوب فوق ساق ساقا

فالساق ساق الشجرة والساق القمرى من الطيور وعلى هذا الاسلوب جاء قول بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالمعرى فى قصيدة قصد بها التجنيس فى كثير من أبياتها فمن ذلك ما أورده

الحبل على العراق ثم يثنى ثم يثلث قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

(والدرك) حبل يوثق به طرف الحبل الكبير ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعفن الحبل (وفرغ) الدلو مخرج الماء من بين العرقوتين (وفى البكرة المحور) وهو العمود الذى فى وسط البكرة وربما كان من حديد (والخطاف) هو الذى تجرى فيه البكرة اذا كان من حديد فان كان من خشب فهو القعو (والقب) الذى فى وسط البكرة وله اسنان من خشب (والسنة) حديدة الفدان وهى السكة (والنير) هو الخشبة التى تكون على عنق الثور (والمقوم) الخشبة التى يمسكها الحراث (والمنسعة) الريش المجموع الذى ينسع به الخبز أى يقرز به (والمسياع) المالج (والسياع) الطين بالتبن (والمنقاف) المصقلة التى تخرج من البصر (وفى الحياض) العقر مؤخر الحوض (والازاء) مصب الماء فيه (والمنبور) مثقبه (وعضد) الحوض من ازائه الى مؤخره (والمدلج) ما بين الحوض الى البئر (والمصاة) ما بين البئر الى منتهى السانية (والزرنوقان) منارتان تبنيان على رأس البئر من حجارة وجص قرنان فان كانتا من خشب فهما دعامتان (والنعامة) الخشبة المعترضة على الزرنوقين (والقتب) بجميع اداة السانية

﴿معرفة فى الثياب واللباس﴾

في مطلعها لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا * ونحن في حفر الاجداث أحيانا

(ثم قال في أبياتها)

تقول أنت امرؤ جاف مغالطة * فقلت لاهومت أجفان أجفانا

(وكذا قال في آخرها)

لم يبق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

ورأيت الغانمي قد ذكر في كتابه بابا وسماه رد الاعجاز على الصدور خارجا عن باب التجنيس وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه كالذي نحن بصدد ذكره ههنا فأورده الغانمي من الامثلة في ذلك قول بعضهم

ونشري بجميل المنشر * ذكرا طيب النشر
وتفري بسيوف الهند * من أسرف في النفر
ونجري في شرى الحمد * على شاكلة البحر

(وكذلك قول بعضهم في الشيب)

يا بياضا أذرى دموعي حتى * عاد منها سواد عيني بياضا

(وكذلك قول البحتري)

وأغر في الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل
كالهيكل المبني الا أنه * في الحسن جاء كصورة في هيكل

وليس الاخذ على المعاني في ذلك مناقشة على الاسماء وانما المناقشة على أن ينصب نفسه لايراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحد الابواب الذي ذكرناها داخلا في الآخر فيذهب عليه ذلك ويخفى عنه وهو أشهر من فلق الصباح وربما جهل بعض الناس فأدخل في التجنيس ما ليس منه نظرا الى مساواة اللفظ دون اختلاف المعنى فمن ذلك قول أبي تمام

أظن الدمع في خدي سيبقى * رسوما من بكائي في الرسوم

وهذا ليس من التجنيس في شيء اذ حد التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وهذا البيت المشار اليه هو اتفاق اللفظ والمعنى معا وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه ليعرف ومن علماء البيان من جعل له اسما سماه به وهو الترديد أي أن اللفظة الواحدة رددت فيه وحيث نبهت عليه ههنا فلا احتاج أن أعقد له بابا أفرده بالذكر فيه (وأما الاقسام الستة) المشبهة بالتجنيس (فالقسم الاول) منها أن تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها فما جاء من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقي ألا ترى أن هاتين اللفظتين متساويتان في التركيب مختلفتان في الوزن لان تركيب الخلق والخلق من ثلاثة أحرف وهي الخاء واللام والقاف الا أنهما قد اختلفا في الوزن اذ وزن الخلق فعل بفتح الفاء ووزن الخلق فعل بضم الفاء ومن هذا القسم قول بعضهم لا تنال غرر المعالي الا بركوب الغرر واهتبال الغرر

﴿وقال البحتري﴾

وفر الخائن المغرور يرجو * أمانا أي ساعة ما أمان
يهاب الالتفات وقد تهيا * لمقلته طرفه طرف السنان

(وكذلك ورد قول الآخر)

فذبت بين حشاشة وذماء * ما بين حر هوى وحر هواء

(القسم الثاني) من المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الالفاظ متساوية في الوزن مختلفة في

التركيب

(الربطة) كل ملاءة لم تكن لفقين (والحلة) لا تكون الا ثوبين (والنقبة) قطعة من الثوب قدر السراويل تجعل لها حجزة مخيطة من غير نيفق ويشد كما يشد السراويل فان لم تكن لها حجزة ولا ساقان فهي النطاق فان كان لها حجزة وساقان ونيفق فهي السراويل (والقرقل) القميص لا كمي له (وطرة) الثوب وصنفته وكفته واحد وهو الجانب الذي ليس فيه هدب وحواشي الثوب جوانبه كلها (وزمام النعل) ما جرى فيه شسعها بين الابهام والسبابة (وقبالها) مثله بين الاصبع الوسطى والتي تليها (والوصوصة) تضييق النقاب فان أنزلته الى المحجر فهي النقاب وهو طرف الانف (اللفام) وهو على الفم اللثام ويقال حسر عن رأسه وسفر عن وجهه وكشف عن جلبه (والاضطباع) أن تجمع طرفي ازارك على منكبك الايسر وتخرج أحد الطرفين من تحت يدك اليمنى وتبرز منكبك الايمن (واشتمال) الصماء أن تجلل نفسك بثوبك ولا ترفع شيأ من جوانبه (والسدل) ان تسدل ثوبك ولا تجمعه تحت يدك (وبرد مفوف) أي فيه نقش وأصله من الفوف في الظفر وهو البياض في أظفار الاحداث

﴿معرفة في السلاح﴾

يقال رجل تراس اذا كان معه ترس فاذا لم يكن معه ترس فهو أكشف (ورجل) سائف وسياف اذا كان معه سيف فاذا لم يكن

التركيب بحرف واحد لاغير وان زاد على ذلك خرج من باب التجنيس فما جاء منه قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فان هاتين اللفظتين على وزن واحد الا أن تركيبهما مختلف فى حرف واحد وكذلك قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه وكذلك قوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون وعلى نحو من هذا ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير وقال بعضهم لا تنال المكارم الا بالمكاره وقال أبو تمام

يمدون من أيد عواص عواصم ✽ تصول بأسياف قواض قواضب

﴿ وقال البحترى ﴾

من كل ساجى الطرف أغيد أجيد ✽ ومهفهف الكشحين أحوى أحور

﴿ وكذلك قوله ﴾

شواجر أرماح تقطع بينهم ✽ شواجن أرحام ملوم قطوعها

(القسم الثالث) من المشبه بالتجنيس وهو أن تكون الالفاظ مختلفة فى الوزن والتركيب بحرف واحد كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق وقوله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه ويده (ودخل ثعلب) صاحب كتاب الفصيح على أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ومجلسه غاص فجلس الى جانبه ثم أقبل عليه وقال أخاف أن أكون ضيقت عليك على أنه لا يضيق مجلس بمتحابين ولا تسع الدنيا بأسرها متباغضين فقال له أحمد الصديق لا يحاسب والعدو لا يحتسب له وهذا كلام حسن من كلا الرجلين والتجنيس فى كلام أحمد رحمه الله فى قوله يحاسب ويحتسب له (وقد جاء فى شئ من ذلك) عليه خفة الطبع لا ثقل التطبع (فمنه ما ذكرته) فى فصل من كتاب الى ديوان الخلافة يتضمن ذكر الجهاد فقلت وخيل الله قد اشتاقت أن يقال لها اركبى وسيوفه قد تطلعت أن يقال لها اضربى ومواطن الجهاد قد بعد عهدها باستسقاء شآبيب النصور وانبات ربيع الذباب والنسور وما ذاك الا لان العدو اذا طاب تقمص ثوب اذلاله وتنصل من صحة نصاله واعتصم بمعاقله التى لا فرق بينها وبين عقاله (ومن ذلك) ما ذكرته فى وصف كريم فقلت وقد جعل الله سومه ملق الجفان وملتقى الاجفان فهو حمى ان جنى عليه زمانه وجار لمن بعد عنه جيرانه (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب الى ديوان الخلافة وهو ولقد استبان الخادم من بركة طاعته ما عمى عنه غيره فما رآه ووجد من أثره فى صلاح دنياه ما استدل به على صلاح أخراه فهو المركب المنجى والعمل المرجو لا المرجى والمعنى المراد بهداية الصراط المستقيم وتأويل قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (ومن ذلك) ما ذكرته فى أثناء كتاب الى بعض الاخوان وذلك وصف بعض المنعمين فقلت نحن من حسن شيمه وفواضل احسانه بين هند وهنيدة ومن عين نقيبته وأمانة غيبه بين أم معبد وأبى عبيدة (ومن ذلك) ما ذكرته فى مطلع كتاب الى بعض الاخوان فقلت الكتب وان عدها قوم عرضا من الاعراض وتقالوها حتى قالوا هى سواد فى بياض فان لها عند الاخوان وجها وسيما ومحلا كريما وهى خاتم القلوب اذا فارق حميم حميما ومن أحسنها كتاب سيدنا ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن هذا القسم) قول أبى تمام

أيام تدمى عينه تلك الدما ✽ فيها وتقمر ألبه الاقمار

وكذلك قوله

بيض فهن اذا رمقن سوافر ✽ صور وهن اذا رمقن صوار

معه سيف فهو أميل (وقيل) الميل الذى عليه السيف فاذا ضرب به فهو سائف (وعصوت) بالعصا فانا أعصو بها اذا ضربت بها والاصل فى السيف مأخوذ من العصا فرق بينهما (ورجل) رامح اذا كان معه رمح فان لم يكن معه رمح فهو أجم (ورجل) دارع اذا كان عليه درع فان لم تكن عليه درع فهو حاسر (ورجل) نابل ونادل اذا كان معه نبل فان كان يعملها فهو نابل وتقول استنبلنى فانبلته أى أعطيته نبلا فان كان مع الرجل سيف ونبل فهو قارن (ورجل سالح) أى معه سلاح فان كان كامل الاداة فهو مؤد ومدجج وشاك فى السلاح واذا لم يكن معه سلاح فهو أعزل فاذا كان عليه مغفر فهو مقنع فاذا لبس فوق درعه ثوبا فهو كافر وقد كفر فوق درعه وتقول هذا رجل متقوس قوسه ومتنبل نبله اذا كان معه قوس ونبل (السيف) ذباب السيف حد طرفه (وحداه) من جانبيه ظبتاه (والعير) هو الناشز فى وسطه (وغراره) ما بين ظبته وبين العير من وجهى السيف جميعا (والسيلان) من السيف (والسكين) الحديدة التى تدخل فى النصاب ويقال للذى لا سيف معه أميل والذى لا رمح معه أجم والذى لا ترس معه أكشف (الرمح) الجبة ما دخل فيه الزج من السنان (والثعلب) ما دخل من الزج فى السنان وما تحت الثعلب الى مقدار ذراعين يدعى عامل الرمح وما تحت ذلك الى النصف عالية الرمح وما تحت

وكذلك قوله بدرأطالت غيك بادرة النوى * وامـاوشمس أولعت بشماس
وكذلك قوله كادوا النبوّة والهدى فتقطعت * أعناقهـم فى ذلك المضمار
جهلوا فلم يستكثروا من طاعة * معـروفة بعـمارة الاعمـار
وكذلك قوله ان الرماح اذا غرسن بمشهد * فجنى العـوالى فى ذراه معـالى
وكذلك قوله اذا أحسن الاقوام أن يتطاولوا * بلا نعمة أحسنت أن تتطوّلا
وكذلك قوله أى ربع يكذب الدهر عنه * وهو ملق على طريق الليالى
بـين حال جنت عليـه وحـول * فهو نضو الاحوال والاحوال
شدّ ما استزالتك عن دمعك الأطـ * ـعان حتى استهل صوب العزالى
أى حسـن فى الذاهبـين تولى * وجمال على ظهـور الجمال
ودلال مخـيـم فى ذرى الخـ * ـيم وحجل معصم فى الحجال

فالبيت الثانى والخامس هما المقصودان بالتمثيل ههنا والابيات الباقية جاءت تبعا ومما جاء من ذلك قول على بن جبلة

وكم لك من يوم رفعت بناءه * بذات جفون أو بذات جفان

(وكذلك قول محمد بن وهيب الحميرى)

قسمت صروف الدهر بأسا ونائلا * فمالك موتور وسيفك واتر

وهذا من المليح النادر ومن هذا القسم قول البحترى

جدير بأن تنشق عن ضوء وجهه * ضبابة نقع تحتها الموت ناقع
وكذلك قوله نسيم الروض فى ريح شمال * وصوب المزن فى راح شمول

(وذم أعرابى رجلا) فقال كان اذا سأل ألحف واذا سئل سوف يحسد على الفضل و يزهد فى الافضال (القسم الرابع) من المشبه بالتجنيس ويسمى المعكوس وذلك ضربان أحدهما عكس الالفاظ والآخر عكس الحروف (فالاوّل) كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات وكقول الآخر شيم الاحرار أحرار الشيم ومن هـذا النوع ما ورد شعرا قول الاضبط ابن قريع من شعراء الجاهلية

قد يجمع المال غيرآ كله * ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه

وكذلك ورد قول أبى الطيب المتنبى

فلا مجد فى الدنيا لمن قلّ ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قلّ مجده

وكذلك قول الشريف الرضى من أبيات يذم فيها الزمان

اسف بمن يطير الى المعالى * وطار بمن يسف الى الدنايا

(وكذلك قول الآخر)

ان الليالى للانام مناهـل * تطوى وتنشر بينها الاعمار
فقصارهنّ من الهموم طويلة * وطوالهنّ من السرور قصار

وأحسن من هذا كله وألطفه قول ابن الزقاق الاندلسى

غيرتنا يد الزمان * فقد شبت والتحى فاستحال الضحى دجا * واستحال الدجا ضحى

وهـذا الضرب من التجنيس له حلاوة وعليه رونق وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب التبديل وذلك اسم مناسب لمسماه لان مؤلف الكلام يأتى بما كان مقدما فى جزء كلامه

الاول

ذلك الى الزج يدعى سافلة الرمح (القوس) سية القوس ما عطف من طرفيها (والعجس والمعجس) مقبض الرامى والكظر الفرض الذى فيه الوتر (والنعل) العقبة التى يلبسها ظهر السية (والظلال) السيور التى تلبس ظهور السيتين (والغفارة) الرقعة التى تكون على الحز الذى يجرى عليه الوتر (والعتل) القسى الفارسية (والاطنابة) السير الذى على رأس الوتر (السهم) الفوق من السهم موضع الوتر (وحرفا) الفوق الشرخان (والعقبة) التى تجمع الفوق هى الاطرة (والرعظ) مدخل النصل فى السهم (والرصاف) العقب الذى فوق الرعظ (وريش) السهم يقال له القذذ واحدته قذة (والافذ) القدح الذى لا ريش عليه (والمريش) ذو الريش (والمكس) من السهام الذى انكسر فجعل أسفله أعلاه

﴿ النصال ﴾

فى النصل قرنته وهى طرفه وهى ظبته (والعير) هو الناشز فى وسطه (والغراران) الشفرتان منه (والكلبتان) ما عن يمين النصل وشماله

﴿ أسماء الصناع ﴾

كل صانع عند العرب فهو اسكاف قال الشاعر * وشعبتا ميس براها اسكاف * أى نجار (والناصح) الخياط (النصاح) الخيط (والماجرى) البناء (والمالكى) الحداد (المبرق) الصائغ (والجنفى) الزراد (والسفسير) السمسار

الاول مؤخرا فى الثانى وبما كان مؤخرا فى الاول مقدما فى الثانى ومثله قدامة بقول بعضهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك (ومن هذا القسم) قوله تعالى يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى وكذلك ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار (وكتب على بن أبى طالب) رضى الله عنه الى عبد الله بن عباس رضى الله عنه كتابا فقال اما بعد فان الانسان يسره درك مالم يكن ليفوته ويسوءه فوت مالم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا ولا بما فاتك منها ترحا ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة بطول أمل وكان قد والسلام (وروى عن أبى تمام) أنه لما قصد عبد الله بن طاهر ابن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدته المشهورة التى مطلعها ٭ أهن عوادى يوسف وصواحبه ٭ انكر عليه أبو سعيد الضرير وأبو العميثل هذا الابتداء وقالا لم لا يقول ما يفهم فقال لم لا يفهمان ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور وهو من التجنيس المشار اليه (وقد جاءنى شئ منه) كقولى فى فصل من كتاب يتضمن قصاوهو فكم كان فى افتراع عذرة الحصن من افتراع عذرة حصان وكم حيز به من سنان لطنا استرقه لحظ سنان (وكذلك) قولى فى صدر كتاب الى ديوان الخلافة وهو الخادم يبلغ خدمته الى ذلك الجناب التى تمطره الشفاه قبلا وتوسعه العفاة املا وترى الطول به ملوكا والملوك خولا وطاعته هى محك الاعمال التى أشير اليها بقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا (وكذلك) ورد قولى أيضا وهو فصل من تقليد وزير قلت وقد صدق الله لهجة المثنى عليك أن يقول انك الرجل الذى تضرب به الامثال والمهذب الذى لا يقال معه أى الرجال واذا اوازرت مملكة فقد حظيت منك بشد أزرها وسد ثغرها وأصبحت وأنت صدر لقلبها وقلب لصدرها فهى مزدانة منك بالفضل المتين معانة بالقوى الامين (وأما الضرب الثانى) من هذا القسم وهو عكس الحروف فهو كقول بعضهم

أهديت شيأ يقل لولا ٭ أحدوثة الفال والتبرك
كرسى تفاءلت فيه لما ٭ رأيت مقلوبه يسرك

(وكذلك قول الآخر)

كيف السرور باقبال وآخره ٭ اذا تأملته مقلوب اقبال

وأجود من هذا كله قول الآخر

جاذبتها والريح تجذب عقربا ٭ من فوق خد مثل قلب العقرب
وطفقت ألثم ثغرها فتمنعت ٭ وتحجبت عنى بقلب العقرب

واذا قلب لفظ عقرب صار برقعا وهذا الضرب نادر الاستعمال لانه قل ما يقع كلمة تقلب حروفها فيجئ معناها صوابا (القسم الخامس) من المشبه بالتجنيس ويسمى المجنب وذلك أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين احداهما كالتبع للاخرى والجنيبة لها كقول بعضهم

أبا العباس لا تحسب بأنى ٭ لشئ من حلى الاشعار عارى
فلى طبع كسلسال معين ٭ زلال من ذرا الاحجار جارى

وهذا القسم عندى فيه نظر لانه بلزوم ما لا يلزم أولى منه بالتجنيس ألا ترى أن التجنيس هو اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وههنا لم يتفق الا جزء من اللفظ وهو أقله وأما اللزوم فى الكلام المنثور فهو تساوى الحروف التى قبل الفواصل المسجوعة وهذا هو كذلك لان العين والراء تساويا فى البيت الاول فى قوله الاشعار وعار والجيم والراء فى البيت الثانى فى قوله الاحجار وجار (القسم السادس) من المشبه بالتجنيس وهو ما يساوى وزنه تركيبه غير أن حروفه تتقدم

(والعصاب) الغزال قال رؤبة ٭ طى القسامى برود العصاب ٭ والقسامى الذى يطوى الثياب أول طيها حتى تنكسر على طيه (والماصح) القواس

﴿اختلاف الاسماء فى الشئ الواحد لاختلاف الجهات﴾

(الفتل) الشزر الى فوق (واليسر) الى أسفل (والطعن) الشزر عن يمينك وشمالك (واليسر) حذاء وجهك (والطعنة) السلكى المستوية (والمخلوجة) ذات اليمين وذات الشمال (طحنت) بالرحى شزرا اذا أدرت يدك من يمينك (وبتا) اذا ابتدأت الادارة من يسارك فادرت كذلك قال الشاعر

ونطحن بالرحى شزرا وبتا
ولو نعطى المغازل ما عيينا

(والثبان) الوعاء يحمل فيه الشئ بين يديك يقال قد تثبنت فان حملته على ظهرك فهو (الحال) يقال قد تحولت كذا فان جعلته فى حضنك فهو (خبنة) يقال منه خبنت أخبن خبنا (والسانح) ما جرى من ناحية اليمين (والبارح) ما جرى عن اليسار (والناطح) ما تلقاك (والقعيد) ما استدبرك

﴿معرفة فى الطير﴾

العرب تجعل الهديل مرة فرخا تزعم الاعراب انه كان على عهد نوح فصاده جارح من جوارح الطير قالوا فليس من حمامة الا وهى تبكى عليه قال الكميت فى هذا المعنى

وما من تهتفين به لنصر
بأقرب جابة لك من هديل

وتتأخر وذلك كقول أبي تمام

بيض الصفائح لاسود الصحائف في * متونهن جلاء الشك والريب

فالصفائح والصحائف مما تقدمت حروفه وتأخرت وقد ورد في الكلام المنثور كقوله صلى الله عليه وسلم في فضيلة تلاوة القرآن الكريم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأ فقوله صلى الله عليه وسلم اقرأ وارق من التجنيس المشار اليه في هذا القسم (النوع الثالث في الترصيع) وهو مأخوذ من ترصيع العقد وذلك أن يكون في أحد جانبي العقد من اللآلي مثل ما في الجانب الآخر وكذلك نجعل هذا في الالفاظ المنثورة من الاسجاع وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الاول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والقافية وهذا لا يوجد في كتاب الله تعالى لما هو عليه من زيادة التكلف فأما قول من ذهب الى أن في كتاب الله منه شيأ ومثله بقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فليس الامر كما وقع له فان لفظة لفي قد وردت في الفقرتين معا وهذا يخالف شرط الترصيع الذي شرطناه لكنه قريب منه وأما الشعر فاني كنت أقول انه لا يتزن على هذه الشريطة ولم أجده في أشعار العرب لما فيه من تعمق الصنعة وتعسف الكلفة واذا جيء به في الشعر لم يكن عليه محض الطلاوة التي تكون اذا جيء به في الكلام المنثور ثم اني عثرت عليه في شعر المحدثين ولكنه قليل جدا فن ذلك قول بعضهم

فمكارم أوليتها متبرعا * وجرائم ألغيتها متورعا

فمكارم بازاء جرائم وأوليتها بازاء ألغيتها ومتبرعا بازاء متورعا وقد أجاز بعضهم أن يكون أحد ألفاظ الفصل الاول مخالفا لما يقابله من الفصل الثاني وهذا ليس شيء لمخالفته حقيقة الترصيع (فما جاء من هذا النوع) منثورا قول الحريري في مقاماته فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه فانه جعل ألفاظ الفصل الاول مساوية لالفاظ الفصل الثاني وزنا وقافية فجعل يطبع بازاء يقرع والاسجاع بازاء الاسماع وجواهر بازاء زواجر ولفظه بازاء وعظه (ومما جاء لي في هذا النوع) ما ذكرته في جواب كتاب الى بعض الاخوان وهو قد أعدت الجواب ولم أستعره لطما ملفقا ولا جلبت اليه حسنا منمقا بل أخرجته على رسله وغنيت بصقال حسنه عن صقله فجاء كما تراه غير مشوط ولا مخطوط فهو يرفل في أثواب بذلته وقد حوى الجمال بجملته والحسن ما وشته فطرة التصوير لا ما حشته فكرة التزوير والترصيع في قولي وشته فطرة التصوير وحشته فكرة التزوير وكذلك ورد قولي في فصل من الكلام يتضمن تثقيف الاولاد فقال من قوم أود أولاده ضرتم كمد حساده فهذه الالفاظ متكافئة في ترصيعها فقوم بازاء ضرم وأود بازاء كمد وأولاده بازاء حساده وكذلك قول بعضهم في الامثال المولدة التي لم ترد عن العرب وهو من أطاع غضبه أضاع أدبه فأطاع بازاء أضاع وغضبه بازاء أدبه * وقد ورد هذا الضرب كثيرا في الخطب التي أنشأها الشيخ الخطيب عبد الرحيم بن نباتة رحمه الله (فن ذلك) قوله في أول خطبة الحمد لله عاقد أزمة الامور بعزائم أمره وحاصد أئمة الغرور بقواصم مكره وموفق عبيده لغنائم ذكره ومحقق مواعيده بلوازم شكره فالالفاظ التي جاءت في الفصلين الاولين متساوية وزنا وقافية والتي جاءت في الفصلين الآخرين فيها تخالف في الوزن فان مواعيد تخالف وزن عبيد ولا تخالف قافيتها التي هي الدال (ومن ذلك) قوله أيضا في جملة خطبة أولئك الذين أملوا فخبتم ورحلوا فأقمتم وأبادهم الموت كما علمتم وأنتم الطامعون في البقاء

بعدهم

ومرة يجعلونه الطائر نفسه قال جران العود

كأن الهديل الظالع الرجل وسطها

من البغي شريب بغزة مترف

ويروى بغرد مترف ومرة يجعلونه الصوت قال ذو الرمة

أرى ناقتي عند المحصب شاقها

رواح اليماني والهديل المرجع

(والقارية) والقواري جمعها وهي طير خضر تتيمن بها الاعراب وسمعت العامة تقول القوارير ولا أدري أتريد هذا الطائر أم لا (السبد) طائر لين الريش لا يثبت عليه الماء تشبه الشعراء الخيل به اذا عرقت (والتنوط) طائر يدلي خيوطا من شجرة ويفرخ فيها (والتبشر) قالوا هي الصفارية (والشرشور) هو البرقش وأبو براقش طائر يتلون ألوانا قال الشاعر

كأبي براقش كل لون لونه يتخيل *

(والاخيل) هو الشقرق والعرب تتشاءم به (والوطواط) الخطاف وجمعه وطاوط (والحاتم) الغراب سمي بذلك لانه عندهم يحتم بالفراق (والواق) بكسر القاف الصرد سمي بحكاية صوته قال الشاعر

ولست بهياب اذا شد رحله

يقول عداني اليوم واق وحاتم

(والغرانيق) طير الماء واحدها غرنيق ويقال له أيضا ابن ماء قال ذو الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها

على قمة الرأس ابن ماء محلق

ويروى قطعت (والبوه) طائر مثل البومة يشبه به الرجل الاحمق وهو البوهة أيضا

بعدهم كازعمتم كلا والله ما أنصفوا التقرّوا ولا تنقصوا التمرّوا ولابد أن تمروا حيث مروا فلا تنقروا بخدع الدنيا ولا تغتروا وهذا الكلام فيه أيضا ما في الذى قبله من صحة الوزن والقافية وصحة القافية دون الوزن (وكذلك) قوله أيضا في خطبة أخرى أيها الناس أسيموا القلوب في رياض الحكم وأديموا النحيب على ابيضاض الأمم وأطيلوا الاعتبار بانتقاص النعم وأجيلوا الافكار في انقراض الامم ﴿وأما ما ورد في الشعر﴾ على مخالفة بعض الالفاظ بعضا فكقول ذى الرمة

كحلاء في برج صفراء في نعج * كأنها فضة قد مسها ذهب

وصدر هذا البيت مرصع وعجزه خال من الترصيع وعذر الشاعر في ذلك واضح لانه مقيد بالوقوف مع الوزن والقافية ألا ترى أن ذا الرمة بنى قصيدته على حرف الباء ولو رصع هذا البيت الترصيع الحقيقى لكان يلزمه أن يأتى بألفاظه على حرفين حرفين أحدهما الباء أو كان يقسم البيت نصفين ويماثل بين ألفاظ هذا النصف وهذا النصف وذلك مما يعسر وقوعه في الشعر وأرباب هذه الصناعة قد قسموا الترصيع الى هذين القسمين المذكورين وهذه القسمة لا أراها صوابا لان حقيقة الترصيع موجودة في القسم الاول دون الثانى ومما جاء من هذا القسم الثانى قول الخنساء

حامى الحقيقة محمود الخليقة * مهدى الطريقة نفاع وضرار

(وكذلك قول الآخر)

سود ذوائبها بيض ترائبها * محض ضرائبها صيغت من الكرم

(النوع الرابع في لزوم ما لا يلزم) وهو من أشق هذه الصناعة مذهبا وأبعدها مسلكا وذلك لان مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه فان اللازم في هذا الموضع وما جرى مجراه انما هو السجع الذى هو تساوى أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التى قبل الفاصلة حرفا واحدا وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التى قبل روى الابيات الشعرية وقد جمع أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان في ذلك كتابا وسماه كتاب اللزوم فأتى فيه بالجيد الذى يحمد والردىء الذى يذم وسأذكر في كتابى هذا في هذا الموضع أمثلة من المنثور والمنظوم يهتدى بها (فن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب في فصل يتضمن ذم جبان فقلت اذا نزل به خطب ملكه الفرق واذا ضل في أمر لم يؤمن الا اذا أدركه الغرق (ومن ذلك) ما ذكرته في مبدا كتاب الى بعض الاخوان فقلت الخادم يهدى من دعائه وثنائه ما يسلك أحدهما سماء والآخر أرضا ويصون أحدهما نفسا والآخر عرضا وأعجب ما فيهما أنهما توأمان غير أن هذا مستنتج من ضمير القلب وهذا من نطق اللسان فاللزوم ههنا في الراء والضاد (وكذلك) ورد قولى في جملة كتاب الى ديوان الخلافة فقلت وقد علم من شيم الديوان العزيز أنه يعمر بامتداد الايدى الى بابه واذا أغب أحدها في المسئلة نهاه عن اغبابه حتى لا يخلو حرمه الكريم من المطاف ولا يده الكريمة من الاسعاف فاللزوم ههنا في لفظتى بابه واغبابه (ومن ذلك) ما كتبته في جملة كتاب الى ديوان الخلافة أيضا وهو ومهما شدته عضد الخادم من الانعام فانه قوة لليد التى خولته ولا يقوى تصعد السحب الا بكثرة غيثها الذى أنزلته وغير خاف أن عبيد الدولة لها كالعمد من طرافها ومركز الدائرة من أطرافها ولا يؤيد السيف الا بقائمه ولا ينهض الجناح الا بقوادمه فاللزوم في هذا الموضع في الراء والفاء في قولى طراف وأطراف (ومن ذلك) ما كتبته في صدر كتاب الى الملك الافضل على بن يوسف أخيه عند ملك مصر في سنة خمس وتسعين وخمسمائة فقلت المملوك يهنى مولانا بنعمة الله

(والدخل) ابن تمرة (والقياد) هو ذكر البوم (والسقطان) من الطائر جناحاه (والعفرية) عرف الديك وعرف الحرب وهو ذكر الحبارى (والبرايل) ما ارتفع من ريش الطائر واستدار في عنقه (والقيض) قشر البيضة الاعلى وهو الخرساء (والغرقىء) القشرة الرقيقة التى تحت القيض (والمح) صفرة البيض ويقال ان الفرخ يخلق من البياض ويغتذى المح (والمكاء) طائر يسقط في الرياض ويمكو أى يصفر قال الشاعر

اذا غرد المكاء في غير روضة
فويل لاهل الشاء والحمرات

وقطن الطائر زمكاه ويقال أصفت الدجاجة والحمامة اذا انقطع بيضهما ويقال قطعت الطير اذا انحدرت من بلاد البرد الى بلاد الحر

﴿معرفة في الهوام والذباب وصغار الطير﴾

(الغوغا) صغار الجراد ومنه قيل لعامة الناس غوغا (والهمج) البعوض ولذلك قيل للجهلة والصغار همج (والقمعة) ذباب أزرق عظيم (والنعرة) ذباب يدخل في أنف الحمار فيركب رأسه ويمضى فيقال عند ذلك حمار نعر (واليراع) ذباب يطير بالليل كأنه نار واحدته يراعة (واليعسوب) فحل النحل (والجدجد) صرار الليل وهو قفاز وفيه شبه من الجرادة (والسرفة) دابة تبنى لنفسها بيتا حسنا والمثل يضرب بها فيقال أصنع من سرفة (والعث) دويبة

الموفقة باستخلاصه واحتيابه وتمكينه حتى بلغ أشده واستخرج كنز آبائه ولو أنصف لهنى الارض منه بوابلها والامة بمكابلها وخصوصا أرض مصر التى خصت بشرف سكناه وغدت بين بحرين من فيض البحر وفيض يمناه وكل هذه الفصول المذكورة من هذه المكتوبات التى أنشأتها الا كلفة على كلمات اللزوم فيها (وقرأت فى كتاب الاغانى لابى الفرج) أن لقيط بن زرارة تزوج بنت قيس بن خالد بن ذى الجدين فحظيت عنده وحظى عندها ثم قتل فأمت بعده وتزوجت زوجا غيره فكانت كثيرا ماتذكر لقيطا فلامها على ذلك فقالت انه خرج فى يوم دجن وقد تطيب وشرب فطرد البقر فصرع منها ثم أتانى وبه نضح دم فضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى مت ثمة فلم أر منظرا كان أحسن من لقيط فقولها ضمنى ضمة وشمنى شمة فليتنى مت ثمة من الكلام الحلو فى باب اللزوم ولا كلفة عليه وهكذا فليكن فان الكلفة وحشة تذهب برونق الصنعة وماينبغى لمؤلف الكلام أن يستعمل هذا النوع حتى يجيء به متكلفا ومثاله فى هذا المقام كمن أخذ موضوعا رديئا فأجاد فيه صنعته فانه يكون عند ذلك قد راعى الفرع وأهمل الاصل فأضاع جودة الصنعة فى رداءة الموضوع وقد سلك ذلك أبو العلاء المعرى أحمد بن عبد الله بن سليمان فمما جاء من ذلك قوله فى حرف التاء مع الخاء

بنت عن الدنيا ولا بنت لى * فيها ولا عرس ولا أخت
وقد تحملت من الوزر ما * تعجز أن تحمله البخت
ان مدحونى ساءنى مدحهم * وخلت أنى فى الثرى سخت

(وله من ذلك الجيد كقوله)

لاتطلبن بآلة لك حاجة * قلم البليغ بغير جد مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وهذا بين الاسترسال وبين الكلفة وأما ماتكلف له تكلفا ظاهرا وان أجاد فقوله

تنازع فى الدنيا سواك وماله * ولا لك شئ فى الحقيقة فيها
ولكنها ملك لرب مقتدر * يصير جنوب الارض مستدفيها
ولم تحظ من ذاك النزاع بطائل * من الامر الا أن تعد سفيها
فيانفس لاتعظم عليك خطوبها * فتعظم مثل مختلفيها
تداعوا الى النزر القليل فجالدوا * عليه وخلوها لمقترفيها
وما أم صل أو حليلة ضيغم * بأظلم من دنياك فاعترفيها
تلاقى لوفود القادميها بفرحة * وتبكى على آثار منصرفيها
وماهى الاشوكة ليس عندها * وجدك ارطاب لمخترفيها
كاسبغت للطير والوحش رازم * فأبقت سرورا بين مختطفيها
بيات عن الانصاف من ضيم لم يجد * سبيلا الى غايات منتصفيها
فأطبق فاعنها وكماومقلة * وقل لغوى الناس فاك لفيها

ومن ذلك

أرى الدنيا وماوصفت ببر * اذا أغنت فقيرا أرهقته
اذا خشيت لشر عجلته * وان رجيت لخير عوقته
حبات كالحبالة ذات مكر * ونفس المرء صيد أعلقته
فلا يخدع بحيلتها أريب * وان هى سورته ونطقته
أذاقته شهيا من جناها * وصدت فاه عما ذوقته

تأكل الاديم (والليث) ضرب من العناكب قصير الارجل كثير العيون يصيد الذباب وثبا (وأم حبين) ضرب من العظاء منتنة الريح وقد يقال لها حبينة قال مدينى لاعرابى ماتأكلون وماتدعون فقال نأكل كل مادب ودرج الا أم حبين قال المدينى لتهن أم حبين العافية (والحرباء) أكبر من العظاءة شئ يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون ألوانا بحر الشمس (والوحرة) دويبة حمراء تلصق بالارض ومنه قيل وحر صدر فلان على شبهوا لزوق الحقد بالصدر بلزوقها بالارض (والوزغ) سام ابرص ولا يثنى ولا يجمع وأنشد أبو زيد

والله لو كنت لهذا خالصا
لكنت عبدا آكل الابارصا

بجمعه على لفظ الثانى (والقرنبى) دويبة مثل الخنفساء أعظم منها شيأ تقول العرب القرنبى فى عين أمها حسنة والعامة تقول الخنفساء (والنبر) دويبة تدب على البعير فيتورم قال الشاعر يصف ابلا وارمات

كأنها من سمن واستيفار
دبت عليها ذربات الانبار

أراد جمع نبر (والحلكاء) دويبة تغوص فى الرمل كما يغوص طائر الماء فى الماء (والاساريع) دواب تكون فى الرمل يشبه بها أصابع النساء واحدها أسروع ويقال هى شحمة الارض أيضا (والخدرنق) العنكبوت الناسجة (والدلدل) عظيم القنافذ وهو الشيهم (والزبابة) فأرة صماء تضرب بها العرب المثل يقولون

وقد

وقد ورد للعرب شيء من ذلك الا أنه قليل فما جاء منه قول بعضهم في أبيات الحماسة

ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقة فأدقها وأجلها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبي * ما كان أكثرها لنا وأقلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلها

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه (ومما يجرى هذا المجرى) قول جحر بن حية العبسي من شعراء الحماسة أيضا ولا أدوم قدرى بعدما انضجت * بخلا فتمنع ما فيها أثافيها

حتى تقسم شتى بين ما وسعت * ولا يؤنب تحت الليل عافيها

ومما ورد من ذلك أيضا قول طرفة بن العبد البكرى

ألم تر أن المال يكسب أهله * فضوحا اذا لم يعط منه نوائبه
أرى كل مال لا محالة ذاهبا * وأفضله ما ورّث الحمد كاسبه

(وكذلك قول الفرزدق)

وغير لون راحلتي ولوني * تردّي الهواجر واعتمامي
أقول لها اذا ضجرت وعضت * بموركة الوراك مع الزمام
علام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي

(وكذلك قوله أيضا)

منع الحياة من الرجال ونفعها * حدق تقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال اذا رأوا * حدق النساء لنبلها أغراض

واذا شئت أن تعلم مقادير الكلام وكان لك ذوق صحيح فانظر الى هذا العربي في كلامه السهل الذي كأنه ماء جار وانظر الى ما أوردته لابي العلاء المعرى فان أثر الكلفة عليه باد ظاهر (وممن) قصد من العرب قصيده كله على اللزوم كثير عزة وهي القصيدة التي أولها

خليليّ هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم احللا حيث حلت

وهذه القصيدة تزيد على عشرين بيتا وهي مع ذلك سهلة لينة تكاد تترقرق من لينها وسهولتها وليس عليها من أثر الكلفة شيء ولولا خوف الاطالة لاوردتها بجملتها وقد ذكر بعضهم من هذا النوع ما ورد في أبيات الحماسة وهو

وفتية لست كهذى الفيش * قد ملئت من نزق وطيش
اذا بعثت قلت أمير الجيش * من ذاقها يعرف طعم العيش

وهذا ليس من باب اللزوم لان اللزوم هو أن يلتزم الناظم والناثر ما لا يلزمه كقولنا شرف وفرق مثلا فانه لو قيل بدلا من ذلك شرف وحنق لجاز ذلك وفي هذه الابيات لا يقع الامر كذلك لانه لو قيل طيش وعرش لما جاز وهذا يقال له الردف في الشعر وهو الياء والواو قبل حرف الروى واذا جيء بذلك في الشعر وفي الكلام المنثور لا يقال انه التزام ما لا يلزم لان الملتزم ما لا يلزم له مندوحة في العدول الى غيره وههنا لا مندوحة (ومن لطيف ذلك) ما يروى لامرأة من البصرة مجنت بأبى نواس فقالت

ان سوى سرنبل حرابيه * اذا قعدت فوقه نبابيه * كالارنب الجاثم فوق الرابيه

(وكذلك ورد قول أبي تمام وهو)

خدم العلا فخدمنه وهي التى * لا تخدم الاقوام ما لم تخدم

أسرق من زبابة ويشبهون بها الجاهل قال ابن حلزة
وهم زباب حائر
لا تسمع الآذان رعدا

(والرق) عظيم السلاحف (والنمس) دابة تقتل الثعبان (ونزك الضب) ذكره وله نزكان وكذلك الحرذون وأنشد الاصمعى في وصف ضب

سبحل له نزكان كانا فضيلة
على كل حاف في البلاد وناعل

(والكشية) شحم بطنه بقول قائل العرب

وأنت لو ذقت الكشى بالاكباد
لما تركت الضب يعدو بالواد

(ومكنه) بيضه قال أبو الهند

ومكن الضباب طعام العريب
ولا تشتهيه نفوس العجم

(وحسوله) ولده ويقال انه يأكلها ولذلك يقال في المثل أعق من ضب (وحارشها) صائدها وأنشدنا

اذا ما كان حبك حب ضب
فارجو بعدك من عجب

(والظربان) دابة كالهرة منتنة الرائحة تزعم الاعراب أنه يفسو في ثوب أحدهم اذا صاده فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب ويقولون في القوم يتقاطعون فسا بينهم ظربان ويسمونه مفرق النعم لانه اذا فسا بينها وهي مجتمعة تفرقت (والخزز) ذكر اليرابيع وهو أيضا ذكر الارانب ويقال للبرغوث طامر بن طامر (والصؤابة) القملة وجمعها صؤاب (والخرقوص) كالبرغوث وعليه جناحان فطار وفي الحية والعقرب يقال نهشته الحية ونشطته ولبغته العقرب

فاذا ارتقى فى قلة من سودد * قالت له الاخرى بلغت تقدم

(وعلى هذا الاسلوب قوله أيضا)

ولو جربتنى لوجدت خرقا * يصافى الاكرمين ولا يصادى

جديرا أن يكر الطرف شزرا * الى بعض الموارد وهو صادى

(وله من أبيات تتضمن مرثية)

لقد نجمت عتابة وزهيرة * وثعلبة أخرى الليالى ووائله

ومبتدر المعروف تسرى هباته * اليهم ولا تسرى اليهم غوائله

طواه الردى طى الرداء وغيبت * فضائله عن قومه وفواضله

طوى شيما كانت تروح وتغتدى * وسائل من أعيت عليه وسائله

فيا عارضا للعرف أقلع مزنه * ويا واديا للجود جفت مسايله

ألم ترنى أزففت عينى على أبى * محمد النجم المشرق آفله

وأخلصتها فيه كما وأتيته * طريد الليالى أخلصتنى نوافله

وهذا من أحسن ما يجئ فى هذا الباب وليس بمتكلف كشعر أبى العلاء فان حسن هذا مطبوع وحسن ذاك مصنوع وكذلك أقول فى غير اللزوم من الانواع المذكورة أولا فان الالفاظ اذا صدرت فيها عن سهولة خاطر وسلاسة طبع وكانت غير مستجلبة ولا متكلفة جاءت غير محتاجة الى التأنق ولا شك أن صورة الحاقة غير صورة التخلق ﴿فان قيل﴾ ما الفرق بين المتكلف من هذه الانواع وغير المتكلف ﴿قلت فى الجواب﴾ أما المتكلف فهو الذى يأتى بالفكرة والروية وذلك أن ينضى الخاطر فى طلبه ويبعث على تتبعه واقتصاص أثره وغير المتكلف يأتى مستريحا من ذلك كله وهو أن يكون الشاعر فى نظم قصيدته أو الخطيب أو الكاتب فى انشاء خطبته أو كتابته فبيناهو كذلك اذ سنح له نوع من هذه الانواع بالاتفاق لا بالسعى والطلب ألا ترى الى قول أبى نواس فى مثل هذا الموضع

اترك الاطلال لا تعبأ بها * انها من كل بؤس دانيه

وانعت الراح على تحريمها * انما دنياك دار فانيه

من عقار من رآها قال لى * صيدت الشمس لنا فى آنيه

(وعلى هذه السهولة واللطافة ورد قوله أيضا)

كم من غلام ذى تحاسين * أفسده ناطف ياسين

وهذا ياسين كان يبيع الناطف ببغداد (وحكى ابراهيم البندنيجى) قال رأيت شيخا ضعيفا يبيع ناطفا فقلت له يا شيخ أما زلت فى هذه الصناعة قال مذ كنت ولكن الحال كانت واسعة والسلعة نافقة وكنت من يشار اليه حتى قال أبو نواس فى وأنشد هذا البيت فانظر أيها المتأمل ما أحلى لفظ أبى نواس فى لزومه وما أعراه عن الكلفة وكذلك فلتكن الالفاظ فى اللزوم وغيره (واعلم) أنه اذا صغرت الكلمة الاخيرة من الشعر أو من فواصل الكلام المنثور فان ذلك ملحق باللزوم ويكون التصغير عوضا عن تساوى الحروف التى قبل روى الابيات الشعرية والحروف التى قبل الفاصلة من النثر فمن ذلك قول بعضهم

عز على ليلى بذى سدير * سوء مبيتى ليلة الغميرى

مقبضا نفسى فى طميرى * تنتهز الرعدة فى ظهيرى

يهفو الى الزور من صديرى * ظمآن فى ريح وفى مطيرى

واسبته قال أبو زيد نكزته الحية والنكز بأنفها ونشطته والنشط بأنيابها (وزبانى العقرب) قرناها (وشولتها) ما تشول من ذنبها وبذلك سميت النجوم تشبيها بها (وحمة العقرب) بالتخفيف سمها والتى تلسع بها ابرتها (والحارية) الافعى اذا صغرت من الكبر (والصل) التى لا تنفع معها الرقية (والثعبان) أعظمها (والحفاث) حية تنفخ ولا تؤذى قال الشاعر

أيفايشون وقد رأوا حفاثهم

قد عضه فقضى عليه الأشجع

والعرب تسمى الحية الخفيف الجسم النضناض شيطانا وتسمى الحية شيطانا ويقال منه قول الله عز وجل طلعها كأنه رؤس الشياطين

﴿معرفة فى جواهر الارض﴾

(القطر) النحاس ومنه قول الله عز وجل وأسلنا له عين القطر (والآنك) الاسرب ومنه الحديث من استمع الى قينة صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة (والنضر) الذهب وهو العقيان أيضا (واللجين) الفضة (والصرفان) الرصاص ومنه قول الزبا

ما للجمال مشيها وئيدا

أجندلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا

﴿الاسماء المتقاربة فى اللفظ والمعنى﴾

(النضح) أكثر من النضح ولا يقال من النضح فعلت (والحزم) من الارض أرفع من الحزن (والقبض) بجميع الكف (والقبص) بأطراف الاصابع وقرأ الحسن فقبصت

وازورقد ليس بالغريرى * من لدماظهر الى صيرى
حتى بدت لى جبهة القمير * لأربع خلون من شهير

وهذا من محاسن الصنعة فى هذا الباب فاعرفه وأحسن منه ما ورد عن أبى نواس وعن عنان جارية النطاف وله معها حكايات كثيرة غير هذه فقال أبو نواس

أما ترى اصب" * يكفيه منك قطيره

فقالت عنان — اياى تعنى بهـذا * عليك فاجلد عميره

فقال أبو نواس — أخاف ان رمت هذا * على يدى منك غيره

فالبيتان الاول والثانى من هذا الباب والثالث جاء تبعا وقد ورد فى القرآن الكريم شئ من اللزوم الا أنه يسير جدا (فن ذلك) قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق وقوله تعالى والطور وكتاب مسطور وكذلك ورد قوله تعالى فى هذه السورة فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وربما وقع بعض الجهال فى هذا الموضع فأدخل فيه ما ليس منه كقوله تعالى ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم وهذا لا يدخل فى باب اللزوم لان الاصل فيه نعم وجحم والياء هى من حروف المد واللين فلا يعتد بها ههنا ﴿ومن هذا الباب﴾ قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وكذلك ورد قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما تعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير (وعلى هذا الاسلوب) جاء قوله تعالى فى قصة ابراهيم عليه السلام يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا وعلى نحو هذا جاء قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ولا تجد أمثال ذلك فى القرآن الا قليلا ﴿النوع الخامس فى الموازنة﴾ وهى أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية فى الوزن وأن يكون صدر البيت الشعرى وعجزه متساوى الالفاظ وزنا وللكلام بذلك طلاوة ورونق وسببه الاعتدال لانه مطلوب فى جميع الاشياء واذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لا مراء فيه لوضوحه وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع فى المعادلة دون المماثلة لان فى السجع اعتدالا وزيادة على الاعتدال وهى تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود فى السجع ولا تماثل فى فواصلها فيقال اذا كل سجع موازنة وليس كل موازنة سجعا وعلى هذا فالسجع أخص من الموازنة (فما جاء منها) قوله تعالى وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم فالمستبين والمستقيم على وزن واحد وكذلك قوله تعالى فى سورة مريم عليها السلام واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا وكذلك قوله تعالى فى سورة طه من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة حم عسق والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا

قبضة من أثر الرسول (والخضم) بالفم كله (والقضم) باطراف الاسنان قال أبو ذر رحمه الله يخضمون ونقضم والموعد الله (والخصر) الذى يجد البرد (والحرص) الذى يجد البرد والجوع (والرجز) العذاب (والرجس) النتن (والحفة) الخشبة التى يلف عليها الحائك الثوب (والحف) هو المنسج (والهلاس) فى البدن (والسلاس) فى العقل (والنار الخامدة) التى قد سكن لهبها ولم يطفأ جمرها (والهامدة) التى طفئت وذهبت البتة (والكابية) التى غطاها الرماد (والذفر) شدة ريح الشئ الطيب والشئ الخبيث (والدفر) النتن خاصة ومنه قيل للدنيا أم دفر وقيل للامة يا دفار (والماء) الشروب الملح الذى لا يشرب الا عند الضرورة (والشريب) الذى فيه شئ من عذوبة وهو يشرب على ما فيه (والربع) الدار بعينها حيث كانت (والمربع) المنزل فى الربيع خاصة (والنكد) العطاء ابتداء فان كان جزاء فهو شكم (والغلط) فى الكلام فان كان فى الحساب فهو غلت (المائح) الذى يدخل البئر فيملأ الدلو (والماتح) الذى ينزعها (رجل صنع) اذا كان به حاذقا (وامرأة صناع) ولا يقال للرجل صناع

﴿نوادر﴾

(التقريظ) مدح الرجل حيا (والتأبين) مدحه ميتا (غضبت) لفلان اذا كان حيا (وغضبت) به اذا كان ميتا (عقلت) المقتول أعطيت ديته (وعقلت) من

مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير وهذه الآيات جميعها على وزن واحد فان شديد وقريب وبعيد وعزيز ونصيب وأليم وكبير كل ذلك على وزن فعيل وان اختلف حروف المقاطع التى هى فواصلها وأمثال هذا فى القرآن كثير بل معظم آياته جارية على هذا النهج حتى انه لا تخلو منه سورة من السور ولقد تصفحته فوجدته لا يكاد يخرج منه شئ عن السجع والموازنة وأما ما جاء من هذا النوع شعرا فقول ربيعة بن ذؤابة

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم * بعتيبة بن الحرث بن شهاب
بأشدهم بأسا على أصحابه * وأعزهم فقدا على الاصحاب

فالبيت الثانى هو المختص بالموازنة فان بأسا وفقدا على وزن واحد ﴿النوع السادس فى اختلاف صيغ الالفاظ واتفاقها﴾ وهو من هذه الصناعة بمنزلة علية ومكانة شريفة وجل الالفاظ اللفظية منوطة به ولقد لقيت جماعة من مدعى فن الفصاحة وفاوضتهم وفاوضونى وسألتهم وسألونى فما وجدت أحدا منهم يتقن معرفة هذا الموضع كما ينبغى وقد استخرجت فيه أشياء لم أسبق اليها وسيأتى ذكرها ههنا (أما اختلاف صيغ الالفاظ) فانها اذا نقلت من هيئة الى هيئة كنقلها مثلا من وزن من الاوزان الى وزن آخر وان كانت اللفظة واحدة أو كنقلها من صيغة الاسم الى صيغة الفعل أو من صيغة الفعل الى صيغة الاسم أو كنقلها من الماضى الى المستقبل أو من المستقبل الى الماضى أو من الواحد الى التثنية أو الى الجمع أو الى النسب أو الى غير ذلك انتقل قبحها فصار حسنا وحسنها فصار قبحا (فمن ذلك) لفظة خود فانها عبارة عن المرأة الناعمة واذا نقلت الى صيغة الفعل قيل خوّد على وزن فعل بتشديد العين ومعناها أسرع يقال خوّد البعير اذا أسرع فهى على صيغة الاسم حسنة رائقة وقد وردت فى النظم والنثر كثيرا واذا جاءت على صيغة الفعل لم تكن حسنة كقول أبى تمام

وانى بنى عبد الكريم تواهقت * رتك النعام رأى الظلام فخوّدا

وهذا يقاس عليه أشباهه وأنظاره الا أن هذه اللفظة التى هى خوّد قد نقلت عن الحقيقة الى المجاز فخف عنها ذلك القبح قليلا كقول بعض شعراء الحماسة

أقول لنفسى حين خوّد رألها * رويدك لما تشفقى حين مشفق
رويدك حتى تنظرى عم تنجلى * غيابة هذا البارق المتألق

والرأل النعام والمراد به ههنا أن نفسه فرت وفزعت وشبه ذلك بامراع النعام فى فراره وفزعه ولما أورده على حكم المجاز خف بعض القبح الذى على لفظة خوّد وهذا يدرك بالذوق الصحيح ولا خفاء بما بين هذه اللفظة فى ايرادها ههنا وايرادها فى بيت أبى تمام فانها وردت فى بيت أبى تمام قبيحة سمجة ووردت ههنا بين بين (ومن هذا النوع) لفظة ودع وهى فعل ماض ثلاثى لا ثقل بها على اللسان ومع ذلك فلا تستعمل على صيغتها الماضية الا جاءت غير مستحسنة ولكنها تستعمل مستقبلة وعلى صيغة الامر فتجئ حسنة أما الامر فكقوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا ولم تأت فى القرآن الكريم الا على هذه الصيغة وأما كونها مستقبلة فكقول النبى

صلى

فلان اذا رمته دية فأعطيتها عنه قال الاصمعى كلمت أبا يوسف القاضى فى هذا عند الرشيد فلم يفرق بين عقلته وعقلت عنه حتى فهمته (ودوم) الطائر فى الهوى اذا حلق واستدار فى طيرانه (ودوّى) السبع فى الارض اذا ذهب (والبسلة) أجر الراقى (والحلوان) أجر الكاهن (والخسا) الوتر وهو الفرد (والزكا) الشفع وهو الزوج (وعبد) قن وأمة قن وكذلك الاثنان والجميع وهو الذى ملك هو وأبواه (وعبد مملكة) الذى سبى ولم يملك أبواه (استوبلت) المدينة اذا لم توافقك فى بدنك وان أحببتها (واجتويتها) اذا كرهتها وان كانت موافقة لك فى بدنك (كل شئ) من قبل الزوج مثل الاخ والاب فهم الاحماء واحدهم حما مثل قفا وحمو مثل أبو وحمء مهموز ساكن الميم وحم محذوف اللام مثل أب وحماة المرأة أم زوجها لا لغة فيها غير هذه وكل شئ من قبل المرأة فهم (الاختان) والصهر يجمع هذا كله وهى عجيزة المرأة وعجزها ولا يقال عجيزته قال يونس اذا غلب الشاعر قيل مغلب واذا غلب قيل غلب (وقد زنى) الرجل وعهر هذا يكون بالامة والحرة ويقال فى الاماء خاصة قد ساعاها ولا تكون المساعاة الا فى الاماء خاصة (والخباء) من صوف ووبر ولا يكون من الشعر (والطراف) من الادم (والجمع) المجتمعون (والجماع) المتفرقون قال أبو قيس بن الاسلت

* من بين جمع غير جماع *

صلى الله عليه وسلم وقد واصل فى شهر رمضان فواصل معه قوم لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا لا يدع له المتعمقون تعمقهم وقال أبو الطيب المتنبى

تشقكم بقناها كل سلهبة * والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع

وأما الماضى من هذه اللفظة فلم يستعمل الاشاذا ولاحسن له كقول أبى العتاهية

أثروا فلم يدخلوا قبورهم * شيأ من الثروة التى جمعوا
وكان ما قدموا لانفسهم * أعظم نفعا من الذى ودعوا

وهذا غير حسن فى الاستعمال ولا عليه من الطلاوة شئ وهذه لفظة واحدة لم يتغير من حالها شئ سوى أنها نقلت من الماضى الى المستقبل لا غير وكذلك لفظة وذر فانها لا تستعمل ماضية وتستعمل على صيغة الامر كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا وتستعمل مستقبلة أيضا كقوله تعالى سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر فهى لم ترد فى القرآن الا على هاتين الصيغتين وكذلك فى فصيح الكلام غير القرآن وأما اذا جاءت على صيغة الماضى فانها لا تستعمل وهى أقبح من لفظة ودع لان لفظة ودع قد استعملت ماضية وهذه لم تستعمل وههنا ظننتم الخائضون فى هذا الفن تظرهم ويعلوا أن فى الزوايا خبايا واذا أنعموا الفكر فى أسرار الالفاظ عند الاستعمال وأغرقوا فى الاعتبار والكشف وجدوا غرائب وعجائب (ومن هذا النوع) لفظة الاخدع فانها وردت فى بيتين من الشعر وهى فى أحدهما حسنة رائقة وفى الآخر ثقيلة مستكرهة كقول ابن الصمة عبد الله من شعراء الحماسة

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

(وكقول أبى تمام)

يادهر قوم من أخدعيك فقد * أضججت هذا الانام من خرقك

ألا ترى أنه وجد لهذه اللفظة فى بيت أبى تمام من الثقل على السمع والكراهة فى النفس أضعاف ما وجد لها فى بيت ابن الصمة عبد الله من الروح والخفة والايناس والبهجة وليس سبب ذلك الا أنها جاءت موحدة فى أحدهما مثناة فى الآخر وكانت حسنة فى حالة الافراد مستكرهة فى حالة التثنية والا فاللفظة واحدة وانما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى (ومن هذا النوع) ألفاظ يعدل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها ولا يستفتى فى ذلك الا الذوق السليم وهذا موضع عجيب لا يعلم كنه سره (فمن ذلك) لفظة اللب الذى هو العقل لا لفظة اللب الذى تحت القشر فانها لا تحسن فى الاستعمال الا مجموعة وكذلك وردت فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة وهى مجموعة ولم ترد مفردة كقوله تعالى وليتذكر أولوا الالباب وان فى ذلك لذكرى لاولى الالباب وأشباه ذلك وهذه اللفظة ثلاثية خفيفة على النطق ومخارجها بعيدة وليست بمستثقلة ولا مكروهة وقد تستعمل مفردة بشرط أن تكون مضافة أو مضافا اليها أما كونها مضافا اليها فكقولنا الا يمر ذلك الا ذوى الالباب وان فى ذلك لعبرة لذى لب وعليه ورد قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

وأما كونها مضافة فكقول النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر النساء ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الحازم من احداكن يا معشر النساء فان كانت هذه اللفظة عارية عن الجمع أو الاضافة فانها لا تأتى حسنة ولا تجد دليلا على ذلك الا مجرد الذوق الصحيح واذا تأملت القرآن الكريم ودققت النظر فى رموزه وأسراره وجدت مثل هذه اللفظة قد روعى فيها الجمع دون

الاصمعى (فوارة) الورك بفتح الفاء وفوارة القدر وهو ما يفور من حرها بضم الفاء (الغيلم) المرأة الحسناء بالغين معجمة (والعيلم) بالعين غير معجمة العين الكثيرة الماء (يقال) بات يفعل كذا اذا فعله ليلا (وظل) يفعل كذا اذا فعله نهارا (ولا يقال) راكب الا لراكب البعير خاصة ويقال فارس وحمار وبغال (ويقال) النقب فى يدى البعير والحفا فى رجليه (ألح) الجمل (وخلأت) الناقة (وحرن) الفرس (والخلاء) فى الناقة مثل الحران فى الفرس (وركض) البعير برجله ولا يقال رمح وخبط بيديه (وزبنت) الناقة اذا هى ضربت بثفنات رجليها عند الحلب والزبن بالثفنات (ورمح) الفرس والحمار والبغل (ويقال) برك البعير (وربضت) الشاة (وجثم الطائر) وهذه مبارك الابل ومرابض الغنم (ويقال) أنخت البعير فبرك ولا يقال فناخ (وهو حباب) الابل وزبد الغنم (والحباب) كالزبد يعلو ألبان الابل ولا زبد لالبانها (جلد) فلان جزوره أى نزع عنه جلده (وسلخ) شاته ولا يقال سلخ جزوره (نافة) تأجوه للنفقة وأخرى كاسدة (عطن) الابل والغنم ومعاطنها مباركها عند الماء ولا تكون الاعطان والمعاطن الا عند الماء (وثاية) الغنم والابل مأواها حول البيوت (ومراح) الابل (ومراح) الغنم سرحت الابل والماشية بالغداة وراحت بالعشى (ونفشت) بالليل (وهملت) اذا أرسلتها ترعى ليلا ونهارا بلا راع (ويقال) أرحتها وأنفشتها وأهملتها

الافراد كلفظة كوب فانها وردت فى القرآن مجموعة ولم ترد مفردة وهى وان لم تكن مستقبحة فى حال افرادها فان الجمع فيها أحسن لكن قد ترد مفردة مع ألفاظ أخر تندرج معهن فيكسوها ذلك حسنا ليس لها وذلك كقولى فى جملة أبيات أصف بها الخمر وما يجرى معها من آلاتها

ثلاثة تعطى الفرح * كأس وكوب وقدح
ماذبح الذوق بها * الا وللهم ذبح

فلما وردت لفظة الكوب مع الكأس والقدح على هذا الاسلوب حسنها وكأنه جلاها فى غير لباسها الذى كان لها اذ جاءت بمفردها (وكذلك وردت) لفظة رجا بالقصر والرجا الجانب فانها لم تستعمل موحدة وانما استعملت مجموعة كقوله تعالى والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فلما وردت هذه اللفظة مجموعة ألبسها الجمع ثوبا من الحسن لم يكن لها فى حال كونها موحدة وقد تستعمل موحدة بشرط الاضافة كقولنا رجا البئر ولم يعلم ذلك فاخطأ بعض الناس فى هذا الموضع وقاس عليه ما ليس بمقيس وذلك أنه وقف على ما ذكرته ههنا واقف فقال وكذلك قد وردت لفظة الصوف فى القرآن الكريم ولم ترد الا مجموعة كقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين وهذا بخلاف ما وردت عليه فى شعر أبى تمام

كانوا برود زمانهم فتصدعوا * فكأنما لبس الزمان الصوفا

وهذا ليس كالذى أشرت اليه فان لفظة الصوف لفظة حسنة مفردة ومجموعة وانما أزرى بها فى قول أبى تمام أنها جاءت مجازية فى نسبتها الى الزمان وعلى هذا النهج وردت لفظة خبر واخبار فان هذه اللفظة مجموعة أحسن منها مفردة ولم ترد فى القرآن الا مجموعة (وفى ضد ذلك) ما ورد استعماله من الالفاظ مفردا ولم يرد مجموعا كلفظة الارض فانها لم ترد فى القرآن الا مفردة فاذا ذكرت السماء مجموعة جئ بها مفردة معها فى كل موضع من القرآن ولما أريد أن يؤتى بها مجموعة قيل ومن الارض مثلهن فى قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن (ومما ورد) من الالفاظ مفردا فكان أحسن مما يرد مجموعا لفظة البقعة قال الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام فلما أتاها نودى من شاطئ الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله والاحسن استعمالها مفردة لا مجموعة وان استعملت مجموعة فالاولى أن تكون مضافة كقولنا بقاع الارض أو ما يجرى مجراها (وكذلك) لفظة طيف فى ذكر طيف الخيال فانها لم تستعمل الا مفردة وقد استعملها الشعراء قديما وحديثا فلم يأتوا بها الا مفردة لان جمعها جمع قبيح فاذا قيل طيوف كان من أقبح الالفاظ وأشدها كراهة على السمع وياالله العجب من هذه اللفظة ومن أختها عدة ووزنا وهى لفظة ضيف فانها تستعمل مفردة ومجموعة وكلاهما فى الاستعمال حسن رائق وهذا لا يعلم السر فيه والذوق السليم هو الحاكم فى الفرق بين هاتين اللفظتين وما يجرى مجراهما (وأما جمع المصادر) فانه لا يجيء حسنا والافراد فيه هو الحسن ومما جاء فى المصادر مجموعا قول عنترة

فان يبرأ فلم أنفث عليه * وان يفقد فحق له الفقود

قوله الفقود جمع مصدر من قولنا فقد يفقد فقدا واستعمال مثل هذه اللفظة غير سائغ ولا لذيذ وان كان جائزا ونحن فى استعمال ما نستعمله من الالفاظ واقفون مع الحسن لا مع الجواز وهذا كله يرجع الى حاكم الذوق السليم فان صاحب هذه الصناعة يصرف الالفاظ بضروب التصريف فما عذب فى فمه منها استعمله وما لفظه فمه تركه ألا ترى أنه يقال الامة بالضم عبارة عن الجمع الكثير من الناس ويقال الامة بالكسر وهى النعمة فان الامة بالضم لفظة

حسنة

وأحسنها مثل أهلتها فى المعنى وسرحتها هذه وحدها بغير ألف (ابل مدفأة) كثيرة الاوبار والشحوم (وابل مدفئة) أى كثيرة من نام وسطها دفئ من أنفاسها واذا كان الفحل كريما من الابل قالوا فحيل قال الراعى

* أمات من وطرقهن فحيلا *

واذا كان من النخل كريما قالوا فحال وجمعه فحاحيل (أجمع) بناقته اذا صر جميع اخلافها (وثلث) بها اذا صر ثلاثة اخلاف وشطر بها اذا صر خلفين (وخلف) بها اذا صر خلفا أبو عبيدة (المعلى) الذى يأتى الحلوبة من قبل شمالها (والوضين) للهودج (والحزام) للسرج (والبطان) للقتب خاصة (الحلس) كساء يكون تحت البرذعة (والحلس) والبرذعة للبعير (والقرطاط) والقرطان لذوات الحافر (والخشاش) من خشب (والبرة) من صفر (والخزامة) من شعر يقال (خششت) البعير (وخزمته) وأبريته هذه وحدها بألف (وسريج) فاترأى واق وسريج معقر وعقر (وقتب) عقر أيضا غير واق قال

ألد اذا لقيت قوما بخطة
ألح على أكتافهم قتب عقر

ولا يقال عقور الا للحيوان

﴿تسمية المتضادين باسم واحد﴾

(الجون) الاسود وهو الابيض قال الشاعر

* يبادر الجونة ان تغيبا *

يعنى الشمس (والصريم) الصبح (والصريم) الليل (السدفة) الظلمة (والسدفة) الضوء وبعضهم

حسنة وبالكسر ليست بحسنة واستعمالها قبيح (ورأيت صاحب كتاب الفصيح) قد ذكرها فيما اختاره من الالفاظ الفصيحة وياليت شعري ما الذي رآه من فصاحتها حتى اختارها وكذلك قد اختار ألفاظا أخر ليست بفصيحة ولا لوم عليه لان صدور مثل ذلك الكتاب عنه كثير واسرار الفصاحة لا تؤخذ من علماء العربية وانما تؤخذ منهم مسئلة نحوية أو تصريفية أو نقل كلمة لغوية وما جرى هذا المجرى وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها وإذا اشذ عن صاحب كتاب الفصيح ألفاظ معدودة ليست بفصيحة في جملة كثيرة ذكرها من الفصيح فان هذا منه كثير (ومما يذكر في هذا الباب) أنه يقال سهم صائب فاذا جمع الجمع الحسن الذي يعذب في الفم قيل سهام صوائب وصائبات وصيب فاذا جمع الجمع الذي يقبح قيل سهام صيب على وزن كتب قال أبو نواس

ما أحل الله ما صنعت * عينه تلك المشيه بي

فقدت انسانها كبدي * بسهام المردي صيب

فقوله سهام صيب من اللفظ الذي ينبو عنه السمع و يعيد عنه اللسان ومثله ورد قول عريف القوافي من أبيات الحماسة

ذهب الرقاد فما يحس رقاد * مما شجاك ونامت العواد

لما أتاني من عيينة أنه * أمست عليه بظاهر أقياد

فقوله أقياد في جمع قيد مما لا يحسن استعماله بل الحسن أن يقال في جمعه قيود وكذلك قول مرة بن محكان التميمي من أبيات الحماسة وذلك من جملة الابيات المشهورة التي أولها

ياربة البيت قومي غير صاغرة * ضمي اليك رجال القوم والقربا

فقال فيها

ماذا ترين أتدنيهم لأرحلنا * في جانب البيت أم تبني لهم قببا

فانه جمع قبة على قبب وذلك من المستبشع الكريه والاحسن المستعمل هو قباب لا قبب وكذلك يجري الامر في غير هذا (ومن المجموع) ما يختلف استعماله وان كان متفقا في لفظة واحدة كما في الناظرة وعين الناس وهو النبيه فيهم فان العين الناظرة تجمع على عيون وعين الناس تجمع على أعيان وهذا يرجع فيه الى الاستحسان لا الى جائز الوضع اللغوي وقد شذ هذا الموضع عن أبي الطيب المتنبي في قوله

والقوم في أعيانهم خزر * والخيل في أعيانها قبل

فجمع العين الناظرة على أعيان وكان الذوق يأبى ذلك ولا تجد له على اللسان حلاوة وان كان جائزا ولولا خوف الاطالة لاوردت من هذا النوع وأمثاله أشياء كثيرة وكشفت عن رموز وأسرار تخفى على كثير من متعاطي هذا العلم لكن في الذي أشرت اليه منبه لاهل الفطانة والذكاء أن يحملوه على أشباهه وأنظاره (وأعجب من ذلك كله) أنك ترى وزنا واحدا من الالفاظ فتارة تجد مفرده حسنا وتارة تجد جمعه حسنا وتارة تجدهما جميعا حسنين فالاول نحو حبرور وهو فرخ الحبارى فان هذه اللفظة يحسن مفردها لا مجموعها لان جمعها على حبارير وكذلك طنبور وطنابير وعرقوب وعراقيب وأما الثاني فنحو بهلول وبهاليل وحلقوم وحلاقيم وهذا ضد الاول وأما الثالث فنحو جمهور وجماهير وعرجون وعراجين فانظر الى الوزن الواحد كيف يختلف في أحواله مفردا ومجموعا وهذا من أعجب ما يجيء في هذا الباب وهكذا قد جاءت ألفاظ على وزن واحد ثلاثية مسكنة الوسط وجمعها احسن في الاستعمال واذا أردنا أن نثقل وسطها احسن منها شيء دون شيء (فمن ذلك) لفظة ثلث والربع الى العشر فان الجميع على وزن واحد واذا ثقلنا أوساطها فقلنا ثلث وربع وخمس وكذلك الى عشر فان الحسن من ذلك جميعه ثلاثة وهي الثلث والخمس والسدس والباقي وهو الربع والسبع والثمن والتسع

يجعل السدفة اختلاط الظلمة والضوء كوقت ما بين طلوع الفجر الى الاسفار (الجلل) الشيء الصغير (والجلل) الشيء الكبير (والنبل) الكبار والصغار قال الشاعر

أفرح أن أرزأ الكرام وان

أورث ذودا شصائصا نبلا

النبل ههنا الصغار والشصائص التي لا ألبان لها هذا قول أبي عبيدة في النبل وقال بعضهم هي نبلا جمع نبيلة هذا قول أبي زيد وهي العطية (والناهل) العطشان (والناهل) الريان قال النابغة ينهل منه الاسل الناهل أي تروى منه الرماح العطاش (والماثل) القائم (والماثل) اللاطئ بالارض قال الشاعر

فمنها مستبين وماثل * أي دارس

(والصارخ) المستغيث والمغيث (والهاجد) المصلي بالليل وهو النائم أيضا (والرهوة) الارتفاع والانحدار (والتلعة) مجرى الماء ينزل من أعلى الوادي وهي ما انهبط من الارض (والظن) اليقين والشك (والخشيب) السيف الذي لم يحكم عمله وهو الصقيل أيضا (الاهماد) السرعة في السير (والاهماد) الاقامة (الخناذيذ) الخصيان من الخيل وهي الفحولة قال بشر

وخنذيذ ترى الغرمول منه

كطي الزق علقه التجار

(الاقراء) الحيض وهي الاطهار (والصرع) في الجبل المصعد وهو المنحدر (ووراء) تكون قداما وتكون خلفا قال الله عز وجل وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا (وكذلك) دون وفوق

والمشرأيس كالاول فى حسنه هذا والجميع على وزن واحد وصيغة واحدة والجميع حسن فى الاستعمال قبل أن يثقل وسطه ولما ثقل صار بعضه حسنا وبعضه غير حسن وكذلك تجد الامر فى أسماء الفاعلين كالثلاثى منه نحو فعل بفتح الفاء والعين وفعل بفتح الفاء وكسر العين وفعل بفتح الفاء وضم العين فان هذه الاوزان الثلاثة لها أسماء فاعلين أما فعل بفتح الفاء والعين فليس له الاسم واحد أيضا وهو فاعل غير ولا يقع فيه اختلاف وكذلك فعل بفتح الفاء وضم العين فليس له الا اسم واحد أيضا وهو فعيل ولا يقع فيه اختلاف الا ماشذ لكن فعل بفتح الفاء وكسر العين يقع فى اسم فاعله الاختلاف استحسانا واستقباحا لان له ثلاثة أوزان نحو فاعل وفعل وفعلان تقول منه حمد فهو حامد وحمد وحمدان وقد جاء على وزنه فرح تقول منه فرح زيد فهو فرح وهو الاحسن ولا يحسن أن يقال فارح ولا فرحان وان كان جائزا لكن فرحان أحسن من فارح وقد وردت هذه اللفظة فى القرآن الكريم فلا تستعمل الا على فرح لا غير كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون وكقوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين وقد جاءت هذه اللفظة فى شعر بعض شعراء الحماسة فى باب المراثى

فما أنا من حزن وان جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح

وهذا غير حسن وان جاز استعماله وعلى هذا ومنه يقال غضب وهو غضبان ولا يقال غاضب وان كان جائزا وقد تقدم القول أنافى تأليف الكلام بصدد استعمال الحسن والاحسن لا بصدد استعمال الجائز وغير الجائز (ومما يجرى هذا المجرى) قولهم افعل وافتعل فان لفظة فعل لها موضع تستعمل فيه الا ترى أنك تقول قعدت الى فلان أحدثه ولا تقول اقتعدت اليه وكذلك تقول اقتعدت غارب الجمل ولا تقول قعدت على غارب الجمل وان جاز ذلك لكن الاول أحسن وهذا لا يحكم فيه غير الذوق السليم فانه لا يمكن أن يقام عليه دليل (وأما فعل وافعوعل) فانا نقول أعشب المكان فاذا كثر عشبه قلنا اعشوشب فلفظة افعوعل للتكثير على أنى استقريت هذه اللفظة فى كثير من الالفاظ فوجدتها عذبة طيبة على تكرار حروفها كقولهم اخشوشن المكان واغرورقت العين واحلولى الطعم وأشباهها (وأما فعلة) نحو همزة ولمزة وحطمة ونومة ولكنة ولحمة وأشباه ذلك فالغالب على هذه اللفظة أن تكون حسنة وهذه أخذته بالاستقراء وفى اللغة مواضع كثيرة هكذا لا يمكن استقصاؤها فانظر الى ما يفعله اختلاف الصيغة بالالفاظ وعليك أن تتفقد أمثال هذه المواضع لتعلم كيف تضع يدك فى استعمالها وكثيرا ما يقع فى قول الشعراء والخطباء فى منثور ومنظوم الكلام من كاتب وشاعر اذا مرت به ألفاظ عرضها على ذوقه الصحيح فيجد الحسن منها موحدا ووحده وما يجد الحسن منه مجموعا جمعه وكذلك يجرى الحكم فيما سوى ذلك من الالفاظ

﴿النوع السابع فى المغالطة اللفظية﴾

والمغالطة مغالطتان لفظية ومعنوية (أما المعنوية) فسيأتى ذكرها فى باب التقديم والتأخير من المقالة الثانية فيؤخذ من هناك (وأما المغالطة اللفظية) وهى المخصوصة بالذكر ههنا فى باب صناعة الالفاظ وحقيقتها مأخوذة من قولهم تغالطت الجرادتان اذا ركبت احداهما الاخرى فسمى الكلام المتراكب فى ألفاظه أو فى معانيه المغالطة مأخوذا من ذلك وهو اسم لائق بمسماه ووصف عمر بن الخطاب رضى الله عنه زهير بن أبى سلمى فقال كان لا يعاظل بين الكلام (وقد اختلف علماء البيان فى حقيقة المعاظلة) فقال قدامة بن جعفر الكاتب المعاظلة فى الكلام هو أن يدخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه ولا أعرف ذلك الا فاحش الاستعارة كقول أوس بن حجر

وذات

يكون بمعنى دون قال الله عز وجل ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها أى فما دونها هذا قول أبى عبيدة وقال الفراء فما فوقها يعنى الذباب والعنكبوت (والحى) خلوف غيب ومتغيبون (وأسررت) الشئ أخفيته وأعلنته (ورتوت) الشئ شددته وأرخيته (وأخفيت) الشئ أظهرته وكتمته (شعبت) الشئ جمعته وفرقته ومنه سميت المنية شعوب لانها تفرق (طلعت) على القوم أقبلت حتى يروك وطلعت عنهم غبت حتى لا يروك (بعت) الشئ بعته واشتريته (وشريت) الشئ اشتريته وبعته

﴿كتاب فى اقامة الهجاء﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قال أبو محمد) الكتاب يزيدون فى كتاب الحرف ما ليس فى وزنه ليفصلوا بالزيادة بينه وبين المشبه له وينقصون من الحرف ما هو فى وزنه استخفافا واستغناء بما أبقى مما ألقى اذا كان فى الكلام دليل على ما يحذفون والعرب كذلك يفعلون يحذفون من اللفظة والكلمة نحو قولهم لم يك وهم يريدون لم يكن ولم أبل وهم يريدون لم أبال ويختزلون من الكلام ما لا يتم الكلام على الحقيقة الا به استخفافا وايجازا اذا عرف المخاطب ما يعنون كما قال ذو الرمة ووصف حميرا

فلما لبسن الليل أو حين نصبت
له من خذا آذانها وهو جانح

خبرت عن الاصمعى انه قال أراد

وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جدعا

فسمى الظبي تولبا والتولب ولد الحمار هكذا ذكره قدامة بن جعفر وهو خطأ اذ لو كان ما ذهب اليه صوابا لكانت حقيقة المعاظلة دخول الكلام فيما ليس من جنسه وليست حقيقتها هذه بل حقيقتها ما تقدم وهو المتراكب من قولهم تعاظلت الجرادتان اذا ركبت احداهما الاخرى وهذا المثال الذي مثل به قدامة لا تراكب في ألفاظه ولا في معانيه (وأما) غير قدامة فانه خالفه فيما ذهب اليه اذ أنه لم يقسم المعاظلة الى لفظية ومعنوية ولكنه ضرب لها مثالا كقول الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه

وهذا من القسم المعنوي لا من القسم اللفظي ألا ترى الى تراكب معانيه بتقديم ما كان يجب تأخيره وتأخير ما كان يجب تقديمه لان الاصل في معناه وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه وسيجيء شرح ذلك مستوفى في بابه من المقالة الثانية ان شاء الله تعالى واذا حققت القول في بيان المعاظلة والكشف عن حقيقتها فاني أتبع ذلك بتقسيم القسم اللفظي منها الذي أنا بصدد ذكره ههنا (فأقول) اني تأملته بالاستقراء من الاشعار قديمها وحديثها ومن النظر في حقيقتها نفسها فوجدتها تنقسم الى خمسة أقسام (الاول منها) يختص بأدوات الكلام نحو من والى وعن وعلى وأشباهها فمنها ما يسهل النطق به اذا ورد مع أخواته ومنها ما لا يسهل بل يرد ثقيلا على اللسان ولكل موضع يخصه من السبك (فمما جاء منه) قول أبي تمام

الى خالد راحت بنا أرحبية * مرافقها من عن كراكرها نكب

فقوله من عن كراكرها من الكلام المتعاظل الذي يثقل النطق به على أنه قد وردت هاتان اللفظتان وهما من وعن في موضع آخر ولم يثقل النطق بهما كقول القائل من عن يمين الطريق والسبب في ذلك أنهما وردتا في بيت أبي تمام مضافتين الى لفظة الكراكر فثقلت مع جيئتهما مكروهتين كما ترى والا فقد وردتا في شعر قطري بن الفجاءة فكانتا خفيفتين كقوله

ولقد أراني للرماح دريئة * من عن يميني مرة وأمامي

والاصل في ذلك راجع الى السبك فاذا سبكت هاتان اللفظتان أو ما يجري مجراهما مع ألفاظ تسهل منهما لم يكن بهما من ثقل كما جاءتا في بيت قطري واذا سبكتا مع ألفاظ تثقل منهما جاءتا كما جاءتا في بيت أبي تمام (ومن هذا القسم) قول أبي تمام أيضا

كأنه في اجتماع الروح فيه له * في كل جارحة من جسمه روح

فقوله في بعد قوله فيه له مما لا يحسن وروده وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي

وتسعدني في غمرة بعد غمرة * سبوح لها منها عليها شواهد

فقوله لها منها عليها من الثقيل الثقيل وكذلك قوله

تبيت وفودهم تسري اليه * وجدواه التي سألوا اغتفار

فحقوم رد لبيض عنهم * وها هم له معهم معار

وقوله وها هم له معهم مما يثقل النطق به ويتعثر اللسان فيه لكنه أقرب حالا من الاول ومن الحسن في هذا الموضع قول أبي تمام

دار أجل الهوى عن أن ألم بها * في الركب الا وعيني من منائحها

فقوله عن أن في هذا البيت من الخفيف الحسن الذي لا بأس به (القسم الثاني من المعاظلة

أو حين أقبل الليل نصبت آذانها وكانت مسترخية والليل مائل على النهار فحذف وقال النمر بن تولب

فان المنية من يخشها
فسوف تصادفه أينما

أراد أينما ذهب أو أينما كان فحذف ومثل هذا كثير في القرآن والشعر وربما لم يمكن الكتاب أن يفصلوا بين المتشابهين بزيادة ولا نقصان فتركوهما على حالهما واكتفوا بما يدل من متقدم الكلام ومتأخره مخبرا عنهما نحو قولك للرجل لن يغزو وللاثنين لن يغزوا وللجميع لن يغزوا فلا يفصل بين الواحد والاثنين والجميع وانما يزيدون في الكتاب فرقا بين المشتبهين حروف المد واللين وهي الواو والالف والياء لا يتعدونها الى غيرها ويبدلونها من الهمزة ألا ترى أنهم قد أجمعوا على ذلك في كتاب المصحف واجتمعوا عليه في أبي جاد وأما ينقصون للاستخفاف حروف المد واللين وغيرها وسترى ذلك في موضعه ان شاء الله

﴿باب ألف الوصل في الاسماء﴾

تكتب بسم الله اذا افتتحت بها كتابا أو ابتدأت بها كلاما بغير ألف لانها كثرت في هذه الحال على الالسنة في كل كتاب يكتب وعند الفزع والجزع والخبر يرد والطعام يؤكل فحذفت الالف استخفافا فاذا توسطت كلاما أثبت فيها ألفا نحو ابدأ باسم الله واختم باسم الله قال الله عز وجل اقرأ باسم ربك وسبح اسم ربك

اللفظة) تختص بتكرير الحروف وليس ذلك مما يتعلق بتكرير الالفاظ ولا بتكرير المعاني مما يأتي ذكره في باب التكرير في المقالة الثانية وانما هو تكرير حرف واحد أو حرفين في كل لفظة من ألفاظ الكلام المنثور أو المنظوم فيثقل حينئذ النطق به (فمن ذلك) قول بعضهم

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

فهذه القافات والراآت كأنها في تتابعها سلسلة ولا خفاء بما في ذلك من الثقل وكذلك ورد قول الحريري في مقاماته

وازور من كان له زائرا * وعاف عافي العرف عرفانه

فقوله وعاف عافي العرف عرفانه من التكرير المشار اليه وكذلك ورد قوله أيضا في رسالتيه اللتين صاغهما على حرفي السين والشين فانه أتى في احداهما بالسين في كل لفظة من ألفاظها وأتى في الاخرى بالشين في كل لفظة من ألفاظها فجاءتا كأنهما رقى العقارب أو خذروفة العزائم وما أعلم كيف خفي ما فيهما من القبح على مثل الحريري مع معرفته بالجيد والردىء من الكلام (ويحكى) عن بعض الوعاظ أنه قال في جملة كلام أورده جنى جنات وجنات الحبيب فصاح رجل من الحاضرين في المجلس وماد وتغاشى فقال له رجل كان الى جانبه ما الذي سمعت حتى حدث بك هذا فقال سمعت جيما في جيم في جيم فصعقت وهذا من أقبح عيوب الالفاظ (ومما جاء منه) قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي مطلعها * أتراها لكثرة العشاق

كيف ترثي التي ترى كل جفن * راءها غير جفنها غير راق

وهذا وأمثاله انما يعرض لقائله في نوبة الصرع التي تنوب في بعض الايام (ومن هذا القسم) قول الشاعر المعروف بكشاجم في قصيدته التي مطلعها * داو خماري بكاس خمر

والزهر والقطر في رباها * ما بين نظم وبين نثر

حدائق كف كل ريح * حل بها خيط كل قطر

وهذا البيت يحتاج الناطق به الى بركار يضعه في شدقه حتى يديره له وعلى هذا الاسلوب ورد قول بعضهم وهو البيت المشهور الذي يتذاكره الناس

ملك مطاع مولود مفدى * مليح منح مني مرادي

وهذه الميمات كأنها عقد متصلة بعضها ببعض (وكان بعض أهل الادب) من أهل عصرنا هذا يستعمل هذا القسم في ألفاظه كثيرا في كلامه نثرا ونظما وذلك لعدم معرفته بسلوك الطريق (وأنا أذكر نبذة من ذلك) كقوله في وصف رجل سخي أنت المديح كبد اتريح والملح أن يجوم الملح بالتكاح عدد سائل تلوح بل يفوق اذ يروق مرأى لوح يا مغبوق كاس الحمد بالمصبوح صق عن نداك اللوح وببابك المفتوح تستريح وتريح ذا التبريح وترفه الطليح فانظر الى حرف الحاء كيف قد لزمه في كل لفظة من هذه الالفاظ فجاء كما تراه من الثقل والغثاثة (واعلم) أن العرب الذين هم الاصل في هذه اللغة قد عدلوا عن تكرير الحروف في كثير من كلامهم وذلك أنه اذا تكرر الحرف عندهم أدغموه استحسانا فقالوا في جعل لك جعلك وفي تضربونني تضربوني وكذلك قالوا استعد فلان للامر اذا تأهب له والاصل فيه استعدد واستتب الامر اذا تهيأ والاصل فيه استتبب وأشباه ذلك كثير في كلامهم حتى أنهم لشدة كراهتهم لتكرير الحروف أبدلوا أحد الحرفين المكررين حرفا آخر غيره فقالوا أمليت الكتاب والاصل فيه أمللت فأبدلوا اللام ياء طلبا للخفة وفرارا من الثقل واذا كانوا قد فعلوا ذلك في اللفظة الواحدة فما ظنك بالالفاظ الكثيرة التي يتبع بعضها بعضا (القسم الثالث من المعاظلة) أن ترد ألفاظ على صيغة الفعل يتبع بعضها بعضا فمنها ما يختلف بين ماض ومستقبل ومنها ما لا يختلف

وكذلك كتبت في المصحف في الحالين مبتدأة ومتوسطة (وابن) اذا كان متصلا بالاسم وهو صفة كتبته بغير ألف تقول هذا محمد بن عبد الله ورأيت محمد ابن عبد الله ومررت بمحمد بن عبد الله فان أضفته الى غير ذلك أثبت الالف نحو هذا زيد ابنك وابن أخيك وابن عمك وكذلك اذا كان خبرا كقولك أظن محمدا ابن عبد الله وكان زيد ابن عمرو وان زيدا ابن عمرو وفي المصحف قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله كتبا بالالف لانه خبر (وان أنت) ثنيت الابن ألحقت فيه الالف صفة كان أو خبرا فقلت قال عبد الله وزيد ابنا محمد كذا وكذا وأظن عبد الله وزيدا ابني محمد وان أنت ذكرت ابنا بغير اسم فقلت جاءنا ابن عبد الله كتبته بالالف (وان) نسبته الى غير أبيه فقلت هذا محمد ابن أخي عبد الله ألحقت فيه الالف وان نسبته الى لقب قد غلب على اسم أبيه أو صناعة مشهورة قد عرف بها كقولك زيد بن القاضي ومحمد بن الامير لم تلحق الالف لان ذلك يقوم مقام اسم الاب (واذا) أنت لم تلحق في ابن ألفا لم تنون الاسم قبله (وان) ألحقت فيه ألفا نونت الاسم (وتكتب) هذه هند ابنة فلان بالالف وبالهاء فاذا أسقطت الالف كتبت هذه هند بنت فلان بالتاء (وقال غيره) اذا أدخلت فيه الالف أثبت التاء وهو أفصح قال الله عز وجل ومريم ابنت عمران كتبت بالتاء

فالاول كقول القاضي الارجاني في أبيات يصف فيها الشمعة وفيها معنى هو له مبتدع ولم يسمع من غيره وذلك أنه قال عن لسان الشمع انه ألف العسل وهو أخوه الذي ربي معه في بيت واحد وان النار فرقت بينه وبينه وانه نذر أن يقتل نفسه بالنار أيضا من ألم الفراق الا أنه أساء العبارة فقال

بالنار فرقت الحوادث بيننا * وبها نذرت أعود أقتل روحي

فقوله نذرت أعود من المعاظلة المشار اليها وأما ما يرد على نهج واحد من الصيغة الفعلية فكقول أبي الطيب المتنبي

أقل أنل أقطع احمل عل سل أعد * زد هش بش تفضل أدن سر صل

فهذه ألفاظ جاءت على صيغة واحدة وهي صيغة الامر كأنه قال افعل افعل هكذا الى آخر البيت وهذا تكرير للصيغة وان لم يكن تكرير الحروف الا أنه أخوه ولا أقول ابن عمه وهذه ألفاظ متراكبة متداخلة ولو عطفها بالواو لكانت أقرب حالا كما قال عبد السلام بن رغبان

فسد الناس فاطلب الرزق بالسيف * والافت شديد الهزال
احل وامرر وضر وانفع ولن واخشن * وأبر ثم انتدب للمعالي

ألا ترى أنه لما عطف ههنا بالواو لم تتراكب الالفاظ كتراكبها في بيت أبي الطيب المتقدم ذكره ﴿فان قيل﴾ انك جعلت ما كان واردا على صيغة واحدة على سبيل التكرار معاظلة وقد ورد ذلك في القرآن الكريم كقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ولو كان معاظلة لما ورد في القرآن الكريم مثله ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أني أقول هذه الآية ليست كالذي أنكرته فان هذا الموضع ينظر فيه الى الكثير والقليل فاذا كثر كان معاظلة لتراكبه وثقله على النطق وقد عرفت أن ما يفصل بين صيغه بواو العطف يكون أقل ثقلا مما لا يفصل والذي أنكرته من ذلك هو أن تأتي ألفاظ مكررة على صيغة واحدة كأنها عقد متصلة فحينئذ يثقل النطق بها ويكره موقعها من السمع كبيت أبي الطيب المتنبي وأما هذه الآية المشار اليها فانها خارجة عن هذا الحكم ألا ترى أنه لما وردت ألفاظها على صيغة واحدة فرق بينها بواو العطف ثم مع التفريق بينها بواو العطف لم يرد التكرير فيها الا بين لفظتين وهما خذوهم واحصروهم وأما الصيغة الاولى فانه أضيف اليها كلام آخر فقيل اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولم يقل اقتلوا المشركين وخذوهم ثم لما جاءت الصيغة الرابعة أضيف اليها كلام آخر أيضا فقيل واقعدوا لهم كل مرصد لا جرم أن الآية جاءت غير ثقيلة على النطق مع توارد صيغة الامر فيها أربع مرار وهذه رموز ينبغي أن يتنبه لها في استعمال الالفاظ اذا جاءت هكذا ﴿القسم الرابع من المعاظلة﴾ وهو الذي يتضمن مضافات كثيرة كقولهم سرج فرس غلام زيد وان زيد على ذلك قيل لبد سرج فرس غلام زيد وهذا أشد قبحا وأثقل على اللسان وعليه ورد قول ابن بابك الشاعر في مفتتح قصيدة له

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي * فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

﴿القسم الخامس من المعاظلة﴾ أن ترد صفات متعددة على نحو واحد كقول أبي تمام في قصيدته التي مطلعها * ما لكثيب الحمى الى عقده

فقال يصف جملا سأخرق الخرق بابن خرقاء كالـ * ـهيق اذا ما استحم من نجده
مقابل في الجديل صلب القرى * لوحك من نحبه الى كتده
تامكه نهده مداخله * ملومه محزئله أجده

فالبيت الثالث من المعاظلة التي قلع الاسنان دون ايرادها وكذلك قال من هذه القصيدة يصف

والالف مع اللام التي للتعريف اذا أدخلت عليها لام الجر حذفتها فقلت هذا للقوم وللغلام وللناس فان أدخلت عليها باء الصفة لم تحذفها فكتبت بالقوم وبالغلام وبالناس فان جاءت ألف ولام من نفس الحرف ليستا للتعريف نحو الالف واللام اللتين في لتقاء ولتفات والتباس ثم أدخلت عليها لام الصفة أو باء الصفة أثبت الالف نحو قولك بالتقائنا ولالتقائنا ولالتباس الامر على وبالتباسه لانهما من نفس الحرف وليستا زائدتين فان أدخلت الالف واللام الزائدتين للمعرفة على الالف واللام اللتين من نفس الحرف ولم تصل الحرف بباء الصفة ولا لام الصفة لم تحذف شيئا فكتبت الالتقاء والالتفات والالتباس فان وصلتها بباء الصفة لم تحذف فكتبت بالالتقاء وبالالتفات وبالالتباس فان وصلت بلام الصفة حذفت فكتبت للالتقاء وللالتفات وللالتباس

﴿باب ما تغيره ألف الوصل﴾

تقول ايت فلانا ايذن لي على الامير ايق يا غلام ايجل من ربك ايأس من كذا وفي الجمع ايتوه ايذنوا كل ذلك تثبت فيه الياء فاذا وصلت ذلك بفاء أو واو أعدت ما كان من ذوات الياء الى الياء وما كان من ذوات الواو الى الواو وما كان مهموزا الى الالف فكتبت فأت فلانا فأذن له عليك فأبق يا غلام وكذلك ان اتصلت بواو تقول وأتوني وأذنوا وأبقوا

رجحا وصنتم فوذؤاباته على * أسمر متن يوم الوغى جسده

ماربه لدنه منقفة * عراصه في لا كف مطرده

وهذا كالاول في قبحه وثقله فقاتله الله ما أمتن شعره وما أضعفه في بعض الاحوال وعلى هذا جاء من هذه القصيدة أيضا يصف الممدوح

اليك عن سيل عارض خضل الشؤبوب يأتي الحمام من نصده

مسمه ترّه مصعصعه * وابه مسمته له جرده

ولو لم يكن لابي تمام من القبيح الشنيع الا هذه الابيات لحطت من قدره وعلى هذا ورد قول أبي الطيب المتنبي

دان بعيد محب مبغض بهج * أغر حلو ممر لين شرس

ندي أبي غر واف أخي ثقة * جعد سري نه ندب رضي ندس

وهذا كأنه سلسلة بلا شك وقليلا ما يوجد في أشعار الشعراء ولم أجده كثيرا الا في شعر الفرزدق وتلك معاظلة معنوية وسيأتي بيانها في بابها وهذه معاظلة لفظية وهي توجد في شعر أبي الطيب كثيرا ﴿النوع الثامن في المنافرة بين الالفاظ في السبك﴾ وهذا النوع لم يحقق أحد من علماء البيان القول فيه وغاية ما يقال انه ينبغي أن لا تكون الالفاظ نافرة عن مواضعها ثم يكتفى بهذا القول من غير بيان ولا تفصيل حتى انه قد خلط هذا النوع بالمعاظلة وكل منهما نوع منفرد برأسه له حقيقة تخصه الا انهما قد اشتبها على علماء البيان وكيف على جاهل لا يعلم (وقد بينت) هذا النوع وفصلته عن المعاظلة وضربت له أمثلة يستدل بها على أحوالها وما يجري مجراها وجملة الامر أن مدار سبك الالفاظ على هذا النوع والذي قبله دون غيرهما من تلك الانواع المذكورة لان هذين النوعين أصلان في سبك الالفاظ وما عداهما فرع عليهما واذا لم يكن الناثر أو الناظم عارفا بهما فان مقاتله تبدو كثيرا (وحقيقة هذا النوع) الذي هو المنافرة أن يذكر لفظ أو ألفاظ يكون غيرها مما هو في معناها أولى بالذكر وعلى هذا فان الفرق بينه وبين المعاظلة أن المعاظلة هي التراكب والتداخل اما في الالفاظ أو في المعاني على ما أشرت اليه وهذا النوع لا تراكب فيه ولا تداخل وانما هو ايراد ألفاظ غير لائقة بموضعها الذي ترد فيه (وهو ينقسم قسمين) أحدهما يوجد في اللفظة الواحدة والآخر في الالفاظ المتعددة فأما الذي يوجد في اللفظة الواحدة فانه اذا ورد في الكلام أمكن تبديله بغيره مما هو في معناه سواء كان ذلك الكلام نثرا أو نظما وأما الذي يوجد في الالفاظ المتعددة فانه لا يمكن تبديله بغيره في الشعر بل يمكن ذلك في المنثور خاصة لانه يعسر في الشعر من أجل الوزن فمما جاء من القسم الاول قول أبي الطيب المتنبي

فلا يبرم الامر الذي هو حالل * ولا يحلل الامر الذي هو يبرم

فلفظة حالل نافرة عن موضعها وكانت له مندوحة عنها الا انه لو استعمل عوضا عنها لفظة ناقض فقال

فلا يبرم الامر الذي هو ناقض * ولا ينقض الامر الذي هو يبرم

لجاءت اللفظة قارة في مكانها غير قلقة ولا نافرة (وبلغني) عن أبي العلاء بن سليمان المعري أنه كان يتعصب لابي الطيب حتى انه كان يسميه الشاعر ويسمي غيره من الشعراء باسمه وكان يقول ليس في شعره لفظة يمكن أن يقوم عنها ما هو في معناها فيجيء حسنا مثلها فليت شعري أما وقف على هذا البيت المشار اليه لكن الهوى كما يقال أعمى وكان أبو العلاء أعمى العين خلقة وأعمى الهوى عصبية فاجتمع له العمى من جهتين وهذه اللفظة التي هي حالل وما يجري مجراها قبيحة الاستعمال وهي فك الادغام في الفعل الثلاثي ونقله الى اسم الفاعل وعلى هذا فلا يحسن أن يقال مدّ الثوب فهو مادد ولا سلّ السيف فهو سالل ولا أن يقال همّ بالامر فهو هامم ولا

وتقول فأوجل من ربك فأوسن في ايلك من الوسن وكذلك اذا اتصلت بواو تقول واوجل من ربك واوسن وتقول في فعل من اليسر ييسر فلان وتقول فأيسر وايسر (فان) اتصل هذا بثم أو بغيرها من سائر الكلام لم تحذف الياء وكتبت ايت فلانا ثم ائته ايذن لي على الامير ثم ائذن قال الله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لي وقال ثم ائتوا صفا ويا صالح ائتنا (والفرق) بين الواو والفاء وبين ثم ان الفاء والواو يتصلان بالحرف فكأنهما منه ولا يجوز أن يفرد واحد منهما كما تفرد ثم لان ثم مفردة من الحرف (وتكتب) ما كان مهموما عن أؤمر فلانا بكذا بالواو فان وصلتها بواو أو فاء قلت فأمر فلانا بالخصوص وأمر فلانا بالقدوم فأسقطت الواو فان وصلتها بثم لم تسقط الواو وكتبت أؤمر فلانا ثم أؤمره بالواو وكذلك الهمزة أو حرف في مصيتي بالواو (فان) وصلت بفاء أو واو أسقطت الواو لسقوطها معهم ثم وفي المصحف فليؤد الذي أؤتمن أمانته كتب على قطع أؤتمن من الذي وكذلك القياس أن يكتب كل حرف على الانفراد ولا ينظر الى ما قبله مما يزيله عن حاله اذا درجت فتغيره اذا اتصل به ولو كتب على الاتصال لكتب باسقاط الواو (فان) وصلت أوتمن بواو أو فاء حذفت الواو فكتبت وأتمن فلان على بيت المال وأتجر عليه بكذا وكذا وأعزبه وكذلك الفاء (فان) اتصل ذلك بثم أثبت الواو فكتبت أوتمن ثم

خط الكتاب وهو حاطط ولاحق الى كذا وكذا وهذا لو عرض على من لا ذوق له لا يدركه وفهمه فكيف من له ذوق صحيح كأبي الطيب لكن لا بد لكل جواد من كبوة وأنشد بعض الأدباء بيت الدعبل وهو

شفيعك فاشكر في الحوائج انه * يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقد تم له عجز هذا البيت حسن وأما صدره فقبيح لانه سبكه فقال فاشكر وتلك الفاء التي في قوله شفيعك فاشكر كأنها ركبة البعير وهي في زيادتها كزيادة الكرش فقال لي هذه الفاء في كتاب الله أشباه كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر فقلت له بين هذه الفاء وتلك الفاء فرق ظاهر يدركه بالعلم أولا وبالذوق ثانيا أما العلم فان الفاء في وربك فكبر وثيابك فطهر فهي الفاء العاطفة وثمّ واردة بعد قم فأنذر وهي مثل قولك امش فاسرع وقف فابلغ وليست الفاء التي في شفيعك فاشكر كهذه الفاء لان تلك زائدة لا موضع لها ولو جاءت في السورة كما جاءت في قول دعبل وحاش لله من ذلك لابتدئ الكلام فقيل وربك فكبر وثيابك فطهر لكنها لما جاءت بعد قم فأنذر حسن ذكرها فيما يأتي بعدها من وربك فكبر وثيابك فطهر وأما الذوق فانه ينبو عن الفاء الواردة في قول دعبل ويستثقلها ولا يوجد ذلك في الفاء الواردة في السورة فلما سمع ما ذكرته أذعن بالتسليم ومثل هذه الدقائق التي ترد في الكلام نظما كان أو نثرا لا يتفطن لها الا الراسخ في علم الفصاحة والبلاغة (ومن هذا القسم) وصل همزة القطع وهو محسوب من ضرورات الشعر التي لا تجوز في الكلام المنثور وكذلك قطع همزة الوصل لكن وصل همزة القطع أقبح لانه أثقل على اللسان (فما ورد من ذلك) قول أبي تمام

فراني الاه او لو حتى كأنني * أفاد لغني من نائل وفو ندى

فأصبح يلقاني الزمان من اجله * باعظام مولود ورأفة والد

فقوله من اجله وصل همزة القطع وعليه ورد قول أبي الطيب المتنبي

توسطه المفاوز كل يوم * طلاب الطالبين لا الانتظار

فقوله لا الانتظار كلام نادر عن موضعه (ومن هذا القسم) أن يفرق بين الموصوف والصفة بضمير من تقدم ذكره كقول البحتري

حلفت لها بالله يوم التفرق * وبالوجد من قلبي بها المتعلق

تقديره من قلبي المتعلق بها فاذا فصل بين الموصوف الذي هو قلبي والصفة التي هي المتعلق بالضمير الذي هو بها قبح ذلك ولو كان قال من قلبي بها متعلق لزال ذلك القبح وذهبت تلك الهجنة (ومن هذا القسم أيضا) أن ترد الالف واللام في اسم الفاعل ويقدم الضمير فيه مقام المفعول كقول أبي تمام

فلو عاينتهم والزائريهم * لما فرقت البعيد من الحميم

فقوله الزائري اسم فاعل وقوله هم الذي هو الضمير في موضع المفعول تقديره الزائرين أرضهم ودارهم أو الزائرين اياهم فاستعمال هذا مع الالف واللام قبيح جدا واذا حذفتا زال ذلك القبح وقد استعملها الشعراء المتقدمون كثيرا (ومما جاء من القسم الثاني) الذي يوجد في الالفاظ المتعددة قول أبي الطيب أيضا

لا خلق أكرم منك الا عارف * بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

فان عجز هذا البيت نافر عن مواضعه وأمثال هذا في الاشعار كثير

﴿المقالة الثانية في الصناعة المعنوية﴾

وثغن وتقول ايجل ولا توجل تقلب الواو في الاولى ياء للكسرة قبلها وكذلك يوحل ويوجر ويوسن ويوهل (فان) اتصلت واوا أو فاء كتبت بالواو نحو قولك اي والله فاوحل واوجل واوسن واوهل (فان) اتصلت بثم أو بغيرهما من الكلام كتبت بالياء تقول قد قلت لكم ايجلوا وقلت لكم ايجلوا وقلت لكم ايسنوا ثم ايسنوا ثم ايجلوا ثم ايجلوا وانما فعل هذا لانك تكتب الحرف على الانفراد ولا تغيره لتغير ما قبله اذا وصلته به وأما الواو والفاء فكأنهما من نفس الحرف لانهما لا ينفردان كما تنفرد ثم

﴿باب دخول ألف الاستفهام على ألف الوصل﴾

اذا دخلت ألف الاستفهام على ألف الوصل ثبتت ألف الاستفهام وسقطت ألف الوصل في اللفظ والكتاب قال الله تعالى سواء عليهم أستغفرت لهم ومثله أصطفى البنات على البنين وتقول اذا استفهمت أشتريت كذا أفتريت على فلان

﴿باب دخول ألف الاستفهام على الالف واللام التي تدخل للمعرفة﴾

اذا أدخلت ألف الاستفهام على الالف واللام اللتين للتعريف ثبتت ألف الاستفهام وحدثت بعدها مدة نحو قول الله عز وجل آلله خير أم ما يشركون آلآن وقد عصيت قبل وتقول آلرجل قال ذلك تكتبه بالالف ولا تبدل من المدة شيأ

وهي تنقسم قسمين الاول منهما في الكلام على المعاني مجملا والثاني في الكلام عليها مفصلا وقبل الكلام على ذلك لابد من توطئة تكون شاملة لما نحن بصدد ذكره ههنا فأقول اعلم أن المعاني الخطابية قد حصرت أصولها وأول من تكلم في ذلك حكماء اليونان غير أن ذلك الحصر كلي لا جزئي ومحال أن تحصر جزئيات المعاني وما يتفرع عليها من التفريعات التي لا نهاية لها لاجرم أن ذلك الحصر لا يستفيد بمعرفته صاحب هذا العلم ولا يفتقر اليه فان البدوي البادي راعي الابل ما كان يمر شيء من ذلك بفهمه ولا يخطر بباله ومع هذا فانه كان يأتي بالسحر الحلال ان قال شعرا أو تكلم نثرا ﴿فان قيل﴾ ان ذلك البدوي كان له ذلك طبعا وخليقة والله فطره عليه كما فطر ضروب نوع الآدمي على فطر مختصة هي لهم في أصل الخلقة فانه فطر الترك على الاحسان في الرمي والاصابة فيه من غير تعليم وكذلك فطر أهل الصين على الاحسان في صنعة اليد فيما يباشرونه من مصوغ أو خشب أو فخار أو غير ذلك وكذلك فطر أهل المغرب على الشجاعة وهذا لا نزاع فيه فانه مشاهد ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أني أقول ان سلمت اليك أن الشعر والخطابة كانا للعرب بالطبع والفطرة فماذا تقول فيمن جاء بعدهم من شاعر وخطيب تحضر وسكنوا البلاد ولم يروا البادية ولا خلقوا بها وقد أجادوا في تأليف النظم والشعر وجاؤا بمعان كثيرة ما جاءت في شعر العرب ولا نطقوا بها ﴿فان قلت﴾ ان هؤلاء وقفوا على ما ذكره علماء اليونان وتعلموا منه ﴿قلت لك في الجواب﴾ هذا شيء لم يكن ولا علم أبو نواس شيأ منه ولا مسلم بن الوليد ولا أبو تمام ولا البحتري ولا أبو الطيب المتنبي ولا غيرهم وكذلك يجري الحكم في أهل الكتابة كعبد الحميد وابن العميد والصابي وغيرهم فان ادعيت أن هؤلاء تعلموا ذلك من كتب علماء اليونان قلت لك في الجواب هذا باطل بي أنا فاني لم أعلم شيأ مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ومع هذا فانظر الى كلامي فقد أوردت لك بعضه منه في هذا الكتاب واذا وقفت على رسائلي ومكاتباتي وهي عدة مجلدات وعرفت أني لم أتعرض لشيء مما ذكره حكماء اليونان في حصر المعاني علمت حينئذ أن صاحب هذا العلم من النظم والنثر بنجوة من ذلك كله وأنه لا يحتاج اليه أبدا وفي كتابي هذا ما يغنيك وهو كاف (ولقد وأوصى بعض المتصلفين في هذا) وانساق الكلام الى شيء ذكره لأبي علي بن سينا في الخطابة والشعر وذكر ضربا من ضروب الشعر اليوناني يسمى اللاغوذيا وقام فأحضر كتاب الشفاء لأبي علي ووقفني على ما ذكره فلما وقفت عليه استجهلته فانه طول فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان وكل الذي ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيأ ثم مع هذا جميعه فان مدول القوم فيما يذكر من الكلام الخطابي أنه يرد على مقدمتين ونتيجة وهذا ما لم يخطر لأبي علي بن سينا بال فيما صاغه من شعر أو كلام مسجوع فان له شيأ من ذلك في كلامه وعند افاضته في صوغ ما صاغه لم تخطر المقدمتان والنتيجة له ببال ولو أنه أفكر أولا في المقدمتين والنتيجة ثم أتى بنظم أو نثر بعد ذلك لما أتى بشيء ينتفع به وأطال الخطب عليه بل أقول شيأ آخر وهو أن اليونان أنفسهم لما نظموا ما نظموه من أشعارهم لم ينظموه في وقت نظمه وعندهم فكرة في مقدمتين ولا نتيجة وانما هذه أوضاع توضع ويطول بها مصنفات كتبهم في الخطابة والشعر وهي كما يقال تعاقع ليس لها طائل كأنها شعر الابيوردي ❊ وحيث أوردت هذه المقدمة قبل الخوض في تقسيم المعاني فاني راجع الى شرح ما أجملته فأقول ﴿أما القسم الاول﴾ فان المعاني فيه على ضربين أحدهما ما يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدي فيه بمن سبقه وهذا الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ويتنبه له عند الامور الطارئة والشعر

﴿باب دخول ألف الاستفهام على ألف القطع﴾

اذا دخلت ألف الاستفهام على ألف القطع وكانت ألف القطع مفتوحة نحو قول الله تعالى أأنت قلت أأنذرتهم أم لم تنذرهم فان شئت أثبت الهمزتين معا في اللفظ وان شئت همزت الاولى ومددت الثانية فأما في الكتاب فان بعض الكتاب يثبتهما معا ليدل على الاستفهام ألا ترى انك لو كتبت أنت قلت للناس أنذرتهم لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق وبعضهم يقتصر على واحدة استثقالا لاجتماع ألفين فاذا كانت ألف القطع مضمومة ودخلت عليها ألف الاستفهام نحو قولك أؤكرمك أؤعطيك أؤنبئكم بخير من ذلكم قلبت ألف القطع في الكتاب واوا وعلى ذلك كتاب المصحف وان شئت كتبت ذلك بألفين على مذهب التحقيق وهو أعجب الي واذا كانت ألف القطع مكسورة ودخلت عليها ألف الاستفهام نحو قولك أئنك ذاهب أئذا جئت أئكرمتني قلبت ألف القطع ياء وعلى ذلك كتاب المصحف وان شئت كتبت ذلك بألفين على مذهب التحقيق وهو أعجب الي ومن كان من لغته أن يحدث بين الالفين مدة مثل قول ذي الرمة

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا آأنت أم أم سالم

ويروى جلاجل فلابد من اثبات ألفين لانهم ثلاث ألفات في الحقيقة فتحذف واحدة استثقالا لاجتماع ثلاث ألفات ولا يجوز

في هذا الموضع الى نبذة لتكون مثالا للمتوشح لهذه الصناعة (فمن ذلك) ما ورد في شعر أبي تمام في وصف مصلبين

بكروا وأسروا في متون ضوامر * قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رآهم خالهم * أبدا على سفر من الاسفار

وهذا المعنى مما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة والخاطر في مثل هذا المقام ينساق الى المعنى المخترع من غير كبير كلفة لشاهد الحال الحاضرة (وكذلك) قال في هذه القصيدة في صفة من احرق بالنار

ما زال سر الكفر بين ضلوعه * حتى اصطلى سر الزناد الوارى
نارا يساور جسمه من حرها * لهب كما عصفرت شق ازار
طارت لها شعل يهدم لفحها * أركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقرة بكل فقار
مشبوبة رفعت لاعظم مشرك * ما كان يرفع ضوأها للسارى
صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

وهذا مما يعين على استخراج المعاني فيه شاهد الحال (وقد ذيل البحتري) على ما ذكره أبو تمام في وصف المصلبين فقال

كم عزيز أباده فقصدا ركب عود امرئ كباقى عود
أسلمته الى الرقاد رجال * لم يكونوا عن وترهم برقود
تحسد الطير فيه صنع البوادي * وهو في غير حالة المحسود
غاب عن صحبه فلا هو موجود لديهم وليس بالمفقود
وكان امتداد كفيه فوق الجذع في محفل الردى المشهود
طائر مقصر يعاجناحيه * استراحات متعب مكدود
أو خطيب الناس راكبا فاذا أرجل خاطبت منه عين البليد

وهذه أبيات حسنة قد استوعبت أقسام هذا المعنى المقصود الا أن فيها معنى مأخوذا من شعر مسلم بن الوليد الانصاري وهو قوله

نصبته حيث ترتاب الرياح به * وتحسد الطير فيه أضبع البيد

لكن البحتري زاد في ذلك زيادة حسنة وهي قوله وهو في غير حالة المحسود (ومن هذا الضرب) ما جاء في شعر أبي الطيب المتنبي في وصفه الحمى وهو قوله

وزائرتي كأن بها حياء * فليس تزور الا في الظلام
بذلت لها المطارف والحشايا * فعافتها وباتت في عظامي
كأن الصبح يطردها فتجري * مدامعها بأربعة سجام
أراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام

وقد شرح أبو الطيب بهذه الابيات حاله مع الحمى (ومن بديع ما أتى به في هذا الموضع) أن سيف الدولة بن حمدان كان مخيما بأرض ديار بكر على مدينة ميافارقين فعصفت الريح بخيمته فتطير الناس لذلك وقالوا فيه أقوالا فمدحه أبو الطيب بقصيدة يعتذر فيها عن سقوط الخيمة أولها أينفع في الخيمة العذل * فمنه ما أحسن فيه كل الاحسان وهو قوله

تضيق بشخصك أرجاؤها * ويركض في الواحد الجحفل
وتقصر ما كنت في جوفها * وتركز فيها القنا الذبل

أن تحذف اثنتين فتصل بالحرف

﴿باب ألف الفصل﴾

ألف الفصل تزاد بعد واو الجمع مخافة التباسها بواو النسق في مثل وردوا وكفروا ألا ترى انهم لو لم يدخلوا الالف بعد الواو ثم اتصلت بكلام بعدها ظن القارئ انها كفر وورد وفعل فميزت الواو لما قبلها بألف الفصل ولما فعلوا ذلك في الافعال التي تنقطع واوها من الحرف قبلها نحو ساروا وجاؤا فعلوا ذلك في الافعال التي تتصل واوها بالحرف قبلها نحو كانوا وبانوا ليكون حكم هذه الواو في كل موضع حكما واحدا وتزاد ألف الفصل أيضا بعد الواو في مثل دفروا ويدعوا وليسموا وجيء ورأى بعض كتاب زماننا هذا لا يلحق بها الالف في مثل هذه الحروف فكتبوا هو يرجو بلا ألف وأنا أدعو وكذلك اذا لم تكن واو جمع وذلك لان العلة التي أدخلت لها هذه الالف في الجمع لا تلزم في هذا الموضع ألا ترى انك اذا كتبت الفعل الذي تتصل واوه به مثل أنا أرجو وأنا أدعو لم تشبه واوه واو النسق لاتصالها بالفعل واذا كتبت الفعل الذي تنفصل واوه منه مثل أنا أذرو التراب وأسرو الثوب أي أنزعه لم تشبه واوه واو النسق الا بأن تزيل الحرف عن معناه لان الواو من نفس الفعل لا تفارقه الا في حال جزمه والواو في كفروا ووردوا واو جمع والفعل مكتف بنفسه يمكن أن يجعل للواحد وتتوهم الواو ناسقة لشيء عليه وقد ذهبوا

وكيف تقوم على راحة * كأن البحار لها أنمل
فليت وقارك فرقته * وحملت أرضك ما تحمل
فصار الانام به سادة * وسدتهم بالذى يفضل
رأت لون نورك فى لونها * كلون الغزالة لا يغسل
وأن لها شرفا باذخا * وأن الخيام بها تخجل
فلا تنكرن لها صرعة * فمن فرح النفس ما يقتل
ولو بلغ الناس ما بلغت * لخانتهم حولك الارجل
ولما أمرت بتطنيبها * أشيع بأنك لا ترحل
فما اعتمد الله تقويضها * ولكن أشار بما تفعل
وعرّف أنك من همه * وأنك فى نصره ترفل
فما العاندون وما أثلوا * وما الحاسدون وما قولوا
هم يطلبون فمن أدركوا * وهم يكذبون فمن يقبل
وهم يتمنون ما يشتهون * ومن دونه جدك المقبل

هذه الابيات قد اشتملت على معان بديعة وكفى المتنبى فضلا أن يأتى بمثلها وهذا مقام يظهر فى مثله براعة الناظم والناثر (وقرأت فى كتاب الروضة) لابى العباس المبرد وهو كتاب جمعه واختار فيه أشعار شعراء بدأ فيه بأبى نواس ثم بمن كان فى زمانه وانتصب على ذيله فقال فيما أورده من شعره وله معنى لم يسبق اليه باجماع وهو قوله

تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها * مها تدريها بالقسى الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

وقد أكثر العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه انه معنى مبتدع (ويحكى عن الجاحظ) أنه قال مازال الشعراء يتناقلون المعنى قديما وحديثا الا هذا المعنى فان أبا نواس انفرد بابداعه وما أعلم أنا ما أقول لها ولا بى سوى أن أقول قد تجاوزتهم حد الاكثار ومن الامثال السائرة بدون هذا أباع الجار وفصاحة هذا الشعر عندى هى الموصوفة لا هذا المعنى فانه لا كبير كلفة فيه لان أبا نواس رأى كأسا من الذهب ذات تصاوير فحكاها فى شعره والذى عندى فى هذا أنه من المعانى المشاهدة فان هذه الخمر تحمل الاماء يسيرا وكانت تستغرق صور هذا الكأس الى مكان جيوبها وكان الماء فيها قليلا بقدر القلانس التى على رؤسها وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر وكذلك ورد قوله فى الخمر أيضا

يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم تنم
فاسقنى الخمر التى اختمرت * بخمار الشيب فى الرحم

وهذا معنى مخترع لم يسبق اليه وهو دقيق يكاد لدقته أن يلحق بالمعانى التى تستخرج من غير شاهد حال متصور (وبلغنى) أنه اختلف فى هذا المعنى بحضرة الرشيد هرون رحمه الله فقيل انه يريد بخمار الشيب فى الرحم أن الخمر تكون فى جوانبها ذات زبد أبيض على وجهها فقال الاصمعى ان أبا نواس ألطف خاطرا من هذا وأشد غوصا فاسألوه فأحضر وسئل فقال ان الكرم أول ما يجرى فيه الماء يخرج شبيها بالقطنة وهى أصل العنقود فقال الاصمعى ألم أقل لكم ان الرجل ألطف خاطرا وأشد غوصا وقد جاء لابن حمديس الصقلى فى الهلال لآخر الشهر ما لم يأت

مذهبا غيران متقدمى الكتاب لم يزالوا على ما أنبأتك من الحاق ألف الفصل بهذه الواوات كلها ليكون الحكم فى كل موضع واحدا

﴿باب الالفين يجتمعان فيقتصر على احداهما والثلاث يجتمعن فيقتصر على اثنتين﴾

تكتب بابراهيم وباسحق وبايوب وباباتا بألف واحدة وتحذف واحدة لان فيما بقى دليلا على ما ذهب وتكتب آدم وآخر وآب وآمر بألف واحدة وتحذف واحدة لان فيما بقى دليلا على ما ذهب وكذلك الفعل نحو آمن وآزر فلان فلانا وتكتب ما آبا وما أشبه ذلك بألف واحدة وتحذف واحدة وتكتب براءة ومساءة وبجفاءة بألف واحدة وتحذف واحدة فاذا جمعت كتبت براآت ومساآت وبداآت تلك وبداآت حواشيك بالفين لانها فى الجمع ثلاث ألفات فلو حذفوا اثنتين أخلوا بالحرف وتقدير الحرف من الفعل فعالات وواحده فعالة وتقول للاثنين قرآ وملآ فتكتبه بألفين ليفرق بالالف الثانية بين فعل الواحد وفعل الاثنين وكان الكتاب يكتبون ذلك فيما تقدم بألف واحدة والالفان أجود مخافة الالتباس فاذا نصبت الحرف الممدود نحو قبضت عطاء ولبست كساء وشربت ماء وجزيتك جزاء فالقياس ان تكتبه بالفين لان فيه ثلاث ألفات الاولى والهمزة والثانية وهى التى تبدل من التنوين فى

بغيره وهو من الحسن واللطافة فى الغاية القصوى وذلك قوله

كأنما أدهم الظلماء حين نجا * من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وهذا حكاية حال مشاهدة بالبصر الا أنه أبدع فى التشبيه وأمثال هذا كثيرة فى أقوال المجيدين من الشعراء (وجملة الامر فى ذلك) أن الشاعر أو الكاتب ينظر الى الحال الحاضرة ثم يستنبط لها ما يناسبها من المعانى كما فعل النابغة فى مدح النعمان وقد أتاه وفد من الوفود فمات رجل منهم قبل أن يوفدهم فلما وفدهم جعل عطاء ذلك الميت على قبره حتى جاء أهله وأخذوه فقال النابغة فى ذلك

حبا شقيق فوق أحجار قبره * وما كان يحبى قبله قبر وافد

وهذا بيت من جملة أبيات فانظر كيف فعل النابغة فى هذا المعنى (وكذلك) ورد قول أخت جساس زوجة كليب فانه لما قتل جساس كليبا اجتمع النساء اليها وندبنه فتحدث بعضهن الى بعض وقلن هذه ليست نا كلة وانما هى شامتة فان أخاها هو القاتل فنم ذلك اليها فقالت

يا ابنة الاقوام ان شئت فلا * تعجلى باللوم حتى تسألى
فاذا أنت تبينت الذى * يوجب اللوم فلومى واعذلى
ان أخت الامرئ ابعت على * شفق منها عليه فافعلى
جل عندى فعل جساس فوا * حسرتا عما انجلت أو تنجلى
فعل جساس على وجدى به * قاطع ظهرى ومدن أجلى
لو بعين فقئت عين سوى * أختها فانفقأت لم أحفل
ياقتيلا قوض الدهر به * سقف بيتى جميعا من عل
هدم البيت الذى استحدثته * وانثنى فى هدم بيتى الاول
يشتفى المدرك بالثار وفى * دركى ثارى ثكل مثكلى
انــنى قاتـــلة مقتولة * ولعل الله أن يرتاح لى

وهذه الابيات لو نطق بها الفحول المعدودون من الشعراء لاستعظمت فكيف امرأة وهى حزينة فى شرح تلك الحال المشار اليها (واعلم) أنه قد يستخرج من المعنى الذى ليس بمبتدع معنى مبتدع فمن ذلك قول الشاعر المعروف بابن السراج فى الفهد

تنافس الليل فيه والنهار معا * فقمصاه بجلباب من المقل

وليس هذا من المعانى الغريبة ولكنه تشبيه حسن واقع فى موقعه وقد جاء بعده شاعر من أهل الموصل يقال له ابن مسهر فاستخرج من هذا البيت معنى غريبا فقال

ونقطته حباء كى يسالمها * على المنايا نماج الرمل بالحدق

وهذا معنى غريب لم أسمع بمثله فى مقصده الذى قصد من أجله وقليلا ما يقع فى هذا الكلام المنظوم والمنثور وهو موضع ينبغى أن توضع اليد عليه ويتنبه له وكذلك فلتكن سياقة ما جرى هذا المجرى (وقد جاء فى شىء من ذلك) فى الكلام المنثور (فمن ذلك) ما ذكرته فى وصف نساء حسان وهو أقبلت ربائب الكناس فى مخضر اللباس فقيل انما تخترن الخضرة من الالوان ليصح تشبيههن بالاغصان وهذا معنى غريب وربما يكون قد سبقت اليه الا أنه لم يبلغنى بل ابتدعته ابتداعا (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب يتضمن منازلة بلد فذكرت القتال بالمنجنيق وهو فنزلنا بأرى منه ومسمع واستدرنا به استدارة الخاتم بالاصبع ونصبت المنجنيقات فأنشأت سحابة صعبة القياد مختصة بالزبادون الوهاد فلم تزل تقذف

الوقف فتحذف واحدة وتثبت اثنتين والكتاب يكتبونه بالف واحدة ويدعون القياس على مذهب حمزة فى الوقف عليها واذا كان الحرف مهموزا مثل قولك أخطأت خطأ كثيرا ولو يجدون ملجأ كتبته بالف واحدة لانه فى الاصل بالمين فتحذف واحدة وتبقى واحدة على القياس وتكتب هاأنتم وهاأنت وهاأنا بألف واحدة وتحذف واحدة

﴿باب حذف الالفات من الاسماء واثباتها﴾

تحذف الالف من الاسماء الاعجمية نحو ابرهيم واسمعيل واسرئيل استثقالا لها كما تترك صرفها وكذلك سليمن وهرون وسائر الاسماء المستعملة فأما ما لا يستعمل من الاعجمية ولا يسمى به كثيرا نحو قارون وطالوت وجالوت وهاروت وماروت فلا تحذف الالف فى شئ من ذلك الا داود فانه لا تحذف ألفه وان كان مستعملا لان الالف لو حذفت وقد حذفت منه احدى الواوين لاختل الحرف وما كان على فاعل مثل صالح وخالد ومالك فان حذف الالف منه حسن واثباتها احسن واذا جاء بها أسماء ليس يكثر استعمالها نحو جابر وحاتم وحامد وسالم فلا يجوز حذف الالف فى شئ منها وكل اسم منها يستعمل كثيرا ويجوز ادخال الالف واللام فيه نحو الحرث فانه تكتبه مع اثبات الالف واللام بغير ألف فاذا حذفت الالف واللام أثبت الالف فتكتب حارث

السور بوبل من جلودها وتغبوه برعودها قبل بروقها وبروق السحب قبل رعودها حتى غادرت الحزن منه سهلا والعامر بلقعا الخلى وفى هذا معنيان غريبان أحدهما أن هذه السحب تخص الربا دون الوهاد والآخر أن رعوده قبل بروقها وكل ذلك يشطبه بالمشاهدة (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب فقلت اذا تخنق المرء بخنق البأس وانسدى لم يعف عرضه دنسا كما أن الماء اذا بلغ قلتين لم يحمل نجسا وهذا المعنى مبتدع لى وهو مستخرج من الحديث النبوى فى قوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا (ومن ذلك) ما ذكرته فى وصف مفازة فقلت مفازة لا توطأ بأجفان ساهر ولا تقتنص بالقصام غابر ولولا مسير الهلال من فوقها لما عرفت مثال حافر (ومن ذلك) ما ذكرته فى كتاب أصف فيه نزول العدو على حصار بلد من بلاد المكتوب عنه وكان ذلك فى زمن الشتاء فسقط على العدو ثلج كثير صار به محصورا فقلت وقد عاجله قتال البروق قبل البوارق وأحاط به الثلج فصار خنادق تحول بينه وبين الخنادق والشتاء قد اق عسكره من البرد بعسكره والسماء قد قابلته بأغبر وجهها لا بأخضره والارض كأنها قرصة النقى وعسى أن تكون أرض محشره والمعنى المخترع من هذا الكلام قولى والارض كأنها قرصة النقى وعسى أن تكون أرض محشره وهو مستخرج من الحديث النبوى فى قوله صلى الله عليه وسلم انكم تحشرون على أرض بيضاء كقرصة النقى يريد الخبزة البيضاء ولما كان الثلج على الارض مماثلا لذلك ومشابها له استنبطت أنا له هذا المعنى المخترع فجاء كما تراه وهو من المعانى التى يدل عليها شاهد الحال (وأحسن من هذا كله) ما كتبته فى فصل من كتاب الى ديوان الخلافة ببغداد فقلت ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهى خير دولة أخرجت للزمن كما أن رعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنها لا تهرم وأنها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالحب الذى لا يسلى والوصل الذى لا يصرم وهذا معنى استنبطه الخادم للدولة وشعارها وهو مما لم تخط به الاقلام فى خطها ولا أجالته الخواطر فى أفكارها وغرابة هذا المعنى ظاهرة ولم يأت بها أحد قبلى (وبلغنى) من المعانى المخترعة أن عبد الملك بن مروان بنى بابا من أبواب المسجد الاقصى بالبيت المقدس وبنى الحجاج بابا الى جانبه فجاءت صاعقة فأحرقت الباب الذى بناه عبد الملك فتطير لذلك وشق عليه فبلغ ذلك الحجاج فكتب اليه كتابا بلغنى كذا وكذا فيهون أمير المؤمنين أن الله تقبل منه وما مثلى ومثله الا كابنى آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فلما وقف عبد الملك على كتابه سرى عنه وهذا معنى غريب استخرجه الحجاج من القرآن الكريم وهو من المعانى المناسبة لما ذكرته فيه ويكفى الحجاج من فطانة الفكرة أن يكون عنده استعداد لاستخراج مثل ذلك (وأما المعانى) التى تستخرج من غير شاهد حال متصورة فانها أصعب من الاعما يستخرج بشاهد الحال ولامر ما كان لابكارها سر لا يهجم على مكامنه الاجنان الشهم ولا يفوز بمحاسنه الا من دق فهمه حتى جل عن دقة الفهم والهجوم على عذارى المعانى المحجبة بحجب البواتر أيسر من الهجوم على عذارى المعانى المحجبة بحجب الخواطر وما ذلك مما يرقيه البك الاستاذ وليس يقوم به الا المفضولا أقول الافذاذ وأين الذى ينشئ فيحسن فيه الانشاء ويبرز فيها صورا يركبها كيف يشاء ومن نظر الى هذا الموضع حق النظر واحتذيه بالمحذو دون الاثر علم أنه مقام يزلق بمعارف الافهام فكيف بمواقف الاقدام وليست المعانى فيه الا كالارواح والالفاظ الا كالاجسام فمن شاء أن يخلق خلقا من الكلام فليأت به على صورة الناس لا على صورة الانعام فان

من

قال ذلك وقال بعض أصحاب الاعراب انهم كتبوا بالالف عند حذف الالف واللام لثلا يشبه حرب فيلتبس به ثم أدخلوا الالف واللام فحذفوا الالف حين أمنوا اللبس لانهم لا يقولون الحرب وهو اسم رجل وأما ما كان مثل عثمان ومروان وسفيان فاثبات الالف حسن والحذف حسن اذا كثر ومن ذلك ما لم تحذف ألفه وهو مستعمل مثل عمران وكتبوا الرحمن بغير ألف حين أثبتوا الالف واللام واذا حذفت الالف واللام فاحب الى أن تعيدوا الالف فيكتبوا رحمان الدنيا والآخرة وأما شيطان ودهقان فاثبات الالف فيهما حسن وكان القياس ان يكتب وهما اذا دخلت الالف واللام فيهما بغير ألف الا ان الكتاب مجمعون على ترك القياس والسلام عليكم وعبد السلام بغير ألف

﴿باب حذف الالف من الاسماء فى الجميع﴾

الخاسرون والشاكرون والصادقون والكافرون والظالمون والفاسقون وما أشبه ذلك مما يكثر استعماله ان حذفت منه الالف فحسن وان أثبت الالف فيه فحسن وأما ما كان من بنات الواو والياء فليس يجوز فيه الا اثبات الالف نحو هم الغاضون والرامون والساعون وذلك انهم حذفوا الياء لالتقاء الساكنين لما استثقلوا ضمة فى الياء بعد كسرة فسكنوا ثم حذفوا الياء فكرهوا ان يحذفوا الالف

من القول الثانية التي هي أحسن من الثانية ومنه الهجمة التي لا تشبه الا بالسانية (فمما جاء في هذا الباب) قول أبي نواس

شرابك في السراب اذا عطشنا * وخبزك عند منقطع التراب
وما روحتنا لتذب عنا * ولكن خفت مرزية الذباب

فالبيت الثاني من هذين البيتين هو المشار اليه بانه معنى مبتدع ويحكى عن الرشيد هرون رحمه الله أنه قال لم يهج بادولا حاضر بمثل هذا الهجاء (ومن هذا الباب) قول مسلم بن الوليد

تنال بالرفق ما تعيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتي على مهل

(ومن هذا الباب) قول على بن جبلة

تكفل ساكن الدنيا حميد * فقد أضحت له الدنيا عيالا
كأن أباه آدم كان أوصى * اليه أن يعولهم فعالا

وهذا معنى دندن حوله الشعراء وفاز على بن جبلة بالافصاح عنه وقد قيل ان أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين ابتداعا للمعاني وقد عددت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين معنى وأهل هذه الصناعة يكبرون ذلك وما هذا من مثل أبي تمام بكبير فاني أنا عددت معاني المبتدعة التي وردت في مكاتباتي فوجدتها أكثر من هذه العدة وهي مما لا أنازع فيه ولا أدافع عنه فاما ما ورد لابي تمام في ذلك قوله

يا أيها الملك النائي برؤيته * وجوده لمراعي جوده كثب
ليس الحجاب بمقص عنك لي أملا * ان السماء ترجى حين تحتجب

وكذلك قوله

رأينا الجود فيك وما عرضنا * لنحظى منه ببعد ولا دنو
ولكن دارة القمر استتمت * فدلتنا على مطر قريب

وكذلك قوله في الهجاء

وأنت تدير قطب رحا عليا * ولم ير للرحا العليا قطب
ترى قطرا بكل صراع قرن * اذا ما كنت أسفل منه جنبا

وكذلك قوله

واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وكذلك قوله

لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس

وكذلك قوله

لا تنكري عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالي

وكذلك قوله في الشيب

شعلة في المفارق استودعتني * في صميم الفؤاد ثكلا صميما
يستثير الهموم ما اكتن منها * صعدا وهي تستثير الهموما

فالبيت الثاني من المعاني المخترعة وقد تفقه فيه فجعله مسئلة من مسائل الدور وهذا من اغراب أبي تمام المعروف وهذا القدر كاف من جملة معانيه فانا لم نستقصها ههنا ومن هذا الباب قول ابن الرومي

كل امرئ مدح امرأ لنواله * وأطال فيه فقد أساء هجاءه
لو لم يقدر ثم بعد المستقى * عند الورود لما أطال رشاءه

وكذلك قوله

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب

أيضا فيصفوا الحرف وكذلك المضاعف نحو العادين والرادين ليس يجوز فيه الا اثبات الالف للادغام وذهاب احدى الدالين في الكتاب وحذفوا الالف من السموات لمكان الالف الباقية فيها وهو أجود فأما المسلمات والصالحات فاثبات الالف في المسلمات أجود من حذفها وحذف الالف من الصالحات أحسن من اثباتها لانه لا ألف في المسلمات الا التي تحذف وفي الصالحات ألف غير المحذوفة والدهاقين والدكاكين والدنانير والتماثيل والمحاريب والمصابيح اثبات الالف فيها كلها أجود وأحسن وكل جماعة ليس بينها وبين واحدها الا الالف فلا يجوز حذف الالف لئلا يشبه الجميع الواحد نحو مساكين لا يجوز ان تحذف الالف فيظن انه مسكين وكذلك مساجد ودراهم اذا كانت في موضع لا يقع فيه الواحد كتبت بغير ألف فان كانت في موضع يجوز ان يتوهم فيه الواحد أثبت الالف (والاثنة) اثبات الالف فيها حسن وحذفها حسن وهي مكتوبة في المصحف بغير ألف وثلاثة وثلاثون بغير ألف وثمانية بغير ألف وثمانون أثبت بعضهم الالف لما حذف الياء وحذفها بعضهم وثماني عشرة بألف وغير ألف ان جاءت فيها الياء حذفت الالف وان حذفت الياء منها أثبت الالف قال الاعشى

ولقد شربت ثمانيا وثمانيا
وثمان عشرة واثنتين وأربعا

وثمان اذا كتبتها مفردة بغير

فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب

وكذلك قوله

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

ولا فما يبكيه منها وانه * لأوسع مما كان فيه وأرغد

اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما هو لاق من أذاها يهدد

وكذلك قوله

رددت على مدحى بعد مطل * وقد دنست ملبسه الجديدا

وقلت امدح به من شئت غيرى * ومن ذا يقبل المدح الرديدا

وهل للحى في أكفان ميت * لبوس بعد ما امتلأت صديدا

وقد ورد لابى الطيب المتنبي من ذلك كقوله

أجزنى اذا أنشدت مدحا فانما * بشعرى أتاك المادحون مرددا

ودع كل صوت بعد صوتى فاننى * أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

فالبيت الاول قد توارد على معناه الشعراء قديما وحديثا لكن البيت الثانى فى التمثيل الذى مثله ليس لاحد الا له وكذلك قوله

تجر سيوفك أغمادها * تمنى الطلى أن يكون الغمودا

الى الهام تصدر عن مثله * ترى صدرا عن ورود ورودا

وكذلك قوله فى بدر بن عمار يهنيه ببرئه من مرض

قصدت من شرقها ومغربها * حتى اشتكتك الركاب والسبل

لم تبق الا قليل عافية * قد وفدت تجتديكها العلل

وقد وقفت على ماشاء الله من أشعار الفحول من الشعراء قديما وحديثا فلم أجد لاحد منهم فى ذكر المرض ما يه تدمعنى مخترعا لا بل لم أجد من أتو الهم شيأ مرضيا ماعدا المتنبي فانه ذكر المرض فى عدة مواضع من شعره فأجاد وهذا البيت الثانى من هذين البيتين معنى مخترع له وقد أحسن فيه كل الاحسان (ومما ابتدعه) بابجاع قوله فى مدح عضد الدولة فى قصيدته النونية التى مطلعها * مغانى الشعب طيبا فى المغانى * فقال عند ذكره

فعاشا عيشة القمرين يحيا * بضوئهما ولا يتحاسدان

ولا ملكا سوى ملك الاعادى * ولا ورثا سوى من يقتلان

وكان ابنا عدو كاثراه * له ياءى حروف أنيسيان

أى جعل الله ابنى عدو كاثراه بهما ابنى عضد الدولة كياءى حروف تصغير انسان فان ذلك زيادة وهو نقص فى المقدار الا أن سبك هذا البيت قد شوهه وأذهب طلاوة المعنى المندرج تحته (ومن معانيه) المبتدعة قوله

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

وأحسن من ذلك قوله

صدمتهم بخميس أنت غرته * وسمهريته فى وجهه غمم

فكان أثبت ما فيهم جسومهم * يسقطن حولك والارواح تنهزم

وهذا من أعاجيب أبى الطيب التى برز فيها على الشعراء (ومن الاحسان) فى هذا الباب قول بعضهم وقد أشق الحجاب الصعب مأذنه * دونى وآبى ولو جانبه ان طرقا

كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحا * وليس يدخله الا اذا انطبقا

ورأيت ابن حمدون البغدادى صاحب كتاب التذكرة قد أورد هاتين البيتين فى كتابه وقال

قد

مضافة أثبت فيها الالف وحذفت الياء واذا أضفتها أثبت الياء وحذفت الالف فتكتب ثمنى ليال وثمنى نسوة

﴿باب ما اذا اتصلت﴾

تقول أدع بم شئت وسل عم اشئت وخذه بم شئت وكن فيم شئت اذا أردت سل عن أى شئ شئت نقصت الالف وان أردت سل عن الذى أحببت وخذه بالذى أحببت أتممت الالف فقلت أدع بما بدالك وسل عما أحببت وخذه بما أردت كل هذا تتم فيه الالف الا شئت خاصة فان العرب تنقص الالف منها خاصة فتقول أدع بما شئت فى المعنيين جميعا واعلم ان الحرف يتصل بما اتصالا لا يتصل بغيرها تقول اذا استفهمت فيم ضربت فتنقص الالف فاذا كانت فى غير الاستفهام أتممت فتقول جئت فيما سألتك وتقول كل ما كان منك حسن وان كل ما تأتيه جميل لانه يجوز ان يقال فيه كل الذى كان منك حسن فتقطعها لانها فى موضع اسم فاذا لم تكن موضع اسم وصلتها فتقول كلما جئتنى بررتنى وكلما سألتك أخبرتنى وتكتب انما فعلت كذا وانما كلمت أخاك وانما أنا أخوك فتصل فاذا كانت فى موضع اسم قطعت فكتبت ان ما عندك أحب الى ان ما جئت به قبيح وقد كتبت فى المصحف وهى اسم مقطوعة وموصولة كتبوا ان ما توعدون لآت مقطوعة وكتبوا انما صنعوا كيد ساحر موصولة وكلاهما بمعنى الاسم وأحب الى ان تفرق بين الاسم والصلة بان

فقد أغرب هذا الشاعر ولكنه خلط وجرى على عادة الشعراء لان الطيف لا يدخل الجفن وانما يتخيل الى النفس وهذا كلام من لم يطعم من شجرة الفصاحة والبلاغة وليس مثله عندي الا كما يحكى عن ملك الروم اذ انشد عنده بيت المتنبي الذي هو

كأن العيس كانت فوق جفني * مناخاة فلما ثرن سالا

فسأل عن المعنى ففسر له فقال ما سمعت باكذب من هذا الشاعر أرأيت من أناخ الجمل على عينه لا يهلكه (ومن محاسن هذا القسم) قول بعضهم

تخيره الله من آدم * فما زال مصعدا يرتقي

﴿وكذلك قول الآخر﴾

بأبي غزال غازلته مقلتي * بين الغوير وبين شطي بارق

عاطيته والليل يسحب ذيله * صهباء كالمسك الفتيق لناشق

وضممته ضم الكمي لسيفه * وذؤابتاه حمائل في عاتقي

حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي

أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

وهذا من الحسن والملاحة بالمكان الاقصى ولقد خفت معانيه على القلوب حتى كادت ترقص رقصا والبيت الاخير منه هو الموصوف بالابداع وبه وبأمثاله أقرت الابصار بفضل الاسماع (ومن هذا الضرب) قول بعض المصريين يهجو انسانا يقال له ابن طليل احترقت داره

انظر الى الايام كيف تسوقنا * طوعا الى الاقرار بالاقدار

ما أوقد ابن طليل قط بداره * نارا وكان هلاكها بالنار

وكذلك ورد قول ابن ة لاقس من شعراء مصر

زدرفـــة ان قيل أنشغني وانخفض ان قيل أثري

كالغصن يدنو ما اكتسي * ثمرا وينأى ما تعري

وهذا من المعاني الدقيقة (ومن هذا الاسلوب) قول الشاعر المعروف بالحافظ في تشبيه البهار وهو

عيون تبرك أنما سرقت * سواد أحداقها من الغسق

فان دجا ليلها بظلمته * ضممن من خوفها على السرق

وهذا تشبيه بديع لم يسمع بمثله وهو من اللطافة على ما لا خفاء به (ومن هذا القسم) قول بعض المتأخرين من أهل زماننا

لا تضع من عظيم قدر وان كنـ * ـت مشارا اليه بالتعظيم

فالشريف العظيم ينقص قدرا * بالتعدي على الشريف العظيم

ولع الخمر بالعقول رمى الخمـ * ـر بتنجيسها وبالتحريم

(ومن غريب ما سمعته في هذا الباب) قول بعض الشعراء المغاربة يرثي قتيلا

غدرت به زرق الاسنة بعدما * قد كن طوع يمينه وشماله

فليحذر البدر المنير نجومه * اذ بان غدر مثالها بمثاله

وكذلك جاء قول بعض المغاربة في الخمر وكاساتها

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وهذا معنى مبتدع أشهد أنه يفعل بالعقول فعل الخمر سكرا ويروق كما رقت لطفا ويفوح كما

تقطع الاسم وتصل الصلة ومع ما اذا كانت بمعنى الاسم فهي مقطوعة (واذا كانت ما) صلة فهي موصولة وتكتب أينما كنت فافعل كذا وأينما تكونوا يدرككم الموت ونحن أتيك أينما تكون موصولة لانها في هذا الموضع صلة وصلت بها أين ولانه قد حدث باتصالها معنى لم يكن في أين قبل ألا ترى أنك تقول أين تكون تكون فترفع فاذا أدخلت ما على أين قلت أينما تكن تكن فتجزم واذا كانت ما في موضع اسم مع أين فصلت فقلت أين ما كنت تعدنا أين ما كنت تقول وتكتب أيما الرجلين لقيت فأكرم وأيما الاجلين قضيت فلا عدوان على متصلة لانها صلة ألا ترى انك تقول أي الرجلين لقيت فأكرم وأي الاجلين قضيت فلا عدوان علي وتكتب أي ما عندك أفضل أي ما تراه أوفق فتقطع لانها في موضع اسم (وأما حيثما) فتكتب موصولة وكتبها بعضهم مفصولة وذلك خطأ لان حيث اذا انفردت فهي بمعنى مكان وترفع الفعل اذا وليها تقول حيث يكون عبد الله أكون فاذا زيد فيها ما تغيرت وصارت بمعنى أين وجزمت الفعل تقول حيثما تكن أكن فدخول ما عليها يغير معناها فكأنها وما حرف واحد وعلى ان ما معها لا تكون أبدا في موضع اسم كما كانت مع أين وغيرها في موضع اسم فيجوز فيها ما جاز في غيرها من الفصل (ونعما) ان شئت وصلت وان شئت فصلت وأحب الي ان تصل للادغام

فاحت نشرا وكذلك الورد قول ابن حمديس الصقلي

يا ساقيا بالبقر الحمراء جاءنا له ✽ ألبستني الحزن ثوب سمله

أضرمت في قلبي بشرارة ✽ وقمت بحقك فأطفأت من مائه

وهذا المعنى دقيق جدا (وقد سمعت في الحال) ماشاء الله أن أسمع فلم أجد مثل هذا وقد جاءني في الكلام المنثور من هذا الضرب شيء وسأذكره هنا منه نبذة (فمن ذلك) ما ذكرته في وصف صورة مليحة فقلت ألبس من الحسن أنضر لباس وخلق من طينة غير طينة الناس وكلما زاد حسنا فكذلك ازداد طيبا واتفقت فيه الاهواء حتى صار الى كل قلب حبيبا فلو صافح أورد لتعطرت أوراقه أو مر على النيلوفر لما انقبضت أحداقه (والمعنى) الغريب ههنا أن الشمس اذا طلعت على النيلوفر تفتح أوراقه واذا غربت عنه انضم ثم اني سمعت هذا في شعر الفرس لبعض شعرائهم فحصل عندي منه تعجب (ومن ذلك) ما ذكرته في ذم الشيب فقلت الشيب اعدام للابصار وظلام للانوار وهو الموت الاول الذي يصلي نارا من الهم أشد وقودا من النار والئن قال قوم انه جلالة فانهم دفوا به وما جلوا وأفتوا في وصفه بغير علم فضلوا وأضلوا وما أراه الا محراثا للعمر ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الا ذلوا ومن عجيب شأنه أنه المملوك الذي يشفق من بعده والخلق الذي يكره نزع برده ولما فقد الشباب كان عنه عوضا ولا عوض عنه في فقده (والمعنى) المخترع ههنا في قولي وما أراه الا محراثا للعمر ولم تدخل آلة الحرث دار قوم الا ذلوا وهو مستنبط من الحديث النبوي وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى آلة حرث فقال ما دخلت هذه دار قوم الا ذلوا فأخذت أنا هذا ونقلته الى الشيب فجاء كما تراه في أعلى درجات الحسن وذلك لما بينه وبين الشيب من المناسبة الشبيهة لان الشيب يفعل في البدن ما يفعله المحراث في الارض واذا نزل بالانسان أحدث عنده ذلا (ومن هذا الباب) ما ذكرته في فصل من كتاب الى بعض الناس أعيث به فقلت واذا كتبت مثالبه في كتاب اجتمع عليه جنابة وحرم على أن أبدأ فيه بالبسملة لانها من القرآن وهذا معنى لطيف في غاية اللطافة وهو مخترع لي (وكذلك) كتبت الى بعض الناس كتابا من هذا الجنس أهزل منه فقلت في فصل منه ما أذكره وهو ينبغي له أن يشكرني على وسمه به اني دون امتداحي فاني لم أسمه الا لتحرم به الاضحية في يوم الاضاحي ولاشك أن سيدنا معدود في جملة الانعام غير أنه من ذوات القرون والقرن عدة عند الخصام وهذا معنى ابتدعته ابتداعا ولم أسمعه لاحد من قبلي (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب يتضمن هزيمة الكفار وذلك فصل منه فقلت وكانت الوقعة يوم الاحد منتصف شهر كذا وكذا وهذا هو اليوم الذي تخيره الكفار من أيام الاسبوع ونصبوه موسما لشرع كفرهم المشروع فحصل ارتيابهم به اذ تضمن للاسلام مزيدا وقالوا هذا يوم قد أسلم فلا نجعله لنا عيدا وقد أفصح لهم لسانه لو كانوا يعلمون بأن الدين عند الله هو الاسلام وأن أولياءهم المسلمون وهذا معنى انفردت بابتداعه ولم يأت به أحد ممن تقدمني (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب الى ديوان الخلافة ببغداد وهو في وصف القلم فقلت وقلم الديوان العزيز هو الذي يخفض ويرفع ويعطي ويمنع وهو المطاع المجدع أنفه وسواد لباسه وقد ورد الامر بطاعة الحبشي الاجدع ومن أحسن صفاته أن شعاره من شعار مولاه فهو يخلع على عبيده من الكرامة ما يخلع في هذه الاوصاف معان حسنة لطيفة ومنها معنى غريب لم أسبق اليه وهو قولي انه المطاع المجدع أنفه وسواد لباسه وقد ورد الامر بطاعة الحبشي الاجدع فان هذا مما ابتكرته وهو مستخرج من الحديث النبوي في ذكر الطاعة والجماعة فقال صلى الله عليه وسلم

ولانها موصولة في المصحف وبئسما كذلك لانها وان لم تكن مدغمة فهي مشتبهة بها وجهة من قطع نعم ما وبئس ما ان ما معهما في معنى الاسم (وتكتب) فيم أنت فتصل وتحذف الالف فاذا كان الكلام خبرا قطعت فقلت تكلم في ما أحببت لان ما في موضع الاسم وعما تكتب موصولة للادغام كانت ما فيها صلة أو اسما

﴿باب من اذا اتصلت﴾

تكتب عمن سألت وممن طلبت فتصل للادغام وهي ههنا بمعنى الاستفهام تريد عن أي الناس سألت ومن أيهم طلبت وتكتب فتصل عمن أحببت واطلب عمن أحببت فتصل أيضا وهي في موضع اسم للادغام وتكتب فيمن رغبت فتصل للاستفهام وتكتب كن راغبا في من رغبت اليه مقطوعة لانها اسم وتكتب عما اذا كانت صلة أو غير صلة موصولة للادغام نحو قول الله عز وجل عما قليل ليصبحن نادمين فهي ههنا صلة لانه أراد عن قليل (وتقول) سله عما صار اليه فهي ههنا في موضع اسم فاما مع من فانها مفصولة اذا كانت اسما أو استفهاما تقول مع من أنت وكن مع من أحببت وكل من مقطوعة في كل حال فاما ممن وعما فانهما موصولتان أبدا

﴿باب لا اذا اتصلت﴾

تكتب أردت ألا تفعل ذلك وأحببت ألا تقول ذلك ولا تظهر ان في الكتاب ما كانت عاملة في الفعل فاذا لم تكن عاملة في الفعل

أطمع ولو عبدا حبشيا مجدعا ما أقام عليك كتاب الله فاستخرجت أنا للقلم معنى من ذلك وهو أن القلم مجدع وبقمص لباس السواد فصار حبشيا أجدع وهذا كما فعل أبو تمام حبيب بن أوس الطائى فى قصيدته السينية فانه استخرج المعنى المخترع من القرآن الكريم وأنا استخرجت المعنى من الخبر النبوى كما أريتك وهذا المعنى المشار اليه فى وصف القلم أوردته بعبارة أخرى على وجه آخر ونبهت عليه فى كتاب الوشى المرقوم فى حل المنظوم وهذا كتاب ألفته فى صناعة حل الشعر وغيره (وبعد هذا) فسأقول لك فى هذا الموضع قولا لم يقله أحد غيرى وهو أن المعانى المبتدعة شبيهة بمسائل الحساب المجهول من الجبر والمقابلة فكما أنك اذا وردت عليك مسئلة من المجهولات تأخذها وتقلبها ظهرا لبطن وتنظر الى أوائلها وأواخرها وتعتبر أطرافها وأوساطها وعند ذلك تخرج بك الفكرة الى معلوم فكذلك اذا ورد عليك معنى من المعانى ينبغى لك أن تنظر فيه كنظرك فى المجهولات الحسابية الا أن هذا لا يقع فى كل معنى فان أكثر المعانى قد طرق وسبق اليه والابداع انما يقع فى معنى غريب لم يطرق ولا يكون ذلك الا فى أمر غريب لم يأت مثله وحينئذ اذا كتب فيه كتاب أو نظم فيه شعر فان الكاتب والشاعر يعثران على مظنة الابداع فيه وقد لابست ذلك فى مواضع كثيرة وسأورد ههنا ما يحذو حذوه لمن استطاع اليه سبيلا (ومن ذلك) ما كتبته عن نفسى الى بعض ملوك الشام وأهديت اليه رطبا وهو خلد الله دولة مولانا وعمرها مجدا وحنانا وخولها السعادة عطاء حسابا وأنشأ الليالى لخدمتها عربا أترابا وأبقى شبيبتها بقاء لا يستحدث معه خضابا ولا جعل لها فى محاسن الدول السابقة أشباها ولا أضرابا وألقى البأس بين أعدائها وحسادها حتى يبعث لهم فى الارض غرابا اذا أراد العبيد أن يهدوا الى مواليهم قصرت بهم يد وجدهم وعلموا أن كل ما عندهم من عندهم لكن فى الاشياء المستطرفة ما يهدى وان كان قدره خفيفا ولولا اختلاف البلاد فيما يوجد بها لما كان شئ من الاشياء طريفا وقد أهدى المملوك من الرطب ما يتجلى فى صبغة لوارس ويزهى بحسنه حتى كأنه لم يدنس بيد لامس وما سمى رطبا الا لاشتقاقه من الرطب الذى هو ضد اليابس وقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثناء جما وفضل شجرته على الشجر بأن سماها أما ولئن عدم عرف الديباج فانه لم يعدم منظر الديباج ولا طعما وله أوصاف أخرى هى لفضله بمنزلة الشهود فمنها أنه أول غذاء يفطر عليه الصائم وأول غذاء يدخل بطن المولود وأحسن من ذلك أنه معدود من الحلواء وان كان من ذوات الغراس ولا فرق بينهما سوى أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس واذا أنصف واصفه قال ما من ثمرة الا وهى عنه قاصرة ولو تفاخرت البلاد بمحاسن ثمارها لقامت أرض العراق به فاخرة وها قد سار الى باب مولانا وهو مجنى المنابت سار الى مجنى الكرم وملك الفاكهة وفد على ملك الشيم ولما استقلت به الطريق أنشأ الحسد لغيره من الفواكه أربا وما منها الا من قال يا ليتنى كنت رطبا ولئن كان من الثمرات التى تختلف فى الصور والاسماء ويفضل بعضها على بعض ويسقى بشرب واحد من الماء فكذلك تلك الشيم العريقة تتحد فى عنصرها وهى مختلفة الوتيرة ومن أفضلها سعة السماح التى تقبل القليل من عبيدها وتسمح لهم بالعطايا الكثيرة وقد ضرب لها المملوك مثلا فقال هى كجنة بربوة بل ضرب لها ما ضرب للمثل النبوى وهى نخلة بكبوة ولا يختم كتابه بأحسن من هذا القول الذى طاب معاوزكا أصلا وفرعا وتصرف فى أساليب البلاغة فجاء به وترا وشفعا والسلام (وهذا كتاب غريب) فى معناه وقد اشتمل على معان كثيرة فمن جملتها أن الرطب مشتق من الرطب الذى هو ضد اليابس ومن جملتها أن النبى صلى الله عليه وسلم سمى النخلة أما فقال أكرم

أظهرت نحو قولك علمت ان لا تقول ذلك وتيقنت أن لا تذهب ومنه قول الله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شئ لان فيه ضميرا كأنك أردت علمت انك لا تقول ذلك ولئلا يعلم أهل الكتاب انهم لا يقدرون على شئ وتكتب أيضا علمت أن لا خير عنده وظننت ان لا بأس عليه فتظهر ان لانه بمعنى علمت انه لا خير عنده وظننت انه لا بأس عليه (وتكتب) ألا تفعل كذا يكن كذا فلا تظهر أن (وتكتب) كى لا مقطوعة لانك تقول أتيتك كى تفعل وكى لا تفعل كما تقول حتى تفعل وحتى لا تفعل (وتكتب) كيما موصولة لانك تقول جئتك كى تكرمنا وكيما تكرمنا ولكيما تكرمنا فيكون المعنى واحدا (وهى ههنا صلة وتكتب) هلا فعلت فتصل وتكتب بل لا تفعل فتقطع (والفرق) بينهما ان لا اذا دخلت على هل تغير معناها فكأنها معها حرف واحد مثل لم تكون بمعنى فاذا دخلت عليها ما تغيرت ألا ترى انك تقول قاربت ذلك الوضع ولما وتسكت ولا يجوز ان تقول قاربته ولم الا ان تقول افعل وكذلك لو ولولا وحيث وحيثما وانما فقطعت بل لا لانها لا تغير المعنى وانما هى لا التى تدخل للاباء نحو بل تفعل وبل لا تفعل مثل كى تفعل وكى لا تفعل (وتكتب) اللائى مهموزة وغير مهموزة بالياء وكان

الضلة ومن جاتها أنه كان صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات فان لم يجد فتمرات ومن جاتها أنه كان يلوك التمرة ويحنك بها المولود عند ميلاده ولما ولد عبد الله بن الزبير جاءت أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنه ووضعته في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاك تمرة ووضعها في فيه ومن جاتها أنه والحلواء شيء واحد الا أنه من خلق الله وتلك من خلق الناس ومن جاتها أن العباس رضي الله عنه قال يارسول الله ان قريشا اذا ذكرت أحسابها ضربوا لك مثلا بنخلة بكبوة وكل هذه المعاني حسنة واردة في موضعها ومن كتب في معنى من المعاني فليكتبه هكذا أو لا فليدع (ومن ذلك) رقعة كتبتها الى بعض حجاب السلطان في حاجة عرضت لي وأرسلت معها هدية من ثياب ودراهم وهي

ما من صديق وان صحت صداقته * يوما بأنجح في الحاجات من طبق
اذا تلثم بالمنديل منطلقا * لم يخش نبوة بواب ولا غلق

الهدية مشتقة من الهدى غير أنها ترف الى القلب لا الى لندى وصهارتها أنعم من الصهارة وكل ترددت كانت بكرا فهي لا تنفك عن البكارة ومن خصائصها أنها تمسك بمعروف أمن من المراح واذا رامت فتح باب لا تفتقر فى علاجه الى مفتاح وقد قيل انها الحسناء المتأنقة فى عمارة بيتها التي توصف بأن القنديل يضيء بزينتها وقد أرسلتها الى المولى وهي تتهادى في اعجابها وتدل بكثرة دراهمها وثيابها وتقول أنا الكريمة في قومها المتريعة في أنسابها وأحسن ما فيها أنها جاءت سرا لم تعلم اليد اليمنى من اليسرى فخذها يامولاي واكشف نقابها وأمط عنها جلبابها وقد كانت منكشرة وهي الآن في حيز الملكة ومن السنة في مثلها أن تؤخذ بالناصية ويدعى بالبركة والساتر بها فلان وهو في الجهل بها حامل أسفار وناقل لها من دار الى دار ولو عامل لسان حالها الذي هو أفصح من نطق اللسان وأذكرت بحاجة مرسلها أو جاءتني فطانة لكريم من النسيان وليس المطلوب الا فضلية من الجاه تسفر بين السائل والمسؤل وتنقل البعيد الى درجة القريب والممنوع الى درجة المبذول فاذا فعل المولى ذلك كان له منة السفارة ومنة الانعام وان سمع بأن سميا واحدا فاز بشكرين ثنين ففي مثل هذا المقام ومن الناس من يقول ليس على جانب السلطان ثقل في صنعه وهل هو منا الا كلمات تقال والكلام ماعون لا رخصة في منعه ولم يدر أن ملاطفة الخطاب ضرب من الاحتيال وأن ثقل الخطوات فيه أثقل من نقل الجبال وأن صاحب الحاجة يعطى علاوة الصباح والحاجب يلقى مرارة السؤال وهذا يقوله الخادم ايجابا لاحسان المولى الذي هو احسان شامل ولا يعلمه الا العالم بفضله ولا يجهله الا الجاهل والله تعالى يجعل الحاجات مغدوقة ببابه حتى لا تنفك فى الدنيا من امداد شكره وفي الآخرة من امداد ثوابه والسلام فتأمل أيها الناظر في كتابي هذا الى ما اشتملت عليه هذه الرقعة من المعاني حتى تعلم كيف تصنع يدك فيما تكتبه (ومن ذلك) رقعة أخرى كتبتها في هذا المعنى المتقدم ذكره وأرسلت معها هدية من المسك وهي الهدية رسول يخاطب عن مرسله بغير لسان ويدخل على القلوب من غير استئذان وقد قيل أخت السحر في ملاطفة قصدها غير أنها لا تحتاج الى نفث ولا الى عقدها وما من قلب الا وصورتها تجلى عليه في سرقة ولولا شرف مكانها لما حلت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة ولها صفات غير هذه كريمة لاخطار حسنة لدى الاسماع والابصار ومن أحسنها أنها تستجد ودا وتجعل قريبا مكان بعدا وتقول لنار الاحنة يانار كوني بردا ولهذا قيل تهادوا تحابوا ولا شك أنها وصلة بين المودات فاذا تواصل الناس

تقاربوا

القياس ان تكتب بالالف ألا ترى انك تقول تكتب لان اذ كانت اللام مكسورة بالالف (وكذلك) يجب ان تكتب اذا زيدت عليها لا ولم يحدث في الكلام شيء غير معنى الاباء الا ان الناس اتبعوا المصحف (وكذلك) لئن فعلت كذا لافعلن كذا كتبت بالياء اتباعا للمصحف وكان القياس ان تكتب بالالف لانها ان زيدت عليها اللام

﴿باب حروف توصل بما واذ وغير ذلك﴾

تقول عم تسأل وفيم جئت ولم تكلمت وحتام وعلام تحذف الالف في الاستفهام واذا كان الكلام خبرا أثبت الالف فقلت سل عما أردت وتكلم فيما أحببت (ويومئذ وحينئذ وليلتئذ) يوصل ذلك كله وتكتب (ويله) موصولة ان لم تهمز كما قال الهذلي

ويله رجلا تأتي به غبنا
اذا تجرد لا خال ولا بخل

فان أنت همزت كتبت ويل لامه

﴿باب الواوين يجتمعان في حرف واحد والثلاث يجتمعن﴾

تكتب طاوس وناوس وداود بواو واحدة وتحذف واحدة استخفافا وتكتب جاؤا وباؤا بغضب وشاؤا بواو واحدة استخفافا اذا كان ما بقي دليلا على ما ذهب (وكذلك) فأوا الى الكهف وساؤا فلانا في مكانه وهل يستوون ويلوون ألسنتهم هذا كله يكتب

تقاربوا وقد أرسل الخادم مهاشيا اذا كتمه ذاع واذا خزنه ضاع وقد شبه به الجليس الصالح بعدد أسباب الانتفاع ومما زاد مزيته على مزيته أنه وشيم المولى توأمان غير أن شيمته تنتمي الى كرم محتدها وهو ينتمي الى سرر الغزلان فاذ ورد على مجلسه قيل هذا عطر ورد على حونة عطار وعرف له حق المشاركة فان أدنى الشرك في الشيم جوار وقد نطق الخبر النبوى بانه أحد الثلاثة التي لا ترد على من أهداها وذا نظر الى محصول بقائها وفائدتها وجد أطولها عمرا وأجداها وهذا يحكم على المولى بقبول ما استرسل الخادم في ارساله واذا سأل غيره في قبول هديته كفاه نص الخبر مؤنة سؤاله والسلام وهذه الرقعة أحسن من التي قبلها (فما شملت عليه من المعانى) قولى وما من قلب الا وصورتها تجلى عليه في سرقة ولولا شرف مكانها لما حلت للنبي صلى الله عليه وسلم مع تحريم الصدقة وهذان المعنيان مستخرجان من خبرين نبويين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام ومعه سرقة من حرير يعني حريرة بيضاء وفيها صورة عائشة رضي الله تعالى عنها وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة والخبر الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حرمت علي الصدقة وأحلت لى الهدية (ومما شملت عليه أيضا) قولى وقد أرسل الخادم مهاشيا اذا كتمه ذاع واذا خزنه ضاع وهذه مغالطة حسنة لان المسك اذا كتم ذاعت رائحته واذا خزن ضاع أي فاح ويقال ضاع الشئ اذا ذهب فالمغالطة ههنا في الجمع بين الضدين (وكذلك) قولى وقد شبه به الجليس الصالح وهذا مستخرج من الخبر النبوى أيضا وذلك أنه قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح مثل حامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه عرفا طيبا ومثل جليس السوء مثل نافخ الكير اما أن يحرق ثوبك واما أن تجد منه رائحة كريهة (ومما شملت عليه) من المعانى أيضا قولى انه أحد الثلاثة التي لا ترد على من أهداها وهذا مستخرج من الخبر النبوى أيضا وهو قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ترد الطيب والريحان والدهن (ومن ذلك) رقعة كلفني بعض أصدقائي املاءها عليه وهي رقعة من عاشق الى معشوق وهي

واذا قيل من تحب تخطا * لك لسانى وأنت في القلب ذاكا

يا من لا أسميه ولا أكنيه وأذكر غيره وهو الذي أعنيه لا تكن ممن أوتي ملكا فلم ينظر في زواله وعرف مكانه من القلوب فجار في ادلاله ولا تغتر بقول من رأى الحسن للاساءة ماحيا واعلم أن اللاحي يقول كفى بالتدلل لاحيا وكثيرا ما يزول العشق بجنايات الصدود والزيادة في الحد نقصان في المحدود وقد قيل أن الحسن عليه زكاة كزكاة المال وايست زكاته عند علماء المحبة الا عبارة عن الوصال وهذه صدقة تقسم على أربابها ولا ينتظر أن يحول الحول في ايجابها فهي مستمرة على تجدد الايام والمستحقون لها قسم واحد ولا يقال انهم ثمانية أقسام وهؤلاء هم المخصوصون بفك الرقاب ورقبة العشق أشد أسرا من رقبة تحرر بالكتاب فأخرج يا مولاى من هذا الحق الواجب والافتأت اطالب منى ومطالب ولا تقل هذا غريم أكثرت للمبالغ في مطاله وأعده والمواعيد زاد أمثاله فهذه سامة قد عاملتني بها مرة ساحرا ومرة ساحرا ومن الاقوال السائرة أن الغر تجعله التجربة ماهرا ولعمرى ان ممارسة الحب تجعل صاحبه عالما وتبصره وان كان كما يقال أعمى وقد كذب القائل

عرضن للذي تحب بحب * ثم دعه يروضه ابليس

فان كانت الرياضة كما قيل لابليس فأراه صبحا لذى صبح وأراك استعصيت عليه استعصاء القارح وأنت جذع ولا شك أنك تهدم ما يشيده من البناء أو أنك مستثنى في جملة من دخل في حكم الاستثناء وأنا لا ...

بواو واحدة وذلك أقيس اذا انضمت الواو الاولى وقد كتب ذلك كله بواوين أيضا فاذا (انفتحت) الواو الاولى لم يجز الا ان يكتب بواوين نحو احتووا على المكان واستووا واكتووا ولووا رؤسهم وآووا ونصروا هذا كله ماض فاذا اجتمعت ثلاث واوات حذفت واحدة واقتصرت على اثنتين نحو قول الله تعالى لووا رؤسهم (وكذلك) ان كان ما قبل الواو مضموما نحو أنتم تسوءون زيدا وتنوءون بالايدى وأنتم مغزوون ومدعوون تكتب هذا كله بواوين وتسقط واحدة

﴿باب الالف واللام للتعريف يدخلان على لام من نفس الكلمة﴾

كل اسم كان أوله لاما ثم أدخلت عليه لام التعريف كتبته بلامين نحو قولك اللهم واللحم واللبن واللجام الا الذى والتى فانهم كتبوا ذلك بلام واحدة لكثرة ما يستعمل فاذا ثنيت الذى كتبت اللذان واللذين بلامين وتكتب في الجمع الذين بلام واحدة وانما كتبته بلامين لتفرق بين التثنية والجمع فاما اللتان واللائى واللاتى فكله يكتب بلام واحدة وقد اختلفوا في الليلة والليل فكتبه بعضهم بلام واحدة اتباعا للمصحف وكتبه بعضهم بلامين وكل شئ من هذا اذا أدخلت عليه [illegible] لام الاضافة كتبته [illegible] وتحذف واحدة استثقالا لاجتماع

﴿باب هاء التأنيث﴾

هاء التأنيث تكتب هاء أبدا الا ان تضاف الى مكنى فتصير تاء نحو شجرتك وناقتك ورحمتك وقد كتبوها تاء فى مواضع من القرآن وهاء فى مواضع فامن كتبها تاء فعلى الادراج وأما من كتبها هاء فعلى الوقف وأجمع الكتاب على أن كتبوا السلام عليكم ورحمت الله بالتاء وأعجب الى ان تكتبه كله بالهاء على الوقوف عليه الاما اجمعوا عليه فى رحمت الله خاصة فى أول الكتاب وآخره وهيهات يوقف عليها بالهاء والتاء ولاجتماع فى كتابتها على التاء

﴿باب ما زيد فى الكتاب﴾

تدخل فى عمرو فى حال رفعه وجره الواو فرقا بينه وبين عمر فاذا صرت الى حال النصب لم تلحق به واوا لان عمرا ينصرف وعمر لا ينصرف فكان فى دخول الالف فى عمرو وامتناعها من دخولها فى عمر فى حال النصب فرق فلم يأتوا بفرق ثان فاذا أضفته الى مكنى لم تلحق فيه واوا فى شئ من حالاته فتقول هذا عمرك وعمرنا لان المضمر مع ما قبله كالشئ الواحد وهو كالزيادة فى الحرف فكرهوا أن يجمعوا فيه زيادتين فاذا قلت لعمر الله لم تلحق فيه واوا فاذا أردت عمرا من عمور الاسنان لم تلحق فيه واوا لانه لا يقع لبس بينه وبين غيره فيحتاج الى فرق وأولئك زيدفيها

له عتب وعليه عتب فأين نفثاته التى هى أخدع من الحبائل وأين قوله لا تنهم عن الاشمال والشمائل وأين جنوده المسترقة ما فى الضمائر التى تجرى من بنى آدم مجرى الدما وكل هذا قد بطل عندى خبره كما بطل عندى أثره فان أدركته لعنوة بأنى أستهزئ بتصديق أعماله فليحال معقول حاجتى هذه حتى أعلم أنه قادر على حل عقاله والا فليخف راسه وليمح وسواسه وان كان له عرش على البحر فليتقوض من عرشه وليعلم أن السحر ليس فى عقده ونفثه ولكنه فى لاصفر ونقشه وها أنا قد بعثت منه ما يجعل العزم محلولا والود مبذولا وما أقول الا أنى بعثت معشوقا الى معشوق وكلاهما محله القلب بل اقلب من حبهما مخلوق وما أكرمه وهو وسيلة الى مثله وحسبه من حسنه وان لم يكن شكله من شكله ومن وصفه واصف الا كان ما رآه منه فوق ما رواه ومن أغرب أوصافه وأحسنها انه لم ير ذو وجهين وجيها سواه لاجرم أنه اذا أسفر فى أمر تلطف فى فتح أبوابه وتناول وعره فبدله بسهله وبعده فبدله باقترابه ولو بعثت غيره لخفت أن لا يكون فى سفارته صادقا أو أنه كان يمضى سفيرا ويعود عاشقا فليس على الحسن أمانة وفى مثله تمهد الخيانة ولا لوم على المعقول اذا نسيت هنالك عزيمة رشدها ورأت ما لا يحتمله كاهل جهدها ومن لذى يقوى درعه على تلك السهام أو يروم النجاة منها وقد حيل بينه وبين المرام وهذا الذى منعنى أن أرسل الا كيسا وكتابا فأحدهما يكون فى السفارة والآخر على السر حجابا والسلام ان شاء الله تعالى (وفى هذه الرقعة) من المعانى الغريبة ما أذكره فالاول ما ذكرته فى قسم الصدقات وفى الرقاب والثانى ما ذكرته فى وصف الدينار وهو أنه وجيه ذو وجهين وقال النبى صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون وجيها وهذا معنى لم يسبقنى أحد اليه وقد وصف الحريرى الدينار فى مقامة من مقاماته ولم يظفر بهذا المعنى ولا جاء من الاوصاف التى ذكرها بمثله والثالث أنى بعثت معشوقا الى معشوق (ومن ذلك ما كتبته) وكان توفيت زوجة بعض الملوك وتوفى معها ولدها وهو طفل صغير وكان بينهما يومان وتلك المرأة بنت ملك من الملوك أيضا فكتب اليه من الاطراف المجاورة يعزونه وحضر عندى بعض الادباء ممن يحب أن يكون كاتبا وعرض على نسخة ما كوتب به ذلك الملك فى التعزية بزوجته وولدها فوجدتها كتبا باردة غثة لا تعرب عن الحادثة بل بينها وبينها ابعد المشرقين ومن شرط الكتابة أن يكون الكتاب مصما فض المعنى المقصود والتعازى مختلفة الانحاء فتعازى النساء غير تعازى الرجال وهى من مستصعبات فن الكتابة والشعر وتعازى الرجال أيضا تختلف فلا يعزى بالميت على فراشه كما يعزى بالميت قتيلا ولا يعزى بالقتيل كما يعزى بالغريق وهكذا يجرى الحكم فى المعنى جميعها وهذا شئ لا يتنبه له الا الراسخون فى هذا الفن من أرباب النثر والنظم وسألنى ذلك الرجل عن هذه التعزية المشار اليها فى المرأة وولدها الصغير وقال أحب أن أعلم كيف تكون فأمليت عليه ثلاثة كتب كل كتاب يتضمن معنى لا يتضمنه الكتاب الآخر (فمما جاء منها) كتاب أنا ذاكره ههنا وهو أصعب التعازى ما أتبع فيه المفقود بمفقود لاسيما اذا جمع بين سعد الاخبية وسعد السعود وكل منهما يعظم حزنا كما يعظم مكانا وهذا يحسر عن الوجوه خمرا وهذا يلقى عن الرؤس تيجانا ولم يوفهما حقهما من بكى ولا من ندب ولا من شعر ولا من كتب وليت فدى أحدهما بصاحبه فماش درهما المفدى بالذهب

ولو كان خطبا واحدا لاحتملته ✱ ولكنه خطب أعيد على خطب

وقد أصدر الخادم كتابه هذا ومن حقه أن يخرج فى ثوب من الحداد وان يتعثر فى أذيال كلمه والكتاب عنوان الفؤاد وغاية ما يقول أحسن الله عزاء المجلس السامى الملك الاجل السيد على

ان

ان هذا الدعاء قد شهدت الحال بحنه وكيف علاك قلبه عزاء وقد أوثقه الهم في سجنه وصار له ولدا دون ولده وحدنا دون خدنه لكن يدعى له بامتداد البقاء وأن تعامله الحوادث بعد هذه معاملة الابقاء ثم تتبع ذلك بطلب الجنة لمن نقلته المنايا عن أرائك الخدور وجعلته في بطون القبور ولمن فاجأت الايام غصنه فقصفته ولم يعش حتى عرف الدنيا ولا عرفته فواهًا لهما وقد نزلا بمنزل عديم الايناس وان كان ماهولا بأكثر الناس فهو القريب دارا البعيد مزارا الذى يحجب من الياس بأمنع حجاب وذهب عن الوجوه المنعمة لذل التراب فمن كان مسعدا لا معاسا فليأخذ لوله الجزع لا بعزيمة الاصطبار وليقل هذا حادث بان فيه تحامل الاقدار وجرت هومه مجرى الخواطر من القلوب والرقاد من الابصار فالاسوة لا فيه معدودة من الاحسان والسلوة الا عنه داخلة في حيز الامكان والخادم أولى من لقى المجلس فيه بالاسعاد وقام بما يجب من قضاء حق الوداد وفعل ما يفعله القريب الحاضر وان كان على شقة من البعاد وقد أرسل من ينوب عنه في التعزية وان لم يكف فيها المناب وكما رخص العذر في قصر الصلاة فكذلك رخص في الاقتصار على الرسول والكتاب وقد ود لو حضر بنفسه فاستسقى لذلك الضريح سحابا وعقر عنده ركابا وسأل الله له مغفرة وثوابا والسلام (في هذا الكتاب معنى غريب) وهو قولى سعد الاخبية كناية عن المرأة وسعد السعود كناية عن ولدها لان سعد الاخبية اسم منزلة من منازل القمر والاخبية جمع خباء ومن شأن المرأة أن تحتجب في الاخبية فهى سعدها وهذا من المعانى الغريبة في مثل هذا المقصد وقد اتفق سعد الاخبية وسعد السعود معا وهذا أيضا غريب (ومن ذلك) أنى كتبت كتابا عن الملك الافضل على بن يوسف الى أخيه الملك الظاهر غازى بن يوسف صاحب حلب في أمر شخص كان أبوه صاحب مدينة تكريت وهذه تكريت كان يتولاها قديما الامير أيوب جد الملك الافضل والملك الظاهر وأولدها ولده صلاح الدين يوسف أباهما وعلى عقب ولادته انتقل والده عن تكريت هو وعشيرته لامر طرأ لهم وجاء الى الموصل ثم الى الشام وهناك سعدوا وكانت السعادة على يد صلاح الدين يوسف فلما أردت أن أكتب هذا الكتاب علمت أنه مظنة المعانى المبتدعة لان الامر المكتوب فيه غريب لم يقع مثله فحينئذ كتبت هذا الكتاب وهو رفع الله شأن مولانا الملك الظاهر ولا زال الدهر فاخرا بآثر سلطانه ناظما مناقبه في جيده ومحاسده في لسانه باصطناعه ساعى دولته ما تقدم من مساعى آل أيوبه وآل جده له كتاب الخادم هذا وارد من يد الامير شمس الدين ابن صاحب تكريت وهى أول أرض مس جلد الوالد ترابها ورقمت بها السعادة على جبينه كتابها ومنها ظهر نور البيت الايوبى مشرقا وأشام اذ خرج معرقا وكفاه بذلك وسيلة يكتنفها الاحسان والارعاء ويكفى صاحبها أن يقول لا أسقى حتى يصدر الرعاء وقد قرنها بوسيلة قصد الخدمة التى توجب لقاصدها ذماما وتقول له سلاما اذا قال سلاما ثم ثلث هاتين الوسيلتين بكتاب الخادم أخذا بالسنة النبوية في الدعاء وعدده وتفاؤلا بتثليث النجوم فيما يقصده المرء من سعادة مقصده ولا قدح في كرم الكريم اذا استكثر طالبه من الاسباب ومن الله على كرمه قد استكثر اليه من أعمال الثواب وكتاب الخادم على انفراده كاف لحامله ومكثر من حقوق وسائله وقد صدر محاطا عن نجوى ضميره فانما تحق السفارة اذا قعد بكل طالب سعى سفيره وهو مع ذلك خفيفة صفحته وجيزة لمحته واذا وجد لدى مولانا مقولا فليس عليه أن يرد معقولا اذ التعويل على نجح مصدره لا على كثرة أسطره (فانظر) أيها المتأمل الى هذا الكتاب وأعطه حقه من التأمل حتى ترى ما اشتمل عليه من المعانى وانظر كيف

و وليفرق بينها وبين الياء أولى أيضا بواو ومائة زاد فيها ألفا ليفصلوا بينها وبين منه (ألا ترى) انك تقول أخذت مائة وأخذت منه فلو لم تكن الالف لالتبس على القارئ وتكتب يا أخى مصغرا بواو مزيدة لتفرق بينها وبين يا أخى غير مصغر وزادوا ألف الفصل بعد الواو لتفرق بين واو الجمع وواو النسق وقد بينا ذلك فيما تقدم من الكتاب

﴿باب من الهجاء﴾

تكتب الصلوة والزكوة والحيوة بالواو اتباعا للمصحف ولا تكتب شيأ من نظائرها الا بالالف مثل قطاة وقناة وولاة وقال بعض أصحاب الاعراب انهم كتبوا هذا بالواو على لغات الاعراب وكانوا يميلون في اللفظ بها الى الواو شيأ وقيل بل كتبت على الاصل وأصل الالف فيها واوا فقلبت ألفا لما انفتحت وانفتح ما قبلها ألا ترى انك اذا جمعت قلت صلوات وزكوات وحيوات ولولا اعتياد الناس لذلك في هذه الاحرف الثلاثة وما في مخالفة جماعتهم الكتاب أحب الاشياء الى أن يكتب هذا كله بالالف فاذا أضفت شيأ من هذه الحروف الى مكنى كتبتها كلها بالالف صلاتى وصلاتك وزكاتى وزكاتك وحياتى وحياتك (وتكتب) في صدر الكتاب سلام عليك وفى آخره السلام عليك لان الشئ اذا بدئ بذكره كان نكرة فاذا أعدته صار معرفة

ذكرت الاول ثم الثاني ثم الثالث أما المعنى الاول فانه يختص بذكر سعادة البيت الايوبي ومنشئها وأنها ولدت بتكريت وهذا الرجل ينبغي أن يرعى بسببها اذ كان أبوه صاحبها وأما المعنى الثاني فانه قصد الخدمة الطاهرية وهذا وسيلة ثانية توجب له ذماما وأما المعنى الثالث فانه حرمة الكتاب الصادر على يده ثم انى مثلت ذلك بالدعاء النبوى وبتثليث النجوم فان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا دعا ثلاثا وانما مثلت ذلك بالدعاء لامرين أحدهما أنه موضع سؤال وضراعة والآخر أن الكتاب وسيلة ثالثة والدعاء ثلاث مرار وأما تثليث النجوم فان التثليث سعد والتربيع نحس وأحسن المعاني الثلاثة التي تضمنها هذا الكتاب هو الاول والثالث وأما الثاني فانه متداول فتأمل ما أشرت اليه واذا شئت أن تكتب كتابا فافعل كما فعلت في هذا الكتاب ان كان الامر الذي تكتب فيه غريب الوقوع (واعلم) أنه قد يقع المعنى المبتدع في غير أمر غريب الوقوع وذلك يكون قليلا بالنسبة الى الوقائع الغريبة التي هي مظنة المعاني المبتدعة (ومن هذا الباب) ما أردته في جملة رسالة طردية في وصف قسي البندق وحامليها وهو فاذا تناولوها في أيديهم قيل أهلة طالعة من أكف أقمار واذا مثل غناؤها وعناؤهم قيل منايا مسوقة بأيدي أقدار وتلك قسي وضعت للعب لا للنضال ولردى الاطيار لا لردى الرجال واذا نعتها ناعت قال انها جمعت بين وصفي اللين والصلابة وصنعت من نوعين غريبين فحازت معنى الغرابة فهي مركبة من حيوان ونبات مؤلفة منهما على بعد الشتات فهذا من سكان البحر وسواحله وهذا من سكان البر ومجاهله ومن صفاتها أنها لا تتمكن من البطش الا حين تشد ولا تنطلق في شأنها الا حين تعطف وترد ولها بنات أحكم تصويرها وصحح تدويرها فهي في لونها صندلية الاهاب وكأنما صيغت أقوتها من عجل لا من تراب فاذا قذفتها الى الاطيار قيل ويصعد من الارض من جبال فيها من برد ولا يرى حينئذ الا قتيل ولكن بالمثقل الذي لا يجب في مثله قود فهي كافلة من تلك الاطيار بقبض نفوسها منزلة لها من جو السماء على أم روسها هذا الفصل يشتمل على معان غريبة منها قولي انها لا تتمكن من البطش الا حين تشد ولا تنطلق في شأنها الا حين تعطف وترد ومنها قولي ويصعد من الارض من جبال فيها من برد وكل هذا من المعاني التي تبتدع بالنظر الى المقصد المكتوب فيه فان الكاتب اذا أفكر فيما لديه وتأمله وكان قادرا على استخراج المعنى والمناسبة بينه وبين مقصده جاء هكذا كما تراه الا أن القادر على ذلك من أقدره الله عليه فما كل خاطر بحكيم ولا كل من أوحي اليه بكليم وفي الاقلام هشيم لمن ناواه ومنها هشيم (وسأنبه في هذا الموضع) على طريق يسلك الى شيء من المعاني المخترعة وهو ما استخرجته وانفردت باستخراجه دون غيري فان المعاني المخترعة لم يتكلم فيها أحد بالاشارة الى طريق يسلك فيها لان ذلك مما لا يمكن ومن ههنا أضرب علماء البيان عنه ولم يتكلموا فيه كما تكلموا في غيره وكيف تقيد المعاني المخترعة قيدا أو يفتح اليها طريق تسلك وهي تأتي من فيض الهي بغير تعليم ولهذا اختص بها بعض الناظمين والناثرين دون بعض والذي يختص بها يكون فذا واحدا يوجد في الزمن المتطاول ولما مارست أنا هذا الفن أعني فن الكتابة وقلبته ظهرا لبطن وفتشت عن دفائنه وخباياه وأكثرت من تحصيل موادّه والاسباب الموصلة الى الغاية منه سنح لي في شيء من المعاني المخترعة طريق سلكته وهو يستخرج من كتاب الله تعالى وأحاديث نبيه صلوات الله عليه وسلامه وقد تقدم لي منه أمثلة في هذا الكتاب وذلك أنه ترد الآية من كتاب الله أو الحديث النبوي والمراد بهما معنى من المعاني فآخذ أنا ذلك وأنقله الى معنى آخر فيصير مخترعا لي وسأوردهما

وكذا كل شيء نكرة حتى يعرف بما عرف (تقول) مررت برجل ثم تقول رأيت الرجل قد رجع أو تقول رأيته قد رجع فكذلك لما صرت الى آخر الكتاب وقد جرى في أوله ذكر السلام عرفته بذلك السلام المتقدم (وتكتب) أيها الرجل وأيها الامير بألف وقد كتبت في المصحف بالف وبغير ألف على مذهب القراء واختلافهم في الوقوف عليها وتكتب اذا بالالف ولا تكتبه بالنون لان الوقوف عليها بالالف وهي تشبه النون الخفيفة في مثل قوله تعالى لنسفعا بالناصية وليكونا من الصاغرين اذا أنت وقفت وقفت بالف واذا وصلت وصلت (وقال الفرا) ينبغي ان نصب باذن الفعل المستقبل أن يكتبها بالنون فاذا توسطت الكلام وكانت لغوا كتبت بالالف (وأحب) أن تكتبها بالالف في كل حال لان الوقوف عليها بالالف في كل حال (وتكتب فرأيكما) وفرأيكم فان نصبت رأيك فعلى مذهب الاغراء فرأيك وان رفعت لم ترفع على مذهب الاستفهام ولكن على الخبر وكتبت موفقا ان أردت الرأي وموفقين ان أردت الرجلين وان كتبت الى حاضر فنصبت رأيك لم يجز أن تكتب فرأى الامير لانه بمنزلة الغائب لا يجوز أن تغرى به

﴿باب ما يكتب بالياء والالف من الافعال﴾

منه بسدة يسيرة يعلم منها كيف فعلت حتى يسلك البها في الطريق الذي سلكته (فمن ذلك) قصة أصحاب الكهف والرقيم فاني أخذت ذلك ونقلته الى الاحسان والشكر الاترى أن الاحسان يستعار له كهف وكنف وظل وأشباه ذلك والشكر كلمات تقال في التنويه بذكر المحسن واحسانه والرقيم هو الكتاب المكتوب فهو والشكر متماثلان والذي أتيت به قد أوردته وهو فصل من كتاب الى بعض المنعمين الخادم يشكر احسان المولى الذي ظل عنده مقيما وغدا عطاؤه زعيما وأصبح يتوالى اليه مغرما كما أصبح له غريما ولما تمدن في الاشتغال عليه كهفا صار شكره فيه رقيما فانظر كيف فعلت في هذا الموضع لتعلم أني قد فتحت لك فيه طريقا تسلكه (وأما الحديث النبوي) فاني أخذت قصة قتلى بدر كأبي جهل وعتبة وشيبة وغيرهم ونقلتها الى القلم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على القليب الذي ألقاهم فيه وناداهم بأسمائهم فقال يا عتبة يا شيبة يا أبا جهل يا فلان يا فلان والحديث مشهور فلا حاجة الى استقصائه والذي أتيت به في وصف القلم هو أني قلت ولقد صرح القلم في يدي وحق له أن يمرح وأبدع فيما أتى به وكل اناء بالذي فيه ينضح ومن شأنه أن يستقل على أعواد المنبر فلا ينتهي من خطبتها الى فصلها ويقف على جانب القليب الا أنه لا ينادي من المعاني أباجهلها فالدواة قليب والقلم يقف عليه والمعاني التي ينشئها من باب العلم لا من باب الجهل فتأمل هذه الكلمات التي ذكرتها فانها لطيفة جدا وهي مخترعة لي وهذا القدر كاف في طريق التعليم فليحتذ حذوه ان أمكن والله الموفق للصواب (وأما الضرب الآخر) من المعاني وهو الذي يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطروق فذلك جل ما يستعمله أرباب هذه الصناعة ولذلك قال عنترة

هل غادر الشعراء من متردم * الا أنه لا ينبغي أن يرسخ هذا القول في الاذهان لئلا ييئس من الترقي الى درجة الاختراع بل يعول على القول المطمع في ذلك وهو قول أبي تمام

لا زلت من شكري في حلة * لابسها ذو سلب فاخر

يقول من تقرع أسماعه * كم ترك الاول للآخر

وعلى الحقيقة فان في زوايا الافكار خبايا وفي أبكار الخواطر سبايا لكن قد تقاصرت الهمم ونكصت العزائم وصار قصارى الآخر أن يتبع الاول وليته تبعه ولم يقصر عنه تقصيرا فاحشا (ووقفت على كتاب) يقال له مقدمة ابن أفلح البغدادي قد قصرها على تفصيل أقسام علم الفصاحة والبلاغة وللعراقيين بها عناية وهم واصفون لها ومكبون عليها ولما تأملتها وجدتها قشورا لا لب تحتها الا غاية ما عند الرجل أن يقول وأما الفصاحة فانها كقول النابغة مثلا أو كقول الاعشى أو غيرهما ثم يذكر بيتا من الشعر او أبياتا وما بهذا تعرف حقيقة الفصاحة حتى اذا وردت في كلام عرفنا أنه فصيح بما عرفناه من حقيقتها الموجودة فيه وكذلك يقول في غير الفصاحة (ومن أعجب) ما وجدته في كتابه أنه قال أما المعاني المبتدعة فليس للعرب منها شيء وانما اختص بها المحدثون ثم ذكر للمحدثين معاني وقال هذا المعنى لفلان وهو غريب وهذا القول لفلان وهو غريب وتلك الاقوال التي خص قائليها بأنهم ابتدعوها قد سبقوا اليها فاما أن يكون غير عارف بالمعنى الغريب واما أنه لم يقف على أقوال الناظمين والناثرين ولا تصفحها حتى عرف ما قاله المتقدم مما قاله المتأخر وأما قوله انه ليس للعرب معنى مبتدع وانما هو للمحدثين فالبيت شعري من السابق الى المعاني من تقدم زمانه أم من تأخر زمانه (وأنا أورد ههنا) ما يستدل به على بطلان ما ذكره وذلك أنه قد ورد من المعاني أن صور المنازل

اذا كان الفعل على ثلاثة أحرف ولم تدر من ذوات الياء هو أو من ذوات الواو رددته الى نفسك فما كانت اللام فيه ياء كتبته بالياء نحو قولك قضى ورمى وسعى لانك تقول قضيت ورميت وسعيت وما كان لام فعلت منه واوا كتبته بالالف نحو دعا وغزا وسلا لانك تقول دعوت وغزوت وسلوت وكل ما لحقته الزيادة من الفعل لم تنظر الى أصله وكتبته بالياء فتكتب أغزى فلان فلانا بالياء وهو من غزوت وأدنى فلان فلانا وهو من دنوت وألهى فلان فلانا وهو من لهوت فتكتب ذلك كله بالياء لانه يصير الى الياء الاترى انك تقول أغزيت وأدنيت وألهيت وكذلك يكتب يغزى ويلهى ويدنى ويدعى وكل ما كان من الياء والواو فتثنيته بالياء لانك تقول يغزيان ويدعيان ويدنيان

﴿باب ما يكتب بالالف والياء من الاسماء﴾

كل اسم مقصور على ثلاثة أحرف فان كان من بنات الياء كتبته بالياء وان كان من بنات الواو فاكتبه بالالف ويدلك على ذلك تثنية الاسم والرجوع الى الفعل الذي أخذ منه الاسم فتكتب قفا وعصا ورجا البئر بالالف لانك تقول في تثنيته قفوان وعصوان ورجوان وترد الى الفعل فتقول قد قفوت الرجل اذا تبعته وعصوته اذا ضربته بالعصا ولم يمكنك في رجا أن ترده الى فعل فدلتك عليه التثنية قال الشاعر

عفلت فى القلوب فاذا عفت آثارها لم تعف صورها من القلوب وأول من أتى بذلك العرب فقال الحرث بن خالد من أبيات الحماسة

انى وان تخروا غداة منى * عند الجمار يؤودها العقل
لو بدلت أعلى مساكنها * سفلا وأصبح سفلها يعلو
لعرفت مغناها بما ضمنت * منى الضلوع لأهلها قبل

ثم جاء المحدثون من بعده فانسجموا على ذيله وحذوا حذوه فقال أبو تمام

وقفت وأحشائى منازل للأسى * به وهو قفر قد تعفت منازله

(وقال البحترى)

عفت الرسوم وما عفت أحشاؤه * من عهد شوق ما تحول فتذهب

وقال المتنبى لك يا منازل فى القلوب منازل * أقفرت أنت وهن منك أواهل

وهذا المعنى قد تداوله الشعراء حتى انه ما من شاعر الا ويأتى به فى شعره (وكذلك) ورد لبعضهم من شعراء الحماسة أناخ اللؤم وسط بنى رماح * مطيته وأقسم لا يريم

كذلك كل ذى سفر اذا ما * تناهى عند غايته يقيم

وهذان البيتان من أبيات المعانى المبتدعة وعلى أثرهما مشى الشعراء (وكذلك) ورد لبعضهم فى شعر الحماسة

تركت ضأنى تود الذئب راعيها * وأنها لا ترانى آخر الابد
الذئب يطرقها فى الدهر واحدة * وكل يوم ترانى مدية بيدى

وكذلك ورد قول الآخر

قوم اذا ما جنا جانيهم وأمنوا * للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وكم للعرب من هذه المعانى التى سبقوا اليها (ومن أدل الدليل) على فساد ما ذهب اليه من أن المحدثين هم مختصون بابتداع المعانى أن أول من بكى على الديار فى شعره رجل يقال له ابن حرام وكان هو المبتدى لهذا المعنى أولا وقد ذكره امرؤ القيس فى شعره فقال

عوجا على الطلل المحيل لعلنا * نبكى الديار كما بكى ابن حرام

وقد أجمع نقلة الاشعار أن لامرئ القيس فى صفات الفرس أشياء كثيرة لم يسبق اليها ولا قيلت من قبله ويكفى من هذا كله ما قدمت القول فيه وهو أن العرب السابقون بالشعر وزمانهم هو الاول فكيف يقال ان المتأخرين هم السابقون الى المعانى وفى هذه الامثلة التى أوردتها كفاية فى نقض ما ذكره ولو قال ان المحدثين أكثر ابتداعا للمعانى وألطف مأخذا وأدق نظرا لكان قوله صوابا لان المحدثين عظم الملك الاسلامى فى زمانهم ورأوا ما لم يره المتقدمون وقد قيل ان اللها تفتح اللها وهو كذلك فان نفاق السوق جلاب (وقد رأيت جماعة) من متخلفى هذه الصناعة يجعلون همهم مقصورا على الالفاظ التى لا حاصل وراءها ولا كبير معنى تحتها واذا أتى أحدهم بلفظ مسجوع على أى وجه كان من الغثاثة والبرد يعتقد أنه قد أتى بأمر عظيم ولا يشك فى أنه صار كاتبا مفلقا واذا نظر الى كتاب زمانه وجدوا كذلك فقاتل الله القلم الذى عشى فى أيدى الجهال الاغمار ولا يعلم أنه كجواد يمشى تحت حمار ولو أنه لا يتطاول اليه الا أهله لبان الفاضل من الناقص على أنه كالرمح لدى اذا اعتقله حامله بين الصفين بان به المقدم من الناكص وقد أصبح اليوم فى يد قوم هم أحوج من صبيان المكاتب الى التعليم وقد قيل ان الجهل بالجهل داء لا ينتهى اليه سقم السقيم وهؤلاء لا ذنب لهم لانهم لو لم يستخدموا فى الدول

ويستكتبوا

فلا يرمى بى الرجوان انى
أقل القوم من يغنى مكانى

وتكتب الهدى والهوى هوى النفس والمدى الغاية بالياء لانك تقول فى تثنيته هديان وهويان ومديان فان أشكل عليك من هذا الباب حرف ولم تعلم أصله ولا تثنيته فرأيت الامالة فيه أحسن فاكتبه بالياء وان لم تحسن فيه الامالة فاكتبه بالالف حتى تعلم واذا ورد عليك حرف قد ثنى بالياء والواو عملت على الاكثر الاعم نحو رحى لان من العرب من يقول رحوت الرحا ومنهم من يقول رحيت وان تكتبها بالياء أحب الى لانها اللغة العالية قال مهلهل

كانا غدوة وبنى أبينا
بجنب عنيزة رحيا مدير

وكذلك الرضا من العرب من يثنيه رضيان ومنهم من يثنيه رضوان وان تكتبه بالالف أحب الى لان الواو فيه أكثر وهو من الرضوان وكل مقصور جاوز ثلاثة أحرف فاكتبه بالياء لانك انما تثنيه بالياء نحو معلى ومثنى ومغزى ومدعى ومرمى ومشترى وكذلك أعمى وأظمى وأعشى وهو أدنى منك وأعلى عينا وكذلك مقلى وهو من قلوت البسر ومعافى ومنادى لا تبال أكان أصله الواو أو الياء وتكتبه بالياء على التثنية الا ما كان فى آخره ياء فانه يكتب بالالف لكراهتهم اجتماع ياءين فى آخر الاسم نحو العليا والدنيا والقصيا وتعيا ومحيا وعام حيا ورؤيا وسقيا خلا يحيى الذى

ويستكتبوا والا ماظهرت جهالتهم وفي أمثال العوام لاتمر الاحمق شيأ ببغضه له وكذلك يجري الامر مع هؤلاء فانهم استكتبوا في الدول فظنوا أن الكتابة قد صارت لهم بأمر حق واجب (ومن أعجب الاشياء) أني لا أرى الاطامعا في هذا الفن مدعيا له على خلوه عن تحصيل آلاته وأسبابه ولا أرى أحدا يطمع في فن من الفنون غيره ولا يدعيه هذا وهو بحر لا ساحل له يحتاج صاحبه الى تحصيل علوم كثيرة حتى ينتهي اليه ويحتوي عليه فسبحان الله هل يدعي بعض هؤلاء أنه فقيه أو طبيب أو حاسب أو غير ذلك من غير أن يحصل آلات ذلك ويتقن معرفتها فاذا كان العلم الواحد من هذه العلوم الذي يمكن تحصيله في سنة أو سنتين من الزمان لا يدعيه أحد من هؤلاء فكيف يجيء الى فن الكتابة وهو ما لا تحصل معرفته الا في سنين كثيرة فيدعيه وهو جاهل به (وكما رأيته من المدعين) لهذا الفن الذين حملوا منه على القشور وقصروا معرفتهم على الالفاظ المسجوعة الغثة التي لا حاصل وراءها أنهم اذا أنكرت هذه الحال عليهم وقيل لهم ان الكلام المسجوع ليس عبارة عن تواطئ الفقر على حرف واحد فقط اذ لو كان عبارة عن هذا وحده لامكن أكثر الناس أن يأتوا به من غير كلفة وانما هو أمر وراء هذا وله شروط متعددة فاذا سمعوا ذلك أنكروه لخلوهم عن معرفته ثم لو عرفوه وأتوا به على الوجه الحسن من اختيار الالفاظ المسجوعة لاحتاجوا الى شرط آخر قد نبهت عليه في باب السجع واذا أنكر عليهم الاقتصار على الالفاظ المسجوعة وهدوا الى طريق المعاني يقولون لنا أسوة بالعرب الذين هم أرباب الفصاحة فانهم انما اعتنوا بالالفاظ ولم يعتنوا بالمعاني اعتناءكم بها فلم يكفهم جهلهم فيما ارتكبوه حتى ادعوا الاسوة بالعرب فيه فصارت جهالتهم جهالتين (ولنذكرهنا) في الرد عليهم ما اذا تأمله الناظر في كتابنا عرف منه ما دونته ويذهب به الاستحسان كل مذهب (فنقول) اعلم أن العرب كما كانت تعتني بالالفاظ فتصلحها وتهذبها فان المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأشرف قدرا في نفوسها فأول ذلك عنايتها بألفاظها لانها لما كانت عنوان معانيها وطريقها الى اظهار أغراضها أصلحوها وزينوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في النفس وأذهب بها في الدلالة على القصد ألا ترى أن الكلام اذا كان مسجوعا لذ لسامعه فحفظه واذا لم يكن مسجوعا لم يأنس به أنسه في حالة السجع فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظهم وحسنوها ورققوا حواشيها وصقلوا أطرافها فلا تظن أن العناية اذ ذاك انما هي بألفاظ فقط بل هي خدمة منهم للمعاني ونظير ذلك ابراز صورة الحسناء في الحلل الموشية والاثواب المحبرة فانا قد نجد من المعاني الفاخرة ما يشوه من حسنه بذاذة لفظه وسوء العبارة عنه ﴿فان قيل﴾ انا نرى من ألفاظ العرب ما قد حسنوه وزخرفوه ولسنا نرى تحته مع ذلك معنى شريفا فمما جاء منه قول بعضهم

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطي الاباطح

ألا ترى الى حسن هذا اللفظ وصقالته وتدبيج أجزائه ومعناه مع ذلك ليس مدانيا له ولا مقاربا فانه انما هو لما فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الابل ولهذا نظائر كثيرة شريفة الالفاظ خسيسة المعاني (فالجواب عن ذلك) أنا نقول هذا الموضع قد سبق الى التشدق به من لم ينعم النظر فيه ولا رأى ما رآه القوم وانما ذلك لجفاء طبع الناظر وعدم معرفته وهو أن في قول هذا الشاعر كل حاجة مما تستفيد منه أهل النسيب والرقة والاهواء والمقة ما لا يستفيده غيرهم ولا يشاركهم فيه من ليس منهم ألا ترى أن حوائج منى أشياء كثيرة

هو اسم فان الكتاب اجتمعوا على ان كتبوه بالياء ولم يلزموا فيه القياس وأحسبهم اتبعوا فيه المصحف وكذلك اذا كان مثل هذا على يفعل فلان نحو يحيا بالامر ويحيا منين كتبت بالالف كراهة لاجتماع ياءين في آخره وكذلك تكتب شأى فلان فلانا أي سبقه بالياء وهو من شأوت كراهة لاجتماع ألفين في آخره وتعتبر المصادر بأن ترجع الى المؤنث فما كان في المؤنث بالياء كتبته بالياء نحو العمى والظمى لانك تقول عمياء وظمياء وما كان من المؤنث بالواو كتبته بالالف نحو العشا في العين والعشا وهو كثرة شعر الوجه والقنا تقول عشواء وقنواء وعشواء وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده في الهجاء الا الهاء من المقصور نحو الحصى والنوى والقطا فما كان جمعه بالواو كتبته بالالف نحو قطا لانه يجمع قطوات وما كان جمعه بالياء كتبته بالياء نحو حصى ونوى لانه يجمع أيضا حصيات ونويات وكل هذه اذا أنت أضفتها الى مكني كتبت ما كان منها بالواو بالالف وما كان منها بالياء بالالف فتكتب صغراهم وكبراهم وحصاك ونواك وأشباه ذلك واحداهما وكذلك الافعال اذا أوقعتها على مكني كتبت ما كان منها بالياء بالالف نحو قضاه حقه ورماهم عن قوس ودلاهما بغرور وقد خالف الكتاب في هذا المصحف

﴿باب الحروف التي تأتي للمعاني﴾

فمنها التلاقي ومنها التشاكي ومنها التحلي للاجتماع الى غير ذلك مما هو تال له ومعقود الكون به فكأن الشاعر صانع عن هذا الموضع الذي أومأ له وعقد غرضه عليه بقوله في آخر البيت ومسح بالاركان من هو ماسح أي انما كانت حوائجنا التي قضيناها وآرابنا التي بلغناها من هذا النحو الذي هو مسح الاركان وما هو لاحق به وجار في القربة من الله مجراه أي لم تتعد هذا القدر المذكور الى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح وأما البيت الثاني فان فيه أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وفي هذا ما نذكره لتعجب به ومن عجب منه ووضع من معناه وذلك أنه لو قال أخذنا في أحاديثنا أو نحو ذلك لكان فيه ما يكبره أهل النسيب فانه قد شاع عنهم واتسع في محاوراتهم علو قدر الحديث بين الالفين والجذل بجمع شمل المتواصلين ألا ترى الى قول بعضهم

وحدثتني يا سعد عنها فزدتني * جنونا فزدني من حديثك يا سعد

وقول الآخر وحديثها السحر الحلال لو انه * لم يجن قتل المسلم المتحرز

فاذا كان قدر الحديث عندهم على ما ترى فكيف به اذا قيده بقوله أخذنا بأطراف الاحاديث فان في ذلك وحيا خفيا ورمزا حلوا ألا ترى أنه قد يريد بأطرافها ما يتعاطاه المحبون ويتفاوضه ذوو الصبابة من التعريض والتلويح والايماء دون التصريح وذلك أحلى وأطيب وأغزل وأنسب من أن يكون كشفا ومصارحة وجهرا وان كان الامر كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم وأشد تقدما في نفوسهم من لفظهما وان عذب ولد مستمعه ثم في قول الشاعر

* وسالت بأعناق المطي الاباطح * من لطافة المعنى وحسنه ما لا خفاء به وسأنبه على ذلك فأقول ان هؤلاء القوم لما تحدثوا وهم سائرون على المطايا شغلتهم لذة الحديث عن امساك الازمة فاسترخت عن أيديهم وكذلك شأن من يشره وتغلبه الشهوة في أمر من الامور ولما كان الامر كذلك وارتخت الازمة عن الايدي أسرعت المطايا في المسير فشبهت أعناقها بمرور السيل على وجه الارض في سرعته وهذا موضع كريم حسن لا مزيد على حسنه والذي لا ينعم نظره فيه لا يعلم ما اشتمل عليه من المعنى فالعرب انما تحسن ألفاظها وتزخرفها عناية منها بالمعاني التي تحتها فالالفاظ اذا خدم المعاني والمخدوم لا شك أشرف من الخادم فاعرف ذلك وقس عليه ﴿النوع الاول في الاستعارة﴾ ولنقدم قبل الكلام في هذا الموضع قولا جامعا فنقول اعلم أن للفصاحة والبلاغة أوصافا خاصة وأوصافا عامة فالخاصة كالتجنيس فيما يرجع الى اللفظ وكالمطابقة فيما يرجع الى المعنى وأما العامة فكالسجع فيما يرجع الى اللفظ وكالاستعارة فيما يرجع الى المعنى وهذا الموضع الذي نحن بصدد ذكره وهو الاستعارة كثير الاشكال غامض الخفاء * وما أورد في كتابي هذا ما استخرجته ولم أسمع فيه قولا لغيري وكنت قدمت القول في الفصل السابع من مقدمة الكتاب فيما يختص باثبات المجاز والرد على من ذهب الى أن الكلام كله حقيقة لا مجاز فيه وأقمت الدليل على ذلك ولا حاجة الى اعادته ههنا بل الذي أذكره ههنا هو ما يختص بالاستعارة التي هي جزء من المجاز ولم سميت بهذا الاسم وكشفت عن حقيقتها وميزتها عن التشبيه المضمر الاداة والكلام في هذا يحتاج الى اعادة ذكر المجاز وادخاله فيه ليتقرر ويتبين والذي انكشف لي بالنظر الصحيح أن المجاز ينقسم قسمين توسع في الكلام وتشبيه والتشبيه ضربان تشبيه تام وتشبيه محذوف فالتشبيه التام أن يذكر المشبه والمشبه به والتشبيه المحذوف أن يذكر المشبه دون المشبه به ويسمى استعارة وهذا الاسم وضع للفرق بينه وبين التشبيه التام والا فكلاهما يجوز أن يطلق عليه اسم التشبيه ويجوز أن يطلق

عليه

تكتب عسى بالياء لانك تقول عسيت أن أفعل كذا قال الله عز وجل فهل عسيتم ان توليتم قرئت بفتح السين وكسرها وتكتب بلى ومتى وأنى بالياء لان الامالة فيها أحسن وأفصح من التفخيم فاما على والى ولدى فان القياس كان ان يكتبن بالالف لان الامالة لا تحسن فيهن وانما كتبن بالياء لانك تقول عليك واليك ولديك وأما كلا وكلتا فقد اختلف فيهما والذي استحب ان يكتبا اذا وليا حرفا رافعا بالالف فتكتب أتاني كلا الرجلين وأتاني كلتا المرأتين واذا وليا حرفا ناصبا أو خافضا كتبا بالياء فتكتب رأيت كلي الرجلين ومررت بكلتي المرأتين وانما فرقت بينهما في الكتاب في هاتين الحالتين لان العرب فرقت بينهما في اللفظ مع المكني فقالوا رأيت الرجلين كليهما بالياء ومررت بهما كليهما ورأيت المرأتين كلتيهما ومررت بهما كلتيهما فلفظوا بهما بالياء مع الناصب والخافض وقالوا جاءني الرجلان كلاهما والمرأتان كلتاهما فلفظوا بهما مع الرافع بالالف

﴿باب ما نقص منه الياء لاجتماع الساكنين﴾

تكتب هذا قاض وغاز ورام ومهتد ومفتر ومشتر وكل ما أشبه هذا في حال الرفع والخفض بلا ياء استثقالا لمجيء الضمة بعد الكسرة والياء ومجيء كسرة بعد كسرة وياء لان أكثر العرب اذا وقفوا وقفوا بغير ياء واذا صرت

عليه اسم الاستعارة لاشتراكهما فى المعنى وأما التوسع فانه يذكر للتصرف فى اللغة لا لفائدة أخرى وان شئت قلت ان المجاز ينقسم الى توسع فى الكلام وتشبيه واستعارة ولا يخرج عن أحد هذه الاقسام الثلاثة فأيها وجد كان مجازا ﴿فان قيل﴾ ان التوسع شامل لهذه الاقسام الثلاثة لان الخروج من الحقيقة الى المجاز اتساع فى الاستعمال ﴿قلت فى الجواب﴾ ان التوسع فى التشبيه والاستعارة جاء ضمنا وتبعا وان لم يكن هو السبب الموجب لاستعمالها وأما القسم الآخر الذى هو لا تشبيه ولا استعارة فان السبب فى استعماله هو طلب التوسع لا غير وبيان ذلك أنه قد ثبت أن المجاز فرع عن الحقيقة وأن الحقيقة هى الاصل وانما يعدل عن الأصل الى الفرع لسبب اقتضاه وذلك السبب الذى يعدل فيه عن الحقيقة الى المجاز اما أن يكون لمشاركة بين المنقول والمنقول اليه فى وصف من الاوصاف واما أن يكون لغير مشاركة فان كان لمشاركة فاما أن يذكر المنقول والمنقول اليه معا واما أن يذكر المنقول اليه دون المنقول فان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كان ذلك تشبيها والتشبيه تشبيهان تشبيه مظهر الاداة كقولنا زيد كالاسد وتشبيه مضمر الاداة كقولنا زيد أسد وهذا التشبيه المضمر الاداة قد خلطه قوم بالاستعارة ولم يفرقوا بينهما وذلك خطأ محض * وسأوضح وجه الخطأ فيه وأحقق القول فى الفرق بينهما تحقيقا جليا (فأقول) أما التشبيه المظهر الاداة فلا حاجة بنا الى ذكره ههنا لانه معلوم لا خلاف فيه لكن نذكر التشبيه المضمر الاداة الذى وقع فيه الخلاف فنقول اذا ذكر المنقول والمنقول اليه على أنه تشبيه مضمر الاداة قيل فيه زيد أسد أى كالاسد فأداة التشبيه فيه مضمرة واذا أظهرت حسن ظهورها ولم تقدح فى الكلام الذى أظهرت فيه ولا تزيل عنه فصاحة ولا بلاغة وهذا بخلاف ما اذا ذكر المنقول اليه دون المنقول فانه لا يحسن فيه ظهور أداة التشبيه ومتى أظهرت أزالت عن ذلك الكلام ما كان متصفا به من جنس فصاحة وبلاغة وهذا هو الاستعارة ولنضرب لك مثالا نوضحه فنقول قد ورد هذا البيت لبعض الشعراء وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

وهذا قد ذكر فيه المنقول اليه دون المنقول لان تقديره عجل قد كالقضيب وأبطأ ردف كالدعص وبين ايراده على هذا التقدير وبين ايراده على هيئته فى البيت بون بعيد فى الحسن والملاحة والفرق اذا بين التشبيه المضمر الاداة يحسن اظهار أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن ذلك فيها وعلى هذا فان الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له الذى هو المنقول اليه ويكتفى بذكر المستعار الذى هو المنقول ﴿فان قيل﴾ لا نسلم أن الفرق بين التشبيه وبين الاستعارة ما ذهبت اليه بل الفرق بينهما أن التشبيه انما يكون بأداته كالكاف وكأن وما جرى مجراهما فما لم يظهر فيه أداة التشبيه لا يكون تشبيها وانما يكون استعارة فاذا قلنا زيد أسد كان ذلك استعارة واذا قلنا زيد كالاسد كان ذلك تشبيها ﴿قلت فى الجواب﴾ عن ذلك انا لم نجعل قولنا زيد أسد تشبيها مضمر الاداة استحالة المعنى لان زيدا ليس أسدا وانما هو كالاسد فى شجاعته فأداة التشبيه تقدر ههنا ضرورة كى لا يستحيل المعنى (فان قيل) وكذلك أيضا اذا لم تقدر أداة التشبيه فى الاستعارة استحال المعنى لانا اذا قلنا عجل القضيب وأبطأ الدعص فما لم تقدر فيه أداة التشبيه والا استحال المعنى ﴿قلت فى الجواب﴾ عن ذلك تقدير أداة التشبيه لا بد منه فى الموضعين لكن يحسن اظهارها فى التشبيه دون الاستعارة وجملة الامر أنا نرى أداة التشبيه يحسن اظهارها فى موضع دون موضع فعلمنا أن الموضع الذى يحسن

الى النصب أتممته فقلت رأيت قاضيا وراميا ومهتديا ومشتريا فأما ما لا ينصرف مثل جوار وليال وسوار فانك تكتبه فى حال الرفع والخفض بلا ياء تقول هؤلاء جوار ومضت ثلاث ليال فاذا صرت الى النصب قلت رأيت جوارى وسرت ليالى فلا تصرفه لانه تم فى حال النصب فصار جمعا ثالثه ألف وبعد الالف حرفان ونقص فى حال الرفع والخفض فصرفته وكل هذا اذا أضفته الى ظاهر أو مكنى أثبت فيه الياء لان التنوين يذهب مع الاضافة فترد الياء فاذا ألحقت فى هذا ألفا ولاما للتعريف أثبت الياء فى الكتاب نحو قولك هذا القاضى وهذا المعتدى وهن الجوارى وقد يجوز حذفها وليس يستعمل الا فى كتاب المصحف فان كانت الياء متصلة لم تحذف نحو بخاتى وأمانى وأوارى وتكتب ثمان خلون فان أضفت الثمانى الى الليالى كتبت بالياء فتقول ثمانى ليال خلون فتلحق الياء مع الاضافة وليس سبيل ثمان سبيل جوار وسوار فى الامتناع من الانصراف لان ثمانيا بمنزلة رجل يمان منسوب الى اليمن خففت ياء النسب فيه وألحقت الالف بدلا منها قال الاعشى

ولقد شربت ثمانيا وثمانيا
وثمان عشرة واثنتين وأربعا

فصرف ثمانيا اذا كانت على ما أخبرتك بموشبهه فى النسب وان لم يكن مثله برذون رباع وذا نصبت قلت ركبت برذونا رباعيا

اظهارها فيه غير الموضع الذى لا يحسن اظهارها فيه فسمينا الموضع الذى يحسن اظهارها فيه تشبيها مضمر الاداة والذى لا يحسن اظهارها فيه استعارة وانما فعلنا ذلك لان تسمية ما يحسن اظهار أداة التشبيه فيه بالتشبيه أليق وتسمية ما لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيه بالاستعارة أليق فاذا قلنا زيد أسد حسن اظهار أداة التشبيه فيه بأن تقول زيد كالاسد واذا قلنا كما قال الشاعر

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيه على ما تقدم من ذكر ذلك أولا ﴿فان قيل﴾ اذا أجزت اضمار أداة التشبيه وقدرت اظهارها فى قولك زيد أسد أى كالاسد فنحن نضمر أيضا المستعارله ونقدر اظهاره فانه لما قال الشاعر عجل القضيب وأبطأ الدعص أضمر المستعارله وهو القد والردف واذا أظهر قيل عجل قد كالقضيب وأبطأ ردف كالدعص ولا فرق بين الاضمارين فكما يسعك اضمار أداة التشبيه فى قولك زيد أسد فكذلك يسعنا نحن اضمار المستعارله فى قول الشاعر ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أنى أقول نحن فى هذا المقام واقفون مع الاستحسان لا مع الجواز ولو تأملت ما أوردته فى أول كلامى بالعين الصحيحة لما أوردت على هذا الاعتراض ههنا فانى قلت التشبيه المضمر الاداة يحسن اظهار أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن اظهار أداة التشبيه فيها ولو قلت يجوز أو لا يجوز لورد على هذا الاعتراض الذى ذكرته وقد علم وتحقق أن من الواجب فى حكم الفصاحة والبلاغة أن لا يظهر المستعارله واذا أظهر ذهب ما على الكلام من الحسن والرونق (ألا ترى) أنا اذا أوردنا هذا البيت الذى هو

وأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وجدنا عليه من الحسن والرونق ما لا خفاء به وهو من باب الاستعارة فاذا أظهرنا المستعارله صرنا الى كلام غث وذلك أنا نقول فأمطرت دمعا كاللؤلؤ من عين كالنرجس وسقت خدا كالورد وعضت على أنامل مخضوبة كالعناب بأسنان كالبرد وفرق بين هذين الكلامين للتأمل واسع وهكذا يجرى الحكم فى البيت المتقدم ذكره الذى هو

فرعاء ان نهضت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص

فان هذا البيت لا خفاء بما عليه من الحسن واذا ظهر فيه المستعارله زال ذلك الحسن عنه لا بل تبدل بضده وليس كذلك التشبيه المضمر الاداة فانا اذا أظهرنا أداة التشبيه وأضمرناها كان ذلك سواء اذ لا فرق بين قولنا زيد أسد وبين قولنا زيد كالاسد وهذا لا يخفى على جاهل بعلم الفصاحة والبلاغة فضلا عن عالم والمعول عليه فى تأليف الكلام من المنثور والمنظوم انما هو حسنه وطلاوته فاذا ذهب ذلك عنه فليس بشئ ونحن فى الذى نورده فى هذا الكتاب واقفون مع الحسن لا مع الجواز ثم لو تنزلنا معك أيها المعترض عن درجة الحسن الى درجة الجواز لما استقام لك ما ذكرته وذلك أن اضمار أداة التشبيه ظاهر فى قولنا زيد أسد أى كالاسد وهو مضمر واحد وأما قول الشاعر فرعاء ان نهضت لحاجتها فانه لا يضمر فيه أداة التشبيه الا بعد أن يظهر المستعارله وحينئذ يكون فيه اضماران أحدهما المستعارله والآخر أداة التشبيه واضمار واحد أيسر من اضمارين أحدهما معلق على الآخر واذا كان الامر كذلك فالفرق بين الاستعارة والتشبيه هو ما قدمت القول فيه من أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعارله فتأمل ما أشرت اليه وتدبره حتى تعلم أنى ذكرت ما لم يذكره أحد غيرى على هذا الوجه (وانما سمى هذا القسم) من الكلام استعارة لان الاصل فى الاستعارة المجازية مأخوذ من العارية الحقيقية التى هى ضرب من المعاملة وهى

فأقمت قال الشاعر

* ربا عيا مرتبعا أو شوقبا *

﴿باب الامر بالمعتل من الفعل﴾

تقول قل وبع وخف ذهبت الواو والياء والالف لاجتماع الساكنين فاذا ثنيت قلت قولا وبيعا وكذلك فى الجميع قولوا وبيعوا وخافوا تظهر ما ذهب فى الواحد لتحرك الحرف الآخر وتقول للمرأة قولى وبيعى وخافى فلا تسقط حرف المد لتحرك الحرف الذى يليه فاذا أمرت بالمهموز من الافعال مثل أمر يأمر وأكل يأكل وسأل يسأل وجاء يجىء فالمستعمل فى أمر يأمر أن تقول مر فلانا بكذا فاذا اتصل بواو أو فاء قبله قلت وأمر فلانا فأمره قال الله سبحانه وأمر قومك يأخذوا بأحسنها وقال تعالى وأمر أهلك بالصلاة ويجوز أو مر فلانا بلا واو ولا فاء قبله وليس بمستعمل والمستعمل فى كل الحذف فى كل حال اتصل بواو أو فاء أو لم يتصل لم نسمع غير ذلك والمستعمل فى مثل أجره الله يأجره الاتمام فى الانفراد والاتصال تقول اللهم أوجرنى فى مصيبتى فأما سأل يسأل فان شئت ابتدأت فقلت اسأل فلانا عن كذا وان شئت قلت سل فلانا وهو أحب الى لانها كذلك كتبت فى المصحف اذا لم تتصل بواو قبلها ولا فاء قبلها وان اتصلت بواو أو فاء فان شئت ألحقت فيها ألفا فى أولها وهمزت فقلت فاسأل الله وان شئت حذفت فاذا أمرت من جاء يجىء قلت جئ

أن يستعير بعض الناس من بعض شيأ من الاشياء ولا يقع ذلك الا من شخصين بينهما سبب معرفة ما يقتضي استعارة أحدهما من الآخر شيأ واذا لم يكن بينهما سبب معرفة بوجه من الوجوه فلا يستعير أحدهما من الآخر شيأ اذ لا يعرفه حتى يستعير منه وهذا الحكم جار في استعارة الالفاظ بعضها من بعض فالمشاركة بين اللفظين في نقل المعنى من أحدهما الى الآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما الى الآخر (واعلم) أنه قد ورد من الكلام ما يجوز حمله على الاستعارة وعلى التشبيه المضمر الاداة معا باختلاف القرينة وذلك أن يرد الكلام محمولا على ضمير من تقدم ذكره فينتقل عن ذلك الى غيره ويرتجل ارتجالا (فمما جاء منه) قول البحتري

اذا سفرت أضاءت شمس دجن * ومالت في التعطف غصن بان

فلما قال أضاءت شمس دجن بنصب الشمس كان ذلك محمولا على الضمير في قوله أضاءت كأنه قال أضاءت هي وهذا تشبيه لان المشبه مذكور وهو الضمير في أضاءت الذي نابت عنه التاء ويجوز حمله على الاستعارة بأن يقال أضاءت شمس دجن برفع الشمس ولا يعود الضمير حينئذ الى من تقدم ذكره وانما يكون الكلام مرتجلا ويكون البيت

اذا سفرت أضاءت شمس دجن * ومال من التعطف غصن بان

وهذا الموضع فيه دقة غموض وحرف التشبيه يحسن في الاول دون الثاني (وأما القسم) الذي يكون العدول فيه عن الحقيقة الى المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول اليه فذلك لا يكون الا لطلب التوسع في الكلام وهو سبب صالح اذ التوسع في الكلام مطلوب (وهو ضربان) أحدهما يرد على وجه الاضافة واستعماله قبيح لبعد ما بين المضاف والمضاف اليه وذلك لانه يلتحق بالتشبيه المضمر الاداة واذا ورد التشبيه ولا مناسبة بين المشبه والمشبه به كان ذلك قبيحا ولا يستعمل هذا الضرب من التوسع الا جاهل بأسرار الفصاحة والبلاغة أو ساه غافل يذهب به خاطره الى استعمال ما لا يجوز ولا يحسن كقول أبي نواس

بح صوت المال مما * منك يشكو ويصيح

فقوله بح صوت المال من الكلام النازل بالمرة ومراده من ذلك أن المال يتظلم من اهانتك اياه بالتمزيق فالمعنى حسن والتعبير عنه قبيح وما أحسن ما قال مسلم بن الوليد في هذا المعنى

تظلم المال والاعداء من يده * لا زال للمال والاعداء ظلاما

وكذلك ورد قول أبي نواس أيضا

ما لرجل المال أمست * تشتكي منك الكلالا

فاضافة الرجل الى المال أقبح من اضافة الصوت ومن هذا الضرب قول أبي تمام

وكم أحرزت منكم على قبح قدها * صروف النوى من مرهف حسن القد

فاضافة القد الى النوى من التشبيه البعيد البعيد وانما أوقعه فيه المماثلة بين القد والقد وهذا دأب الرجل في تتبع المماثلة تارة والتجنيس أخرى حتى انه ليخرج الى بناء يعاب به أقبح عيب وأفحشه وكذلك ورد قوله

بلونالك أما كعب عرضك في العلا * فعال وأما خد مالك أسفل

فقوله كعب عرضك وخد مالك مما يستقبح ويستنكر ومراده من ذلك أن عرضك مصون ومالك مبتذل الا أنه عبر عنه أقبح تعبير وأبو تمام يقع في مثل ذلك كثيرا (وأما الضرب الآخر من التوسع) فانه يرد على غير وجه الاضافة وهو حسن لا عيب فيه وقد ورد في القرآن الكريم

البناء وكذلك ان اتصل وان ثنيت قلت جيأ اوجيئوا مثل جيعا وجيعوا واذا أمرت من مثل وعيت الحديث ووقيتك نفسي ووشيت الثوب زدت هاء في اللفظ اذا وقفت وهاء في الكتاب فتكتب عه كلامي قه زيدا بنفسك شه ثوبك لانه لا تكون كلمة على حرف واحد فان وصلت ذلك بفاء أو واو فان شئت أقررت الهاء وان شئت حذفتها والحذف أحب الي تقول قم فق زيدا واذهب فعل عملك واذهب فش ثوبك فان وصلت ذلك بثم ألحقت الهاء لان ثم حرف منفصل قائم بنفسه لا يتصل بما بعده اتصال الواو والفاء وتقول ردوا وردد وشدوا واشدد فاذا ثنيت قلت ردا وشدا ولا تقول ارددا وكذلك الجمع الا في النساء فانك تقول أرددن

﴿باب الهمز﴾

اذا سكنت الهمزة وقبلها فتحة كتبت ألفا نحو قرأت وملأت ورأس وبأس وان انكسر ما قبلها كتبت ياء نحو برئت وشئت وان انضم ما قبلها كتبت واوا نحو جرؤت ووضؤت وجؤنة ولؤم فاذا كانت آخرا قبلها فتحة كتبت في الرفع والنصب والخفض ألفا فتقول مررت بالملأ وأقررت بالخطأ ورأيت الملأ وعرفت الخطأ وهذا الملأ وهو يقرأ ويبرأ منك فان أضفت الحرف الى ظاهر فهو على حاله وان أضفته الى مضمر فهو في النصب على حاله تقول رأيت ملأهم وعرفت خطأهم وان أقرأه وتجعلها في الرفع واوا

كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فنسبة القول الى السماء والارض من باب التوسع لانهما جماد والنطق انما هو للانسان لا للجماد ولا مشاركة ههنا بين المنقول والمنقول اليه وكذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وعليه ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم فانه نظر الى أحد يوما فقال هذا جبل يحبنا ونحبه فاضافة المحبة الى الجبل من باب التوسع اذ لا مشاركة بينه وبين الجبل الذى هو جماد (وعلى هذا) ورد مخاطبة الطلول ومساءلة الاحجار كقول أبى تمام

أميدان لهوى من أتاح لك البلى ✽ فأصبحت ميدان الصبا والجنائب

وكقول أبى الطيب المتنبى

أثلث فانا أيها الطلل ✽ نبكى وترزم تحتنا الابل

فأبو تمام سائل ربوعا عافية وأحجارا دارسة ولا وجه لها ههنا الا مساءلة الاهل كالذى فى قوله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية وكل هذا توسع فى العبارة اذ لا مشاركة بين رسوم الديار وبين فهم السؤال والجواب وكذلك قال أبو الطيب المتنبى فى أمره الطلل بأن يكون ثالثا لهما أى الركب والابل وهذا واضح لا نزاع فيه فاذ قد تبين وتحقق ما أشرت اليه من هذا الموضع فالمجاز لا يخرج عن هذه الاقسام الثلاثة اما توسع أو تشبيه أو استعارة واذا حققنا النظر فى الاستعارة والتشبيه وجدناهما أمرا قياسيا فى حمل فرع على أصل لمناسبة بينهما وان كانا يفترقان بحدهما وحقيقتهما (فأما حد الاستعارة) فقيل انه نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وهذا الحد فاسد لان التشبيه يشارك الاستعارة فيه ألا ترى أنا اذا قلنا زيد أسد أى كأنه أسد وهذا نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما الا انا نقلنا حقيقة الاسد الى زيد فصار مجازا وانما نقلناه للمشاركة بين زيد وبين الاسد فى وصف الشجاعة والذى عندى من ذلك أن يقال حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ الى لفظ لمشاركة بينهما مع طى ذكر المنقول اليه لانه اذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حدا لها دون التشبيه وطريقة أنك تريد تشبيه الشئ بالشئ مظهرا او مضمرا وتجئ الى المشبه فتعيره اسم المشبه به وتجريه عليه مثال ذلك أن تقول رأيت أسدا وهذا كالبيت الشعر المتقدم ذكره وهو

فرعاء ان نهضت لحاجتها ✽ عجل القضيب وأبطأ الدعص

فان هذا الشاعر أراد تشبيه القد بالقضيب والردف بالدعص الذى هو كثيب الرمل فترك ذكر التشبيه مظهرا او مضمرا وجاء الى المشبه وهو القد فأعاره المشبه به وهو القضيب والدعص وأجراه عليه الا أن هذا الموضع لا بد له من قرينة تفهم من فحوى اللفظ لانه اذا قال القائل رأيت أسدا وهو يريد رجلا شجاعا فان هذا القول لا يفهم منه ما أراد وانما يفهم منه أنه أراد الحيوان المعروف بالاسد لكن اذا اقترن بقوله هذا قرينة تدل على أنه أراد رجلا شجاعا اختص الكلام بما أراد ألا ترى الى قول الشاعر عجل القضيب وأبطأ الدعص فانه دل عليه من نفس البيت لان قوله فرعاء ان نهضت دليل على أن المراد هو القد والردف لان القضيب والدعص لا يكونان لامرأة فرعاء تنهض لحاجتها وكذلك كل ما يجئ على هذا الاسلوب لان المستعار له وهو المنقول اليه مطوى الذكر (وكنت تصفحت) كتاب الخصائص لابى الفتح عثمان بن جنى فوجدته قد ذكر فى المجاز شيأ يتطرق اليه النظر وذلك أنه قال لا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا لمعان ثلاثة وهى الاتساع والتشبيه والتوكيد فان عدمت الثلاثة كانت الحقيقة البتة (فمن ذلك) قوله تعالى فأدخلناه فى رحمتنا فهذا مجاز وفيه الثلاثة المذكورة أما الاتساع فهو أنه زاد فى أسماء الجهات والمحال اسما هو الرحمة وأما التشبيه

فانه

تقول هو يقرؤه ويملؤه وهل أتاك نبؤهم وملؤهم هذا المذهب المتقدم وكان بعض كتاب زماننا يدع الحرف على حاله بالالف فيكتب هو يقرأه وهو يملأه وهذا ملأهم وهو ينشأ والله يكلأك فلان لا يرزأوك شيأ يدل على الهمزة والاعراب فيها بضمة يرقمها فوق الالف وانما اختار الالف لان الوقوف على الحرف اذا انفرد وأبدل من الهمزة على الالف كذلك يكتب منفردا فيتركه على حاله اذا أضيف ويجعلها فى الخفض ياء فيقول مررت بملئهم وسمعت بعض نبئهم وكان المختار فى الرفع ان يترك الحرف على حاله مكتوبا بالالف ويختار فى الخفض مثل ذلك ويوقع تحت الالف كسرة يدل بها على الهمزة والاعراب فان انضم ما قبل الهمزة جعلتها واوا على كل حال فتكتب لم يوضؤ الرجل وان يوضؤ الرجل ومررت بأكمؤك ورأيت أكمؤك وان انكسر ما قبلها جعلتها ياء على كل حال فتكتب هو يقرئك السلام وهذا قارئنا وهو يريد ان يستقرئك واذا كانت الهمزة مضمومة أو مكسورة وبعدها ياء أو واو كتبت ياء واحدة وواو واحدة وحذفت الهمزة فتكتب اقرؤا وقد قرؤا القرآن وهم يهزؤن بنا وهم يملؤن وهم يستهزؤن وهؤلاء مقرؤن ويخطؤن هذا الذى عليه المصحف ومتقدمو الكتاب وقد كتبه بعض الكتاب بياء قبل الواو مستهزيون ومقريون وذلك

فالتشبيه الرحمة وان لم يصح دخولها لم يصح دخوله   وأما التوكيد فهو أنه أخبر عما لا يدرك بالحاسة بما يدرك بالحاسة تعاليا بالخبر عنه وتفخيما له اذ اصير بمنزلة ما يشاهد ويعاين هذا مجموع قول أبي الفتح رحمه الله من غير زيادة ولا نقص (والنظر يتطرق اليه من ثلاثة أوجه الاول) أنه جعل وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز بل وجود واحد منها سبب لوجوده   ألا ترى أنه اذا وجد التشبيه وحده كان ذلك مجازا واذا وجد الاتساع وحده كان ذلك مجازا ثم ان كان وجود هذه المعاني الثلاثة سببا لوجود المجاز كان عدم واحد منها سببا لعدمه   ألا ترى أنا اذا قلنا لا يوجد الانسان الا بأن يكون حيوانا ناطقا فالحيوانية والنطق سبب لوجود الانسان واذا عدم واحد منهما بطل أن يكون انسانا   وكذلك كل صفات تكون متقدمة لوجود الشئ فان وجودها وجوده وعدم واحد منها يوجب عدمه ﴿وأما الوجه الثاني﴾ فانه ذكر التوكيد والتشبيه وكلاهما شئ واحد على الوجه الذي ذكره لانه لما شبهت الرحمة وهي معنى لا يدرك بالبصر بمكان يدخل وهو صورة تدرك بالبصر دخل تحته التوكيد الذي هو اخبار عما لا يدرك بالحاسة بما قد يدرك بالحاسة على أن التوكيد ههنا على وجه ما أورده في تمثيله لا أعلم ما الذي أراد به لانه لا يوثق به في اللغة العربية الا لمعنيين أحدهما أنه يراد به فيما استقرى بألفاظ محصورة نحو نفسه وعينه وكله وما أضيف اليها مما استقرى وهو مذكور في كتب النحاة وقد كشفت مؤنته الآخر أنه يرد على وجه التكرير نحو قام زيد قام زيد كرر اللفظ في ذلك تحقيقا للمعنى المقصود أي توكيدا والذي ذكره أبو الفتح رحمه الله تعالى لا يدل على أن المراد به أحد هذين المعنيين المشار اليهما ولا شك أنه أراد به المبالغة والمغالاة في ابراز المعنى الموهوم الى الصورة المشاهدة فعبر عن ذلك بالتوكيد ولا مشاحة في تعبيره واذا أراد به ذلك فهو والتشبيه سواء على ما ذكره ولا حاجة الى ذكر التوكيد مع ذكر التشبيه ﴿وأما الوجه الثالث﴾ فانه قال أما الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال كذا وكذا وهذا القول مضطرب شديد الاضطراب لانه ينبغي على قياسه أن يكون جناح الذل" في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل" زيادة في أسماء الطيور وذلك أنه زاد في أسماء الطيور اسما هو الذل" وهكذا يجري الحكم في الاقوال الشعرية كقول أبي تمام

لبست سواه أقواما فكانوا * كما أغنى التيمم بالصعيد

فزاد في أسماء اللباس اسما هو الآدمي" وهذا مما يضحك منه نعوذ بالله من الخطل والاتساع في المجال لا يقال فيه كذا وانما يقال هو أن تجري صفة من الصفات على موصوف ليس أهلا لان تجري عليه لجمعها بينه وبينها كقول أبي الطيب المتنبي

اثلث فانا أيها الطلل * نبكي وترزم تحتنا الابل

فلما أجري الكلام على ذلك وانما يستعمل طلبا للاتساع في أساليب الكلام لا لمناسبة بين الصفة والموصوف اذ لو كان لمناسبة لما كان ذلك اتساعا وانما كان ضربا من القياس في حمل الشئ على ما يناسبه ويشاكله وحينئذ يكون ذلك تشبيها أو استعارة على ما أشرت اليه من قبل (وكنت طالعت) في كتاب من مصنفات أبي حامد الغزالي رحمه الله ألفه في أصول الفقه ووجدته قد ذكر الحقيقة والمجاز وقسم المجاز الى أربعة عشر قسما وتلك الاربعة عشر ترجع الى الثلاثة التي أشرت اليها وهي التوسع والتشبيه والاستعارة ولا تخرج عنها والتقسيم لا يصح في شئ من الاشياء الا اذا اختص كل قسم من الاقسام بصفة لا يختص بها غيره والا كان التقسيم لغوا لا فائدة فيه وسأورد ما ذكره وأبين فساده (فالقسم الاول) من الاقسام التي ذكرها هو ما جعل للشئ بسبب المشاركة في خاصة كقولهم للشجاع أسد وللبليد حمار وهذا القسم داخل

حسن (وكذلك) اذا كان بعد الهمزة ياء الجميع أو ياء المؤنث اقتصروا على ياء واحدة نحو قولك للمرأة أنت تستهزئين وتتكئين ونحو قولك مررت بقوم متكئين ومخطئين لا اختلاف فيه ومما اختلفوا فيه مؤنة وشؤون جمع شأن ورؤس ونحو رجل سؤل ويؤس كتبه بعضهم بواوين وبعضهم بواو واحدة وكل حسن فأما الموؤدة فانها تكتب في المصحف بواو واحدة واستحب للكاتب ان يكتبها بواوين لانها ثلاث احداهن همزة مضمومة تبدل منها واو فان حذفت اثنتين أجحفت بالحرف وكذلك اختلفوا في مثل لئيم ورئيس وبئيس وزئير فكتبه بعضهم بياء واحدة اتباعا للمصحف وكتبه بعضهم بياءين وهو أحب الي" وما جاء على أفعل والعين همزة نحو أفؤس وأرؤس جمع فأس ورأس وأسؤق جمع ساق وأثؤب جمع ثوب فأحب الي" ان تكون ذلك كله بواو واحدة وحذفها جائز

﴿باب الهمزة في الفعل اذا كانت عينا وانفتح ما قبلها﴾

وهي اذا كانت كذلك كتبت اذا انضمت واوا واذا انكسرت ياء واذا انفتحت ألفا نحو سأل وزأر الاسد وسئم وبئس ولؤم وبؤس اذا اشتدت حاجته فاذا قلت من ذلك يفعل حذفت فكتبت يسئل ويزأر ويسئم ويبئس ويلئم ويبئس وقد أبدل منها بعضهم والحذف أجود وبالحذف كتبت في المصحف الا في حرف واحد

في الاستعارة ان ذكر المنقول وحده مثل أن يقول القائل رأيت أسدا ومراده رجلا شجاعا أو رأيت حمارا ومراده رجلا بليدا ودا خل في التشبيه المضمر الاداة ان ذكر المنقول والمنقول اليه معا كقول القائل زيد أسد أى كالاسد أو حمار أى كالحمار (القسم الثاني) تسمية الشئ باسم مايؤول اليه كقوله تعالى انى أرانى أعصر خمرا وانما كان يعصر عنبا وهذا القسم داخل في القسم الاول لصفة المشابهة بين المنقول والمنقول اليه وهو من باب الاستعارة لا بل أوغل في المشابهة من ذلك لان الخمر من العنب وليس الاسد من الرجل ولا الرجل من الاسد (القسم الثالث) تسمية الشئ باسم فرعه كقول الشاعر

وما العيش الا نومة وتشوق ＊ وتمر على رأس النخيل وماء

فسمى الرطب تمرا وهذا القسم والقسم الذى قبله سواء لان هناك سمى العنب خمرا وهنا سمى الرطب تمرا فالعنب أصل والخمر فرع وكذلك الرطب أصل والتمر فرع وكلا هذين القسمين داخل في القسم الاول وعجب أن الغزالي لم يحقق أمر المجاز وانقسامه الى تلك الاقسام الثلاثة التى أشرت اليها ألم ينظر الى هذين القسمين اللذين هما العنب والخمر والرطب والتمر ويعلم أنهما شئ واحد لا فرق بينهما (القسم الرابع) تسمية الشئ باسم أصله كقولهم للآدمى مضغة وهذا ضد القسم الذى قبله لان ذاك جعل الاصل فيه فرعا وهذا جعل الفرع فيه أصلا وهو داخل في القسم الاول أيضا (القسم الخامس) تسمية الشئ بدواعيه كتسميتهم الاعتقاد قولا نحو قولهم هذا يقول بقول الشافعي رحمه الله أى يعتقد اعتقاده وهذا القسم داخل في القسم الاول لان بين القول وبين الاعتقاد مناسبة كالمناسبة بين السبب والمسبب والباطن والظاهر (القسم السادس) تسمية الشئ باسم مكانه كقولهم للمطر سماء لانه ينزل منها وهذا القسم داخل في الاول لصفة المناسبة بين المنقول والمنقول اليه وهو النزول من عال وكل ما علاك وأظلك فهو سماء على أن الاغلب على ظنى أن هذا القسم من الاسماء المشتركة وتسمية المطر بالسماء حقيقة فيه وليس من المجاز في شئ (القسم السابع) تسمية الشئ باسم مجاوره كقولهم للمزادة راوية وانما الراوية الجمل الذى يحملها وهذا القسم من باب التوسع لا من باب التشبيه ولا من باب الاستعارة لان على قياسه ينبغى أن يسمى الجمل زاملة لانه يحملها (القسم الثامن) تسمية الشئ باسم جزئه كقولك لمن تبغضه أبعد الله وجهه عنى وانما تريد سائر جثته وهذا القسم داخل في القسم الاول وهو شبيه بتسمية الشئ باسم فرعه (القسم التاسع) تسمية الشئ باسم ضده كقولهم للاسود والابيض جون وهذا القسم ليس من المجاز في شئ البتة وانما هو حقيقة في هذين المعنيين معا لانه من الاسماء المشتركة كقولهم شمت السيف اذا سللته وشمته اذا أغمدته فدل الشيم على الضدين معا بالوضع الحقيقى وفى اللغة من هذا شئ كثير فكيف يجعل هذا القسم من المجاز ولا شك أن الغزالي نظر الى أن الضدين لا يجتمعان في محل واحد فقاس الاسم على الذات وظن أن الذاتين لا يجتمعان في اسم واحد كما أنهما لا يجتمعان في محل واحد (فان قيل) لا نسلم أن اللفظ المشترك حقيقة بالوضع في المعنيين معا لان ذلك يخل بفائدة الوضع الذى هو البيان وانما هو حقيقة في أحد معنييه مجاز في الآخر (فالجواب عن ذلك) أن هذا الموضع تقدم الكلام عليه في الفصل الثانى من مقدمة الكتاب وهو الفصل الذى يشتمل على آلات علم البيان وأدواته فليؤخذ من هناك فانى قد أشبعت القول فيه اشباعا لا مزيد عليه (القسم العاشر) تسمية الشئ بفعله كتسمية الخمر مسكرا وهذا القسم داخل في القسم الاول وأى مشاركة أقرب من هذه المشاركة فان الاسكار صفة لازمة للخمر وليست الشجاعة صفة

لازمة

يسألون عن أنبائكم وانما كتبت كذلك على قراءة من قرأها يسألون بمعنى يتساءلون وكذلك تكتب مسئلة وأصحاب المشئمة بالحذف وكذلك يكتب مشؤم ومسؤل ومسؤم بواو واحدة لسكون ما قبلها واجتماع واوين

﴿باب الهمزة تكون آخر الكلمة وما قبلها ساكن﴾

اذا كانت الهمزة كذلك حذفت في الرفع والخفض نحو قول الله عز وجل يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ولكم فيها دفء وملء الارض ذهبا (وكذلك) ان كانت في موضع نصب غير منون نحو قوله عز وجل يخرج الخبء فاذا كانت في موضع نصب منون ألحقتها ألفا نحو أخرجت خبأ وأخذت دفأ ورأيت بر أو قرأت جزأ فان أضفتها الى المضمر فهى في الرفع واو وفى الجر ياء وفى النصب ألف تقول خبؤك ودفؤهم ومررت بجزئك وخبئك وشربت ملأها وأخذت دفأها (وكذلك) اذا ألحقتها هاء التأنيث جعلتها ألفا لان هاء التأنيث تفتح ما قبلها تقول المرأة والكمأة والجرأة والنشأة الاولى ووجأته وجأة فان كان قبل هاء التأنيث ياء أو واو أو ألف حذفت نحو الهيئة والسوءة والفيئة وتكتب مثل جاى وشاى بياء وتجعل الياء تدل على الهمزة اذ كانت مكسورة فأما الياء الثانية فمحذوفة كما حذفت من قاض ورام وكذلك تكتب مراى جمع مرآة ومساى جمع مساءة

لازمة لزيد لانه يمكن أن يكون زيد ولا شجاعة ولا يمكن أن يكون خمر ولا اسكار الا ترى أنهم لم يسموا الخمر خمرا الا لاسكارها فانها تخمر العقل أى تستره (القسم الحادى عشر) تسمية الشئ بكله كقولك فى جواب من فعل زيد القيام والقيام جنس يتناول جميع أنواعه وهذا القسم لا ينبغى أن يوصل باقسام المجاز لان القيام لزيد حقيقة (فان قيل) ان القيام يشمل جميع أنواع القيام من الماضى والحاضر والمستقبل (قلت) وهذا من أقرب أقسام المجاز مناسبة لانه اقامة للمصدر مقام الفعل الماضى والمصدر أصل الفعل وعلى هذا فان هذا داخل فى القسم الاول (القسم الثانى عشر) الزيادة فى الكلام لغير فائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فما ههنا زائدة لا معنى لها أى فبرحمة من الله لنت لهم وهذا القول لا أراه صوابا وفيه نظر من وجهين أحدهما أن هذا القسم ليس من المجاز لان المجاز هو دلالة اللفظ على غير ما وضع له فى أصل اللغة وهذا غير موجود فى الآية فى ما هى دالة على الوضع اللغوى المنطوق به فى أصل اللغة الوجه الآخر انى لو سلمت أن ذلك من المجاز لا ذكرت أن لفظة ما زائدة لا معنى لها ولكنها وردت تفخيما لامر النعمة التى لان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى محض الفصاحة ولو عرى الكلام منها لما كانت له تلك الفخامة وقد ورد مثلها فى كلام العرب كالذى يحكى عن الزباء وذلك أن الوضاح الذى هو جذيمة الابرش تزوجها والحكاية فى ذلك مشهورة فلما دخل عليها كشفت له عن فرجها وقد ضفرت الشعر من فوقه ضفيرتين وقالت اذات عروس ترى أما انه ليس ذلك من عوز المواس ولا من قلة الاواس ولكنه شيمة ما أناس فمعنى الكلام ولكنه شيمة اناس وانما جاءت ما ههنا تفخيما لشأن صاحب تلك الشيمة وتعظيما لامره ولو أسقطت لما كان للكلام هذه الفخامة والجزالة ولا يعرف ذلك الا أهله من علماء الفصاحة والبلاغة وأما الغزالى رحمه الله تعالى فانه معذور عندى فى أن لا يعرف ذلك لانه ليس منه ومن ذهب الى أن فى القرآن لفظا زائدا لا معنى له فاما أن يكون جاهلا بهذا القول واما أن يكون متسمحا فى دينه واعتقاده وقول النحاة ان ما فى هذه الآية زائدة فانما يعنون به أنها لا تمنع ما قبلها عن العمل كما يسمونها فى موضع آخر كافة أى أنها تكف الحرف العامل عن عمله كقولك انما زيد قائم فما قد كفت ان عن العمل فى زيد وفى الآية لم تمنع عن العمل ألا ترى أنها لم تمنع الباء عن العمل فى خفض الرحمة (القسم الثالث عشر) تسمية الشئ بحكمه كقوله تعالى وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها فسمى النكاح هبة وهذا القسم داخل فى القسم الاول لان النكاح هو تمكين الزوج من الوطء على عوض على هيئة مخصوصة والهبة تمكينه من الشئ الموهوب على غير عوض فشاركت الهبة النكاح فى نفس التمكين من الوطء وان اختلفا فى الصورة (القسم الرابع عشر) النقصان الذى لا يبطل به المعنى كحذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قال الله تعالى ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا أى شخصا بريئا وكحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه قال الله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية وهذا القسم داخل فى القسم الاول أما حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه فلان الصفة لازمة للموصوف وأما حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فلانه دل بالمسكون على الساكن وتلك مقارنة قريبة فهذه أقسام المجاز التى ذكرها الغزالى رحمه الله تعالى وقد بينت فساد التقسيم فيها وأنها ترجع الى ثلاثة أقسام هى التوسع والتشبيه والاستعارة (وحيث انتهى بى الكلام الى ههنا) وفرغت مما أردت تحقيقه وبينت ما أردت بيانه فانى أتبع ذلك بضرب الامثلة للاستعارة التى يستفيد بها المتعلم ما لا يستفيده بذكر الحد

بياء واحدة وتكتب منى ومرى اذا أردت مفعلا من أنانى فلان أى أبعدنى وأرات الشاة اذا استبان حملها بياء واحدة

﴿باب﴾

الهمزة تكون عينا والام ياء أو واو نحو رأيت ونأيت ووأيت وشأوت القوم أى سبقتهم وبأوت عليهم اذا تعظمت عليهم تكتب فعل من ذلك كله بالف وياء بعدها نحو رأى ونأى وشأى وبأى ووأى وانما كتبت بنات الواو منه بالياء لانك كرهت الجمع بين ألفين وتكتب يفعل منه ينأى ويشأى ويبأى بياء بعد ألف وكان بعضهم يكتبه بغير ألف ينى ويشى كما كتب يسئل ويسئم بلا ألف ولا أحب ذلك لان هذا مثل موضع اللام من الفعل فلا يجمع عليه مع الاعتلال الحذف فأما يرى فكلهم يحذف الهمزة منها فكتبوها بالحذف فان أضفت الى المضمر فهو بالف واحدة نحو نآه وشآه ووآه لانك تجعل بنات الواو مع المضمر ألفا فاستثقلوا جمع ألفين وكذلك رآه

﴿باب ما كانت الهمزة فيه لاما وقبلها ياء أو واو نحو جئت وشئت وسؤت ونؤت﴾

تكتب ذلك اذا أردت تفعلون تسوؤن وتبوؤن بواوين لانهم ثلاث فتحذف واحدة وكذلك أنتم مسوؤن فاذا أردت تفعلون من أساء قلت تسيؤن بياء وواو واحدة لانهما واوان فتحذف واحدة ولو كان الحذف من غير العلل مثل يفعلون من أخطأ

والحقيقة (فمما جاء من ذلك فى القرآن الكريم) قوله تعالى فى أول سورة ابراهيم صلوات الله عليه الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور فالظلمات والنور استعارة للكفر والايمان أو للضلال والهدى والمستعار له مطوى الذكر كأنه قال لتخرج الناس من الكفر الذى هو كالظلمة الى الايمان الذى هو كالنور وكذلك ورد قوله تعالى فى هذه السورة أيضا وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال والقراءة برفع لتزول منه الجبال ليست من باب الاستعارة ولكنها فى نصب تزول واللام لام كى والجبال ههنا استعارة طوى فيها ذكر المستعار له وهو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الآيات والمعجزات أى أنهم مكروا مكرهم لكى تزول منه هذه الآيات والمعجزات التى هى فى ثباتها واستقرارها كالجبال وعلى هذا ورد قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فاستعار الاودية للفنون والاغراض من المعانى الشعرية التى يقصدونها وانما خص الاودية بالاستعارة ولم يستعر الطرق والمسالك أو ما جرى مجراها لان معانى الشعر تستخرج بالفكرة والروية والفكرة والروية فيهما خفاء وغموض فكان استعارة الاودية لها أشبه وأليق والاستعارة فى القرآن قليلة لكن التشبيه المضمر الاداة كثير وكذلك هى فى فصيح الكلام من الرسائل والخطب والاشعار لان طى المستعار له لا يتيسر فى كل كلام وأما التشبيه المضمر الاداة فكثير سهل لمكان ظهور المشبه والمشبه به معا (ومما ورد من الاستعارة فى الاخبار النبوية) قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنار المشركين فاستعار النار للرأى والمشورة أى لا تهتدوا برأى المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه دخل يوما مصلاه فرأى أناسا كأنهم يكترون فقال أما انكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى وهاذم اللذات أراد به الموت وهو مطوى الذكر (وبلغنى عن العرب) أنهم يقولون عند رؤية الهلال لا مرحبا بالجين مقرب أجل ومحل وهذا من باب الاستعارة فى طى ذكر المستعار له (وكذلك بلغنى عن الحجاج بن يوسف) أنه خطب خطبة عند قدومه العراق فى أول ولايته اياه والخطبة مشهورة من جملتها أنه قال ان أمير المؤمنين نثل كنانته وعجمها عودا عودا فرأى أصلبها نجارا وأقومها عودا وأنفذها نصلا فقوله نثل كنانته وعجمها عودا عودا يريد أنه عرض رجاله واختبرهم واحدا واحدا احتباره فرأى أشدهم وأمضاهم وهذا من الاستعارة الحسنة الفائقة (وقد جاءنى من الاستعارة فى رسائلى) ما أذكر شيأ منه ولو مثالا واحدا وذلك أنه سألنى بعض الاصدقاء أن أصف له غلامين تركيين كان يهواهما وكان أحدهما يلبس قباء أحمر والآخر قباء أسود فقلت اذا تشعبت أسباب الهوى كانت أسره أظهر وأضحت أمراضه خطرا كلها ولا يقال فى أحدها هذا أخطر وقد هويت بدرين على غصنين ولا طاقة للقلب بهوى واحد فكيف اذا حمل هوى اثنين ومما شجانى أنهما يتلونان فى أصباغ الثياب كما يتلونان فى فنون التجرم والعتاب وقد استجدا الآن زيا مزيدا على حسنهما فى حسنه فهذا يخرج فى ثوب من حمرة خده وهذا فى ثوب من سواد جفنه وما أدرى من دلهما على هذا العجيب غير أنه ليس على فتنة الحب أهدى من حبيب وهذا الفصل بجملته مما تواصفه الناس وأغروا بحفظه (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فكقول مسكين الدارمى من شعراء الحماسة

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه ان الحديث من القرى * وتعلم نفسى أنه سوف يهجع

فالغزال

الكتبت يخطون ويقرون وحذفت الياء كما أخبرتك ولا تحذف الياء من تسيئون لانك قد حذفت واوا فلو حذفت الياء أيضا لاجحفت بالحرف فاذا قلت للمرأة أنت تستيئين وتجيئين حذفت ياء واحدة واقتصرت على اثنتين وكذلك تبوئين وتسوئين فلا تأتى بياء واحدة وتحذف واحدة

﴿باب التاريخ والعدد﴾

المؤنث فيما بين الثلاث الى العشر بغير هاء تقول ثلاث ليال الى عشر ليال والمذكر بالهاء تقول ثلاثة أيام الى عشرة أيام وتقول احدى عشرة ليلة واثنتا عشرة ليلة الى تسع عشرة ليلة فتلحق الهاء فى العدد الثانى وتحذفها من الاول وفى المذكر أحد عشر يوما واثنا عشر يوما وثلاثة عشر يوما الى تسعة عشر يوما فتلحق الهاء فى العدد الاول وتحذفها من الثانى فرقا بين المذكر والمؤنث واعلم أن ما جاوز العشرة من العدد الى تسعة عشرة اسمان جعلا اسما واحدا فهما منصوبان أبدا فى حال الرفع والنصب والخفض فى المذكر والمؤنث الا اثنى عشر واثنتى عشرة فان نصب أول العددين وخفضه بالياء ورفعه بالالف والثانى منصوب على كل حال واحدى فى التأنيث ساكنة فى الوجوه ويقال عشرة وعشرة للمؤنث والمذكر عشر لا غير وكله منصوب فاذا أرادوا التاريخ قالوا لاعشر وما دونها خلون وبقين فقالوا لتسع ليال بقين ولثمانى ليال خلون لانهم يبنوه بجمع وقالوا لما فوق العشرة

والغزال المقمع هنا استعارة للمرأة الحسناء (وكذا ورد) قول رجل من بني يسار في كتاب الحماسة أيضا

أقول لنفسي حين حق زوالها * رويدك لما تشتفي حين مشفق
رويدك حتى تنظري عم تنجلي * غمامة هذا العارض المتألق

فالعارض المتألق استعارة للحرب أو الذي أطل بمكروهه كالبارق المتألق (ويحكى) أن امرأة وقفت لعبد الملك بن مروان وهو سائر الى قتال مصعب بن الزبير فقالت يا أمير المؤمنين فقال رويدك حتى تنظري عم تنجلي وأنشد البيت (ومن هذا الباب) قول عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن

لما نظرت الي عن حدق المها * وبسمت عن متفتح النوار
وعقدت بين قضيب بان أهيف * وكثيب رمل عقدة الزنار
عفرت خدي في الثرى لك طائعا * وعزمت فيك على دخول النار

وهذه الابيات لا تجد لها في الحسن شريكا ولأن يسمى قائلها مسحورا أولى من أن يسمى ديكا وكذلك ورد قوله لا ومكان الصليب في النحر منك ومجرى الزنار في الخصر

والخال في الخد اذ أشبهه * وردة مسك على ثرى تبر
وحاجب مذ خطه قلم الحسن * بحبر البهاء لا الحبر
واقحوان بفيك منتظم * على شبيه من رائق الخمر

فالبيت الرابع هو المخصوص بالاستعارة والمستعار له هو الثغر والريق (ومما ورد لابي تمام) في هذا المعنى قوله لما غدا مظلم الاحشاء من أشر * أسكنت جانحتيه كوكبا يقد فالكوكب استعارة للرمح وكذلك ورد قوله في الاعتذار

أسرى طريد الحياء من التي * زعموا وليس لرهبة بطريد
وغدا تبين ما براءة ساحتي * لو قد نفضت تهائمي ونجودي

والتهائم والنجود هما استعارة عما استعاره من باطن أمره وظاهره وكذلك ورد قوله

كم أحرزت قضب الهندي مصلتة * تهتز من قضب تهتز في كثب

فالقضب والكثب استعارة للقدود والارداف وكذلك ورد في هذه القصيدة أيضا عند ذكر ملك الروم وانهزامه لما فتحت مدينة عمورية فقال

ان يعد من حرها عدو الظليم فقد * أوسعت جاحمها من كثرة الحطب

فالحطب استعارة للقتلى وقبل هذا البيت ما يدل عليه لانه قال

أحذى قرابينه صرف الردى ومضى * يحتث أنجى مطاياه من الهرب
موكلا بيفاع الارض يشرفها * من خفة الخوف لا من خفة الطرب

ان يعد من حرها عدو الظليم البيت وأحسن من هذا كله قوله

تظل الطلول الدمع في كل منزل * وتمثل بالصبر الديار المواثل
دوارس لم يجف الربيع ربوعها * ولا مر في اغفالها وهو غافل
يعفين من زاد العفاة اذا انتحى * على الحي صرف الازمة المتماحل

فقوله زاد العفاة استعارة طوى فيها ذكر المستعار له وهو أهل الديار كأنه قال يعفين من قوم هم زاد العفاة (وله في الغزل) من الاستعارة ما بلغ به غاية اللطافة والرقة وذلك في قصيدته التي مطلعها * ان عهدا لو تعلمان ذميما * فقال

قد مررنا بالدار وهي خلاء * فبكينا الطلول والرسوما

خلت وبقيت لانهم ينوونه بواحد فقالوا لاحدى عشرة ليلة خلت وثلاث عشرة ليلة بقيت وانما أرخت بالليالي دون الايام لان الليلة أول الشهر ولو أرخت باليوم دون الليلة لذهبت من الشهر ليلة وقولهم هذه مائة درهم وألف درهم وثلاثة آلاف درهم ومائة ألف درهم هذا كله نكرة مضاف فتكتب قد بعث اليك بثلاثة آلاف درهم صحاح ومائة ألف درهم مكسرة فاذا أردت أن تعرف ذلك قلت مائة الدرهم وألف الرجل وكذلك ما دون العشرة تقول عشرة الدراهم وثلاثة الاثواب لان المضاف انما يعرف بما يضاف اليه كذلك العدد المضاف كله فأما ما ميزت به فلا تدخل فيه الالف اللام لان الاول لا يكون به معرفة لا يقولون عشرون الدرهم لان العشرين ليست مضافة الى الدرهم فيكون تعريفك الدرهم تعريفك العشرين وقد يقول بعضهم الثلاثة عشر الدرهم والعشرون الدرهم لما أدخلوا الالف واللام على الاول أدخلوهما على الآخر وذلك رديء والجيد أن تقول ما فعلت العشرون درهما والثماني عشرة جارية وكذلك ما بين أحد عشر الى تسعة عشر والى تسعة وتسعين تدخل في الاول الالف واللام فأما في العشرة وما دونها والمائة وما فوقها فادخال الالف واللام في الاول خطأ في القياس على ان أبا زيد قال من العرب من يقول المائة الدرهم والالف الدرهم والجيد

وسألنا ربوعها فانصرفنا * بسقام وماسألنا حكيما
كنت أرعى النجوم حتى اذاما * فارقوني أمسيت أرعى النجوما

والبيت الثالث هو المخصوص بالاستعارة وعلى هذا المنهاج ورد قول البحتري

وأغر في الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل

والاغر المحجل الاول هو الممدوح والاغر المحجل الثاني هو لفرس الذي أعطاه اياه وكذلك ورد قوله

وصاعقة في كفه تنكفي بها * على أرؤس الاعداء خمس سحائب

وهذا من النمط العالي الذي شغلت براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى استعارته والمراد بالسحائب الخمس الاصابع وكذلك ورد في أبيات الحماسة

دلفت طود النكير دكا * صاعق من وقع سيفك
أرسلته خمس سحب * نشأت من بحر كفك

وكذلك ورد قوله في أبيات يصف فيها السيف

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

وهذا من الحسن على ما يشهد له كأنه قال حملت حمائله سيفا أخضر الحديد كالبقلة (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبي الطيب المتنبي

في الخدان عزم الخليط رحيلا * مطر تزيد به الخدود محولا

وكذلك ورد قوله * يقدمه في الفاضة ضيغم * وأحسن من هذا قوله في قصيدته التي مطلعها * عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم

وأصبحت بقرى هنزيط جائلة * ترعى الظبي في خصيب نبته اللمم
فما تركن بها خلدا له بصر * تحت التراب ولا بازا له قدم
ولا هزبرا له من درعه لبد * ولا مهاة لها من شبهها حشم

وهذا من الملح النادر فالخلد استعارة لمن اختفى تحت التراب خائفا والباز استعارة لمن طار هاربا والهزبر والمهاة استعارتان للرجال المقتلة والنساء من السبايا ومن هذا الباب قوله

كل جريح ترجى سلامته * الاجريحا هتمه عيناها
تبل خدى كلما ابتسمت * من مطر برقه ثناياها

والبيت الثاني من الابيات الحسان التي تتواصف وقد حسن الاستعارة التي فيه أنه جاء ذكر المطر مع البرق (وبلغني عن أبي الفتح بن جني) رحمه الله أنه شرح ذلك في كتابه الموسوم بالفسر الذي ألفه في شرح شعر أبي الطيب فقال انها كانت تبرق في وجهه فظن أن أبا الطيب أراد أنها كانت تبسم فيخرج الريق من فيها ويقع على وجهه فشبهه بالمطر وما كنت أظن أن أحدا من الناس يذهب وهمه وخاطره حيث ذهب وهم هذا الرجل وخاطره واذا كان هذا قول امام من أئمة العربية تشد اليه الرحال فما يقال في غيره لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والاعراب وكذلك ورد قول الشريف الرضي

اذا أنت أفنيت العرانين والذرى * رمتك الليالي من يد الخامل الغمر
وهبك اتقيت السهم من حيث يتقى * فن ايد ترميك من حيث لا تدري

فالعرانين والذرى هما عظماء الناس وأشرافهم كأنه قال اذا أفنيت عظماء الناس رميت من يد الخامل (واذ قد بينت) أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له فاني لا أتحمى الا ملائمة مناسبة ولا يوجد فيها مباينة ولا تباعد لانها لا تذكر مطوبة الا لبيان المناسبة بين

المستعار

المائة درهم والخمسة العشر الدرهم وهو ردىء في القياس وليس بمثة قوم فصحاء تقول على ما رسمت لك ما فعلت ثلاثة الاثواب وأربعة الاردية وعشرة الدراهم ولا يجوز العشرة أثواب والاربعة درهم ويجوزان تقول ما فعلت تلك التسعة الدراهم والعشر النسوة اذا ذهبت الاضافة وجعلت الدراهم والنسوة وصفا للتسعة والعشر فاذا جاوزت العشرة قلت ما فعلت الثلاثة عشر ثوبا والاحد عشر رجلا وما فعلت التسع عشرة امرأة وما فعل العشرون رجلا فاذا جاوزت العشرين قلت ما فعل الثلاثة والعشرون رجلا كذلك الى مائة وما فعل الخمس والثلاثون امرأة فاذا بلغت مائة رجعت الى الاضافة فقلت ما فعلت مائة الدرهم ومائتا الدرهم وخمسمائة الدرهم الى الالف فاذا بلغت الالف قلت ما فعل ألف الدرهم وثلاثة آلاف الدرهم ولا يجوز أن تقول ما فعلت المائة الدرهم والالف الدرهم على ان تجعل الدرهم وصفا للمائة والالف كما فعلت ذلك في قولك ما فعلت التسعة الدراهم لان الدرهم لا يكون مائة كما تكون الدراهم تسعة واذا أردت ان تعرف عددا اكثر الفاظه نحو ثلثمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ألحقت الالف واللام في آخر لفظ منها فقلت ما فعلت ثلاث مائة ألف الدرهم وخمسمائة ألف الدرهم هذا مذهب البصريين لا يجيزون غيره والبغداديون يجيزون ما فعلت

المستعار منه والمستعار له ولو تفاوت ولم يكن هناك مناسبة بين المستعار منه والمستعار له لعمري فهو اولى بأن المراد منها (ورأيت أبا محمد عبد الله بن سنان الخفاجي) رحمه الله تعالى قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضمر الاداة ولم يفرق بينهما وتأسى في ذلك بغيره من علماء البيان كأبي هلال العسكري والغانمي وأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي على أن أبا القاسم بن بشر الآمدي كان أثبت القوم قدما في فن الفصاحة والبلاغة وكتابه المسمى بالموازنة بين شعر الطائيين يشهد له بذلك وما أعلم كيف خفي عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضمر الاداة (ومما أورده ابن سنان) في كتابه الموسوم بسر الفصاحة قول امرئ القيس في صفة الليل

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل

وهذا البيت من التشبيه المضمر الاداة لان المستعار له مذكور وهو الليل وعلى الخطأ في خلطه بالاستعارة فان ابن سنان أخطأ في الرد على الآمدي ولم يوفق للصواب وأنا أتكلم على ما ذكره ولا أضايقه في الاستعارة والتشبيه بل أنزل معه على ما رآه من أنه استعارة ثم أبين فساد ما ذهب اليه وذلك أن الآمدي قال في كتاب الموازنة ان امرأ القيس وصف أحوال الليل الطويل فذكر امتداد وسطه وتثاقل صدره وترادف أعجازه فلما جعل له وسطا ممتدا وصدرا ثقيلا وأعجازا رادفة لوسطه استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من أجل امتداده واسم الكلكل وجعله نائيا لتثاقله واسم العجز من أجل نهوضه فقال ابن سنان الخفاجي معترضا عليه ان هذا الذي ذكره الآمدي ليس بمرضي غاية الرضا وان بيت امرئ القيس ليس من الاستعارة الجيدة ولا الرديئة بل هو وسط فان الآمدي قد أفصح بأن امرأ القيس لما جعل لليل وسطا ممتدا استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من أجل امتداده وحيث جعل له أواخر وأولا استعار له عجزا وكلكلا وهذا كله انما يحسن بعضه مع بعض فذكر الصلب انما يحسن من أجل العجز والوسط والتمطي من أجل الصلب والكلكل لمجموع ذلك وهذه استعارة مبنية على استعارة أخرى هذا حكاية كلامه في الاعتراض على الآمدي (وفيه نظر من وجهين الاول) أنه قال هذا بيت من الاستعارة الوسطى التي ليست بجيدة ولا رديئة ثم جعلها استعارة مبنية على استعارة أخرى وعنده أن الاستعارة المبنية على الاستعارة من أبعد الاستعارات وذلك أنه قسم الاستعارة الى قسمين قريب مختار وبعيد مطرح فالقريب المختار ما كان بينه وبين ما استعير له تناسب قوي وشبه واضح والبعيد المطرح اما أن يكون لبعده عما استعير له في الاصل أو لانه استعارة مبنية على استعارة أخرى فيضعف لذلك هذا ما ذكره ابن سنان الخفاجي في تقسيم الاستعارة واذا كانت الاستعارة المبنية على استعارة أخرى عنده بعيدة مطرحة فكيف جعلها وسطا هذا تناقض في القول (الوجه الثاني) أنه لم يأخذ على الآمدي في موضع الاخذ لانه لم يعتبر الا ما حسن اعتباره وذلك ان حد الاستعارة على ما رآه الآمدي وابن سنان هو نقل المعنى من لفظ الى لفظ بسبب مشاركة بينهما وان كان المذهب الصحيح في حد الاستعارة غير ذلك على ما تقدم الكلام عليه ولكني في هذا الموضع أنزل معهما على ما رأياه حتى يتوجه الكلام على الحكم بينهما في بيت امرئ القيس واذا حددنا الاستعارة بهذا الحد فانه يفرق على رأي ابن سنان بين الاستعارة المرضية والاستعارة المطرحة فاذا وجدنا استعارة في كلام ثم عرضناها على هذا الحد فوجدنا فيه مناسبة بين المنقول عنه والمنقول اليه حكمنا له بالجودة وما لم نجد فيه تلك المناسبة حكمنا عليه بالرداءة وبيت امرئ القيس من الاستعارات المرضية لانه لو لم يكن لليل صدر أعني أولا ولم يكن له وسط وآخر لما حسنت هذه

باب ما يجرى عليه العدد في تذكيره وتأنيثه

العدد يجرى في تذكيره وتأنيثه على اللفظ لا على المعنى تقول له ثلاث بطات ذكور وثلاث حمامات ذكور ورأيت ثلاث حيات ذكورا وكتبت لفلان ثلاث سجلات فتؤنث على اللفظ والواحد سجل مذكر ومررت على ثلاث حمامات فتؤنث والواحد حمام وتقول له خمس من الغنم ذكور وله ثلاث من الابل فحول فتؤنث العدد اذا كان الذي يليه الابل والغنم لانهما اسمان مؤنثان موضوعان للجميع لا واحد للشيء منهما من لفظه وهما يقعان على الذكور وعلى الاناث وعليهما جميعا وتقول له ثلاثة ذكور من الابل اذا فرقت بين ثلاثة وبين الابل ذكرت وتقول سار فلان خمس عشرة من بين يوم وليلة العدد يقع على الليالي والعلم محيط بأن الايام قد دخلت معها قال الجعدي يصف بقرة

فطافت ثلاثا بين يوم وليلة * وكان النكير أن تضيف وتجأرا

يريد ثلاثة أيام وثلاث ليال ولا يغلب المؤنث على المذكر الا في الليالي خاصة وتقول سرنا عشرا فيعلم أن مع كل ليلة يوما

باب التثنية

اذا ثنيت مقصورا على ثلاثة أحرف فان كان بالواو ثنيته بالواو نحو قفا قفوان وان كان بالياء ثنيته بالياء نحو مدى مديان وان كان المقصور على أربعة أحرف ثنيته بالياء على

الاستعارة ولما كان الامر كذلك استعار لوسطه صلبا وجعله متمطيا واستعار لصدره المتثاقل أعنى أوله كلكلا وجعله نائبا واستعار لآخره عجزا وجعله رادفا لوسطه وكل ذلك من الاستعارات المناسبة وأما قول ابن سنان الخفاجى أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى بعيدة مطرحة فان فى هذا القول نظرا وذلك أنه قد ثبت لنا أصل نقيس عليه فى الفرق بين الاستعارة المرضية والمطرحة كما أريناك ولا يمنع ذلك من أن تجىء استعارة مبنية على استعارة أخرى وتوجد فيها المناسبة المطلوبة فى الاستعارة المرضية فانه قد ورد فى القرآن الكريم ما هو من هذا الجنس وهو قوله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف فهذه ثلاث استعارات ينبنى بعضها على بعض فالاولى استعارة القرية للاهل والثانية استعارة الذوق للباس والثالثة استعارة اللباس للجوع والخوف وهذه الاستعارات الثلاث من التناسب على ما لا خفاء به فكيف يذم ابن سنان الخفاجى الاستعارة المبنية على استعارة أخرى وما أقول ان ذلك شذ عنه الا لانه لم ينظر الى الاصل المقيس عليه وهو التناسب بين المنقول عنه والمنقول اليه بل نظر الى التقسيم الذى هو قسمه فى القرب أو البعد ورأى أن الاستعارة المبنية على استعارة أخرى تكون بعيدة فحكم عليها بالاطراح واذا كان الاصل انما هو التناسب فلا فرق بين أن يوجد فى استعارة واحدة أو فى استعارة مبنية على استعارة ولهذا أشباه ونظائر فى غير الاستعارة ألا ترى أن المنطقى يقول فى المقدمة والنتيجة كل انسان حيوان وكل حيوان نام فكل انسان نام وكذلك يقول المهندس فى بعض الاشكال الهندسية اذا كان خط اب مثل خط جح وخط جح مثل خط جد فخط اب مثل خط جد وهكذا أقول أنا فى الاستعارة اذا كانت الاستعارة الاولى مناسبة ثم بنى عليها استعارة ثانية وكانت أيضا مناسبة فالجميع متناسب وهذا أمر برهانى لا يتصور انكاره وهذا الكلام الذى أوردته ههنا هو اعتراض على ما ذكره ابن سنان الخفاجى فى الاستعارة فلا تظن أنى موافقه فى الاصل وانما وافقته قصد التبيين وجه الخطا فى كلامه وكيف يسوغ لى موافقته وقد ثبت عندى بالدليل أن الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له وفيما قدمته من الكلام كفاية (النوع الثانى فى التشبيه) وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا وهما شىء واحد لا فرق بينهما فى أصل الوضع يقال شبهت هذا الشىء بهذا الشىء كما يقال مثلته به وما أعلم كيف خفى ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه وكنت قدمت القول فى باب الاستعارة على الفرق بين التشبيه وبينها ولا حاجة الى اعادته ههنا مرة ثانية (والتشبيه ينقسم قسمين مظهرا ومضمرا وفى المضمر اشكال فى تقدير أداة التشبيه فيه فى بعض المواضع (وهو ينقسم أقساما خمسة فالاول) يقع موقع المبتدا والخبر مفردين (والثانى) يقع موقع المبتدا المفرد وخبره جملة مركبة من مضاف ومضاف اليه (والثالث) يقع موقع المبتدا والخبر جملتين (والرابع) يرد على وجه الفعل والفاعل (والخامس) يرد على وجه المثل المضروب وهذان القسمان الاخيران هما أشكل الاقسام الخمسة فى تقدير أداة التشبيه (أما الاول) فكقولنا زيد أسد فهذا مبتدأ وخبره واذا اقترنت أداة التشبيه فيه كان ذلك ببديهة النظر على الفور فقيل زيد كالاسد (وأما القسم الثانى والثالث) فانهما متوسطان فى تقدير أداة التشبيه فيهما فالثانى كقول النبى صلى الله عليه وسلم الكمأة جدرى الارض وهذا يتنوع نوعين فاذا كان المضاف اليه معرفة كهذا الخبر النبوى لا يحتاج فى تقدير أداة التشبيه الى تقديم المضاف اليه بل ان شئنا

قدمناه

كل حال نحو مدرى مدريان ومقلى مقليان وهو من قلوت فاما قولهم مذروان فانهم تركوا الواو لانهم لا يفردون الواحد منه مذرا انما هو لفظ جاء مثنى لا يفرد واحده واذا ثنيت ممدودا غير مؤنث تركت الهمزة على حالها فتقول كساآن ورداآن فاما قولهم عقله بثنايين بياء غير مهموزة فان هذا أيضا لفظ جاء مثنى لا يفرد واحده فيقال ثناء فتركوا الياء فى وسط الكلمة على الاصل على حسب ما فعلوا فى مذروين ولو قيل ثناء فأفرد لقيل فى التثنية ثناءين وأصل الهمزة فى ثناء لو قيل مفردا ياء لانه فعال من ثنيت واذا ثنيت ممدودا مؤنثا قلبت الهمزة واوا فقلت حمراوان ونفساوان وأربعاوان وعشراوان واذا جمعت مقصورا بالواو والنون حذفت الالف فيبقى ما قبل الواو والياء مفتوحا نحو قولك مصطفون ومثنون ومعلون ومعطون وكذلك النصب مصطفين ومعطين

﴿باب تثنية المبهم وجمعه﴾

يقولون فى تثنية ذا ذان وفى تثنية ذوه أو ذى تان وفى تثنية الذى والتى اللذان واللتان فتحذف الياء واذا ثنيت ذات قلت فى الرفع ذواتا قال الله عز وجل ذواتا أفنان وفى النصب والخفض ذواتى قال الله جل ثناؤه ذواتى أكل خمط وفى الجمع ذوات ومن قال ذاك قال فى الجمع الالك ومن ذلك قال فى الجمع أولئك ألو واحدها ذو وهى وذو وسواء والالى فى معنى الذين واحدها الذى

قدمناه وان شئت أخرناه فقلنا الكمأة للارض كالجدرى أو الكمأة كالجدرى للارض واذا كان المضاف اليه نكرة فلا بد من تقديمه عند تقدير أداة التشبيه فمن ذلك قول البحترى

غمام سماح لا يغب له حيا * ومسعر حرب لا يدع له وتر

فاذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا سماح كالغمام ولا يقدر الا هكذا والمبتدأ فى هذا البيت محذوف وهو الاشارة الى الممدوح كأنه قال هو غمام سماح (ومن هذا النوع) ما يشكل تقدير أداة التشبيه فيه على غير العارف بهذا الفن كقول أبى تمام

أى مرعى عين ووادى نسيب * لحبته الايام فى ملحوب

ومراد أبى تمام أن يصف هذا المكان بأنه كان حسنا ثم زال عنه حسنه فقال ان العين كانت تلتذ بالنظر اليه كالتذاذ السائمة بالمرعى فانه كان يشبب به فى الاشعار لحسنه وطيبه واذا قدرنا أداة التشبيه ههنا قلنا كأنه كان للعين مرعى وللنسيب منزلا وما أقل ما اذا جاء شئ من الابيات الشعرية على هذا الاسلوب أو ما يجرى مجراه فانه يحتاج الى عارف بوضع أداة التشبيه فيه (وأما الثالث) فكقول النبى صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم كأنه قال كلام الالسنة كحصائد المناجل وهذا القسم لا يكون المشبه به مذكورا فيه بل تذكر صفته ألا ترى أن المنجل لم يذكر ههنا وانما ذكرت صفته وهى الحصد وكل ما يجىء من هذا القسم فانه لا يرد الا كذلك (وأما القسم الرابع والخامس) اللذان هما أشكل الاقسام المذكورة فى تقدير أداة التشبيه فيهما فانهما مما لا يتفطن لهما الا من تمهر فى علم البيان (فما جاء من القسم الرابع) قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم وتقدير أداة التشبيه فى هذا الموضع أن يقال هم فى ايمانهم كالمتبوئ دارا أى أنهم قد اتخذوا الايمان مسكنا يسكنونه يصف بذلك تمكنهم منه (وعلى هذا) ورد قول أبى تمام

نطقت مقلة الفتى الملهوف * فتشكت بفيض دمع ذروف

واذا أردنا أن نقدر أداة التشبيه ههنا قلنا دمع العين كنطق اللسان أو قلنا العين الباكية كأنما تنطق بما فى الضمير (وأما ما جاء من القسم الخامس) فكقول الفرزدق يهجو جريرا

ما ضر تغلب وائل أهجوتها * أم بلت حيث تناطح البحران

شبه هجاء جرير تغلب وائل ببوله فى مجمع البحرين فكما أن البول فى مجمع البحرين لا يؤثر شيأ فكذلك هجاؤك هؤلاء القوم لا يؤثر شيأ وهذا البيت من الابيات التى أقرله الناس بالحسن وكذلك ورد قوله أيضا

قوارص تأتينى وتحتقرونها * وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

فانه شبه القوارص التى تأتيه محتقرة بالقطر الذى يملأ الاناء على صغر مقداره يشير بذلك الى أن الكثرة تجعل الصغير من الامر كبيرا وهذا الموضع يشكل على كثير من علماء البيان ويخلطونه بالاستعارة كقول البحترى فى التعزية بولد

تعز فان السيف يمضى وان وهت * حمائله عنه وخلاه قائمه

وهذا ليس من التشبيه وانما هو استعارة لان المستعار له مطوى الذكر وهو المعزى كأنه قال تعز فانك كالسيف الذى يمضى وان وهت حمائله وخلاه قائمه ﴿فان قيل﴾ انك قدمت القول فى باب الاستعارة بأن التشبيه المضمر الاداة يحسن تقدير أداة التشبيه فيه والاستعارة لا يحسن تقدير أداة التشبيه فيها وجعلت ذلك هو الفرق بين التشبيه المضمر الاداة وبين الاستعارة وقررت ذلك تقريرا طويلا عريضا ثم رأيتك قد نقضته ههنا بقولك ان من التشبيه المضمر الاداة

﴿باب ما يستعمل كثيرا من النسب فى الكتب واللفظ﴾

كل مقصور على ثلاثة أحرف نسبت اليه فانك تقلب ألفه واوا نحو قفا وعصا وندا تقول قفوى وعصوى وندوى وكل ممدود ينسب اليه مثل كساء ورداء فانك تقول فيه كسائى وردائى وينسب الى سماء سمائى فاذا كان الممدود على فعلاء مثل حمراء قلت صفراوى وحمراوى وكذلك كل ممدود لا ينصرف نحو زكرياء تقول زكرياوى وأربعاوى وثلاثاوى وينسب الى فعلى مثل بشرى وحبلى وبشروى وحبلوى واذا كان المقصور على أربعة أحرف وألفه لغير التأنيث فأكثرهم يقلبها واوا فيقول فى مرمى مرموى وأحوى أحووى ومنهم من يحذف فيقول مرمى وأحوى فاذا جاوز المقصور أربعة أحرف فكل العرب يحذف الالف فتقول فى جمادى جمادى وحبارى حبارى واذا نسبت الى مثل على وعدى وبلى حذفت الياء فقلت علوى وعدوى وبلوى وكذلك قصى وأمية تقول قصوى وأموى الا ما أشذوا واذا نسبت الى اثنين فهو بمنزلة الواحد فتنسب الى رامتين رامى والى قنوين قنوى الا ثلاثة أحرف نسبوا الى البحرين بحرانى والى حصنين حصنانى والى النهرين نهرانى للفرق بين النسب الى البحر والبحرين والحصن والحصنين والنهر والنهرين واذا نسبت الى الجمع اذا لم تسم به رددته الى واحده تنسب الى المساجد مسجدى

ما يشكل تقدير أداة التشبيه فيه وانه يحتاج في تقديرها الى نظر كهذين البيتين المذكورين للفرزدق وما يجري مجراهما (فالجواب) عن ذلك أني أقول هذا الذي ذكرته لا ينقض على شيئا مما قدمت القول فيه في باب الاستعارة لاني قلت ان التشبيه المضمر الاداة يحسن تقدير الاداة فيه أي لا يتغير بتقديرها فيه عن صفته التي اتصف بها من فصاحة وبلاغة وليس كذلك الاستعارة فانها اذا قدرت أداة التشبيه فيها تغيرت عن صفتها التي اتصفت بها من فصاحة وبلاغة وأما الذي وردته هنا من بيتي الفرزدق وما يجري مجراهما من التشبيه المضمر الاداة فان أداة التشبيه لا تتقدر فيه وهو على حالته من النظم حتى تتبين هل تغيرت صفته التي اتصف بها من فصاحة وبلاغة أم لا وانما تتقدر أداة التشبيه فيه على وجه آخر وهذا لا ينقض ما أشرت اليه في باب الاستعارة (واذا ثبتت هذه الاقسام الاربعة فأقول) ان التشبيه المضمر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبها به من غير واسطة أداة فيكون هو اياه فانك اذا قلت زيد أسد كنت قد جعلته أسدا من غير اظهار أداة التشبيه وأما كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه منه وعلى هذا فان القسمين من المظهر والمضمر كليهما في فضيلة البيان سواء فان الغرض المقصود من قولنا زيد أسد أن يتبين حال زيد في اتصافه بشهامة النفس وقوة البطش وجراءة الاقدام وغير ذلك مما يجري مجراه الا انا لم نجد شيأ ندل به عليه سوى أن جعلناه شبيها بالاسد حيث كانت هذه الصفات مختصة به فصار ما قصدناه من هذا القول أكشف وأبين من أن لو قلنا زيد شهم شجاع قوي البطش جريء الجنان وأشباه ذلك لما قد عرف وعهد من اجتماع هذه الصفات في المشبه به أعني الاسد واما زيد الذي هو المشبه فليس معروفا بها وان كانت موجودة فيه وكلا هذين القسمين أيضا يختص بفضيلة الايجاز وان كان المضمر أوجز من المظهر لان قولنا زيد أسد أو كالاسد يسد مسد قولنا زيد من حاله كيت وكيت وهو من الشجاعة والشدة على كذا وكذا مما يطول ذكره فالتشبيه اذا يجمع صفات ثلاثة هي المبالغة والبيان والايجاز كما أريتك الا أنه من بين أنواع علم البيان مستوعر المذهب وهو مقتل من مقاتل البلاغة وسبب ذلك أن حمل الشيء على الشيء بالمماثلة اما صورة واما معنى يعز صوابه وتعسر الاجادة فيه وقلما أكثر منه أحد الا عثر كما فعل ابن المعتز من أدباء العراق وابن وكيع من أدباء مصر فانهما أكثرا من ذلك لاسيما في وصف الرياض والاشجار والازهار والثمار لا جرم انهما أتيا بالغث البارد الذي لا يثبت على محك الصواب فعليك أن تتوقى ما أشرت اليه (وأما فائدة التشبيه من الكلام) فهي أنك اذا مثلت الشيء بالشيء فانما تقصد به اثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه أو التنفير عنه ألا ترى أنك اذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو الى الترغيب فيها وكذلك اذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو الى التنفير عنها وهذا لا نزاع فيه ولنضرب له مثالا يوضحه فنقول قد ورد عن ابن الرومي في مدح العسل وذمه بيت من الشعر وهو

تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان تعب قلت ذا قيء الزنابير

ألا ترى كيف مدح وذم الشيء الواحد بتصريف التشبيه المجازي المضمر الاداة الذي خيل به الى السامع خيالا يحسن الشيء عنده تارة ويقبحه أخرى ولولا التوصل بطريق التشبيه على هذا الوجه لما أمكنه ذلك وهذا المثال كاف فيما أردناه (واعلم أن محاسن التشبيه) أن يجيء مصدريا كقولنا أقدم اقدام الاسد وفاض فيض البحر وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه كقول

والى العرفاء عريفي والى القلانس قلنسي فان سميت به لم ترده تنسب الى كلاب كلابي والى أنمار أنماري وتنسب العرب الى ما في الجسد من الاعضاء فيخالفون النسب الى الاب والبلد يقولون للعظيم الرأس رؤاسي وللعظيم الشفة شفاهي وأياري ويقولون جماني ورقباني وشعراني وينسب الى الربيع ربعي والى الخريف خرفي بفتح الراء وقالوا أيضا خرفي بتسكين الراء والى صنعاء وبهراء صنعاني وبهراني والقياس أن تكون بالواو وتنسب الى اليمن يمان والى الشام شآم وتهامة تهام واذا نسبت الى اسم مصغر كانت فيه الهاء أو لم تكن وكان مشهورا ألقيت الياء منه تقول في جهينة ومزينة جهني ومزني وفي قريش قرشي وهذيل هذلي وسليم سلمي هذا هو القياس الا ما أشذوا وكذلك اذا نسبت الى فعيل أو فعيلة من أسماء القبائل والبلدان وكان مشهورا ألقيت منه الياء مثل ربيعة وبجيلة تقول ربعي وبجلي وحنيفة حنفي وثقيف ثقفي وعتيك عتكي وان لم يكن الاسم مشهورا لم تحذف الياء في الاول ولا الثاني وتنسب الى مثل عم وشج عموي وشجوي والى اسم وابن وامرئ واست سموي وبنوي ومرئي والى اثنين ثنوي والى أخت وبنت أخوي وبنوي ويقال أيضا أختي وبنتي والى سنة سنوي وان نسبت الى اسم قبل آخره ياء ثقيلة خففتها فتقول في أسيد أسيدي وحمير حميري

ابى

أبي نواس في وصف الخمر

واذا ما مزجوها * وثبت وثب الجراد * واذا ما شربوها * أخذت أخذ الرقاد

وقيل ان من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الشئ بما هو أكبر منه وأعظم ومن ههنا غلط بعض الكتاب من أهل مصر في ذكر حصن من حصون الجبال مشبها له فقال هامة عليها من الغمامة عمامة وأنملة خضبها الاصيل فكان الهلال منها قلامة وهذا الكاتب حفظ شيأ وغابت عنه أشياء فانه أخطأ في قوله أنملة وأي مقدار للانملة بالنسبة الى تشبيه حصن على رأس جبل وأصاب في المناسبة بين ذكر الانملة والقلامة وتشبيهها بالهلال ﴿فان قيل﴾ ان هذا الكاتب تأسى فيما ذكره بكلام الله تعالى حيث قال الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فمثل نوره بطاقة فيها ذبالة وقال الله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فمثل الهلال بأصل عذق النخلة (فالجواب) عن ذلك اني أقول أما تمثيل نور الله تعالى بمشكاة فيها مصباح فان هذا مثال ضربه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدل عليه أنه قال توقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية واذا نظرت الى هذا الموضع وجدته تشبيها لطيفا عجيبا وذلك أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم وما ألقي فيه من النور وما هو عليه من الصفة الشفافة كالزجاجة التي كأنها كوكب لصفائها واضاءتها وأما الشجرة المباركة التي لا شرقية ولا غربية فانها عبارة عن ذات النبي صلى الله عليه وسلم لانه من أرض الحجاز التي لا تميل الى الشرق ولا الى الغرب وأما زيت هذه الزجاجة فانه مضئ من غير أن تمسه نار والمراد بذلك أن فطرته فطرة صافية من الاكدار منيرة من قبل مصافحة الانوار فهذا هو المراد بالتشبيه الذي ورد في هذه الآية (وأما الآية الاخرى) فانه شبه الهلال فيها بالعرجون القديم وذلك في هيئة نحوله واستدارته لا في مقداره فان مقدار الهلال عظيم ولا نسبة للعرجون اليه لكنه في مرأى النظر كالعرجون هيئة لا مقدارا وأما هذا الكاتب فان تشبيهه ليس على هذا النسق لانه شبه صورة الحصن بأنملة في المقدار لا في الهيئة والشكل وهذا غير حسن ولا مناسب وانما ألقاه فيه أنه قصد الهلال والقلامة مع ذكر الانملة فأخطأ من جهة وأصاب من جهة لكن خطؤه غطى على صوابه (والقول السديد) في بلاغة التشبيه هو ما أذكره وهو أن اطلاق من أطلق قوله في ان من شرط بلاغة التشبيه أن يشبه الاصغر بالاكبر غير سديد فان هذا قول غير حاصر للغرض المقصود لان التشبيه يأتي تارة في معرض المدح وتارة في معرض الذم وتارة في غير معرض مدح ولا ذم وانما يأتي قصد الابانة والايضاح ولا يكون تشبيه أصغر بأكبر كما ذهب اليه من ذهب بل القول الجامع في ذلك أن يقال ان التشبيه لا يعمد اليه الا لضرب من المبالغة فاما أن يكون مدحا أو ذما أو بيانا وايضاحا ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة واذا كان الامر كذلك فلا بد فيه من تقدير لفظة أفعل فان لم تقدر فيه لفظة أفعل فليس بتشبيه بليغ ألا ترى أنا نقول في التشبيه المضمر الاداة زيد أسد فقد شبهنا زيدا بالاسد الذي هو أشجع منه فان لم يكن المشبه به في هذا المقام أشجع من زيد الذي هو المشبه والا كان التشبيه ناقصا اذ لا مبالغة فيه (وأما التشبيه المظهر الاداة) فكقوله تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر منه لان خلق السفن البحرية كبير وخلق الجبال أكبر منه وكذلك اذا شبه شئ حسن بشئ حسن فانه اذا لم يشبه بما هو أحسن منه فليس بوارد على طريق البلاغة وان شبه قبيح بقبيح وهكذا ينبغي أن يكون المشبه به أقبح وان قصد البيان والايضاح فينبغي أن يكون المشبه به أبين وأوضح فتقدر لفظة

وطيب طيبي

﴿باب ما لا ينصرف﴾

كل أسماء المؤنث لا تنصرف في المعرفة وتنصرف في النكرة الا أن تكون في آخره ألف التأنيث مقصورة كانت أو ممدودة نحو صحراء وحمراء وحبلى وبشرى وحبارى فان ذلك لا ينصرف في معرفة ولا نكرة وما كان منها اسما على ثلاثة أحرف وأوسطه ساكن فمنهم من يصرفه ومنهم من لا يصرفه قال الشاعر

لم تتلفع بفضل مئزرها
دعد ولم تغذ دعد في العلب

فصرف ولم يصرف والاسماء الاعجمية لا تنصرف في المعرفة وتنصرف في النكرة وما كان منها على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن نحو نوح ولوط فانه ينصرف في كل حال وترك بعضهم صرفه كأفعل بما كان في وزنه من أسماء المؤنث وأسماء الارضين لا تنصرف في المعرفة وتنصرف في النكرة الا ما كان منها اسما مذكرا سمي به المكان فانهم يصرفونه نحو واسط وما كان منها على ثلاثة أحرف أوسطه ساكن فان شئت صرفته وان شئت لم تصرفه قال الله عز وجل ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى اهبطوا مصرا وأسماء القبائل لا تنصرف تقول هذه تميم بنت مر وقيس بنت عيلان في المعرفة فاذا قلت بنو تميم وبنو سلول صرفت لانك أردت الاب وأسماء الاحياء مصروفة نحو قريش وثقيف وكل شئ لا يقال فيه بنو فلان وثمود وسبأ ان جعلا

أفعل لا بد منه فيما يقصد به بلاغة التشبيه والا كان التشبيه ناقصا فاعلم ذلك وقس عليه

﴿واعلم﴾ انه لا يخلو تشبيه الشيئين أحدهما بالآخر من أربعة أقسام اما تشبيه معنى بمعنى كالذى تقدم ذكره من قولنا زيد كالاسد واما تشبيه صورة بصورة كقوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون واما تشبيه معنى بصورة كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة وهذا القسم أبلغ الاقسام الاربعة لتمثيله المعانى الموهومة بالصور المشاهدة واما تشبيه صورة بمعنى كقول أبى تمام

وفتكت بالمال الجزيل وبالعدا ✽ فتك الصبابة بالمحب المغرم

فشبه فتكه بالمال وبالعدا وذلك صورة مرئية بفتك الصبابة وهو فتك معنوى وهذا القسم ألطف الاقسام الاربعة لانه نقل صورة الى غير صورة وكل واحد من هذه الاقسام الاربعة المشار اليها لا يخلو التشبيه فيه من أربعة أقسام أيضا اما تشبيه مفرد بمفرد واما تشبيه مركب بمركب واما تشبيه مفرد بمركب واما تشبيه مركب بمفرد والمراد بقولنا مفرد ومركب أن المفرد يكون تشبيه شئ واحد بشئ واحد والمركب تشبيه شيئين اثنين بشيئين اثنين وكذلك المفرد بالمركب والمركب بالمفرد فان أحدهما يكون تشبيه شئ واحد بشيئين والآخر يكون تشبيه شيئين بشئ واحد ولست أعنى بقولى تشبيه شيئين بشيئين أنه لا يكون الا كذلك بل أردت تشبيه شيئين بشيئين فما فوقهما كقول بعضهم فى الخمر

وكأنها وكأن حامل كأسها ✽ اذ قام يجلوها على الندماء

شمس الضحى رقصت فنقط وجهها ✽ بدر الدجى بكواكب الجوزاء

فشبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه الساقى بالبدر وشبه الخمر بالشمس وشبه الحبب الذى فوقها بالكواكب (واذ بينت) أن التشبيه ينقسم الى تلك الاقسام الاربعة فانى أقول أن التشبيه المضمر الاداة قد قدمت القول فى أنه ينقسم الى خمسة أقسام فالقسم الاول لا يرد الا فى تشبيه مفرد بمفرد والقسم الثانى لا يرد الا فى تشبيه مفرد بمركب والقسم الثالث لا يرد الا فى تشبيه مركب بمركب والقسم الرابع والخامس لا يردان الا فى تشبيه مركب بمركب ألا ترى أنا اذا قلنا فى القسم الاول زيد الاسد كان ذلك تشبيه مفرد بمفرد واذا قلنا فى القسم الثانى ما مثلناه به من الخبر النبوى وهو الكمأة جدرى الارض كان ذلك تشبيه مفرد بمركب وكذلك بيت البحترى وبيت أبى تمام المشار اليهما فيما تقدم واذا قلنا فى القسم الثالث ما أشرنا اليه من الخبر النبوى أيضا الذى هو وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم كان ذلك تشبيه مركب بمركب واذا قلنا فى القسم الرابع والخامس ما مثلنا به من بيتى الفرزدق والبحترى كان ذلك تشبيه مركب بمركب واذا كان الامر كذلك وجاءك شئ من التشبيه المضمر الاداة وهو من القسم الاول فاعلم أنه تشبيه مفرد بمفرد واذا جاءك شئ من القسم الثانى فاعلم أنه تشبيه مفرد بمركب واذا جاءك شئ من القسم الثالث فاعلم أنه تشبيه مركب بمركب وكذلك اذا جاءك شئ من القسم الرابع والقسم الخامس فانهما من باب تشبيه المركب بالمركب ولنرجع الى ذكر ما أشرنا اليه أولا فى تقسيم التشبيه الى الاربعة الاقسام الاخرى التى هى تشبيه مفرد بمفرد وتشبيه مركب بمركب وتشبيه مفرد بمركب وتشبيه مركب بمفرد (فالقسم الاول منها) كقوله تعالى فى المضمر الاداة وجعلنا الليل لباسا فشبه الليل باللباس وذاك أنه يستر الناس بعضهم عن بعض لمن أراد هربا من عدو أو بياتا لعدو أو اخفاء ما لا يحب الاطلاع عليه من أمره وهذا من التشبيهات التى لم تأت الا فى القرآن الكريم فان تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام

المنثور

مذكرين صرفا وان أنثا لم يصرفا وبما جعلوه قبيلة فلم يصرفوه مجوس ويهود وكل اسم على فعلان مؤنثه فعلى فانه لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة وكذلك مؤنثه نحو عطشان وعطشى وريان وريى وغضبان وغضبى وما كان مؤنثه فعلانة فانه لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة نحو قولك رجل سيفان وامرأة سيفانة وهو الطويل الممشوق ورجل موتان الفؤاد وامرأة موتانة ونحو مرجان وطهمان وكذلك كل شئ كانت فى آخره ألف ونون زائدتان نحو عريان وعثمان وعثمان ان كانت نونه أصلية صرفته فى كل حال نحو دهقان من الدهقنة وشيطان من الشيطنة وسمان ان أخذته من السم لم تصرفه وان أخذته من السمن صرفته وتبان ان أخذته من التب لم تصرفه وان أخذته من التبن صرفته وكذلك حسان من الحس لا يصرف وان أخذته من الحسن صرفته وديوان نونه من الاصل فهو يصرف ورمان فعال فهو يصرف لان نونه لام الفعل ومران تصرفه لانه من المرانة سمى بذلك للينه وكل اسم على أفعل وهو صفة فانه لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة وذلك لان مؤنثه فعلاء فأجروه مجرى مؤنثه نحو أحمر وحمراء وأحول وأقرع فان كان ليس بصفة ولا مؤنثه فعلاء لم يصرف فى المعرفة وصرف فى النكرة نحو أفكل

المنثور والمنظوم وكذلك قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن فشبه المرأة باللباس للرجل وشبه الرجل باللباس للمرأة (ومن محاسن التشبيهات) قوله تعالى نساؤكم حرث لكم وهذا يكاد ينقله تناسبه من درجة المجاز الى الحقيقة والحرث هو الارض التى تحرث للزرع وكذلك الرحم يزدرع فيه الولد ازدراعا كما يزدرع البذر فى الارض (ومن هذا الاسلوب) قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فشبه تبرأ الليل من النهار بانسلاخ الجلد عن الجسم المسلوخ وذلك انه لما كانت هوادى الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليه ما اسم السلخ وكان ذلك أولى من أن لو قيل يخرج لان السلخ أدل على الالتحام من الاخراج وهذا تشبيه فى غاية المناسبة (وكذلك) ورد قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا فشبه انتشار الشيب باشتعال النار ولما كان الشيب يأخذ فى الرأس ويسعى فيه شيأ فشيأ حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التى تشتعل فى الجسم وتسرى فيه حتى تحيله الى غير حاله الاولى وأحسن من هذا أن يقال أنه شبه انتشار الشيب باشتعال النار فى سرعة التهابه وتعذر تلافيه وفى عظم الالم فى القلب به وانه لم يبق بعده الا الخمود فهذه أوصاف أربعة جامعة بين المشبه والمشبه به وذلك فى الغاية القصوى من التناسب والتلاؤم (وقد ورد فى الامثال) الليل جنة الهارب وهذا التشبيه حسن وكل ذلك من التشبيه المضمر الاداة ومما ورد منه شعرا قول أبى الطيب المتنبي

واذا اهتز للندى كان بحرا * واذا اهتز للوغى كان نصلا
واذا الارض أظلمت كان شمسا * واذا الارض أمحلت كان وبلا

فحرف التشبيه هاهنا مضمر وتقديره كان كأنه بحر وكان كأنه نصل وكذلك يقال فى البيت الثانى كان كأنه شمس وكان كأنه وبل وهذا تشبيه صورة بصورة وهو حسن فى معناه وكذلك ورد قول أبى نواس وهو فى تشبيه الحبب

فاذا ما اعترضته العين من حيث استدارا * خلته فى جنبات الكأس واوات صغارا

وهذا تشبيه صورة بصورة أيضا وقد أبرز هذا المعنى فى لباس آخر فقال

واذا علاها الماء ألبسها * حببا شبيه جلاجل الحجل
حتى اذا سكنت جوامحها * كتبت بمثل أكارع النمل

ومن هذا قول البحترى

تبسم وقطوب فى ندى ووغى * كالرعد والبرق تحت العارض البرد

وهذا من أحسن التشبيه وأقربه الا أن فيه اخلالا من جهة الصنعة وهى ترتيب التفسير فان الاولى أن كان قدم تفسير التبسم على تفسير القطوب بأن كان قال كالبرق والرعد فانظر أيها المتمنى الى الفن كيف ذهب على البحترى مثل هذا الموضع على قربه مع تقدمه فى صناعة الشعر وليس فى ذلك كبير أمر سوى ان كان قدم ما أخر لا غير وانما يعذر الشاعر فى مثل هذا المقام اذا حكم عليه الوزن والقافية واضطر الى ترك ما يجب عليه وأما اذا كانت الحال كالتى ذكرها البحترى فحينئذ لا عذر له وسيأتى لذلك باب مفرد فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهو باب ترتيب التفسير وكذلك ورد قول البحترى

فى معرك ضنك تخال به القنا * بين الضلوع اذا انحنين ضلوعا

ومن تشبيه المفرد بالمفرد قول أبى الطيب المتنبي

خرجن من النقع فى عارض * ومن عرق الركض فى وابل
فلما نشفن لقين السياط * بمثل صفا البلد الماحل

وأبدع وكذلك ان كان اسما نحو أجد وأسلم ويقولون رأيته عاما أول وعاما أولا فيجعل صفة وغير صفة وكل جمع ثالثه ألف وبعد الالف حرفان فصاعدا فهو لا ينصرف فى المعرفة ولا فى النكرة نحو مساجد ومصابح ومواقيت وقناديل ومحاريب الا أن يكون منه شئ فى آخره الهاء فينصرف نحو جحاجحة وصياقلة وقد تأتى الاسماء الاعجمية وغيرها على هذا الوزن فلا تصرف تشبيها بها نحو سراويل وشراحيل وحضاجر الضبع ومعافر من اليمن وأشباه لا تنصرف معرفة ولا نكرة لانها أفعلاء وأسماء تنصرف لانها أفعال وكل اسم آخره ألف جمع أو تأنيث لم ينصرف نحو عرفاء وأصدقاء وأصفياء وأكرياء وأشباه ذلك وكل اسم فى أوله زيادة نحو يزيد ويشكر ويعصر وتغلب وأصبع وأبلم ويرمع وأفكل هذا لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة هذا اذا كان الاسم بالزيادة مضارعا للفعل فان لم يكن مضارعا للفعل صرفته نحو يربوع وأسلوب وأصليت ويعسوب وتعضوض وهو تمر وكل اسم عدل نحو أحاد وثناء وثلاث ورباع وموحد فهو لا ينصرف فى المعرفة ولا النكرة وما كان على فعل نحو عمر وزفر وقثم فهو لا ينصرف فى المعرفة وينصرف فى النكرة لانه معدول عن عامر وزافر وقاثم وما لم يكن معدولا انصرف نحو جعل وصرد

وقد حوى هذان البيتان قرب التشبيه مع براعة النظم وجزالة اللفظ
(وأما القسم الثاني) وهو تشبيه المركب بالمركب فمما جاء منه مضمر الاداة ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يرويه معاذ بن جبل رضي الله عنه وهو حديث طويل يشتمل على فضائل أعمال متعددة ولا حاجة الى ايراده ههنا على نصه بل نذكر الغرض منه وهو أنه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك هذا وأشار الى لسانه فقال معاذ أونحن مؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد ألسنتهم فقوله حصائد ألسنتهم من تشبيه المركب بالمركب فانه شبه الالسنة وما تمضي فيه من الاحاديث التي يؤاخذ بها بالمناجل التي تحصد النبات من الارض وهذا تشبيه بليغ عجيب لم يسمع الا من النبي صلى الله عليه وسلم (ومما ورد منه) شعرا قول أبي تمام

معشر أصبحوا حصون المعالي * ودروع الاحساب والاعراض

فقوله حصون المعالي من التشبيه المركب وذلك أنه شبههم في منعهم المعالي أن ينالها أحد سواهم بالحصون في منعها من يروم حمايته وكذلك قوله دروع الاحساب (وأما المظهر الاداة) فمما جاء منه قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس فشبهت حال الدنيا في سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض وذلك تشبيه صورة بصورة وهو من أبدع ما يجيء في بابه (ومن ذلك أيضا) قوله تعالى في وصف حال المنافقين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون تقديره ان مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أوقد نارا في ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله فاتقى ما يخاف وأمن فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي مظلما خائفا وكذلك المنافق اذا أظهر كلمة الايمان استنار بها واعتز بعزها وأمن على نفسه وماله وولده فاذا مات عاد الى الخوف وبقي في العذاب والنقمة (ومما ورد منه في الاخبار النبوية) قول النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم شبه المؤمن القارئ وهو متصف بصفتين هما الايمان والقراءة بالاترجة وهي ذات وصفين هما الطعم والريح وكذلك يجري الحكم في المؤمن غير القارئ وفي المنافق القارئ والمنافق غير القارئ (وقد جاءني شيء من ذلك) أوردته في فصل من كتاب أصف فيه البر والمسير فقلت ولم أزل أصل الزميل بالزميل وأنف المصي بالاصيل والارض كالبحر في سعة صدره والمطايا كالجواري راكدة على ظهره فكأن الركب منها كأنهم من الاكوار وسيرهم فيها على كرة لا تستقر بها حركة الادوار (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فكقول البحتري

خلق منهمو تردد فيهم * وليته عصابة عن عصابه
كالحسام الجراز يبقى على الدهـ * ـر ويفنى في كل حين قرابه

وكذلك ورد قول ابن الرومي

ادرك ثقاتك انهم وقعوا * في نرجس معه ابنة العنب

فهمو

ويبرذون فرق ما بينهما ان المعدول لا تدخله الالف واللام وغير المعدول تدخله الالف واللام (والالقاب) اذا كانت مفردة أضفتها فقلت هذا قيس قفة وسعيد كرز وزيد بطة فان كان أحدهما مضافا جعلت أحدهما صفة للآخر على مذهب الاسماء والكنى كقولك زيد أبو عمرو وتقول هذا زيد وزن سبعة وهذا عبد الله بطة وكذلك هذا عبد الله وزن سبعة

﴿باب الاسماء المؤنثة التي لا أعلام فيها للتأنيث﴾

السماء والقوس والارض والحرب والذود من الابل ودرع الحديد فأما درع المرأة وهو قميصها فمذكر وعروض الشعر وأخذ في عروض ما تعجبني أي في ناحية والريح والرحم والقول والجحيم والنار والشمس والنعل والعصا والرحا والدار والفهاء

﴿باب ما يذكر ويؤنث﴾

الموسى قال الكسائي هي فعلى وقال غيره هو مفعل من أوسيت رأسه أي حلقته وهو مذكر اذا كان مفعلا ومؤنث اذا كان فعلى والدلو الاغلب عليها التأنيث والاضحى جمع اضحاة وهي الذبيحة وقد تذكر يذهب بها الى اليوم والسكين والسبيل والطريق والسوق واللسان من أنثه قال ألسن ومن ذكره قال ألسنة والعسل والعاتق والذراع والمتن والكراع قال سيبويه الذراع مؤنثة وجمعها أذرع لا غير والحال

فهم وبحال لو بصرت بها * سبحت من عجب ومن عجب
ريحانهم ذهب على درر * وشرابهم درر على ذهب

وهذا تشبيه صنيع الا أن تشبيه البحترى أصنع وذلك أن هذا التشبيه صدر عن صورة مشاهدة وذاك انما استنبطه استنباطا من خاطره واذا شئت أن تفرق بين صناعة التشبيه فانظر الى ما أشرت اليه ههنا فان كان أحد التشبيهين عن صورة مشاهدة والآخر عن صورة غير مشاهدة فاعلم أن الذى هو عن صورة غير مشاهدة أصنع ولعمرى أن التشبيهين كليهما لابد فيهما من صورة تحكى لكن أحدهما شوهدت الصورة فيه فحكيت والآخر استنبطت له صورة لم تشاهد فى تلك الحال وانما الفكر استنبطها ألا ترى أن ابن الرومى نظر الى النرجس والى الخمر فشبه وأما البحترى فانه مدح قوما بأن خلق السماح باق فيهم ينتقل عن الاول الى الآخر ثم استنبط لذلك تشبيها فأداه فكره الى السيف وقربه التى تفنى فى كل حين وهو باق لا يفنى بفنائها ومن أجل ذلك كان البحترى أصنع فى تشبيهه (وسأورد ههنا من كلامى نبذة يسيرة فن ذلك) ما كتبته من جملة كتاب الى ديوان الخلافة أذكر فيه نزول العدو الكافر على ثغر عكا فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة فقلت وأحاط بها العدو احاطة الشفاه بالثغور ونزل عليها نزول الظلماء على النور وهذا من التشبيهات المناسبة ثم لما جئت الى ذكر قتال المسلمين اياه وازالته عن جانب الثغر قلت وقد اصطدم من الاسلام والكفر ابنا شمام والتقى من عجاجتهما ظلام وعند ذلك أخذ العدو فى التصير الى جانب وكان كحاجب على عين فصار كمين فى حاجب واذ نزع عن البناء فقد هوى واذا قبض من طرف البساط فقد انطوى وهذا التشبيه فى مناسبته كالاول بل أحسن (ومن ذلك) ما ذكرته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت وما شبهت كتابه فى وروده وانقباضه الا بنظر الحبيب فى اقباله واعراضه وكلا الامرين كالسهم فى ألم وقعه وألم نزعه والمشوق من استوت صبابته فى حالتى وصله وقطعه وما زال على وجل من ارسال كتبه واحجامها واشتباه لمعها بالمامها (ومما جاء من هذا القسم) فى الشعر قول بكر بن النطاح

تراهم ينظرون الى المعالى * كما نظرت الى الشيب الملاح
يحدون العيون الى شذرا * كأنى فى عيونهم السماح

وهذا بديع فى حسنه بالغ فى تشبيهه (وعلى هذا النهج) ورد قول أبى تمام

خلط الشجاعة بالحياء فأصبحا * كالحسن شيب للمغرم بدلال

وهذا من غريب ما يأتى فى هذا الباب وقد غالت شيعة أبى تمام فى وصف هذا البيت وهو لعمرى كذلك ومن هذا القسم أيضا قوله

كم نعمة لله كانت عنده * فكأنها فى غربة واسار
كسيت سبائب لومه فتضاءلت * كتضاؤل الحسناء فى الاطمار

(وكذلك قوله)

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه * عنى وعاوده ظنى فلم يخب
كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان ترحلت عنه لج فى الطلب

وعلى هذا الاسلوب ورد قول على بن جبلة

اذا ما تردى لأمة الحرب أرعدت * حشا الارض واستدمى الرماح السوارع
وأسفر تحت النقع حتى كأنه * صباح مشى فى ظلمة الليل طالع

وقد أحسن على بن جبلة فى تشبيهه هذا كل الاحسان وكذلك فى الحسن قوله أيضا فى تشبيه

والقاميب والسلاح والصاع والازار والسراويل والعرف والعنق والعهر والسلم وهو الصلح والجار والسلطان

﴿باب ما يكون للذكور والاناث وفيه علم التأنيث﴾

السخلة تكون للذكر والانثى والبهمة كذلك والجداية الرشاء والعسبارة ولد الضبع من الذئب هذا كله الذكر والانثى فيه سواء وكذلك الحية والعرب تقول فلان حية ذكر وكذلك الشاة والشاة أيضا الثور من الوحش قال الشاعر

فلما أضاء الصبح قام مبادرا
وكان انطلاق الشاة من حيث خيما

وبطة وحمامة ونعامة تقول هذه نعامة ذكر حتى تقول ظليم وكل هذا يجمع بطرح الهاء الا حية فانه لا يقال فى جمعها حى

﴿باب أوصاف المؤنث بغير هاء﴾

ما كان على فعيل نعتا للمؤنث وهو فى تأويل مفعول كان بغير هاء نحو كف خضيب وملحفة غسيل وربما جاءت بالهاء يذهب بها مذهب النعوت نحو الذبيحة والنطيحة والفريسة وأكيلة السبع يقال شاة ذبيح كما يقال ناقة كسيرة وتقول هذه ذبيحتك وذلك انك لم ترد ان تخبر أنها قد ذبحت ألا ترى انك تقول هذا وهى حية وانما هى بمنزلة ضحية وكذلك شاة رمى اذا رميت وتقول بئس الرمية الارنب انما تريد بئس الشئ مما يرمى الارنب فهذه بمنزلة الذبيحة وقالوا ملحفة جديد لانها فى تأويل

الحبب فوق الخمر ترى فوقها عند المزاج * تبادر لا يتصلن اتصالا
كوجه العروس اذا خططت * على كل ناحية منه خالا

ومن هذا القسم قول مسلم بن الوليد

تلقى المنية في أمثال عدتها * كالسيل يقذف جلمودا بجلمود

وعلى هذا الاسلوب ورد قول العباس بن الاحنف

لا جزى الله دمع عيني خيرا * وجزى الله كل خير لساني
نم دمعي فليس يكتم شيأ * ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طي * فاستدلوا عليه بالعنوان

وهذا من اللطيف البديع (ويروى أن أبا نواس) لما دخل مصر مادحا للخصيب جلس يوما في رهط من الادباء وتذكروا منازه بغداد فأنشد مرتجلا

ذكر الكرخ نازح الاوطان * فصبا صبوة ولات أوان

ثم أتم ذلك قصيدا امتدح به الخصيب فلما عاد الى بغداد دخل عليه العباس بن الاحنف وقال أنشدني شيأ من شعرك بمصر فأنشده ذكر الكرخ نازح الاوطان فلما استتم الابيات قال له لقد طاب لك من نوالك وتخلف عنك من جارك وحرام على أحد بعدك أن يتفوه بقول الشعر بعدك فقال له أبو نواس وأنت أيضا يا أبا الفضل تقول هذا ألست القائل لا جزى الله دمع عيني خيرا وأنشد الابيات ثم قال ومن الذي يحسن أن يقول مثل هذا (ومن تشبيه المركب بالمركب) قول البحتري

جدة يدود الخيل عن أطرافها * كالبحر يمنع مده عن مائه

وهذا من محاسن التشبيهات وكذلك ورد قوله

وتراه في ظلم الوغى فتخاله * قمرا يكر على الرجال بكوكب

وفي هذا البيت تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه العجاج بالظلمة والممدوح بالقمر والسنان بالكوكب وهذا من الحسن النادر وكذلك ورد قوله

يمشون في زغف كأن متونها * في كل معركة متون نهاء
بيض تسيل على الكماة نصولها * سيل السراب بقفرة بيداء
فاذا الاسنة خالطتها خلتها * فيها خيال كواكب في ماء

فالبيتان الاخيران هما اللذان تضمنا تشبيه المركب بالمركب وانما جئنا بالبيت الاول سياقة الى معناهما وهو من التشبيه الذي أحسن فيه البحتري وأغرب (ومن هذا الباب) ما ورد لبعض الشعراء في وصف الخمر فقال

كانت سراج أناس يهتدون بها * في سالف الدهر قبل النار والنور
ثم ترقى الكأس من ضعف ومن هرم * كأنها قبس في كف مقرور

وقد يندر للناظم أو الناثر شيء من كلامه يبلغ الغاية التي لا أمد فوقها وهذان البيتان من هذا القبيل (ومن أغرب ما سمعته في هذا الباب) قول الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة

فتى عيش في معروفه بعد موته * كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(القسم الثالث) في تشبيه المفرد بالمركب (فما ورد) منه قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية وكذلك قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف (ومن ذلك) ما ذكرته في فصل من كتاب يتضمن استعدادا

مجدودة أي مقطوعة حين قطعها الحائك قال جددت لشيء أي قطعته وأنشد

أبى حبي سليمى أن يبيدا
وأمسى حبلها خلقا جديدا

أي مقطوعا فاذا لم يجز فيه مفعول فهو بالهاء نحو مريضة وكبيرة وصغيرة وظريفة وجاءت أشياء شاذة قال ناقة سديس وريح خريق وكتيبة خصيف ذات لونين وان كان فعيل في تأويل فاعل كان مؤنثه بالهاء نحو كريمة وعليمة ورحيمة وشريفة وعتيقة في الجمال وسعيدة واذا كان فعول في تأويل فاعل كان بغير هاء نحو امرأة صبور وشكور وقدور وقتور وكفور وكنور وقد جاء حرف شاذ لواهي عدوة الله قال سيبويه شبهوا عدوة بصديقة واذا كان في تأويل مفعول بها جاءت بالهاء نحو الحمولة والركوبة والحلوبة والجلوبة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فيه سواء تقول هذا الجمل ركوبتهم واكولتهم (وما كان على مفعيل فهو بغير هاء) نحو امرأة معطير ومشبير من الاشر وفرس محضير وشذ حرف فقالوا امرأة مسكينة شبهوها بفقيرة (وما كان على مفعال) فهو بغير هاء نحو امرأة معطار ومجال في الخلق أي سمينة ومتفال وكذلك مفعل نحو امرأة مرجم (وما كان على مفعل) مما لا يوصف به مذكر فهو بغير هاء نحو امرأة مرضع ومقرب ومابن ومشدن ومطفل لانه لا يكون هذا في المذكر فلما

فقالت

فقلت وهو اذا استصرخ أصرخ بعزم كالشهاب في رجمه وهمّ كالقوس الممتلي بنزع سهمه ويرى أن صريخه لم يجب وأنه اذا لم يجبه بالسيف فكأنه لم يجب فهو مغرى بجواده وحسامه ومسمع العدوّ صرير رمحه قبل قعقعة لجامه (وكذلك) أيضا ما كتبته في كتاب الى بعض الاخوان أذم الفراق فقلت والفراق شيء لا كالاشياء وصاحبه ميت لا كالاموات وحيّ لا كالاحياء وما أراه الا كنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وما يجعل صاحبها في فسحة منها الا تواتر الكتب التي تقيه بعض الوقاء وتقوم له وان لم يسدّ مقام الاسقاء (وأما ما ورد منه في الشعر) فكقول أبي نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدوّ في ثياب صديق

وكذلك قول أبي تمام يصف قيدا له

خذها مثقفة القوافي ربّها * لسوابغ النعماء غير كنود
كالدرّ والمرجان ألّف نظمه * بالشذر في عنق الفتاة الرود

وكذلك ورد قول البحتري وهو من جملة قصيدته المشهورة التي وصف فيها الفرس والسيف وأولها * أهلا بذلكم الخيال المقبل * فقال فيها من أبيات تضمنت وصف السيف بيتا أجاد في تشبيهه

وكأنما سود النمال وحمرها * دبّت بأيد في قواه وأرجل

فشبه فرند السيف بدبيب النمل سوده وحمره وذلك من التشبيه الحسن (وأما ما ورد منه مضمر الاداة) فكقول النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن العزل فقال هو الوأد الخفيّ وهذا تشبيه بليغ والوأد هو ما كانت العرب تفعله في دفن البنات أحياء فجعل العزل في الجماع كالوأد الا أنه خفيّ وذلك أنهم كانوا يفعلون بالبنات ذلك هربا منهن وهكذا من يعزل في الجماع وانما يفعل ذلك هربا من الولد (وكذلك) قال النبي صلى الله عليه وسلم هو الوأدة الصغرى وهذا من الحسن الى غاية تغض لها العيون طرفها ولا ينتهي الوصف اليها فيكون ترك وصفها كوصفها (ومما جاء لي من ذلك) فصل من جملة كتاب ضمنته وصف القلم فقلت جدع أنفه فصار في الكيد أثيرا وأرهف صدره فصار في الصلاء عصا شهيرا وقص لباسه سوادا وهو شعار الخطباء فنطق بفصل الخطاب ونكس رأسه وهي صورة الاذلال فاختال في مشيه من الاعجاب وأوحى اليه بنجوى الخواطر وهو الاصم فأفضى بما سمعه الى الكتاب وهذه الاوصاف غريبة جدا ومن أغربها ذكر قصيره عند جدع الانف (وأما القسم الرابع) وهو تشبيه المركب بالمفرد فانه قليل الاستعمال بالنسبة الى الاقسام الثلاثة وليس ذلك الا لعدم التناظر بين المشبه والمشبه به وعلى كثرة ما حفظته من الاشعار لم أجد ما أمثل به هذا القسم الا مثالا واحدا وهو قول أبي تمام في وصف الربيع

ياصاحبيّ تقصيا نظريكما * تريا وجوه الارض كيف تصوّر
تريا نهارا مشمسا قد شابه * زهر الربا فكأنما هو مقمر

فشبه النهار المشمس مع الزهر الابيض بضوء القمر وهو تشبيه حسن واقع في موقعه مع ما فيه من لطف الصنعة (وربما اعترض في هذا الموضع معترض) وقال انك أوردت هذا القسم من التشبيه وذكرت أنه قليل وليس كذلك فان تشبيه شيئين بشيء واحد كثير كقول أبي الطيب المتنبي

تشرق أعراضهم وأوجههم * كأنها في نفوسهم شيم

فشبه اشراق الاعراض والوجوه باشراق الشيم (الجواب عن ذلك) اني أقول هذا البيت المعترض به على ما ذكرته ليس كالذي ذكرته فاني أردت أن يشبه شيآن معا كشيء واحد في

يخافوا الالتباس حذفوا الهاء فاذا أرادوا الفعل قالوا مرضعة قال الله تعالى تذهل كل مرضعة عما أرضعت وقال آخر يقال امرأة مرضع اذا كان لها ابن ورضاع ومرضعة اذا أرضعت ولدها (وما كان على فاعل) مما لا يكون للذكر فيه حظ فهو بغير هاء نحو امرأة طالق وحامل وطامث وقد جاءت أشياء على فاعل تكون للمذكر والمؤنث فلم يفرقوا بينهما فيها قالوا جمل ضامر وناقة ضامر ورجل عاشق وامرأة عاشق ورجل عاقر وامرأة عاقر ورجل عانس وامرأة عانس اذا طال مكثهما بلا تزويج ورأس ناصل من الخضاب ولحية ناصل ورجل نازع الى وطنه وناقة نازع فاذا أرادوا الفعل قالوا طالقة وحاملة قال الاعشى

أيا جارتي بيني فانك طالقه
كذاك أمور الناس غاد وطارقه

وقد يأتي فاعل وصفا للمؤنث بمعنيين فتثبت الهاء في أحدهما وتسقط من الآخر للفرق بين المذكر والمؤنث فيقال امرأة طاهر من الحيض وطاهرة نقية من العيوب لانها منفردة بالطهر من الحيض لا يشركها فيه المذكر ويشركها في الطهارة من العيوب (وكذلك) امرأة حامل من الحبل وحاملة على ظهرها وامرأة قاعد اذا قعدت عن الحيض وقاعدة من القعود وقالوا والدة للام لان الاب والد فصرفوا بالهاء بينهما وعاقر فرقوا فيه بين المؤنثين فأثبتوا الهاء في أحدهما وأسقطوها

الاشتراك بشئ واحد ألا ترى أن نور الشمس مع بياض الزهر وهما شيآن مشترك كان قد شبها بضوء القمر وأما هذا البيت الذى لأبى الطيب المتنبى فانه تشبيه شيئين كل واحد منهما مفرد برأسه بشئ واحد لانه شبه اشراق الاعراض واشراق الوجوه باشراق النسيم وهذا غير ما أردته أنا لكن ينبغى أن تعلم أن تشبيه المركب بالمفرد ينقسم قسمين أحدهما تشبيه شيئين مشتركين بشئ واحد كالذى أوردته لأبى تمام وهو قليل الاستعمال والآخر تشبيه شيئين منفردين بشئ واحد كالذى ذكرته أنت لأبى الطيب المتنبى وهو كثير الاستعمال (واذ ذكرنا أقسام التشبيه) وبينا المحمود منها الذى ينبغى اقتفاء أثره واتباع مذهبه فلنتبعه بضده مما ينبغى اجتنابه والاضراب عنه على أنه قد قدمنا القول بأن حد التشبيه هو أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به فاذا لم يكن بهذه الصفة أو كان بين المشبه والمشبه به بعد فذلك الذى يطرح ولا يستعمل والذى يرد منه مضمر الاداة لا يكون الا فى القسم الواحد من أقسام المجازى وهو التوسع وقد قدمت القول فى ذلك فى أول باب الاستعارة وضربت له أمثلة منها قول أبى نواس

مارجل المال أمست * تشتكى منك الكلالا

فجعل للمال رجلا وذلك تشبيه بعيد ولا حاجة الى اعادة ذلك الكلام ههنا بجملته لكن قد أشرت اليه اشارة خفيفة (ومن أقبح ما سمعته من ذلك) قول أبى تمام

وتقاسم الناس السخاء مجزأ * وذهبت أنت برأسه وسنامه
وتركت للناس الاهاب وما بقى * من فرثه وعروقه وعظامه

والتبح الفاحش فى البيت الثانى وكل هذا التعسف فى التشبيه البعيد نتيجة حول معنى ليس بطائل فان غرضه أن يقول ذهب بالاعلى وترك للناس الادنى أو ذهبت بالجيد وتركت للناس الردىء وقد عيب عليه قوله

لاتسقنى ماء الملام فاننى * صب قد استعذبت ماء بكائى

وقيل أنه جعل للملام ماء وذلك تشبيه بعيد وما بهذا التشبيه عندى من بأس بل هو من التشبيهات المتوسطة التى لا تحمد ولا تذم وهو قريب من وجه بعيد من وجه أما سبب قربه فهو أن الملام هو القول الذى يعنف به الملوم لامر جناه وذلك مختص بالسمع فنقله أبو تمام الى السقيا التى هى مختصة بالحلق كأنه قال لا تذقنى الملام ولو تهيأ له ذلك مع وزن الشعر لكان تشبيها حسنا لكنه جاء بذكر الماء فحط من درجته شيأ ولما كان السمع يتجرع الملام أولا أولا كتجرع الحلق الماء صار كأنه شبيه به وهو تشبيه معنى بصورة وأما سبب بعد هذا التشبيه فهو أن الماء مستلذ والملام مستكره فحصل بينهما مخالفة من هذا الوجه فهذا التشبيه ان بعد من وجه فقد قرب من وجه فيغفر هذا لهذا ولذلك جعلته من التشبيهات المتوسطة التى لا تحمد ولا تذم (وقد روى) وهو رواية ضعيفة أن بعض أهل المجانة أرسل الى أبى تمام قارورة وقال ابعث فى هذه شيأ من ماء الملام فأرسل اليه أبو تمام وقال اذا بعثت الى ريشة من جناح الذل بعثت اليك شيأ من ماء الملام وما كان أبو تمام ليذهب عليه الفرق بين هذين التشبيهين فانه ليس جعل الجناح للذل كجعل الماء للملام فان الجناح للذل مناسب وذلك أن الطائر اذا وهن أو تعب بسط جناحه وخفضه وألقى نفسه على الارض وللانسان أيضا جناح فان يديه جناحاه واذا خضع واستكان طأطأ من رأسه وخفض من يديه فحسن عند ذلك جعل الجناح للذل وصار تشبيها مناسبا وأما الماء للملام فليس كذلك فى مناسبة التشبيه (وأما التشبيه المضمر الاداة) من هذا الباب فقد أوردت له أمثلة يستدل بها على أشباهه وأمثاله فان الذكر

المثال

من الاخرى قولهم ناقة جبار اذا عظمت وسمنت والجميع جبابير ونخلة جبارة اذا فاتت الايدى وبلدة ميت لا نبات بها وميتة بالهاء للحيوان وقالوا امرأة ثيب ورجل ثيب وامرأة بكر ورجل بكر وامرأة أيم لا زوج لها ورجل أيم لا امرأة له وهذا فرس كميت للذكر وهذه فرس كميت للانثى وفرس جواد وبهيم للذكر والمؤنث وامرأة وقاح الوجه وكذلك الرجل وكل عدلك وحبك وهى قرنك فى السن وقرنك فى الشدة وامرأة مغنية بالماء ومشهد بغيرها وعبد قن وأمة قن والرجل زوج المرأة والمرأة زوج الرجل لا تكاد العرب تقول زوجته قال الله تبارك اسمه اسكن أنت وزوجك الجنة ورجل جنب وامرأة جنب وعدل ورضى مثله وتقول المرأة شاهدى ووصى وضيفى ورسولى وخصمى وكذلك الاثنان والجميع

﴿باب المستعمل فى الكتب والالفاظ من الحروف المقصورة﴾

الهوى هوى النفس والندى ندى الارض وندى الجود والحفى من حفيت الدابة والشجى فى الحلق والشجى الحزن والكرى النوم والاذى والقذى فى العين والخنى الفحش والضنى المرض والردى الهلاك والطوى الجوع واللوى مصدر لويت والاسى الحزن والونى من ونيت والعمى فى العين والقلب والجنى جنى الثمرة والصدى العطش والثرى فى الجسد والصوى الهزال والنوى

المثال فائدة لا تكون لذكر الحد وحده فمن ذلك قول بعضهم

ملا حاجبيك الشيب حتى كأنه * ظباء جرت منها سنيح وبارح

وكذلك قول الآخر يصف السهام

كساها رطيب الريش فاعتدلت له * قداح كأعناق الظباء الفوارق

فانه شبه السهام بأعناق الظباء وذلك من أبعد التشبيهات وعلى نحو منه قول الفرزدق

يمشون في حلق الحديد كما مشت * جرب الجمال بها الكحيل المشعل

فشبه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجرب وهذا من التشبيه البعيد لانه ان أراد السواد فلا مقاربة بينهما في اللون لان لون الحديد أبيض ومن أجل ذلك سميت السيوف بالبيض ومع كون هذا التشبيه بعيدا فانه تشبيه ضعيف (ومن التشبيهات الباردة) قول أبي الطيب المتنبي

وجرى على الورق النجيع القاني * فكأنه النارنج في الاغصان

وهذا تشبيه ينكره أهل التحسيم واذا قسمت التشبيهات بعد البعد والبرد حاز الطرف في ذلك التقسيم وأبشع من هذا قول أبي نواس في الخمر

كأن بواسر وا كدحولها * وزرق سنانير تدير عيونها

(والعجب) انه يقول مثل هذا الغث الذي لا ملاءمة بينه وبين ما شبه به ويقرنه بالبديع البارد الذي أحسن فيه وأبدع وهو

كأنا حلول بين أكناف روضة * اذا ما سلبناها مع الليل طيبها

فانظر كيف قرن بين ورده وسعدانه لا بل بين بعره ومرجانه وقد أكثر في تشبيه الخمر فأحسن في موضع وأساء في موضع ومن اساءته قوله أيضا في أبيات لامية

واذا ما الماء واقعها * أظهرت شكلا من الغزل

لؤلؤات ينحدرن بها * كانحدار الذر من جبل

فشبه الحبب في انحداره بنمل صغار ينحدر من جبل وهذا من البعد على غاية لا يحتاج الى بيان وايضاح (واعلم) أن من التشبيه ضربا يسمى الطرد والعكس وهو أن يجعل المشبه به مشبها والمشبه مشبها به وبعضهم يسميه غلبة الفروع على الاصول ولا تجد شيأ من ذلك الا والغرض به المبالغة (فمما جاء من ذلك) قول ذي الرمة

ورمل كأرداف العذاري قطعته * اذا ألبسته المظلمات الحنادس

ألا ترى الى ذي الرمة كيف جعل الاصل فرعا والفرع أصلا وذلك أن العادة والعرف في هذا أن تشبه أعجاز النساء بكثبان الانقاء وهو مطرد في بابه فعكس ذو الرمة القصة في ذلك فشبه كثبان الانقاء بأعجاز النساء وانما فعل ذلك مبالغة أي قد ثبت هذا الموضع وهذا المعنى لاعجاز النساء وصار كأنه الاصل حتى شبهت به كثبان الانقاء وعلى نحو من هذا جاء قول البحتري

في طلعة البدر شيء من محاسنها * وللقضيب نصيب من تثنيها

وكذلك ورد قول عبد الله بن المعتز في قصيدته المشهورة التي أولها

سقى المطيرة ذات الظل والشجر * فقال في تشبيه الهلال

ولاح ضوء قمير كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر

ولما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار كأنه هو الاصل وهو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ وهذا قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب الخصائص وأورده هكذا مهملا (ولما نظرت أنا في ذلك) وأنعمت نظري فيه تبين لي ما أذكره وهو أنه قد تقرر في أصل الفائدة

ما نويت من قرب أو بعد والتوى توى المال والهدى والوجى الظلع والصرى الماء المجتمع والثرى التراب الندى والجوى داء في الجوف والسرى سير الليل والسلى سلى الناقة ومنى مكة والمدى الغاية والصدى الطائر يقال انه ذكر البوم والنسى عرق في الفخذ وطوى اسم واد والوغى الحرب والورى الخلق وأناقى درى فلان والمعى واحد الامعاء والحجى العقل والنهى والحشى واحد احشاء الجوف ومكانا سوى هذا كله يكتب بالياء (ومما يكتب بالالف) العصا وقفا الانسان والقرا الظهر ونثا الحديث والقنا في الانف والرماح والعشا في العين وخسا وزكا وهما الزوج والفرد ومنا من الوزن رطلان والصغا ميلك الى الرجل وقطا في الجمع والحاجم لهاة وقطاة وشجر الغضا والعلاجم فلاة

﴿باب اسماء يتفق لفظها وتختلف معانيها﴾

هوى النفس مقصور يكتب بالياء والهواء الجو ممدود وربما البترة مقصور بالالف والرجاء من الطمع ممدود والصفا الحجر مقصور بالالف والصفاء من المودة والشيء الصافي ممدود والفتى واحد الفتيان مقصور بالياء والفتاء من السن ممدود قال الشاعر

اذا عاش الفتى مائتين عاما
فقد ذهب اللذاذة والفتاء

وسنا البرق مقصور بالالف وسناء المجد ممدود والثرى التراب

المستقبحة من التشبيه أن يشبه الشيء بما يطلق عليه لفظة أفعل أي يشبه بما هو أبين وأوضح أو بما هو أحسن منه أو أقبح وكذلك يشبه الاقل بالاكثر والادنى بالاعلى وهذا الموضع لا ينقض هذه القاعدة لان الذي قدمناذكره مطرد في بابه وعليه مدار الاستعمال وهذا غير مطرد وانما يحسن في عكس المعنى المتعارف وذلك أن تجعل المشبه به مشبها والمشبه مشبها به ولا يحسن في غير ذلك مما ليس بمتعارف ألا ترى أن من العادة والعرف أن تشبه الاعجاز بالكثبان فلما عكس ذو الرمة هذه القضية في شعره جاء حسنا لائقا وكذلك فعل البحتري فان من العادة والعرف أن يشبه الوجه الحسن بالبدر والقد الحسن بالقضيب فلما عكس البحتري القضية في ذلك جاء أيضا حسنا لائقا ولو شبه ذو الرمة الكثبان بما هو أصغر منها غير الاعجاز لما حسن ذلك وهكذا لو شبه البحتري طلعة البدر بغير طلعة الحسناء والقضيب بغير قدها لما حسن ذلك أيضا وهكذا القول في تشبيه عبد الله بن المعتز صورة الهلال بالقلامة لان من العادة أن تشبه القلامة بالهلال فلما صار ذلك مشهورا متعارفا حسن عكس القضية فيه

﴿النوع الثالث في التجريد﴾ وهذا اسم كنت سمعته فقال القائل التجريد في الكلام حسن ثم سكت فسألته عن حقيقته فقال كذا سمعت ولم يزد شيأ فانعمت حينئذ نظري في هذا النوع من الكلام فالقي في روعي أنه ينبغي أن يكون كذا وكذا وكان الذي وقع لي صوابا ثم مضى على ذلك برهة من الزمان ووصل الي ما ذكره أبو علي الفارسي رحمه الله تعالى وقد أوردته ههنا وذكرت ما أتيت به من ذات خاطري من زيادة لم يذكرها وستقف أيها المتأمل على كلامه وكلامي (فأما حد التجريد) فانه اخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك لا المخاطب نفسه لان أصله في وضع اللغة من جردت السيف اذا نزعته من غمده وجردت فلانا اذا نزعت ثيابه ومن ههنا قال صلى الله عليه وسلم لا مد ولا تجريد وذلك في النهي عند اقامة الحد أن يمد صاحبه على الارض وأن تجرد عنه ثيابه وقد نقل هذا المعنى الى نوع من أنواع علم البيان (وقد تأملته فوجدت له فائدتين) احداهما أبلغ من الاخرى (فالاولى) طلب التوسع في الكلام فانه اذا كان ظاهره خطابا لغيرك وباطنه خطابا لنفسك فان ذلك من باب التوسع وأظن أنه شيء اختصت به اللغة العربية دون غيرها من اللغات (والفائدة الثانية) وهي الابلغ وذلك أنه يتمكن المخاطب من اجراء الاوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه اذ يكون مخاطبا بها غيره ليكون أعذر وأبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه (وعلى هذا فان التجريد ينقسم قسمين) أحدهما تجريد محض والآخر تجريد غير محض (فالاول) وهو المحض أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك وأنت تريد به نفسك وذلك كقول بعض المتأخرين وهو الشاعر المعروف بالحيص بيص في مطلع قصيدة له

الام يراك المجد في زي شاعر ٭ وقد نحلت شوقا فروع المنابر
كتمت بعيب الشعر حلما وحكمة ٭ ببعضهما تنقاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير انك فارس الـ ٭ ـمقال ومحيي الدارسات الغوابر
وانك أعييت المسامع والنهى ٭ بقولك عما في بطون الدفاتر

فهذا من محاسن التجريد ألا ترى أنه أجرى الخطاب على غيره وهو يريد نفسه كي يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة وعد ما عده من الفضائل التائهة وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض (وأما ما قصد به التوسع خاصة) فكقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة

حننت الى ريا ونفسك باعدت ٭ مزارك من ريا وشعبا كما معا

فيا

الندى مقصور بالياء والثراء الغنى ممدود والغنى من السعة مقصور والغناء من الصوت ممدود والخلا الرطب الحشيش مقصور بالالف والخلاء من الخلوة ممدود والعشا في العين مقصور بالالف والعشاء والغداء ممدودان والعرا الفناء والساحة مقصور يكتب بالالف والعراء ممدود المكان الخالي والحفى حفى القدم والحافر اذا رق مقصور بالياء والحفاء مشي الرجل حافيا بلا خف ممدود والنقا من الرمال مقصور يكتب بالالف لانه يقال في تثنيته نقوان ونقيان والنقاء من النظافة ممدود والحيا الغيث والخصب مقصور بالالف والحياء من الناقة ومن الاستحياء ممدودان والصبى من الصغر مقصور بالياء والصباء من الشوق ممدود وصبا الريح مقصور بالالف والملا من الارض مقصور بالالف والملاء من قولك غني ملي ممدود والجدا من العطية مقصور والجداء ممدود الغناء تقول هو قليل الجداء عني والمدى الاعداء مقصور بالياء والعداء الموالاة بين الشيء ممدود

﴿باب حروف المد المستعمل المكسور الاول﴾

الرداء وسلاء السمن والحذاء من النعال والحاذاة ورثاء الناس وهجاء الحروف والشعر والسقاء والرشاء الحبل والكساء والحباء العطية والنداء من ناديت والشتاء والبناء والخصاء والكراء والشفاء والوجاء نحو من الخصاء

فما أحسن أن تأتي الامر طائعا * وتجزع ان داعي الصبابة أسمعا

وقد ورد بعد هذين البيتين ما يدل على أن المراد بالتجريد فيهما التوسع لانه قال

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني * على كبدي من خشية أن تصدعا

بنفسي تلك الارض ما أطيب الربا * وما أحسن المصطاف والمتربعا

فانتقل من الخطاب التجريدي الى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الاولى لما قضي عليه بالتوسع وانما كان يقضى عليه بالتجريد البديع الذي هو الطرف الآخر ويتأول له بأن غرضه من خطاب غيره أن ينفي عن نفسه سمعة الهوى ومعرة العشق لما في ذلك من الشهرة والفضاضة لكن قد زال هذا التأويل بانتقاله عن التجريد أولا الى خطاب النفس وعلى هذا الاسلوب ورد قول أبي الطيب المتنبي

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

واجز الامير الذي نعماه فاجئة * بغير قول ونعمى القوم أقوال

وهذان البيتان من مطلع قصيدة يمدح بها فاتكا الاخشيدي بمصر وكان وصله بصلة سنية من نفقة وكسوة قبل أن يمدحه ثم مدحه بعد ذلك بهذه القصيدة وهي من غرر شعره وقد بنى مطلعها على المعنى المشار اليه من ابتداء فاتك اياه بالصلة قبل المديح وليس في التجريد المذكور في هذين البيتين ما يدل على وصف النفس ولا على تزكيتها بالمديح كما ورد في الابيات الرائية المتقدم ذكرها وانما هو توسع لا غير (وأما القسم الثاني) وهو غير المحض فانه خطاب لنفسك لا لغيرك ولئن كان بين النفس والبدن فرق الا أنهما كأنهما شيء واحد لعلاقة أحدهما بالآخر وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر وذلك أولى بأن يسمى تجريدا لان التجريد لائق به وهذا هو نصف تجريد لانك لم تجرد به عن نفسك شيأ وانما خاطبت نفسك بنفسك كأنك فصلتها عنك وهي منك (فمما جاء منه) قول عمرو بن الاطنابة

أقول لها وقد جشأت وجاشت * رويدك تحمدي أو تستريحي

وكذلك قول الآخر

أقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدي أصابتني ولم ترد

وليس في هذا ما يصلح أن يكون خطابا لغيرك كالاول وانما المخاطب هو المخاطب بعينه وليس ثم شيء خارج عنه (وأما الذي ذكره أبو علي الفارسي رحمه الله) فانه قال ان العرب تعتقد أن في الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجردا من الانسان كأنه غيره وهو هو بعينه نحو قولهم لئن لقيت فلانا لتلقين به الاسد ولئن سألته لتسألن منه البحر وهو عينه الاسد والبحر لا أن هناك شيأ منفصلا عنه أو متميزا منه ثم قال وعلى هذا النمط كون الانسان يخاطب نفسه حتى كأنه يقاول غيره كما قال الاعشى

وهل تطيق وداعا أيها الرجل * وهو الرجل نفسه لا غيره هذا خلاصة ما ذكره أبو علي رحمه الله (والذي عندي فيه) أنه أصاب في الثاني ولم يصب في الاول لان الثاني هو التجريد ألا ترى أن الاعشى جرد الخطاب عن نفسه وهو يريدها وأما الاول وهو قوله لئن لقيت فلانا لتلقين به الاسد ولئن سألته لتسألن منه البحر فان هذا تشبيه مضمر الاداة اذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه وبيان ذلك أنك تقول لئن لقيت فلانا لتلقين منه كالاسد ولئن سألته لتسألن منه كالبحر وليس هذا بتجريد لان حقيقة التجريد غير موجودة فيه وانما هو تشبيه مضمر الاداة ألا ترى أن المذكور هو كالاسد وهو كالبحر وليس ثم شيء جرد عنه كما تقدم

والاذاء والطلاء والهناء والبغاء الزناء وخول بطاء ووكاء القربة والاناء الذي يشرب فيه وجلاء المرآة والسيف وفعلت ذلك ولاء وهداء العروس وأصابهم سباء والغذاء من الطعام وفناء الدار والوعاء والاخاء والاساء الاطباء والقثاء والحناء وحراء جبل بمكة وصفاء القرطاس جمع صفاة والدماء ولحاء الشجر وازواء الجبل والعفاء الريش والطلاء الشراب والغطاء والعشاء وقت صلاة العتمة والخفاء الكساء والجلاء مصدر جلوت العروس والشواء والمراء والاباء والكفاء من الكفو والملحاء الملاحاة والرفاء والبنين والعشاء واللقاء هذا كله مكسور الاول ﴿ومن الممدود المفتوح الاول﴾ العطاء والفناء والسماء والثناء والغناء والبقاء والنماء والهباء وبرح الخفاء والغلاء وداء عياء والبداء والبهاء ورجاء الخراج تيسر جبايته والوطاء والزماء بقية النفس والوفاء والقضاء والشقاء واللقاء والعزاء والبلاء والحساء والولاء في العتق والزكاء والرخاء والدهاء وعليه العفاء والفضاء والعناء والدواء والجفاء والثواء والحلاء من الحلوة والخلاء أيضا المتوضأ والجلاء الامر الجلي وكذلك هو من الخروج عن الموضع والجزاء والوجاء من توحيت والبداء من بدا له في الامر والنجاء مصدر نجوت والمراء والوضاء الحسن والذكاء من ذكوت والقواء من أقوى المنزل والغناء من غنا العود ينغو والقصاء

فى الابيات الشعرية و يبطل على أبى على قوله أيضا من وجه آخر وذلك أنه قال ان العرب تعتقد أن فى الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجردا من الانسان كأنه غيره وهو هو كالمثال الذى مثله فى تشبيهه بالاسد وتشبيهه بالبحر وهذا ينتقض بقوله لئن رأيت الاسد لترين منه هضبة ولئن لقيته لتلقين منه الموت فان الصورة التى أوردها فى الانسان وزعم أن العرب تعتقد أن ذلك معنى كامن فيه قد أوردنا مثلها فى الاسد فتخصيصه ذلك بالانسان باطل وكلا الصورتين ليس بتجريد وانما هو تشبيه مضمر الاداة وقد سبق القول بأن التجريد هو أن تطلق الخطاب على غيرك ولا يكون هو المراد وانما المراد نفسك وهذا لا يوجد فى هذا المثال المضمر الاداة بل المخاطب هو هو لا غيره فلا يطلق عليه اذا اسم التجريد لانه خارج عن حقيقته ومناف لموضوعه فاذا قال القائل لئن لقيته لتلقين به كالاسد ولئن سألته لتسألن منه كالبحر لم يجرد عن القول عنه شيأ وانما شبهه تارة بالاسد فى شجاعته وتارة بالبحر فى سخائه وما أعلم كيف ذهب هذا على مثل أبى على رحمه الله حتى خلطه بالتجريد وأجراه مجراه وأما قوله ان العرب تعتقد أن فى الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله فأقول وغير العرب أيضا تعتقد ذلك فان عنى بالمعنى الكامن معنى الانسانية الذى هو الاستعداد للعلوم والصنائع فما هذا من الشئ الغريب الخفى الذى علمته العرب خاصة وانفرد باستخراجه أبو على رحمه الله وان عنى بالمعنى الكامن ما فيه من الاخلاق كالشجاعة والسخاء فى المثال الذى ذكره حتى يشبه بالاسد تارة وبالبحر أخرى فليس الانسان مختصا بهذا المعنى الكامن دون غيره من الحيوانات بل الاسد فيه من معنى الشجاعة ما ليس فى الانسان ولهذا اذا بولغ فى وصف الانسان بالشجاعة شبه بالاسد وكذلك فى بعض الحيوانات من السخاء ما ليس فى الانسان ومن الامثال أكرم من ديك لانه اذا ظفر بحبة من الحنطة أخذها فى منقاره وطاف بها على الدجاج حتى يضعها فى منقار واحدة منهن فالاخلاق اذا مشتركة بين الانسان وبين غيره من الحيوانات غير أن الانسان يجتمع فيه ما تفرق فى كثير منها وما أعلم ما أراد أبو على رحمه الله بقوله ان فى الانسان معنى كامنا فيه كأنه حقيقته ومحصوله الا أن يكون أحد هذين القسمين اللذين أشرت اليهما على أن القسم الواحد الذى هو خلق الشجاعة والسخاء وغيره من الاخلاق ليس عبارة عن حقيقة الانسان اذ لا يقال فى حده حيوان شجاع ولا سخى بل يقال حيوان ناطق فالنطق الذى هو الاستعداد للعلوم والصنائع هو حقيقة الانسان فبطل اذا قول أبى على رحمه الله فى تمثيله حقيقة الانسان بالشجاعة والسخاء فالخطأ توجه فى كلامه من وجهين أحدهما أنه جعل حقيقة الانسان عبارة عن خلقه والآخر أنه أدخل فى التجريد ما ليس منه وهذا القدر كاف فى هذا الموضع فليتأمل

﴿النوع الرابع فى الالتفات﴾ وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التى حولها يدندن واليها تستند البلاغة وعنها يعنعن وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لانه ينتقل فيه عن صيغة الى صيغة كالانتقال من خطاب حاضر الى غائب أو من خطاب غائب الى حاضر أو من فعل ماض الى مستقبل أو من مستقبل الى ماض أو غير ذلك مما يأتى ذكره مفصلا ويسمى أيضا شجاعة العربية وانما سمى بذلك لان الشجاعة هى الاقدام وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ويتورد ما لا يتورده سواه وكذلك هذا الالتفات فى الكلام فان اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات (وهو ينقسم

الى

من قسوة القلب والعداء الظلم والاناء من التأخير وسواء الشئ وسطه والعباء جمع عباءة والعظاء جمع عظاءة والاشاء جمع اشاءة وهى النخل الصغار ﴿ومن الممدود المضموم أوله﴾ الدعاء والحداء والرغاء والبكاء والثغاء والمكاء والضغاء والعواء (وكل الاصوات ممدود مضموم الاول) الا ان الغناء والنداء مكسوران والغثاء والجفاء ما رماه الوادى وزقاء الديك والمكاء الصفير والمكاء مشدد طائر والرخاء الريح اللينة والملاء جمع ملاءة وهم زهاء كذا أى مقدار كذا وسلاء النخل ولفلان رواء أى منظر وبغيت الشئ بغاء

﴿باب ما يمد و يقصر﴾

(الزناء) يمد و يقصر واذا قصر كتب بالياء (والشراء) يمد و يقصر واذا قصر كتب بالياء (والشقاء) يمد و يقصر واذا قصر كتب بالالف (والضوضاء) يمد و يقصر واذا قصر كتب بالياء (والوناء) يمد و يقصر واذا قصر كتب بالياء (والبكاء) يمد و يقصر واذا قصر كتب بالياء قال الشاعر

بكت عينى وحق لها بكاها
وما يغنى البكاء ولا العويل

(والهناء) يمد و يقصر واذا قصرت كتبت بالالف (والهيجاء) كذلك (وغوغاء) كلامه يمد و يقصر (وهؤلاء) يمد و يقصر فيكتب اذا قصر بالياء (وحروف المعجم) يمددن و يقصرن واذا قصرن كتبت كل واحدة منهن بالالف

الى ثلاثة أقسام القسم الاوّل فى الرجوع من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة) اعلم أن عامة المنتمين الى هذا الفن اذا سئلوا عن الانتقال عن الغيبة الى الخطاب وعن الخطاب الى الغيبة قالوا كذلك كانت عادة العرب فى أساليب كلامها وهذا القول هو عكاز العميان كما يقال ونحن انما نسأل عن السبب الذى قصدت العرب ذلك من أجله وقال الزمخشرى رحمه الله ان الرجوع من الغيبة الى الخطاب انما يستعمل للتفنن فى الكلام والانتقال من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه وليس الامر كما ذكره لان الانتقال فى الكلام من أسلوب الى أسلوب اذا لم يكن الا تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه فان ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد فينتقل الى غيره ليجد نشاطا للاستماع وهذا قدح فى الكلام لا وصف له لانه لو كان حسنا لما مل ولو سلمنا الى الزمخشرى ماذهب اليه لكان انما يوجد ذلك فى الكلام المطول ونحن نرى الامر بخلاف ذلك لانه قد ورد الانتقال من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ويكون مجموع الجانبين معا يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك ومفهوم قول الزمخشرى فى الانتقال من أسلوب الى أسلوب انما يستعمل قصدا للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل اليه لا قصد الاستعمال الاحسن وعلى هذا فاذا وجدنا كلاما قد استعمل فى جميعه الايجاز ولم ينتقل عنه أو استعمل فيه جميعه الاطناب ولم ينتقل عنه وكان كلا الطرفين واقعا موقعه قلنا هذا ليس بحسن اذلم ينتقل فيه من أسلوب الى أسلوب وهذا قول فيه مافيه وما أعلم كيف ذهب على مثل الزمخشرى مع معرفته بفن الفصاحة والبلاغة (والذى عندى فى ذلك) أن الانتقال من الخطاب الى الغيبة أو من الغيبة الى الخطاب لا يكون الا لفائدة اقتضته وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب غير أنها لا تحد بحد ولا تضبط بضابط لكن يشار الى مواضع منها ليقاس عليها غيرها فانا قد رأينا الانتقال من الغيبة الى الخطاب قد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الاول قد استعمل فى الانتقال من الخطاب الى الغيبة فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجرى على وتيرة واحدة وانما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر وانما يؤتى بها على حسب الموضع الذى ترد فيه وسأوضح ذلك فى ضرب من الامثلة الآتى ذكرها فأما الرجوع من الغيبة الى الخطاب فكقوله تعالى فى سورة الفاتحة الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب ومما يختص به هذا الكلام من الفوائد قوله اياك نعبد واياك نستعين بعد قوله الحمد لله رب العالمين فانه انما عدل فيه من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده فلما كانت الحال كذلك استعمل لفظ الحمد المتوسطه مع الغيبة فى الخبر فقال الحمد لله ولم يقل الحمد لك ولما صار الى العبادة التى هى أقصى الطاعات قال اياك نعبد فخاطب بالعبادة اصراحا بها وتقربا منه عز اسمه بالانتهاء الى محدود منها وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال صراط الذين أنعمت عليهم فأصرح بالخطاب لما ذكر النعمة ثم قال غير المغضوب عليهم عطفا على الاول لان الاول موضع التقرب من الله بذكر نعمه فلما صار الى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فاسند النعمة اليه لفظا وزوى عنه لفظ الغضب تحننا ولطفا فانظر الى هذا الموضع وتناسب هذه المعانى الشريفة التى الاقدام لا تكاد تطؤها والافهام مع قربها صافحة عنها وهذه السورة قد انتقل فى أولها من الغيبة الى

الا الزاى فانها تكتب بياء بعد ألف

﴿باب ما يقصر فاذا غير بعض حركته بانه مد﴾

الملا بلا الثوب والانا من الساعات وسوى والقلا البغض ماوروى كل ذلك اذا كسر أوله قصر وكتب بالياء (واذا فتح مد) واللقاء والبناء اذا كسر أولهما مدا واذا ضم أولهما قصرا (وكتبا بالياء) وعمى البيت وغمر السرج وهو فداء لك (كل اذا فتح أوله قصر وكتب بالياء) خلا اغرا السرج فانه يكتب بالالف واذا كسر أول ذلك كله مد والنعما والبؤسا والعليا والرغبى والصحى والعلى (كل ذلك اذا ضم أوله قصر وكتب بالياء) الا العليا فانها تكتب بالالف كراهة لاجتماع ياءين (واذا فتح أول ذلك كله مد) والباقلى والباقلاء والمرعزى والمرعزاء والقبيطى والقبيطاء (اذا خفف مد واذا شدد قصر)

تم كتاب الهجاء بحمد الله ومنه

﴿هذا كتاب تقويم اللسان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿باب الحرفين يتقاربان فى اللفظ وفى المعنى ويلتبسان فربما وضع الناس أحدهما موضع الآخر﴾

قالوا اعظم الشئ أكثره وعظمه نفسه وكبر الشئ معظمه قال الله عز وجل والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم وقال قيس بن الخطيم يذكر امرأة تنام عن كبر شأنها فاذا قامت رويدا تكاد تنغرف ويقال الولاء للكبر وهم أقعدوا لم

الخطاب لتعظيم شأن المخاطب ثم انتقل في آخرها من الخطاب الى الغيبة انتقال العلة بعينها وهي تعظيم شأن المخاطب أيضا لان مخاطبة الرب تبارك وتعالى باسناد النعمة اليه تعظيم لخطابه وكذلك ترك مخاطبته باسناد الغضب اليه تعظيم لخطابه فينبغي أن يكون صاحب هذا الفن من الفصاحة والبلاغة عالما بوضع أنواعه في مواضعها على اشتباهها (ومن هذا الضرب) قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادّا وانما قيل لقد جئتم وهو خطاب للحاضر بعد قوله وقالوا وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة وهي زيادة التسجيل عليهم بالجراءة على الله تعالى والتعرض لسخطه وتنبيه لهم على عظم ما قالوه كأنه يخاطب قوما حاضرين بين يديه منكرا عليهم وموبخا لهم (ومما جاء من الالتفات) مرارا على قصر متنه وتقارب طرفيه قوله تعالى أول سورة بني اسرائيل سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير فقال أولا سبحان الذي أسرى بلفظ الواحد ثم قال الذي باركنا بلفظ الجمع ثم قال انه هو السميع البصير وهو خطاب غائب ولو جاء الكلام على مساق الاول لكان سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي بارك حوله ليريه من آياته انه هو السميع البصير وهذا جميعه يكون معطوفا على أسرى فلما خولف بين المعطوف والمعطوف عليه في الانتقال من صيغة الى صيغة كان ذلك اتساعا وتفننا في أساليب الكلام ولقصد آخر معنوي هو أعلى وأبلغ (وسأذكر ما سنح لي فيه فأقول) لما بدأ الكلام بسبحان ردفه بقوله الذي أسرى اذ لا يجوز أن يقال الذي أسرينا فلما جاء بلفظ الواحد والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم في نفسه الذي هو بلفظ الجمع استدرك الاول بالثاني فقال باركنا ثم قال لنريه من آياتنا فجاء بذلك على نسق باركنا ثم قال انه هو عطفا على أسرى وذلك موضع متوسط الصفة لان السمع والبصر صفتان يشاركه فيهما غيره وتلك حال متوسطة فخرج بهما عن خطاب العظيم في نفسه الى خطاب غائب فانظر الى هذه الالتفاتات المترادفة في هذه الآية الواحدة التي جاءت لمعان اختصت بها يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها (ومما ينخرط في هذا السلك) الرجوع من خطاب الغيبة الى خطاب النفس كقوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وهذا رجوع من الغيبة الى خطاب النفس فانه قال وزينا بعد قوله ثم استوى وقوله فقضاهن وأوحى والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا وأنها ليست حفظا ولا رجوما فلما صار الكلام الى ههنا عدل به عن خطاب الغائب الى خطاب النفس لانه مهم من مهمات الاعتقاد وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه وفي خلاف هذا الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الغيبة (ومما ينخرط في هذا السلك أيضا) الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الجماعة كقوله تعالى ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون وانما صرف الكلام عن خطاب نفسه الى خطابهم لانه أبرز الكلام لهم في معرض المناصحة وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ولان ذلك أدخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه وقد وضع قوله ومالي لا أعبد الذي فطرني مكان قوله ومالكم لا تعبدون الذي فطركم ألا ترى الى قوله واليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه أرجع وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال اني آمنت بربكم فاسمعون (وانظر) أيها المتأمل الى هذه النكت الدقيقة التي تمر عليها في آيات القرآن الكريم وأنت

الرجل من الذكور (والجهد الطاقة) تقول هذا جهدي أي طاقتي والجهد المشقة تقول فعلت ذلك بجهد وتقول اجهد جهدك ومنهم من يجعل الجهد والجهد واحدا ويحتج بقول الله تعالى والذين لا يجدون الا جهدهم وقد قرئ جهدهم (والكره) المشقة يقال جئتك على كره أي على مشقة ويقال أقامني على كره اذا أكرهك غيرك عليه ومنهم من يجعل الكره والكره واحدا (وعرض الشئ) احدى نواحيه وعرض الشئ خلاف طوله (وربض الشئ) وسطه وربضه نواحيه ومنه قيل ربض المدينة (والميل) بسكون الياء ما كان فعلا يقال مال عن الحق ميلا والميل مفتوح الياء ما كان خلقة تقول في عنقه ميل (والغبن) في الشرا والبيع والغبن في الرأي يقال في رأيه غبن وقد غبن رأيه كما يقال سفه رأيه (والحمل) حمل كل أنثى وكل شجرة قال الله عز وجل حملت حملا خفيفا والحمل ما كان على ظهر الانسان (فلان قرن فلان) اذا كان مثله في السن وقرنه اذا كان مثله في الشدة (وعدل الشئ) بفتح العين مثله قال الله سبحانه أو عدل ذلك صياما وعدل الشئ بكسر العين زنته (والحرق) في الثوب وغيره من النار والحرق النار نفسها يقال في حرق الله وقال رؤبة

* شد اسر يعا مثل اضرام الحرق

بمعنى النار والحرق في الثوب من الدق

تعلم أنك فهمت فحواها واستنبطت رموزها وعلى هذا الاسلوب يجري الحكم في الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد كقوله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم والفائدة ههنا في الرجوع من خطاب النفس الى خطاب الواحد تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والاشارة بأن انزال الكتاب انما هو اليه وان لم يكن ذلك صريح الكلام فمفهوم الكلام يدل عليه واذا تأملت مطاوي القرآن الكريم وجدت فيه من هذا وأمثاله أشياء كثيرة وانما اقتصرنا على هذه الامثلة المختصرة ليقاس عليها ما يجري على أسلوبها وقد ورد في فصيح الشعر شيء من ذلك كقول أبي تمام

وركب يساقون الركاب زجاجة * من السير لم تقصد لها كف قاطب
فقد أكلوا منها الغوارب بالسرى * وصارت لهم أشباحهم كالغوارب
يصرف مسراها جذيل مشارق * اذا آبه همّ عذيق مغارب
يرى بالكعاب الرود طلعة ثائر * وبالعرمس الوجناء غرة آئب
كأن بها ضغنا على كل جانب * من الارض أو شوقا الى كل جانب
اذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد * تقطع ما بيني وبين النوائب
هنالك تلقى الجود من حيث قطعت * تمائمه والمجد مرخى الذوائب

الا ترى أنه قال في الاول يصرف مسراها مخاطبة للغائب ثم قال بعد ذلك اذا العيس لاقت بي مخاطبا نفسه وفي هذا من الفائدة أنه لما صار الى مشافهة الممدوح والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه مبشرا لها بالبعد عن المكروه والقرب من المحبوب ثم جاء بالبيت الذي يليه معدولا به عن خطاب نفسه الى خطاب غيره وهو أيضا خطاب لحاضر فقال هنالك تلقى الجود وانما فعل ذلك لأنه يخبر غيره بما شاهده كأنه يصف له جود الممدوح وما لاقاه منه اشادة بذكره وتنويها باسمه وحملا لغيره على قصده وفي صفته جود الممدوح بتلك الصفة الغريبة البليغة وهي قوله حيث قطعت تمائمه ما يقتضي له الرجوع الى خطاب الحاضر والمراد بذلك أن محل الممدوح هو مآب الجود ومنشؤه ووطنه وقد يراد به معنى آخر وهو أن هذا الجود قد أمن عليه الآفات العارضة لغيره من المن والمطل والاعتذار وغير ذلك اذ التمائم لا تقطع الا عن أمنت عليه المخاوف وعلى هذا النهج ورد قول أبي الطيب المتنبي في قصيدة يمدح بها ابن العميد في النوروز ومن عادة الفرس في ذلك اليوم حمل الهدايا الى ملوكهم فقال في آخر القصيدة

كثر الفكر كيف نهدي كما أهـ * ـدت الى ربها الرئيس عباده
والذي عندنا من المال والخيـ * ـل فمنه هباته وقياده
فبعثنا بأربعين مهارا * كل مهر ميدانه انشاده
عدد عشته يرى الجسم فيه * أربا لا يراه فيما يزاده
فارتبطها فان قلبا نماها * مربط تسبق الجياد جياده

وهذا من احسان أبي الطيب المعروف وهو رجوع عن خطاب الغائب الى الحاضر واحتج أبو الطيب عن تخصيص أبياته بالاربعين دون غيرها من العدد بحجة غريبة وهي أنه جعلها كعدد السنين التي يرى الانسان فيها من القوة والشباب وقضاء الاوطار ما لا يراه في الزيادة عليها فاعتذر بألطف اعتذار في أنه لم يزد القصيد على هذه العدة وهذا حسن غريب (وأما الرجوع من الخطاب الى الغيبة) فكقوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك

(والعر) الجرب والعر قروح تخرج في مشافر الابل وقوائمها قال النابغة

حملت علي ذنبه وتركته
كذي العر يكوى غيره وهو راتع

وأما العر فقصر السنام وجئت في عقب الشهر اذا جئت بعد ما يمضي وجئت في عقبه اذا جئت وقد بقيت منه بقية (والقرح) يقال انه وجع الجراحات والقروح الجراحات بأعيانها (والضلع) الميل يقال ضلع فلان مع فلان أي ميله وقد ضلعت علي أي مالت والضلع الاعوجاج (والسكن) أهل الدار والسكن ما سكنت اليه (والذبح) مصدر ذبحت والذبح المذبوح والرعي مصدر رعيت (والرعي) الكلاء (والطحن) مصدر طحنت والطحن الدقيق (والقسم) مصدر قسمت والقسم النصيب (والسقي) مصدر سقيت والسقي النصيب يقال كم سقي أرضك أي نصيبها من الشرب (والسمع) مصدر سمعت والسمع الذكر يقال ذهب سمعه في الناس ونحو منه الصوت صوت الانسان والصيت الذكر يقال ذهب صيته في الناس (والغسل) مصدر غسلت والغسل الخطمي وكل ما غسل به الرأس فهو غسل والغسل بالضم الماء الذي يغتسل به (والسبق) مصدر سبقت والسبق الخطر (والهدم) مصدر هدمت والهدم ما انهدم من جوانب البئر فسقط فيها منها (والوقص) دق العنق والوقص قصر العنق (والسب) مصدر سببت والسب الذي يسابك

وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فانه انما صرف الكلام ههنا من الخطاب الى الغيبة لفائدة وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ويستدعي منهم الانكار عليهم ولو قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها وساق الخطاب معهم الى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة وليس ذلك بخاف عن نقدة الكلام (ومما ينخرط في هذا السلك) قوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم بينهم كل الينا راجعون الاصل في تقطعوا تقطعتم عطفا على الاول الا أنه صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة على طريقة الالتفات كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه الى قوم آخرين ويقبح عندهم ما فعلوه ويقول ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعا وذلك تمثيل لاختلافهم فيه وتباينهم ثم توعدهم بعد ذلك بأن هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو مجازيهم على ما فعلوا (ومما يجري هذا المجرى) قوله تعالى يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فانه انما قال فآمنوا بالله ورسوله ولم يقل فآمنوا بالله وبي عطفا على قوله اني رسول الله اليكم لكي تجري عليه الصفات التي أجريت عليه وليعلم أن الذي وجب الايمان به والاتباع له هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الامي الذي يؤمن بالله وبكلماته كائنا من كان أنا أو غيري اظهارا للنصفة وبعدا من التعصب لنفسه فقدر أولا في صدر الآية اني رسول الله الى الناس ثم أخرج كلامه من الخطاب الى معرض الغيبة لغرضين الاول منهما اجراء تلك الصفات عليه والثاني الخروج من تهمة التعصب لنفسه (القسم الثاني في الرجوع عن الفعل المستقبل الى فعل الامر وعن الفعل الماضي الى فعل الامر) وهذا القسم كالذي قبله في أنه ليس الانتقال فيه من صيغة الى صيغة طلبا للتوسع في أساليب الكلام فقط بل لامر وراء ذلك وانما يقصد اليه تعظيما لحال من أجري عليه الفعل المستقبل وتفخيما لامره وبالضد من ذلك فيمن أجري عليه فعل الامر (فمما جاء منه) قوله تعالى يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون فانه انما قال أشهد الله واشهدوا ولم يقل وأشهدكم ليكون موازنا له وبمعناه لان اشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت وأما اشهادهم فما هو الا تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم ولذلك عدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني أحبك تهكما به واستهانة بحاله وكذلك يرجع عن الفعل الماضي الى فعل الامر الا أنه ليس كالاول بل انما يفعل ذلك توكيدا لما أجري عليه فعل الامر لمكان العناية بتحقيقه كقوله تعالى قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين الآية وكان تقدير الكلام أمر ربي بالقسط وباقامة وجوهكم عند كل مسجد فعدل عن ذلك الى فعل الامر للعناية بتوكيده في نفوسهم فان الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ثم اتبعها بالاخلاص الذي هو عمل القلب اذ عمل الجوارح لا يصح الا باخلاص النية ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات (واعلم) أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الالفاظ الى صيغة أخرى لا يكون الا لنوع خصوصية اقتضت ذلك وهو لا يتوخاه في كلامه الا العارف برموز الفصاحة

والبلاغة

(والنكس) مصدر نكست والنكس الفسل من الرجال مشبه بالنكس من السهام وهو الذي نكس والنكس بالضم هو أن ينكس الرجل في علته (والقد) مصدر قددت السير والقد السير (والضر) الهزال وسوء الحال والضر ضد النفع (والغول) البعد والغول ما اغتال الانسان فأهلكه (والطعم) الطعام والطعم الشهوة قال أبو خراش

أرد شجاع البطن قد تعلمينه
وأوثر غيري من عيالك بالطعم

بضم الطاء (وقال)

واغتبق الماء القراح فانتهي
اذا الزاد أمسى للمزلج ذا طعم

بفتح الطاء والطعم أيضا ما يؤديه الذوق (والهجر) الافحاش في المنطق يقال أهجر الرجل في منطقه والهجر الهذيان يقال هجر الرجل في كلامه (والكور) كور الحداد المبني من طين والكير زق الحداد (والحرم) الحرام وكذلك الحل الحلال يقال حرم وحرام وحل وحلال قال الله عز وجل وحرام على قرية وقرئت وحرم على قرية والحرم الاحرام (والجرم) البدن والجرم الذنب (والسلم) الصلح والسلم الاستلام (والارب) الدهي يقال رجل ذو أرب ذو دهاء والارب الحاجة (والورق) المال من الدراهم والورق المال من الغنم والابل (والعوج) في الدين والارض قال الله عز وجل وتبغونها عوجا والعوج في غيره ما خالف الاستواء وكان قائما مثل الخشبة والحائط ونحوه (والنصب) الشر قال الله

والبلاغة الذى اطلع على أسرارهما وفتش عن دفائنهما ولا تجد ذلك فى كل كلام فانه من أشكل ضروب علم البيان وأدقها فهما وأغمضها طريقا (القسم الثالث فى الاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وعن المستقبل بالماضى) فالاول الاخبار بالفعل المستقبل عن الماضى اعلم أن الفعل المستقبل اذا أتى به فى حالة الاخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الاخبار بالفعل الماضى وذلك لان الفعل المستقبل يوضح الحال التى يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى وربما أدخل فى هذا الموضع ما ليس منه جهلا بمكانه فانه ليس كل فعل مستقبل يعطف على ماض يجارى هذا المجرى وسأبين ذلك فأقول عطف المستقبل على الماضى ينقسم الى ضربين أحدهما بلاغى وهو اخبار عن ماض بمستقبل وهو الذى أنا بصدد ذكره فى كتابى هذا الذى هو موضوع لتفصيل ضروب الفصاحة والبلاغة والآخر غير بلاغى وليس اخبارا بمستقبل عن ماض وانما هو مستقبل دل على معنى مستقبل غير ماض ويراد به أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يمض * فالضرب الاول كقوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور فانه انما قال فتثير مستقبلا وما قبله وما بعده ماض لذلك المعنى الذى أشرنا اليه وهو حكاية الحال التى يقع فيها اثارة الريح السحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أوتهم المخاطب أوغير ذلك وعلى هذا الاسلوب ما ورد من حديث الزبير بن العوام رضى الله عنه فى غزوة بدر فانه قال لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرس وعليه لأمة كاملة لا يرى منه الا عيناه وهو يقول أنا أبو ذات الكوش وفى يدى عنزة فأطعن بها فى عينه فوقع وأطأ برجلى على خده حتى خرجت العنزة متعقفة فقوله فأطعن بها فى عينه وأطأ برجلى معدول به عن لفظ الماضى الى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التى فعل فيها ما فعل من الاقدام والجراءة على قتل ذلك الفارس المستلئم ألا ترى أنه قال أولا لقيت عبيدة بلفظ الماضى ثم قال بعد ذلك فأطعن بها فى عينه ولو عطف كلامه على أوله لقال فطعنت بها فى عينه وعلى هذا ورد قول تأبط شرا

بأنى قد لقيت الغول تهوى * بشهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

فانه قصد أن يصور لقومه الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يبصرهم اياها مشاهدة للتعجب من جراءته على ذلك الهول ولو قال فضربتها عطفا على الاول لزالت هذه الفائدة المذكورة (فان قيل) ان الفعل الماضى أيضا يتخيل منه السامع ما يتخيله من المستقبل (قلت فى الجواب) ان التخيل يقع فى الفعلين معا لكنه فى أحدهما وهو المستقبل أوكد وأشد تخيلا لانه يستحضر صورة الفعل حتى كأن السامع ينظر الى فاعلها فى حال وجود الفعل منه ألا ترى أنه لما قال تأبط شرا فأضربها تخيل السامع أنه مباشر للفعل وأنه قائم بازاء الغول وقد رفع سيفه ليضربها وهذا لا يوجد فى الفعل الماضى لانه لا يتخيل السامع منه الا فعلا قد مضى من غير احضار للصورة فى حالة سماع الكلام الدال عليه وهذا لا خلاف فيه وهكذا يجرى الحكم فى جميع الآيات المذكورة وفى الاثر عن الزبير رضى الله عنه وفى الابيات الشعرية وعليه ورد قوله تعالى أيضا وهو ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق فقال أولا خر من السماء

عز وجل نصب وعذاب النصب ما نصب قال الله عز وجل كأنهم الى نصب يوفضون وهو النصب أيضا والنصب التعب قال الله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (الذل) ضد الصعوبة والذل ضد العز يقال دابة ذلول بين الذل اذا لم يكن صعبا ورجل ذليل بين الذل (واللقط) مصدر لقطت واللقط ما سقط من ثمر الشجر فلقط (والنفض) مصدر نفضت الشئ والنفض ما سقط من الشئ تنفضه (والخبط) مصدر خبطت الشئ خبطا والخبط ما سقط عن الشئ تخبطه من ذلك خبط الابل الذى توجره انما هو ورق الشجر يخبط فينتثر (والخلف) الردى من القول ومنه قولهم فى المثل سكت ألفا ونطق خلفا ويقال هذا خلف سوء قال الله عز وجل فخلف من بعدهم خلف وهذا خلف من هذا اذا قام مقامه (والمرط) النتف والمرط ذهاب الشعر (والحور) الرجوع عن الشئ ومنه أعوذ بالله من الحور بعد الكور والحور النقصان قال الشاعر

لا تبخلى فان الدهر ذو غير
الذم يبقى وزاد القوم فى حور

(والاكل) مصدر أكلت والاكل الاكول وفلان ذو أكل اذا كان ذا جد وحظ تقول لا آتيك الى عشر من ذى قبل لا غير أى الى عشر فيما استأنف ورأيت الهلال قبلا فى أول ما يرى ولا قبل لى بفلان أى لا طاقة لى ورأيت فلانا قبلا وقبلا وقبلا أى عيانا (والعذق) النخلة نفسها والعذق الكباسة

بلفظ الماضي ثم عطف عليه المستقبل الذي هو فتخطفه وتهوي وانما عدل في ذلك الى المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير اياه وهوي الريح به والفائدة في ذلك ما أشرت اليه فيما تقدم وكثيرا ما يراعي أمثال هذا في القرآن * وأما الضرب الثاني الذي هو مستقبل فكقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فانه انما عطف المستقبل على الماضي لان كفرهم كان ووجدولم يستجدوا بعده كفرا ثانيا وصدهم متجدد على الايام لم يمض كونه وانما هو مستمر يستأنف في كل حين وكذلك ورد قوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي ههنا الى المستقبل فقال فتصبح الارض مخضرة ولم يقل فأصبحت عطفا على أنزل وذلك لافادة بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان فانزال الماء مضى وجوده واخضرار الارض باق لم يمض وهذا كما تقول أنعم علي فلان فأروح وأغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت شاكرا له لم يقع ذلك الموقع لانه يدل على ماض قد كان وانقضى وهذا موضع حسن ينبغي أن يتأمل (وأما الاخبار بالفعل الماضي عن المستقبل) فهو عكس ما تقدم ذكره وفائدته أن الفعل الماضي اذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وايجاده لان الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد وانما يفعل ذلك اذا كان الفعل المستقبل من الاشياء العظيمة التي يستعظم وجودها والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المستقبل عن الماضي أن الغرض بذاك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يشاهدها والغرض بهذا هو الدلالة على ايجاد الفعل الذي لم يوجد بعد فمن أمثلة الاخبار بالفعل الماضي عن المستقبل قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض فانه انما قال ففزع بلفظ الماضي بعد قوله ينفخ وهو مستقبل للاشعار بتحقيق الفزع وأنه كائن لا محالة لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به وكذلك جاء قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وانما قيل وحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى وهما مستقبلان للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليشاهدوا تلك الاحوال كأنه قال وحشرناهم قبل ذلك لان الحشر هو المهم لان من الناس من ينكره كالفلاسفة وغيرهم ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضي ﴿ومما يجري هذا المجرى﴾ الاخبار باسم المفعول عن الفعل المستقبل وانما يفعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضي وقد سبق الكلام عليه (فمن ذلك) قوله تعالى ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فانه انما آثر اسم المفعول الذي هو مجموع على الفعل المستقبل الذي هو يجمع لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه الموصوف بهذه الصفة وان شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع فانك تعثر على صحة ما قلت (النوع الخامس في توكيد الضميرين) (ان قيل) في هذا الموضع ان الضمائر مذكورة في كتب النحو فأي حاجة الى ذكرها ههنا ولم تعلم أن النحاة لا يذكرون ما ذكرته (قلت) ان هذا يختص بفصاحة وبلاغة وأولئك لا يتعرضون اليه وانما يذكرون عدد الضمائر وأن المنفصل منها كذا والمتصل كذا ولا يتجاوزون ذلك وأما أنا فاني أوردت في هذا النوع أمرا خارجا عن الامر النحوي وأعني بقولي توكيد الضميرين أن يؤكد المتصل بالمنفصل كقولك انك أنت أو يؤكد المنفصل بمنفصل مثله كقولك أنت أنت أو يؤكد المتصل بمتصل مثله كقولك انك انك العالم أو انك انك لجواد وغالبا يؤتى بمثل هذه الاقوال في معرض المبالغة وهو من أسرار علم البيان (واستقدم في ذلك قولا يحصره ويجمع أطرافه فنقول) اذا كان المعنى

المقصود

(والشق) الصدع في عود أو زجاجة والشق نصف الشيء وهو أيضا المشقة (امرأة حصان) بفتح الحاء العفيفة وفرس حصان (وجمام) الفرس بالفتح وجمام المكوك بالضم (والسداد) في المنطق والفعل بالفتح وهو الاصابة والسداد بكسر السين كل شيء سددت به شيأ مثل سداد القارورة وسداد الثغر أيضا ويقال أصبت سدادا من عيش أي ما تسد به الخلة وهذا سداد من عوز (والقوام) العدل قال الله عز وجل وكان بين ذلك قواما وقوام الرجل قامته والقوام بكسر القاف ما أقامك من الرزق يقال أصبت قواما من عيش وما قوامي الا بكذا (ليل تمام) بالكسر لا غير وولد تمام وقمر تمام بالفتح والكسر فيهما (الدعوة) في النسب بكسر الدال الدعوة الى الطعام بالفتح (والكفة) بكسر الكاف كفة الميزان وكفة الصائد وهي حبالته وكفة القميص والرمل ما استطال بضم الكاف (والولاية) ضد العداوة قال الله عز وجل ما لكم من ولايتهم من شيء والولاية من وليت الشيء وعلاقة الحب والخصومة بالفتح وعلاقة السوط بالكسر والحملة الشيء تحمله عن القوم والحملة بالكسر محمل السيف (الامعى) مسقط السوط ومسقط النجم حيث سقطا مفتوحات ومسقط الرمل أي منقطعه ومسقط رأسه أي حيث ولد مكسور ان فلان حسن في مرآة العين بالفتح والمرآة التي ينظر الى الوجه فيها بالكسر (والمروحة) التي يتروح بها

المقصود معلوما ثابتا فى النفوس فأنت بالخيار فى توكيد أحد الضميرين فيه بالآخر واذا كان غير معلوم وهو مما يشك فيه فالاولى حينئذ أن يؤكد أحد الضميرين بالآخر فى الدلالة عليه لتقرره وتثبته (فمما جاء من ذلك) قوله تعالى قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين فان ارادة السحرة الالقاء قبل موسى لم تكن معلومة عنده لانهم لم يصرحوا بما فى أنفسهم من ذلك لكنهم لما عدلوا عن مقابلة خطابهم موسى بمثله الى توكيد ما هو لهم بالضميرين اللذين هما نكون ونحن دل ذلك على أنهم يريدون التقدم عليه والالقاء قبله لان من شأن مقابلة خطابهم موسى بمثله أن كان قالوا اما أن تلقى واما أن نلقى لتكون الجملتان متقابلتين فحيث قالوا عن أنفسهم واما أن نكون نحن الملقين استدل بهذا القول على رغبتهم فى الالقاء قبله (وأما توكيد المتصل بالمتصل) فكقوله تعالى فى سورة الكهف فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا وهذا بخلاف قصة السفينة فانه قال فيها ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا والفرق بين الصورتين أنه أكد الضمير فى الثانية دون الاولى فقال فى الاولى ألم أقل انك وقال فى الثانية ألم أقل لك انك واغا جىء بذلك للزيادة فى مكافحة العتاب على رفض الوصية مرة على مرة والوسم بعدم الصبر وهذا كما لو أتى الانسان ما نهيته عنه فلمته وعنفته ثم أتى ذلك مرة ثانية أليس انك تزيد فى لومه وتعنيفه وكذلك فعل ههنا فانه قيل فى الملامة أولا ألم أقل انك ثم قيل ثانيا ألم أقل لك انك وهذا موضع يدق عن العثور عليه ببادرة النظر ما لم يعط التأمل فيه حقه (وأما توكيد المتصل بالمنفصل) فنحو قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى فتوكيد الضميرين ههنا فى قوله انك أنت الاعلى أنفى للخوف من قلب موسى وأثبت فى نفسه للغلبة والقهر ولو قال لا تخف انك الاعلى أو فأنت الاعلى لم يكن له من التقرير والاثبات لنفى الخوف ما لقوله انك أنت الاعلى (وفى هذه الكلمات الثلاث) وهى قوله انك أنت الاعلى ست فوائد (الاولى) ان المشددة التى من شأنها الاثبات لما يأتى بعدها كقولك زيد قائم ثم تقول ان زيدا قائم ففى قولك ان زيدا قائم من الاثبات لقيام زيد ما ليس فى قولك زيد قائم (الثانية) تكرير الضمير فى قوله انك أنت ولو اقتصر على أحد الضميرين لما كان بهذه المكانة فى التقرير لغلبة موسى والاثبات لقهره (الثالثة) لام التعريف فى قوله الاعلى ولم يقل أعلى ولا عال لانه لو قال ذلك لكان قد نكره وكان صالحا لكل واحد من جنسه كقولك رجل فانه يصلح أن يقع على كل واحد من الرجال واذا قلت الرجل فقد خصصته من بين الرجال بالتعريف وجعلته علما فيهم وكذلك جاء قوله تعالى انك أنت الاعلى أى دون غيرك (الرابعة) لفظ أفعل الذى من شأنه التفضيل ولم يقل العالى (الخامسة) اثبات الغلبة له من العلو لان الغرض من قوله الاعلى أى الاغلب الا أن فى الاعلى زيادة وهى الغلبة من عال (السادسة) الاستئناف وهو قوله تعالى لا تخف انك أنت الاعلى ولم يقل لانك أنت الاعلى لانه لم يجعل علة انتفاء الخوف عنه كونه عاليا وانما نفى الخوف عنه أولا بقوله لا تخف ثم استأنف الكلام فقال انك أنت الاعلى فكان ذلك أبلغ فى ايقان موسى عليه السلام بالغلبة والاستعلاء وأثبت لذلك فى نفسه (وربما وقع لبعض الاغمار أن يعترض على ما ذكرناه) فى توكيد أحد الضميرين بالآخر فيقول لو كان توكيدهما أبلغ من الاقتصار على أحدهما لورد ذلك عند ذكر الله تعالى نفسه حيث هو أولى بما هو أبلغ وأوكد من القول وقد رأينا فى القرآن الكريم مواضع تختص بذكر الله تعالى وقد ورد فيها أحد الضميرين دون الآخر كقوله عز اسمه قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك

والمروحة التى تخترق فيها الريح قال الشاعر

كأن راكبها غصن بمروحة
اذا تدلت به أو شارب ثمل

والرحلة بضم الراء السفرة والرحلة الارتحال قال الكسائى دولة بضم الدال مثل العارية يقال اتخذوه دولة بضم الدال يتداولون بينهم ودولة مفتوحة الدال من دال عليهم الدهر دولة ودالت الحرب بهم وقال عيسى بن عمر تكونان جميعا فى المال والحرب سواء ولست أدرى فرق ما بينهما قال يونس غرفت غرفة واحدة بالفتح وفى الاناء غرفة ففرق ما بينهما وكذلك قال فى الحسوة والحسوة وقال الفراء خطوت خطوة بالفتح والخطوة ما بين القدمين (الثقلة) بكسر القاف اثقال القوم وأنا أجد ثقلة فى بدنى بفتح الثاء والقاف والطفلة من النساء الناعمة والطفلة الحديثة السن الاصمعى ما استدار فهو كفة نحو كفة الميزان وكفة الصائد لانه يديرها وما استطال فهو كفة نحو كفة الثوب وكفة الرمل (الحمرة) الريح الطيبة بفتح الخاء والميم والخمرة بضم الخاء وتسكين الميم الخميرة فى اللبن والعجين والنبيذ (والجد) بفتح الجيم الحظ يقال منه رجل مجدود وفى الدعاء ولا ينفع ذا الجد منك الجد والجد عظمة الله من قول الله عز وجل وانه تعالى جد ربنا أى عظمة ربنا والجد الاجتهاد والمبالغة (واللحن) بفتح الحاء الفطنة يقال رجل لحن اذا كان فطنا واللحن خطأ فى الكلام (هذا رجل)

من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ولم يقل انك أنت على كل شيء قدير فما الموجب لذلك ان كان توكيد أحد الضميرين بالآخر أبلغ من الاقتصار على أحدهما ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أنا نقول قد قدمنا القول في أول هذا النوع انه اذا كان المعنى المقصود معلوما ثابتا فصاحب الكلام مخير في توكيد أحد الضميرين بالآخر فان أكد فقد أتى بفضل بيان وان لم يؤكد ولان ذلك المعنى ثابت لا يفتقر في تقريره الى زيادة تأكيد كهذه الآية المشار اليها وهي قوله تعالى قل اللهم مالك الملك فان العلم بأن الله على كل شيء قدير لا يفتقر الى تأكيد يقرره وقد ورد ما يجري مجرى هذه الآية مؤكدا كقوله تعالى واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب فوكد في هذه الآية ولم يؤكد في الآية الاخرى وقد عرفتك الطريق في ذلك وأما اذا كان المعنى المقصود غير معلوم وهو مما يشك فيه فالاولى أن يؤكد بالضميرين في الدلالة عليه كقوله تعالى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى فان موسى لم يكن متيقنا أنه غالب للسحرة فلذلك وكد خطابه بالضميرين ليكون أبلغ في تقرير ذلك في نفسه (وأما توكيد المنفصل بمنفصل مثله) فكقول أبي تمام

لا أنت أنت ولا الديار ديار ❊ خف الهوى وتولت الاوطار

فقوله لا أنت أنت ولا الديار ديار من المليح النادر في هذا الموضع لانه هو هو والديار الديار وانما البواعث التي كانت تبعث على قضاء الاوطار زالت فبقي ذلك الرجل وليس هو هو على الحقيقة ولا الديار في عينه من الحسن تلك الديار وعلى هذا ورد قول أبي الطيب المتنبي

قبيل أنت أنت وأنت منهم ❊ وجدك بشر الملك الهمام

فقوله أنت أنت من توكيد الضميرين المشار اليهما وفائدته المبالغة في مدحه ولو مدحه بما شاء الله لما سد مسد قوله أنت أنت أي أنك المشار اليه بالفضل دون غيرك وأما قوله وأنت منهم خارج عن هذا الباب وهو كلام مستأنف لا يتعلق بتوكيد الضميرين كأنه قال أنت الموصوف بكذا وكذا وأنت من هذا القبيل يريد بذلك مدح قبيله به وهذا البيت لم أمثل به اختيارا له واستجادة وانما مثلت به ليعلم مكان توكيد المنفصل بالمنفصل والا فالبيت ليس من المرضي لان سبكه سبك عار من الحسن وفيه تقديم وتأخير (وقرأت في كتاب الاغاني لابي الفرج) ان عمرو ابن ربيعة قال لزياد بن الهبولة ياخير الفتيان اردد علي ما أخذته من ابلي فردها عليه وفيها فحلها فنازعه الفحل الى الابل فصرعه عمرو فقال له زياد لو صرعتم يابني شيبان الرجال كما تصرعون الابل لكنتم أنتم أنتم فقال عمرو له لقد أعطيت قليلا وسمت جليلا وجورت على نفسك وبلا طويلا فقوله لكنتم أنتم أنتم أي أنتم الاشداء أو الشجعان أو ذوو النجدة والبأس أو ما جرى هذا المجرى الآن في أنتم الثانية تخصيصا لهم بهذه الصفة دون غيرهم كأنه قال لكنتم أنتم الشجعان دون غيركم ولو مدحهم بأي شيء مدحهم من وصف البأس والشدة والشجاعة لما بلغ هذه الكلمة أعني أنتم الثانية وهذا موضع من علم البيان تتكاثر محاسنه فاعرفه (النوع السادس في عطف المظهر على ضميره والافصاح به بعده) وهذا انما يعمد اليه لفائدة وهي تعظيم شأن الامر الذي أظهر عنده الاسم المضمر أولا ومثال ذلك قول القائل ولما التقينا بنو تميم أقبلوا نحونا يركضون فرأينا منهم أسود شكلا تسابق الاسنة الى الورود ولا ترتد على أعقابها اذا ارتدت أمثالها من الاسود وتناجد بنو تميم علينا بجملة فلذنا بالفرار واستبقنا الى تولية الادبار فانه انما قيل وتناجد بنو تميم مصرحا باسمهم ولم يقل وتناجدوا كما قيل أقبلوا للدلالة على التعجب من

اقدامهم

شرعك من رجل أي ناهيك به والقوم فيه شرع أي سواء بفتح الراء (والعرض) مصدر عرضت الجند قال يونس يقال قد فاته العرض كما يقال قبضت قبضا وقد ألقاه في القبض فلان منكر بين النكر والنكر المنكر قال الله عز وجل لقد جئت شيأ نكرا أي منكرا

﴿باب الحروف التي تتقارب ألفاظها وتختلف معانيها﴾

(الاربة) الحاجة الاربة العقدة والحدأة الفأس ذات الرأسين وجمعها حدء (والامة) القامة والامة النعمة والدين امة امة (واللقوة) العقاب بكسر اللام وفتحها واللقوة داء في الوجه بالفتح (والرمة) القطعة من الحبل والرمة العظام البالية (وشعار) القوم في الحرب بالكسر والشعار ما ولي الجلد من الثياب بالكسر أيضا وأرض كثيرة الشعار أي كثيرة الشجر بفتح الشين (ومجمر العين) بكسر الجيم ومجمر بفتحهما من الجمر وهو الحرام (والمنسر) جماعة من الخيل والمنسر بكسر الميم منسر الطائر (والمحلب) الاناء يحلب فيه والمحلب من الطيب بالفتح (والوقر) بفتح الواو والثقل في الاذن والوقر الحمل (والغرب) الدلو العظيمة والغرب الماء الذي بين البئر والحوض (والسلم) الدلو لها عروة واحدة والسلم الصلح والسلم السلف يقال اسلم في كذا وكذا أي أسلف فيه والسلم الاستسلام قال الله عز وجل ولا تقولوا لمن ألقى اليكم

اقدامهم عند الجنة وثباتهم عند الصدمة لاسيما وقد أردف ذلك بقوله لذنا بالفرار واستبقنا الى تولية الادبار كأنه قال وتناجد أولئك الفرسان المشاهير والكماة المذاكير وحملوا علينا حملة واحدة فولينا مدبرين منهزمين (ومما جاء من ذلك) قوله تعالى أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة الاترى كيف صرح باسمه تعالى فى قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة مع ايقاعه مبتدأ فى قوله كيف يبدئ الله الخلق وقد كان القياس أن يقول كيف يبدئ الله الخلق ثم ينشئ النشأة الآخرة والفائدة فى ذلك أنه لما كانت الاعادة عندهم من الامور العظيمة وكان صدر الكلام واقعا معهم فى الابداء وقررهم أن ذلك من الله احتج عليهم بأن الاعادة انشاء مثل الابداء واذا كان الله الذى لا يعجزه شئ هو الذى لا يعجزه الابداء فوجب أن لا يعجزه الاعادة فللدلالة والتنبيه على عظم هذا الامر الذى هو الاعادة أبرز اسمه تعالى وأوقعه مبتدأ ثانيا وعلى هذا ورد قوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ألا ترى أنه قال أولا ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فذكر مضمرا تقدم الكلام فيه ثم عطف المظهر الذى هو له وهو قوله ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وكان العطف لو أضمر كما أضمر الاول لقيل ثم أنزل الله سكينته عليكم وأنزل جنودا لم تروها وفائدة الاظهار ههنا للمعطوف بعد اضماره أولا التنويه بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر المؤمنين أو لان الامر عظيم وهو الانتصار بعد الفرار فأى الامرين قدر كان لاظهار المعطوف مناسبا وهكذا يكون عطف المظهر على مضمره فانه يستند الى فائدة بها تم ذكرها فان لم يكن هناك مثل هذه الفائدة والا فلا يحسن الاظهار بعد الاضمار وكذلك جاء قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فانه انما قال وقال الذين كفروا ولم يقل وقالوا كالذى قبله للدلالة على صدور ذلك عن انكار عظيم وغضب شديد وتعجب من كفرهم بليغ لاسيما وقد اضاف اليه قوله وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم وما فيه من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى ذلك من المبادهة كأنه قال وقال أولئك الكفرة المتمردون بجرأتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق المبين قبل أن يتدبروه ان هذا الا سحر مبين وعلى نحو من ذلك ورد قوله تعالى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وكان القياس أن يقال وقالوا هذا ساحر كذاب عطفا على عجبوا وانما أتى باسم الكافرين مظهرا بعد اضماره للاشعار بتعظيم ما اجترؤا عليه من القول فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم أو لان هذا القول كان أهم عندهم وأرسخ فى نفوسهم فصرح باسم قائله دلالة على ما كان فى أنفسهم منه (النوع السابع فى التفسير بعد الابهام) اعلم أن هذا النوع لا يعمد الى استعماله الا لضرب من المبالغة فاذا جئ به فى كلام فانما يفعل ذلك لتفخيم أمر المبهم واعظامه لانه هو الذى يطرق السمع أولا فيذهب بالسامع كل مذهب كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ففسر ذلك الامر بقوله أن دابر هؤلاء مقطوع وفى ابهامه أولا وتفسيره بعد ذلك تفخيم للامر وتعظيم لشأنه فانه لو قال وقضينا اليه أن دابر هؤلاء مقطوع لما كان بهذه المكانة من الفخامة فان الابهام أولا يوقع السامع فى حيرة وتفكر واستعظام

السلم (والوكف) وكف البيت والوكف أيضا النطع والوكف الاثم والوكف العيب قال قيس ابن الحطيم * لا يأتيهم من ورائهم وكف * (والنشر) الريح ورأيت القوم نشرا أى منتشرين (ألف صتم) أى تام وجمل صتم أى غليظ شديد (والسرب) الطريق والسرب جماعة الابل هذان مفتوحان وفلان آمن فى سربه أى فى نفسه وهو واسع السرب أى رخى البال والسرب جماعة النساء والظباء (والرق) ما يكتب فيه والرق الملك (ألما الغمر) الكثير ورجل غمر الخلق أى واسعه وفرس غمر أى جواد والغمر الحقد والرجل الغمر الذى لم يجرب الامور (الاثر) الفرند فى السيف والاثر خلاصة السمن والاثر الحديث يقال آثرته آثره أثرا والاثر بالضم أثر الجراح وفلان فى أثر فلان وأثره أى خلفه (والهون) الهوان قال الله عز وجل عذاب الهون والهون الرفق يقال هو يمشى هونا (والروع) الفزع والروع النفس يقال وقع ذلك فى روعى أى فى خلدى (واللوح) العطش واللوح الهواء (والمور) الطريق والمور الغبار (والشفر) شفر العين وشفر أيضا وما بالدار شفر أى ما بها أحد (والبوص) السبق والفوت والبوص اللون والبوص العجز (كور) العمامة بالفتح وكذلك الكور من الابل وهو الكثير والكور بالضم الرحل باداته (والقتل) مصدر قتلت والقتل العدو (والخير) ضد الشر والخير الكرم

لما قرع سمعه وتشوّق الى معرفته والاطلاع على كنهه وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم ففسر ما يوحى بقوله أن اقذفيه وهذا كالاول في ابهامه أولا وتفسيره ثانيا ومثل هذا ورد قوله تعالى في سورة أم الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم فانه انما قال ذلك ولم يقل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم لما في الاول من التنبيه والاشعار بأن الصراط المستقيم هو صراط المؤمنين فدل عليه بأبلغ وجه كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم ثم تقول فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم الافضل لانك تثنت ذكره مجملا ومفصلا لجعلته علما في الكرم والفضل كأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين جميعا فعليه بفلان ﴿فان قيل﴾ فما الفرق بين عطف المظهر على ضميره وبين التفسير بعد الابهام فان المضمر كالمبهم ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أني أقول ان كان سؤالك عن فائدتهما فانهما في الفائدة سواء وذلك أنهما انما يراد ان لتعظيم الحال والاعلام بفخامة شأنهما وان كان سؤالك عن الفرق بينهما في العبارة فاني أقول المضمر يأتي بعد مظهر تقدم ذكره أولا ثم يعطف المظهر على ضميره أي على ضمير نفسه كالمثال الذي ضربناه في بني تميم وأما التفسير بعد الابهام فان المبهم يقدم أولا وهو أن يذكر شئ يقع عليه محتملات كثيرة ثم يفسر بايقاعه على واحد منها وليس كذلك عطف المظهر على ضميره (ومما جاء من التفسير بعد الابهام) قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ألا ترى كيف قال أهدكم سبيل الرشاد فأبهم سبيل الرشاد ولم يبين أي سبيل هو ثم فسر ذلك فافتتح كلامه بذم الدنيا وتصغير شأنها ثم ثنى ذلك بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها ثم ثلث بذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف كأنه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والرغبة في الآخرة والامتناع من الاعمال السيئة خوف المقابلة عليها والمسارعة الى الاعمال الصالحة رجاء المجازاة عليها وكذلك ورد قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل فانه انما قال القواعد من البيت ولم يقل قواعد البيت لما في ابهام القواعد أولا وتبيينها بعد ذلك من تفخيم حال المبين مما ليس في الاضافة (ومما يجري هذا المجرى) قوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى فانه لما أراد تفخيم ما أمّل فرعون من بلوغه أسباب السموات أبهمها أولا ثم فسرها ثانيا ولانه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوق اليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك (وعلى هذا الاسلوب) ورد قوله تعالى قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد فانه قال أولا أعظكم بواحدة فأبهم الواحدة ثم فسرها بقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى وأن تتفكروا وهذا في القرآن الكريم كثير الاستعمال (وأما الابهام من غير تفسير) فكثير شائع في القرآن الكريم أيضا كقوله تعالى وفعلت فعلتك التي فعلت وكذلك ورد قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم أي للطريقة أو الحالة أو الملة التي هي أقومها وأسدها وأي ذلك قدرت لم تجده مع الافصاح فوق البلاغة التي تجده مع الابهام وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب

وايقاعه

﴿باب اختلاف الابنية في الحرف الواحد لاختلاف المعاني﴾

قالوا رجل مبطن اذا كان خميص البطن وبطين اذا كان عظيم البطن في صحة ومبطون اذا كان عليل البطن وبطن اذا كان منهوما ومبطان اذا ضخم بطنه من كثرة ما أكل (ورجل مظهر) اذا كان شديد الظهر ورجل ظهر اذا اشتكى ظهره مثل فقر اذا اشتكى فقاره قال طرفة

واذا تلسنني ألسنها
انني لست بموهون فقر

ورجل مصدر شديد الصدر ومصدور يشتكي صدره ومنه قول القائل لا بد للمصدور من أن ينفث (النحض) الكثير اللحم والنحيض الذي قد ذهب لحمه قال الفراء هذا رجل تمري اذا كان يحب أكل التمر فاذا كان يبيعه فهو تمار فان كثر عنده التمر وليس بتاجر فهو متمر واذا أطعمه الناس فهو تامر ومنه قول الحطيئة

وغررتني وزعمت انـ
ـك لابن بالصيف تامر

أي تسقي الناس اللبن وتطعمهم التمر وغيره يقول لابن ذو لبن وتامر ذو تمر قال وتقول هذا رجل شحم لحم اذا كان قرما الى الشحم واللحم يشتهيهما فاذا كان يبيعهما قلت شحام لحام واذا كثرا عنده قلت مشحم ملحم فان أطعمهما الناس قلت شاحم لاحم فاذا كثر اللحم والشحم على جسمه قلت لحيم شحيم فان كان محروزقا من الصيد مطعما له قلت رجل ملحم وتقول رجل ملبن وقوم ملبنون اذا كثر

وايقاعه على محتملات كثيرة وهذا كقول القائل لو رأيت عليا بين الصفين فانه لو وصفه مهما وصف من نجدة وشجاعة وثبات واقدام وأطال القول فى ذلك لم يكن بمثابة ما يترامى اليه الوهم مع الابهام وهذا للعارف برموز هذه الصناعة وأسرارها (وعلى هذا الاسلوب) ورد قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم وأبلغ من ذلك قوله تعالى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فانه قال فى تلك الآية فغشيهم من اليم ما غشيهم فذكر اليم وهو البحر فصار الذى غشيهم انما هو منه خاصة وقال فى هذه الآية فغشاها ما غشى فأبهم الامر الذى غشاها به وجعله عاما وذلك أبلغ لان السامع يذهب وهمه فيه كل مذهب وأما ما جاء من ذلك شعرا فكقول البحترى

بعيد مقبل الصدر لا يقبل التى ✱ يحاولها منه الاريب المخادع

فقوله التى يحاولها من الابهام المقدم ذكره فى الآية (ومما ينتظم بذلك) قول الشاعر فى أبيات الحماسة

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه ✱ فلما علاه قال للباطل ابعد

فقوله صبا ما صبا من الابهام الذى لو قدرت ما قدرت فى تفسيره لم تجد له من فضيلة البيان ما تجد له مع الابهام (وعليه ورد) قول أبى نواس

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم ✱ وأسمت سرح اللحظ حين أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه ✱ فاذا عصارة كل ذاك أثام

فقوله وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه من هذا النمط المشار اليه وهو من المليح النادر (ومما يجرى على هذا النهج) قول الآخر فى وصف الخمر

مضى بها ما مضى من عقل شاربها ✱ وفى الزجاجة باق يطلب الباقى

والكلام على هذا البيت كالكلام على البيت الذى قبله (ومثله ورد) قول بعض المتأخرين مؤاد فيه ما فيه وعلى هذا ورد قولى فى فصل من تقليد لبعض الوزراء فقلت وأنت مؤهل لواحدة مضنن لها غرر الجياد وتناديها العلياء بلسان الاجداد وتخر بها سمر الاقلام على سمر الصعاد فابسط يدك لاخذ كتابها واسمع لطيب ذكرها بعد سمعك فى طلابها واعلم أن الخطاب ليها كثيرا لكنها اصدت بك عن خطابها ولقد مضى عليها زمن وهى تفور حتى استقادها الآن بأنسك ولم تسبق الاقدار بامعك الا لتكون سليمانها وهى بلقيسك وهذا الوزير كان اسمه سليمان فوقعت المعنى اليه فجاء كما تراه من الحسن واللطافة وأما قولى وأنت مؤهل لواحدة فانه من الابهام من غير تفسير وذلك بخلاف ما ورد فى الآية المقدم ذكره لان تلك من التفسير بعد الابهام (ومما ينتظم فى هذا السلك) الاستثناء العددى وهو ضرب من المبالغة لطيف المأخذ وفائدته أنه أول ما يطرق سمع المخاطب ذكر المقدم من العدد فيكثر موقع ذلك عنده وهو شبيه بما ذكرناه من الابهام أولا ثم التفسير بعده ثانيا وذلك كقول القائل أعطيته مائة الا عشرة أو أعطيته ألفا الا مائة فان ذلك أبلغ من أن لو قال أعطيته تسعين أو تسعمائة (وعليه ورد) قوله تعالى ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما ولم يقل تسعمائة وخمسين عاما والفائدة حسنة وهى ذكر ما ابتلى به نوح من أمته وما كابده من طول المصابرة ليكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يلقاه من أمته وتثبيتا له فان ذكر رأس العدد الذى هو منتهى العقود وأعظمها أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره وما لاقاه من قومه (النوع الثامن فى استعمال العام فى النفى والخاص فى الاثبات) اعلم أنه اذا كان الشيآن أحدهما خاصا والآخر عاما فان استعمال العام فى حالة النفى أبلغ من استعماله فى حالة الاثبات وكذلك استعمال الخاص فى حالة الاثبات أبلغ من استعماله

عندهم اللبن ورجل لبن اذا كان دمام الى اللبن ومحض اذا كان يحب المحض وهو الحليب ورجل لابن يسقى الناس اللبن بغير ثمن وهو لابن جيرانه ورجل ملبون وقوم ملبونون اذا ظهر منهم سفه وجهل يصيبهم من شرب اللبن كما يصيب شراب النبيذ وهذا رجل مستلبن أى يطلب لعياله أو لضيفانه لبنا (طعام مسمون) اذا لت بالسمن أو جعل فيه يقال سمنته أسمنه وسمنت القوم اذا جعلت أدمهم السمن وسمنتهم اذا أنت زودتهم السمن وجاؤا يستسمنون أى يستوهبون السمن (وطعام مزيت) ومزيوت اذا لت بالزيت أو جعل فيه وقد زته أزيته زيتا وزت القوم أى جعلت أدمهم الزيت وزيتهم اذا زودتهم الزيت وجاؤا يستزيتون أى يستوهبون الزيت ومثله (عسلت الطعام) والقوم الا انك تقول أعسله وأعسله جميعا وطعام معسول وقوم معسولون وعسلتهم اذا زودتهم العسل وجاؤا يستعسلون (بعير) غاض يأكل الغضا وبعير غض اذا اشتكى عن أكل الغضا واذا نسبته الى الغضا قلت غضوى (وبعير عاضه) يأكل العضاه وعضه يشتكى عن أكل العضاه واذا نسبته الى العضاه قلت عضاهى واذا نسبته الى واحدة العضاه وهى عضة قلت عضوى (بعير) حامض يأكل الحمض وهارم يأكل الهرم وهو ضرب من الحمض وآرك يأكل الاراك وعاشب يأكل العشب

فى حالة النفى (ومثال ذلك) الانسانية والحيوانية فان اثبات الانسانية يوجب اثبات الحيوانية لا يوجب نفيها نفى الحيوانية وكذلك نفى الحيوانية يوجب نفى الانسانية ولا يوجب اثباتها اثبات الانسانية (ومما يتصل بذلك) الاسماء المفردة الواقعة على الجنس التى يكون بينها وبين واحده تاء التأنيث فانه متى أريد النفى كان استعمال واحده أبلغ ومتى أريد الاثبات كان استعماله أبلغ (وكذلك يتصل بهذا النوع) الصفتان الواردتان على شئ واحد فانه اذا لزم من وجود احداهما وجود الاخرى اكتفى بها فى الذكر ولم يحتج الى ذكر الاخرى لانه يجىء ضمنا وتبعا أو أن يبدأ بها فى الذكر أولا ثم تجىء الاخرى بعدها وأما الصفات المتعددة فانه ينبغى أن يبدأ فى الذكر بالادنى مرتبة ثم بما بعدها بما هو أعلى منها الى أن ينتهى الى آخرها هذا فى مقام المدح فان كان فى مقام الذم عكست القضية فالاول وهو الخاص والعام نحو قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم ولم يقل ذهب بضوئهم موازنا لقوله فلما أضاءت لان ذكر النور فى حالة النفى أبلغ من حيث ان الضوء فيه الدلالة على النور وزيادة فلو قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى يعطى ذهاب تلك الزيادة وبقاء ما يسمى نورا لان الاضاءة هى فرط الانارة قال الله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا فكل ضوء نور وليس كل نور ضوءا فالغرض من قوله تعالى ذهب الله بنورهم انما هو ازالة النور عنهم أصلا فهو واذا ازاله فقد أزال الضوء وكذلك أيضا قوله تعالى ذهب الله بنورهم ولم يقل أذهب نورهم لان كل من ذهب بشئ فقد أذهبه وليس كل من أذهب شيأ فقد ذهب به لان الذهاب بالشئ هو استصحاب له ومضى به وفى ذلك نوع احتجار بالمذهوب به وامساك له عن الرجوع الى حالته والعود الى مكانه وليس كذلك الاذهاب للشئ لزوال معنى الاحتجار عنه (ومما يحمل على ذلك) الاوصاف الخاصة اذا وقعت على شيئين وكان يلزم من وصف أحدهما وصف الآخر ولا يلزم عكس ذلك ومثاله قوله تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض فانه انما خص العرض بالذكر دون الطول للمعنى الذى أشرنا اليه والمراد بذلك انه اذا كان هذا عرضها فكيف يكون طولها وهذا فى حالة الاثبات ولو أريد النفى لكان له أسلوب غير ما ذكرناه وهو أنه كان يخص به الطول دون العرض (وأما الاسماء المفردة الواقعة على الجنس) فنحو قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين فانه انما قال ليس بى ضلالة ولم يقل ليس بى ضلال كما قالوا لان نفى الضلالة أبلغ من نفى الضلال عنه كما لو قيل ألك تمر فقلت فى الجواب ما لى تمرة وذلك أنفى للتمر ولو قلت ما لى تمر لما كان يؤدى من المعنى ما أداه القول الاول وفى هذا الموضع دقة تحتاج الى فضل تأمل فينبغى لصاحب هذه الصناعة مراعاته والعناية به ﴿فان قيل﴾ لا فرق بين الضلالة والضلال وكلاهما مصدر قولنا ضل يضل ضلالا وضل يضل ضلالة كما يقال لذ يلذ لذاذة (والجواب) عن ذلك أن الضلالة تكون مصدرا كما قلت وتكون عبارة عن المرة الواحدة تقول ضل يضل ضلالة أى مرة واحدة كما تقول ضرب يضرب ضربة وقام يقوم قومة وأكل يأكل أكلة والمراد بالضلالة فى هذه الآية انما هو عبارة عن المرة الواحدة من الضلال فقد نفى ما فوقها من المرتين والمرار الكثيرة (وأما الصفتان الواردتان على شئ واحد) فكقول الاشتر النخعى

حلقت وفدى وانحرفت على العلى * ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشن على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

(ومن البقل) بعير مبقل ومتبقل اذا كان يأكل البقل وأرض عضيهة وأرض حيمة اذا كانت كثيرة العضاه والحمض (يقال امرأة متآم) اذا كان من عادتها أن تلد كل مرة توأمين فان أردت انها وضعت اثنين فى بطن قلت متئم وكذلك مذكار ومذكر ومحماق اذا كان من عادتها أن تلد الحمق ومحمق اذا ولدت أحمق وامرأة مئناث ومؤنث كذلك ومفعال يكون لمن دام منه الشئ أو جرى على عادة فيه تقول رجل مضحاك ومهذار ومطلاق اذا كان مدمنا للضحك والهذر والطلاق (وكذلك ما كان) على فعيل فهو مكسور الاول لا يقع منه شئ وهو لمن دام منه الفعل نحو رجل سكير كثير السكر وخمير كثير الشرب للخمر وخمير كثير الفخر وعشيق كثير العشق وسكيت دائم السكوت وضليل وصريع وظليم ومثل ذلك كثير ولا يقال ذلك لمن فعل الشئ مرة أو مرتين حتى يكثر منه أو يكون له عادة وكذلك كل اسم يكون على فعول نحو قتول للرجال وضروب بالسيف أو على فعال نحو قتال وضراب قال أبو زيد يقال رجل مقطع اذا لم يرد النساء ولم ينتشر يقال منه اقطع الرجل اقطاعا ويقال للرجل الغريب مقطع عن أهله يقال منه أقطع عنهم اقطاعا ورجل مقطع أيضا وهو الذى يفرض لنظرائه ويترك هو ورجل مقطع بكسر الطاء وهو الذى انقطعت حجته يقال أقطع الرجل اذا بكتوه

خيلا

خيلا كأمثال السعالى شزبا * تعدو ببيض فى الكريهة شوس
حى الحديد عليهم فكأنه * لمعان برق أو شعاع شموس

ألا ترى أنه رقى فى التشبيه من الادنى الى الاعلى فقال لمعان برق أو شعاع شموس لان لمعان البرق دون شعاع الشموس (ومما ورد من ذلك فى القرآن الكريم) قوله تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فان وجود المؤاخذة على الصغيرة يلزم منه وجود المؤاخذة على الكبيرة وعلى القياس المشار اليه أولا فينبغى أن يكون لا يغادر كبيرة ولا صغيرة لانه اذا لم يغادر صغيرة فمن الاولى أن لا يغادر كبيرة وأما اذا لم يغادر كبيرة فانه يجوز أن يغادر صغيرة لانه اذا لم يعف عن الصغيرة فمقتضى القياس أنه لا يعفو عن الكبيرة واذا لم يعف عن الكبيرة فيجوز أن يعفو عن الصغيرة غير أن القرآن الكريم أحق أن يتبع وأجدر بأن يقاس عليه لا على غيره والذى ورد فيه من هذه الآية ناقض لما تقدم ذكره (وكذلك ورد قوله تعالى) فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما لان التأفيف أدنى درجة وقد تقدم قولى فى أول هذا النوع ثم اذا جاءت صفتان يلزم من وجود احداهما وجود الاخرى أن يكتفى بذكرها دون الاخرى لان الاخرى تجئ ضمنا وتبعا وان يبدأ بها فى الذكر ثم تجئ الاخرى بعدها وعلى هذا فيقال أولا فلا تنهرهما ولا تقل لهما أف لكن اذا لم يقل لهما أف امتنع أن ينهرهما وقد كان هذا هو المذهب عندى حتى وجدت كتاب الله تعالى قد ورد بخلافه وحينئذ عدت عما كنت أراه وأقول به (وأما الصفات المتعددة الواردة على شئ واحد) فكقول أبى عبادة البحترى فى وصف نحول الركاب

يترقرقن كالسراب وقد خضـ * ـن غمارا من السراب الجارى
كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

ألا ترى أنه رقى فى تشبيه نحولها من الادنى الى الاعلى فشبهها أولا بالقسى ثم بالاسهم المبرية وتلك أبلغ فى النحول ثم بالاوتار وهى أبلغ فى النحول من الاسهم وكذلك ينبغى أن يكون الاستعمال فى مثل هذا الباب وقد أغفل كثير من الشعراء ذلك فمن جملتهم أبو الطيب المتنبى فى قوله

يا بدر يا بحر يا غمامة يا * ليث الشرى يا حمام يا رجل

وينبغى أن يبدأ فيه بالادنى فالادنى فانه اذا فعل ذلك كان كالمرتفع من محل الى محل أعلى منه واذا خالفه كان كالمنخفض من محل الى محل أدنى منه فأما قوله يا بدر فانه اسم الممدوح والابتداء به أولى ثم بعده فيجب أن يقول يا رجل يا ليث يا غمامة يا بحر يا حمام لان الليث أعظم من الرجل والبحر أعظم من الغمامة والحمام أعظم من البحر وهذا مقام مدح فيجب أن يرقى فيه من منزلة الى منزلة حتى ينتهى الى المنزلة العليا آخرا ولو كان مقام ذم لعكس القضية وعلى مثله ورد قول أبى تمام يفتخر

مهابى أوس فى الفخار وحاتم * وزيد القنا والاثرمان ورافع
نجوم طوالع جبال فوارع * غيوث هوامع سيول دوافع

فان السيول دون الغيوث والجبال دون النجوم ولو قدم ما أخر لما اختل النظم بأن قال

سيول دوافع غيوث هوامع * جبال فوارع نجوم طوالع

وهذا عندى أشد ملامة من المتنبى لان المتنبى لا يمكنه تقديم ألفاظ بيته وتأخيرها وأبو تمام متمكن من ذلك وما أعلم كيف ذهب عليه هذا الموضع مع معرفته بالمعانى (النوع التاسع فى التقديم والتأخير) وهذا باب طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة منها ما استخرجته أنا ومنها ما وجدته فى أقوال علماء البيان وسأورد ذلك مبينا (وهو ضربان) الاول يختص بدلالة الالفاظ

بالحق فلم يجب ورجل مقطوع به اذا قطع عليه الطريق ويقال قطع بفلان قطعا ورجل منقطع به اذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت أو راحلة قامت عليه أو ضلت يقال منه انقطع به انقطاعا (غير واحد فقت السهم) أفوقه كسرت فوقه وهو سهم مفوق وفوقته تفويقا عملت له فوقا وهو سهم مفوق وأفقت السهم وبالسهم فهو سهم مفاق ومفاق به اذا وضعته فى الوتر لترمى به ويقال أيضا أوفقت السهم وبالسهم فى هذا المعنى فهو موفق وموفق به وانفاق السهم فهو منفاق اذا انشق فوقه (قالوا) وكل حرف على فعلة وهو وصف فهو للفاعل نحو همزة ونكحة وطلقة وسخرة اذا كان مهذارا نكاحا مطلاقا ساخرا من الناس فان سكنت العين من فعلة وهو وصف فهو للمفعول تقول رجل لعنة أى يلعنه الناس فان كان هو يلعن الناس قلت لعنة ورجل سبة أى يسبه الناس فان كان هو يسب الناس قلت سبة وكذلك هزءة وهزأة وسخرة وسخرة وضحكة وضحكة وخدعة وخدعة

(باب المصادر المختلفة عن المصدر الواحد)

قال وجدت فى الغضب موجدة ووجدت فى الحزن وجدا ووجدت الشئ وجدانا ووجودا وافتقر فلان بعد وجد (ووجب) القلب وجيبا ووجبت الشمس وجوبا ووجب البيع وجبة (وغلت)

على المعانى ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى والثانى يختص بدرجة التقدم فى الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخر لما تغير المعنى (وأما الضرب الاول فانه ينقسم الى قسمين) أحدهما يكون التقديم فيه هو الابلغ والآخر يكون التأخير فيه هو الابلغ (فأما القسم الذى يكون التقديم فيه هو الابلغ) فكتقديم المفعول على الفعل وتقديم الخبر على المبتدا وتقديم الظرف أو الحال أو الاستثناء على العامل فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل كقولك زيدا ضربت وضربت زيدا فان فى قولك زيدا ضربت تخصيصا له بالضرب دون غيره وذلك بخلاف قولك ضربت زيدا لانك اذا قدمت الفعل كنت بالخيار فى ايقاعه على أى مفعول شئت بأن تقول ضربت خالدا أو بكرا أو غيرهما واذا أخرته لزم الاختصاص للمفعول وكذلك تقديم خبر المبتدا عليه كقولك زيد قائم وقائم زيد فقولك قائم زيد قد أثبت له القيام دون غيره وقولك زيد قائم أنت بالخيار فى اثبات القيام له ونفيه عنه بأن تقول ضارب أو جالس أو غير ذلك وهكذا يجرى الحكم فى تقديم الظرف كقولك ان الى مصير هذا الامر وقولك ان مصير هذا الامر الى فان تقديم الظرف دل على أن مصير الامر ليس الا اليك وذلك بخلاف قولك ان مصير هذا الامر الى اذ يحتمل ايقاع الكلام بعد الظرف على غيرك فيقال الى زيد أو عمرو أو غيرهما وكذلك يجرى الامر فى الحال والاستثناء وقال علماء البيان ومنهم الزمخشرى رحمه الله ان تقديم هذه الصورة المذكورة انما هو للاختصاص وليس كذلك والذى عندى فيه أنه يستعمل على وجهين أحدهما الاختصاص والآخر مراعاة نظم الكلام وذلك أن يكون نظمه لا يحسن الا بالتقديم واذا أخر المقدم ذهب ذلك الحسن وهذا الوجه أبلغ وأوكد من الاختصاص فأما الاول الذى هو الاختصاص فهو قوله تعالى قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين فانه انما قيل بل الله فاعبد ولم يقل بل اعبد الله لانه اذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ولو قال بل اعبد لجاز ايقاع الفعل على أى مفعول شاء وأما الوجه الثانى الذى يختص بنظم الكلام فهو قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين وقد ذكر الزمخشرى فى تفسيره أن التقديم فى هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك فانه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص وانما قدم لمكان نظم الكلام لانه لو قال نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله اياك نعبد واياك نستعين ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فجاء بعد ذلك قوله اياك نعبد واياك نستعين وذلك لمراعاة حسن النظم السجعى الذى هو على حرف النون ولو قال نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن وهذا غير خاف على أحد من الناس فضلا عن أرباب علم البيان وعلى نحو منه ورد قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الاعلى وتقدير الكلام فأوجس موسى فى نفسه خيفة وانما قدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر قصدا لتحسين النظم وعلى هذا فليس كل تقديم لما مكانه التأخير من باب الاختصاص فبطل اذا ما ذهب اليه الزمخشرى وغيره (ومما ورد من هذا الباب) قوله تعالى خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه فان تقديم الجحيم على التصلية وان كان فيه تقديم المفعول على الفعل الا أنه لم يكن ههنا للاختصاص وانما هو للفضيلة السجعية ولا مراء فى أن هذا النظم على هذه الصورة أحسن من أن لو قيل خذوه فغلوه ثم صلوه الجحيم (فان قيل) انما قدمت الجحيم للاختصاص لانها نار عظيمة ولو أخرت لجاز وقوع الفعل على غيرها كما يقال ضربت زيدا وزيدا ضربت وقد تقدم الكلام على ذلك (فالجواب عن ذلك)

القدر غليا وغليانا وغلوت فى القول غلوا وغلا السعر غلاء وغلوت بالسهم غلوا (كل) بصره كلة وكلولا وكذلك اللسان وكل السيف كلة اذا لم يقطع وكل من الاعياء يكل كلالا (وبرأت) من المرض برأ وبرأ الله الخلق يبرأهم برأ وبريت القلم أبريه بريا (نحل جسمه) ينحل نحولا ونحلته من العطية أنحله نحلا ونحلة ونحلته القول أنحله نحلا (أويت) له مأوية وأية أى رحمته وأويت الى فلان آوى أويا وآويت فلانا ايواء (عثر فى ثوبه) يعثر عثارا وعثر عليهم يعثر عثرا وعثورا أى اطلع وأعثرت فلانا على القوم من قول الله عز وجل وكذلك أعثرنا عليهم (وقعت) فى العمل وقوعا ووقعت فى الناس وقيعة (سكرت الريح) سكورا سكنت بعد الهبوب وسكرت البثق أسكره سكرا اذا سددته وسكر الرجل يسكر سكرا وسكرا (عبر الرؤيا) يعبرها عبارة وعبر النهر يعبره عبورا وعبر الرجل يعبر عبرا اذا استعبر والعبر سخنة العين يقال لامه العبر (جاد له) بالمال جودا وجاد المطر يجود جودا وجاد حمله يجود جودة وفرس جواد بين الجودة (ضويت) اليه فانا أضوى ضويا (وروى) أبو زيد ضويت اليه ضيا اذا أويت اليه وضويت من الهزال فأنا أضوى ضوى (غار الماء) يغور غورا وغارت عينه تغور غؤورا وغار على أهله يغار غيرة وغار أهله يعنى مارهم يغيرهم غيارا وغار الرجل اذا أتى الغور يغور غورا

أن الدرك الاسفل أعظم من الجحيم فكان ينبغي أن يختص بالذكر دون الجحيم على ماذهب اليه لانه أعظم وهذا لا يذهب اليه الا من هو بنجوة عن رموز الفصاحة والبلاغة ولفظة الجحيم ههنا في هذه الآية أولى بالاستعمال من غيرها الانها جاءت ملائمة لنظم الكلام ألا ترى أن من أسماء النار السعير ولظى وجهنم ولو وضع بعض هذه الاسماء مكان الجحيم لما كان له من الطلاوة والحسن ما للجحيم والمقصود بذكر الجحيم انما هو النار أى صلوه النار وهكذا يقال فى ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فانه لم يقدم السلسلة على السلك للاختصاص وانما قدمت لمكان نظم الكلام ولاشك أن هذا النظم أحسن من أن لو قيل ثم اسلكوه فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا والكلام على هذا كالكلام على الذى قبله وله فى القرآن نظائر كثيرة ألا ترى الى قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فقوله والقمر قدرناه منازل ليس تقديم المفعول فيه على الفعل من باب الاختصاص وانما هو من باب مراعاة نظم الكلام فانه قال والليل نسلخ منه النهار ثم قال والشمس تجرى فاقتضى حسن النظم أن يقول والقمر قدرناه ليكون الجميع على نسق واحد فى النظم ولو قال وقدرنا القمر منازل لما كان بتلك الصورة فى الحسن وعليه ورد قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وانما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعى (وأما تقديم خبر المبتدا عليه) فقد تقدمت صورته كقولك زيد قائم وقائم زيد فما ورد منه فى القرآن الكريم قوله تعالى وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فانه انما قال ذلك ولم يقل وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم لان فى تقديم الخبر الذى هو مانعتهم على المبتدا الذى هو حصونهم دليلا على فرط اعتقادهم فى حصانتها وزيادة وثوقهم بمنعها اياهم وفى تصويب ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على تقريرهم فى أنفسهم أنهم فى عزة وامتناع لا يبالى معها بقصد قاصد ولا تعرض متعرض وليس شئ من ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم مانعتهم من الله (ومن تقديم خبر المبتدا) قوله تعالى قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم فانه انما قدم خبر المبتدا عليه فى قوله أراغب أنت ولم يقل أأنت راغب لانه كان أهم عندهم وهو به شديد العناية وفى ذلك ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وان آلهته لا ينبغى أن يرغب عنها وهذا بخلاف ما لو قال أأنت راغب عن آلهتى (ومن غامض هذا الوضع) قوله تعالى واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا فانه انما قال ذلك ولم يقل فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لامرين أحدهما تخصيص الابصار بالشخوص دون غيرها أما الاول فلو قال فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لجاز أن يضع موضع شاخصة غيره فيقول حائرة أو مطموسة أو غير ذلك فلما قدم الضمير اختص الشخوص بالابصار دون غيرها وأما الثانى فانه لما أراد أن الشخوص خاص بهم دون غيرهم دل عليه بتقديم الضمير أولا ثم بصاحبه ثانيا كأنه قال فاذا هم شاخصون دون غيرهم ولولا أنه أراد هذين الامرين المشار اليهما لقال فاذا أبصار الذين كفروا شاخصة لانه أخصر بحذف الضمير من الكلام (ومن هذا النوع) قول النبى صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته وتقدير الكلام هو الذى ماؤه طهور وميتته حل لان الالف واللام ههنا بمعنى الذى (وأما تقديم الظرف) فانه اذا كان الكلام مقصودا به الاثبات فان تقديمه أولى من تأخيره وفائدته اسناد الكلام الواقع بعده الى صاحب الظرف دون غيره فاذا أريد بالكلام النفى فيحسن فيه تقديم الظرف وتأخيره وكلا هذين الامرين له موضع

وأتعبد بالالف وغارنى الرجل يغيرنى ويغورنى اذا أعطاك الدية والدية غيرة وجمعها غير (قبلت العين) تقبل قبلا وقبل الهدية قبولا بفتح القاف وقبلت المرأة القابلة قبالة (تلوت) القرآن فأنا أتلوه تلاوة وتلوت الرجل تبعته فأنا أتلوه تلوا وتليت من حقى تلية وتلاوة أى بقية (فركت) الحب أفركه فركا وفركت المرأة زوجها تفركه فركا (لبست عليه) الامر اذا شبهت عليه فأنا ألبس لبسا ولبست ثوبى فأنا ألبس لبسا (خطبت) المرأة خطبة حسنة وخطبت على المنبر خطبة (حميت) المريض أحميه حمية وحموة وحميت القوم حماية أى نصرتهم ومنعت من ظلمهم وحميت الحمى حميا اذا منعت منه فأما أحميت المكان بالالف فجعلته حمى وقد حميت من الانفة حمية ومحمية (شب الغلام) يشب شبابا وشب الفرس يشب شبابا وشبيبا وشببت النار فأنا أشبها شبا وشبوبا (بلوته) أبلوه بلوا اذا جربته وبلاه الله يبلوه بلاء اذا أصابه ببلاء يقال اللهم لا تبلنا الا بالتى هى أحسن وأبلاه الله يبليه ابلاء حسنا وقال زهير * فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو * أراد الذى يختبر به عباده وبلى الثوب بلاء مفتوح الاول ممدود وبلى مكسور الاول مقصور (نزعت) الشئ من موضعه نزعا ونزعت عن الشئ نزوعا اذا كففت عنه ونازعت الى أهلى نزاعا ومنازعة (حفيت) الدابة تحفى حفى اذا رق حافرها وحفى فلان يحفى حفية وحفاية وحفوة فهو حاف والاول حف

يختص به وأما تقديمه في النفي فانه يقصد به تفضيل المنفي عنه على غيره وأما تأخيره فانه يقصد به النفي أصلا من غير تفضيل فأما الاول وهو تقديم الظرف في الاثبات فكقولك في الصورة المقدمة ان الى مصير هذا الامر ولو أخرت الظرف فقلت ان مصير هذا الامر الى لم يعط من المعنى ما أعطاه الاول وذلك أن الاول دل على أن مصير الامر ليس الا اليك وذلك بخلاف الثاني اذ يحتمل أن توقع الكلام بعد الظرف على غيرك فيقال الى زيد او عمرو أو غيرهما او على نحو منه جاء قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم وكذلك جاء قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد فانه انما قدم الظرفين ههنا في قوله له الملك وله الحمد ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله لا بغيره (وقد استعمل تقديم الظرف في القرآن كثيرا) كقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أي تنظر الى ربها دون غيره فتقديم الظرف ههنا ليس للاختصاص وانما هو كالذي أشرت اليه في تقديم المفعول وأنه لم يقدم للاختصاص وانما قدم من أجل نظم الكلام لان قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة أحسن من أن لو قيل وجوه يومئذ ناضرة ناظرة الى ربها والفرق بين النظمين ظاهر وكذلك قوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فان هذا وما فيه حسن النظم لا الاختصاص في تقديم الظرف وفي القرآن مواضع كثيرة من هذا القبيل يقيسها غير العارف بأسرار الفصاحة على مواضع أخرى وردت للاختصاص وليست كذلك فمنها قوله تعالى الى ربك يومئذ المستقر وقوله تعالى ألا الى الله تصير الامور وله الحكم واليه ترجعون وعليه توكلت واليه أنيب فان هذه جميعها لم يقدم الظروف فيها للاختصاص وانما قدمت لمراعاة الحسن في نظم الكلام فاعرف ذلك (وأما الثاني وهو تأخير الظرف وتقديمه في النفي) فنحو قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه انما أخر الظرف في الاول لان القصد في ايلاء حرف النفي الريب نفي الريب عنه واثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو أولاه الظرف لقصد أن كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله تعالى لا فيها غول فتأخير الظرف يقتضي النفي أصلا من غير تفضيل وتقديمه يقتضي تفضيل المنفي عنه وهو خمر الجنة على غيرها من خمور الدنيا أي ليس فيها ما في غيرها من الغول وهذا مثل قولنا لا عيب في الدار وقولنا لا فيها عيب فالاول نفي للعيب عن الدار فقط والثاني تفضيل لها على غيرها أي ليس فيها ما في غيرها من العيب فاعرف ذلك فانه من دقائق هذا الباب (وأما تقديم الحال) فكقولك جاء راكبا زيد وهذا بخلاف قولك جاء زيد راكبا اذ يحتمل أن يكون ضاحكا أو ماشيا أو غير ذلك (وأما الاستثناء) فجار هذا المجرى نحو قولك ما قام الا زيد أحد أو ما قام أحد الا زيدا والكلام على ذلك كالكلام على ما سبق (وأما القسم الثاني) فهو أن يقدم ما الاولى به التأخير لان المعنى يختل بذلك ويضطرب وهذا هو المعاظلة المعنوية وقد قدمنا القول في المقالة الاولى المختصة بالصناعة اللفظية بأن المعاظلة تنقسم قسمين أحدهما لفظي والآخر معنوي أما اللفظي فذكرناه في بابه وأما المعنوي فهذا بابه وموضعه وهو كتقديم الصفة أو ما يتعلق بها على الموصوف وتقديم الصلة على الموصول وغير ذلك مما يرد بيانه (فمن هذا القسم) قول بعضهم

فقد والشك بين لي عناء * بوشك فراقهم صرد يصيح

فانه قدم قوله بوشك فراقهم وهو معمول يصيح ويصيح صفة لصرد على صرد وذلك قبيح ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال هذا من موضع كذا رجل ورد اليوم وانما يجوز وقوع المعمول بحيث يجوز وقوع العامل فكما لا يجوز تقديم الصفة على موصوفها فكذلك لا يجوز تقديم ما اتصل بها على موصوفها

والانثى حفية مخففة وقد حفي فلان بفلان حفاوة وحفاوة اذا عني به وبره (حالت) القوس تحول حولا وكذلك حال عن العهد يحول حولا وحالت الناقة تحول حيالا (حل) بالمكان يحل حلولا وحل لك الشئ يحل حلا وحل العقد يحله حلا (حد الارض) يحدها حدا من الحدود وكذلك حده أي جلده الحد وحد يحد حدا وحدة اذا أصابته عجلة (جت البئر) تجم جموما كثر ماؤها وجم الفرس يجم جماما (هبت الريح) تهب هبوبا وهبيبا وهب من نومته يهب هبوبا وهب التيس يهب هبابا هداه في الدين هدى وهداه الطريق هداية وهدى العروس الى زوجها اهداء (بغت المرأة) تبغي بغاء وبغيت الشئ بغاء وبغية وبغيت على القوم بغيا (سفرت) عن وجهه أسفر سفرا وسفرت أنا سفورا وسفرت بينهم سفارة من السفير واسفر وجهي يسفر اسفارا اذا أشرق (رأيت) في المنام رؤيا ورأيت في الفقه رأيا ورأيت الرجل رؤية (بطل الاجير) يبطل بطالة وبطل الشئ يبطل بطلا وبطلانا وهو بطل بين البطولة (زلت الدراهم) تزل زلولا وزللت في الطين أزل زللا وزللت أيضا أزل زليلا (عفت) الطير أعيفها عيافة زجرتها وعافت الطير تعيف عيفا اذا حامت على الماء وعاف الرجل الطعام يعافه عيافا اذا كرهه (حسبت) الشئ بمعنى ظننت حسبانا وحسبت الحساب حسبانا قال الله عز وجل الشمس والقمر

موصوفها ومن هذا الضرب قول الآخر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأن قفرا رسومها قلما

فانه قدم خبر كأن عليها وهو قوله خط وهذا وأمثاله مما لا يجوز قياس عليه والاصل في هذا البيت فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها لأنه على تلك الحالة الاولى في الشعر مختل مضطرب والمعاظلة في هذا الباب تتفاوت درجاتها في القبح وهذا البيت المشار اليه من أقبحها لان معانيه قد تداخلت وركب بعضها بعضا (ومما يجري هذا المجرى) قول الفرزدق

الى ملك ما أمه من محارب * أبوه ولا كانت كليب تصاهره

وهو يريد الى ملك أبوه ما أمه من محارب وهذا أقبح من الاول وأكثر اختلالا (وكذلك جاء قوله أيضا)

وليست خراسان التي كان خالد * بها أسد اذ كان سيفا أميرها

وحديث هذا البيت ظريف وذاك أنه قد ذكر مدح خالد بن عبد الله القسري وهجو أسدا وكان أسد وليها بعد خالد وكأنه قال وليست خراسان بالبلدة التي كان خالد بها سيفا اذ كان أسد أميرها وعلى هذا التقدير ففي كان الثانية ضمير الشأن والحديث والجملة بعدها خبر عنها وقد قدم بعض ما اذ مضافة اليه وهو أسد عليها وفي تقديم المضاف اليه أو شيء منه على المضاف من القبح ما لا خفاء به وأيضا فان أسدا أحد جزأي الجملة المفسرة للضمير والضمير لا يكون تفسيره الا من بعده ولو تقدم تفسيره قبله لما احتاج الى تفسير ولما سماه الكوفيون الضمير المجهول وعلى هذا الضرب ورد قول الفرزدق أيضا

وما مثله في الناس الا مملكا * أبو أمه حي أبوه يقاربه

ومعنى هذا البيت وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا أبو أمه أبوه وعلى هذا المثال المصوغ في الشعر قد جاء مشوها كما تراه وقد استعمل الفرزدق من التعاظل كثيرا كأنه كان يقصد ذلك ويتعمده لان مثله لا يجيء الا متكلفا مقصودا والا فاذا ترك مؤلف الكلام نفسه تجري على سجيتها وطبعها في الاسترسال لم يعرض له شيء من هذا التعقيد ألا ترى أن المقصود من الكلام معدوم في هذا الضرب المشار اليه اذ المقصود من الكلام انما هو الايضاح والابانة وافهام المعنى فاذا ذهب هذا الوصف المقصود من الكلام ذهب المراد به ولا فرق عند ذلك بينه وبين غيره من اللغات كالفارسية والرومية وغيرهما واعلم أن هذا الضرب من الكلام هو ضد الفصاحة لان الفصاحة هي الظهور والبيان وهذا عار عن هذا الوصف (وأما الضرب الثاني) الذي يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك فانه مما لا يحصره حد ولا ينتهي اليه شرح وقد أشرنا الى نبذة منه في هذا الكتاب ليستدل بها على أشباهها ونظائرها (فمن ذلك تقديم السبب على المسبب) كقوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فانه انما قدم العبادة على الاستعانة لان تقديم القربة والوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح لحصول الطلب وأسرع لوقوع الاجابة ولو قال اياك نستعين واياك نعبد لكان جائزا الا أنه لا يسد ذلك المسد ولا يقع ذلك الموقع وهذا لا يخفى على المنصف من أرباب هذه الصناعة وعلى نحو منه جاء قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا فقدم حياة الارض واسقاء الانعام على اسقاء الناس وان كانوا أشرف محلا لان حياة الارض هي سبب لحياة الانعام والناس فلما كانت بهذه المثابة جعلت مقدمة في الذكر ولما كانت الانعام من أسباب التعيش والحياة للناس قدمها في الذكر على الناس لان حياة الناس بحياة أرضهم وأنعامهم فقدم سقي ما هو سبب نمائهم ومعاشهم على سقيهم (ومن هذا الضرب تقديم الاكثر

بحسبان أي بحساب (فاح) الطيب يفوح فوحا وفاحت الشجة تفيح فيحا بالدم (كبا) الفرس يكبو كبوا وكبا الزند يكبو كبوا اذا لم يور (قنع) يقنع قناعة اذا رضي وقنع يقنع قنوعا اذا سأل ومنه وأطعموا القانع والمعتر (رضع) الصبي يرضع ورضع يرضع رضاعا ورضاعا ورضع الرجل يرضع رضاعة اذا لؤم من قولك لئيم راضع والاصل فيهما واحد لان أصل قولهم لئيم راضع انه يرضع الابل والغنم ولا يحلبها كي لا يسمع صوت الحلاب ثم قيل لكل لئيم اذا وكذا لؤمه راضع فانتقل عن حد الفعل الى مذهب الطبائع والاخلاق فقيل رضع كما قيل لؤم وجبن وشجع وظرف وكذلك أكثر هذه الحروف اذا أنت رجعت الى أصولها وجدتها من موضع واحد وفرق بين مصادرها أو بين بعض أفعالها ليكون لكل معنى لفظ غير لفظ الآخر (بعد فلان) يبعد بعدا وبعد بكسر العين يبعد بعدا اذا هلك من قول الله عز وجل كما بعدت ثمود وبعدا أيضا (عرضت) له القول تعرض عرضا وغيرها عرض يعرض عرضا (ضرب الفحل) الناقة يضربها ضرابا وضرب العرق يضرب ضربانا وضرب الرجل في الارض اذا خرج يطلب الرزق ضربا (لوى يده) يلويها ليا ولواه بدينه يلويه ليانا اذا مطله (قر يقر) قرارا اذا سكن وقر يوما يقر قرا (وحر يوما) يحر حرارة وحرا (وقرت عيني) تقر وتقر قرة وقرورا (نفر القوم) في الامر

على الاول) كقوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وانما قدم الظالم لنفسه للايذان بكثرته وأن معظم الخلق عليه ثم أتى بعده بالمقتصدين لانهم قليل بالاضافة اليه ثم أتى بالسابقين وهم أقل من القليل أعني من المقتصدين فقدم الاكثر وبعده الاوسط ثم ذكر الاقل آخرا ولو عكست القضية لكان المعنى أيضا واقعا في موقعه لانه يكون قد روعي فيه تقديم الافضل فالافضل (وانوضح لك في هذا وأمثاله طريقا تقتفيه فنقول) اعلم أنه اذا كان الشيآن كل واحد منهما مختصا بصفة فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت في الذكر كهذه الآية فان السابق بالخيرات مختص بصفة الفضل والظالم لنفسه مختص بصفة الكثرة فقس على هذا ما يأتيك من أشباهه وأمثاله (ومن هذا الجنس) قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع فانه انما قدم الماشي على بطنه لانه أدل على القدرة من الماشي على رجلين اذ هو ماش بغير الآلة المخلوقة للمشي ثم ذكر الماشي على رجلين وقدمه على الماشي على أربع لانه أدل على القدرة أيضا حيث كثرت آلات المشي في الاربع وهذا من باب تقديم الاعجب فالاعجب ﴿فان قيل﴾ قد ورد في القرآن الكريم في مواضع منه ما يخالف هذا الذي ذكرته كقوله تعالى في سورة هود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار ثم قال وأما الذين سعدوا ففي الجنة فقدم أهل النار في الذكر على أهل الجنة وهذا مخالف للاصل الذي أصلته في هذا الموضع ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أن هذا الذي أشرت اليه في سورة هود وما أشبهه له أسرار تحتاج الى فضل تأمل وامعان نظر حتى تفهم أما هذا الموضع فانه لما كان الكلام مسوقا في ذكر التخويف والتحذير وجاء على عقب قصص الاولين وما فعل الله بهم من التعذيب والتدمير كان الاليق أن يوصل الكلام بما يناسبه في المعنى وهو ذكر أهل النار فمن أجل ذلك قدموا في الذكر على أهل الجنة واذا رأيت في القرآن شيأ من هذا القبيل وما يجري مجراه فتأمله وأمعن نظرك فيه حتى يتبين لك مكان الصواب منه واعلم أنه اذا كان مطلع الكلام في معنى من المعاني ثم يجيء بعده ذكر شيئين أحدهما أفضل من الآخر وكان المعنى المفضول مناسبا لمطلع الكلام فأنت بالخيار في تقديم أيهما شئت لانك ان قدمت الافضل فهو في موضعه من التقديم وان قدمت المفضول فلان مطلع الكلام يناسبه وذكر الشيء مع ما يناسبه أيضا وارد في موضعه (فمن ذلك) قوله تعالى وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير فانه انما قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقب ذلك بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي هن من جملة ما لا يشاؤه الانسان ولا يختاره أهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء ولما أخر ذكر الذكور وهم أحقاء بالتقديم تدارك ذلك بتعريفه اياهم لان التعريف تنويه بالذكر كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديم الاناث لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر فقال ذكرانا واناثا وهذه دقيقة لطيفة قل من يتنبه لها أو يعثر على رموزها (ومن هذا

الباب)

يفرون نفورا ونفر الحاج نفرا ونفرت الدابة نفارا (أنفق المبيع) ينفق نفاقا ونفقت الدابة اذا ماتت تنفق نفوقا (جلوت السيف) أجلوه جلاء وجلوت العروس جلوة وجلوت بصري بالكحل جلوا (خطر ببالي) خطورا وخطر في مشيته خطرانا وخطر البعير بذنبه خطرا وخطيرا (طاف حول الشيء) يطوف طوفا وطاف الخيال يطيف طيفا وأطاف يطيف اطافة اذا قضى حاجته وأطاف به اطافة اذا ألم به (عجزت) عن الشيء أعجز عجزا ومعجزة وعجزت المرأة تعجز عجزا اذا عظمت عجيزتها وعجزت تعجز تعجيزا اذا صارت عجوزا (حسر) يحسر حسرا من الحسرة وحسر عن ذراعيه يحسر حسرا (قطعت الحبل) قطعا وقطع رحمه قطيعة وقطعت الطير قطوعا اذا انحدرت من بلاد البرد الى بلاد الحر وقطعت النهر قطوعا (ومن المصادر التي لا افعال لها) رجل بين الرجولة والرجولية وراجل بين الرجلة (فارس على الدابة) بين الفروسة والفروسية وفارس بالعين بين الفراسة (رجل غمر) أي غبي بين الغمورة من قوم أغمار وغمور وكذلك ما غمر ورجل غمر أي غير مجرب بين الغمارة من قوم أغمار (كلبة صارف) بينة الصروف وناقة صروف بينة الصريف (امرأة حصان) بينة الحصانة والحصن وفرس حصان بين التحصين والتحصن (حافر وقاح) بين الوقاحة والوقح والقحة ورجل وقاح الوجه بين القحة والقحة

الباب) قوله تعالى وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء فانه انما قدم الارض فى الذكر على السماء ومن حقها التأخير لانه لما ذكر شهادته على شؤن أهل الارض وأحوالهم ووصل ذلك بقوله وما يعزب لاءم بينهما ليلى المعنى المعنى ﴿فان قيل﴾ قد جاء تقديم الارض على السماء فى الذكر فى مواضع كثيرة من القرآن (قلنا) اذا جاءت مقدمة فى الذكر فلا بد لتقديمها من سبب اقتضاه وان خفى ذلك السبب وقد يستنبطه بعض العلماء دون بعض (النوع العاشر فى الحروف العاطفة والجارة) وهذا موضع لطيف المأخذ دقيق المغزى وما رأيت أحدا من علماء هذه الصناعة تعرض اليه ولا ذكره وما أقول انهم لم يعرفوه فان هذا النوع من الكلام أشهر من أن يخفى لانه مذكور فى كتب العربية جميعها ولست أعنى بايراده ههنا ما يذكره النحويون من أن الحروف العاطفة تتبع المعطوف عليه فى الاعراب ولأن الحروف الجارة تجر ما تدخل عليه بل أمرا وراء ذلك وان كان المرجع فيه الى الاصل النحوى (فأقول) ان أكثر الناس يضعون هذه الحروف فى غير مواضعها فيجعلون ما ينبغى أن يجر بعلى فى فى حروف الجر وفى هذه الاشياء دقائق أذكرها لك أما حروف العطف فنحو قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين فالاول عطفه بالواو التى هى للجمع وتقديم الاطعام على الاسقاء والاسقاء على الاطعام جائز لولا مراعاة حسن النظم ثم عطف الثانى بالفاء لان الشفاء يتعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ثم عطف الثالث بثم لان الاحياء يكون بعد الموت بزمان ولهذا جىء فى عطفه بثم التى هى للتراخى ولو قال قائل فى موضع هذه الآية الذى يطعمنى ويسقين ويمرضنى ويشفين ويميتنى ويحيين لكان للكلام معنى تام الا أنه لا يكون كمعنى الآية اذ كل شئ منها قد عطف بما يناسبه ويقع موقع السداد منه (ومما جاء من هذا الباب) قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ألا ترى أنه لما قال من نطفة خلقه كيف قال فقدره ولم يقل ثم قدره لان التقدير لما كان تابعا للخلقة وملازما لها عطفه عليها بالفاء وذلك بخلاف قوله ثم السبيل يسره لان بين خلقته وتقديره فى بطن أمه وبين اخراجه منه وتسهيل سبيله مهلة وزمانا فلذلك عطفه بثم وعلى هذا جاء قوله تعالى ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره لان بين اخراجه من بطن أمه وبين موته تراخيا وفسحة وكذلك بين موته ونشوره أيضا ولذلك عطفهما بثم ولما لم يكن بين موت الانسان واقباره تراخ ولا مهلة عطفه بالفاء وهذا موضع من علم البيان شريف وقلما يتفطن لاستعماله كما ينبغى (ومما جاء من ذلك أيضا) قوله تعالى فى قصة مريم وعيسى عليهما السلام فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا وفى هذه الآية دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذى مضت اليه والمخاض الذى هو الطلق بالفاء وهى للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التى هى للتراخى والمهلة ألا ترى أنه قد جاء فى الاخرى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره فلما كان بين تقديره فى البطن واخراجه منه مدة متراخية عطف ذلك بثم وهذا بخلاف قصة مريم عليها السلام فانها عطفت بالفاء وقد اختلف الناس فى مدة حملها فقيل انه كان كحمل غيرها من النساء وقيل لا بل كان مدة ثلاثة أيام وقيل أقل وقيل أكثر وهذه الآية مزيلة للخلاف لانها دلت صريحا على أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير

والوقاحة (ورجل هجين) بين الهجونة وامرأة هجان بينة الهجانة وفرس هجين بين الهجنة (جارية) بينة الجراء والجراء وجرى بين الجراية والجراية (أمة) بينة الاموة (وأم) بينة الامومة (وأب) بين الابوة (وأخت) بينة الاخوة (وبنت) بينة البنوة (وخال) بين الخؤلة (وعم) بين العمومة (ورجل) سبط الشعر بين السبوطة وسبط الجسم بين السباطة

﴿باب الافعال﴾

(علوت) فى الجبل علوا وعليت فى المكارم علاء (وحليت) فى عينى وفى صدرى تحلى وحلا فى الشراب يحلو (ولهيت) عن كذا فانا ألهى اذا غفلت ولهوت من اللهو فأنا ألهو (وهذا شراب يحذى اللسان) وهو يحذو النعل (وقلوت اللحم) والبسر وقليت الرجل أبغضته (وفلوت المهر) عن أمه فطمته وقليت رأسه حنوت عليه عطفت وحنيت العود وحنيت ظهرى وحنوت أنه (كبر الرجل) اذا أسن وكبر الامر اذا عظم (بدن الرجل) يبدن بدنا وبدانة وهو بادن اذا ضخم وبدن الرجل اذا أسن تبدينا وهو رجل بدن قال الاسود بن يعفر

هل لشباب فات من مطلب
أم ما بكاء البدن الاشيب

وقال حميد الارقط

وكنت خلت الشيب والتبدينا
والهم مما يذهل القرينا

(استخبينا) خباء نا اذا نصبناه

مهلة وربما كان ذلك فى يوم واحد أو أقل أخذا بما دلت عليه الآية (ومما ورد من هذا الاسلوب) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ففى الآية المتقدم ذكرها قال من نطفة خلقه فقدره فعطف التقدير على الخلق بالفاء لانه تابع له ولم يذكر تفاصيل حال المخلوق وفى هذه الآية ذكر تفاصيل حاله فى تنقله فبدأ بالخلق الاول وهو خلق آدم من طين ولما عطف عليه الخلق الثانى الذى هو خلق النسل عطفه بثم لما بينهما من التراخى وحيث صار الى التقدير الذى يتبع بعضه بعضا من غير تراخ عطفه بالفاء ولما انتهى الى جعله ذكرا أو أنثى وهو آخر الخلق عطفه بثم (فان قيل) انه قد عطف المضغة على العلقة فى هذه الآية بالفاء وفى أخرى بثم وهى قوله تعالى يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة (فالجواب عن ذلك)

(بياض بأصله)

(واعلم) أن فى حروف العطف موضعا تلتبس الفاء بالواو وهو موضع يحتاج فيه الى فضل تأمل وذلك أن فعل المطاوعة لا يعطف عليه الا بالفاء دون الواو وقد يجيء من الافعال ما يلتبس بفعل المطاوعة ويعطى ظاهره أنه كذلك الا أن معناه يكون مخالفا لمعنى فعل المطاوعة فيعطف حينئذ بالواو ولا بالفاء كقوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه فقوله أغفلنا قلبه ههنا بمعنى صادفناه غافلا وليس منقولا عن غفل حتى يكون معناه صددناه لانه لو كان كذلك لكان معطوفا عليه بالفاء وقيل فاتبع هواه وذلك أنه يكون مطاوعا وفعل المطاوعة لا يعطف الا بالفاء كقولك أعطيته فأخذ ودعوته فأجاب ولا تقول أعطيته وأخذ ولا دعوته وأجاب كما لا يقال كسرته وانكسر وكذلك لو كان معنى أغفلنا فى الآية صددنا ومنعنا لكان معطوفا عليه بالفاء وكان يقال ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا فاتبع هواه فلما لم يكن كذلك وكان العطف عليه بالواو فطريقه أنه لما قال أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه أن يكون معناه وجدناه غافلا فقد غفل لا محالة فكأنه قال ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه أى لا تطع من فعل كذا وكذا وعدد أفعاله التى توجب ترك طاعته فاعرف ذلك (وأما حروف الجر) فان الصواب يشذ عن وضعها فى مواضعها وقد علم أن فى للوعاء وعلى للاستعلاء كقولهم زيد فى الدار وعمرو على الفرس لكن اذا أريد استعمال ذلك فى غير هذين الموضعين مما يشكل استعماله عدل فيه عن الاولى (فمما ورد منه) قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ألا ترى الى بداعة هذا المعنى المقصود لمخالفة حرفى الجر ههنا فانه انما خولف بينهما فى الدخول على الحق والباطل لان صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض به حيث شاء وصاحب الباطل كأنه منغمس فى ظلام منخفض فيه لا يدرى أين يتوجه وهذا معنى دقيق قلما يراعى مثله فى الكلام وكثيرا ما سمعت اذا كان الرجل يلوم أخاه أو يعاتب صديقه على أمر من الامور فيقول له أنت على ضلالك القديم كما أعهدك فيأتى بعلى فى موضع فى وان كان هذا جائزا الا أن استعمال فى ههنا أولى لما أشرنا اليه ألا ترى الى قوله تعالى فى سورة يوسف قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم (ومن هذا النوع قوله تعالى) انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فانه انما عدل عن اللام الى فى فى الثلاثة الاخيرة للايذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره باللام لان فى للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم

الصدقات

وخلقنا فيه وأحييناه نعمناه (استنعم) الرجل عما اذا اتخذها هذا قول الكسائى قال أبو زيد تنعمت الرجل اذا دعوته عما * (زعت الناقة) عطفتها قال ذو الرمة وخافق الرأس فوق الرحل قلت له

زع بالزمام وجوز الليل مركوم

أى اعطف الناقة بالزمام ووزعت الناقة كففتها وجاء فى الحديث من يزع السلطان أكثر ممن يزع القرآن ومنه الوازع فى الجيش ولا بد للناس من وزعة أى من سلطان يكفهم (قتل الرجل) بالسيف فان قتله عشق النساء والجن قليس يقال فيه الا اقتتل قال ذو الرمة

اذا ما امرء حاولن أن يقتتلنه

بلا احنة بين النفوس ولا ذحل

(تأبيت) بالتشديد والقصر تحبست قال الكميت

قف بالديار وقوف زائر

وتأى انك غير صاغر

وتأييت بالمد وترك التشديد تمهلت (تجبت) مهرت وتجبدت غث (جبت) القميص قورت جيبه وجيبته جعلت له جيبا (نميت الحديث) نقلته على جهة الاصلاح ونميته مشددا نقلته على جهة الافساد (ثغر) الصبى اذا سقطت رواضعه وأثغر اذا انبتت أسنانه وثغر الرجل فهو مثغور اذا كسر ثغره قال جرير

أيشهد مثغور علينا وقد رأى

سميرة منا فى ثناياه مشهدا

(عرج) الرجل اذا صار أعرج وعرج اذا أصابه شئ فجمع وليس ذلك بخلقة وعرج فى الدرجة

الصدقات كما يوضع الشيء في الوعاء وأن يجعلوا مظنة لها وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم من التخلص وتكرير في في قوله وفي سبيل الله دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين وسياق الكلام أن يقال وفي الرقاب والغارمين وسبيل الله وابن السبيل فلما جيء بفي مرة ثانية وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله علم أن سبيل الله أوكد في استحقاق النفقة فيه وهذه لطائف ودقائق لا توجد إلا في هذا الكلام الشريف فاعرفها وقس عليها (النوع الحادي عشر في الخطاب بالجملة الفعلية والجملة الاسمية والفرق بينهما) ولم أذكر هذا الموضع لأن يجري الأمر فيه على ما يجري مجراه فقط بل لأن يقاس عليه مواضع أخرى مما يماثله ويشابهه ولو كان شبها بعيدا وإنما يعدل عن أحد الخطابين إلى الآخر لضرب من التأكيد والمبالغة (فمن ذلك قولنا) قام زيد وإن زيدا قائم فقولنا قام زيد معناه الإخبار عن زيد بالقيام وقولنا إن زيدا قائم معناه الإخبار عن زيد بالقيام أيضا إلا أن في الثاني زيادة ليست في الأول وهي توكيده بإن المشددة التي من شأنها الإثبات لما يأتي بعدها وإذا زيد في خبرها اللام فقيل إن زيدا لقائم كان ذلك أكثر توكيدا في الإخبار بقيامه وهذا مثل ينبني عليه أمثلة كثيرة من غير هذا النوع (فمما جاء من ذلك) قوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم فإنهم إنما خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالجملة الاسمية المحققة بإن المشددة لأنهم في مخاطبة إخوانهم بما أخبروا به عن أنفسهم من الثبات على اعتقاد الكفر والبعد من أن يزلوا عنه على صدق ورغبة ووفور نشاط فكان ذلك متقبلا منهم ورائجا عند إخوانهم وأما الذي خاطبوا به المؤمنين فإنما قالوه تكلفا وإظهارا للإيمان خوفا ومداجاة وكانوا يعلمون أنهم لو قالوه بأوكد لفظ وأسده لما راج لهم عند المؤمنين إلا رواجا ظاهرا لا باطنا ولأنهم ليس لهم في عقائدهم باعث قوي على النطق في خطاب المؤمنين بمثل ما خاطبوا به إخوانهم من العبارة المؤكدة فلذلك قالوا في خطاب المؤمنين آمنا وفي خطاب إخوانهم إنا معكم وهذه نكت تخفى على من ليس له قدم راسخة في علم الفصاحة والبلاغة (ومما يجري هذا المجرى) ورود لام التوكيد في الكلام ولا يجيء ذلك إلا لضرب من المبالغة وفائدته أنه إذا عبر عن أمر يعز وجوده أو فعل يكثر وقوعه جيء باللام تحقيقا لذلك (فمما جاء منه) قوله تعالى في أول سورة المنافقين إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون فانظر إلى هذه اللامات الثلاث الواردة في خبر إن والأولى وردت في قول المنافقين وإنما وردت مؤكدة لأنهم أظهروا من أنفسهم التصديق برسالة النبي صلى الله عليه وسلم قوة أقوالهم وبالغوا في التحقق وفي باطنهم خلافه وأما ما ورد في الثانية والثالثة فصحيح لا ريب فيه واللام في الثانية لتصديق رسالته وفي الثالثة لتكذيب المنافقين فيما كانوا يظهرونه من التصديق الذي هم على خلافه (وكذلك) ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون فإنه إنما جيء باللام ههنا زيادة التوكيد في إظهار المحبة ليوسف عليه السلام والإشفاق عليه ليبلغوا الغرض من أبيهم في المسامحة بإرساله معهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ثم قال أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ألا ترى كيف أدخلت اللام في آية المطعوم دون آية المشروب وإنما جاءت كذلك لأن جعل الماء العذب ملحا أسهل إمكانا في العرف والعادة والموجود من الماء الملح أكثر من الماء العذب وكثيرا ما إذا جرت

والسلم يعرج عروجا (ضاعفت) للرجل الشيء أعطيته أضعافا مثله وأضعفته أعطيته ضعفه (آزرني فلان) عاونني ووازرني صار لي وزيرا (نشطت) العقدة إذا عقدتها بأنشوطة وأنشطتها حللتها ومنه يقال كأنما أنشط من عقال (أملحت القدر) إذا أكثرت ملحها وملحتها بتخفيف إذا ألقيت فيها ملحا بقدر (حمأت البئر) إذا أخرجت حمأتها وأحمأتها جعلت فيها حمأة (أدلى الرجل) دلوه إذا ألقاها في الماء ليستقي فإذا جذبها ليخرجها قيل دلا يدلو (فرى الأديم) قطعه على جهة الإصلاح وأفرى الرجل قطعه على جهة الإفساد (تربت يداك) افتقرت وأتربت يداك استغنيت (أخفيت الشيء) إذا سترته وأخفيته إذا أظهرته قال أبو عبيدة أخفيته في معنى خفيته إذا أظهرته (أنصلت الرمح) إذا نزعت نصله وكان يقال لرجب منصل الأسنة لأنهم كانوا ينزعون الأسنة فيه ونصلته ركبت عليه النصل (أعذرت) في طلب الحاجة إذا بالغت وعذرت مشددا إذا توانيت (أفرط في الشيء) جاز القدر وفرط قصر (أقذيت العين) ألقيت فيها القذى وقذيتها أخرجت منها القذى (أمرضت) المريض فعلت به فعلا يمرض عنه ومرضته قمت عليه في مرضه (أعل) عن الوسادة ارتفع عنها واعل على الوسادة أي صر فوقها من علوت (قسط) في الجور فهو قاسط وأقسط في العدل فهو مقسط (وأضفت الرجل) أنزلته

المياه العذبة على الاراضي المتغيرة التربة أحالتها الى الملوحة ولم يحتج في جعل الماء العذب ملحا الى زيادة تأكيد فلذلك لم تدخل عليه لام التأكيد المفيدة زيادة التحقيق وأما المطعوم فان جعله حطاما من الاشياء الخارجة عن المعتاد واذا وقع فلا يكون الا عن سخط من الله شديد فلذلك قرن بلام التأكيد زيادة في تحقيق أمره وتقرير ايجاده (ومما يتصل بذلك) قوله تعالى وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون فاللام في لنحن هي اللام المشار اليها (وكذلك ورد قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا فان هذه اللام في قوله ليستخلفنهم وليمكنن وليبدلنهم انما جاءت لتحقيق الامر واثباته في نفوس المؤمنين وأنه كائن لا محالة (ومما يجري هذا المجرى في التوكيد) لام الابتداء المحققة لما يأتي بعدها كقوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا فاللام في ليوسف لام الابتداء وفائدتها تحقيق مضمون الجملة الواردة بعدها أي ان زيادة حبه اياهما أمر ثابت لا مراء فيه (ومن هذا النوع قول بعضهم) والشيب ان يظهر فان وراءه * عمرا يكون خلاله متنفس

لم ينتقص مني المشيب قلامة * ولما بقي مني ألب وأكيس

فقوله ولما بقي مني تقديره وما بقي مني وانما دخل على ما هذه اللام قصد التأكيد المعنى لانه موضع يحتاج الى التأكيد ألا ترى أن قوة العمر في الشباب ولما أراد هذا الشاعر أن يصف المشيب وليس مما يوصف وانما يذم أتى باللام لتؤكد ما قصده من الصفة وكذلك ورد قول الشاعر من أبيات الحماسة

ان لنصفح عن مجاهل قومنا * ونقيم سالفة العدو الاصيد

ومتى نجد يوما فساد عشيرة * نصلح وان نرى صالحا لا نفسد

وهذا كثير سائغ في الكلام الا أنه لا يأتي الا لمكان المبالغة بما يعبر به عنه ألا ترى الى قول الشاعر انا لنصفح عن مجاهل قومنا فانه لما كان الصفح مما يشق على النفس فعله لانه مقابلة الشر بالخير والاساءة بالاحسان أكده باللام تحقيقا له فان عرى الموضع الذي يؤتى فيه بهذه اللام من هذه الفائدة المشار اليها أو ما يجري مجراها فان ورود اللام فيه لغير سبب اقتضاه وأكثر ما تستعمل هذه اللام في جواب القسم لتحقيق الامر المقسم عليه وذلك في الايجاب دون النفي لانها لا تستعمل في النفي ألا ترى أنه لا يقال والله لا لاقمت وانما يقال والله لا قمت لكن في الايجاب تستعمل ويكون استعمالها حسنا كقولك والله لاقوم فان أضيف اليها النون الخفيفة والثقيلة كان ذلك أبلغ في التأكيد كقولك والله لاقومن وعلى ذلك وردت الآية المتقدم ذكرها وهي قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات وان لم يكن جوابا لقسم فالنون الواردة بعد اللام زيادة في التأكيد وهما تأكيدان أحدهما مردف بالآخر وكذلك فاعلم أن النون الثقيلة متصلة بهذا الباب فاذا استعملت في موضع فانما يقصد بها التأكيد (فمما جاء منها) قول البحتري في معاتبة الفتح بن خاقان

هل تجلبن الى عطفك موقف * ثبت لديك أقول فيه وتسمع

ما زال لي من حسن رأيك موئل * آوي اليه من الخطوب ومفزع

فعلام أنكرت الصديق وأقبلت * نحوي جناب الكاشحين تطلع

وأقام يطمع في تهضم جانبي * من لم يكن من قبل فيه يطمع

الا يكن ذنب فعدلك واسع * أو كان لي ذنب فعفوك أوسع

وهذه

وضفته نزلت عليه وضيفته نزلته منزلة لضيف قال الله عز وجل فأبوا أن يضيفوهما (قال أبو عبيدة) كل شئ من العذاب يقال فيه أمطر بالالف قال الله تعالى فأمطر علينا حجارة من السماء وكل شئ من الرحمة والغيث يقال فيه مطر وغيره يجيز مطرنا وأمطرنا في كل شئ (أدين) بالفتح آخذ بالدين قال الانصاري

أدين وما ديني عليكم بمغرم

ولكن على الشم الجلاد القراوح

يعني النخل وأدين بالضم أعطي الدين قال الهذلي

أدان وأنبأه الاولو

ن بان المدين ملي وفي

(أقصر عن الامر) نزع عنه وهو يقدر عليه وقد قصر عنه اذا عجز عنه (وعدته خيرا وشرا) قال الله عز وجل النار وعدها الله الذين كفروا والاسم الوعد وتوعدته تهددته وواعدته مواعدة لوقت قال أبو عبيدة الوعد الميعاد والوعيد واحد قال الفراء يقولون وعدته خيرا ووعدته شرا فاذا أسقطوا الخير والشر قالوا وعدته في الخير وفي الشر أوعدته فأثبتوا الالف قال الراجز

* أوعدني بالسجن والاداهم *

قال الكسائي (وضعت الحمل) حملته وضعا وأوضعته حملته على الوضع غيره (خفق النجم) اذا غاب وأخفق اذا تهيأ للمغيب وكذلك خفق الطائر اذا طار وأخفق اذا ضرب بجناحيه ليطير (لاح النجم) اذا بدا وألاح اذا تلألأ قال المتلمس

وهذه أبيات حسنة مليحة في بابها تحيي بها حرّ الصدود ويستمال بها أصعر الخدود وانما ذكرتها بجملتها لمكان حسنها والبيت الاول هو المراد ألا ترى أنه قال هل تعلمين الى "عطفك موقف فالنون جاءت قصد التأكيد وهو في هذا المقام متمنّ فأحب أن يؤكد هذه الامنية وكل ما يجيء من هذا الباب فانه واقع هذا الموقع واذا استعمل عبثا لغير فائدة تقتضيه فانه لا يكون استعماله الا من جاهل بالاسرار المعنوية وأما ما يمثل به النحاة في قول القائل والله لأقومنّ فانه مثال نحوي يضرب للجواز والا فاذا قال القائل والله لأقومنّ وأكده كان ذلك لغوا لانه ليس في قيامه من الامر العزيز ولا من الامر العسير ما يحتاج معه الى التأكيد بل لو قال والله لأقومنّ الليلة مهتدا له لكان ذلك واقعا في موقعه فافهم هذا وقس عليه (النوع الثاني عشر في قوة اللفظ لقوة المعنى) هذا النوع قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب الخصائص الا أنه لم يورده كما أوردته انا ولا نبه على ما نبهت عليه من النكت التي تضمنته وهذا يظهر بالوقوف على كلامي وكلامه (فأقول) اعلم أن اللفظ اذا كان على وزن من الاوزان ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا لان الالفاظ أدلة على المعاني وأمثلة للابانة عنها فاذا زيد في الالفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني وهذا لا نزاع فيه لبيانه وهذا النوع لا يستعمل الا في مقام المبالغة (فمن ذلك) قولهم خشن واخشوشن فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو نحو فعل وافعوعل وكذلك قولهم أعشب المكان فاذا رأوا كثرة العشب قالوا اعشوشب (ومما ينتظم بهذا السلك) قدر واقتدر فمعنى اقتدر أقوى من معنى قدر قال الله تعالى فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر فمقتدر ههنا أبلغ من قادر وانما عدل اليه للدلالة على تفخيم الامر وشدة الاخذ الذي لا يصدر الا عن قوة الغضب أو للدلالة على بسطة القدرة فان المقتدر أبلغ في البسطة من القادر وذلك أن مقتدرا اسم فاعل من اقتدر وقادر اسم فاعل من قدر ولا شك أن افتعل أبلغ من فعل وعلى هذا ورد قول أبي نواس

فعفوت عني عفو مقتدر * حلت له نقم فألغاها

أي عفوت عني عفو قادر متمكن القدرة لا يرده شيء عن امضاء قدرته وأمثال هذا كثيرة وكذلك ورد قوله تعالى في سورة نوح عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا فان غفارا أبلغ في المغفرة من غافر لان فعالا يدل على كثرة صدور الفعل وفاعلا لا يدل على الكثرة وعليه ورد قوله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فالتواب هو الذي تتكرر منه التوبة مرة على مرة وهو فعال وذلك أبلغ من التائب الذي هو فاعل فالتائب اسم فاعل من تاب يتوب فهو تائب أي صدرت منه التوبة مرة واحدة فاذا قيل تواب كان صدور التوبة منه مرارا كثيرة وهذا وما يجري مجراه انما يعمد اليه لضرب من التوكيد ولا يوجد ذلك الا فيما فيه معنى الفعلية كاسم الفاعل والمفعول وكالفعل نفسه نحو قوله تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون فان معنى كبكبوا من الكب وهو القلب الا أنه مكرر المعنى وانما استعمل في الآية دلالة على شدة العقاب لانه موضع يقتضي ذلك وربما انطر بعض الجهال في هذا فقاس عليه زيادة التصغير وقال انها زيادة ولكنها زيادة نقص لانه يزاد في اللفظ حرف كقولهم في الثلاثي "في رجل رجيل وفي الرباعي "في قنديل قنيديل فالزيادة وردت ههنا فنقصت من معنى هاتين اللفظتين وهذا ليس من الباب الذي نحن بصدد ذكره لانه عار عن معنى الفعلية والزيادة في الالفاظ لا توجب زيادة في المعاني الا اذا تضمنت معنى الفعلية لان الاسماء التي لا معنى للفعل فيها اذا زيدت استحال معناها ألا ترى أنا لو نقلنا لفظة عنب وهي ثلاثية الى الرباعي "فقلنا عنذيب على وزن جعفر

وقد ألاح سهيل بعدما هجعوا
كأنه ضرم بالكف مقبوس

(أزررت القميص) جعلت له أزرارا وزررته شددت أزراره (أقبلت النعل) جعلت لها قبالا وقبلتها شددت قبالها (عمدت الشيء) أقمته وأعمدته جعلت تحته عمدا (أزججت الرمح) جعلت له زجا وزججته طعنته بزجه (أنشدت الضالة) عرفتها ونشدتها أنشدها نشدا طلبتها (أكننت الشيء) اذا سترته قال الله عز وجل أو أكننتم في أنفسكم وكننت الشيء صنته قال الله عز وجل كأنهن بيض مكنون وبعضهم يجعل كننته وأكننته بمعنى (أتبعت القوم) لحقتهم وتبعت القوم سرت في أثرهم (شرقت الشمس) شروقا طلعت وأشرقت أضاءت (جزت الموضع) سرت فيه وأجزته قطعته وخلفته قال امرؤ القيس

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى
بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل

(وأرهقت فلانا) أعجلته ورهقته غشيته قال الفراء (عجلت الشيء) سبقته ومنه قول الله جل وعز أعجلتم أمر ربكم وأعجلته استحثثته (وقللت الشيء وكثرته) اذا جعلت كثيرا قليلا وقليلا كثيرا وأقللت وأكثرت جئت بقليل وكثير وبعضهم يجعل أقللت وقللت وأكثرت وكثرت بمعنى واحد قال الكسائي والعرب تقول (أكذبت الرجل) اذا أخبرته انه جاء بالكذب ورواه وتقول كذبته اذا أخبرت انه كاذب وبعضهم يجعلهما جميعا بمعنى (أولدت الغنم) حان ولادها

لاستعمال معناها ولم يكن لها معنى وكذلك لو نقلنا لفظة عسجد وهى رباعية الى الخماسى فقلنا عسجدد على وزن جحمرش لاستعمال معناها وهذا بخلاف ما فيه معنى الفعلية كقادر ومقتدر فان قادر اسم فاعل قدر وهو ثلاثى ومقتدر اسم فاعل اقتدر وهو رباعى فلذلك كان معنى القدرة فى اقتدر أشد من معنى القدرة فى قدر وهذا لا نزاع فيه وهذا الباب بجملته لا يقصد به الا المبالغة فى ايراد المعانى وقد يستعمل فى مقام المبالغة فينعكس المعنى فيه الى ضده كما جاء لابى كرام التميمى من شعراء الحماسة وهو قوله

لله تيم أى رمح طراد * لاقى الحمام وأى نصل جلاد
ومحش حرب مقدم متعرض * للموت غير معرد حياد

فلفظة جياد قد وردت ههنا وانما أوردها هذا الشاعر وقصد بها المبالغة فى وصف شجاعة هذا الرجل فانعكس عليه المقصد الذى قصده لان جيادا من جيد فهو جياد أى وجد منه الجيدودة مرارا كما يقال قتل فهو قتال أى وجد منه القتل مرارا واذا كان هذا الرجل غير جياد كان حائدا أى وجدت منه الحيدودة مرة واحدة واذا وجدت منه مرة كان ذلك جبنا ولم يكن شجاعة والاولى ان كان قال غير معرد حائد (وينبغى) أن يعلم أنه اذا وردت لفظة من الالفاظ ويجوز حملها على التضعيف الذى هو طريق المبالغة وحملها على غيره أن ينظر فيها فان اقتضى حملها على المبالغة فهو الوجه (فمن ذلك) قول البحترى فى قصيدته التى مطلعها

منى النفس فى أسماء لو تستطيعها * وهى قصيدة مدح بها الخليفة المتوكل رحمه الله وذكر فيها حديث الصلح بين بنى تغلب فمما جاء فيها قوله

رفعت بضبعى تغلب ابنة وائل * وقد يئست أن يستقل صريعها
فكنت أمين الله مولى حياتها * ومولاك فتح يوم ذاك شفيعها
تألفتهم من بعد ما شردت بهم * حفائظ أخلاق بطىء رجوعها
فأبصر غاويها المحجة فاهتدى * وأقصر غاليها ودانى شسوعها

فقوله تألفتهم من بعد ما شردت بهم يجوز أن تخفف لفظة شردت ويجوز أن تثقل والتثقيل هو الوجه لانه فى مقام الاصلاح بين قوم تنازعوا واختلفوا وتباينت قلوبهم وآراؤهم وكل ما يجىء من الالفاظ على هذا النحو فينبغى أن يجرى هذا المجرى (وههنا نكتة لا بد من التنبيه عليها) وذلك أن قوة اللفظ لقوة المعنى لا تستقيم الا فى نقل صيغة الى صيغة أكثر منها كنقل الثلاثى الى الرباعى والا فاذا كانت صيغة الرباعى مثلا موضوعة لمعنى فانه لا يراد به ما أريد من نقل الثلاثى الى مثل تلك الصيغة ألا ترى أنه اذا قيل فى الثلاثى قتل ثم نقل الى الرباعى فقيل قتّل بتشديد التاء فان الفائدة من هذا النقل هى التكثير أى أن القتل وجد منه كثيرا وهذه الصيغة الرباعية بعينها لو وردت من غير نقل لم تكن دالة على التكثير كقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما فان كلم على وزن قتل ولم يرد به التكثير بل أريد به أنه خاطبه سواء كان خطابه اياه طويلا أو قصيرا قليلا أو كثيرا وهذه اللفظة رباعية وليس لها ثلاثى نقلت عنه الى الرباعى لكن قد وردت بعينها ولها ثلاثى ورباعى فكان الرباعى أكثر وأقوى فيما دل عليه من المعنى وذلك أن تكون كلم من الجرح أى جرّح ولها ثلاثى وهو كلم مخففا أى جرح فاذا وردت مخففة دلت على الجراحة مرة واحدة واذا وردت مثقلة دلت على التكثير (وكذلك) ورد قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا فان لفظة رتل على وزن لفظة قتل ومع هذا ليست دالة على كثرة القراءة وانما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأنى والتدبر وسبب ذلك أن هذه اللفظة لا ثلاثى

وولدت اذا وضعت (أسجد الرجل) اذا طأطأ رأسه وانحنى وسجد اذا وضع جبهته بالارض (أكمحت الدابة) اذا جذبت عنانه حتى ينتصب رأسه وكبحته بالباء وهو أن تجذبه اليك باللجام لكى يقف ولا يجرى (قد أفصح الاعجمى) اذا تكلم بالعربية وفصح اذا حسنت لغته ولم يلحن (أمرته فأطاع) بالالف وقد طاع له اذا انقاد فهو يطوع ويقال أطاع له المرتع وطاع اذا اتسع وأمكنه من الرعى (أضللت الشئ) بمكان كذا اذا أضعته وضللته وضللته اذا أردته فلم تهتد له (أحميت المكان) جعلته حمى وحميته منعته وأحميت الحديدة فى النار وأحميت الرجل أغضبته (أعال الرجل) اذا كثر عياله وعال يعيل اذا افتقر وعال يعول اذا جار قال الله عز وجل ذلك أدنى أن لا تعولوا (أقبرت الرجل) أمرت بان يقبر قال الله عز وجل ثم أماته فأقبره وقبرته دفنته (سبعت الرجل) وقعت فيه وأسبعته أطعمته السبع (غب فلان) عندنا اذا بات (ومنه سمى اللحم البايت الغاب) وأغبنا أتانا غبا (بصرت من البصيرة) أى علمت قال الله عز وجل بصرت بما لم يبصروا به وأبصرت بالعين (جزى عنى الامر) يجزى بغير همز أى قضى عنى وأغنى قال الله عز وجل يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ وأجزأ أى يجزئنى مهموز أى كفانى (أخدجت الناقة) والشاة اذا ألقت ولدها لتمام وهو ناقص الخلق وخدجت فهى خادج اذا

لها حتى تنقل عنه الى رباعي" وانما هي رباعية موضوعة لهذه الهيئة المخصوصة من القراءة وعلى هذا فلا يستقيم معنى الكثرة والقوة في اللفظ والمعنى الا بالنقل من وزن الى وزن أعلى منه فاعرف ذلك (ومن ههنا) شذ الصواب عمن شذ عنه في عالم وعليم فان جمهور علماء العربية يذهبون الى أن عليما أبلغ في معنى العلم من عالم وقد تأملت ذلك وأنعمت نظري فيه فحصل عندي شك في الذي ذهبوا اليه والذي أوجب ذلك الشك هو أن عالما وعليما على عدة واحدة اذ كل منهما أربعة أحرف وليس بينهما زيادة ينقل فيها الادنى الى الاعلى والذي يوجبه النظر أن يكون الامر على عكس ما ذكروه وذلك أن يكون عالم أبلغ من عليم وسببه أن عالما اسم فاعل من علم وهو متعد وان عليما اسم فاعل من علم الا أنه أشبه وزن الفعل القاصر نحو شرف فهو شريف وكرم فهو كريم وعظم فهو عظيم فهذا الوزن لا يكون الا في الفعل القاصر فلما أشبهه عليم انحط عن رتبة عالم الذي هو متعد الا ترى أن فعل بفتح الفاء وكسر العين يكون متعديا نحو علم وحمد ويكون قاصرا غير متعد نحو غضب وشبع وأما فعل بفتح الفاء وضم العين فانه لا يكون الا قاصرا غير متعد ولما كان فعل بفتح الفاء وكسر العين مترددا بين المتعدي والقاصر وكان فعل بفتح الفاء وضم العين قاصرا غير متعد صار القاصر أضعف مما يدور بين المتعدي والقاصر وحيث كان الامر كذلك وأشبه وزن المتعدي وزن القاصر حط ذلك من درجته وجعله في الرتبة دون المتعدي الذي ليس بقاصر هذا هو الذي أوجب لي التشكيك فيما ذهب اليه غيري من علماء العربية ولربما كان ما ذهبوا اليه لامر خفي عني ولم أطلع عليه ﴿النوع الثالث عشر في عكس الظاهر﴾ وهو نفي الشئ باثباته وهو من مستظرفات علم البيان وذلك اذا ذكرت كلاما يدل ظاهره أنه نفي لصفة موصوف وهو نفي للموصوف أصلا (فمما جاء منه) قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنثى فلتاته أي لا تذاع سقطاته فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات غير أنها لا تذاع وليس المراد ذلك بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات فتنثى وهذا من أغرب ما توسعت فيه اللغة العربية وقد ورد في الشعر كقول بعضهم * ولا ترى الضب بها ينجحر * فان ظاهر المعنى من هذا البيت أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجحر وليس كذلك بل المعنى أنه لم يكن هناك ضب أصلا وهذا النوع من الكلام قليل الاستعمال وسبب ذلك أن الفهم يكاد يأباه ولا يقبله الا بقرينة خارجة عن دلالة لفظه على معناه وما كان عاريا عن قرينة فانه لا يفهم منه ما أراد قائله وسأوضح ذلك فأقول أما قولنا عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنثى فلتاته فان مفهوم هذا اللفظ انه كان هناك فلتات الا أنها تطوى ولا تنشر وتكتم ولا تذاع ولا يفهم منه أنه لم يكن هناك فلتات الا بقرينة خارجة عن اللفظ وهي أنه قد ثبت في النفوس وتقرر عند العقول أن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم منزه عن فلتات تكون به وهو أكرم من ذلك وأوقر فلما قيل انه لا تنثى فلتاته فهمنا منه أنه لم يكن هناك فلتات أصلا وأما قول القائل * ولا ترى الضب بها ينجحر * فانه لا قرينة تخصصه حتى يفهم منه ما فهم من الاول بل المفهوم أنه كان هناك ضب ولكنه غير منجحر ولقد مكثت زمانا أطوف على أقوال الشعراء قصد الظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى فلم أجد الا بيتا لامرئ القيس وهو

على لاحب لا يهتدى لمناره * اذا ساقه العود النباطي جرجرا

فقوله لا يهتدى لمناره أي أن له منارا الا أنه لا يهتدى به وليس المراد ذلك بل المراد أنه لا منار له يهتدى به ولي أنا في هذا بيت من الشعر وهو

ألقته قبل تمام الوقت (أرم العظم) من الشاة اذا صار فيه رم وهو المخ ورم العظم اذا بلي (أشجيت الرجل) أغصصته وشجوته أشجوه شجوا أحزنته ويقال منها شجي يشجى شجى (رصنت الشئ) أكملته وأرصنته أحكمته (وغييت) غاية عملتها وهي الراية وأغييتها نصبتها (أشررت الشئ) أظهرته ومنه قول الشاعر

فما برحوا حتى قضى الله صبرهم
وحتى أشررت بالاكف المصاحف

أي أظهرت وشررت الثوب اذا بسطته وشررت الملح اذا جعلته على شئ ليجف (أكنفت الرجل) أعنته وكنفته حطته (يبست الارض) اذا ذهب ماؤها ونداها وأيبست كثر يبسها (أخلت فيه الخير) رأيت مخيلته وكذلك أخلت السحابة وأخيلتها أي رأيتها مخيلة للمطر وخلت كذا أخاله خيلا ظننته قال ابن الاعراب شجر مثمر اذا طلع ثمره وثمر ثامر اذا نضج أعقدت الرب وغيره وعقدت الحلف والخيط (أحبست الفرس) في سبيل الله وحبست في غيره أرهنت في المخاطرة وأرهنت أيضا سلفت ورهنت في غير ذلك (أوعيت المتاع) جعلته في الوعاء (ووعيت العلم) حفظته (أحصره المرض) والعدو اذا منعه من السفر قال الله عز وجل فان أحصرتم فما استيسر من الهدي وحصره العدو اذا ضيقوا عليه (أوهم الرجل) في كتابه وكلامه يوهم ايهاما اذا أسقط منه شيأ ووهم يوهم وهما محركة الهاء اذا غلط ووهم الى

أدنين جلباب الحياء فلن يرى * لذيولهن على الطريق غبار

وظاهر هذا الكلام أن هؤلاء النساء يمشين هونا لحيائهن فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق وليس المراد ذلك بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلا أي أنهن مخبآت لا يخرجن من بيوتهن فلا يكون اذا لذيولهن على الطريق غبار وهذا حسن رائق وهو أظهر بيانا من قوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * فمن استعمل هذا النوع من الكلام فليستعمله هكذا والا فليدع على أن الاكثار من استعماله عسر لانه لا يظهر المعنى فيه ﴿النوع الرابع عشر في الاستدراج﴾ وهذا الباب أنا استخرجته من كتاب الله تعالى وهو مخادعات الاقوال التي تقوم مقام مخادعات الافعال والكلام فيه وان تضمن بلاغة فليس الغرض ههنا ذكر بلاغته فقط بل الغرض ذكر ما تضمنه من النكت الدقيقة في استدراج الخصم الى الاذعان والتسليم واذا حقق النظر فيه علم أن مدار البلاغة كلها عليه لانه لا انتفاع بايراد الالفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها والكلام في مثل هذا ينبغي أن يكون قصيرا في خلابه لا قصيرا في خطابه فاذا لم يتصرف الكاتب في استدراج الخصم الى القاء يده والا فليس بكاتب ولا شبيه له الا صاحب الجدل فكما أن ذاك يتصرف في المغالطات القياسية فكذلك هذا يتصرف في المغالطات الخطابية وقد ذكرت في هذا النوع ما يتعلم منه سلوك هذه الطريق (فمن ذلك) قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ألا ترى ما أحسن مأخذ هذا الكلام وألطفه فانه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه أو يكون صادقا فيصبكم بعض الذي يعدكم ان تعرضتم له وفي هذا الكلام من حسن الادب والانصاف ما أذكره لك فأقول انما قال يصبكم بعض الذي يعدكم وقد علم أنه نبي صادق وأن كل ما يعدهم به لا بد وأن يصيبهم لا بعضه لانه احتاج في مقاولة خصوم موسى عليه السلام أن يسلك معهم طريق الانصاف والملاطفة في القول ويأتيهم من جهة المناصحة ليكون أدعى الى سكونهم اليه فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل في تصديقهم اياه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام المنصف في مقابلة غير المشتط وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد به لكنه أردف بقوله يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس كلام من أعطاه حقه وافيا فضلا من أن يتعصب له وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل كأنه برطلهم في صدر الكلام بما يزعمونه لئلا ينفروا منه وكذلك قوله في آخر الآية ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب أي هو على الهدى ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولا عضده بالبينات وفي هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه ما لا خفاء به وقد تضمن من اللطائف الدقيقة ما اذا تأملته حق التأمل أعطيته حقه من الوصف (ومما يجري على هذا الاسلوب) قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا هذا كلام يهز أعطاف السامعين وفيه من الفوائد ما أذكره وهو أنه لما أراد ابراهيم عليه السلام أن ينصح أباه ويعظه وينقذه مما كان متورطا فيه من

الخطا

الشيء يهم وهما سكتة الهاء اذا ذهب وجهه اليه (أخلد بالمكان) اذا أقام به وخلد يخلد خلودا اذا بقي أعييت في المشي فأنا معي وعييت بالمنطق أعيا عيا وأنا عيي (يقال لكل شيء بلغ نصف غيره نصف) بلا ألف تقول قد نصف الازار ساقه ينصفها واذا بلغ الشيء نصف نفسه قلت أنصف بالالف تقول أنصف النهار اذا بلغ نصفه وبعضهم يجيز نصف النهار ينصف اذا انتصف قال المسيب بن علس وذكر غائصا

نصف النهار الماء غامره
ورفيقه بالغيب لا يدري

أراد انتصف النهار وهو في الماء لم يخرج (أصعد في الارض) وصعد في الجبل بالتشديد وصعد فيه (غثت الشاة) هزلت وأغث حديث القوم فسد (وغل يغل) اذا توارى بشجر ونحوه فاذا تباعد في الارض قيل أوغل (حصبت الرجل) من الحصبة وأحصبت له انعقدت وتابعت (أقبست الرجل) علما وقبسته نارا اذا جئته بها فان كان طلبها له قلت أقبسته هذا قول اليزيدي وقال الكسائي أقبسته نارا أو علما سواء قال وقبسته أيضا فيهما جميعا (اسفر لونه) اذا أشرق وأسفر الصبح اذا أضاء وأنار وسفرت المرأة نقابها فهي سافر (أمددته) بالمال والرجال ومددت دواتي بالمداد قال الله عز وجل والبحر يمده من بعده سبعة أبحر هو من المداد لا من الامداد ومد الفرات وأمد الجرح اذا صارت فيه مدة (أجمع فلان) أمره فهو مجمع اذا عزم

الخطاء العظيم الذي عصى به أمر العقل رتب الكلام معه في أحسن نظام مع استعمال المجاملة واللطف والادب الجميل والخلق الحسن مستنصحا في ذلك بنصيحة ربه وذلك أنه طلب منه أولا العلة في خطيئته طلب منبه على تماديه موقظ من غفلته لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب الا أنه بعض الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولو كان أشرف الخلائق كالملائكة والنبيين فكيف بمن جعل المعبود جمادا لا يسمع ولا يبصر يعني به الصنم ثم ثنى ذلك بدعوته الى الحق مترفقا به فلم يسم أباه بالجهل المطلق ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي لطائفة من العلم وشيأ منه وذلك علم الدلالة على سلوك الطريق فلا تستنكف وهب أني واياك في مسير وعندي معرفة بهداية الطريق دونك فاتبعني أنجك من أن تضل ثم ثلث ذلك بتثبيطه عما كان عليه ونهيه فقال ان الشيطان الذي استعصى على ربك وهو عدوك وعدو أبيك آدم هو الذي ورطك في هذه الورطة وألقاك في هذه الضلالة وانما ألغى ابراهيم عليه السلام ذكر معاداة الشيطان آدم وذريته في نصيحة أبيه لانه لامعانه في الاخلاص لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص بالله وهي عصيانه واستكباره ولم يلتفت الى ذكر معاداته آدم وذريته ثم ربع ذلك بتخويفه اياه سوء العاقبة فلم يصرح بأن العقاب لاحق به ولكنه قال اني أخاف أن يمسك عذاب فنكر العذاب ملاطفة لابيه وصدر كل نصيحة من هذه النصائح بقوله يا أبت توسلا اليه واستعطافا وهذا بخلاف ما أجابه به أبوه فانه قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم فأقبل عليه بفظاظة الكفر وغلظ العناد فناداه باسمه ولم يقابل قوله يا أبت بقوله يا بني وقدم الخبر على المبتدا في قوله أراغب أنت لانه كان أهم عنده وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبة ابراهيم عن آلهته وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة من هذا الجنس لاسيما في مخاطبات الانبياء صلوات الله عليهم للكفار والرد عليهم وفي هذين المثالين المذكورين ههنا كفاية ومقنع (وبلغني حديث) تفاوض فيه الحسين بن علي رضي الله عنهما ومعاوية بن أبي سفيان في أمر ولده يزيد وذلك أن معاوية قال للحسين أما أمك فاطمة فانها خير من أمه وبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من امرأة من كلب وأما حبي يزيد فاني لو أعطيت به مثلك ملء الغوطة لما رضيت وأما أبوك وأبوه فانهما تحاكما الى الله فحكم لابيه على أبيك وهذا كلام من معاوية كلما أمررته بفكري عجبت من سداده فضلا عن بلاغته وفصاحته فان معاوية علم ما لعلي رضي الله عنه من السبق الى الاسلام والاثر فيه وما عنده من فضيلة العلم فلم يتعرض في المنافرة الى شئ من ذلك ولم يقل أيضا ان الله أعطاني الدنيا ونزعها منكم لان هذا لا فضل فيه اذ الدنيا ينالها البر والفاجر وانما صانع عن ذلك كله بقوله ان أباك وأباه تحاكما الى الله فحكم لابيه على أبيك وهذا قول ايهامي يوهم شبهة من الحق واذا شاء من شاء أن ينافر خصمه ويستدرجه الى الصمت عن الجواب فليقل هكذا (النوع الخامس عشر في الايجاز) وهو حذف زيادات الالفاظ وهذا نوع من الكلام شريف لا يتعلق به الا فرسان البلاغة من سبق الى غايتها وما صلى وضرب في أعلى درجاتها بالقدح المعلى وذلك لعلو مكانه وتعذر امكانه والنظر فيه انما هو الى المعاني لا الى الالفاظ ولست أعني بذلك أن تهمل الالفاظ بحيث تعرى عن أوصافها الحسنة بل أعني أن مدار النظر في هذا النوع انما يختص بالمعاني فرب لفظ قليل يدل على معنى كثير ورب لفظ كثير يدل على معنى قليل ومثال هذا كالجوهرة الواحدة بالنسبة الى الدراهم الكثيرة فمن ينظر الى طول الالفاظ يؤثر الدراهم لكثرتها ومن ينظر الى شرف المعاني يؤثر الجوهرة الواحدة لنفاستها ولهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم الفاتحة أم الكتاب

عليه قال الشاعر

* لهم أمر حزم لا يفرق مجمع *

وجمعت الشئ المتفرق جمعا (ويقال أخلف الله عليك) لمن ذهب له مال أو ولد أو شئ يستعاض منه وخلف الله عليك ان هلك له والد أو عم أي كان الله خليفة من المفقود عليك (أجملت لفلان) من الجميل في العطية قال وهي الجمالة وأجملت القدر أنزلتها بالجمال وهي الخرقة التي تنزل بها القدر وجملت لك كذا جملا والجمل الاسم (أجبرت فلانا) على الامر فهو مجبر وجبرت العظم فهو مجبور (أحدت المرأة) وحدت وهي في احداد وحداد وأحددت النظر في الامر وأحددت السكين والسلاح وحددت الارض من الحدود (يقال لكل ما حبسته بيدك) مثل الدابة وغيره وقفته بغير ألف وما حبسته بغير يدك أوقفته تقول أوقفته على الامر وبعضهم يقول وقفته في كل شئ (أصحت السماء) وأصحت العاذلة وصحا من السكر (ضربت في الارض) تباعدت وأضربت عن الامر أمسكت (أكب فلان على العمل) وكببت الاناء أكبه كبا وكببت الجزور كبا ويقال كبه الله لوجهه بغير ألف قال الفراء (أبعت الخايل) اذا أردت انك أمسكتها للتجارة والبيع فان أردت أنك أخرجتها قلت بعتها قال وكذلك قالت العرب أعرضت العرضان أمسكتها للبيع وعرضتها ساومت بها (وطعنه) فأرماه عن ظهر الدابة كما تقول

واذا نظرنا الى مجموعها وجدناه يسيرا وليست من الكثرة الى غاية تكون بها أم البقرة وآل عمران وغيرهما من السور الطوال فعلمنا حينئذ أن ذلك الامر يرجع الى معانيها (والكلام في هذا الموضع) يخرجنا الى غير ما نحن بصدده لانه يحتاج فيه الى ذكر المراد بالقرآن الكريم وما يشتمل عليه سوره وآياته الى حصر أقسام معانيه ولكنا نشير في ذلك اشارة خفيفة (فنقول) المراد بالقرآن هو دعوة العباد الى الله تعالى ولذلك انحصرت سوره وآياته في ستة أقسام ثلاثة منها هي الاصول وثلاثة هي الفروع (أما الاصول) فالاول منها تعريف المدعو اليه وهو الله تعالى ويشتمل هذا الاصل على ذكر ذاته وصفاته وأفعاله والاصل الثاني تعريف الصراط المستقيم الذي يجب ملازمته في السلوك الى الله تعالى ويشتمل هذا الاصل على التبتل بعبادة الله بأعمال القلب وأعمال الجوارح والاصل الثالث تعريف الحال بعد الوصول الى الله تعالى أعني بعد الموت ويشتمل هذا الاصل على تفصيل أحوال الدار الآخرة من الجنة والنار والصراط والميزان والحساب وأشباه ذلك فهذه الاصول الثلاثة (وأما الفروع) فالاول منها تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله بهم من النصرة والادالة وتعريف أحوال المخالفين للدعوة والمحادين لها وكيفية صنع الله في التدمير عليهم والتنكيل بهم والفرع الثاني ذكر مجادلة الخصوم ومحاجتهم ومداواتهم بالمجادلة والمحاجة على طريق الحق وهؤلاء هم اليهود والنصارى ومن يجري مجراهم من أرباب الشرائع والفلاسفة والملحدة من غير أرباب الشرائع والفرع الثالث تعريف عمارة منازل الطريق وكيفية أخذ الزاد والاهبة للاستعداد وذلك قياس الشرعية وتبيين الحكمة في أوامرها التي تتعلق بأفعال أهل التكليف فهذه الاقسام الستة المشار اليها هي التي يدور معاني القرآن عليها ولا يتعداها وههنا تقسيم آخر يطول الخطب فيه ولا حاجة الى ذكره واذ نظرنا الى سورة الفاتحة وتأملنا ما فيها من المعاني وجدناها مشتملة على أربعة أقسام من الستة المذكورة ولذلك سماها النبي صلى الله عليه وسلم أم الكتاب كما أنه قال ان سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن واذا نظرنا في الاقسام الستة وجدنا سورة الاخلاص بمنزلة ثلث القرآن وكذلك قال صلى الله عليه وسلم آية الكرسي سيدة آي القرآن ويروى أنه سأل أبي بن كعب رضي الله عنه فقال أي آية معك في كتاب الله أعظم فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدره وقال ليهنك العلم أبا المنذر وكل هذا يرجع الى المعاني لا الى الالفاظ فاعرف ذلك وبينه لرموزه وأسراره (واعلم) أن جماعة من مدعي علم البيان ذهبوا الى أن الكلام ينقسم قسمين فمنه ما يحسن فيه الايجاز كالاشعار والمكاتبات ومنه ما يحسن فيه التطويل كالخطب والتقليدات وكتب الفتوح التي تقرأ في ملا من عوام الناس فان الكلام اذا طال في مثل ذلك أثر عندهم وأفهمهم ولو اقتصر فيه على الايجاز والاشارة لم يقع لاكثرهم حتى يقال في ذكر الحرب التقى الجمعان وتطاعن الفريقان واشتد القتال وحمي النصال وما جرى هذا المجرى والمذهب عندي في ذلك ما أذكره وهو أن فهم العامة ليس شرطا معتبرا في اختيار الكلام لانه لو كان شرطا لوجب على قياسه أن يستعمل في الكلام الالفاظ العامية المبتذلة عندهم ليكون ذلك أقرب الى فهمهم لان العلة في اختيار تطويل الكلام اذا كانت فهم العامة اياه فكذلك تجعل تلك العلة بعينها في اختيار المبتذل من الكلام فانه لا خلاف في أن العامة الى فهمه أقرب من فهم ما قل ابتذالهم اياه وهذا شيء مدفوع وأما الذي يجب توخيه واعتماده فهو أن يسلك المذهب القويم في تركيب الالفاظ على المعاني بحيث لا تزيد هذه على هذه في الايضاح والابانة وليس على مستعمل ذلك أن يفهم العامة كلامه

أذراه وري الزمية يرمها رميا وقال الفراء (تقول أبغني خادما) أي ابتغه لي فاذا أراد أعني على طلبه قال أبغني بقطع الالف وكذلك المسني نارا وألمسني نارا واحلبني وأحلبني فقوله أحلبني احلب لي واكففني الحلب (واحلبني) أعني عليه وكذلك (اعلمني) وأجلسني (واعلمني) وأعلني (أخفرت الرجل) نقضت ما بيني وبينه من العهد (وخفرته) حفظته

﴿باب ما يكون مهموزا بمعنى وغير مهموز بمعنى آخر﴾

(عبأت المتاع) والطيب تعبئة اذا هيأته وصنعته وعبأت الطيب أيضا بلا تشديد فأنا أعبؤه وما عبأت بفلان هذا كله بالهمز وعبيت الجيش بلا همز هذا قول الاخفش (بارأت الكرى) والمرأة واستبرأت الجارية واستبرأت ما عندك وبرأته على عليه وبرئت اليه منه كله مهموز فأما باريته في المفاخرة فغير مهموز يقال فلان يباري الريح جودا (أخطأت في الامر) وتخطأت له في المسئلة وتخطيت اليه بالمكروه غير مهموز لانه من الخطوة (نكأت القرحة) أنكؤها اذا قرفتها ونكيت في العدو أنكي نكاية قال أبو النجم * ننكي العدى ونكرم الاضيافا * (ذرأت) يا ربنا الخلق وذروته في الريح وذريته وأذرته الدابة عن ظهرها ألقته (وربأت القوم) حفظتهم وأنا ربيئة لهم وربوت في

فان نور الشمس اذا لم يره الاعمى لا يكون ذلك نقصانا فى استنارته وانما النقص فى بصر الاعمى حيث لم يستطع النظر اليه

على نحت القوافى من معادنها * وما على بأن لا تفهم البقر

(وحيث انتهى بنا القول الى هذا الموضع) فلنرجع الى ما هو غرضنا ومهمنا من الكلام على الايجاز وحده وأقسامه ونوضح ذلك ايضاحا جليا والله الموفق للصواب فنقول حد الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه والتطويل هو ضد ذلك وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكفيك بعضه فى الدلالة عليه كقول الجعير السلولى من أبيات الحماسة

طلوع الثنايا بالمطايا وسابق * الى غاية من يبتدرها يقدم

فصدر هذا البيت فيه تطويل لا حاجة اليه وعجزه من محاسن الكلام المتواصفة وموضع التطويل من صدره أنه قال طلوع الثنايا بالمطايا فان لفظة المطايا فضلة لا حاجة اليها وبيان ذلك أنه لا يخلو الامر فيها من وجهين اما أن يريد انه سابق الهمة الى معالى الامور كما قال الحجاج على المنبر عند وصوله العراق * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * أى أنا الرجل المشهور والسابق الى معالى الامور فان أراد الجعير بقوله طلوع الثنايا ما أشرت اليه فذكر المطايا يفسد ذلك المعنى لان معالى الامور لا يرقى اليها بالمطايا وان أراد الوجه الآخر وهو أنه كثير الاسفار فاختصاصه الثنايا بالذكر دون الارض من المهاوز وغيرها لا فائدة فيه وعلى كلا الوجهين فان ذكر المطايا فضلة لا حاجة اليه وهو تطويل بارد غث فقس على هذا المثال ما يجرى مجراه من التطويلات التى اذا أسقطت من الكلام بقى على حاله لم يتغير شئ وكذلك يجرى الامر فى ألفاظ يوصل بها الكلام فتارة تجىء لفائدة وذلك قليل وتارة تجىء لغير فائدة وذلك كثير وأكثر ما ترد فى الاشعار ليوزن بها الابيات الشعرية وذلك نحو قولهم لعمرى ولعمرك ونحو أصبح وأمسى وظل وأضحى وبات وأشباه ذلك ونحو ياصاحبى وياخليلى وما يجرى هذا المجرى فما جاء منه قول أبى تمام

أقروا لعمرى لحكم السيوف * وكانت أحق بفصل القضاء

فان قوله لعمرى زيادة لا حاجة للمعنى اليها وهى حشو فى هذا البيت لا فائدة فيه الا اصلاح الوزن لا غير ألا ترى أنها من باب القسم وانما يرد القسم فى موضع يؤكد به المعنى المراد اما لانه مما يشك فيه أو مما يعز وجوده أو ما جرى هذا المجرى وهذا البيت الشعرى لا يفتقر معناه الى توكيد قسمى اذ لا شك فى أن السيوف حاكمة وأن كل أحد يقر لحكمها ويذعن لطاعتها وكذلك قوله أيضا اذا أنا لم أعثرات دهر * بليت به الغداة فمن ألوم

فقوله الغداة زيادة لا حاجة للمعنى اليها لانه يتم بدونها الان عثرات الدهر لم تنله الغداة ولا العشى وانما نالته ونيلها اياه لا بد وأن يقع فى زمن من الازمنة كائنا ما كان ولا حاجة الى تعيينه بالذكر وعلى هذا ورد قول البحترى

ما أحسن الايام الا أنها * ياصاحبى اذا مضت لم ترجع

فقوله ياصاحبى زيادة لا حاجة بالمعنى اليها الا انها وردت لتصحيح الوزن لا غير وهذه الالفاظ التى ترد فى الابيات الشعرية لتصحيح الوزن لا عيب فيها الا انا لو عبناها على الشعراء لضجرنا عليهم وضيقنا والوزن يضطر فى بعض الاحوال الى مثل ذلك لكن اذا وردت فى الكلام المنثور فانها ان وردت حشوا ولم ترد لفائدة كانت عيبا وقد ترد فى الابيات الشعرية ويكون ورودها لفائدة وذلك هو الاحسن كقول البحترى

قوم أهانوا الوفر حتى أصبحوا * أولى الانام بكل عرض وافر

بنى فلان وربيت فيهم وربوت من الربو (وصبأت الحمر) اشتريتها وسبيت المدق (وصبأت يارجل) اذا خرجت من شئ الى شئ والصابئون منه وصبوت الى فلانة أصبو من الشوق (ولبأت اللباء) مهموز ولبيت فلانا أجبته (وما فتأت أقول) كذا يعنى لا أزل ولا أفتأ أقوله وما كنت فتيا وله فتيت بغير همز (ورثأت فلانا) اذا قلت فيه مرثية هذا قول البصريين الاخفش وغيره وأما الفراء وغيره من البغداديين فيجعلونه من غلطهم مثل حلأت السويق ورثيت له اذا رحمته (أدأت الشئ) أصبته بداء وأدويته اذا أصبته بشئ فى جوفه فهو دو (وبدأت بهذا الامر) وابتدأته وأبدأت فى الامر وأعدت والله يبدئ ويعيد (وأبديت لى سوءا) أظهرته وبدوت لفلان اذا ظهرت له وبدوت الى البادية (وبرأت من العلة) وبريت القلم (وجرأتك على حتى اجترأت وجريت جريا أى وكالت وكيلا (أردأت فلانا) جعلته ردءا وردأته أى أعنته من قول الله عز وجل ردءا يصدقنى وأرديته من الردى وهو الهلاك (وكلأت الرجل) أكلؤه اذا حرسته وهو فى كلاءة الله وكلبته أصبت كليته وكفأت الاناء قلبته وأكفأته أيضا لغة وكفيتك ما أهمك

﴿باب الافعال التى تهمز والعوام تدع همزها﴾

طأطأت راسى وأبطأت واستبطأت

فقوله أصبحوا بمعنى صاروا أى أنهم صاروا أولى الناس بالاعراض الوافرة وهذه اللفظة لم ترد في هذا البيت حشوا كما وردت في بيتى أبى تمام المقدم ذكرهما (وسأزيد هذا الموضع بيانا) بمثال أضربه للتطويل حتى يستدل به على أمثاله وأشباهه والمثال الذى أضربه هو حكاية أوردت بحضرمنى وذلك أنه جلس الى في بعض الايام جماعة من الاخوان وأخذوا في مفاوضة الاحاديث وانساق ذلك الى ذكر غرائب الوقائع التى تقع في العالم فذكر كل من الجماعة شيأ فقال شخص منهم انى كنت بالجزيرة العمرية في زمن الملك فلان وكنت اذذاك صبيا صغيرا فاجتمعت أنا ونفر من الصبيان في الحارة الفلانية وصعدنا الى سطح طاحون ابنى فلان وأخذنا نلعب على السطح فوقع صبى منا الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغال الطاحون فخفنا أن يكون أذاه فأسرعنا النزول اليه فوجدناه قد وطئه البغل فختنه ختانة صحيحة حسنة لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيرا منها فقال له شخص من الحاضرين والله ان هذا عى فاحش وتطويل كثير لا حاجة اليه فانك بعد أن تذكر أنك كنت صبيا تلعب مع الصبيان على سطح طاحون فوقع صبى منكم الى أرض الطاحون فوطئه بغل من بغال الطاحون فختنه ولم يؤذه ولا فرق بين أن تكون هذه الواقعة في بلد نعرفه أو في بلد لا نعرفه ولو كانت بأقصى المشرق أو بأقصى المغرب لم يكن ذلك قادحا في غرابتها وأما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة العمرية في الحارة الفلانية في طاحون بنى فلان وكان زمن الملك فلان فان مثل هذا كله تطويل لا حاجة اليه والمعنى المقصود يفهم بدونه (فاعلم) أيها الناظر في كتابى هذا أن التطويل هو زيادات الالفاظ في الدلالة على المعانى ومهما أمكنك حذف شئ من اللفظ في الدلالة على معنى من المعانى فان ذلك اللفظ هو التطويل بعينه (وأما الايجاز) فقد عرفتك أنه دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه (وهو ينقسم قسمين أحدهما) الايجاز بالحذف وهو ما يحذف منه المفرد والجملة لدلالة فحوى الكلام على المحذوف ولا يكون اللفظ زائدا معناه على لفظه (والقسم الآخر) ما لا يحذف منه شئ وهو ضربان أحدهما ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير والآخر ما زاد معناه على لفظه ويسمى القصر (واعلم أن القسم الاول) الذى هو الايجاز بالحذف يتنبه له من غير كبير كلفة في استخراجه لمكان المحذوف منه (وأما القسم الثانى) فان التنبه له عسر لانه يحتاج الى فضل تأمل وطول فكرة لخفاء ما يستدل عليه ولا يستنبط ذلك الامن رسخت قدمه في ممارسة علم البيان وصار له خليقة وملكة ولم أجد أحدا علم هذين القسمين بعلامة ولا قيدهما بقيد وقد أشرت الى ذلك فيما يأتى من هذا الباب عند تفصيل أمثلتهما فليؤخذ من هناك (فان قيل) ان هذا التقسيم الذى قسمته في المحذوف وغير المحذوف ليس بصحيح لان المعانى ليست أجساما كالالفاظ حتى يصح التقدير بينهما ثم لو سلمت جواز التقدير في المساواة لم أسلم جواز الزيادة فليس لقائل أن يقول هذا المعنى زائد على هذا اللفظ لانه ان قال ذلك قيل فمن أين فهمت تلك الزيادة الخارجة عن اللفظ وقد علم أن الالفاظ انما وضعت للدلالة على افهام المعانى فان قال انه افهمت من شئ خارج عن اللفظ قيل له فتلك الزيادة بازاء ذلك الشئ الخارج عن اللفظ والباقى مساو للفظ وان قال انها فهمت من اللفظ قيل فكيف تفهم منه وهى زائدة عليه فان قال انها فهمت من تركيبه لان التركيب أمر زائد على اللفظ قيل الالفاظ تدل بانفرادها على معنى وبتركيبها على معنى آخر واللفظ المركب يدل على معنى مركب واللفظ المفرد يدل على معنى مفرد وتلك الزيادة ان أريد بها زيادة معنى المركب على المركب فلا يخلو اما أن تكون تلك الزيادة مفهومة من دلالة اللفظ المركب عليها أو من دلالة

شئ

وتوضأت للصلاة وهيأت وتهيأت وهنأتك بالمولود وتقرأت وتوكأت عليك وترأست على القوم وهنأنى الطعام ومرأنى فاذا أفردوا قالوا أمرأنى وطرأت على القوم ونتأت في البلد وناوأت الرجل اذا عاديته وتبطأته بقدمى ووطئته ووطأت له فراشه وخبأته واختبأت منه وأطفأت السراج وقد استخذأت له وخذأت وخذئت له وقد جشأت نفسى اذا ارتفعت وقد ألفأت الرجل فقمؤ وقد لجأت اليه وألجأته الى كذا ونشأت في بنى فلان ونتأت القرحة تنتأ نتوءا اذا ورمت وقد امرأت عليه ومارزأته شيأ وقد تلكأت تلكؤا وتفيأت تفيؤا وتقيأت تقيؤا وتهيأت تهيؤا وتواطأنا على الامر تواطؤا وكان ذلك عن تواطؤ وتلكؤ وتهيؤ وأشباه ذلك وقد تجشأت تجشؤا وقد استهزأت به وهزأت وهزئت وقد فاجأت الرجل مفاجأة وفجئته أفجأه فجأة وقد مالأته على الامر وقد برأت بفلان أى طلبت المروءة بنقصه وعيبه فأنا متبرئ به وقد قرأت الكتاب وأقرأته منك السلام وفقأت عينه وتفقأت شحما وملأت الاناء وامتلأت وعبأت شيأ وما كنت مليئا ولقد ملؤت بعدى ملاء وما كنت قمئا ولقد قمؤت قماءة وما كنت بذيئا ولقد بذؤت بذاءة وما كنت جريئا ولقد جرؤت جراءة وجرأة وما كنت رديئا ولقد ردؤت رداءة وقد اتكأت وتوكأت على الخشبة وضربته حتى أتكأته وهى

شئ خارج فان كانت مفهومة من دلالته عليها لم تكن زائدة عليه اذ لو كانت زائدة عليه لما دل عليها وان كانت مفهومة من دلالة الشئ الخارج عنه فهى بازاء ذلك الشئ الخارج والباقى مساو للباقى ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أن نقول هذا الذى ذكره كلام شبيه بالسفسطة وهو باطل من وجهين أحدهما أن المعانى اذا كانت لا تزيد على الالفاظ فيلزم من ذلك أن الالفاظ لا تزيد أيضا على المعانى لانهما متلازمان على قياسك ونحن نرى معنى قد دلّ عليه بألفاظ فاذا أسقط من تلك الالفاظ شئ لا ينقص ذلك المعنى بل يبقى على حاله والوجه الآخر أن الايجاز بالحذف أقوى دليلا على زيادة المعانى على الالفاظ لانا نرى اللفظ يدلّ على معنى لم يتضمنه وفهم ذلك المعنى ضرورة لا بد منه فعلمنا حينئذ أن ذلك المعنى الزائد على اللفظ مفهوم من دلالته عليه (فان قيل) ان المعنى الزائد على اللفظ المحذوف لا بد له من تقدير لفظ آخر يدل عليه وتلك الزيادة بازاء ذلك اللفظ المقدر (قلت فى الجواب عن ذلك) هذا لا ينقض ما ذهبت اليه من زيادة المعنى على اللفظ لان المعنى الزائد ظاهر واللفظ الدال عليه مضمر واذا كان مضمرا فلا ينطق به واذا لم ينطق به فكأنه لم يكن وحينئذ يبقى المعنى موجودا واللفظ الدالّ عليه غير موجود وكذلك كل ما يعلم من المعانى بمفهوم الخطاب ألا ترى أنك اذ قلت لمن دخل عليك أهلا وسهلا علم أن الاهل والسهل منصوبان بعامل محذوف تقديره وجدت أهلا ولقيت سهلا لأن لفظتى وجدت ولقيت محذوفتان والمعنى الذى دلتا عليه باق فصار المعنى حينئذ مفهوما مع حذفهما فهو اذا زائد لا محالة وكذلك جميع المحذوفات على اختلافها وتشعب مقاصدها وهذا لا نزاع فيه لبيانه ووضوحه (وقد سنح لى فى زيادة المعنى على اللفظ فى غير المحذوفات دليل أنا أذكره) وهو أنا نجد من الكلام ما يدل على معنيين ودلالته واللفظ واحد والمعانى التى تحته متعددة فأما الذى يدلّ على معنيين فالكنايات جميعها كالذى ورد فى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم أنهم كانوا اذا خرجوا من عنده لا يتفرقون الا عن ذواق وهذا يدل على معنيين أحدهما الطعام أى انهم لا يخرجون من عنده حتى يطعموا الآخر أنهم لا يتفرقون الا عن استفادة علم وأدب يقوم لانفسهم مقام الطعام لاجسامهم وأما الذى يدلّ على ثلاثة معان فكقول أبى الطيب المتنبى

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

فهذا يدل على ثلاثة معان الاول أنه يحسد من أنعم عليه الثانى ضد الاول الثالث أنه يحسد كل ربّ نعمة كائنا من كان أى يحسد من بات فى نعماء نفسه يتقلب وهذا وأمثاله من أدلّ الدليل على زيادة المعنى على اللفظ وهو شئ استخرجته ولم يكن لاحد فيه قول سابق (وحيث فرغنا من الكلام) على هذا الموضع فلنتبعه بذكر أقسام الايجاز المشار اليها أولا وما ينصرف اليه (فنقول) أما الايجاز بالحذف فانه عجيب الامر شبيه بالسحر وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة وتجدك أنطق ما تكون اذا لم تنطق وأتم ما تكون مبينا اذا لم تبين وهذه جملة تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر والاصل فى المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون فى الكلام ما يدلّ على المحذوف فان لم يكن هناك دليل على المحذوف فانه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب ومن شرط المحذوف فى حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام الى شئ غث لا يناسب ما كان عليه أولا من الطلاوة والحسن وقد يظهر المحذوف بالاعراب كقولنا أهلا وسهلا فان نصب الاهل والسهل يدلّ على ناصب محذوف وليس لهذا من الحسن ما للذى لا يظهر بالاعراب وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى

التكأة وأرفأت السفينة حبستها وهذا موضع ترفأ فيه السفن ودرأت فلانا دفعته ودارأته دافعته وروأت فى الامر تظرت فيه وحنأت لحيته بالحناء حتى قنأت من الخضاب تفأتوا وطأطأت بالارض ولطئت وما كانت مائة أمائتها وفأفأت من الفأفاة فى اللسان ونأنأت فى الامر ضعفت واستمرأت الطعام وقد رقأ الدم وأرقأته وقد رفأت الثوب أرفؤه ورفوت لغة وقد هرأت اللحم وأهرأته اذا أنضجته وقد كافأته على ما كان منه وقد أكفأت فى الشعر اكفاء مثل أقويت فيه وقد فثأته عن غضبه وما هدأت البارحة وزنأت فى الجبل صعدته

﴿باب ما يهمز من الاسماء والافعال والعوام تبدل الهمزة فيه أو تسقطها﴾

يقال آكلت فلانا اذا أكلت معه ولا تقل واكلته (وآزيته) حاذيته ولا تقل وازيته وكذلك آجرته الدابة والدار وآخذته بذنبه وآمرته فى أمرى وآخيته وآسيته بنفسى (وآزرته) على الامر أى أعنته وقويته فأما وازرته فصرت له وزيرا وآتيته على الامر هذا كله العوام تجعل الهمزة فيه واوا وهى الدناءة والتكأة ودخل فى مساءة فلان وهى نصاءة القرطاس وما أحسن قراءته للقرآن ومات فلان فجاءة وهى الملاءة للثوب وهى الباءة للنكاح وهى المرآة والجمع مراء هذا كله العوام تسقط الهمزة منه وهو

كقولنا فلان يحل ويعقد فان ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالاعراب وانما يظهر بالنظر الى تمام المعنى أى أنه يحل الامور ويعقدها والذى يظهر بالاعراب يقع فى المفردات من المحذوفات كثيرا والذى لا يظهر بالاعراب يقع فى الجمل من المحذوفات كثيرا (وسأذكر فى كتابى هذا ما وصل الى علمه وهو ينقسم قسمين) أحدهما حذف الجمل والآخر حذف المفردات وقد يرد كلام فى بعض المواضع ويكون مشتملا على القسمين معا (أما القسم الاول) وهو الذى تحذف منه الجمل فانه ينقسم الى قسمين أيضا (أحدهما) حذف الجمل المفيدة التى تستقل بنفسها كلاما وهذا أحسن المحذوفات جميعها وأدلها على الاختصار ولا تكاد تجده الا فى كتاب الله تعالى (والقسم الآخر) حذف الجمل غير المفيدة وقد ورد ههنا مختلطين (وجملته أربعة أضرب الضرب الاول) حذف السؤال المقدر ويسمى الاستئناف (ويأتى على وجهين الوجه الاول) اعادة الاسماء والصفات وهذا يجىء تارة باعادة اسم من تقدم الحديث عنه كقولك أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة يجىء باعادة صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك وهو أحسن من الاول وأبلغ لانطوائه على بيان الموجب للاحسان وتخصيصه (فمما ورد من ذلك) قوله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون والاستئناف واقع فى هذا الكلام على أولئك لانه لما قال الم ذلك الكتاب الى قوله وبالآخرة هم يوقنون اتجه لسائل أن يقول ما بال المستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا (الوجه الثانى) الاستئناف بغير اعادة الاسماء والصفات وذلك كقوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون انى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فخرج هذا القول مخرج الاستئناف لان ذلك من مظان المسئلة عن حاله عند لقاء ربه وكأن قائلا قال كيف حال هذا الرجل عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى لوجهه بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قوله تعالى ياليت قومى يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد ومن هذا النحو قوله عز وجل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب والفرق بين اثبات الفاء فى سوف كقوله تعالى قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم وبين حذف الفاء ههنا فى هذه الآية أن اثباتها وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل وحذفها وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو قسم من أقسام علم البيان تتكاثر محاسنه فاعرفه ان شاء الله تعالى (الضرب الثانى) الاكتفاء بالسبب عن المسبب وبالمسبب عن السبب (فأما الاكتفاء بالسبب عن المسبب) فكقوله تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى له وعليه

ولكنا

جرى بين الجرية والجراءة اذا ضمت أولها فهى على فعلة واذا فتحت أولها فهى على فعالة وهو املاك المرأة ولا يقال ملاك ونحن على أوفاز جمع وفز ولا يقال وفاز وهى الاهليلجة والاهليلج ولا يقال هليلجة وخذ الامر أهبته ولا يقال هبته وفى صدر فلان على احنة ولا يقال حنة وتقول غنيته أغنية وأعطيته الامنية وحدثته أحدوثة وأخبرته بأعجوبة وهى الاترجة والاوقية والجمع أواقى ومن العرب من يخفف فيقول أواق ويقال أصابه أسر اذا احتبس بوله وهو عود أسر ولا يقال يسر وهذا طعام لا يلاغى ملاغة أى لا يوافقنى فأما يلاوى فلا يكون الا من اللوم أن تلوم رجلا ويلومك ويقال لبائع الرؤس رآس ولا يقال رواس ويقال طعام مؤوف تقديره مفعول ولا يقال مايوف ولا ماووف وأنت صاغر صدئ مهموز مقصور وهى الكماة بالهمز والواحدة كمء وما أشأم فلانا وهو مشؤم وقوم مشائيم وقد يئست من الامر أيأس منه يأسا ولا يقال آيست (آساس البنيان) بالمد جمع أس فاذا قصرت فهو واحد يقال أساس وأسس ويقال أحضر المهر للاثناء والارباع فهو محضر ولا يقال حضر (وأصحت السماء) فهى مصحية ولا يقال صحت (وأغامت) وأغيمت وتغيمت وغيمت (وأشلت الشئ) اذا رفعته ولا يقال شلته وشال هو اذا ارتفع (وأرميت العدل) عن

ولكنا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب الذي هو الوحي على عادة اختصارات القرآن لان تقدير الكلام ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحي الى موسى الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي أنت فيهم العمر أى أمد انقطاع الوحي فاندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فأرسلناك وعرّفناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى فالمحذوف اذا جملة مفيدة وهى جملة مطوّلة دل السبب فيها على المسبب وكذلك ورد قوله تعالى عقيب هذه الآية أيضا وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان فى هذا الكلام محذوفا ولولاه لما فهم لانه قال وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وهذا لابد له من محذوف حتى يستقيم نظم الكلام وتقديره ولكن عرّفناك ذلك وأوحيناه اليك رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك فذكر الرحمة التى هى سبب ارساله الى الناس ودل بها على المسبب الذي هو الارسال وأما حذف الجملة غير المفيدة من هذا الضرب فنحو قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علىّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فقوله ولنجعله آية للناس تعليل معلله محذوف أى وانما فعلنا ذلك لنجعله آية للناس فذكر السبب الذي صدر الفعل من أجله وهو جعله آية للناس ودل به على المسبب الذي هو الفعل (ومما ورد من ذلك) فى الاخبار النبوية قصة الزبير بن العوام رضى الله عنه والرجل الانصارى الذي خاصمه فى شراج الحرّة التى يسقى منها النخل فلما حضرا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للزبير اسق ثم أرسل الماء الى جارك فغضب الانصارى وقال يا رسول الله أن كان ابن عمتك فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر وفى هذا الكلام محذوف تقديره أن كان ابن عمتك حكمت له أو قضيت له أو ما جرى هذا المجرى فذكر السبب الذي هو كونه ابن عمته ودل به على المسبب الذي هو الحكم أو القضاء لدلالة الكلام عليه (وأما الاكتفاء بالمسبب عن السبب) فكقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أى اذا أردت قراءة القرآن فاكتفى بالمسبب الذي هو القراءة عن السبب الذي هو الارادة والدليل على ذلك أن الاستعاذة قبل القراءة والذى دلت عليه الآية أنها بعد القراءة كقول القائل اذا ضربت زيدا فاجلس فان الجلوس انما يكون بعد الضرب لا قبله وهذا أولى من تأوّل من ذهب الى أنه أراد فاذا تعوذت فاقرأ فان ذلك قلب لا ضرورة تدعو اليه وأيضا فليس كل مستعيذ واجبة عليه القراءة (وعلى هذا ورد) قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم والوضوء انما يكون قبل الصلاة لا عند القيام اليها لأن القيام اليها هو مباشرة لافعالها من الركوع والسجود والقراءة وغير ذلك وهذا انما يكون بعد الوضوء وتأويل الآية اذا أردت القيام الى الصلاة فاغسل فاكتفى بالمسبب عن السبب وكذلك ورد قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام أحدكم الى الصلاة فليتوضأ أى اذا أراد القيام الى الصلاة وانما يعبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لان الفعل مسبب عن الارادة وهو مع القصد اليه موجود فكان منه بسبب وملابسة ظاهرة (ومن ذلك قوله تعالى) فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا أى فضرب فانفجرت منه فاكتفى بالمسبب الذي هو الانفجار عن السبب الذي هو الضرب (الضرب الثالث) وهو الاضمار على شريطة التفسير وهو أن يحذف من صدر الكلام ما يؤتى به فى آخره فيكون الآخر دليلا على الاول (وهو ينقسم الى ثلاثة أوجه الاول) أن يأتى على طريق

البعير أقيته وتقول اذا ركبت الفرس ارمالك ولا يقال رمالك (وأعقدت الرب) والعسل فهو معقد ولا يقال عقدت الا فى الحلف والخيط وأشباه ذلك (وأزللت له زلة) ولا يقال زللت ومنه قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أزلت اليه نعمة فليشكرها أى من أسديت اليه واصطنعت عنده وقال كثير

وانى وان صدت لمثن وصادق
عليها بما كانت الينا أزلت

أى أحسنت واصطنعت (وأجبرته على الامر) فهو مجبر ولا يقال جبرت الا العظم وجبرته من فقره (وأعجمت الكتاب) ولا يقال عجمته (وأحبست الفرس) فى سبيل الله ولا يقال حبسته (وأغلقت الباب) وأقفلته ولا يقال غلقته ولا قفلته وأقفلت الجند من مبعثهم فقفلوا وقد أغفيت اذا نمت ولا يقال غفوت وقد أنعرت البرذون وأليته وأعذرته وأحكمته ورسنته هذا وحده بلا ألف ويقال أرسنته أيضا أقرد فلان اذا سكت ولا يقال قرد (وأشب الله) قرنه ولا يقال شب (وأعتقت العبد) فعتق ولا يقال عتقته (وأعييت فى المشى) فأنا معى ولا يقال عييت الا فى المنطق وضربه بالسيف فما أحاك فيه وحاك خطأ ويقال ما حك فى صدرى منه شئ وأحذيته من الحذاء وحذوته حذوا (وأخلت فيه الخير) أى رأيت فيه مخيلته (وآذيت فلانا) ولا يقال أذيته (وأصابوه) ولا يقال وفى

الاستفهام فتذكر الجملة الأولى دون الثانية كقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين تقدير الآية أفمن شرح الله صدره للاسلام كمن أقسى قلبه ويدل على المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم (الوجه الثانى) يرد على حد النفى والاثبات كقوله تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا تقديره لا يستوى منكم أنفق من قبل الفتح وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل ويدل على المحذوف قوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا (الوجه الثالث) أن يرد على غير هذين الوجهين فلا يكون استفهاما ولا نفيا واثباتا وذلك كقول أبى تمام

يتجنب الآثام ثم يخافها * فكأنما حسناته آثام

وهذا البيت تختلف نسخ ديوانه فى اثباته فمنها ما يجىء فيه

يتجنب الايام خيفة غيها * فكأنما حسناته آثام

وليس بشىء لان المعنى لا يصح به وكنت مشتغلا عن معناه وقيل كيف ينطبق عجز البيت على صدره واذا تجنب الآثام وخافها فكيف تكون حسناته آثاما فأفكرت فيه وأنعمت نظرى فسنح لى فى القرآن الكريم آية مثله وهى قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وفى صدر البيت اضمار مفسر فى عجزه وتقديره أنه يتجنب الآثام فيكون قد أتى بحسنة ثم يخاف تلك الحسنة فكأنما حسناته آثام وهو على طباق الآية سواء (ومن الاضمار على شريطة التفسير) قول أبى نواس

سنة العشاق واحدة * فاذا أحببت فاستكن

فحذف لفظ الاستكانة من الاول وذكره فى الثانى أى سنة العشاق واحدة وهى الاستكانة فاذا أحببت فاستكن ومن الناس من يقول فاذا أحببت فاستنن وهذا لا معنى له لانه اذا لم يبين سنة العشاق ماهى فبأى شىء يستن المستن بها لكنه ذكر السنة فى صدر البيت من غير بيان ثم بينها فى عجزه (الضرب الرابع) ما ليس بسبب ولا مسبب ولا اضمار على شريطة التفسير ولا استئناف (فأما ما حذف فيه من الجمل المفيدة) فكقوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتونى به فقد حذف من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها فرجع الرسول اليهم فأخبرهم بمقالة يوسف فعجبوا لها أو فصدقوه عليها وقال الملك ائتونى به والمحذوف اذا كان كذلك دل عليه الكلام دلالة ظاهرة لانه اذا ثبتت حاشيتا الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف لدلالة الحاشيتين عليه (وكذلك ورد) قوله تعالى فى هذه السورة أيضا فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين فقد حذف أيضا من هذا الكلام جملة مفيدة تقديرها ثم انهم تجهزوا وساروا الى مصر فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه (وقد ورد هذا الضرب فى القرآن الكريم كثيرا) كقوله تعالى فى سورة القصص وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كى تقر عينها فى هذا محذوف وهو جواب الاستفهام لانها لما قالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم احتاج الى جواب لينتظم عليه ما بعده من رده الى أمه والجواب فقالوا نعم فدلتهم على امرأة فجىء بها وهى أمه ولم يعلموا بمكانها فأرضعته وهذه الجملة الثانية أعنى قوله تعالى فرددناه الى أمه تدل على

المحذوف

(وأعرس الرجل) بامرأته ولا يقال عرس (وهى الاوزة) والاوز والعامة تقول وزة

﴿باب ما لا يهمز والعوام تهمزه﴾

يقولون رجل (أعزب) وانما هو عزب (وهى الكرة) ولا يقال اكرة ويقال اساء سمعا فأساء جابة هكذا بلا ألف وهو اسم بمنزلة الطاقة والطاعة ويقال فلان أعسر يسر وهو الذى يعمل بكلتا يديه ولا يقال ايسر وفلان خير الناس وشر الناس ولا يقال أخير ولا أشر ويقولون (تخطأت) الى كذا وانما هو تخطيت من الخطوة يقال خطوت أخطو قال الله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان بلا همز (ويقولون) أبدأت لى سوءا بالالف وانما هو أبديت لى أى أظهرت من بدا الشىء يبدو (وتقول) نبذت النبيذ (وهزلت) دابتى وعلفتها قال الشاعر

اذا كنت فى قوم عدى لست منهم
فكل ما علفت من خبيث وطيب

(وزكنت) الامر أزكنه أى علمته وأزكنت فلانا كذا أى أعلمته وليس هو فى معنى الظن قال القطامى * زكنت منهم على مثل الذى زكنوا * أى علمت منهم مثل ما علموا منى (ورعبت الرجل) فهو مرعوب (ووتدت) الوتد أتده وتدا (وقرح الدابة) بلا ألف ويقال (أجذع) وأثنى وأربع بالالف (وشغلته) عنك وأشغلته ردىء (وقرشت فلانا امرى ما نجع فيه القول) قال الاعشى

المحذوف لان ردّه الى أمه لم يكن الا بعد ورد الجواب على أخته ودلالتها اياهم على امرأة ترضعه ويكفى هذا الموضع وحده لمن يتبصر فى مواقع المحذوفات وكيفيتها (ومما يجرى على هذا المنهج) قوله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام وقصة الهدهد فى ارساله بالكتاب الى بلقيس قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ انى ألقى الىّ كتاب كريم وفى هذا المحذوف تقديره فأخذ الكتاب وذهب به فلما ألقاه الى المرأة وقرأته قالت يا أيها الملأ (ومن حذف الجمل المفيدة) ما يعسر تقدير المحذوف منه بخلاف ما تقدم ألا ترى أن الآيات المذكورة كلها اذا تأملها المتأمل وجد معانيها متصلة من غير تقدير للمحذوفات التى حذفت منها ثم اذا قدّر تلك المحذوفات سهل تقديرها بديهة النظر والذى أذكره الآن ليس كذلك بل اذا تأمله المتأمل وجده غير متصل المعنى واذا أراد أن يقدّر المحذوف عسر عليه (فمما جاء منه) قوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجّل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أوّاب فهذا الكلام اذا تأمله المتأمل لم يجده متصل المعنى ولم يتبين له مجىء ذكر داود عليه السلام مراداً فالقوله تعالى اصبر على ما يقولون واذا أراد أن يقدر ههنا محذوفاً يوصل به المعنى عسر عليه (وتقديره يحتمل وجهين أحدهما) أنه قال اصبر على ما يقولون وخوّفهم أمر معصية الله وعظّمها فى عيونهم بذكر قصة داود والذى كان نبياً من الانبياء وقد آتاه الله ما آتاه من النبوة والملك العظيم ثم لما زلّ زلة توبّخ بكذا وكذا فما الظن بكم أنتم مع كفركم (والوجه الآخر) أنه قال اصبر على ما يقولون واحفظ نفسك أن تزلّ فى شىء مما كلفته من مصابرتهم واحتمال أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زلّ تلك الزلة فلقى من توبيخ الله ما لقى فهذا الكلام كما تراه يحتاج الى تقدير حتى يتصل بعضه ببعض وهو من أغمض ما يأتى من المحذوفات وبه يتنبه على مواضع أخرى غامضة (وأما ما ورد) من هذا الضرب فى حذف الجمل التى ليست بمفيدة فنحو قوله تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً قال كذلك قال ربك هو علىّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشياً يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً هذا الكلام قد حذف منه جملة دل عليها صدره وهو البشرى بالغلام وتقديرها ولما جاء الغلام ونشأ وترعرع قلنا له يا يحيى خذ الكتاب بقوة فالجملة المحذوفة ليست من الجمل المفيدة (وعلى هذا النهج ورد) قوله تعالى قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى أفعصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرّقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى وقد حذف من هذا الكلام جملة الا أنها غير مفيدة وتقديرها فلما رجع موسى ورآهم على تلك الحال من عبادة العجل قال لأخيه هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعنى (وكذلك) ورد قوله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام من سورة النمل قال أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم

لو أطعموا المنّ والسلوى مكانهم
ما أبصر الناس طعماً فيهم نجعا

شمالات الريح وجنبت وصبت وقبلت ودبرت كل ذلك بلا ألف (رعدت) السماء وبرقت ورعد لى بالقول وبرق قال ابن أحمر

يا جلّ ما بعدت عليك بلادنا
فابرق بأرضك ما بدا لك وارعد

وبعضهم يجيز أرعد وأبرق بيت الكميت

أرعد وأبرق يا يزيـ
ـد فما وعيدك لى بضائر

نعشه الله ينعشه وكبه الله لوجهه يكبه وقد قامت الناقة وصرفت الرجل عما أراد ووقفته على ذنبه وقد سعرت القوم شرا وقد غظته وقد رفدته وقد عبته وقد حدرت السفينة فى الماء هذا كله بلا ألف (لا يفضض) الله فاك لانه من فض يفض ويفضض خطأ (امط) عنا نحّ وامط غيرك

﴿باب ما يشدد والعوام تخففه﴾

(هو العلوّ) مشدد الواو مضموم اللام قال دكين * كان لنا وهو فلوّ نربه * وهذا أمر (مؤام) بتشديد الميم مأخوذ من الامم وهو القرب وهى (الأترجّة) والأترج وأبو زيد يحكى ترنجة وترنج أيضا قال علقمة بن عبدة

يحملن أترجة نضخ العبير بها
كان تطيابها فى الانف مشموم

(والاجاص والاجانة والقبرة والقبر) قال الشاعر

يا لك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضى واصفرى

يقال جاء (أنى) فلان بالتشديد

تكون من الذين لا يهتدون وفي هذا محذوف تقديره فلما جاءه قال ذكر والفاعر شهالان تنكيره لم يكن الابعد أن جيء به اليه وقد أغنى عن المحذوف صدر الكلام وآخره وكان ذلك دليلا عليه (ومما ورد على ذلك شعرا) قول أبي الطيب المتنبي

لا أبغض العيس لكني وقيت بها * قلبي من الهم أو جسمي من السقم

وهذا البيت فيه محذوف تقديره لا أبغض العيس لانضائي اياها في الاسفار ولكني وقيت بها كذا وكذا فالثاني دليل على حذف الاول وهذا موضع يحتاج في استخراجه واستخراج أمثاله الى فكرة وتدقيق نظر (ومما يتصل بهذا الضرب) حذف ما يجيء بعد أفعل كقولنا الله أكبر فان هذا يحتاج الى تمام أي أكبر من كل كبير أو أكبر من كل شيء يتوهم كبيرا أو ما جرى هذا المجرى ومثله يرد قولهم زيد أحسن وجها وأكرم خلقا تقديره أحسن وجها من غيره وأكرم خلقا من غيره أو ما يسد هذا المسد من الكلام وعليه ورد قول البحتري

الله أعطاك المحبة في الورى * وحباك بالفضل الذي لا ينكر

ولأنت أملأ في العيون لديهم * وأجل قدرا في الصدور وأكبر

أي أنت أملأ في العيون من غيرك (وأما القسم الثاني) المشتمل على حذف المفردات فانه يتصرف على أربعة عشر ضربا (الاول) حذف الفاعل والاكتفاء في الدلالة عليه بذكر الفعل كقول العرب أرسلت وهم يريدون جاء المطر ولا يذكرون السماء ومنه قول حاتم

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

يريد النفس ولم يجر لها ذكر (وعلى هذا ورد) قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق والضمير في بلغت للنفس ولم يجر لها ذكر وقد نص عثمان بن جني رحمه الله تعالى على عدم الجواز في حذف الفاعل وهذه الآية وهذا البيت الشعري وهذه الكلمة الواردة عن العرب على خلاف ما ذهب اليه الا أن حذف الفاعل لا يجوز على الاطلاق بل يجوز فيما هذا سبيله وذلك أنه لا يكون الا فيما دل الكلام عليه ألا ترى أن التي تبلغ التراقي انما هي النفس وذلك عند الموت فعلم حينئذ أن النفس هي المرادة وان كان الكلام خاليا عن ذكرها وكذلك قول حاتم حشرجت فان الحشرجة انما تكون عند الموت (وأما قول العرب) أرسلت وهم يريدون أرسلت السماء فان هذه بقية ولونه نظرا الى الحال وقد شاع فيما بينهم أن هذه كلمة تقال عند مجيء المطر ولم ترد في شيء من أشعارهم ولا في كلامهم المنثور وانما يقولها بعضهم لبعض اذا جاء المطر فالفرق بينها وبين حشرجت وبين بلغت التراقي ظاهر وذاك أن حشرجت وبلغت التراقي يفهم منها أن النفس التي حشرجت وأنها هي التي بلغت التراقي وأما أرسلت فلولا شاهد الحال والا لم يجز أن تكون دالة على مجيء المطر ولو قيل في معرض الاستسقاء انا خرجنا نسأل الله فلم نزل حتى أرسلت افهم من ذلك أن التي أرسلت هي السماء ولا بد في الكلام من دليل على المحذوف والا كان لغوا لا يلتفت اليه (الضرب الثاني) حذف الفعل وجوابه (اعلم أن حذف الفعل ينقسم قسمين أحدهما) يظهر بدلالة المعمول عليه كقولهم في المثل أهلك والليل فنصب أهلك والليل يدل على محذوف ناصب تقديره الحق أهلك وبادر الليل وهذا مثل يضرب في التحذير (وعليه ورد) قوله تعالى فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها وما ورد منه في الاخبار النبوية أن جابرا تزوج فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تزوجت قال ثيبا فقال له فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك يريد فهلا تزوجت جارية فحذف الفعل لدلالة الكلام عليه (ومما ورد منه شعرا) قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته الكافية التي يمدح بها عضد الدولة أبا شجاع بن بويه ومطلعها

ومعه (رئي) من الجن كقولك (رعي) وتميم تقول رئي وهي العارية بالتشديد والعواري وهي الدوخلة والقوصرة قال

أفلح من كانت له قوصره
يأكل منها كل يوم مره

وفي خلقه (زعارة) ولا يقال بالتخفيف وهذا (شرشمر) أي شديد ولا يقال شمر وهذا (سام أبرص) مشدد وجمعه سوام أبرص (وآري) الدابة مشدد (وأواري) وكذلك الآخية والاواخي وهذه (فوهة) النهر بالتشديد ولا يقال فوهة وهو (الباري والبارية) قال العجاج * كالخص اذ جلله الباري وهذه (بخاتي وعلالي وسراري وأواقي وأماني) وان شئت خففت وكذلك كل ما كان مشددا تقول تعهدت فلانا وتعهدت عن الامر وتزيد السعر وغيره وكع فلان عن الامر ولا يقال كاع وقد كععت يا رجل ولا يقال كعت وهو (مراق) البطن بالتشديد ولا يقال مراق خفيف قال الاصمعي (عنست المرأة) اذا كبرت ولم تزوج فهي معنسة ولا يقال عنست وأبو زيد يجيزه وقال تعنس عنوسا وهي عانس (وعزت) البلد في كذا وأوعزت ولم يعرف الاصمعي وعزت خفيفة

﴿باب ما جاء خفيفا والعامة تشدده﴾

هي (الرباعية) للسن ولا يقال رباعية وفرس رباع والانثى رباعية مخففة وهي الكراهية والرفاهية والطواعية ورجل شآم والانثى

* فدى لك من يقصر عن مداكا * وسأذكر الموضع الذي حذف منه الفعل وجوابه لتعلق الابيات بعضها ببعض وهي من محاسن ما أوتي به في معنى الوداع ولم يأت لغيره مثلها وهي

اذا التوديع أعرض قال قلبي * عليك الصمت لا صاحبت فاكا
ولولا أن أكثر ما تمني * معاودة لقلت ولا مناكا
قد استشفيت من داء بداء * وأقتل ما أعلك ما شفاكا
فأكتم منك نجوانا وأخفي * هموما قد أطلت لها العراكا
اذا عاصيتها كانت شدادا * وان طاوعتها كانت ركاكا
وكم دون الثوية من حزين * يقول له قدومي ذا بذاكا
ومن عذب الرضاب اذا أنخنا * يقبل رحل تروك والوراكا
يحرم أن يمس الطيب بعدي * وقد علق العبير به وصاكا
يحدث مقلتيه النوم عني * فليت النوم حدث عن نداكا
وما أرضى لمقلته بحلم * اذا انتبهت توهمه ابتشاكا
ولا الا بأن يصغي وأحكي * فليتك لا يتيمه هواكا

فقوله ولا مناكا فيه محذوف تقديره ولا صاحبت مناكا وكذلك قوله ولا الا بأن يصغي وأحكي فان فيه محذوفا تقديره ولا أرضى الا بأن يصغي وأحكي (وأما القسم الآخر) فانه لا يظهر فيه قسم الفعل لانه لا يكون هناك منصوب يدل عليه وانما يظهر بالنظر الى ملاءمة الكلام (فمما جاء منه قوله تعالى) وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة فقوله لقد جئتمونا يحتاج الى اضمار فعل أي فقيل لهم لقد جئتمونا أو فقلنا لهم وقد استعمل هذا في القرآن الكريم في غير موضع كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا فقوله أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا يحتاج الى تقدير الفعل المضمر وكذلك ورد قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما فقوله وان جاهداك لابد له من اضمار القول أي وقلنا له ان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما (ومن هذا الضرب) ايقاع الفعل على شيئين وهو لاحدهما كقوله تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم وهو لامركم وحده وانما المراد أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم لان معنى أجمعوا من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه وقد قرأ أبي رضي الله عنه فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم وهذا دليل على ما أشرت اليه وكذلك هو مثبت في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (ومن حذف الفعل باب يسمى باب اقامة المصدر مقام الفعل) وانما يفعل ذلك اضرب من المبالغة والتوكيد كقوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب قوله فضرب الرقاب أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وفي ذلك اختصار مع اعطاء معنى التوكيد المصدري (وأما حذف جواب الفعل) فانه لا يكون في الامر المحتوم كقوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا فالجزم يخوضوا ويلعبوا لانه ما جواب أمر فذرهم وحذف الجواب في هذا لا يدخل في باب الايجاز لانا اذا قلنا ذرهم أي اتركهم لا يحتاج ذلك الى جواب وكذلك ما يجري مجراه وانما يكون الجواب بالفاء في ماض كقولنا قلت له اذهب فذهب وحينئذ يظهر الجواب المحذوف كقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا الا ترى كيف حذف جواب الامر في هذه الآية فان تقديره فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فذهبا اليهم

شآمية ورجل يمان وامرأة يمانية وفعلت ذلك (طماعية) في معروفك هذا كله بالتخفيف وهو (الدخان) ولا يشدد وتقول للداعي (أمين) فعل الله كذا بقصر الالف وتخفيف الميم وآمين بتطويل الالف وتخفيف الميم ولا تشدد الميم (حمة العقرب) بالتخفيف وجمعها حمات بالتخفيف ورجل (آدار) مطولة الالف خفيفة ولا يقال أدر (وهي الادرة) والادرة وهي (القدوم) والجمع قدم ولا يقال قدوم بالتشديد وهو (عنب ملاحي) مخففة اللام وهو من الملحة والملحة البياض ولا تشدد اللام أنشد الاصمعي

ومن تعاجيب خلق الله غاطية
يعصر منها ملاحي وغربيب

غاطية عالية يقال غطا يغطو قال الاصمعي سمعت عقبة بن رؤبة يقول والنجم قد تصوب كأنه عنقود ملاحي ويقال (غلفت) لحيته بالطيب مخفف ولا يقال غلفت الاصمعي قد (تغلى) بالغالية وتغلل اذا أدخل يده في شاربه ولحيته وهي (لثة الرجل) لما حول أسنانه وجمعها لثات مكسورة اللام مخففة ولا يقال لثة أرض (دوية) وندية وعذية وعذاة أيضا وامرأة (عمية) القلب وعمية عن الصواب ورجل (شج) اذا غص بلقمة وامرأة شجية وويل للشجي من الخلي الشجي خفيف والخلي مشدد وهذا عود (ملتو) ومكان (مستو) والمؤنث ملتوية ومستوية خفيف ورجل (طوى) البطن (وحف) اذا رقت قدماه

فكذبوهم فدمرناهم تدميرا فذكر حاشيتي القصة أولها وآخرها لانهما المقصود من القصة بطولها أعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم (ومن هذا الضرب أيضا) قوله تعالى قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب فجواب الامر من هذا الكلام محذوف تقديره فأرسله معهم ويدلنا على ذلك ما جاء بعده من قوله فلما ذهبوا به كما حذف أيضا في قوله عز وجل وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة انا أنبئكم بتأويله فأرسلون يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان الآية فجواب الامر من هذا الموضع محذوف وتقديره فأرسلوه الى يوسف فأتاه فقال له يوسف أيها الصديق وكذلك قوله تعالى وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه الآية ففي هذا الكلام حذف واختصار استغني عنه بدلالة الحال عليه وتقديره فرجع الرسول الى الملك برسالة يوسف فدعا الملك بالنسوة وقال لهن ما خطبكن (وهكذا ورد قوله تعالى) ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين وقد حذف جواب الامر ههنا وتقديره فأتوه به فلما كلمه وفي سورة يوسف عليه السلام محذوفات كثيرة من أولها الى آخرها فانظر أيها المتأمل الى هذه المحذوفات المذكورة ههنا التي كأنها لم تحذف من هذا الكلام لظهور معناها وبيانه ودلالة الحال عليه وعلى نحو من ذلك ينبغي أن تكون محذوفات الكلام (الضرب الثالث) حذف المفعول به وذلك مما نحن بصدده أخص فان اللطائف فيه أكثر وأعجب كقولنا فلان يحل ويعقد ويبرم وينقض ويضر وينفع والاصل في ذلك على اثبات المعنى المقصود في نفسك للشيء على الاطلاق وعلى هذا جاء قوله تعالى وانه هو أضحك وأبكى وانه هو أمات وأحيى ومن بديع ذلك قوله عز وجل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير فان في هاتين الآيتين قد حذف المفعول به في أربعة أماكن اذ المعنى وجد أمة من الناس يسقون مواشيهم وامرأتين تذودان مواشيهما وقالتا لا نسقي مواشينا فسقى لهما مواشيهما لان الغرض أن يعلم أنه كان من الناس سقي ومن الامرأتين ذود وأنهما قالتا لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء وأنه كان من موسى عليه السلام بعد ذلك سقي فأما كون المسقي غنما أو ابلا أو غير ذلك فخارج عن الغرض وقد ورد في الشعر من هذا النوع قول البعيث بن حريث من أبيات الحماسة

دعاني يزيد بعد ما ساء ظنه * وعبس وقد كانا على حد منكب

وقد علما أن العشيرة كلها * سوى محضري من حاضرين وغيب

فالمفعول الثاني من علما محذوف لان قوله أن العشيرة في موضع مفعول علما الاول وتقدير الكلام قد علما أن العشيرة سوى محضري من حاضرين وغيب لا غناء عندهم أو سواء حضورهم وغيبتهم أو ما جرى هذا المجرى (ومن هذا الضرب أيضا) حذف المفعول الوارد بعد المشيئة والارادة كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم فمفعول شاء ههنا محذوف وتقديره ولو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها أو على نحو من ذلك جاء قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ومما جاء على مثال ذلك شعرا قول البحتري

ورجل (شمر) اذا شمري جلده ومال (نو) اذا ذهب ورجل (نس) اذا اشتكى نساه ورجل (قذى العين) وكلام (خن) من الخنا ورجل (رد) للهالك (وصد) من العطش (وحر) الجوف ورجل (كر) من النعاس هذا كله مخفف والمؤنث منه بالتخفيف (وهذا) موضع (دفء) مهموز مقصور ولا يقال دفيء مشدد ولا ممدود وتقول قد (بقل) وجه الغلام بالتخفيف ولا يقال بقل ويقال (السماني) خفيفة ولا يقال سماني وهي (جديدة) السرج والرحل والجمع جديات وجدد أيضا وهم (المكارون) والواحد مكار وذهبت الى المكارين ولا يقال المكاريين ورماه (بقلاعة) خفيفة اللام وهو ما اقتلعه من الارض ولا يقال قلاعة بالتشديد (وعايرت) المكاييل وعاورتها ولا يقال عيرتها وهم المعايرون ولا يقال المعيرون (ولطخني) بلطخني مخففة (وكذاني) فلان مخففة (وقصر) الصلاة يقصرها مخففة (وقشرت) الشيء أقشره مخففة (وقلبته) ظهر البطن مخففة ولا يقال أقلبته وتقول أراد فلان الكلام (فارتج) عليه ولا يقال ارتج وارتج من الرتاج وهو الباب كأنه أغلق عليه وتقول نظرالي (بمؤخر) عينه مثل مقدم عينه وبردت عيني بالبرود وبردت فؤادي بشربة من ماء أبرده خفيف (طن) الكتاب وطن الحائط ولا يقال طين وأترب الكتاب

﴿باب ما جاء ساكنا والعامة تحركه﴾

لوشئت لم تفسد سماحة حاتم * كرما ولم تهدم مآثر خالد

الاصل فى ذلك لوشئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها فحذف ذلك من الاول استغناء بدلالته عليه فى الثانى وقد تقدم أن من الواجب فى حكم البلاغة أن لا تنطق بالمحذوف ولا تظهره الى اللفظ ولو أظهرت لصرت الى كلام غث ومجئ المشيئة بعد لو وبعد حروف الجزاء هكذا موقوفة غير معداة الى شئ كثير شائع بين البلغاء ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد حتى انهم لا يكادون يبرزون المفعول الا فى الشئ المستغرب كقوله تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء (وعلى هذا الاسلوب) جاء قول الشاعر

ولوشئت أن أبكى دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فلو كان حذو قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى لوجب أن يقول ولو شئت لبكيت دما ولكنه ترك تلك الطريقة وعدل الى هذه لانه أليق فى هذا الموضع وسبب ذلك أنه كان بدعا عجيبا أن يشاء الانسان أن يبكى دما فلما كان مفعول المشيئة مما يستعظم ويستغرب كان الاحسن أن يذكر ولا يضمر (الضرب الرابع) وهو حذف المضاف والمضاف اليه واقامة كل واحد منهما مقام الآخر وذلك باب عريض طويل شائع فى كلام العرب وان كان أبو الحسن الاخفش رحمه الله لا يرى القياس عليه (فأما حذف المضاف) فكقوله تعالى حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فحذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية فى قوله تعالى واسئل القرية أى أهل القرية (ومن ذلك أيضا) قوله عز وجل ولكن البر من اتقى أى خصلة من اتقى وان شئت كان تقديره ولكن ذا البر من اتقى والاول أولى لان حذف المضاف ضرب من الاتساع والخبر أولى بذلك من المبتدا لان الاتساع بحذف الاعجاز أولى منه بحذف الصدور وقد حذف المضاف مكررا فى قوله تعالى فقبضت قبضة من أثر الرسول أى من أثر حافر فرس الرسول وهذا الضرب أكثر اتساعا من غيره ومما جاء منه شعرا قول بعضهم من شعراء الحماسة

اذا لاقيت قومى فاسأليهم * كفى قوما بصاحبهم خبيرا

هل اعفوا عن أصول الحق فيهم * اذا عسرت واقتطع الصدورا

أراد أنه يقتطع ما فى الصدور من الضغائن والاوغام أى يزيل ذلك باحسانه من عفو وغيره فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه (وأما حذف المضاف اليه) فانه قليل الاستعمال فمما جاء منه قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد أى من قبل ذلك ومن بعده وربما أدخل فى هذا الموضع ما ليس منه كقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة قيل أراد ظهر الارض فحذف المضاف اليه وليس كذلك فان الهاء والالف قائمة مقام الارض ألا ترى ان قوله ظهرها يريد به الارض لانه ضمير راجع اليها وكذلك ورد قول جرير

اذا أخذت قيس عليك وخندف * بأقطارها لم تدر من أين تسرح

وهذا الذى عيى ايجاز وانما هو تعريض بالضمير عن الضمير (الضرب الخامس) وهو حذف الموصوف والصفة واقامة كل منهما مقام الآخر ولا يكون اطراده فى كل موضع وأكثره يجئ فى الشعر وانما كانت كثرته فى الشعر دون الكلام المنثور لامتناع القياس فى اطراده (فمما جاء منه فى الشعر) قول البحترى من أبيات فى صفة ايوان كسرى فقال فى ذكر التصاوير التى فى الايوان وذلك أن الفرس كانت تحارب الروم فصوّر واصورة مدينة انطاكية فى الايوان وحرب الروم والفرس عليها فما ذكره فى ذلك قوله

يقال فى اسنانه (حفر) وهو فساد فى أصول الاسنان وحفر رديئة يقال أجد فى بطنى (مغسا) ومغصا وأصله الطعن وهو (شغب) الجند ولا يقال شغب وفى صدره على (وغر) أى توقد من الغضب وأصله من وغرة القيظ وهو شدة حره وروى عن أبى زيد وغر بتسكين الغين وعن الاصمعى وغر بفتحها من وغر يوغر وغرا وجعلت كلام فلان (دبر) اذنى بفتح الدال وتسكين الباء اذا أنت أعرضت عن كلامه وجبل (وعر) ورجل (سمح) وبلد (وحش) وفلان (جحش) الساق) هذا كله بالتسكين وهى (حلقة الباب) وحلقة القوم بتسكين اللام قال أبو عمرو الشيبانى لا يقال حلقة فى شئ من الكلام الا حلقة الشعر جمع حالق مثل كافر وكفرة وظالم وظلمة وفى رأسه (سعفة) وهى داء يصيب الرأس وتقول هما (شرج) واحد أى ضرب واحد ولا يقال شرج وأمر فيه (لبس) والعامة تقول لبس وهو (الجبن) بضم الباء ولا تشدد النون انما شددها بعض الرجاز ضرورة

﴿باب ما جاء محركا والعامة تسكنه﴾

أتحفته (تحفة) وأصابته (تخمة) وهى (اللقطة) لما التقط وتجشأت (جشأة) على فعلة قال الاصمعى ويقال الجشاء ممدود كأنه من باب العطاء والبوال والدوار وهم (نخبة) القوم أى خيارهم وطلعت (الزهرة) النجم قال الشاعر

قد وكلتنى طلتى بالسمره
وأيقظتنى لطلوع الزهره

واذا ماارأيت صورة انطا * كيكية ارتعت بيذوم وفرس
والمنايا مواثل وأنو شر * وان يرى الصفوف تحت الدرس
فى اخضرار من اللباس على أصـ * ـفر يختال فى صبيغة ورس

فقوله على أصفر أى على فرس أصفر وهذا مفهوم من قرينة الحال لانه لما قال على أصفر علم بذلك أنه اراد فرسا أصفر والصفة تأتى فى الكلام على ضربين اما للتأكيد والتخصيص واما للمدح والذم وكلاهما من مقامات الاسهاب والتطويل لا من مقامات الايجاز والاختصار واذا كان الامر كذلك لم يلق الحذف به هذا مع ما ينضاف اليه من الالتباس وضد البيان ألا ترى أنك اذا قلت مررت بطويل لم يبن من هذا اللفظ الممرور به انسان هو أم رمح أم ثوب أم غير ذلك واذا كان الامر على هذا فحذف الموصوف انما هو شئ قام الدليل عليه أو شهدت به الحال واذا استبهم كان حذفه غير لائق ومما يؤكد عندك ضعف حذفه انك تجد من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفه وذلك أن تكون الصفة جملة نحو مررت برجل قام أبوه ولقيت غلاما وجهه حسن ألا تراك لو قلت مررت بقام أبوه ولقيت وجهه حسن لم يجز (وقد ورد) حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه فى غير موضع من القرآن الكريم كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فانه لم يرد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء وانما يريد آية مبصرة فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه ولقد تأملت حذف الموصوف فى مواضع كثيرة فوجدت أكثر وقوعه فى النداء وفى المصدر أما النداء فكقولهم يا أيها الظريف تقديره يا أيها الرجل الظريف وعليه ورد قوله تعالى يا أيها الساحر تقديره يا أيها الرجل الساحر وكذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا تقديره يا أيها القوم الذين آمنوا وأما المصدر فكقوله تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا تقديره ومن تاب وعمل عملا صالحا وقد أقيمت الصفة الشبيهة بالجملة مقام الموصوف المبتدا فى قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك أى قوم دون ذلك (وأما حذف الصفة واقامة الموصوف مقامها) فانه أقل وجودا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه ولا يكاد يقع فى الكلام الا نادرا لمكان استبهامه (فمن ذلك ما حكاه سيبويه رحمه الله) من قولهم سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل وانما حذفت الصفة فى هذا الموضع لما دل من الحال عليه وذلك أنه يحس فى كلام القائل لذلك من التطريح والتطويح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل وأنت تحس هذا من نفسك اذا تأملته وهو أن يكون فى مدح انسان والثناء عليه فتقول كان والله رجلا أى رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو ما جرى هذا المجرى من الصفات وكذلك تقول سألناه فوجدناه انسانا أى انسانا سمحا أو جوادا أو ما أشبهه فعلى هذا ونحوه تحذف الصفة فاما ان عريت عن الدلالة عليها من اللفظ أو الحال فان حذفها لا يجوز وقد تأملت حذفها فوجدته لا يسوغ الا فى صفة تقدمها ما يدل عليها أو تأخر عنها أو فهم ذلك من شئ خارج عنها أما الصفة التى تقدمها ما يدل عليها فقوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فحذف الصفة أى كان يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ويدل على المحذوف قوله فأردت أن أعيبها فان عيبه اياها لم يخرجها عن كونها سفينة وانما المأخوذ هو الصحيح دون المعيب فحذفت الصفة ههنا لانه تقدمها ما يدل عليها وأما التى تأخر عنها ما يدل عليها فقول بعض شعراء الحماسة

كل امرئ ستئيم منه العرس أو منها يئيم

فانه أراد كل امرئ متزوج اذ دل عليه ما بعده من قوله ستئيم منه أو منها يئيم اذ لا تئيم هى الا من

وهى زهرة الدنيا وزهرتها أى حسنها وأخوال النبى صلى الله عليه وعلى آله بنو زهرة بسكون الهاء وهم فى هذا الامر (شرع) واحد بفتح الراء وهو (أحز) من القرع وهو (بثر) يخرج بالفصال يحت أوبارها وأنا أجد فى بدنى (ثقلة) متحركة القاف وثقلة القوم بكسر القاف أثقالهم ولقيت فلانا (بأخرة) مفتوح الخاء أى أخيرا وبعته الشئ بأخرة مكسورة الخاء أى نسيئة مثل نظرة وهو سلف الرجل قال أوس

والفارسية فيهم غير منكرة
فكلهم لابيه ضيزن سلف

وهو (المر والصبر) فأما ضد الجزع فهو الصبر ساكن وهو (قربوس) السرج محرك الراء وهو (عجم) التمر وعجم الرمان للنوى والحب وتقول (هم أكلة رأس) أى قليل كقوم اجتمعوا على رأس يأكلونه وهى (الصلعة والقرعة والنزعة والكشفة والفطسة والقطعة) من الاقطع (والشترة والخرمة) كل هذا بالتحريك (والوسمة) التى يختضب بها بكسر السين (والورشان) بفتح الراء للطائر وهو (الوحل) بفتح الحاء اذا كان مصدرا واذا كان اسما كان وحلا وهو (الاقط والنبق والنمر والكذب والحلف والحبق والضرط) وهى الطيرة وفلان (خيرق) من الناس وقد تملأت (من الشبع) وهى (الضلع) لضلع الانسان والضلع قليلة ويقال اجمل (بحسب) ذاك بفتح السين فان كان فى معنى كفاك فهو بتسكين

زوج ولا ينيم هو الا من زوجة فجاء بعد الموصوف ما دل عليه ولولا ذلك لما صح معنى البيت اذ ليس كل امرئ ينيم من عرس ولا تنيم منه عرس الا اذا كان متزوجا وأما ما يفهم حذف الصفة فيه من شئ خارج عن الكلام فقول النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد فانه قد علم جواز صلاة جار المسجد في غير المسجد من غير هذا الحديث فعلم حينئذ أن المراد به الفضيلة والكمال وهذا شئ لم يعلم من نفس اللفظ وانما علم من شئ خارج عنه (الضرب السادس) وهو حذف الشرط وجوابه (فأما حذف الشرط) فنحو قوله تعالى يا عبادى الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياى فاعبدون فالفاء في قوله تعالى فاعبدون جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضي واسعة فان لم تخلصوا لى العبادة في أرض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص (ومن هذا الضرب) قوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية أي فحلق فعليه فدية وكذلك قولهم الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر أى ان فعل المرء خيرا جزى خيرا وان فعل شرا جزى شرا وعلى نحو من ذلك جاء قوله تعالى ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر تقديره فأفطر فعدة من أيام أخر ولهذا ذهب داود الظاهرى الى الاخذ بظاهر الآية ولم ينظر الى حذف الشرط فأوجب القضاء على المريض والمسافر سواء أفطر أو لم يفطر (ومن حذف الشرط) قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون اعلم أن هذه الفاء التي في قول الشاعر فقد جئنا خراسانا وحقيقتها أنها في جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم ان خراسان أقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسان وآن لنا أن نخلص وكذلك هذه الآية يقول ان كنتم منكرين للبعث فهذا يوم البعث أى فقد تبين بطلان قولكم (وأما حذف جواب الشرط) فكقوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فان جواب الشرط ههنا محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين (الضرب السابع) وهو حذف القسم وجوابه فأما حذف القسم فنحو قولك لأفعلن أى والله لأفعلن أو غير ذلك من الاقسام المحلوف بها وأما حذف جوابه فكقوله تعالى والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل في ذلك قسم لذى حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فجواب القسم ههنا محذوف تقديره ليعذبن أو نحوه ويدل على ذلك ما بعده من قوله ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله سوط عذاب (ومما ينتظم في هذا السلك) قوله تعالى ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شئ عجيب فان معناه ق والقرآن المجيد لتبعثن والشاهد على ذلك ما بعده من ذكر البعث في قوله أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد (وقد ورد هذا الضرب في القرآن كثيرا) كقوله تعالى في سورة النازعات والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فجواب القسم ههنا محذوف تقديره لتبعثن أو لتحشرن ويدل على ذلك ما أتى من بعده من ذكر القيامة في قوله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وكذلك الى آخر السورة (الضرب الثامن) وهو حذف لو وجوابها وذلك من ألطف ضروب الايجاز وأحسنها (فأما حذف لو) فكقوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه

السين وهو (سعف) النخل بفتح السين الواحدة سعفة بفتح العين والسعف أيضا داء كالجرب يأخذ في أفواه الابل بفتح العين فأما السعفة في الرأس فساكنة العين وفلان حسن (السحنة) بفتح الحاء وفلان نغل أى فاسد النسب والعامة تقول نغل وأخذته (الذبحة والذبحة) قال ذلك أبو زيد ولم يعرف الذبحة بالضم واسكان الباء ذهب دمه (هدرا) بفتح الدال

﴿باب ما تصحف فيه العوام﴾

يقولون (الصبير) وهو الثبير بالثاء ويقولون (الزمرد) وهو بالذال معجمة ويقولون (الحلتيث) بالثاء وهو الحلتيت بالتاء ويقولون لعب بالدواب (الجرد) بالدال وهو بالذال معجمة ويقولون ان برذون (فسكل) وهو تصحيف انما هو فسكل وهو الفرس الذي يجئ في الحلبة آخر الخيل ويقولون ملح (أندرانى) وانما هو ذرآنى بفتح الراء وبالذال معجمة وهو من الذرأة والذرأة البياض يقال ذرئ رأسه وقد علته ذرأة ويقولون (شن) عليه درعه وانما هو سن عليه درعه أى صبها وسن الماء على وجهه أى صبه صبا سهلا فأما الغارة فانه يقال فيها شن عليهم الغارة بالشين معجمة أى فرقها ويقولون (نعق الغراب) وذلك خطأ انما يقال نغق بالغين معجمة فأما نعق فهو زجر الراعى الغنم الاصمعى قال الفرس (تقول) توت والعرب تقول توت وقد شاع الفرصاد في الناس كلهم

من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض تقديره ذلك اذ لو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق (وكذلك) ورد قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون تقديره اذ لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون وهذا من أحسن المحذوفات وما جاء من ذلك شعرا قول بعضهم في صدر الحماسة

لو كنت من مازن لم تستبح ابلى * بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
اذا لقام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

فلو في البيت الثاني محذوفة لانها في البيت الاول قد استوفت جوابها بقوله لم تستبح ابلى ثم حذفها في الثاني وتقدير حذفها اذ لو كنت منهم لقام بنصرى معشر خشن أو اذ لو كانوا قومى لقام بنصرى معشر خشن (وأما حذف جواب لو) فانه كثير شائع وذلك كقولك لو زرتنا أو لو ألممت بنا معناه لأحسنا اليك أو لأكرمناك أو ما جرى هذا المجرى (ومما ورد منه في القرآن الكريم) قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب فان جواب لو ههنا محذوف تقديره رأيت أمرا عظيما وحالا هائلة أو غير ذلك مما يجرى مجراه (ومما جاء على نحو من هذا) قوله عز وجل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون تقديره لو يعلمون الوقت الذي يستعجلونه وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام ولا يقدرون على دفعها عن أنفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال ولكن جهلهم به هو الذي هونه عليهم (ومما يجرى على هذا النهج) قوله تعالى لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد فجواب لو في هذا الموضع محذوف كما حذف في قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أى لو أن لى بكم قوة لدفعتكم أو منعتكم أو ما أشبهه وكذلك قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال لكان هذا القرآن وهذا الضرب من المحذوفات أظهر الضروب المذكورة وأوضحها لعلم المخاطب به لان قوله تعالى حكاية عن لوط عليه السلام لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد يتسارع الفهم الى أن الكلام يحتاج الى جواب ومما جاء منه شعرا قول أبي تمام في قصيدته البائية التي يمدح بها المعتصم عند فتحه مدينة عمورية

لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنت * له العواقب بين السمر والقضب

فان هذا محذوف الجواب تقديره لو يعلم الكفر ذلك لأخذ أهبة الحذار أو غير ذلك (واعلم) أن حذف هذا الجواب لا يسوغ في أى موضع كان من الكلام وانما يحذف مادل عليه مكان المحذوف الا ترى أنه قد ورد في القرآن الكريم غير محذوف كقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وهذا ليس كالذى تقدم من الآيات لان تلك علم مكان المحذوف منها وهذه الآية لو حذفت الجواب فيها لم يعلم مكانه لانه يحتمل وجوها منها أن يقال لما آمنوا أو لطلبوا امورا غير ذلك وقد تقدم القول في أول باب الايجاز أنه لا بد من دلالة الكلام على المحذوف (الضرب التاسع) وهو حذف جواب لولا (فمن ذلك قوله تعالى) والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنت الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم فجواب لولا ههنا محذوف تقديره لما أنزل عليكم هذا الحكم بطريق التلاعن وستر عليكم هذه الفاحشة بسببه (وكذلك ورد قوله

تعالى)

﴿باب ما جاء بالسين وهم يقولونه بالصاد﴾

دابة (شموس) ولا يقال شموص وأخذه (قسرا) ولا يقال قصرا وقد قصره اذا احبسه ومنه حور مقصورات في الخيام فأما القسر بالسين فهو القهر وهو (الرسغ) بالسين ولا يقال بالصاد وهو (القريس) بالسين ولا يقال بالصاد وهو (النقس) من المداد بالسين وكسر النون وجمعه انقاس ومثله (أنبار الطعام) واحدها نبر

﴿باب ما جاء بالصاد وهم يقولونه بالسين﴾

يقال أخذته على (القبص) بالصاد وهو الحبل الذى ترسل منه الخيل وهو (قص) الشاة وقصصها ولا يقال قس وهو (صفح) الجبل لوجه الجبل مثل صفح الوجه ومنه الحديث ان موسى صلى الله عليه وسلم مر بابي وصفاح الروحاء تجاوبه ولا يقال سفح الا لما سفح فيه الماء وهو أسفل الجبل فأما السفح الذى ذكره الاعشى في قوله

ترتعى السفح فانه موضع بعينه وتيسه (فارص) وابن فارص أى يقرص اللسان والبرد قارص واقرص البرد وسمك قريس ويقال (بخصت) عينه بالصاد ولا يقال بخستها انما البخس النقصان وأصاب فلان (فرصته) هى (صنجة الميزان) ولا يقال سنجة وهى أعجمية معربة وهو (الصماخ) ولا يقال السماخ وهو (الصندوق) بالصاد وقد (بصق) الرجل و (بزق) وهو البصاق

تعالى) ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم تقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لعجل لكم العذاب أو لفعل بكم كذا وكذا (الضرب العاشر) وهو حذف جواب لما وجواب أما (فأما حذف جواب لما) فكقوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين فان جواب لما ههنا محذوف وتقديره فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما أشبه ذلك مما اكتسباه بهذه المحنة من عظائم الوصف دنيا وآخرة وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرح والسرور بعد تلك الشدة العظيمة (وأما حذف جواب أما) فهو قوله تعالى فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم (الضرب الحادي عشر) وهو حذف جواب اذا فمما جاء منه قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ألا ترى كيف حذف الجواب عن اذا في هذا الكلام وهو مدلول عليه بقوله الا كانوا عنها معرضين كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا ثم قال ودأبهم الاعراض عن كل آية وموعظة (الضرب الثاني عشر) حذف المبتدا والخبر أما حذف المبتدا فلا يكون الا مفردا والاحسن هو حذف الخبر لان منه ما يأتي جملة كقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن وههنا قد حذف خبر المبتدا وهو جملة من مبتدا وخبر وتقديرها واللائي لم يحضن فعدتهن ثلاثة أشهر ومما ورد منه شعرا قول أبي عبادة البحتري

كل عذر من كل ذنب ولكن * أعوز العذر من بياض العذار

وهذا قد حذف منه خبر المبتدا الا أنه مفرد غير جملة وتقديره كل عذر من كل ذنب مقبول أو مسموع أو ما جرى هذا المجرى (الضرب الثالث عشر) وهو حذف لا من الكلام وهي مرادة وذلك كقوله تعالى قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف يريد به لا تفتؤ أي لا تزال فحذفت لا من الكلام وهي مرادة وعلى هذا جاء قول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا * ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي لا أبرح قاعدا فحذفت لا في هذا الموضع وهي مرادة (ومما جاء منه) قول أبي محجن الثقفي لما نهاه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن شرب الخمر وهو اذ ذاك في قتال الفرس بالقادسية

رأيت الخمر صالحة وفيها * مناقب تهلك الرجل الحليما

فلا والله أشربها حياتي * ولا أسقي بها أبدا نديما

يريد لا أشربها فحذف لا من الكلام وهي مفهومة منه (الضرب الرابع عشر) وهو حذف الواو من الكلام واثباتها وأحسن حذوفها في المعطوف والمعطوف عليه واذا لم يذكر الحرف المعطوف به كان ذلك بلاغة وايجازا كقول أنس بن مالك رضي الله عنه كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينامون ثم يصلون ولا يتوضؤن أو قال ثم يصلون لا يتوضؤن فقوله لا يتوضؤن بحذف الواو أبلغ في تحقيق عدم الوضوء من قوله ولا يتوضؤن باثباتها كأنه جعل ذلك حالة لهم لازمة أي أنهم داخلة في الجملة وليست جملة خارجة عن الاولى لان واو العطف تؤذن بانعراد المعطوف عن المعطوف عليه واذا حذفت في مثل هذا الموضع صار المعطوف والمعطوف

والبزاق ولا يقال بسق الا في الطول وقد (أصاخ) فهو مصيخ اذا استمع ولا يقال أساخ

﴿باب ما جاء مفتوحا والعامة تكسره﴾

هو (الكتان) بفتح الكاف (والطيلسان) بفتح اللام (وبنيق) القميص (وألية) الكبش والرجل وألية اليد (وفقار) الظهر هو (الدرهم) وماله دار ولا عقار والعقار النخل وهو (معسكر) القوم بفتح الكاف فاذا كسرتها فهو الرجل وهو (المغتسل) ولا يقال مغتسل انما المغتسل الرجل وأنا نازل بين (ظهرانيهم) وظهريهم بفتح النون وقعدت (حواليه وحوليه) بفتح اللام وكسرها خطأ ومثله (جنبتيه) وهو (الصولجان) بفتح اللام وفلان علك (ربجة) المرأة بالفتح وفلان اهير رشدة وزنية واعية ولاعبته (امرة) مطاعة بالفتح تريد المرة الواحدة من الامر فأما الامرة بالكسر فهي الولاية وهي (دلكة) المنزل وقرأ سورة السجدة وهي (الجفنة) هو (ثدي) المرأة وهو (الجدي) بفتح الجيم وتسكين الدال وجمعه الجداء مكسور الجيم ممدود وهو (اللحي) واللحيان وفلان (خصمي) وهي (اليمين) واليسار بفتح الياء وهي (بضعة) لحم بفتح الباء وهي (الغيرة) بفتح الغين وهو (الرصاص) وهي (الكثرة) بفتح الكاف وهو حب (المحلب) بالفتح فأما المحلب فالقدح الذي يحلب

عليه جملة واحدة وقد جاء مثل ذلك في القرآن الكريم وذلك أنه يذكر جملاً من القول كل واحدة منها مستقلة بنفسها ثم تسرد سرداً بغير عاطف كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر تقديره هذا الكلام لا يألونكم خبالاً وودّوا ما عنتم وقد بدت البغضاء من أفواههم فلما حذفت الواو جاء الكلام أوجز وأحسن طلاوة وأبلغ تأليفاً ونظماً وأمثاله في القرآن الكريم كثير (واعلم) أنه قد حذفت الواو وأثبتت في مواضع فأما اثباتها فنحو قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم وأما حذفها فنحو قوله تعالى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون وعلى هذا فلا يجوز حذف الواو واثباتها في كل موضع وانما يجوز ذلك فيما هذا سبيله من هاتين الآيتين (وأنبيك في ذلك رسماً تتبعه فنقول) اعلم أن كل اسم نكرة جاء خبره بعد إلا يجوز اثبات الواو في خبره وحذفها كقولك ما رأيت رجلاً إلا وعليه ثياب وان شئت قلت إلا عليه ثياب بغير واو فان كان الذي يقع على النكرة ناقصاً فلا يكون إلا بحذف الواو نحو قولك ما أظن درهماً إلا هو كافيك ولا يجوز إلا وهو كافيك بالواو لأن أظن يحتاج الى شيئين فلا يعترض فيه بالواو لأنه يصير كالمكتفي من الأفعال باسم واحد وكذلك جواب ظننت وكان وان وأشباهها خطأ أن تقول ان رجلاً وهو قائم ونحو ذلك ويجوز هذا في ليس خاصة تقول ليس أحد إلا وهو قائم لأن الكلام يتوهم تمامه بليس وبحرف نكرة ألا ترى أنك تقول ليس أحد وما من أحد فجاز فيها اثبات الواو ولم يجز في أظن لأنك لا تقول ما أظن أحداً فأما أصبح وأمسى ورأى فان الواو فيهن أسهل لأنهن توام في حال وكان وأظن ونحوهما بنين على النقص إلا اذا كانت تامة وكذلك لا في التنزيه وغيرها نحو لا رجل وما من رجل فيجوز اثبات الواو فيها وحذفها (واعلم) أن العرب قد حذفت من أصل الألفاظ شيأ لا يجوز القياس عليه كقول بعضهم

كأن ابريقهم ظبي على شرف * مفدّم بسبا الكتان ملثوم

فقوله بسبا الكتان يريد بسبائب الكتان وكذلك قول الآخر

بدر بن جندل حائر لجنوبها * فكأنما تذكى سنابكها الحبا

فهذا وأمثاله مما يقبح ولا يحسن وان كانت العرب قد استعملته فانه لا يجوز لنا أن نستعمله (وأما القسم الثاني من الايجاز) فهو ما لا يحذف منه شئ (وذلك ضربان أحدهما) ما ساوى لفظه معناه ويسمى التقدير (والآخر) ما زاد معناه على لفظه ويسمى الايجاز بالقصر (فأما الايجاز بالتقدير) فانه الذي يمكن التعبير عن معناه بمثل ألفاظه وفي عدتها (وأما الايجاز بالقصر فانه ينقسم قسمين أحدهما) ما دل لفظه على محتملات متعددة وهذا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها (والآخر) ما يدل لفظه على محتملات متعددة ولا يمكن التعبير عنه بمثل ألفاظه وفي عدتها الا بل يستحيل ذلك (ولنورد الآن الضرب الأول الذي هو الايجاز بالتقدير) فمما جاء منه قوله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أي شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فقوله قتل الانسان دعاء عليه وقوله ما أكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله عليه ولا ترى أسلوباً أغلظ من هذا الدعاء والتعجب ولا أخشن مساً ولا أدل على سخط مع تقارب طرفيه ولا أجمع للائمة على قصر متنه ثم انه أخذ في صفة حاله من ابتداء حدوثه الى منتهى زمانه فقال من أي شئ خلقه ثم بين الشئ الذي خلق منه بقوله من نطفة خلقه فقدره أي هيأه لما يصلح له ثم السبيل يسره أي سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذي يختار سلوكه من طريق الخير والشر والأول

اولى

فيه وهو (الوداع) بالفتح وما أكثر (كسب) فلان بفتح الكاف ويقال (ضلع) فلان معك أي ميله يقال ضلعت تضلع ضلعاً وفلان (جرئ) المقدم أي جرئ عند الاقدام وهم (في ليان) من العيش وهي (الدجاجة) والدجاج وهي (شفة) الرجل وهو (جفن) عينه وجفن السيف جميعاً بالفتح وهو يأتيك بالامر من (فصه) وهو فص (الخاتم) وهي (الشتوة والصيفة) بالفتح وهذا جزع (ظفاري) منسوب الى ظفار مدينة باليمن والعامة تقول ظفاري وهو (بثق السيل) وهو (الشقراق) للطائر بفتح الشين وهو (ملاك) عيني بفتح الميم وهي (مرقاة) الدرجة (ومسقاة) الطير وقد يكسران يشبهان بالآلة ولاداة التي يعمل بها وفلان (سكران) بفتح السين وهو (النصراني) بفتح النون وهو (النسر) بفتح النون للطائر والنجم وهو (الابريسم) بفتح الالف والراء وقال بعضهم ابريسم بكسر الالف وفتح الراء وهي (دمشق) وتقول أنافي (مسكك) ان لم أفعل كذا أي في جلدك بفتح الميم وهو (الهندبا) مقصور وآخرون يكسرون الدال ويمدون وهي (الجردقة) بفتح الجيم نزلنا على (ضفة الوادي وضفتيه) بفتح الضاد

﴿باب ما جاء مكسوراً والعامة تفتحه﴾

هو (السرداب والدهليز والانفحة) نزلنا على (ضفة) الوادي وضفتيه

أولى لانه تال لخلقه وتقديره ثم بعد ذلك يكون تيسير سبيله لما يختاره من طريق الخير والشر ثم أماته فأقبره أى جعله ذا قبر يوارى فيه ثم اذا شاء أنشره أى أحياه كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما أمره أى لم يقض مع تطاول زمانه ما أمره الله به يعنى أن انسانا لم يخل من تقصير قط ألا ترى الى هذا الكلام الذى لو أردت أن تحذف منه كلمة واحدة لما قدرت على ذلك لانك كنت تذهب بجزء من معناه والايجاز هو أن لا يمكنك أن تسقط شيأ من ألفاظه (والآيات الواردة من هذا الضرب كثيرة) كقوله تعالى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف فقوله فله ما سلف من جوامع الكلم ومعناه أن خطاياه الماضية قد غفرت له وتاب الله عليه فيها الا أن قوله فله ما سلف أبلغ أى أن السالف من ذنوبه لا يكون عليه انما هو له وكذلك ورد قوله تعالى من كفر فعليه كفره فعليه كفره كلمة جامعة تغنى عن ذكر ضروب من العذاب لان من أحاط به كفره فقد أحاطت به كل خطيئة وعلى نحو من هذا جاء قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فهذه الآية من جوامع الآيات الواردة فى القرآن الكريم وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأها على الوليد بن المغيرة فقال له يا ابن أخى أعد فأعاد النبى صلى الله عليه وسلم قراءتها عليه فقال له ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما هو بقول البشر (ومن هذا النحو) قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وهذه الآيات من قوارع القرآن العجيبة التى دلت على تخويف وارهاب ترق له القلوب وتقشعر منه الجلود وهى مشتملة مع قصرها على حال الانسان منذ خلقه الى حين حشره وحشر غيره من الناس وتصوير ذلك الامر الفظيع فى أسهل لفظ وأقربه وما مررت عليها الا جددت لى موعظة وأحدثت عندى ايقاظا (ومن هذا الضرب) ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه لأبى سلمة عند موته فقال اللهم ارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين لنا وله يا رب العالمين وهذا دعاء جامع بين الايجاز وبين مناسبة الحال التى وقع فيها فأوله مفتتح بالمهم الذى يفتقر اليه المدعو له فى تلك الحال وهو رفع درجته فى الآخرة وثانيه مردف بالمهم الذى يؤثره المدعو له من صلاح حال عقبه من بعده فى الدنيا وثالثه مختتم بالجمع بين الداعى والمدعو له وهذا من الايجاز البليغ الذى هو طباق ما قصد له وكلام النبى صلى الله عليه وسلم كله هكذا كما قال أوتيت جوامع الكلم وكذلك ورد قوله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فانه قال هذا يوم له ما بعده وهو شبيه بقوله تعالى فله ما سلف (ولما جرح عمر بن الخطاب رضى الله عنه) الجراحة التى مات بها اجتمع اليه الناس فجاءه شاب من الانصار وقال أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله وقدم فى الاسلام ما علمت ووليت فعدلت ثم شهادة وهذا كلام سديد قد حوى المعنى المقصود وأتى به فى أوجز لفظ وأحسنه ومع ما فيه من الايجاز فانه مستغرب وسبب استغرابه أنه جعل الشهادة بشرى وأخرجها مخرج المسرة وتلطف فى ذلك فأبلغ ولو أراد الكاتب البليغ والخطيب المصقع أن يأتى بذلك على هذا الوجه لأعوزه (ومن هذا النمط) ما كتبه طاهر بن الحسين الى المأمون عند لقائه عيسى بن ماهان وهزمه اياه وقتله فكتب اليه كتابى الى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يديه وخاتمه فى يدى وعسكره

بكسر الضاد وأصابته (ابردة) بالكسر وهى (الاطرية) وهو (الضفدع) بكسر الدال وطعام (مدود) وتمر (مسوس) بكسر الواو فيهما قال

قد أطعمتنى دقلا حوليا
مدودا مسوسا حجريا

هذا الامر (معرض) لك بكسر الراء أى قد أمكنك من عرضه حلفت له (بالمحرجات) بكسر الراء يريد الايمان التى تحرج وهو (الديوان والديباج) بكسر الدال فيهما (وكسرى) بالكسر هذه الثلاثة بالكسر وهو (النسيان) بكسر النون وسكون السين مصدر نسيت وهذا بسر (مذنب) بكسر النون وكم (سق) أرضك أى حظها من الشرب وسق البطن أيضا بالكسر وهى (صنارة) المغزل بكسر الصاد وهو (الايل) بالكسر ويقال الايل بالضم والوجه الكسر ولا يفتح وهى (المطرقة والمكنسة والمغرفة والمقدحة والمروحة والمصدغة) من الصدغ بالصاد لانها توضع تحته وكذلك (المخدة) من الخد لانها توضع تحته (والمظلة والمسلة والمطهرة) بكسر الميم فيهن وما يفعل أيضا (مقطع ومجز ومخرز) للاشفى (ومبضع) وهى (المشيمة وجوبة الماء) وقتله شر (قتلة) وليس على فلان (محمل) وقعدت له فى (مفرق الطريق) ويقال مفرق وهذا (موطن) قدمك وهو (منسر) الطائر (ومرفق) اليد ولى فى هذا مرفق بكسر الميم فيهن صوف (جزز) بكسر

مصرف تحت أمرى والسلام وهذا من الكتب المختصرة التى حوت الغرض المطوّل وما يكتب فى هذا المقام مثله (ولما أرسل المهلب بن أبى صفرة) أبا الحسن المداينى الى الحجاج بن يوسف يخبره أخبار الازارقة كله كلاما موجزا كالذى نحن بصدد ذكره ههنا وذلك أن الحجاج سأله فقال كيف تركت المهلب فقال أدرك ما أمّل وأمن مما خاف فقال كيف هو لجنده قال والد رؤف قال كيف جنده له قال أولاد بررة قال كيف رضاهم عنه قال وسعهم بفضله وأغناهم بعدله قال كيف تصنعون اذا لقيتم العدوّ قال نلقاهم بجدّنا ويلقونا بجدّهم قال كذلك الجدّ اذا لقى الجدّ قال فأخبرنى عن بنى المهلب قال هم أحلاس القتال بالليل حماة السرج بالنهار قال أيهم أفضل قال هم كحلقة مضروبة لا يعرف طرفاها فقال الحجاج لجلسائه هذا والله هو الكلام الفصل الذى ليس بمصنوع (وقد ورد فى الاخبار النبوية من هذا الضرب شئ كثير) وسأورد منه أمثلة يسيرة فمن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات وهذا الحديث من أجمع الاحاديث للمعانى الكثيرة وذلك أنه يشتمل على جلّ الاحكام الشرعية فان الحلال والحرام اما أن يكون الحكم فيهما بينا لا اختلاف فيه بين العلماء واما أن يكون خافيا يتجاذبه وجوه التأويلات فكل منهم يذهب فيه مذهبا (وكذلك) جاء قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فان هذا الحديث أيضا من جوامع الاحاديث للاحكام الشرعية (ومن ذلك) قوله صلى الله عليه وسلم المضعف أمير الركب وقد ورد آخر هذا الحديث بلفظ آخر فقال صلى الله عليه وسلم سيروا بسير أضعفكم الا أن الاول أحسن لانه أبلغ معنى فان الامير واجب الحكم فهو يتبع واذا كان المضعف أمير الركب كانوا مؤتمرين له فى سيرهم ونزولهم وهذا المعنى لا يوجد فى قوله سيروا بسير أضعفكم (وأحسن من هذا كله) ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم فى حديث مطوّل يتضمن سؤال جبريل عليه السلام فقال من جملته ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقوله تعبد الله كأنك تراه من جوامع الكلم لانه ينوب مناب كلام كثير كأنه قال تعبد الله مخلصا فى نيتك واقفا عند أدب الطاعة من الخضوع والخشوع آخذا أهبة الحذر وأشباه ذلك لان العبد اذا خدم مولاه ناظرا اليه استقصى فى آداب الخدمة بكل ما يجد اليه السبيل وما ينتهى اليه الطوق (ومما أطربنى من ذلك) حديث الحديبية وهو أنه جاء بديل بن ورقاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له انى تركت كعب بن لؤى بن عامر بن لؤى معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان قريشا قد نهكتهم الحرب فان شاؤا ماددناهم مدة ويدعوا بينى وبين الناس فان أظهر عليهم وأحبوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس والا كانوا قد جموا وان أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى هذه ولينفذنّ الله أمره وهذا الحديث من جوامع الكلم وهو من الفصاحة والبلاغة على غاية لا ينتهى اليها وصف الواصف (وأما ما ورد من ذلك شعرا) فقول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وتخصيصه الليل دون النهار مما يسئل عنه وكذلك قوله

ولست بمستبق أخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

وعلى هذا الاسلوب ورد قول الاعشى فى اعتذاره الى أوس بن لام عن هجائه اياه

وانى على ما كان منى لنادم * وانى الى أوس بن لام لتائب

وانى الى أوس ليقبل عذرتى * ويصفح عنى ما حييت لراغب

الجيم وهو جمع جزة وفلان (حبر) من الاحبار بكسر الحاء وقد يقال بفتحها والاجود الكسر وهو (زئبر) الثوب بالهمز وكسر الباء (والزئبق) بالهمز وكسر الباء ودرهم مزأبق ولا يقال درهم مزبق وثوب مزأبر بكسر الباء ومزأبر بفتحها من الزئبر وهذا (جماع) الامر بكسر الجيم أى جلته (والسرع) السرعة ولقيت فلانا (لقاءة) واحدة ولا يقال لقاءة بالفتح ويقال أيضا لقية واحدة وهى (الجنازة) بكسر الجيم وهى (الحدأة) للطائر مكسورة الحاء مهموزة وهو (الاذخر) وجمل (مصك) للشديد ولا يقال مصك وهو (الجراب) بالكسر وهى (الغسلة) التى تجعل فى الرأس ولا يقال غسلة (والبطيخ) بكسر الباء وبصل (حريف) وهو جاهل (جدا) ولا يقال جد او هذه (مقدمة) الجيش وهم (المقاتلة) بالكسر ولا يقال مقدمة ولا مقاتلة (يوشك) أن يكون كذا ولا يقال يوشك ومتاع (مقارب) ولا يقال مقارب وهى (زنفيلجة) بكسر الزاى ولا تفتح وقرأت (المعوذتين) بكسر الواو وتقول فى الدعاء ان عذابك الجد بالكفار (ملحق) بكسر الحاء يعنى لاحق وهو (المنديل) و (القنديل) والسمك (الجرى) والجريث (والاربيان) و (القريب) و (الزنجبيل) وتمرة (برنيانة)

﴿باب ما جاء مفتوحا والعامة تضمه﴾

هى (الترقوة) و (عرقوة) الدلو

ذهب لي حياتي فالحياة لقائم * بشكرك فيها خير ما أنت واهب
سأمحو بمدح فيك اذ أنا صادق * كتاب هجاء سار اذ أنا كاذب

وهذا من المعاني الشريفة في الالفاظ الخفيفة وهو من طنانات الاعشى المشهورة وعلى نحو منه جاء قول الفرزدق

صبحناهم الشمث الجياد كأنها * قطا هيجته يوم ريح أجادله
الى كل حي قد خطبنا بناتهم * بأرعن جرار كثير صواهله
اذا ما التقينا أنكحتنا رماحنا * من القوم أبكارا كراما عقائله
وانا لمناعون تحت لوائنا * حمانا اذا ما عاذ بالسيف حامله

وهذا من محاسن ما يجيء في هذا الباب ومما يجري هذا المجرى قول جرير

تمنى رجال من تميم منيتي * وماذاد عن أحسابهم ذائد مثلي
فلو شاء قومي كان حلمي فيهم * وكان على جهال أعدائهم جهلي

وكذلك ورد قوله متغزلا وهو من محاسن أقواله

سرت الهموم فبتن غير نيام * وأخو الهموم يروم كل مرام
ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الاقوام
ولقد أراك وأنت جامعة الهوى * أثنى بعهدك خير دار مقام
طرقتك صائدة القلوب فليس ذا * حين الزيارة فارجعي بسلام
تجري السواك على أغر كأنه * برد تحدر من متون غمام
لو كان عهدك كالذي حدثتنا * لوصلت ذاك فكان غير رمام
ولقد أراني والجديد الى بلى * في موكب طرف الحديث كرام
لولا مراقبة العيون أريننا * حدق المها وسوالف الآرام
واذا صرفن عيونهن بنظرة * نفذت نوافذها بغير سهام
هل تنفعنك ان قتلن مرقشا * أو ما فعلن بعروة بن حزام

وحلاوة هذا الكلام أحسن من ايجازه ولقد أعوز غيره أن يأتي بمثله حتى أقرباء وازه ومن باب الايجاز الذي يسمى التقدير قول علي بن جبلة

وما لامرئ حاولته عنك مهرب * ولو رفعته في السماء المطالع
بلى هارب ما يهتدي لمكانه * ظلام ولا ضوء من الصبح ساطع

فهذا هو الكلام الذي ألفاظه وفاق معانيه فانه قد اشتمل على مدح رجل بشمول ملكه وعموم سلطانه وأنه لا مهرب عنه لمن يحاوله وان صعد السماء ثم ذكر جميع المهارب في المشارق والمغارب وأشار الى أنه يبلغ الظلام والضياء وذلك مما لم تزد عبارته على المعنى المندرج تحته ولا قصرت عنه ومن هذا الضرب قول أبي نواس وهو من نادر ما يأتي في هذا الموضع

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم * واني على أمثال تلك لحابس
تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها * مها تدريها بالقسي الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

بالفتح قبلت الشيء (قبولا) بفتح القاف وعلى فلان قبول حسن اذا قبلته النفس وهو (الممصوص) بفتح الميم وهو درهم (ستوق) بفتح السين وكلب (سلوقي) بفتح السين أحسبه نسب الى سلوق اليمن وهو (شنف) المرأة بفتح الشين وفعلت ذلك به (خصوصية) واص بين (اللصوصية) هي (الاغلة) واحدة الانامل بفتح الميم وهو (السعوط) و (الغرور) و (السنون) و (الوجور) بفتح أوائلها وثوب (معافري) منسوب الى معافر بفتح الميم وهو (الكوسج) و (الجورب) وتقول (شلت) يده بالفتح تشل شللا وهي (تخوم) الارض والجميع تخم حكاها أبو عمرو الشيباني وسمعت البصريين يقولون تخوم بالضم يذهبون الى انها جميع ويرون واحدها تخم أنشد الاصمعي

يا بني التخوم لا تظلموها
ان ظلم التخوم ذو عقال

بالضم وهو (الوشم والوسم) بالفتح وهو (النشوط) و (الشبوط)

باب ما جاء مضموما والعامة تفتحه

على وجهه (طلاوة) بضم أوله وهي ثياب (جدد) بضم الدال الاولى ولا يقال جدد بفتحها انما الجدد الطرائق قال الله عز وجل ومن الجبال جدد بيض أي طرائق وهذا دقيق (حواري) بضم الحاء وهو من البياض وهي (الجنبذة) بضم الباء والعامة

(ومما انتهى الىّ من أخبار ابن المزرع) قال سمعت الجاحظ يقول لا أعرف شعرا يفضل هذه الابيات التى لابى نواس ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال والله يا أبا عثمان ان هذا هو الشعر ولو نقر لطن فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف ولعمرى ان الجاحظ عرف فوصف وخبر فشكر والذى ذكره هو الحق وعلى هذا الاسلوب جاء قول أبى تمام

ان القوافى والمساعى لم تزل * مثل النظام اذا أصاب فريدا
هى جوهر نثر فان ألفته * بالشعر صار قلائدا وعقودا
فى كل معترك وكل مقامة * يأخذن منه ذمة وعهودا
فاذا القصائد لم تكن خفراءها * لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الأولى * يدعون هذا سوددا محدودا
وتندّ عندهم العلا الا علا * جعلت لها مرر القريض قيودا

(وأما الضرب الثانى) وهو الايجاز بالقصر فان القرآن الكريم ملآن منه وقد تقدم القول أنه قسمان أحدهما ما يدل على محتملات متعددة فمن ذلك قوله تعالى ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى فقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم من جوامع الكلم التى يستدل على قلتها بالمعانى الكثيرة أى غشيهم من الامور الهائلة والخطوب الفادحة ما لا يعلم كنهه الا الله ولا يحيط به غيره (ومن هذا الضرب) قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فجمع فى الآية جميع مكارم الاخلاق لان فى الامر بالمعروف صلة الرحم ومنع اللسان عن الغيبة وعن الكذب وغض الطرف عن المحرمات وغير ذلك وفى الاعراض عن الجاهلين الصبر والحلم وغيرهما (وقال بعض الاعراب) فى دعائه اللهم هب لى حقك وأرض عنى خلقك فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا هو البلاغة (ومن ذلك) قوله عز وجل أولئك لهم الامن فانه دخل تحت الامن جميع المحبوبات وذلك أنه نفى به أن يخافوا شيأ من الفقر والموت وزوال النعمة ونزول النقمة وغير ذلك من أصناف المكاره وأشباه هذا فى القرآن الكريم كثيرة فهو يكثر فى بعض الصور ويقل فى بعض (قال النبى صلى الله عليه وسلم من شاء يرتع فى الرياض الانائق فعليه بآل حم (ومن ذلك) قول النبى صلى الله عليه وسلم الخراج بالضمان وذلك أن رجلا اشترى عبدا فأقام عنده مدة ثم وجد به عيبا فخاصم البائع الى النبى صلى الله عليه وسلم فرده عليه فقال يا رسول الله انه استغل غلامى فقال الخراج بالضمان ومعنى قوله الخراج بالضمان أن الرجل اذا اشترى عبدا فاستغله ثم وجد به عيبا دلسه عليه البائع فله أن يرده ويسترجع الثمن جميعه ولو مات العبد أو أبق أو سرقه سارق كان فى مال المشترى وضمانه عليه واذا كان ضمانه عليه فخراجه له أى له ما تحصل من أجرة عمله (وأما ما ورد شعرا) فقول السموأل بن عاديا الغسانى من جملة أبياته اللامية المشهورة وذلك قوله منها

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها * فليس الى حسن الثناء سبيل

فان هذا البيت قد اشتمل على مكارم الاخلاق جميعها من سماحة وشجاعة وعفة وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك فان هذه الاخلاق كلها من ضيم النفس لانها تجد بحملها ضيما أى مشقة وعناء وقد تقدم القول أن الايجاز بالقصر يكون فيما تضمن لفظه محتملات كثيرة وهذا البيت من ذلك القبيل ولا أعلم أن شاعرا قديما ولا حديثا أتى بمثله وقد أخذه أبو تمام فأحسن فى أخذه وهو

وظلمت نفسك طالبا انصافها * فعجبت من مظلومة لم تظلم

تقضها وهى ما ارتفع من الشئ وأعطيته الشئ (دفعة) وهذه (نقاوة المتاع) ونقايته (وثؤلول) وجمعه ثآليل وهو (النكس) فى العلة وطال (مكثه) فى المكان وهى (الدوامة) و(دوارة) الرأس وبلغت بالعم (النضج) وهو (الخرنوب) والخروب بفتح الخاء وتشديد الراء اذا حذفت النون ولا يقال الخرنوب وهى (الشقوق) فى اليد والرجل ولا يقال الشقاق الا فى قوائم الدابة وجعلته (نصب) عينى وعن أبى زيد (رفق) الله بك ورفق عليك رفقا ومرفقا وأرفق ارفاقا وأخذنى منه (ما قدم وما حدث) ولا يضم حدث فى شئ الا فى هذا الكلام وهو (مرزبان الزأرة) بضم الزاى

﴿باب ما جاء مضموما والعامة تكسره﴾

هو (العلول) بالضم وهى (لعبة) الشطرنج والنرد وغير ذلك تقول اقعد حتى أفرغ من هذه اللعبة وتقول لعبت لعبة واحدة فأما اللعبة بالكسر فمثل الجلسة والركبة تقول هو حسن اللعبة كما تقول هو حسن الجلسة وهى (اللعبة والخصيان) الفراء جاء فلان على (ذكر) بالضم قال ولا يكسر انما يقال ذكرت الشئ ذكرا وأبو عبيدة يجيزهما قال هما لغتان وهو (الفسطاط) بضم الفاء (والمصران) بضم الميم وهو جمع مصير مثل جريب وجربان وجمع الجمع مصارين وهو (جربان القميص) بضم الجيم والراء وهو

فخار في بيته هذا بالمقابلة بين الصدّين في الظلم والانصاف ثم قال فعجبت من مظلومة لم تظلم وهذا أحسن من الاول ومعنى قوله ظلمت نفسك طالبا انصافها أي أنك أكرهتها على مشاق الامور واذا فعلت ذلك فقد ظلمتها ثم انك مع ظلمك اياها قد أنصفتها لانك جلبت اليها أشياء حسنة تكسبها ذكرا جميلا ومجدا مؤثلا فأنت منصف لها في صورة ظالم وكذلك قوله فعجبت من مظلومة لم تظلم أي أنك ظلمتها وما ظلمتها لان ظلمك اياها أدى الى ما هو جميل حسن وهذا القدر في الامثلة كاف في هذا الباب (القسم الآخر من الضرب الثاني في الايجاز بالقصر) وهو الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها وهو أعلى طبقات الايجاز مكانا وأعوزها امكانا واذا وجد في كلام بعض البلغاء فانما يوجد شاذا نادرا (فمن ذلك) ما ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى ولكم في القصاص حياة فان قوله تعالى القصاص حياة لا يمكن التعبير عنه الا بألفاظ كثيرة لان معناه أنه اذا قتل القاتل امتنع غيره عن القتل فأوجب ذلك حياة للناس ولا يلتفت الى ما ورد عن العرب من قولهم القتل أنفى للقتل فان من لا يعلم يظن أن هذا على وزن الآية وليس كذلك بل بينهما فرق من ثلاثة أوجه (الاول) أن القصاص حياة لفظتان والقتل أنفى للقتل ثلاثة ألفاظ (الوجه الثاني) أن في قولهم القتل أنفى للقتل تكريرا ليس في الآية (الثالث) أنه ليس كل قتل نافيا للقتل الا اذا كان على حكم القصاص وقد صاغ أبو تمام هذا المعنى الوارد عن العرب في بعض بيت من شعره فقال

وأخافكم كي تغمدوا أسيافكم * ان الدم المغبر يحرسه الدم

فقوله ان الدم المغبر يحرسه الدم أحسن مما ورد عن العرب من قولهم القتل أنفى للقتل (ويروى) عن معن بن زائدة أنه سأله أبو جعفر المنصور فقال له أيما أحب اليك دولتنا أو دولة بني أمية فقال ذاك اليك فقوله ذاك اليك من الايجاز بالقصر الذي لا يمكن التعبير عنه الا بألفاظ كثيرة لان معنى قوله ذاك اليك وهو لفظتان أنه ان زاد احسانك على احسان بني أمية وأنتم أحب الي وهذه عشرة ألفاظ ﴿فان قيل﴾ كيف لا يمكن التعبير عن ألفاظ بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها وفي المترادف من الالفاظ ما هو دليل على خلاف ذلك فانه اذا قيل راح ثم قيل مدامة أو سلافة كان ذلك سواء وقامت هذه اللفظة مقام هذه اللفظة ﴿قلت﴾ في الجواب ليس كل الالفاظ المترادفة يقوم بعضها مقام بعض ألا ترى أن لفظة القصاص لا يمكن التعبير عنها بما يقوم مقامها ولما عبر عنها بالقتل في قول العرب القتل أنفى للقتل ظهر الفرق بين ذلك وبين الآية في قوله تعالى ولكم في القصاص حياة فالذي أردته أنا انما هو الكلام الذي لا يمكن التعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها فان كان كذلك والا فليس داخلا في هذا القسم المشار اليه (النوع السادس عشر في الاطناب) هذا النوع من الكلام أنعمت نظري فيه وفي التكرير وفي التطويل فلكتني حيرة الشبه بينها طويلا وكنت في ذلك كعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الكلالة حيث قال قد أعياني أمر الكلالة وكنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها كثيرا حتى ضرب في صدري وقال ألا يكفيك أنه الصيف وبعد أن أنعمت نظري في هذا النوع الذي هو الاطناب وجدت ضربا من ضروب التأكيد التي يؤتى بها في الكلام قصد المبالغة ألا ترى أنه ضرب مفرد من بينها برأسه لا يشاركه فيه غيره لان من التأكيد ما يتعلق بالتقديم والتأخير كتقديم المفعول بالاعتراض كالاعتراض بين القسم وجوابه وبين المعطوف والمعطوف عليه وأشباه ذلك وسيأتي الكلام عليه في بابه وهذا الضرب الذي هو الاطناب ليس كذلك (ورأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه) فمنهم من ألحقه بالتطويل الذي

(لبزبون) بضم الباء وهذه عصا (معوجة) ولا يقال معوجة بكسر الميم وهذا قدح (نضار) بضم النون وهو (الرقاق) بمعنى رقيق مثل طويل وطوال ودقيق ودقاق وهو (ظفر اليد) بالضم ولا يقال ظفر

﴿باب ما جاء مكسورا والعامة تفتحه﴾

هو (الخوان) بكسر الخاء وفعلت ذلك (صراحا) بكسر الصاد لانه مصدر صارحت بالامر وداية بيده (قاص) ولا يقال قاص (وهو السواك) بالكسر ولا يقال السواك (وقرمهر يز وشهريز) بالكسر ولا يضم أولهما ويقال نحن (في العلو) وهم (في السفل) ويقال ذهب الرجل علاء وعلوا ولم يذهب سفلا

﴿باب ما جاء على فعلت (بكسر العين) والعامة تقوله على فعلت بفتحها﴾

(قضمت الدابة) الشعير تقضمه مثل خضمت والخضم الاكل بجميع الفم (ولقمت) الطعام و(لعقته) و(لحسته) و(بلعت) اللقمة و(زردتها) و(جرعت) هذه وحدها باللغتين (وقمحت) القمحة (وسففت) السفوف (وفركت) المرأة زوجها تفركه فركا اذا أبغضته وهو رجل مفرك (وقد شركت) الرجل في أمره أشركه شركا (وصدقت) في يمينك و(بررت) وقد (نهكته) الحمى تنهكه نهكا ونهكة (وقد لججت) تلج لجاجة وقد (مضضت) من

هو ضد الايجاز وهو عنده قسم غيره فأخطأ من حيث لا يدري كأبي هلال العسكري والغانمي حتى انه قال ان كتب الفتوح وما جرى مجراها مما يقرأ على عوام الناس ينبغي أن تكون مطوّلة مطنبا فيها وهذا القول فاسد لانه ان عنى بذلك أنها تكون ذات معان متعددة قد استقصى فيها شرح تلك الحادثة من فتح أو غيره فذلك مسلم وان عنى بذلك أنها تكون مكررة المعاني مطوّلة الالفاظ قصد الافهام العامة فهذا غير مسلم وهو مما لا يذهب اليه من عنده أدنى معرفة بعلم الفصاحة والبلاغة ويكفي في بطلانه كتاب الله تعالى فانه لم يعمل لخواص الناس فقط وانما جعل لعوامهم وخواصهم وأكثره لا بل جميعه مفهوم الالفاظ للعوام الا كلمات معدودة وهي التي تسمى غريب القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الاولى المختصة بالالفاظ وعلى هذا فينبغي أن تكون الكتب جميعها مما يقرأ على عوام الناس وخواصهم ذات ألفاظ سهلة مفهومة وكذلك الاشعار والخطب ومن ذهب الى غير ذلك فانه بنجوة عن هذا الفن وعلى هذا فان الاطناب لا يختص به عوام الناس وانما هو للخواص كما هو للعوام وسأبين حقيقته في كتابي هذا وأحقق القول فيه بحيث تزول الشبهة التي خبط أرباب علم البيان من أجلها وقالوا أقوالا لا تعرب عن فائدة (والذي عندي فيه) أنا اذا رجعنا الى الاسماء واشتقاقها وجدنا هذا الاسم مناسبا لمسماه وهو في أصل اللغة مأخوذ من أطنب في الشيء اذا بالغ فيه ويقال أطنبت الريح اذا اشتدت في هبوبها وأطنب في السير اذا اشتد فيه وعلى هذا فان حملناه على مقتضى مسماه كان معناه المبالغة في ايراد المعاني وهذا لا يختص بنوع واحد من أنواع علم البيان وانما يوجد فيها جميعا اذ ما من نوع منها الا ويمكن المبالغة فيه واذا كان الامر كذلك فينبغي أن يفرد هذا النوع من بينها ولا يتحقق افراده الا بذكر حده الدال على حقيقته (والذي يحد به أن يقال) هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة فهذا حده الذي يميزه عن التطويل اذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة وأما التكرير فانه دلالة اللفظ على المعنى مرددا كقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع فان المعنى مردد واللفظ واحد وسيرد بيان ذلك مفصلا في بابه بعد باب الاطناب لاني ذكرت الايجاز ثم الاطناب ثم التكرير وهي أبواب يتبع بعضها بعضا واذا كان التكرير هو ايراد المعنى مرددا فمنه ما يأتي لفائدة ومنه ما يأتي لغير فائدة فأما الذي يأتي لغير فائدة فانه جزء من الاطناب وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتي لفائدة فهو اطناب وليس كل اطناب تكريرا يأتي لفائدة وأما الذي يأتي من التكرير لغير فائدة فانه جزء من التطويل وهو أخص منه فيقال حينئذ ان كل تكرير يأتي لغير فائدة تطويل وليس كل تطويل تكريرا يأتي لغير فائدة وكنت قدمت القول في باب الايجاز بان الايجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير زيادة عليه واذا تقررت هذه الحدود الثلاثة المشار اليها فان مثال الايجاز والاطناب والتطويل مثال مقصد يسلك اليه في ثلاثة طرق فالايجاز هو أقرب الطرق الثلاثة اليه والاطناب والتطويل هما الطريقان المتساويان في البعد اليه الا أن طريق الاطناب تشتمل على متنزه من المنازه لا يوجد في طريق التطويل وسيأتي بيان ذلك بضرب الامثلة التي تسهل من معرفته (والاطناب يوجد) تارة في الجملة الواحدة من الكلام ويوجد تارة في الجمل المتعددة والذي يوجد في الجمل المتعددة أبلغ لاتساع المجال في ايراده (وعلى هذا فانه بجملته ينقسم قسمين القسم الاول) الذي يوجد في الجملة الواحدة من الكلام وهو يرد حقيقة ومجازا (أما الحقيقة) فمثل قولهم رأيته بعيني وقبضته بيدي ووطئته بقدمي وذقته بفمي وكل هذا يظن الظان أنه زيادة لا حاجة اليها ويقول ان الرؤية لا تكون الا بالعين والقبض لا يكون الا باليد والوطء لا يكون الا بالقدم

والدوق

المصيبة أمض مضضا وقد (مصصت) الشراب (ولثمت) فم المرأة ألثمه لثما وقد (نشفت الارض) الماء نشفا (ونشقت) من الرجل ريحا طيبة نشقا (ونشيت) منه نشوة مثله (وبلهت) أبله بلها (ولبيت) ألب لبا (وبششت) بفلان أبش بشاشة (وشهيت) ذلك أشهاه شهوة (ووددت) لو يكون كذا ودا وودادة (ونفد الشيء) ينفد نفادا (ونكد الشيء) نكدا (وضرمت النار) تضرم ضرما (وصدقت وبررت) فأنت تبر

﴿باب ما جاء على فعلت (بفتح العين) والعامة تقول على فعلت (بكسرها)﴾

(نكلت) عن الامر أنكل نكولا و (حرصت) على الامر أحرص وقد (كللت) اذا أعييت أكل كلالا وكلالة (وعمدت) لفلان أعمد له اذا قصدت اليه (وقد جهدت) جهدي وقد (غطست) و (سبحت) في الماء (وعجزت) عن الامر أعجز (وقد ولدت) المرأة وقد (لحنت) فلانا بعيني وقد (عتبت) عليه أعتب وقد (غثت) نفسي تغثي غثيا وغثيانا (وغلت القدر) تغلي غليا وغليانا (ونحل جسمه) ينحل نحولا (وولغ الكلب) في الاناء يلغ ولغا (وخمدت النار) تخمد (وهمدت) تهمد (وأجن الماء) يأجن ولا يقال أجن يأجن هذا قول الاصمعي وقال أبو زيد قد (قنات) و (نقهت) من المرض أنقه بفتح

والذوق لا يكون الا بالفم وليس الامر كذلك بل هذا يقال فى كل شئ يعظم مناله و يعز الوصول اليه فيؤكد الامر فيه على هذا الوجه دلالة على نيله والحصول عليه كقول أبى عبادة البحترى

تأمل من خلال السجف وانظر * بعينك ماشربت ومن سقانى
تجد شمس الضحى تدنو بشمس * الىّ من الرحيق الخسروانى

ولما كان الحضور فى هذا المجلس مما يعز وجوده وكان الساقى فيه على هذه الصفة من الحسن قال انظر بعينك (وعلى هذا ورد) قوله تعالى ذلكم قولكم بأفواهكم فان هذا القول لما كان فيه افتراء عظم الله تعالى على قائله ألا ترى الى قوله تعالى فى قصة الافك اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم فصرح فى هذه الآية بما أشرت اليه من تعظيم الامر المقول وفى مساق الآية المشار اليها جاء قوله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ألا ترى أن مساق الكلام أن الانسان يقول لزوجته أنت علىّ كظهر أمى و يقول لمملوكه يابنى فضرب الله لذلك مثلا الافقال كيف تكون الزوجة أما وكيف يكون المملوك ابنا والجمع بين الزوجية والامومة وبين العبودية والبنوة فى حالة واحدة كالجمع بين القلبين فى الجوف وهذا تعظيم لما قالوه وانكار له ولما كان الكلام فى حال الانكار والتعظيم أتى بذكر الجوف والا فقد علم أن القلب لا يكون الا فى الجوف والتمثيل يصح بقوله ماجعل الله لرجل من قلبين وهو تام لكن فى ذكر الجوف فائدة وهى ما أشرت اليها وفيها أيضا زيادة تصوير للمعنى المقصود لانه اذا سمعه المخاطب به صوّر لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان ذلك أسرع الى انكاره (وعليه ورد) قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم فكما أن القلب لا يكون الا فى الجوف فكذلك السقف لا يكون الا من فوق وهذا مقام ترهيب وتخويف كما أن ذاك مقام انكار وتعظيم ألا ترى الى هذه الآية بكمالها وهى قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ولذكر لفظة فوقهم فائدة لا توجد مع اسقاطها من هذا الكلام وأنت تحس هذا من نفسك فانك اذا تلوت هذه الآية تخيل اليك أن سقفا خرّ على أولئك من فوقهم وحصل فى نفسك من الرعب ما لا يحصل مع اسقاط تلك اللفظة وفى القرآن الكريم من هذا النوع كثير كقوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وكل هذه الآيات انما أطنب فيها بالتأكيد لمعان اقتضته فان النفخ فى الصور الذى تقوم به الاموات من القبور مهول عظيم دل على القدرة الباهرة وكذلك حمل الارض والجبال فلما كانا بهذه الصفة قيل فيهما نفخة واحدة ودكة واحدة أى ان هذا الامر المهول العظيم سهل يسير على الله تعالى يفعل ويمضى الامر فيه بنفخة واحدة ودكة واحدة ولا يحتاج فيه الى طول مدة ولا كلفة مشقة فجئ بذكر الواحدة لتأكيد الاعلام بأن ذلك هين سهل على عظمه وهذه المواضع وأمثالها ترد فى القرآن الكريم و يتوهم بعض الناس أنها ترد لغير فائدة اقتضتها وليس الامر كذلك فان هذه الاسرار البلاغية لا يتنبه لها الا العارفون بها وهكذا يرد ما يرد منها فى كلام العرب (وههنا نكتة لابد من الاشارة اليها) وذاك أنى نظرت فى قوله تعالى نفخة واحدة ودكة واحدة وفى قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى فوجدت ذلك غير مقيس على ما تقدم وسأبينه ببيان شاف فأقول ان قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى انما جئ به لتوازن الفقر التى نظمت

القاف فأما نقهت بكسرها فمعنى فهمت

﴿باب ما جاء على فعلت (بفتح العين) والعامة تقوله على فعلت (بضمها)﴾

(جمد) الماء يجمد (وذبل) الريحان يذبل (وكفلت به) أكفل كفالة (وقبلت به) أقبل قبالة مثله (وخثر) اللبن يخثر ويقال خثر وهى قليلة (وعثرت) أعثر (وضمر) الرجل يضمر (وشحب لونه) يشحب وشحب لغة البصريون يقولون (حمض) الخل (وطمثت) المرأة لاغير (وحلم الرجل) فى نومه بفتح اللام فأما حلم فمن الحلم (بكسر الحاء)

﴿باب ما جاء على يفعل (بضم العين) مما يغير﴾

بزغت الشمس (تبزغ) وهمعت عينه (تهمع) وكعبت المرأة (تكعب) ونهدت (تنهد) وسهم وجهه (يسهم) وكون الرجل (يكون) وسبغ الثوب (يسبغ) ورعدت السماء (ترعد) وبرقت (تبرق) ولبس الشئ (يلبسه) ونكل عن الامر (ينكل) ودرّ الحلب (يدر) وزر القميص (يزره)

﴿باب ما جاء على يفعل (بكسر العين) مما يغير﴾

نعر فهو (ينعر) من الصوت وزحر (يزحر) ونحت (ينحت) وبغمت الظبية (تبغم) ونسج الثوب (ينسجه) وقشرت الشئ (أقشره) ونشرت الثوب (أنشره) وهلك (يهلك) وأبق الغلام (يأبق) نعق بالشاء (ينعق)

السورة كلها عليها وهي والنجم اذا هوى ولو قيل أفرأيتم اللات والعزى ومناة ولم يقل الثالثة الاخرى لكان الكلام عاريا عن الطلاوة والحسن وكذلك لو قيل ومناة الاخرى من غير أن يقال الثالثة لانه نقص في الفقرة الثانية عن الاولى وذلك قبيح وقد تقدم الكلام عليه في باب السجع لكن التأكيد في هذه الآية جاء ضمن التوازن المقرر تبعا وأما نفخة واحدة ودكة واحدة فانما جيء بلفظ الواحدة فيهما وقد علم أن النفخة هي واحدة والدكة هي واحدة لمكان نظم الكلام لان السورة التي هي الحاقة جارية على هذا المنهاج في توازن السجع ولو قيل نفخة من غير واحدة ودكة من غير واحدة ثم قيل بعدهما فيومئذ وقعت الواقعة لكان الكلام منثورا محتاجا الى تمام لكن التأكيد جاء فيهما ضمنا وتبعا واذا تبين ذلك واتضح فاعلم أن الفرق بين هذه الآيات وبين قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ظاهر وذلك ان نفخة هي واحدة ومناة هي الثالثة (وأما ما جاء منه على سبيل المجاز) فقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ففائدة ذكر الصدور ههنا أنه قد تعورف وعلم أن العمى على الحقيقة مكانه البصر وهو أن تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب تشبيه ومثل فلما أريد اثبات ما هو خلاف المتعارف من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج هذا الامر الى زيادة تصوير وتعريف ليتقرر أن مكان العمى انما هو القلوب لا الابصار وهذا موضع من علم البيان كثيرة محاسنه وافرة لطائفه والمجاز فيه أحسن من الحقيقة لمكان زيادة التصوير في اثبات وصف الحقيقي للمجازي ونفيه عن الحقيقي (وأما القسم الثاني المختص بالجمل) فانه يشتمل على ضروب أربعة (الاول) منها أن يذكر الشيء فيؤتى فيه بمعان متداخلة الا أن كل معنى يختص بخصيصة ليست للآخر وذلك كقول أبي تمام

قطعت الى الزابين هباته ❊ التاث مأمور السحاب المسبل

من منة مشهورة وصنيعة ❊ بكر واحسان أغر محجل

فقوله منة مشهورة وصنيعة بكر واحسان أغر محجل تداخلت معانيه اذ المنة والصنيعة والاحسان متقارب بعضه من بعض وليس ذلك بتكرير لانه لو اقتصر على قوله منة وصنيعة واحسان لجاز أن يكون تكريرا ولكنه وصف كل واحدة من هذه الثلاث بصفة أخرجتها عن حكم التكرير فقال منة مشهورة فوصفها بالاشتهار لعظم شأنها وصنيعة بكر فوصفها بالبكارة أي أنها لم يؤت بمثلها من قبل واحسان أغر محجل فوصفه بالغرة والتحجيل أي هو ذو محاسن متعددة فلما وصف هذه المعاني المتداخلة التي تدل على شيء واحد بأوصاف متباينة صار ذلك اطنابا ولم يكن تكريرا ولم أجد في ضروب الاطناب أحسن من هذا الموضع ولا ألطف وقد استعمله أبو تمام في شعره كثيرا بخلاف غيره من الشعراء كقوله

زكي سجاياه تضيف ضيوفه ❊ ويرجى مرجيه ويسئل سائله

فان غرضه من هذا القول انما هو ذكر الممدوح بالكرم وكثرة العطاء الا أنه وصفه بصفات متعددة فجعل ضيوفه تضيف وراجيه يرجى وسائله يسئل وليس هذا تكريرا لانه لا يلزم من كون ضيوفه تضيف أن يكون راجيه مرجوا ولا أن يكون سائله مسؤلا لان ضيفه يستصحب ضيفا طمعا في كرم مضيفه وسائله يسئل أي يعطي السائل عطاء كثيرا فيصير به معطيا وراجيه يرجى أي أنه اذا تعلق به رجاء راج فقد أيقن بالفلاح والنجاح فهو حقيق بأن يرجى لمكان رجائه اياه وهذا أبلغ الاوصاف الثلاثة (الضرب الثاني) يسمى النفي والاثبات وهو أن يذكر الشيء على سبيل النفي ثم يذكر على سبيل الاثبات أو بالعكس ولا بد أن يكون في أحدهما زيادة ليست

وهورت الحرب (أهرها) قال عنترة
حلفت لهم والخيل تردي بنا معا
نزايلهم حتى يهروا العواليا

﴿باب ما جاء على يفعل (بفتح العين) مما يغير﴾

مص (يمص) ولح (يلح) وشم (يشم) ومهنم (يمهنم) اذا خدمهم وعسر على الامر (يعسر) عسرا وقصت عنقه (توقص) وفلان (يبش) بضيفانه والدابة (تقضم) الشعير

﴿باب ما جاء على لفظ ما لم يسم فاعله﴾

تقول (وثئت يده) فهي موثوءة ولا يقال وثئت (وزهي) فلان فهو مزهو ولا يقال زها ولا هو زاه وكذلك (نخي) من النخوة فهو منخو (وعنيت) بالشيء فأنا أعنى به ولا يقال عنيت قال الحرث بن حلزة

وأتانا عن الاراقم انبا
ء وخطب نعنى به ونساء

فاذا أمرت قلت اتعن بفلان واتعن بأمري (ونتجت) الناقة ولا يقال نتجت ويقال قد نتجت ناقتي قال الكميت

وقال المذمر للناتجيـ
ـن متى ذمرت قبلي الارجل

ويقال أنتجت اذا استبان حملها فهي نتوج ولا يقال منتج ويقال أولعت بالامر وأوزعت به سواء ولوعا (وأرعدت) فأنا أرعد وأرعدت فرائصه (ووضعت) في البيع ووكست (وشدهت) عند المصيبة (وبهت الرجل) قال الله عز وجل فبهت الذي كفر قال الكسائي ويقال بهت وبهت وبهت (وسقط) في يده (وأهرع

فى الآخر والا كان تكريرا والغرض به تأكيد ذلك المعنى المقصود (فمما جاء منه) قوله تعالى لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون (واعلم) ان لهذا الضرب من الاطناب فائدة كبيرة وهو من أوكد وجوهه ألا ترى أنه قال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ثم قال انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والمعنى فى ذلك سواء الا أنه زاد فى الثانية قوله وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولولا هذه الزيادة لكان حكم هاتين الآيتين حكم التكرير وهذا الموضع ينبغى أن يتأمل وينعم النظر فيه (وعليه ورد) قوله تعالى الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فقوله يعلمون بعد قوله لا يعلمون من الباب الذى نحن بصدد ذكره ألا ترى أنه نفى العلم عن الناس بما خفى عنهم من تحقيق وعده ثم أثبت لهم العلم بظاهر الحياة الدنيا فكأنهم علموا وما علموا اذ العلم بظاهر الامور ليس بعلم وانما العلم هو ما كان بالباطن من الامور (الضرب الثالث) هو أن يذكر المعنى الواحد تاما لا يحتاج الى زيادة ثم يضرب له مثال من التشبيه كقول أبى عبادة البحترى

ذات حسن لو استزادت من الحسـ * ـن اليه لما أصابت مزيدا
فهى كالشمس بهجة والقضيب الـ * ـلدن قدا والريم طرفا وجيدا

ألا ترى أن الاول كاف فى بلوغ الغاية فى الحسن لانه لما قال لو استزادت لما أصابت مزيدا دخل تحته كل شئ من الاشياء الحسنة الا أن للتشبيه مزية أخرى تفيد السامع تصويرا وتخييلا لا يحصل له من الاول وهذا الضرب من أحسن ما يجئ فى باب الاطناب (وكذلك) ورد قوله

تردد فى خلق سودد * سماحا مرجى وبأسا مهيبا
فكالسيف ان جئته صارخا * وكالبحر ان جئته مثيبا

فالبيت الثانى يدل على معنى الاول لان البحر والسيف للبأس المهيب الا أن فى الثانى زيادة التشبيه التى تفيد تخييلا وتصويرا (الضرب الرابع) أن يستوفى معانى الغرض المقصود من كتاب أو خطبة أو قصيدة وهذا أصعب الضروب الاربعة طريقا وأضيقها بابا لانه يتفرع الى أساليب كثيرة من المعانى وأرباب النظم والنثر يتفاوتون فيه وليس الخاطر الذى يقذف بالدرر فى مثله كالمعدوم الوجود ومثاله ومثال الايجاز مثال مجمل ومفصل (وقد تقدم) القول بأن الايجاز والاطناب والتطويل بمنزلة مقصد يسلك اليه ثلاثة طرق وقد أوردت ههنا أمثلة لهذه الاساليب الثلاثة وجعلتها على هيئة المقصد الذى تسلك اليه الطرق الثلاثة (فمن ذلك) ما ذكرته فى وصف بستان ذات حوائك متعددة فاذا أريد وصفه على حكم الايجاز قيل فيه من كل فاكهة زوجان وهذا كلام الله تعالى وقد جمع جميع أنواع الفاكهة بأحسن لفظ وأخصره واذا أريد وصف ذلك البستان على حكم الاطناب قيل فيه ما أذكره وهو فصل من كتاب أنشأته وهو جنة علت أرضها أن تمسك ماء وغنيت بينبوعها أن تستجدى سماء وهى ذات ثمار مختلفة الغرابة وتربة منجبة وما كل تربة توصف بالنجابة ففيها المشمش الذى يسبق غيره بقدومه ويقذف أيدى الجانين بنجومه فهو يسمو بطيب الفرع والنجار ولو نظم فى جيد الحسناء لاشتبه بقلادة من نضار وله زمن الربيع الذى هو أعدل الازمان وقد شبه بسن

الرجل) فهو مهرع اذا كان يرعد من غضب أو غيره (وأهل) الهلال (واستهل) (وأغمى) على المريض وغمى عليه (وغم) الهلال على الناس

﴿باب ما ينقص منه ويزاد فيه ويبدل بعض حروفه بغيره﴾

هو (السرجين) بالجيم وكسر السين قال الاصمعى هو فارسى لا أدرى كيف أقوله فأقول الروث وهى (القاقوزة) والقازوزة ولا يقال قاقزة وهو (القرقل) باللام القميص الذى لا كمى له وجمعه قراقل والعامة تسميه قرقرا وهى (البالوعة) وفلان يقرأ (بالسليقة) أى بطبيعته لا عن تعليم ويقال للطبيعة السليقة (والشيزى) بالياء خشب أسود ويقال (شتان) ما هما بنصب النون ولا يقال شتان ما بينهما قال الاعشى

شتان ما يومى على كورها
ويوم حيان أخى جابر

وليس قول الآخر

* شتان ما بين اليزيدين فى الندى *

بحجة وشتان بمنزلة قولك (وشكان وسرعان) ذا خروجا وأصله وشك ذا خروجا وسرع ذا خروجا (تأنق) فى الشئ ولا يقال تنوق قال وبعض العرب يقول تنوق (واستخفيت) من فلان ولا يقال اختفيت انما الاختفاء الاستخراج ومنه قيل للنباش مختف قال الله عز وجل يستخفون من الناس ويقال هذا (ماء ملح) ولا يقال مالح قال الله عز وجل هذا عذب فرات

الصافى الاسنان وفيها التفاح الذى رق جلده وعظم قده وتورد خده وطابت أنفاسه فلا بان الوادى ولا رنده واذا نظر اليه وجد منه حظ الشم والنظر ونسبته من سرر الغزلان أولى من نسبته الى منابت الشجر وفيها العنب الذى هو أكرم الثمار طينة وأكثرها ألوان زينة وأول غرس اغترسه نوح عليه السلام عند خروجه من السفينة فقطفه عيل بكف قاطمه ويغرى بالوصف لسان واصفه وفيها الرمان الذى هو طعام وشراب وبه شبهت نهود الكعاب ومن فضله أنه لا نوى له فيرمى نواه ولا يخرج اللؤلؤ والمرجان من فاكهة سواه وفيها التين الذى أقسم الله به تنويها بذكره واستتر آدم عليه السلام بورقه اذ كشفت المعصية من ستره وخص بطول الاعناق فبارى بها من ميل فهو نشوة من سكره وقد وصف بأنه راق طعما ونم جسما وقيل هذا كنيف ملئ شهدا لا كنيف ملئ علما وفيها من ثمرات النخيل ما يزهى بلونه وشكله ويشغل بلذة منظره عن لذة أكله وهو الذى فضل ذوات الافنان بعرجونه ولا تماثل بينه وبين الحلواء هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه وفيها غير ذلك من أشكال الفاكهة وأصنافها وكلها ممدود من أوساطها لا من أطرافها ولقد دخلتها فاستهوتنى حسدا ولم ألم صاحبها على قوله لن تبيد هذه أبدا (فهذا الوصف) على هذه الصورة يسمى اطنابا لانه لم يعر عن فائدة وذلك الاول هو الايجاز لانه اشتمل باختصاره على جميع أصناف الفاكهة (وأما التطويل) فهو أن تعد الاصناف المذكورة تعدادا من غير وصف لطيف ولا نعت رائق فيقال مشمش وتفاح وعنب ورمان ونخل وكذا وكذا وانظر أيها المتأمل الى ما أشرت اليه من هذه الاقسام الثلاثة فى الايجاز والاطناب والتطويل وقس عليها ما يأتى منها (وسأزيد ذلك بيانا بمثال آخر فأقول) قد ورد فى باب الايجاز كتاب كتبه طاهر بن الحسين الى المأمون رحمه الله تعالى يخبره بهزيمة عيسى بن ماهان وقتله اياه وهو كتابى الى أمير المؤمنين ورأس عيسى بن ماهان بين يدى وخاتمه فى يدى وعسكره مصرف تحت أمرى والسلام وهذا كتاب جامع للمعنى شديد الاختصار واذا كتب ما هو فى معناه على وجه الاطناب قيل فيه ما أذكره وهو ما أنشأته مثالا فى هذا الموضع ليعلم به الفرق بين الايجاز والاطناب وهو أصدر كتابه هذا وقد نصر بالفئة القليلة على الفئة الكثيرة وانقلب بالبدا الملائى والمنن القريرة وكان انتصاره بجد أمير المؤمنين لا بجد نصله والجد أغنى من الجيش وان كثرت أمداد خيله ورجله وجئ برأس عيسى بن ماهان وهو على جسد غير جسده وليس له قدم فيقال انه يسعى بقدمه ولا يد فيقال انه يبطش بيده ولقد طال وطوله موذن بقصر شانه وحسدت الضباع الطير على مكانها منه وهو غير محسود على مكانه وأحضر خاتمه وهو الخاتم الذى كان الامر يجرى على نقش أسطره وكان يرجو أن يصدر كتاب الفتح بختمه فحال ورود المنية دون مصدره وكذلك البغى مرتعه وبيل ومصرعه جليل وسيفه وان مضى فانه عند الضرب كليل وقد نطق الفال بأن الخاتم والرأس مشيران بالحصول على خاتم الملك ورأسه وهذا الفتح أساس لما يستقبل بناؤه ولا يستقر البناء الاعلى أساسه والعساكر التى كانت على أمير المؤمنين حربا صارت له سلما وأعطته البيعة علما بفضله وليس من تابع تقليدا لكن هو تابع علما وهم الآن مصرفون تحت الاوامر متحنون بكشف السرائر مطيفون باللواء الذى خصه الله باستفتاح المقالد واستيطاء المنابر وكما سرت خطوات القلم فى أثناء هذا القرطاس فكذلك سرت طلائع الرعب قبل الطلائع فى قلوب الناس وليس فى البلاد ما يغلق بمشيئة الله بابا ولا يحسر نقابا وعلى الله اتمام النعم التى اقتضها واجابة أمير المؤمنين الى مقترحاته التى اقترحها والسلام

سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ويقال سمك مليح ومملوح ولا يقال مالح وقد قال عذافر وليس بحجة

بصرية تزوجت بصريا
يطعمها المالح والطريا

وهو سمك (ممقور) ولا يقال منقور ويقال أعد على كلامك (من رأس) ولا يقال من الرأس قال أبو زيد من رأس ومن الرأس جميعا ورأس السيف قائمه وتقول أنت على رأس أمرك ولا تقل على رأس أمرك ورجل (منهوم) من الطعام ولا يقال نهم وهذا (يوم عرفة) بإهذا غير منون ولا يقال العرفة ويقال قد (فاظ الميت) يفيظ فيظا وبفوظ فوظا هكذا رواه الاصمعى وأنشد لرؤبة

* لا يدفنون منهم من فاظا *

قال ولا يقال فاظت نفسه وحكاها غيره ولا يقال فاضت انما يفيض الماء والدمع وأنشد الاصمعى أيضا

كادت النفس أن تفيظ عليه
اذ ثوى حشو ريطة وبرود

فذكر النفس وجاء بأن مع كاد ويقال (يامن) بأصحابك (وشائم بهم) أى خذ بهم يمينا وشمالا ولا يقال تيامن بهم وقولهم (ياماصان) خطأ انما هو ياماصان وياماصانة قال الشاعر

فان تكن الموسى جرت فوق بظرها
فما وضعت الا ومصان قاعد

وتقول هو أخوه (بلبان) أمه ولا يقال بلبن أمه انما اللبن الذى يشرب من ناقة أو شاة أو غيرهما من البهائم قال الاعشى

وهذا

وهذا الكتاب يشتمل على ما اشتمل عليه كتاب طاهر بن الحسين من المعنى الا أنه فصل ذلك
الاجمال (ولو كتبت على وجه التطويل) الذى لا فائدة فيه لقيل أصدر كتابه فى يوم كذا من شهر
كذا والتقى عسكر أمير المؤمنين بعسكر عدوه الباغى وتطاعن الفريقان وتزاحف الجمعان
وحمى القتال واشتد النزال وترادفت الكتائب وتلاحقت المقانب وقتل عيسى بن ماهان
واحتز رأسه وقطع ونزع الخاتم من يده وخلع وترك جسده طعاما للطيور والسباع والذئاب
والضباع وانجلت الوقعة عن غلب أمير المؤمنين ونصره وخذلان عدوه وقهره والسلام
فهذا الكتاب يشتمل على تطويل لا فائدة فيه لانه كرر فيه معانى يتم الغرض بدونها وذكر
ما لا حاجة اليه فى الاعلام بالواقعة فانظر الى هذه الكتب الثلاثة وتأملها كما تأملت الذى
تقدمها (وبعد ذلك انى أوردك كتابا وتقلدا يوضحان لك فائدة الاطناب أما الكتاب) فانه
كتاب كتبته عن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الى ديوان الخلافة ببغداد
يتضمن فتح البيت المقدس واستنقاذه من أيدى الكفار وذلك فى معارضة كتاب كتبه عبد
الرحيم بن على البيسانى عنه وكان الفتح فى السابع والعشرين من شهر رجب من سنة ثلاث
وثمانين وخمسمائة خلد الله سلطان الديوان العزيز النبوى وجعل أيام دولته أترابا ومناقب
مجدها هضابا وزادها على مرور الايام شبابا وأوسعها توشية واذهابا اذا أوسع غيرها لاشيا
وذهابا ومضها فى الدنيا والآخرة عطاء وفاقا لا عطاء حسابا ومثل جدودها فى عيون الاعداء
شيأ عجابا وأراهم منها وراءهم فى اليقظة ارهابا وارعابا وفى المنام ابلاصعابا تقود خيلا عرابا
لو جمعت العصور فى صعيد واحد لكان هذا العصر عليها فاخرا وفاز بسبق أوائلها وان جاء
آخرا وليس ذلك الا لحظوته بالدولة الناصرية التى كسته حبرا وقلدته دررا ودونت له من
المحامد سيرا وجعلت فى كل ناحية من وجهه شعاعا وقمرا وقيض الله لها من الخادم وليا يوصل
يومه فى طاعتها بأمسه ولا يرى الا ومن نفسه فى خدمتها رقيب على نفسه وطالما سعى بين
يديها بمساع تنص بأخبارها محافل القوم ويقال له فيها ما ضرك ما صنعت بعد اليوم وقد
سلفت منها آيات تماثل فى أشباهها وأضرابها واستؤنف لها الآن واحدة تدعى بأم كتابها
وهى فتح البيت المقدس الذى تفتحت له أبواب السماء وكثرت بأحاديث مجده كواكب الظلماء
واسترد حق الاسلام وطالما سمت الهمم فى طلبه بازاد والماء ومن أحسن ما أتى به أنه آنس
قبلته الثانية بقبلته الاولى وأطال منه كل ما قصرته يد الكفر وكانت هى الطولى وبه صح
لهذا البيت معنى اسمه وانتقل الى الطهارة ونزاهتها عن الرجس ووصمه ولم يحزه الخادم حتى
طوى ما حوله من البلاد المنجدة والغائرة وكان مركز الدائرة فاقتاده وهو طرف من أطراف
الدائرة ولما شارفه نظر منه الى طلة من الظلال ورأى بلدا قد استقر على متن الجبل مثل
الجبل ويطيف به واد تستهزئ صعته بنوب الدهر وقد انعطف على جوانبه انعطاف الحبوة
على الظهر والمسالك اليه مع ذلك ذات تعاريج ومعارج وهى ضيقة مستوعرة يطلق عليها
اسم الطرق ولا يطلق عليها اسم المناهج فلما رآه قال هذا أمنية لمن يرى وعلم حينئذ أن كل
الصيد فى جوف الفرا الا أن لسان حاله خاطبه وهو أفصح الخطاب وقال امدد يدك فليس
دونها من حجاب وكان قد برز من السلاح فى لباس رائع من النقمة وأخرج من السواد الاعظم
ما يخدع العيون والحرب خدعة وما يمنع رقاب البلاد بكثرة السواد ولا يحمى بعوالى الاسوار
بل بعوالى الصعاد وفى يوم كذا وكذا خيم المسلمون فى عقدداره ونزلوا منه نزول الجار الى جانب
جاره ثم ارتادوا موقعا للقتال وان لم يكن هناك موقف يقرب مناله ولا يتسع مجاله واتفق

رضيعى لبان ثدى أم تقاسما
بأسحم داج عوض لا نتفرق
وقال أبو الاسود
دع الخمر تشربها الغواة فاننى
رأيت أخاها مجزئا بمكانها
فالا يكنها أو تكنه فانه
أخوها غذته أمه بلبانها
وتقول هذه غرفة (مجردة) فيها
حوادى القصب والواحد حردى
ولا يقال هردى وتقول (أحشفا
وسوء كيلة) أى تجمع على هذين
والكيلة مثل الجلسة والركبة
وهو (الاربان) والاربون ولا يقال
الربون و(هو الفالوذ) والفالوذق
و(الزماورد) (والقسرقس)
للبعرجس وهو (الزداق)
ولا يقال الرستاق وهو (الشفارج)
للذى تسميه العامة الفشفارج
وجاء فلان (بالضح والريح) أى
جاء بما طلعت عليه الشمس
وجرت عليه الريح ولا يقال الضيح
والضح الشمس قال ذو الرمة
يذكر الحرباء
غدا أكهب الاعلى وراح كأنه
من الضح واستقباله الشمس أخضر
ويقال قد (قوزع) الديك ولا يقال
قنزع وهذه دابة لا ترادف ولا يقال
تردف وقد (عار) الظليم يعار عرارا
اذا صاح ولا يقال عروهى (الكلية)
ولا يقال الكلوة ويقال قد (نثل)
درعه عنه أى ألقاها عنه ولا يقال
نثر درعه ويقال هو (مضطلع)
بحمله أى قوى عليه وهو مفتعل
من الضلاعة ولا يقال مطلع
ويقال ما به من (الطيب) ولا يقال
ما به من الطيبة وقال بعضهم وهو
أبو حاتم (الحلبلاب) هو النبت

الرأى على لسان المنجنيق فى خطبة عقيلية أبلغ خطابا وأدنى من المطلوب طلابا وانه اذا ضرب بعصاه الحجر انبجست عيون أهله دماء كما انبجست عيون الحجر ماء هذا والعزائم تنظر الى هذا الرأى نظر المستجهل وتصدّ عنه صدود المستعجل وتقول ما بارتياد المهل تلك الصعاب ومن انتضى السيف صرحا لم يعنه بلوغ الاسباب والحديد لا يفلح الا بالحديد والركن الشديد لا يصدم الا بركن شديد فعندها صمم الخادم أن يلقى البلد مواثبا لا مواربا وأن يجعل للزحف جانبا وللمنجنيق جانبا ونوى أن يبدى صفحة وجهه أمام الناس وتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاتقاء به اذا اشتد الباس ولا شك أن قلوب الجيوش بمنزلة قلوبها وأن النفاذ لأسنة الرماح لا لكعوبها ولا يشتفى من الوغى الا من كان طرفه أمام طرفه ومن وقف خلف جنوده فقد جعل عزائمهم من خلفه ولما وقع الزحف صورع البلد صراعا بعد أن قورع قراعا ثم هزهزه طوته بيمينها ونشرته بشمالها وأذاقته العذاب الادنى دون العذاب الاكبر من نكالها وبدون ذلك يكون عرك أديمه وعطف شكيمه ولم يكن قتاله بالسهام التى غايتها أن تصف أجنحتها الاطيار وتنال بكلومها من فوق الاسوار بل بالسيوف التى اذا جالدت بلدا أخذت بكظمه وتوغلت فى صميمه وأغنت بسرعة خطواتها اليه عن المنجنيق وابطاء هدمه والسيف ليس بمرتو من النفس التى تطير طائشة عند لقائها جائشة عند استيفائها فالقلب توصف بأنها تجيش اذا كانت أعدادا والنفوس لا تجيش الا اذا كانت عتادا وما يستوى وجوه الاقران فى اقدامها واحجامها فمنها المظلم اذا رابها الروع باشراقها ومنها المشرق اذا شابها الروع باظلامها وكانت وجوه المؤمنين فى هذا المقام أحظى بلباس الاشراق وأتم ابدارا والبدور لا يكون تمامها فى المحاق فمنهم الامن عرض نفسه ليوم العرض ومشى الى جنة عرضها السموات والارض حتى اتسع المكر وضاق بأعداء الله المقر وحرقت أوعار الخنادق وصار الرجاء لمنطقة السور كالمناطق ولم يستشهد منهم الا عدد يسير لا تدخله لام التعريف وكانت أجنحة الملائكة مطيفة بهم فأكرم بالمطاف به وبالمطيف وقد أسعد الله أولئك بالشهادة التى هى الفوز الاكبر وقرنهم بادناء مضاجعهم من الارض المقدسة التى هى أرض المحشر فما يسرهم أن يعودوا الى الدنيا الا للاستزادة من ثواب الجهاد وأيسر ذلك أن أرواحهم فى حواصل طير خضر تعلق من ثمار الجنة الى يوم المعاد ولما رأى الكفار أن صليبهم قد صار خوارا وأن زئيرهم قد انقلب خوارا أذعنت أيديهم باستسلامها وصانعت بالمال عن الرقاب واسترقاقها وبالبلد عن النفوس وحمامها فأبى السيف أن يترك رقابا تغتذى باكلها ويحل من عشقها على مداومة وصالها وأذكر الخادم أن سلف هؤلاء انتزع هذا البلد قسرا وقتل من كان به من المسلمين غدرا وذلك ثأر ذخره الله لك حتى تحظى فى الآخرة بثوابه وتتجمل فى الدنيا بزينة أثوابه والمسلم أخو المسلم يأخذ بدمه وان تطاولت أمداد السنين على قدمه فيا بعد عهد هذا الثأر من ثائره ويا طيب خبره عند سامعه وحسن أثره عند ناظره ولما تحقق العزم على ذلك أشار ذو والرأى بقبول الفدية المبذولة والا يحمل العدو على ما ليست نفسه عليه بمحمولة فان النقد اذا أخرج صار ذا أنياب وأظفار واستضرى حتى يلتحق بالسباع الضوار وهؤلاء اذا رأوا عين القتل تجردوا للقتال وركبوا الاهوال للنجاة من الاهوال ومن يدع الى خطة رشد فليقبلها ومن أشطه عقل الامور فلا يعقلها وعلى كل حال فان الفدية للمسلمين أرغب وأموال يتقوى بها على العدو خير من دماء تذهب هذا وبالبلد من أسارى المسلمين من حياة أحدهم بحياة كل نفس ومن حرمته عند الله خير مما طلعت عليه الشمس ولا يرازى قصمه عنوة أن يتعدى اليهم اضراره ولا شك أنهم يعاجلون بالقتل قبل أن تدخل أقطاره

فراى

الذى تسميه العامة ابلاباروى فى كتاب سيبويه انه الحلب الذى تعتاده الظباء يقال تيس حلب قال الاصمعى الحلب بقلة جعدة غبراء فى خضرة تنسط على وجه الارض يسيل منها لبن اذ قطع منها شئ قال الاصمعى هو (النسا) للعرق ولا يقال عرق النسا كما لا يقال عرق الاكحل ولا عرق الابجل (والدودم) صمغ السمر والنساء تستعمله فى الطراز ويسمونه دميدما وبعضهم يسميه دمادما وهو خطأ انما هو دودم ودوادم واذا قيل لك (تغد) قلت ما بى تغد فاذا قيل لك تعش قلت ما بى تعش ولا يقال ما بى غداء ولا عشاء تقول لقيت (فلانا وفلانة) اذا كنيت عن الآدميين بغير ألف ولام فاذا كنيت عن البهائم قلته بالالف واللام تقول ركبت الفلان وحلبت الفلانة تقول وقع فى الشراب (ذباب) ولا تقول ذبانة والجمع القليل أذبة والكثير ذبان مثل قولهم غراب وأغربة والكثير غربان وهى (آخرة الرحل والسرج) ولا يقال مؤخرة قال أبو زيد هما (خصيان) اذا جمعا فاذا أفردت الواحدة قلت هذه خصية وهما (أليان) فاذا أفردت قلت ألية وأنشد

قد حلفت بالله لا أحبه
ان طال خصياه وقصر زبه

وأنشد

* يرتج أليا ارتجاج الوطب *

قال الاصمعى من قال خصية قال خصيتان ومن قال خصى قال خصيان أبو زيد جاء فلان (دبريا)

فرأى الخادم عند ذلك أن الرأى مشترك وأن له معتركا كما أن السيف له معترك وتقرر تسليم البلد ودموع أهله قد خضبت أحداقها وأقرحت آماقها ولم تطب أنفسهم بفراق مقامه حتى كادت الهام تفارق أعناقها فعلى حب ذلك التراب تقوم قيامتهم وتشيل نعامتهم ولطالما ابتهلوا عنده أيام الحصار واستنصروه فلم يحظوا منه بمعونة الانتصار وكيف يرجى النصر من معبود نفر شيعته بقتله أم كيف يدفع عن غيره من كان هو مبتلى بمثله وهذه عقول سخيفة نفذ فيها كيد شيطانها وأخفى عنها محجة الحق على وضوح بيانها ولقد كان يوم التسليم عرض الغفار زائد العمر على عمر أبويه من الليل والنهار واشتق من اسمه معنى السلامة للمسلمين والهلاك للكفار وزاده فخرا الى فخره أنه وافق اليوم المسفر عن ليلة المعراج النبوى الذى كان فى تلك الارض موعده ومن صخرتها مصعده وذلك هو الاسراء الذى ركب اليه ظهر البراق واستفتح له أبواب السبع الطباق ولو رقى فيه الانبياء على اختلاف درجاتهم فظفر خير ملتق بخير لاق وبركة ذلك اليوم سرت الى هذا فأطالت من شهرته وضمنته نصرة الدين الحنيف الذى لله عناية بنصره وجعلته تاريخا يؤرخ بمثله كما أرخ النبى صلى الله عليه وسلم بدار هجرته واذا أنصف واصفه قال انه اليوم البدرى فى اقتراب النسب وانه الجمعة التى لم تغفل عنها الايام فى صفر وانما أجفلت عنها فى رجب فما أكثر الفائز فيه والمغبون والمسرور والمحزون فمن جدّ راكب ومن جدّ راجل ومن عز قادم وذل راحل ولطالما جدّ الخادم فى السعى له وأبصار العدا تزلقه وألسنتهم تسلقه ومامنهم الامن أكثر الشناعة أن ذلك السعى للاستكثار من البلاد والله يعلم أنه لم يكن الا للاستكثار من موارد الجهاد لاجرم أن صدق النية كان له عقبى الدار وتلك الاقوال الكاذبة كان لها عقبى البوار ويوم هذا الفتح يفتقر فيه الى أيام تجلو بياضه عن سوادها ويلقح لها بطون المساعى حتى يكون هو نتيجة ميلادها ولما ظفر به الخادم لم يكن لاهل الصبابة فيه قول يرد كذابه ولا يقبل صوابه والشهب الطالعة على ذوات البروج أصدق نبأ من الشهب الطالعة من ذوات البروج على أنهما وان اتفقا رجما فانهما يختلفان علما فعلم هذه يسأل عنه نثر الاعناق وعلم هذه يسأل عنه بطون الاوراق ولما دخل البلد وجد به أمما لولا أن ضربت عليهم الذلة لداضوا المنايا مكاثرة وغالبوا السيوف مصابرة وهم طوائف مختلفو الالسنة والالوان وان قيل انهم أناسى فان صورهم صور الجان ومنهم طائفة استشعرت حبس نفوسها وقصت الشعر عن أوساط رؤسها وتوحشت بالرهبانية حتى ارتاعت العيون من أشكالها ولبوسها ولما رأوا طاعة الاسلام داخلة عليهم أعلنوا بالجؤار واصطرخوا جميعا كما يصطرخون غدا فى النار وزادهم غيظا الى غيظهم أنهم رأوا الصلاة قائمة وقد صار الناقوس أذانا وكلمة الكفر ايمانا وأقيمت الجمعة وهى أول جمعة حظى الاقصى بشهودها وحضرتها الائمة الاسلامية بأحمرها وأسودها فى باك بدمعة مسروره البارده ومن مجيل نظره فى نعمة الله الواردة ومن شاكر للزمن الذى أبقاه الى يومه هذا الذى كل الايام له حاسدة ومن كان مولده تقدم قبله أو بعده فكأنه لم يولد وكانت هذه الجمعة فى رابع شعبان وهو الشهر الذى جعله الله طليعة لشهر الصيام وليلة نصفه هى الليلة المعروفة باحياء قيامها الى حين وفاة نفض الظلام والتى يغفر فيها لاكثر من شعر غنم كلب من ذوى الذنوب والآثام وجئ باللواء الاسود فركز من المنبر فى أعلاه ونطق لسان حاله فقال من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه فانا مولاه ولم يكن لسان الخطيب بأفصح بيان من لسانه غير أن هذا يزهى ببلاغ موعظته وهذا يزهى بعزة سلطانه ولما ذكرت سمات الخلافة المعظمة

وجاء فلان آخريا وعن أبى عبيدة رجل (مشناء) يبغضه الناس على مثال مفعال وكذلك فرس مشناء والعامة تقول مشنا وتقول (لايساوى) هذا الشئ درهما ولا يقال يسوى وتقول هو (يزن) يقال وازنته بكذا ولا تقول هو يوزن يقال ولا وزنته بكذا وتقول هو منى (مدى البصر) ولا يقال مدّ البصر والمدى الغاية قال الضعيف بنات بنات أعوج ملجمات

مدى الابصار عليها الفعال

يقولون أتانى الاسود والابيض (والمسموع) أتانى الاسود والاحمر وانما أرادوا أتانى جميع الناس عربهم وعجمهم ويقال كلمت فلانا فما ردّ علىّ (سوداء ولا بيضاء) أى كلمة رديئة ولا حسنة ويقولون (حكنى) موضع كذا من جسدى وهو خطأ انما يقال أكلنى فحككته ويقولون (شق الميت) بصره وهو خطأ انما يقال قد شق بصر الميت ويقولون فلان (مستأهل) لكذا وهو خطأ انما يقال فلان أهل لكذا أما المستأهل فهو الذى يأخذ الاهالة قال الشاعر

لا بل كلى يامى واستأهلى

ان الذى أنفقت من ماليه

ويقولون سكران (ملطخ) وهو خطأ انما هو سكران ملتخ أى مختلط ومنه يقال التخ عليهم أمرهم أى اختلط ويقولون (توفر وتحمد) والمسموع توفر وتحمد من قولك قد وفرت عرضه أفره وفرا ويقولون فلان (يتندى) علينا وهو خطأ انما هو يتندى علينا كما يقال يتسخى ويقولون

أتبعوا الناس بالدعاء الذي ملأ المسجد بضجيجه وسبق الكرام الكاتبون بزميله الى السماء ووشيجه وكان اليوم فصلا والموقف حفلا وذلك لدعاء فرض الانفلا ولا ينتهي الوصف الى ماشهد بالبلد من الآثار العجيبة التي تستلبث العجلان وتستجلب الاذهان وتستنطق الالسنة بالتسبيح لله الذي فطر الانسان ومن جملة ذلك ماتبوهي في حسنه من البيع والصوامع ذوات الابنية الروائع التي روضت بالزخارف ترويض الازهار ورفعت معاقدها حتى كادت النجوم توحي اليها بالاسرار ومامنها الا ما يقال انه ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ولقد ألان الله لهم الحجارة حتى تخيروا في توسيعها ضروب الاختيار وجعلوها أعاجيب للاسماع والابصار وقيل فيها هذه روضات جنان لا أفنية ديار هذا الى غيره مما وجد من معبودات القوم الموصوفة بانها آلهة الصلب اللاتي من ذوات النصب وأكثر ذلك وجد في المسجد موضوعا وعلى قبته مرفوعا فأنزلت على قرونها واستبشرت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في طمس عيونها واستوطن المؤمن مكان الكفور وبدلت الظلمات بالنور وقالت الصخرة الآن جمع بيني وبين الحجر الاسود خاطب الاسلام والجمع بين الاختين في هذا الامر من الحلال لا من الحرام وقال الاقصى سبحان الذي أسرى الى بجنده كما أسرى بعبده وأعاد لي عهود الفتح الاول بهذا الفتح الذي أتى من بعده وعود الذاهب ارجاء لدوام أحقابه وخلود الانسان لا يكون الا في ماتمه وهذا هو الخطاب الذي جدد للاسلام عهود ابن خطابه رضي الله عنه الآن مستنقذ الطريدة أولى بها من صاحبها ولئن غصبتها يد غالبة فقد جاء الله باليد التي غصبتها من غاصبها هذا ولم يستنقذها الخادم الا بانصاء سلاح أنضته الوقعة الاولى التي استأصلت حماة البلاد واستباحت أغيالها بقتل الآساد فكانت لهذا الفتح عنوانا ولتقرير أصوله بنيانا ولم ينج بها من طواغيت الكفر الا طاغية ترابلس فان السيوف أسارته وبفؤاده قلق من أوجالها وفي عينه دهش من أهوالها وقد قرن الله هذا الفتح ببشرى موته وكفى المسلمين مؤنة الاهتمام لفوته ففر من الوقعة ولم ينج بذلك الفرار واعتصم بذات جداره فقتله الخوف من وراء الجدار ولا فرق بين قتيل خوف السفار وبين قتيل الشفار ولقد فر من المكروه الى مثله لكنه انتقل من ميتة عزه الى ميتة ذله وكذلك آثار الخادم في أعداء الله فهم هلكى بسيفه في مواقف الطراد فان فروا فجنوفه على جنوب الوساد وبعد هذه فهل يمترون في أن دماءهم قد استجابت لمراده وأن سواء لديه من أمكن منها في دنوه ومن امتنع منها في بعاده وكل ذلك مستمد من الاستنصار بعناية الديوان العزيز التي من شأنها أن تجعل الرؤيا حقا وأحاديث الآمال صدقا وتقرب بعيدات الامور حتى تجعل الشرق غربا والغرب شرقا فهذا الفتح منسوب اليها وان كان الخادم هو الساعي في تسهيله والمجاهد بنفسه وماله في سبيله فعلى عطف دولتها ترقم أعلامه وفي أيامها تؤرخ أيامه ولو أبيح للقلم الخيلاء في مقام المقال كما أبيح لصاحبه في مقام القتال لاختالت مشيته في هذا الكتاب واقال وأسهب فليس لاكثارها هنا من الاسهاب لكنه منعه من ذلك أن يكون ممن فخر بعمله فأبطله وأرسل خطابه الى الديوان العزيز فلم يقبضه بالادب حين أرسله وقد ارتاد من يبلغ عنه مشاريح هذه الوقائع التي اختصرها ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تمثلت لمن حضرها ويكون مكانه من النباهة كريما كمكانها وهي عرائس المساعي فاحسن الناس بيانا مؤهل لابداع حسانها والسائر بها فلان وهو راوي أخبار نصرها التي صحبها في تجريح الرجال وعوالي اسنادها مأخوذة من طرق العوال والايام والليالي واقف الظن برواية الايام والليالي وستتلو هذه

(في سبيل الله عليك) وهو خطأ انما يقال في سبيل الله أنت ويقولون لم يكن ذاك (في حسابي) وليس للحساب ههنا وجه انما الكلام ما كان ذاك في حسباني أي في ظني يقال حسبت الامر حسبانا ومنهم من يجعل الحساب مصدرا لحسبت وقد يجوز على هذا أن يقال ما كان ذلك في حسابي ويقولون (آخر الداء الكي) وهو خطأ انما هو آخر الدواء الكي ويقولون (تجوع الحرة ولا تأكل بثديها) يذهبون الى أنها لا تأكل لحم الثدي وانما هو لا تأكل بثديها أي لا تسترضع فتأخذ على ذلك الاجر ويقولون ان فعلت كذا وكذا (فبها ونعمه) يذهبون الى النعمة وانما هو ونعمت بالتاء في الوقف يريدون ونعمت الخصلة فحذفوا وقال قوم فبها ونعمت بكسر العين وتسكين الميم ويقولون في رأسه (خطبة) وانما هي خطة ويقولون (أباد) الله خضراءهم يريدون جماعتهم والخضراء الكتيبة قال الاصمعي انما هو غضراءهم أي غضارتهم وخيرهم قال الاصمعي وأصل الغضراء طينة خضراء علكة يقال أنبط بئره في غضراء ويقولون (النقد) عند الحافر يذهبون الى أن النقد عند مقام الانسان ويجعلون القدم ههنا الحافر وانما هو النقد عند الحافرة أي عند أول كلمة قال وقول الله عز وجل أئنا لمردودون في الحافرة أي في أول أمرنا ومن فسرها الارض قال هذا يذهب لانا منها ابتدئنا قال

أحافرة على صلع وشيب
معاذ الله من سفه وعار

الاخبار الصادقة عشيشة الله أخبار منها صادقة وما دامت السيوف ناطقة في يد الخادم فالألسنة عنها ناطقة وللآراء العالية مزيد العلو ان شاء الله تعالى (وأما التقليد) فانه تقليد أنشأته لمنصب الحسبة وهو (أما بعد) فقد جعل الله جزاء التمكين في أرضه أن يقام بحدود فرضه ونحن نسأله التوفيق لهذا الامر الذي ثقل حمله وعدم أهله فقد جيء بنا في زمن أصبح الناس فيه سدى وعاد الاسلام فيه غريبا كما بدا وهو الزمن الذي كثرت فيه أشراط اليوم الاخير وغربلت فيه الامة حتى لم يبق الا حثالة كحثالة التمر والشعير ومن أهم ما نقترب به ونقدم عناه ونصلح به الزمن وأبناءه أن نمضي أحكام الشريعة المطهرة على ما قررته في تعريف ما عرفته وتنكير ما نكرته ومدار ذلك على النظر في أمر الحسبة التي تتنزل منه بمنزلة السلك من العقد والكف من الزند وقد أخلصنا النية في ارتياد من يقوم فيها ويكفيها ويصطفي لها ولا يصطفيها وهو أنت أيها الشيخ الاجل فلان أحسن الله لك الاثر وصدق فيك النظر فتولها غير موكول اليها بل معانا عليها واعلم أن الناس قد أماتوا سننا وأحيوا بدعا وتفرقوا فيما أحدثوه من المحدثات شيعا وأظلم منهم من أقرهم على أمرهم ولم يأخذهم بقوارع زجرهم فان السكوت عن البدعة رضا بمكانها وترك النهي عنها كالامر باتيانها ولم يأت بنا الله تعالى الا ليعيد الدين قائما على أصوله صادعا بحكم الله فيه وحكم رسوله ونحن نأمرك أن تتصفح أحوال الناس في أمر دينهم الذي هو عصمة مالهم وأمر معاشهم الذي يتميز به حرامهم من حلالهم فابدأ أولا بالنظر في العقائد واهد فيها الى سبيل الفرقة الناجية الذي هو سبيل واحد وتلك الفرقة هي السلف الصالح الذين لزموا مواطن الحق فأقاموا وقالوا ربنا الله ثم استقاموا ومن عداهم شعب دانوا أديانا وعبدوا من الاهواء أوثانا واتبعوا ما لم ينزل به الله سلطانا ولو شاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم فمن انتهى من هؤلاء الى فاسفة فاقتله ولا تسمع له قولا ولا تقبل منه صرفا ولا عدلا وليكن قتله على رؤس الاشهاد ما بين حاضر وباد فما تكدرت الشرائع بمثل مقالته ولا تدنست علومها بمثل أرجاسه والمنتمي اليها يعرف بنكره ويستدل عليه بظلمة كفره وتلك ظلمة تدرك بالقلوب لا بالابصار وتظهر زيادتها ونقصها بحسب ما عند رائيها من الانوار وما تجده من كتبها التي هي سموم ناقعة لا علوم نافعة وأفاعي ملفقة لا أقوال مؤلفة فاستأصل شأفتها بالتمزيق وافعل بها ما يفعله الله بأهلها من التحريق ولا يقنعك ذلك حتى تجتهد في تتبع آثارها والكشف عن مكامن أسرارها فمن وجدت في بيته فليؤخذ جهارا ولينكل به اشهارا وليقل هذا جزاء من استكبر استكبارا ولم يرج لله وقارا وأما من تحدث في القدر وقال فيه بمخالفة نص الخبر فليس في شيء من ربقة الاسلام وان تمسك بمداومة الصلاة والصيام قال النبي صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة والمراد بذلك أنهم ماثلوا بين الله والعبد والضياء والظلمة فهلا جهذه الطائفة أن تجزى بأن تعزى فلا يقابل جرمها بالتكسير واسمها بالتصغير وانتقل الى ثقل الحدود عن خفة التعزير ومن كان منها ذا امكانة نابهة فليهبط أو شهادة عادلة فليسقط وكذلك يجري الحكم فيمن قال بالتشبيه والتجسيم أو قال بحدوث القرآن القديم ومن ملحدي القرآن فرقة فرقت بين المعنى واللفظ وفرقة قالت فيه بالشكل والنقط وكل هؤلاء قوم خبثت سرائرهم وعميت بصائرهم وعظمت عند الله جرائمهم فخذهم بالتوبة التي تطهر أهلها وتجب ما قبلها وليست التوبة عبارة عن ذكرى اللسان والقلب لاه في قبضة النسيان بل هي عبارة عن الندم على ما فات واستئناف الاخلاص

كأنه قال أأرجع الى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبي ويقولون افعل كذا (وخلاك ذنب) يريدون ولا يكون لك ذنب فيما فعلت والمسموع وخلاك ذم أي لا تذم ويقولون (معدا) ان فعل فلان كذا صنعت كذا وكذا ويتوهمونه حين فعل كذا وانما أصل الكلمة ماعدا أن فعل كذا حتى فعلت كذا ويقولون (ركض) الدابة والفرس وهو خطأ انما الراكض الرجل والركض تحريكك الرجل عليه ليعدو ويقال ركضت الفرس فعدا ويقولون (حلبت) الشاة عشرة أرطال وانما هو حلبت قال الاصمعي يقال رجل (دائن) اذا كثر ما عليه من الدين وقد دان فهو يدين دينا ولا يقال من الدين دين فهو مدين ولا مديون اذا كثر عليه الدين ولكن يقال دين المال فهو مدين اذا دان له الناس ويقال ادّان الرجل مشدد اذا أخذ بالدين فهو مدّان ويقولون افعل ذلك (لا أبا لشانيك) والعامة تقول لا بل لشانيك (وامحى الكتاب) ولا تقول امتحى قوموا (بأجمعكم) والاجمع جماعة جمع ولا يكون بأجمعكم وغيره يجيزها وتقول العامة (أنت سفلة) وذلك خطأ لان السفلة جماعة والصواب ان تقول أنت من السفلة (عدس) زجر البغل والعوام تقول عد قال الشاعر

اذا حملت بزتي على عدس
فما أبالي من غزا ومن جلس

أي على بغل فسماه بزجره وقال ابن مفرغ الحميري

فيما هو آت وقد جعل الله التائب من أحبابه ووصفه فى مواضع كثيرة من كتابه ومن فضله أن الملائكة يستغفرون لمذنبه ويشفعون له الى ربه فان أبت هذه الطوائف الا اصرارا ولم يزدهم دعاؤك الا فرارا فاعلم أن الله قد طبع على قلوبهم طبعا وألحقهم بالذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكره وكانوا لا يستطيعون سمعا فخذهم عند ذلك بحد الجلد فان لم ينجع فبحد ذوات الحد فان هذه أمراض حمى لا ترجى لها الافاقة ولا تبرئ منها الا الدماء المراقة وأما الفرقة المدعوة بالرافضة التى هى لما رفعه الله خافضة فانهم أناس ليس لهم من الدين الا اسمه ولا من الاسلام الا رسمه واذا نقب عن مذهبهم وجد على العصبية موضوعا ولغير ما شرعه الله ورسوله مشروعا ذبوا عن على رضى الله عنه فأطروه وأخروه اذ قدموه وهؤلاء وضعوا أحاديث فنقلوها وأولوها على ما أولوها فتبع الآخر منهم الاول على غمة وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وههنا غير ما ذكرناه من عقائد محلولة ومذاهب غير منقولة ولا مقبولة وبالهدى يتبين طريق الضلال وبالصحة يظهر أثر الاعتلال ولا عقيدة الا عقيدة السنة والكتاب ولا دين الا دين الهجائر المساء والمحراب واذا فرغنا من الوصية بالاصول التى هى للدين ملاك فلنتبعها بالفروع التى هى له مسالك وأول ذلك الصلاة وهى فى مبانى الاسلام الخمس أوكد خمسه وآخر ما وصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مفارقة نفسه ومن فضلها أنها العمل الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر ولا عذر فى تركها لاحد من الناس فيقال انه يعذر فاجمع الناس اليها وأحملهم عليها ومرهم بالاجتماع لها فى المساجد ونادفيهم بفضيلة صلاة الجماعة على صلاة الواحد وراقبهم عند أوقات الاذان فى الاسواق التى هى معركة الشيطان فمن شغل بتثمير مكسبه ولها عنها بالاقبال على لهوه ولعبه فخذه بالآلة العمرية التى تضع من قدره وتذيقه وبال أمره ولا يمنعك عن ذى هيبة هيبته ولا عن ذى شيبة شيبته فانما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ومن مهمات الصلاة يوم الجمعة الذى هو فى الايام بمنزلة الاعياد فى الاعوام وفيه الساعة المخصوصة بالدعاء المجاب التى ما صادفها عبد الا ظفر بالطلاب فمر الناس بابتداره فى البواكر والفوز فيه بقربان البدنات الاخاير فانه اليوم الذى لم تطلع الشمس على مثله وبه فضل هذا الدين على أهل الكتاب من قبله فهو واسطة عقد الايام السبعة ولاشتماله على مجموع فضلها سمى يوم الجمعة وفى الاعوام مواسم لصلوات مخصوصة كالتراويح فى شهر رمضان والرغائب فى أول جمعة من رجب وليلة النصف من شعبان فاملا المساجد فى هذه المواسم التى تكثر فيها شهادات الاقلام فى كتب الطاعات ومحو الآثام ومن حضرها وليس همه الا أن يعترض الطروقا ويواعد اليه أخدانه رفثا أو فسوقا فهؤلاء هم الخلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فابعث عليهم قوما يسلبونهم سلبا ويوجعونهم ضربا ويملؤن عيونهم مهابة وقلوبهم رعبا فبيوت الله مطهرة من هذه الادناس ولم تعمر لشياطين الانس وانما عمرت للناس فلا يحضرها الا راكع وساجد أو ذاكر وحامد وههنا عظيمة عظيمة وفاحشة يفقهها من ليست نفسه بفقيهة وهى الربا فانه قد كثر اكله وتظاهر به فاعله وقال فساق الفقهاء بتأويله وتوصلوا الى شبهة تحليله ولا يتسارع الى ذلك الا من أعمى الله قلبه ومحق كسبه قال النبى صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا أثمانها ونحن نأمرك أن تشمر فى هذا الامر تشميرا رهبة الباس ولا تدع ربا حتى تضعه وأول ربا تضعه ربا العباس فتأديب الكبير قاض بتهذيب الصغير والاسوة بالرفيع خلاف الاسوة بالنظير وجعل معاملة الربا

عدتن ما العباد عليك امارة

نحوت وهذا تصحابن طابق سألته (الاقالة) فى البيع والعامة تقول القيلولة وذلك خطأ انما القيلولة نوم نصف النهار كساه (منبجانى) ولا يقال أنبجانى لانه منسوب الى منبج وفتحت باؤه فى النسب لانه خرج مخرج منظرانى ومخبرانى رجل (أبح) ولا يقال باح وهو الدرياق قال الشاعر

سقتنى بصهباء درياقة

متى ما تلين عظامى تلن

وهو (الحندقوق) نبطى معرب ولا يقال حندقوق

﴿باب ما يعدى بحرف صفة أو بغيره والعامة لا تعديه أو لا يعدى والعامة تعديه﴾

يقال ما سرنى بذلك (مفرح) لانه يقال أفرحنى الشئ ولا يقال مفروح الا أن تقول مفروح به وهو حديث (مستفيض) لانه من استفاض الحديث ولا يقال مستفاض الا أن يقال مستفاض فيه وتقول (اياك وان تفعل) كذا ولا تقول اياك ان تفعل بلا واو ألا ترى انك تقول اياك وكذا ولا يقال اياك كذا وقد جاء فى الشعر وهو قليل قال الشاعر

ألا أبلغ أبا عمرو رسولا

واياك المحاين ان تحينا

وتقول (كاد) فلان يفعل ولا تقول كاد أن يفعل قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد جاء فى الشعر وهو قليل قال الشاعر

* قد كاد من طول البلى أن يمصحا *

ويقال (بنى) فلان على أهله ولا يقال بنى بأهله ويقال (معنرت)

تجري في سوق الصرف الذي تختلف به النقود وتعترض فيه العقود ويخاض في نار نيره الى النار ذات الوقود وبه قوم أوسعوا عيون الموازين غمزا وألسنتها عزا ولمزا وأصبح الدرهم والدينار عندهم بمنزلة لصنمين اللات والعزى ولا يرى منهم الامن الحرص مفاض على ثيابه وقد جمع بين المعرفة بالحرام والهجوم على ارتكابه فعدل ميل هؤلاء تعديلا وتحولهم على مرور الايام تحويلا واعلم أنك قد وليت من الكيل والميزان أمرين هلكت فيهما الامم السالفة فباشرهما بيدك مباشرة الاختيار والاختبار ولا تقل أهلهما عثرة فان الاقالة لا تنهى عن العثار وكل هؤلاء من سواد الناس من لم يزك غرسه ولا فقهت نفسه وليس مه الا فرجه أو ضرسه فخذهم بآلة التعزير التي هي نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى ومن آثارها أنها ترج أرض الرأس رجا وتمرج سمعه فرجا وتسلك بصاحبه هديا ونهجا وقد كثر في الاسواق الخلابة والنجش وتلقي الركبان وبيع الحاضر للبادي وتنفيق السلعة باليمين الكذابة وكل هذه من المحظورات التي وردت الاخبار النبوية ببيانها والنهي عن تورد مكانها فمن قارف شيأ منها جاهلا بتحريمه فقومه بالتعليم واهده الى الصراط المستقيم ومن عرف ما اقترف فأذقه حر التأديب قبل أن يذاق غدا حر التعذيب واعلم أن الارزاق بيد الله تعالى لا ينقصها عجز القاعد ولا يزيدها حرص الكادح وقد ينقلب الجاهد فيها بصفقة الخاسر والوادع بصفقة الرابح ومن سنة الله تعالى أن يمحي الحلال وان كان يسيرا ويمحق الحرام وان كان كثيرا ومن الناس من آتاه الله مالا فبث في الاسواق جنود ذهبه وورقه واحتكر ما حمله الميزان من ذوات رطله ووسعه الكيل من ذوات وسقه فاصبح فقراء بلده في ضيق من عدم الرفق ومد الرزق فامنع هؤلاء أن يجعلوا رزق الله محتكرا ومعاش عباده محتجرا وليؤمروا بأن يتراحموا ولا يتزاحموا وأن يأخذ الغني منهم بقدر الكفاف ويترك للفقير ما يمينه على الاسعاف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا حكرة في سوقنا لا يعمد رجال بايديهم فضول من اذهاب الى رزق من أرزاق الله تعالى ينزل بساحتنا فيحتكرونه علينا ولكن أيما جالب جاب على عمود كبده فذلك ضيف عمر فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله وأما التسعير فانه وان آثره القاسطون وحكم به القاسطون وقيل ان في ذلك للفقير تيسير المعسير فليس لاحد أن يكون يد الله في حفظ ما رفع وبذل ما منع فقف أنت حيث أوقفك حكم الحق ودع ما يعن لك من مصلحة الخلق ولا تكن ممن تبع الرأي والنظر وترك الآية والخبر فحكمة الله مطوية فيما يأمر به على ألسنة رسله وليست مما يستنبطه ذو العلم بعلمه ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومما أمرك به أن تمحو الصغيرة كما تمحو الكبيرة فان لمم الذنوب كالقطر يصير بجمعه سيلا متدفقا وكان أوله قطرا متفرقا وقد استمر في الناس عوائد تهاونوا باستمرارها ولم ينظروا الى ثقل أوزارها فمن ذلك لبس الذهب والحرير الذي لم يلبسه الا من عدم عند الله خلاقا وان قيل انه شعار للغني فلم يزد صاحبه من الحسنات الا املاقا وللبس عباءة مع التقوى أحسن في العيون شعارا وأعظم في الصدور وقارا ويلتحق بهذه المعصية صوغ الذهب والفضة آنية يمنع منها حق الصدقات وهو حق يقاتل مانعه ويعصى في استعمالها أمر الله وهو حد من حدوده يعاقب عاصيه ويثاب طائعه وكذلك يجري الحكم في الصور المرقومة في البيوت والثياب وعلى الستور المعلقة على الابواب واخراجها في ضروب أشكال الحيوان الملاعبة الصبيان وذلك مماثلة لخلق الله في التقدير وهذا يؤمر صانعه بنفخ الروح فيما صوره من

منه ولا يقال سخرت قال الله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم وقال سخر الله منهم وتقول (طوبى) لك ولا تقول طوباك وتقول (فزعت) منك و(فرقت) منك ولا يقال فرقتك ولا فزعتك ويقال (خشيتك وهبتك وخفتك) ويقال رميت عن القوس ولا يقال رميت بالقوس الا أن تلقيها من يدك وتقول (عيرتني) كذا ولا يقال عيرتني بكذا قال النابغة

وعيرتني بنو ذبيان رهبته
وهل علي بأن أخشاك من عار

وقال المتلمس

تعيرني أمي رجال ولن ترى
أخا كرم الا بأن يتكرما

وقالت ليلى الاخيلية

أعيرتني داء بأمك مثله
وأي حصان لا يقال له هلا

﴿باب ما يتكلم به مثنى والعامة تتكلم بالواحد منه﴾

يقال اشتريت (زوجي نعال) ولا يقال زوج لان الزوج هو الفرد ويقال اشتريت (مقراضين ومقصين وجلمين) ولا يقال مقراض ولا مقص ولا جلم ويقال هما اخوان (توءمان) وجاءت المرأة بتوءمين ولا يقال توأم انما التوأم أحدهما

﴿باب ما جاء فيه لغتان استعمل الناس اضعفهما﴾

يقولون (نقمت) عليه ونقمت فانا أنقم أجود ويقولون (قحل) الشيء اذا جف وقحل أجود ويقولون (دهمهم) الامر ودهمهم أجود ويقولون (شماهم) الامر وشمئهم أجود ويقولون (حذق) الغلام القرآن وغيره وحذق أجود ويقولون (ضللت) وضللت أجود ويقولون (غويت) وغويت أغوى أجود ويقولون (زللت) وزللت أجود ويقولون (لغبت) ولغبت أجود فانا ألغب ويقولون (سغد الطائر) يسغد وسغد يسغد أجود ويقولون (ركنت) الى

الامر والاجود ركنت أركن ويقولون (مسست) أمس والاجود مسست أمس ويقولون (غصصت) باللقمة ٢٢٦
والاجود غصصت ويقولون
(بحمت) والاجود بحمت
ويقولون (جرعت) الماء والاجود
جرعت ويقولون (شحب) لونه
والاجود شحب يشحب ويقولون
(رعف) الرجل والاجود رعف
يرعف ويقولون (ماعسيت) ان
أصنع والاجود ماعسيت
ويقولون قد (فسد) الشئ
والاجود قد فسد ويقولون قد
(ضننت) فأنا أضن والاجود
ضننت فأنا أضن ويقولون
(طهرت المرأة) والاجود طهرت
تطهر و (مضن) الماء والاجود
مضن يمضن ويقولون (طر)
شاربه والاجود طر شاربه
ويقولون (أصابه) سهم غرب
والاجود غرب (والشمع) والاجود
الشمع ويقولون (بغيه حفر)
والاجود حفر ساكنة ويقولون
للعالم (حبر) والاجود حبر
ويقولون (صفر) والاجود صفر
ويقولون أنت مني على (ذكر)
والاجود على ذكر ويقولون
قطعت يده على (المرق) والاجود
المرق ويقولون (قمع) والاجود
قمع (وضلع) والاجود ضلع
و (نطع) والاجود نطع وفلان
حسن (الجوار) والجوار أجود
ويقولون أوطأته (العشوة)
بالفتح والعشوة والعشوة أجود
والكسائي لا يعرف الفتح فيها
ويقولون (رفقة) والاجود رفقة
ويقولون (حصبة) والاجود
حصبة (وفطنة) والاجود فطنة
(وكلة) والاجود كلة (وسفلة)
الناس والاجود سفلة (وضبنة
الرجل) والاجود ضبنة (ومعدة) والاجود معدة (ولبنة) والاجود لبنة ويقولون هو (فصيح

التصوير ومما يغلظ نكيره اطالة الذيول للاجترار والمباهاة لما فيها من عجرفية التيه
والاستكبار ولن يخرق صاحبها الارض باعجابه ولا يبلغ طول الجبال باطالة ثيابه قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء ومما هو أشد نكيرا أمر
الحمامات فان الناس قد أصروا فيها على الاجهار وترك الاستتار والتهاون بأمر العورات
التي لصاحبها اللعنة وله سوء الدار والنساء في هذا المقام أشد تهالكا من الرجال وقد ابتذلن
أنفسهن حتى أفرطن في فاحشة الابتذال ولهن محدثات من المنكر أحدثها كثرة الارفاه
والاتراف وأهمل انكارها حتى سرت في الاوساط والاطراف وقد احدثن الآن من الملابس
ما لم يخطر للشيطان في حساب وتلك من لباس الشهرة الذي لا يستر منه اسبال مرط ولا ادناء
جلباب ومن جملتها أنهن يتعصبن بعصائب كأمثال الاسنمة ويخرجن من جهارة أشكالها في
الصور المعلمة وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ورد عنه من الاخبار وجعل صاحبها
معدودا من زمرة أصحاب النار ومما حيد فيه عن السنن قراءة القرآن بضروب الالحان
وتلك قراءة تخرج حروفها من غير مخرج وتبدو معوجة وهو قرآن عربي غير ذي عوج وقد
أمر الله بترتيله وايراده على هيئة تنزيله فمن قرأه بالترجيع والترديد وزلزل حروفه بالتمطيط
والتمديد فقد ألحقه بدرجات الاغاني وذهب بما فيه من طلاوة الالفاظ والمعاني قال النبي
صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الفسق ولحون
أهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم
مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم ويلتحق بذلك اقتناء القينات المغنيات اللاتي يلعبن
بالعقول اللعب بالاسماع ويغني الشيطان بغنائهن عن بث الجنود والاشياع وفتيا النفس
الامارة في ذلك أن تقول هؤلاء اماء يحل نغمة سماعهن كما يحل ما تحت قناعهن وقد علم
أن لكل شئ غاما وقد ينقلب الحلال فيصير حراما ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا القينات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير
في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا أنزلت ومن الناس من يشتري لهو الحديث وكذلك
يجري الحكم في المواشط اللاتي يجعلن الحسن موفورا والقبح مستورا ويخدعن نظر الناظر
حتى يجعلنه مسحورا فهن يبدين صدقا من كذب وجدا من لعب وفعلهن هذا من الغش
الذي نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقال انه ليس منه وقد لعن الواصلة والمستوصلة
والواشمة والمستوشمة والواشرة والمستوشرة ومن غش المنكرات أيضا خضاب الشيب الذي
يخالف فيه الظاهر الباطن ويتخلق صاحبه بخلق الكاذب الخائن وهب أنه أخفى لون شعره
وهل يخفى اخلاق لباسه واذا استشن ملائم المرء فلا يغنيه سواد عارضه ولا سواد راسه وقد
جعل الله الشيب من نعمه المبشرة بطول الاعمار وسماه نورا لونه وهدايته ولا تستوي
الظلمات والانوار قال النبي صلى الله عليه وسلم الشيب أن يشتغل بتغيير صبغة الكتاب
ويدأب في محو سواد لعقاب ببياض الثواب ففي بقية عمره مندوحة لادخار ما يحمد ذخره
وتبديل ما تقدم سطره ومما خولفت فيه السنة عقد مجالس التعازي لحضور الناس واظهار
شعار الاسود والازرق من اللباس والتشبه بالجاهلية في النوح والندب ومجاوزة دمع العين
وخشوع القلب الى الاعلان باسخاط الرب وقد تواطأ النساء على ضرب الخيام على القبور
وجعل الاعياد مواسم لاجتماع الزائر والمزور فصارت المآتم بينهم ولائم والمادب عندهم
مآدب وربما نشأ من ذلك ما يغض طرفا ويجدع أنفا ويوجب حدا أو قذفا وهكذا أهل

أمس

أمر الاسلام فى تشبيه أهل الذمة بأهله وما كانوا يتشابهون فى زى غيره ويجاهرون فى سلوك سبله ولا بد من الغيار بأن يشد النصرانى عقدة زناره ويصعر اليهودى أعلى ازاره وليمنعوا من التظاهر بطغيان النعمة وعلو الهمة ويؤمروا بالوقوف عندما حكم عليهم من الاحكام وأخذوا فيه بالاختفاء والاكتتام لخمورهم تستر وشعائر دينهم لا تظهر وموتاهم تقبر بالخمول قبل أن تقبر فلا يوقد خلف ميتهم مصباح ولا يتبع بندب ولا صياح ومما عرف الناس منكره اثارة التحريش بين الحيوانات وهى ذوات أكباد رطبة وأخلاق صعبة ومما منها الاما يحل أكله ولا يحل قتله كالكبش والجملة والديك والسمانى وما أشبهها وقد أكثر الناس من اقتنائها والمواظبة على اضرام ضغائنها وربما نشأ من ذلك فتنة تؤول الى ضراب وشق ثياب واحداث شجاج واثارة عجاج وتحزب الى أحزاب كثيرة وأفواج ويتصل بهذه المنكرات المذكورة أشياء أخرى تجرى مجراها فى التقديم وتتنزل منزلتها فى التحريم فاحكم فيها بحكمك وامض فى شبهاتها بدليل علمك وتنبع مناقب التذكير والتحذير والتعريف والتنكير حتى يتقوم الاود ويتضح الرشد ويمكث فى الارض ما ينفع ويذهب الزبد وليكن عملك لله الذى يسمع ويرى وله ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى واعلم أن الامر بالمعروف عبادة يتعدى نفع صاحبها الى غيره وتستضيف خير المأمور بها الى خيره وهى الجهاد الاكبر الذى تقاتل فيه عواصى النفوس وتضرب به رؤس الشهوات التى هى أمنع من معاقد الرؤس فقتيله بحبابة له وجريحه يوسى بجراحة نصله وبمثل هذا الجهاد يستنزل امداد النعم مضعفة كما يستنزل امداد النصر مردفة فاقدم عليه بذى عزم باتر وطرف ساهر وقدم ثابت صابر حتى تظل لمعاقل الشيطان فاتحا وتكون فيمن دعا الى الله وعمل صالحا واعلم أنك فى صبيحة كل يوم يبتدرك الملك والشيطان وكل منهما يقول يا أيها الانسان فان أجبت نداء الملك كتبك فى زمرة من مهد لجنبه وخاف مقام ربه وعرج بك الى الله طيبا نشره مضاعفا أجره وان أجبت نداء الشيطان كتبك فى زمرة من أغواه وقرنك بمن أغفل الله قلبه واتبع هواه ثم نزل به الى الارض خبيثا محبثا وأقبل به على اخوانه من الشياطين محدثا وهذا آخر ما عهدناه اليك من العهد الذى طوقت اليوم بكتابه وستناقش غدا على حسابه وكما جعلناه لك فى الدنيا ذكرا فاجعله لك فى الآخرة ذخرا ان شاء الله تعالى والسلام (وهذا الذى ذكرته فى هذين) من الكتاب والتقليد يتضمن اطنابا مستوفى الاقسام ولولا خوف الاطالة التى لا حاجة اليها لاوردت قصائد من الشعر أيضا حتى لا يخلو الموضع من ضرب أمثلة من المنظوم والمنثور ولكن فى الذى ذكرته كفاية ان يحمله على أشباهه ونظائره (فان قيل) ان الاطناب فى الكلام قد وضعتموه اسما على غير مسمى فان الكلام لا يخلو من حالين اما أن لا يزيد لفظه على معناه وهو الايجاز أو يزيد لفظه على معناه وهو التطويل وليس هنا قسم ثالث فما الاطناب اذا (قلت) فى الجواب اعلم أن الايجاز هو ضد التطويل كما أن السواد ضد البياض غير أن بين الضدين مراتب ومنازل ليست أضدادا فالاطناب لا ايجاز هو ولا تطويل كما أن الحمرة أو الخضرة ليست بياضا ولا سوادا وقد قدمنا القول ان الاطناب يأتى فى الكلام مؤكدا كالذى يأتى بزيادة التصوير للمعنى المقصود اما حقيقة واما مجازا والتطويل ليس كذلك فانه التعبير عن المعنى بلفظ زائد عليه يفهم ذلك المعنى بدونه فاذا حذفت تلك الزيادة بقى المعنى المعبر عنه على حاله لم يتغير منه شئ وهذا بخلاف الاطناب فانه اذا حذف منه تلك الزيادة المؤكدة للمعنى تغير ذلك المعنى وزال ذلك التأكيد عنه وذهبت فائدة التصوير والتخييل التى تفيد السامع ما لم يكن

الاهجة) ولا جود اللاهجة وهو فى (منعمة) والاجود منعمة ويقولون (دجاجة ودجاج) والاجود دجاجة ودجاج يقولون (سداد) من عوز والاجود سداد ويقولون (خوان) والاجود خوان ويقولون (ما قوامى) الا بكذا والاجود ما قوامى ويقولون (الوثاق) والوثاق أجود ويقولون (بالثوب عوار) والاجود عوار ويقولون للولد (سقط) والاجود سقط ويقولون (الجنازة) والاجود الجنازة ويقولون (ما دلالتك) على كذا والاجود دلالتك ويقولون (الخفارة) والاجود الخفارة ويقولون عليه (طلاوة) والاجود طلاوة ويقولون (مرقاة ومسقاة) والاجود مرقاة ومسقاة ويقولون (الرامك) اضرب من الطيب والاجود رامك ويقولون يوم (الاربعاء) والاجود الاربعاء بكسر الباء ويقولون (طنفسة) وطنفسة بكسر الطاء أجود ويقولون (برقع) والاجود برقع ويقولون (الرضاع) والرضاع أجود ويقولون (الرصاص) والرصاص أجود ويقولون (الحصاد) والحصاد أجود ويقولون (سوار) المرأة والسوار أجود ويقولون (قصاص الشعر) وقصاص أجود ويقولون (فص الخاتم) وفص الخاتم أجود ويقولون (نصحتك وشكرتك) والاجود نصحت لك وشكرت لك قال الله تعالى اشكر لى ولوالديك وقال عز اسمه وأنصح لكم وقال النابغة فى اللغة الاخرى

نصحت بنى عوف فلم يتقبلوا
رسولى ولم تنجح لديهم وسائلى

ويقولون بينا نحن كذلك (اذ جاء فلان) والاجود جاء فلان بطرح اذ ويقولون فلان (أحيل) من فلان من الحيلة والاجود أحول لان أصل الحرف الواو ومنه

الابها ألا ترى الى قوله تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وهذا لايسمى ايجازا لانه أتى فيه بزيادة لفظ وهو ذكر الصدور وقد علم أن القلوب لاتكون الا فى الصدور ولا يسمى تطويلا لان التطويل لافائدة فيه أصلا وهذا فيه فائدة وهى ما أشرنا اليه وكذلك باقى أقسام الاطناب التى نبهنا عليها وهذا لانزاع فيه (النوع السابع عشر فى التكرير) قد تقدم الكلام فى صدر كتابى هذا على تكرار الحروف وما ذلك مما يختلط بهذا النوع الذى هو تكرار المعانى والالفاظ (واعلم) أن هذا النوع من مقاتل علم البيان وهو دقيق المأخذ وحده هو دلالة اللفظ على المعنى مرددا وربما اشتبه على أكثر الناس بالاطناب مرة وبالتطويل أخرى وقد تقدم الكلام على الفرق بين هذه الانواع الثلاثة فى باب الاطناب فلا حاجة الى اعادته ههنا وأما التكرير فقد عرفتكه (وهو ينقسم قسمين أحدهما) يوجد فى اللفظ والمعنى (والآخر) يوجد فى المعنى دون اللفظ فأما الذى يوجد فى اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه أسرع أسرع ومنه قول أبى الطيب المتنبى

ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

وأما الذى يوجد فى المعنى دون اللفظ فكقولك أطعنى ولا تعصنى فان الامر بالطاعة نهى عن المعصية (وكل من هذين القسمين ينقسم الى مفيد وغير مفيد) ولا أعنى بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة فانه عندهم عبارة عن اللفظ المركب اما من الاسم مع الاسم بشرط أن يكون للاول بالثانى علاقة معنى يسمع مكافحة له واما من الاسم مع الفعل التام المتصرف على هذا الشرط أيضا واما من حرف النداء مع الاسم فهذا هو المفيد عند النحاة وأنا لم أقصد ذلك ههنا بل مقصودى من المفيد أن يأتى لمعنى وغير المفيد أن يأتى لغير معنى (واعلم) أن المفيد من التكرير يأتى فى الكلام تأكيدا له وتشييدا من أمره وانما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشئ الذى كررت فيه كلامك اما مبالغة فى مدحه أو فى ذمه أو غير ذلك ولا يأتى الا فى أحد طرفى الشئ المقصود بالذكر والوسط عار منه لان أحد الطرفين هو المقصود بالمبالغة اما بمدح أو ذم أو غيرهما والوسط ليس من شرط المبالغة وغير المفيد لا يأتى فى الكلام الا عيا وخطلا من غير حاجة اليه (فأما الاول) وهو الذى يوجد فى اللفظ والمعنى (فانه ينقسم الى ضربين) مفيد وغير مفيد (فالاول المفيد وهو فرعان الاول) اذا كان التكرير فى اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمقصود به غرضان مختلفان كقوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون هذا تكرير فى اللفظ والمعنى وهو قوله يحق الحق وليحق الحق وانما جىء به ههنا لاختلاف المراد وذلك أن الاول تمييز بين الارادتين والثانى بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها وأنه ما نصرهم وخذل أولئك الا لهذا الغرض (ومن هذا الباب) قوله تعالى قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه فكرر قوله تعالى قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله أعبد مخلصا له دينى والمراد به غرضان مختلفان وذلك أن الاول اخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة له والاخلاص فى دينه والثانى اخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة فى الثانى وأخره فى الاول لان الكلام أولا واقع فى الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل من أجله ولذلك رتب عليه فاعبدوا ما شئتم

الحول والقوة وأصل الياء فى الحيلة الواو قلبت للكسرة ياء وقد يقال أحيل من فلان وهى رديئة ويقولون (ضربة لازم) والاجود لازب واللازب الثابت قال الله تعالى من طين لازب ويقولون للمرأة هذه (زوجة الرجل) والاجود زوج قال الله تعالى امسك عليك زوجك ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وزوجة قليلة قال الفرزدق

فان الذى يسعى ليفسد زوجتى * كساع الى أسد الشرى يستبيلها

ويقولون هو ابن عمى (دنيه) ودنيا أجود ويقال دنيا أيضا قال النابغة

بنو عمه دنيا وعمرو بن عامر * أولئك قوم بأسهم غير كاذب

ويقولون (انتقع) لونه وامتقع بالميم أجود

﴿باب ما يغير من أسماء الناس﴾

هو (وهب) مسكن الهاء ولا يفتح وهو (ظبيان) مفتوح الظاء ولا يكسر وهو (علوان) بفتح العين ولا يضم وهو (كسرى) بكسر الكاف ولا يفتح وهو (دحية الكلبى) بفتح الدال قول الاصمعى وحده وعنده (جهينة) الخبر اليقين ولا يعرف جهينة ولا جفينة الاصمعى هو (بخت نصر) هكذا سمعت قرة بن خالد يقول وغيره من المسان وهو (أبو الموزم) بكسر الزاى (وعاصم بن أبى النجود) بفتح النون (وابن أبى العروبة) بالالف واللام وهو (أبو مجلز) بكسر الميم (وشرحبيل) وهم (الحبطات) بكسر الباء لانهم ولد الحرث الحبط فاذا نسبت قلت حبطى فتفتح الباء وهو (ابن الجلندى) بفتح اللام وهو (ابن عبد القارى) بالتنوين منسوب الى القارة ولا يضاف وهو فلان (اليحصبى) منسوب الى يحصب قبيلة باليمن أو بلد وهو

من

من دونه وعليه ورد قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وظاهر الاول والثانى أنهما سواء فى المعنى وليس كذلك لان الثانى فيه تخصيص غير موجود فى الاول ألا ترى أنا اذا قلنا زيد الافضل وقلنا الافضل زيد كان فى الثانى تخصيص له بالفضل وهذا التخصيص لا يوجد فى القول الاول الذى هو زيد الافضل ويجوز أن تبدل صفة الفضل فيه بغيرها أو بضدها فيقال زيد الاجمل أو زيد الانقص واذا قلنا الافضل زيد وجب تخصيصه بالفضل ولم يمكن تغييره عنه وكذلك يجرى الحكم فى هذه الآية فان الله تعالى قال انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم قال لم يذهبوا حتى يستأذنوه فوصفهم بالامتناع عن الذهاب الا باذنه وهذه صفة يجوز أن تبدل بغيرها من الصفات كما قال تعالى فى موضع آخر انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فجاء بصفة غير تلك الصفة ولما قال ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وجب تخصيصهم بتلك الوصف دون غيره وهذا موضع حسن فى تكرير المعانى (ومما يعد من هذا الباب) قوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين وقد ظن قوم أن هذه الآية تكرير لا فائدة فيه وليس الامر كذلك فان معنى قوله لا أعبد يعنى فى المستقبل من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلبه منكم من عبادة الهى ولا أنا عابد ما عبدتم أى وما كنت عابدا قط فيما سلف ما عبدتم فيه يعنى أنه لم يعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فى وقت ما فكيف يرجى ذلك منى فى الاسلام ولا أنتم عابدون فى الماضى فى وقت ما أنا على عبادته الآن (ومما يجرى هذا المجرى) قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين فكرر الرحمن الرحيم مرتين والفائدة فى ذلك أن الاول يتعلق بأمر الدنيا والثانى يتعلق بأمر الآخرة فما يتعلق بأمر الدنيا يرجع الى خلق العالمين فى كونه خلق كلا منهم على أكمل صفة وأعطاه جميع ما يحتاج اليه حتى البقة والذباب وقد يرجع الى غير الخلق كادرار الارزاق وغيرها وأما ما يتعلق بأمر الآخرة فهو اشارة الى الرحمة الثانية فى يوم القيامة الذى هو يوم الدين وبالجملة فاعلم أنه ليس فى القرآن مكرر لا فائدة فى تكريره فان رأيت شيأ منه تكرر من حيث الظاهر فأنعم نظرك فيه فانظر الى سوابقه ولواحقه لتنكشف لك الفائدة منه (ومما ورد فى القرآن الكريم مكررا) قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون ليؤكده عندهم ويقرره فى نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة فجعل علة الاول كونه أمينا فيما بينهم وجعل علة الثانى حسم طمعه عنهم ونحوه من الاغراض فيما يدعوهم اليه (ومن هذا النحو) قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وانما كرر تكذيبهم ههنا لانه لم يأت به على أسلوب واحد بل تنوع فيه بضروب من الصنعة فذكره أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه بأن كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنوع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه وهذا باب من تكرير اللفظ

(عامر بن ضبارة) بالفتح ولا يضم وهو (الجلودى) بفتح الجيم منسوب الى جلود ٢٢٩ وأحسبها قرية بافريقية (وفرافصة) بضم أوله ولا يفتح وهو (رؤبة بن العجاج) بالهمز (والسموأل بن عادياء) بالهمز (وأبو جزء) بالهمز (وعامر ابن لؤى) بالهمز (ورئاب) بالهمز (وهلال بن اساف) وهو (مهنأ) و(أزد شنوءة) و(طيئ) وهم (بنو عبيد الله) ولا يقال عائذ الله (وبنو عائش) ولا يقال بنو عيش (ومكنف) بالضم وكسر النون (وموهب وجرى) مشدد الياء والراء كأنه نسب الى الجر ويقال (ذبيان وذبيان) وهى (ربطة) بلا ألف (وعائشة) بالف (والدول) فى حنيفة و(الديل) فى عبد القيس و(الدئل) من كنانة واليهم نسب أبو الاسود الدؤلى ابن الكلبى (وسدس) فى شيبان بالفتح وسدوس فى طيئ بالضم قال الاصمعى اسم الرجل سدوس بالضم والسدوس الطيلسان بالفتح قال غير واحد غلط الاصمعى السدوس الطيالسة واسم الرجل سدوس بالفتح وأنشد أبو عبيدة

وداويتها حتى شتت حبشية
كأن عليها سندسا وسدوسا

هكذا أنشده أبو عبيدة وغيره ويقولون (بستان بن عامر) وانما هو بستان بن معمر قال الاصمعى سألت ابن أبى طرفة عن المستدق فى شعر الهذلى ألفيت أغلب من أسد المسد حديد الناب أخذته عفر فتطريح فقال هو بستان بن معمر

﴿باب ما يغير من أسماء البلاد﴾

هى (البصرة) مسكنة الصاد وكسرها خطأ والبصرة الحجارة الرخوة قال الفرزدق

لولا ابن عتبة عمرو والرجاء له
ما كانت البصرة الحمقاء لى وطنا

فاذا حذفوا الهاء قالوا البصر فكسروا الباء وانما أجازوا فى النسب بصرى لذلك وهى

(كمرزق) ساكنة الفاء ولا تفتح والكفر القرية ٢٣٠ ومنه قيل أهل الكفور هم أهل القبور وهو مرج (القلعة) بفتح اللام ولا تسكن

والمعنى حسن غامض وبه يعرف مواقع التكرير والفرق بينه وبين غيره فافهمه ان شاء الله تعالى (الفرع الثانى من الضرب الاول) اذا كان التكرير فى اللفظ والمعنى يدل على معنى واحد والمراد به غرض واحد كقوله تعالى فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر والتكرير دلالة التعجب من تقديره واصابته الغرض وهذا كما يقال قتله الله ما أشجعه أو ما أشعره وعليه ورد قول الشاعر ● ألا يا اسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى * وهذا مبالغة فى الدعاء لها بالسلامة وكل هذا يجاء به لتقرير المعنى المراد واثباته (وعليه ورد الحديث النبوى) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان بنى هشام بن المغيرة استأذنونى أن ينكحوا ابنتهم عليا فلا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا أن يطلق على ابنتى وينكح ابنتهم فقوله لا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن من التكرير الذى هو أشد موقعا من الايجاز لانصباب العناية الى تأكيد القول فى منع على رضى الله عنه من التزويج بابنة أبى جهل بن هشام وهذا مثل قوله تعالى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى ومن أجل ذلك تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له لان قولنا لا اله الا الله مثل قولنا وحده لا شريك له وهما فى المعنى سواء وانما كررنا القول فيه لتقرير المعنى واثباته وذلك لان من الناس من يخالف فيه كالنصارى والثنوية والتكرير فى مثل هذا المقام أبلغ من الايجاز وأحسن وأسد موقعا (ومما جاء فى مثل هذا) قوله تعالى والله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فقوله من قبله بعد قوله من قبل فيه دلالة على أن عهدهم بالمطر قد بعد وتطاول فاستحكم يأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك (وعلى ذلك ورد) قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق فقوله لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقوم مقام قوله ولا يدينون دين الحق لان من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر لا يدين دين الحق وانما كرره ههنا للحض على المأمور بقتالهم والتسجيل عليهم بالذم ورجمهم بالعظائم ليكون ذلك أدعى لوجوب قتالهم وحربهم وقد قلنا ان التكرير انما يأتى لما أهم من الامر الذى بصرف العناية اليه يثبت ويتقرر (وكذلك ورد) قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الاغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فتكرير لفظة أولئك من هذا الباب الذى أشرنا اليه لمكان شدة النكير واغلاظ العقاب بسبب انكارهم البعث (وعلى هذا ورد) قوله تعالى أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الاخسرون فانه انما تكررت لفظة هم للايذان بتحقيق الخسار والاصل فيها وهم فى الآخرة الاخسرون لكن لما أريد تأكيد ذلك جىء بتكرير هذه اللفظة المشار اليها وكذلك قوله تعالى فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها وأمثال هذا فى القرآن كثير (وكذلك ورد) قوله تعالى فى سورة القصص فأصبح فى المدينة خائفا يترقب فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوى مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فقوله تعالى فلما أن أراد أن يبطش بتكرير أن مرتين دليل على أن موسى عليه السلام لم تكن مسارعته الى قتل الثانى كما كانت مسارعته الى قتل الاول بل كان عنده ابطاء فى بسط يده اليه فعبر القرآن عن ذلك فى قوله تعالى فلما أن أراد أن يبطش (وجرت بينى وبين رجل من النحويين مفاوضة) فى هذه الآية فقال ان أن الاولى زائدة ولو حذفت

وهى (طرسوس) و(ناموس) و(سفوان) و(رهوت) باليمن كل ذلك بفتح ثانيه (والنهروان) بفتح الراء والنون (ودمشق) بفتح الميم (وفلسطين) بكسر الفاء (وأرمينية) بكسر الالف (وفلان ارمنى) بكسر الالف والميم وهو (العمق) للمنزل بطريق مكة بفتح الميم ولا تضم (والمسلح) بفتح الميم (وأفاعية) و(أسنمة) جبل بقرب طخفة وهى (الابلة) بضم الهمزة (وقطربل) بضم القاف وتشديد الباء وهى (الاردن) بضم الهمزة وتشديد النون (والحوأب) المنزل الذى تسميه العامة الحوب يقال نجتها كلاب الحوأب بفتح الحاء وتسكين الواو وهمزة مفتوحة بعدها وهى (رأس عين) ولا يقال رأس العين وهو من أهل (برك) و(نعام) بكسر الباء من برك وهما موضعان من أطراف اليمن وهى (السيلحون) بنصب اللام (والخورنق) تفسيره خرنقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك ويشرب (والسدير) معناه كان له ثلاث شعب (وطبرستان) بالفارسية معناه أخذه الفأس كأنه لا شجر لم يوصل اليه حتى قطع شجره وكان الاصمعى لا يقول (بغداد) وينهى عن ذلك ويقول مدينة السلام لانه سمع فى الحديث أن بغ صنم وداد عطية بالفارسية كأنها عطية الصنم وهذا آخر كتاب تقويم اللسان والحمد لله رب العالمين

﴿كتاب الابنية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿باب فعلت وأفعلت باتفاق المعنى﴾ (جد) فلان فى أمره و(أجد) فقيل

فقيل فلما أراد أن يبطش لكان المعنى سواء ألا ترى الى قوله تعالى فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه وقد اتفق النحاة على أن الواردة بعد لما وقبل الفعل زائدة فقلت له النحاة لا اشتغال لهم في مواقع الفصاحة والبلاغة ولا عندهم معرفة بأسرارها من حيث انهم نحاة ولا شك أنهم وجدوا أن ترد بعد لما وقبل الفعل في القرآن الكريم وفي كلام فصحاء العرب فظنوا أن المعنى بوجودها كالمعنى اذا أسقطت فقالوا هذه زائدة وليس الامر كذلك بل اذا وردت لما ورد الفعل بعدها باسقاط أن دل ذلك على الفور واذا لم تسقط لم يدلنا ذلك على أن الفعل كان على الفور وانما كان فيه تراخ وابطاء (وبيان ذلك من وجهين أحدهما) أني أقول فائدة وضع الالفاظ أن تكون أدلة على المعاني فاذا أوردت لفظة من الالفاظ في كلام مشهود له بالفصاحة والبلاغة فالاولى أن تحمل تلك اللفظة على معنى فان لم يوجد لها معنى بعد التنقيب والتنقير والبحث الطويل قيل هذه زائدة دخولها في الكلام كخروجها منه ولما نظرت أنا في هذه الآية وجدت لفظة أن الواردة بعد لما وقبل الفعل دالة على معنى واذا كانت دالة على معنى فكيف يسوغ أن يقال انها زائدة (فان قيل) أنها اذا كانت دالة على معنى فيجوز أن تكون دالة على غير ما أشرت أنت اليه (قلت في الجواب) اذا ثبت أنها دالة على معنى فالذي أشرت اليه معنى مناسب واقع في موقعه واذا كان مناسبا واقعا في موقعه فقد حصل المراد منه ودل الدليل حينئذ أنها ليست بزائدة (الوجه الآخر) أن هذه اللفظة لو كانت زائدة لكان ذلك قدحا في كلام الله تعالى وذاك أنه يكون قد نطق بزيادة في كلامه لا حاجة اليها والمعنى يتم بدونها وحينئذ لا يكون كلامه معجزا اذ من شرط الاعجاز عدم التطويل الذي لا حاجة اليه وان التطويل عيب في الكلام فكيف يكون ما هو عيب في الكلام من باب الاعجاز هذا محال (وأما قوله تعالى) فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فانه اذا نظر في قصة يوسف عليه السلام مع اخوته منذ ألقوه في الجب والى أن جاء البشير الى أبيه عليه السلام وجد أنه كان ثم ابطاء بعيد وقد اختلف المفسرون في طول تلك المدة ولو لم يكن ثم مدة بعيدة وأمد متطاول لما جيء بأن بعد لما وقبل الفعل بل كانت تكون الآية فلما جاء البشير ألقاه على وجهه وهذه دقائق ورموز لا تؤخذ من النحاة لانها ليست من شأنهم (واعلم) أن من هذا النوع قسما يكون المعنى فيه مضافا الى نفسه مع اختلاف اللفظ وذلك يأتي في الالفاظ المترادفة وقد ورد في القرآن الكريم واستعمل في فصيح الكلام فمنه قوله تعالى والذين سعوا في آياتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم والرجز هو العذاب وعليه ورد قول أبي تمام

نهوض بثقل العبء مضطلع به * وان عظمت فيه الخطوب وجلت

والثقل هو العبء والعبء هو الثقل وكذلك ورد قول البحتري

ويوم تثنت للوداع وسلمت * بعينين موصولا بلحظهما السحر

توهمتها ألوى بأجفانها الكرى * كرى النوم أو مالت بأعطافها الخمر

فان الكرى هو النوم وربما أشكل هذا الموضع على كثير من متعاطي هذه الصناعة وظنوه مما لا فائدة فيه وليس كذلك بل الفائدة فيه هي التأكيد للمعنى المقصود والمبالغة فيه أما الآية فالمراد بقوله تعالى عذاب من رجز أي عذاب مضاعف من عذاب وأما بيت أبي تمام فانه تضمن المبالغة في وصف الممدوح بحمله للاثقال وأما بيت البحتري فانه أراد أن يشبه طرفها الفاتر بالنائم فكرر المعنى فيه على طريق المضاف والمضاف اليه تأكيدا له

يقال فلان جاد مجد (لاق) الدواة و(ألاقها) الفراء (ضاء) القمر و(أضاء) وأنشد غيره للعباس بن عبد المطلب عليه السلام يمدح النبي صلى الله وسلم عليه وعلى آله

وأنت لما ظهرت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق

قال الفراء و(أوحى) و(وحى) و(وأما) و(وما) وقال غيره (محضته) الود و(أمحضته) سلكته و(أسلكته) قال الله عز وجل ما سلككم في سقر وقال الهذلي

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

(عمر) الله بك دارك وأعمرها (أمر) الله ماله وآمره (نضر) الله وجهه وأنضره (مددت) الدواة و(أمددتها) وأمددته بالرجال لا غير (خلف) الله عليك بخير وأخلف (نهج) الثوب و(أنهج) اذا بلي و(سكت) القوم و(أسكتوا) و(صمتوا) وأصمتوا (خلق) الثوب وأخلق (سمح) الرجل وأسمح (مح) الكتاب و(أمح) اذا درس (ينعت) الثمرة وأينعت (نسل) الوبر و(أنسل) اذا وقع (سندت) في الجبل وأسندت (قطرت) عليه الماء وأقطرت (خلد) الى الارض و(أخلد) اذا ركن (عصفت) الريح وأعصفت (طلعت) على القوم وأطلعت (نزفت) البئر وأنزفتها (جلب) الجرح و(أجلب) اذا صارت عليه جلبة قشرة يابسة (قدعته) و(أقدعته) أي كففته (قتنه) وأقتنته (ساس) الطعام و(أساس) اذا سوس و(داد) و(أداد) اذا دود (وسريت) وأسريت (كنبت) يداه و(أكنبت) اذا اشتدت وغلظت (سوفت) بطنا و(أسأت) بطنا (قتر الرجل) و(أقتر) اذا قل ماله (حققت الامر) و(أحققته) و(هرقت الماء) و(أهرقته) (بتت) البيع وأبتته (زها) البسر

وزيادة فى بيانه وهذا الموضع لم ينبه عليه أحد سواى ولربما أدخل فى التكرير من هذا النوع ماليس منه وهو موضع لم ينبه عليه أيضا أحد سواى (فمنه قوله تعالى) ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فلما تكرر ان ربك مرتين علم أن ذلك أدل على المغفرة وكذلك قوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ومثل هذا قوله تعالى لاتحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وهذه الآيات يظن أنها من باب التكرير وليست كذلك وقد أنعمت نظرى فيها فرأيتها خارجة عن حكم التكرير وذلك أنه اذا طال الفصل من الكلام وكان أوله يفتقر الى تمام لايفهم الا به فالاولى فى باب الفصاحة أن يعاد لفظ الاول مرة ثانية ليكون مقارنا لتمام الفصل كى لايجىء الكلام منثورا لاسيما فى ان وأخواتها فاذا وردت ان وكان بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام فاعادة ان أحسن فى حكم البلاغة والفصاحة كالذى تقدم من هذه الآيات وعليه ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة

أصبحنا وفيدا واشتياقا وغربة * ونأى حبيب ان ذا لعظيم

وان امرأ دامت مواثيق عهده * على مثل هذا انه لكريم

فانه لما طال الكلام بين اسم ان وخبرها أعيدت ان مرة ثانية لان تقدير الكلام وان امرأ دامت مواثيق عهده على مثل هذا لكريم لكن بين الاسم والخبر مدى طويل فاذا لم تعد ان مرة ثانية لم يأت على الكلام بهجة ولا رونق وهذا لايتنبه لاستعماله الا الفصحاء اما طبعا واما علما (وكذلك يجرى الامر) اذا كان خبر ان عاملا فى معمول يطول ذكره فان اعادة الخبر ثانية هو الاحسن وعلى هذا جاء قوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام اذ قال يوسف لابيه ياأبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين فلما قال انى رأيت ثم طال الفصل كان الاحسن أن يعيد لفظ الرؤية فيقول رأيتهم لى ساجدين وكذلك جاءت الآية المذكورة ههنا قبل هذه وهى قوله تعالى لاتحسبن الذين يفرحون بما أوتوا فانه لما طال الفصل أعاد قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فاعلم ذلك وضع يدك عليه وكذلك الآية التى قبلها وهى قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة وكذلك الآية الاخرى وهى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا (ومن باب التكرير فى اللفظ والمعنى) الدال على معنى واحد قوله عز وجل وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار فانه انما كرر نداء قومه ههنا لزيادة التنبيه لهم والايقاظ عن سنة الغفلة ولانهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم من الضلال وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعى بذلك أن لايتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وأن ينزلوا على نصيحته لهم وهذا من التكرير الذى هو أبلغ من الايجاز وأشد موقعا من الاختصار فاعرفه ان شاء الله تعالى (وعلى نحو منه) جاء قوله تعالى فى سورة القمر فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر فانه قد تكرر ذلك فى السورة كثيرا وفائدته أن يجددوا عند استماع كل نبإ من أنباء الاولين اذكارا وايقاظا وان يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث اليه وأن تقرع لهم العصا مرات لئلا يغلبهم السهو وتستولى عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير فى قوله تعالى فى سورة الرحمن فبأى آلاء ربكما تكذبان وذلك عند كل نعمة عددها على

عباده

وأزهى (شنقت) القربة و (أشنقتها) اذا شددت رأسها (قصر) عنه وأقصر (زكا) الزرع وأزكى (جمت) الدابة والركية وأجمت (قلته) البيع وأقلته (سار) الدابة وأسارها (مطرنا) و (أمطرنا) أبو عبيدة يفرق بينهما (غسا الليل) يغسو و (أغسى) اذا أظلم (حشمته) و (أحشمته) اذا غضبته (زننت) به خيرا وأزننت (جهده) السير وأجهده (جرمت) و (أجرمت) من الجرم (خلا) المكان وأخلا (عسرت) الرجل و (أعسرت) اذا طلبت الدين منه على عسرة (خفق) الطائر بجناحيه وأخفق (سفقت) الباب وأسفقته (ثاب) جسمه و (أثاب) أى رجع (أجرت) الغلام وآجرته (ذرت) الريح وأذرت (الفطوا) و (ألفطوا) و (ضجوا) وأضجوا (نبت) البقل وأنبت (رجنت) الشاة وأرجنت (ثرى) الرجل و (أثرى) اذا أيسر (زحف) و (أزحف) اذا أعيا (سحته) الله و (أسحته) اذا استأصله وقرئ فيسحتكم ويسحتكم (جاح) الله ماله وأجاحه (هديت) العروس وأهديتها (عرض) لك الخير وأعرض (حنت) المرأة وأحنت (فرزت) الشئ وأفرزته (عقم) الله رحمها وأعقمها (أحدق) القوم به وحدقوا (أوخفت) الخطمى و وخفته (دجنت) السماء وأدجنت (جلبوا) عليه و (أجلبوا) اذا صاحوا (لاذوا) به و ألاذوا (وجرته) الدواء وأوجرته (صل) اللحم و (أصل) و (خم) وأخم (سعرت) شرا وأسعرت (مهرت) المرأة وأمهرتها (شار) العسل وأشاره (عذر) الغلام وأعذر (ضب) الرجل و (أضب) اذا سكت (صددت الرجل) وأصددته (صردت) السهم و (أصردته) اذا أنفذته (وعيت العلم)

عباده وأمثال هذا في القرآن الكريم كثير (ومما ورد) من هذا النوع شعرا قول بعض شعراء الحماسة

الى معدن العز المؤثل والندى * هناك هناك الفضل والخلق الجزل

فقوله هناك هناك من التكرير الذي هو أبلغ من الايجاز لانه في معرض مدح فهو يقرر في نفس السامع ماعند الممدوح من هذه الاوصاف المذكورة مشيرا اليها كأنه قال أدلكم على معدن كذا وكذا ومقره ومفاده وكذلك ورد قول المساور بن هند

جزى الله عني غالبا من عشيرة * اذا حدثان الدهر نابت نوائبه

فكم دافعوا من كربة قد تلاحمت * على وموج قد علتني غواربه

فصدر البيت الثاني وعجزه يدلان على معنى واحد لان تلاحم الكرب عليه كتعالي الموج من فوقه وانما سوغ ذلك لانه مقام مدح واطراء ألا ترى أنه يصف احسان هؤلاء القوم عند حدثان دهره في التكرير وفي قبالته لو كان القائل هاجيا فان الهجاء في هذا كالمدح والتكرير انما يحسن في كلا الطرفين لا في الوسط (واعلم) أنه اذا وردت ان المكسورة المخففة بعدما كانت بمعناها سواء ألا ترى الى قوله تعالى ان هم الا كالانعام فان وما بمعنى واحد واذا أوردت من بعدما كانت من باب التكرير كقولنا ما ان يكون كذا وكذا أي ما مايكون كذا وكذا واذا وردت في الكلام فانما ترد في مثل ما أشرنا اليه من التكرير فان استعملت في غير ما يكون منه الفائدة بتكريرها كان استعمالها لغوا لا فائدة فيه وقد زعم قوم من مدعي هذه الصناعة أن أبا الطيب المتنبي أتى في هذا البيت بتكرير لا حاجة به اليه وهو قوله

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ * ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

وليس في هذا البيت من تكرير فانه كقولك الموصوف بكذا وكذا ابن الموصوف بكذا وكذا أي انه عريق النسب في هذا الوصف (وقد ورد) في الحديث النبوي مثل ذلك كقول النبي صلى الله عليه وسلم في وصف يوسف الصديق عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (ولقد فاوضني في هذا البيت المشار اليه) بعض علماء الادب وأخذ يطعن فيه من جهة تكراره فوقفته على مواضع الصواب منه وعرفته أنه كالخبر النبوي من جهة المعنى سواء بسواء لكن لفظه ليس بمرضي على هذا الوجه الذي قد استعمل فيه فان الالفاظ اذا كانت حسانا في حال انفرادها فان استعمالها في حال التركيب يزيدها حسنا على حسنها أو يذهب ذلك الحسن عنها وقد تقدم الكلام على ذلك في المقالة الاولى من الصناعة اللفظية ولو تهيأ لابي الطيب المتنبي أن يبدل لفظة العارض بلفظة السحاب أو ما يجري مجراها لكان أحسن وكذلك لفظة الهتن فان البيت بمرضية في هذا الموضع على هذا الوجه ولفظة العارض وان كانت قد وردت في القرآن وهي لفظة حسنة فالفرق بين ورودها في القرآن الكريم وورودها في هذا البيت الشعري ظاهر وقد تقدم الكلام على مثلها من آية وبيت لابي الطيب أيضا وهو في المقالة اللفظية عند الكلام على الالفاظ المفردة فليؤخذ من هناك وكثيرا ما يقع الجهال في مثل هذه المواضع وهم الذين قيل فيهم

وكذا كل أخي حذلقة * ما مشى في يابس الازلق

فترى أحدهم قد جمع نفسه وظن على جهله أنه عالم فيسرع في وصف كلام بالايجاز وكلام بالتطويل أو بالتكرير واذا طولب بأن يبدي سببا لما ذكره لا يوجد عنده من القول شئ

و(أوعيته) و (أوعيت المتاع) و(وفيت) بالعهد و (أوفيت) و (أوفيت) الكيل لاغير (غلات) و (أغلات) من الغلول (لحدت القبر) وألحدته (ولحد الرجل) في الدين و (ألحد) وقرئت يلحدون ويلحدون (بدأ الله) الخلق و (أبدأ) وقال الله عز وجل يبدئ ويعيد (بشرت الرجل) و (أبشرته) اذا بشرته (وبشرت الاديم) و (أبشرته) اذ قشرت ما عليه (قبل) وأقبل و (دبر) وأدبر (وقع الحافر) وأوقع و (جهشت) في البكاء وأجهشت (أجمع) القوم رأيهم و (جمعوا) رأيهم (نعل الثوب) وأنعل (عفصت) القارورة واعفصتها (حل) من احرامه وأحل (بل) من مرضه و (أبل) أي نجا (ثويت) عنده وأثويت (منيت) و (أمنيت) من المني (ومذيت) من المذي وأمذيت (طافوا) به وأطافوا (حال) في متن فرسه وأحال (صر) الفرس أذنه وأصر (مر) الطعام و (أمر) و (قمت) بالقوم في القتال وأوقعت (نويت) النوى و (أنويته) اذا أكلت التمر ورميت بالنوى (غمي) عليه وأغمي (مطت) عنه و (أمطت) تنحيت وكذلك (مطت) غيري و (أمطت) هذا قول أبو زيد قال الاصمعي مطت أنا وأمطت غيري لاغير (قمت) الرجل وأقمته (صعقتهم) السماء و (أصعقتهم) ألقت عليهم صاعقة (قمسته) في الماء (وأقمسته) اذا غططته (حرمته) وأحرمته (مضني) و (أمضني) قال الاصمعي أمضني بالالف لم يعرف غيره (صليت) الشئ في النار وأصليته (بحوت) اللحم عن الجلد و (أبحيته) اذا قشرته (جاب) الجرح و (أجلب) اذا علته جلبة

الاتعكا محضا صادرا عن جهل محض (الضرب الثاني من التكرير في اللفظ والمعنى) وهو غير المفيد فمن ذلك قول مروان الاصغر

سقى الله نجدا والسلام على نجد * ويا حبذا نجد على النأي والبعد
نظرت الى نجد وبغداد دونها * لعلي أرى نجدا وهيهات من نجد

وهذا من العي الضعيف فانه كرر ذكر نجد في البيت الاول ثلاثا وفي البيت الثاني ثلاثا ومراده في الاول الثناء على نجد وفي الثاني أنه تلفت اليها ناظرا من بغداد وذلك مرمى بعيد وهذا المعنى لا يحتاج الى مثل هذا التكرير أما البيت الاول فيحمل على الجائز من التكرير لانه مقام تشوق وتحرق وموحدة بفراق نجد ولما كان كذلك أجيز فيه التكرير على أنه قد كان يمكنه أن يصوغ هذا المعنى الوارد في البيتين معا من غير أن يأتي بهذا التكرير المتتابع ست مرات (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبي نواس

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس

ومراده من ذلك أنهم أقاموا بها أربعة أيام ويا عجباه يأتي بمثل هذا البيت السخيف الدال على العي الفاحش في ضمن تلك الابيات العجيبة الحسن التي تقدم ذكرها في باب الايجاز وهي * ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * (ومن هذا الباب أيضا) ما أوردناه في صدر هذا النوع وهو قول أبي الطيب المتنبي

ولم أر مثل جيراني ومثلي * لمثلي عند مثلهم مقام

فهذا هو التكرير الفاحش الذي يؤثر في الكلام نقصا ألا ترى أنه يقول لم أر مثل جيراني في سوء الجوار ولا مثلي في مصابرتهم ومقامي عندهم انه قد كرر هذا المعنى في البيت مرتين وعلى نحو من ذلك جاء قوله أيضا

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى * قلاقل عيس كلهن قلاقل

(وأما القسم الثاني من التكرير) وهو الذي يوجد في المعنى دون اللفظ (فذلك ضربان) مفيد وغير مفيد (الضرب الاول المفيد وهو فرعان الاول) اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين مختلفين وهو موضع من التكرير مشكل لانه يسبق الى الوهم أنه تكرير يدل على معنى واحد (فمما جاء منه) حديث حاطب بن أبي بلتعة في غزوة الفتح وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر علي بن أبي طالب والزبير والمقداد رضي الله عنهم فقال اذهبوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فأتوني به قال علي رضي الله عنه فخرجنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة واذا فيها الظعينة فأخذنا الكتاب من عقاصها وأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو من حاطب ابن أبي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما هذا يا حاطب فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقوله ما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام من التكرير الحسن وبعض الجهال يظنه تكريرا لا فائدة فيه فان الكفر والارتداد عن الدين سواء وكذلك الرضا بالكفر بعد الاسلام وليس كذلك والذي يدل عليه اللفظ هو أني لم أفعل ذلك وأنا كافر أي باق على الكفر ولا مرتدا أي اني كفرت بعد اسلامي ولا رضا بالكفر بعد الاسلام أي ولا ايثارا لجانب الكفار

للبر (وجنته) في القبر وأجلته (ربعت) عليه الحمى و(أربعت) و(غبت) عليه الحمى وأغبت (رميت) على الخمسين و(أرميت) زدت (كلأت) الناقة و(أكلأت) اذا أكلت الكلأ (حكمت) الفرس و(أحكمته) و(رسنته) وأرسنته (رحبت) الدار و(أرحبت) اذا اتسعت (جهرت) بالقول وأجهرت (خسرت) الميزان و(أخسرته) نقصته (حصر) الرجل من الغائط وأحصر (صقعت) الارض و(أصقعت) من الصقيع (عند) العرق و(أعند) اذا سال بالدم وأكثر (لخيت) الغلام و(ألخيته) اذا أوجرته الدواء (فرشته) فراشا وأفرشته (صرت) الحبر أسه و(أصرته) اذا أملته (ضنأت) المرأة و(أضنأت) اذا كثر ولدها (هلكت) الشئ و(أهلكته) قال العجاج

* ومهمه هالك من تعرجا *

بمعنى مهلك هذا قول أبي عبيدة وقال غيره أي هالك المتعرجين أي من عرج فيه واحتبس هلك (جذى) الشئ و(أجذى) اذا ثبت قائما (زلت) الشئ وأزلته (رفل) في مشيته (وأرفل) و(ضعت) في مالي و(أوضعت) و(وكست) وأوكست (زحفت) في المشي و(أزحفت) أعييت (أويته) و(آويته) وأويت الى فلان مقصور لا غير (حلت) في ظهر دابتي و(أحلت) اذا وثبت عليه (حشت) عليه الصيد وأحوشت (قصرنا) و(أقصرنا) من قصر العشي (وكف) البيت وأوكف (خطل) في كلامه وأخطل (حاك) فيه القول و(أحاك) أي نجع (غمدت) سيفي وأغمدته (رشت) السهم و(أرشت) و(طشت) وأطشت (هلت) عليه التراب وأهلت

على

على جانب المسلمين وهذا حسن في مكانه واقع في موقعه وقد يحمل التكرير فيه على غير هذا الفرع الذي نحن بصدد ذكره ههنا وهو الذي يكون التكرير فيه يدل على معنى واحد وسيأتي بيانه في الفرع الثاني الذي يلي هذا الفرع الاول والذي يجوّزه أن هذا المقام هو مقام اعتذار وتنصل عما رمي به من تلك القارعة العظيمة التي هي نفاق وكفر فكرر المعنى في اعتذاره قصدا للتأكيد والتقرير لما ينفي عنه ما رمي به (ومما ينتظم بهذا السلك) أنه اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنيين أحدهما خاص والآخر عام كقوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فان الامر بالمعروف داخل تحت الدعاء الى الخير لان الامر بالمعروف خاص والخير عام فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمرا بالمعروف وذلك أن الخير أنواع كثيرة من جملتها الامر بالمعروف ففائدة التكرير ههنا أنه ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وكقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان وكقوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها فان الجبال داخلة في جملة الارض لكن لفظ الارض عام والجبال خاص وفائدته ههنا تعظيم شأن الامانة المشار اليها وتفخيم أمرها وقد ورد هذا في القرآن الكريم كثيرا ومما ورد منه شعرا قول من أبيات الحماسة

وان الذي بيني وبين بني أبي * وبين بني عمي لمختلف جدا
اذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم * وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم * وان هم هووا غيي هويت لهم رشدا

فهذا من الخاص والعام فان كل لحم يؤكل للانسان فهو تضييع لغيبه وليس كل تضييع لغيبه أكلا للحمه ألا ترى أن أكل اللحم هو كناية عن الاغتياب وأما تضييع الغيب فمنه الاغتياب ومنه التخلي عن النصرة والاعانة ومنه اهمال السعي في كل ما يعود بالنفع كائنا ما كان وعلى هذا فان هذين البيتين من الخاص والعام المشار اليه في الآية المقدم ذكرها وهو موضع يرد في الكلام البليغ ويظن أنه لا فائدة فيه (الفرع الثاني) اذا كان التكرير في المعنى يدل على معنى واحد لا غير وقد سبق مثال ذلك في أول هذا الباب كقولك أطعني ولا تعصني فان الامر بالطاعة نهي عن المعصية والفائدة في ذلك تثبيت الطاعة في نفس المخاطب والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله من تكرير اللفظ والمعنى اذا كان الغرض به شيئا واحدا ولا تجد شيئا من ذلك يأتي في الكلام الا لتأكيد الغرض المقصود به كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم فانه انما كرر العفو والصفح والمغفرة والجميع بمعنى واحد للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته وهذا وأمثاله ينظر في الغرض المقصود به وهو موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الايجاز وأولى بالاستعمال (وقد ورد) في القرآن الكريم كثيرا كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قال انما أشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون فان البث والحزن بمعنى واحد وانما كرره ههنا لشدة الخطب النازل به وتكاثر سهامه النافذة في قلبه وهذا المعنى كالذي قبله وكذلك ورد قوله تعالى تلك عشرة كاملة بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين لان عشرة هي ثلاثة وسبعة ثم قال كاملة وذلك توكيد ثالث والمراد به ايجاب صوم الايام السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور لا عند الوصول الى البلد كما ذهب اليه بعض الفقهاء وبيانه أني أقول اذا صدر الامر من الآمر على المأمور بلفظ

(نار) الشيء و (أنار) خذما (طف) لك وأطف (سمس) يومنا وأسمس (حالت) الدار و (أحالت) من الحول و (بان) و (أبان) حضرت حتى (عنت) و (أعينت) أي دلفت العيون (طاسق يده) بالخير وأطاق (رملت) الحصير و (أرملته) و (سفقته) و (أسفقته) نسجته (بر) الله حجك وأبره (سعده) الله و (أسعده) و (نعشه) الله وأنعشه (قطبت) الشراب و (أقطبته) مزجته (شططت) الوعاء و (أشططته) من الشطاط (رجعت) يدي وأرجعتها (لحته) وألحته (تبله) الحب وأتبله (جلا) القوم عن الموضع و (أجلوا) تنحوا عنه و (أجليتهم) أنا وجلوتهم قال أبو ذؤيب

فلما جلاها بالايام تحيزت
ثبات عليها ذلها واكتئابها

يعني مشتار العسل جلاها عن موضعها بالدخان ليشتاره (لاح) الرجل و (ألاح) أي أشفق (سقت) اليها الصداق وأسقته (جفلت) الريح وأجفلت (نحوت) النجوم و (أنحوت) اذا سقطت ولم تمطر (غبش) الليل و (أغبش) أظلم (ذرق) الطائر وأذرق (صم) الرجل وأصم (غامت) السماء وأغامت (خلف) فوه وأخلف (زففت) العروس و (أزففتها) و (عزت) اليك في الامر وأعزت (داء) الرجل يداء مثل شاء يشاء و (أداء) يدىء اذا صار في جوفه الداء (ظلفت) أثري اذا مشيت في الحزونة حتى لا يرى و (أظلفته) و (شنقت) الناقة و (أشنقتها) اذا كففتها بزمامها و (سنفتها) و (أسنفتها) من السناف (بقت) المرأة و (أبقت) كثر ولدها و (بققت) يا رجل و (أبققت) اذا كثر كلامه (حزنت) الناقة و (أحزنتها) اذا سرت عليها حتى تهزل (قصدت) الناقة

التكرير مجردا من قرينة تخرجه عن وصفه ولم يكن موقتا بوقت معين كان ذلك حثا له على المبادرة الى امتثال الامر على الفور فانك اذا قلت لمن تأمره بالقيام قم قم قم فانما تريد بهذا اللفظ المكرر أن يبادر الى القيام فى تلك الحال الحاضرة (فان قلت) الغرض بتكرير الامر أن يتكرر فى نفس المأمور أنه مراد منه وليس الغرض الحث على المبادرة الى امتثال الامر (قلت فى الجواب) ان المرة الواحدة كافية فى معرفة المأمور أن الذى أمر به مراد منه والزيادة على المرة الواحدة لا تخلو اما أن تكون دالة على مادلت عليه المرة الواحدة أو دالة على زيادة معنى لم يكن فى المرة الواحدة فان كانت دالة على مادلت عليه المرة الواحدة كان ذلك تطويلا فى الكلام لا حاجة اليه وقد ورد مثله فى القرآن الكريم كهذه الآية المشار اليها وغيرها من الآيات والتطويل فى الكلام عيب فاحش عند البلغاء والفصحاء والقرآن معجز بلاغته وفصاحته فكيف يكون فيه تطويل لا حاجة اليه فينبغى أن تكون تلك الزيادة دالة على معنى زائد على مادلت عليه المرة الواحدة واذا ثبت هذا فتلك الزيادة هى الحث على المبادرة الى امتثال الامر فان سلمت لى ذلك والا فبين معنى تلك الزيادة ببيان غير ماذكرته أنا ولا أراك أن تستطيع ذلك (فان قلت) ان الواو فى قوله تعالى وسبعة اذا رجعتم لولا أن تؤكد بقوله تلك عشرة لظن أنها وردت بمعنى أو أى فثلاثة أيام فى الحج أو سبعة اذا رجعتم فلما قيل تلك عشرة زال هذا الظن وتحققت الواو أنها عاطفة وليست بمعنى أو (قلت فى الجواب) هذا باطل من أربعة أوجه الوجه الاول أن الواو العاطفة لا تجعل بمعنى أو أين وردت من الكلام وانما تجعل بمعنى أو حال ضرورة ترجح جانبها على جانب جعلها عاطفة لان الاصل فيها أن تكون عاطفة فاذا عدل بها عن أصلها احتاج الى ترجيح ولا ترجيح ههنا الوجه الثانى بلاغى وذلك أن القرآن الكريم منتهى البلاغة والفصاحة لمكان اعجازه فلو كان معنى الواو فى هذه الآية بمعنى أو لقيل فثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ولم يحتج الى هذا التطويل فى قوله فثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة الوجه الثالث أن هذا الصوم حكم من أحكام العبادات والعبادات يجب فيها الاحتياط أن تؤدى على أكمل صورة لئلا يدخلها النقص واذا كان الامر على ذلك فكيف يظن أن الواو فى هذه الآية بمعنى أو الوجه الرابع أن السبعة ليست مماثلة للثلاثة حتى تجعل فى قبالتها لان معنى الآية اذا كانت الواو فيها بمعنى أو اما أن تصوموا ثلاثة أيام فى الحج أو سبعة اذا رجعتم (فان قلت) هذا تعبد لا يعقل معناه كغيره من التعبدات التى لا يعقل معناها (قلت فى الجواب) ان لنا من التعبدات مالا يعقل معناه كعدد ركعات الصلوات وعدد الطواف والسعى وأشباه ذلك ولنا ما يعقل معناه كهذه الآية فانا نعقل التفاوت بين الصوم فى الحضر والسفر ونعقل التفاوت بين العدد الكثير والعدد القليل وعلى هذا فلا يخلو اما أن يكون صوم الايام السبعة عند الرجوع فى الطريق أو عند الوصول الى البلد فان كان فى الطريق فانه أشق من الصوم بمكة لان الصوم فى السفر أشق من الصوم فى الحضر فكيف يجعل صوم سبعة أيام فى السفر فى مقابلة صوم ثلاثة أيام بمكة وان كان الصوم عند الوصول الى البلد فلا فرق بين الصوم بمكة والصوم عند الوصول الى البلد لان كليهما صوم فى المقام بلد من البلاد لا تفاوت بينهما حتى يجعل صوم ثلاثة أيام فى مقابلة سبعة أيام على غير مثال ولا تساو فعلى كلا التقديرين لا يجوز أن تكون الواو فى سبعة اذا رجعتم بمعنى أو فتحقق اذا أنها للعطف خاصة واذا كانت للعطف خاصة فتأكيدها بعشرة كاملة دليل على أن المراد وجوب صوم الايام السبعة فى الطريق قبل الوصول الى البلد (فان قلت) ان الصوم بمكة أشق من الصوم فى الطريق لان الواجب عليه

و(اقعدت) اذا صارت مقعدا وهى العظيمة السنام و(هنه) الله و(أوهنه) قال طرفة واذا تلسنى السنها * اننى لست بموهون فقر وقال آخر أقتلت سادتنا بغير دم الا توهن آمن العظم (صفوت) الى الرجل واصفيت (ذروت) الحب و(اذريته) قال الفراء (جات) الشحم و(اجلته) اذا اذبته (نجزت) الحاجة و(انجزتها) قضيتها (ركست) الشئ و(اركسته) اذا رددته قال الله تعالى والله اركسهم بما كسبوا روى فى التفسير ردهم الى كفرهم ابن الاعرابى (دلع) لسانه وادلعه (مرأنى) الطعام و(أمرأنى) وروى ايضا (لط) دون الحق بالباطل (والط) وقول الناس الالطاط وهو ملط من هذا وروى (كفأت) الاناء واكفأته (ألفت) المكان وآلفته (نكرت) القوم وانكرتهم انم (الله) بك عينا وانعم (جدب) الوادى و(أجدب) و(خصب) واخصب (وبثت) الارض و(أوبأت) و(حطبت) و(احطبت) و(عشبت) و(اعشبت) و(بقلت) و(ابقلت) و(ضبعت) الناقة و(اضبعت) اذا اشتهت الفحل (لحقته) و(ألحقته) ومنه ان عذابك بالكفار ملحق أى لاحق (قويت) الدار واقوت (زكنت) الامر وأزكنته (خطئت) و(أخطأت) وقال الله عز وجل لا يأكله الا الخاطئون وقال الشاعر عبادك يخطؤن وأنت رب بكفيك المنايا لا تموت (ردفته) وأردفته (ملح) الماء وأملح و(نتن) الشئ وأنتن (أعورت) عينه وعرتها (دير) بالرجل و(أدير) به من دوار الرأس

الصوم

الصوم بمكة في نصب وتعب بتصريف زمانه في السعي والطواف والصلاة والعمرة وغير ذلك (قلت في الجواب) هذا لا يلزم اذ الواجب عليه سعي واحد وطواف واحد لا غير وما عدا ذلك نافلة لا يلزم ونحن في هذا المقام ناظرون الى ما يجب لا الى النافلة والذي يجب أداؤه بمكة يمرع منه في ساعة واحدة فكيف تجعل الزيادة على ذلك دليلا يورد في هذا المقام هذا غير وارد وهذا ورد قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فقوله غير يسير بعد قوله عسير من هذا النوع المشار اليه والا فقد علم أن العسير لا يكون يسيرا وانما ذكرهنا على هذا الوجه لتعظيم شأن ذلك اليوم في عسره وشدته على الكافرين وكذلك ورد قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده فان البغضاء والعداوة بمعنى واحد وانما حسن ايرادهما معا في معرض واحد لتأكيد البراءة بين ابراهيم صلوات الله عليه والذين آمنوا به وبين الكفار من قومهم حيث لم يؤمنوا بالله وحده وللمبالغة في اظهار القطيعة والمصارمة وورد مثل ذلك في مثل هذا الموضع كالايجاز في موضعه ولن ترى شيأ يرد في القرآن الكريم من هذا القبيل الا وهو لامر اقتضاه وان خفي عنك موضع السر فيه فاسأل عنه أهله العارفين به (ومما ورد منه شعرا) قول بعضهم في أبيات الحماسة

نزلت على آل المهلب شاتيا * بعيدا عن الاوطان في زمن المحل

فما زال بي اكرامهم وافتقادهم * واحسانهم حتى حسبتهم أهلي

فان الاكرام والافتقاد داخلان تحت الاحسان وانما كرر ذلك للتنويه بذكر الصنيع والاعجاب لحقه وعلى هذا ورد قول الاعشى في قصيدته المشهورة التي يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال منها

فآليت لا أرثي لها من كلالة * ولا من وجى حتى تلاقي محمدا

فان الوجى والكلالة معناهما سواء وانما حسن تكريره هنا للاشعار ببعد المسافة (الضرب الثاني من القسم الثاني) في تكرير المعنى دون اللفظ وهو غير المفيد فمن ذلك قول أبي تمام

قسم الزمان ربوعها بين الصبا * وقبولها ودبورها أثلاثا

فان الصبا هي القبول وليس ذلك مثل التكرير في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى فيما يرجع الى تكرير اللفظ والمعنى ولا مثل التكرير في قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فيما يرجع الى تكرير المعنى دون اللفظ وقول أبي تمام الصبا والقبول لا يشتمل الا على معنى واحد لا غير وهذا الضرب من التكرير قد خبط فيه علماء البيان خبطا كثيرا والاكثرون أجازوه فقالوا اذا كانت الالفاظ متغايرة والمعنى المعبر عنه واحدا فليس استعمال ذلك بعيب وهذا القول فيه نظر والذي عندي فيه أن الناثر يعاب على استعماله مطلقا اذا أتى لغير فائدة وأما الناظم فانه يعاب عليه في موضع دون موضع أما الموضع الذي يعاب استعماله فيه فهو صدور الابيات الشعرية وما والاها وأما الموضع الذي لا يعاب استعماله فيه فهو الاعجاز من الابيات لمكان القافية وانما جاز ذلك ولم يكن عيبا لانه في فيه والشاعر مضطر اليها والمضطر يحل له ما حرم عليه كقول امرئ القيس في قصيدته اللامية التي مطلعها ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي * فقال

وهل ينعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم لا يبيت بأوجال

واذا كان قليل الهموم فانه لا يبيت بأوجال وهذا تكرير للمعنى الا أنه ليس بعيب لانه قافية

(مرع) الوادي و(أمرع) (زربت) عليه و(أزربت) به (رفقت) به و(أرفقته) (أنسأ) الله أجله و(نسأ) في أجله (ذهبت) بالشيء و(أذهبته) و(جئت) به و(أجأته) و(دخلت) به و(أدخلته) و(خرجت) به و(أخرجته) و(علوت) به و(أعليته) تكلم فما (سقط) بحرف وما (أسقط) حرفا (غفلت) عنه وأغفلته (جن) عليه الليل و(أجنه) الليل (شالت) الناقة بذنبها و(أشالت) بذنبها (أشلت) الحجر و(شلت) به (ألوى) الرجل برأسه و(لوى) رأسه (أجفته) الطعنة و(جفته) بها (أبديت) القوم و(بدوت) عليهم (أغببتهم) و(غببت) عنهم فاذا أردت انك دفعت عنهم قلت غببت بالتشديد (رصدته) بالمكافأة و(أرصدته) أي ترقبته بها و(أرصدت) له أعددت له قال أبو زيد رصدته بالخير وغيره أرصده رصدا وأنا راصده وأرصدت له بالخير وغيره ارصادا وأنا مرصد له بذلك قال ابن الاعرابي أرصدت له بالخير والشر لا يقالان الا بالالف

﴿باب أفعلت الشيء عرضته للفعل﴾

(أقتلت) الرجل عرضته للقتل (وأبعت) الشيء عرضته للبيع وأنشد

فرضيت آلاء الكميت فمن يبع
فرسا فليس جوادنا بمباع

أي بمعرض للبيع وقال الفراء تقول أبعت الخيل اذا أردت انك أمسكتها للتجارة والبيع فان أردت انك أخرجتها من يدك قلت بعتها قال وكذلك قالت العرب (أعرضت) العرضان أي أمسكتها للبيع و(عرضتها) ساومت بها فقس على هذا كل ما ورد عليك

﴿باب أفعلت الشيء وجدته كذلك﴾

أتيت فلانا (فأجدته) و(أذممته)

وكذلك ورد قول الحطيئة

قالت أمامة لاتجزع فقلت لها * ان العزاء وان الصبر قد غلبا

هلا التمست لنا ان كنت صادقة * مالانعيش به فى الناس أونشبا

فالبيت الاول معيب لانه كرر العزاء والصبر اذ معناهما واحد ولم يرد لقافية لان القافية هى الباء وأما البيت الثانى فليس بمعيب لان التكرير جاء فى النشب وهو قافية (ومما يجرى هذا المجرى) قول المنخل اليشكرى

ولقد دخلت على الفتا * ة الخدر فى اليوم المطير

الكاعب الحسناء تر * فل فى الدمقس وفى الحرير

فان الدمقس والحرير سواء وقد ورد قافية فلا بأس به من أجل ذلك ﴿فان قيل﴾ ان الحرير هو الابريسم المنسوج بدليل قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فانه لم يرد خيوط ابريسم وانما أراد أثوابا من الابريسم وأما الدمقس فانه خيوط الابريسم محلولة بدليل قول امرئ القيس * وشحم كهذاب الدمقس المفتل * فانه لم يرد ابريسما منسوجا وانما أراد خيوط الابريسم (فالجواب عن ذلك) أنه لو حمل بيت المنخل على ذلك لفسد معناه لان المرأة لا ترفل فى خيوط من الابريسم وانما ترفل فى الاثواب منه وأما قول امرئ القيس كهذاب الدمقس فانه لو كان الدمقس هو الخيوط المحلولة من الابريسم لما احتاج أن يقول كهذاب فان الهداب جمع هدب ثم قال المفتل فدل بذلك على أن الدمقس يطلق على الابريسم سواء كان منسوجا أو غير منسوج وكذلك الحرير أيضا وعند الاستعمال يفهم المراد منه بالقرينة ألا ترى أنه لما قال المنخل ترفل فى الدمقس وفى الحرير فهم من ذلك أنه أراد أثوابا من الدمقس ومن الحرير لان الرفول لا يكون فى خيوط من الابريسم وانما يكون فى أثوابه (ومما يجرى على هذا النهج) قول الآخر من شعراء الحماسة

انى وان كان ابن عمى غائبا * لمقاذف من خلفه وورائه

فان خلفا ووراء بمعنى واحد وانما جاز تكرارهما لانهما قافية وعلى هذا ورد قول أبى تمام

دمن كأن البين أصبح طالبا * دمنا لدى آثارنا وحقودا

فان الدمنة هى الحقد وكذلك قول أبى الطيب المتنبى

بحر تعود أن يذم لأهله * من دهره وطوارق الحدثان

فتركته واذا أذم من الورى * راعاك واستثنى بنى حمدان

فان الدهر وطوارق الحدثان سواء وانما جاز استعمال ذلك لانه قافية وأما ما ورد فى أثناء الابيات الشعرية فكقول عنترة

حييت من طلل تقادم عهده * أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

فقوله أقوى وأقفر من المعيب لانهما لفظان وردا بمعنى واحد لغير ضرورة اذ الضرورة لا تكون الا فى القافية كما أريتك (وأما ما ورد من صدور الابيات) فكقول البحترى فى قصيدته العينية

ألمت وهل المامها بك نافع * وزارت خيالا والعيون هواجع

فان قوله ألمت وقوله زارت خيالا سواء ولا فرق اذا بين صدر البيت وعجزه ﴿فان قيل﴾ انه أراد بالالمام زيارة اليقظة ثم قال وزارت خيالا ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أنه لم يرد الا زيارة المنام فى الحالتين لانه قال ألمت وهل المامها بك نافع ولو كان الالمام فى اليقظة لما قال وهل المامها بك نافع فانه لا نفع أنفع من زيارة المحبوب فى اليقظة وهذا غير خاف لا يحتاج الى السؤال عنه ﴿فان

قيل)

و(أخلفته) أى وجدته محمودا ومذموما ومخلافا للوعد وأتيت فلانا (فأبخلته) و(أجبنته) و(أحمقته) و(أنوكته) و(أهوجته) اذا وجدته كذلك و(أقهرته) اذا وجدته مقهورا وأنشد

تمنى حصين ان يسود جذاعه
فأمسى حصين قد أذل وأقهرا

وقال الاعشى * فمضى وأخلف من قتيلة موعدا * أى وجده خلفا ويقال هاجيت فلانا (فأفحمته) أى وجدته مفحما لا يقول الشعر ويقال خاصمته حتى أفحمته أى قطعته وروى عن عمرو بن معدى كرب أنه قال لبنى سليم قاتلناكم فما (أجبناكم) وسألناكم فما (أبخلناكم) وهاجيناكم فما (أفحمناكم) أى ما صادفناكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين وأتيت الارض (فأجدبتها) و(أحييتها) و(أوحشتها) و(أهيجتها) اذا وجدتها حية النبات وجدبة ووحشة وهائجة النبات

﴿باب أفعل الشئ حان منه ذلك﴾

(أركب) المهر حان أن يركب (وأحصد) الزرع حان أن يحصد (وأقطف) الكرم حان أن يقطف وكذلك يقال (أقطف) القوم حان أن يقطفوا كرومهم و(أجزوا) و(أجدوا) و(أغلوا) كذلك (وأنتجت) الخيل حان نتاجها و(أفصح) النصارى حان فصحهم و(أشهر) القوم أتى عليهم شهر و(أحال) القوم أتى عليهم حول

﴿باب افعل الشئ صار كذلك واصابه ذلك﴾

(اجرب) الرجل و(اعجز) و(احال) اى صار صاحب جرب وعجاز وحيال فى ماله وكذلك (أهزل) الناس اذا أصابت السنة أموالهم فصارت مهازيل (واحج) الرجل

قيل لم أجزت ذلك للناظم وحظرته على الناثر (قلت في الجواب) أما الناثر فانه اذا سجع كلامه فالغالب أن يأتي به مزدوجا على فقرتين من الفقر ويمكنه ابدال تلك الفقرتين بغيرهما فيسلم منه وأما الشاعر فانه يصوغ قصيدا ذا أبيات متعددة على قافية من القوافي فاذا تكرر لديه شيء من الكلام في آخر بيت من الابيات عسر ابداله من أجل القافية وهذا غير خاف والسؤال عنه غير وارد وهذا الذي ذكرته اذا ورد في غير القافية سمي اخلالا ويقال ان البحتري كان يخلي كثيرا في شعره وهو لعمري كذلك الا أن حسن سبكه ورونق ديباجته يغفر له ذلك (ويروى عنه) أنه كان اذا امتثل بين يدي الفتح بن خاقان وزير المتوكل مادحا له اختال بين يديه معجبا بنفسه فتقدم خطوات ثم تأخر وقال أي شيء تسمعون فنقم عليه ذلك بعض حسدته وحمل الفتح بن خاقان عليه فقال له الفتح لو رمانا بالحجارة لكان ذلك مغفورا له فيما يقوله (النوع الثامن عشر في الاعتراض) وبعضهم يسميه الحشو وحده كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقي الاول على حاله مثال ذلك أن تقول زيد قائم فهذا كلام مفيد وهو مبتدأ وخبر فاذا أدخلنا فيه لفظا مفردا قلنا زيد والله قائم ولو أزلنا القسم منه لبقي الاول على حاله واذا أدخلنا في هذا الكلام لفظا مركبا قلنا زيد على ما به من المرض قائم فأدخلنا بين المبتدأ والخبر لفظا مركبا وهو قولنا على ما به من المرض فهذا هو الاعتراض وهذا حده (واعلم) أن الجائز منه وغير الجائز اغا يؤخذ من كتب العربية فانه يكون مستقصى فيها كالاعتراض بين القسم وجوابه وبين الصفة والموصوف وبين المعطوف والمعطوف عليه وأشباه ذلك مما يحسن استعماله وكالاعتراض بين المضاف والمضاف اليه وبين ان واسمها وبين حرف الجر ومجروره وأمثال ذلك مما يقبح استعماله وليس هذا مكانه لان كتابنا هذا موضوع لان يستكمل معرفة ذلك وغيره مما أشرنا اليه في صدر الكتاب وليس المراد ههنا من الاعتراض الا ما يفرق به بين الجيد والرديء لا ما يعلم به الجائز وغير الجائز لان كتابي هذا موضوع لذكر ما يتضمنه الكلام على اختلاف أنواعه من وصفي الفصاحة والبلاغة فالذي أذكره في باب الاعتراض انما هو ما اشتمل على شيء من هذين الوصفين المشار اليهما (واعلم) أن الاعتراض ينقسم قسمين (أحدهما) لا يأتي في الكلام الا لفائدة وهو جار مجرى التوكيد (والآخر) أن يأتي في الكلام لغير فائدة فاما أن يكون دخوله فيه كخروجه منه واما أن يؤثر في تأليفه نقصا وفي معناه فسادا (فالقسم الاول) وهو الذي يأتي في الكلام لفائدة كقوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون ففي هذا الكلام اعتراضان أحدهما قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اعتراض بين القسم الذي هو فلا أقسم بمواقع النجوم وبين جوابه الذي هو انه لقرآن كريم وفي نفس هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذي هو قسم وبين صفته التي هي عظيم وهو قوله لو تعلمون فذانك اعتراضان كما ترى وفائدة هذا الاعتراض بين القسم وجوابه انما هي تعظيم لشأن المقسم به في نفس السامع ألا ترى الى قوله لو تعلمون اعتراضا بين الموصوف والصفة وذلك الامر بحيث لو علم وفي حقه من التعظيم وهذا مثل قولنا ان هذا الامر لعظيم بحيث لو تعلم يا فلان عظمه لقدرته حق قدره فان ذلك يكبر في نفس المخاطب ويظل متطلعا الى معرفة عظمه (وكذلك) ورد قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وتقديره ويجعلون لله البنات ولهم ما يشتهون فاعترض بين المفعولين بسبحانه وهو مصدر يدل على التنزيل فكأنه قال ويجعلون لله البنات وهو منزه عن ذلك ولهم ما يشتهون وفائدة هذا الاعتراض ههنا ظاهرة (وكذلك) ورد قوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام قالوا نفقد صواع الملك

اذا صارت ابله حرارا أي عطاشا و(اعاه) الرجل اذا صارت العاهة في ماله و(اصح) صارت الصحة في ماله بعد العاهة و(اسنت) اصابته السنة و(اقحط) و(أيبس) اذا اصابه القحط واليبس و(أشمل) القوم صاروا في ريح الشمال وكذلك الجنوب والصبا والدبور و(اراحوا) صاروا في ريح و(أربعوا) صاروا في ربيع فاذا اردت ان شيأ من هذا اصابهم ٣٣ قلت فعلوا فهم مفعولون تقول (شملوا) و(جنبوا) و(صبوا) و(دبروا) و(ريحوا) و(ربعوا) وتقول (أربعوا) و(أصافوا) و(أشتوا) و(أخرفوا) صاروا في هذه الازمنة فاذا أردت انهم ٣٣ أقاموا هذه الازمنة في موضع قلت (صافوا) و(شتوا) و(ارتبعوا) و(ألحم) القوم و(أسمنوا) و(ألبنوا) و(أتمروا) و(ألبأوا) و(أقثأوا) و(أبطخوا) صار ذلك عندهم كثيرا و(أخلت) الارض و(أجنت) و(أرعت) صار فيها الخلا والجني والرعي و(أبسر) النخل و(أحشف) و(أبلح) و(أدقل) و(أخوص) و(أشوك) اذا صار فيه ذلك و(أوقر) النخل كثر حمله يقال نخلة موقر وموقرة و(أرعد) القوم و(أبرقوا) و(أغيموا) أصابهم رعد وبرق وغيم و(أفرس) الراعي اذا أصاب الذئب شاة من غنمه و(أفرضت) الماشية صارت الفريضة فيها واجبة و(أنفق) القوم نفقت سوقهم و(أكسد) و(أكسدت) سوقهم و(أخبث) الرجل اذا صار أصحابه خبثاء وأهله ولذلك قالوا خبيث مخبث و(أقوى) الجمال اذا صارت ابله قوية ولذلك قالوا قوي مقو و(أظهرنا) أي صرنا في وقت الظهر وسرنا في ذلك الوقت أيضا (اعاف) الرجل اذا صارت ابله تعاف الماء (وأكاب)

ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فقوله لقد علمتم اعتراض بين القسم وجوابه وفائدته تقرير اثبات البراءة من الفساد والنزاهة من تهمة السرقة أي انكم قد علمتم هذا منا ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه وقد ورد الاعتراض في القرآن كثيرا وذلك في كل موضع يتعلق بنوع من خصوصية المبالغة في المعنى المقصود (ومن هذا القسم) قوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون فهذا الاعتراض بين اذا وجوابها لان تقدير الكلام واذا بدلنا آية مكان آية قالوا انما أنت مفتر فاعترض بينهما بقوله تعالى والله أعلم بما ينزل وهو مبتدأ وخبر وفائدته اعلام القائلين انه مفتر أن ذلك من الله وليس منه وأنه أعلم بذلك منهم (ومن هذا الباب) قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك ألا ترى الى هذا الاعتراض الذي قد طبق مفصل البلاغة وفائدته أنه لما وصى بالوالدين ذكر ما تكابده الام من المشاق في حمل الولد وفصاله ايجابا للتوصية بها وتذكيرا بحقها وانما خصها بالذكر دون الاب لانها تتكلف من أمر الولد ما لا يتكلفه ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له من أبر فقال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك (ومما جاء على هذا الاسلوب) قوله عز وجل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون فقوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدته أن يقرر في نفوس المخاطبين وقلوب السامعين أن تدارأ بني اسرائيل في قتل تلك النفس لم يكن نافعا لهم في اخفائه وكتمانه لان الله تعالى مظهر لذلك ولو جاء الكلام غير معترض فيه لكان واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اضربوه ببعضها ولا يخفى على البليغ الفرق بين ذلك وبين كونه معترضا فيه ومما ورد من ذلك شعرا قول امرئ القيس

ولو أن ما أسعى لأدنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

تقديره كفاني قليل من المال فاعترض بين الفعل والفاعل بقوله ولم أطلب وفائدته تحقير المعيشة وأنها تحصل بغير طلب ولا عناء وانما الذي يحتاج الى الطلب هو المجد المؤثل (وكذلك) قول جرير

ولقد أراني والجديد الى بلى * في موكب طرف الحديث كرام

تقديره ولقد أراني في موكب طرف الحديث فاعترض بين المفعولين وانما جاء بهذا الاعتراض تعزيا عما مضى من تلك اللذة وذلك النعيم الذي فاز به من عشرة أولئك الاحباب ولقد أعهدني في كذا وكذا من اللذة وذلك قد مضى وسلف وبلي جديده وكذلك كل جديد فانه الى بلى والاعتراض اذا كان هكذا كسا الكلام لطفا ان كان غزلا وكساه أبهة وجلالا ان كان مديحا أو ما يجري مجراه من أساليب الكلام وان كان هجاء كساه تأكيدا واثباتا كقول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله وأنت منهم من محمود الاعتراض ونادره وفائدته ههنا التصريح بما هو المراد وتقدير هذا الكلام قبل الاعتراض لو أن الباخلين رأوك فاعترض بين اسم ان وهو الباخلين وبين خبرها وهو رأوك بالمبتدا والخبر الذي هو وأنت منهم (ومن محاسن ما جاء في هذا الباب) قول الضرب السعدي

فلو سألت سراة الحي سلمى * على أن قد تلون بي زماني
لخبرها ذوو أحساب قومي * وأعدائي فكل قد بلاني

وهذا

الرجل صار في ابله الكلب وهو شبيه بالجنون و(أعاه) و(أعوه) صارت العاهة في ماله و(أمات) مات ولده و(أشب) شب ولده و(أطلب) الماء اذا بعد فلم ينل الا بطلب يقال ماء مطلب

﴿باب أفعل الشيء أتى بذلك واتخذ ذلك﴾

(أخس) الرجل أتى بخسيس من الفعل و(أذم) أتى بما يذم عليه و(أقبح) أتى بقبيح و(ألام) أتى بما يلام عليه فهو مليم قال الله عز وجل فالتقمه الحوت وهو مليم وقال الشاعر * ومن يخذل أخاه فقد ألاما * و(أراب) الرجل أتى بريبة و(أكاس) الرجل وأكاست المرأة أتيا بولد كيس و(أقصرت) و(أطالت و) آنثت (و) اذكرت (و) أصبت (و) احمقت و(أتلد) الرجل اتخذ تلادا من المال و(أهرب) الرجل اذا ابعد في الذهاب مذعورا فهو مهرب و(أساد) الرجل ولد سيدا و(أسود) و(أساد) ولدا أسود اللون

﴿باب أفعلت الشيء جعلت له ذلك﴾

(أرعيت) الماشية و(أرعاها) الله أي جعل لها ما ترعاه وانشد ابو زيد

كأنها ظبية تعطو الى فنن
تأكل من طيب والله يرعيها

أي ينبت لها ما ترعاه و(أقبرت) الرجل جعلت له قبرا يدفن فيه قال الله عز وجل ثم اماته فاقبره وقال ابو عبيدة أقبره أمر بان يدفن فيه وقبرته دفنته (أقدت) الرجل خيلا أعطيته خيلا يقودها و(أسقته) ابلا أعطيته ابلا يسوقها وحكى ابو عبيدة (اشفني) عسلا أي اجعله لي شفاء و(اسقني) اهابك أي اجعله لي سقاء (احلبتك) الناقة و(اعكمتك) و(احلتك) و(ابغيتك) كل هذا اذا اردت

وهذا اعتراض بين لو وجوابها وهو من فائق الاعتراض ونادره وتقديره فلو سألت سراة الحى سلمى لخبرها ذوو أحساب قومى وأعدائى وفائدة قوله على أن قد تلون بى زمانى أى أنهم يخبرون عنى على تلون الزمان بى يريد تنقل حالاته من خير وشر وليس من بجمه الزمان وأبان عن جوهره كغيره ممن لم يجمه ولا أبان عنه ومن ذلك قول أبى تمام

وان الغنى لى ان لحظت مطالبى * من الشعر الا فى مديحك أطوع

وهذا البيت فيه اعتراضان الاول بين اسم ان وخبرها تقديره وان الغنى أطوع لى من الشعر فاعترض بين الاسم والخبر بقوله ان لحظت مطالبى وأما الاعتراض الثانى فقوله الا فى مديحك فجاء بالجملة الاستثنائية مقدمة وموضعها التأخير فاعترض بها بين الجملة التى هى خبر ان وتقدير البيت بجملته وان الغنى أطوع لى من الشعر ان لحظت مطالبى الا فى مديحك وفائدة قوله الا فى مديحك من الاعتراض الذى اكتسب به الكلام رقة فائدة حسنة والمراد به وصف جود الممدوح بالاسراع ووصف خاطر شعره بالاسراع اذا كان فى مدحه خاصة دون غيره فهذا الاعتراض يتضمن مدح الممدوح والمادح معا وهو من محاسن ما يجىء فى هذا الموضع وكذلك ورد قوله ردت رونق وجهى فى صحيفته * رد الصقال بهاء الصارم الخذم

وما أبالى وخير القول أصدقه * حقنت لى ماء وجهى أم حقنت دمى

فقوله وخير القول أصدقه اعتراض بين المفعول والفعل لان موضع حقنت نصب اذ هو مفعول أبالى وفائدته اثبات ما ماثل به بين ماء الوجه والدم أى ان هذا القول صدق ليس بكذب (وأما القسم الثانى) وهو والذى يأتى فى الكلام لغير فائدة فهو ضربان (الضرب الاول) يكون دخوله فى الكلام كخروجه منه لا يكتسب به حسنا ولا قبحا فمن ذلك قول النابغة

يقول رجال يجهلون خليقتى * لعل زيادا لا أبالك غافل

فقوله لا أبالك من الاعتراض الذى لا فائدة فيه وليس مؤثرا فى هذا البيت حسنا ولا قبحا ومثله جاء قول زهير سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وقد وردت هذه اللفظة وهى لا أبالك فى موضع آخر فكان للاعتراض بها فائدة حسنة كقول أبى تمام * عتابك عنى لا أبالك واقصدى * فانه لما كره عتابها اعترض بين الامر والمعطوف عليه بهذه اللفظة على طريق الذم (الضرب الثانى) وهو الذى يؤثر فى الكلام نقصا وفى المعنى فسادا وقد تقدم ذكر أمثاله وأنظاره فى باب التقديم والتأخير وانما جئت بذكره هنا مكررا لاتمام التقسيم الاعتراضى فيما أفاد وفيما لا يفيد وقد ذكرت من ذلك مثالا واحدا أو مثالين فمما ورد منه قول بعضهم فقد والشك بين لى عناء * بوشك فراقهم صرد يصيح

فان فى هذا البيت من ردىء الاعتراض ما أذكره لك وهو الفصل بين قد والفعل الذى هو بين وذلك قبيح لقوة اتصال قد بما تدخل عليه من الافعال ألا تراها تتنزل مع الفعل كالجزء منه ولذلك أدخلت عليها اللام المراد بها توكيد الفعل كقوله تعالى ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك وقوله تعالى ولقد علموا لمن اشتراه وقول الشاعر

ولقد أجمع رجلى بها * حذر الموت وانى لفرور

الا ان فصل بين قد والفعل بالقسم فان ذلك لا بأس به نحو قولك قد والله كان ذلك وقد فصل فى هذا البيت أيضا بين المبتدا الذى هو الشك وبين الخبر الذى هو عناء بقوله بين لى وفصل بين الفعل الذى هو بين وبين فاعله الذى هو صرد بخبر المبتدا الذى هو عناء فجاء معنى البيت كما تراه كأنه صورة مشوهة قد نقلت أعضاؤها بعضها الى مكان بعض (ومن هذا الضرب) قول

انك طلبته له وأعنته عليه فان اردت انك فعلت به ذلك قلت (نغيتك) و (حلبتك) و (عكمتك) العلم و (حلمتك) الفراء يقال (ابغنى) خادما أى ابتغه لى فاذا أراد أعنى على طلبه قال (ابغنى) بقطع الالف وكذلك (السنى) نارا و (ألمسنى) و (احلبنى) و (أحلبنى) فقوله احلبنى يريد احلب لى اكفنى الحلب وأحلبنى أعنى عليه وكذلك (احمانى) و (أحمانى) و (اعكمنى) و (أعكمنى) فقس على هذا ما ورد عليك

﴿باب أفعلت وأفعلت بمعنيين متضادين﴾

(أشكيت) الرجل أحوجته الى الشكاية و (أشكيته) نزعت عن الامر الذى شكانى له و (أطلبت) الرجل أحوجته الى الطلب ولذلك قالوا ماء مطلب اذا بعد فأحوج الى طلبه و (أطلبته) أسعفته بما طلب و (أفزعت) القوم أحللت بهم الفزع و (أفزعتهم) اذا أحوجتهم الى الفزع و (أفزعتهم) اذا فزعوا اليك فأغثتهم و (أودعت) فلانا مالا دفعته اليه وديعة و (أودعته) قبلت وديعته (أسررت) الشئ أخفيته وأعلنته

﴿باب أفعل الشئ فى نفسه وأفعل الشئ غيره﴾

(أضاءت) النار و (أضاءت) النار غيرها قال الجعدى

أضاءت لنا النار وجها أغـ * ـر ملتبسا بالفؤاد التباسا

و (أقض) عليه المضجع و (أقض) عليه الهم المضجع و (أفدت) مالا أى استفدته و (أفدت) فلانا مالا أعطيته اياه

﴿باب فعل الشئ وفعل الشئ غيره﴾

(هجمت) على القوم و (هجمت) عليهم غيرى (وجمت) بالمكان و (عجمت) غيرى (دلع) لسان الرجل و (دلع) الرجل لسانه

الآخر   نظرت وشخصي مطلع الشمس ظله * الى الغرب حتى ظله الشمس قد عقل

أراد نظرت مطلع الشمس وشخصي ظله الى الغرب حتى عقل الشمس أي حاذاها وعلى هذا التقدير فقد فصل بمطلع الشمس بين المبتدا الذي هو شخص وبين خبره الجملة وهو قوله ظله الى الغرب وأغلظ من ذلك أنه فصل بين الفعل وفاعله بالاجنبي وهذا وأمثاله مما يفسد المعاني ويورثها اختلالا (واعلم) أن الناثر في استعمال ذلك أكثر ملامة من الناظم وذلك أن الناظم مضطر الى اقامة ميزان الشعر وربما كان مجال الكلام عليه ضيقا فيلقيه طلب الوزن في مثل هذه الورطات وأما الناثر فلا يضطر الى اقامة الميزان الشعري بل يكون مجال الكلام عليه واسعا ولهذا اذا اعترض في كلامه اعتراضا يفسده توجه عليه الانكار وحق عليه الذم ﴿ النوع التاسع عشر في الكناية والتعريض ﴾ وهذا النوع مقصور على الميل مع المعنى وترك اللفظ جانبا وقد تكلم علماء البيان فيه فوجدتهم قد خلطوا الكناية بالتعريض ولم يفرقوا بينهما ولا حدوا كلا منهما بحد يفصله عن صاحبه بل أوردوا لهما أمثلة من النظم والنثر وأدخلوا أحدهما في الآخر فذكروا للكناية أمثلة من التعريض وللتعريض أمثلة من الكناية فممن فعل ذلك الغانمي وابن سنان الخفاجي والعسكري فأما ابن سنان فانه ذكر في كتابه قول امرئ القيس

فصرنا الى الحسنى ورق كلامها * ورضت فذلت صعبة أي اذلال

وهذا مثال ضربه للكناية عن المباضعة وهو مثال للتعريض ووجدت في كتاب التذكرة لابن حمدون البغدادي وكان مشارا اليه عندهم بفضيلة ومعرفة لا سيما في الكتابة فوجدت في كتابه ذلك بابا مقصورا على ذكر الكناية والتعريض وما قيل فيهما نظما ونثرا وهو محشو بالخلط بين هذين القسمين من غير فصل بينهما وقد أورد أيضا في بعضه أمثلة غثة باردة وسأذكر ما عندي في الفرق بينهما وأميز أحدهما عن الآخر ليعرف كل منهما على انفراده فأقول أما الكناية فقد حدت بحد فقيل هي اللفظ الدال على الشيء على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين الكناية والمكني عنه كاللمس والجماع فان الجماع اسم موضوع حقيقي واللمس كناية عنه وبينهما الوصف الجامع اذ الجماع لمس وزيادة فكان دالا عليه بالوضع المجازي وهذا الحد فاسد لانه يجوز أن يكون حد التشبيه فان التشبيه هو اللفظ الدال على غير الوضع الحقيقي لجامع بين المشبه والمشبه به وصفة من الاوصاف ألا ترى أنا اذا قلنا زيد أسد كان ذلك لفظا دالا على غير الوضع الحقيقي بوصف جامع بين زيد والاسد وذلك الوصف هو الشجاعة ومن ههنا وقع الغلط لمن أشرت اليه في الذي ذكره في حد الكناية وأما علماء أصول الفقه فانهم قالوا في حد الكناية انها اللفظ المحتمل يريدون بذلك أنها اللفظ الذي يحتمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه وهذا فاسد أيضا فانه ليس كل لفظ يدل على المعنى وعلى خلافه بكناية دليل ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم اذا لم تستح فافعل ما شئت فان هذا اللفظ يدل على المعنى وعلى خلافه وبيان ذلك أنه يقول في أحد معنييه انك اذا لم يكن لك وازع يزعك عن الحياء فافعل ما شئت وأما معناه الآخر فانه يقول اذا لم تفعل فعلا يستحى منه فافعل ما شئت وهذا ليس من الكناية في شيء فبطل اذا هذا الحد ومثال الفقيه في قوله ان الكناية هي اللفظ المحتمل مثال من أراد أن يحد الانسان فأتى بحد الحيوان فعبر بالاعم عن الاخص فانه يقال كل انسان حيوان وليس كل حيوان انسانا وكذلك يقال ههنا ان كل كناية لفظ محتمل وليس كل لفظ محتمل كناية (والذي عندي في ذلك) أن الكناية اذا وردت تجاذبها جانبا حقيقة ومجاز وجاز حملها على الجانبين معا ألا ترى أن اللمس في قوله تعالى أو لامستم النساء يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكل منهما يصح به المعنى ولا يختل

ولهذا

وروى ابن الاعرابي دلع لسانه وأدلعه (فغر) فم الرجل و(فغر) الرجل فمه (سار) الدابة و(سار) الرجل الدابة (جبرت) اليد و(جبر) الرجل اليد قال العجاج

* قد جبر الدين الاله فجبر *

(غاض) الماء و(غاض) الرجل الماء و(قس) في الماء و(قسته) و(رجنت) الناقة و(رجنتها) و(نقص) الشيء و(نقصته) و(زاد) و(زدته) و(مد) النهر و(مده) نهر آخر و(هدر) دم الرجل و(هدرته) و(هبط) عن السامة و(هبطته) ويقال أهبطته أيضا (ورجع) الشيء و(رجعته) و(صد) و(صددته) و(كسفت) الشمس و(كسفها) الله عز وجل (وسرحت) الماشية و(سرحتها) و(رعت) و(رعيتها) (وعفا) الشيء أي كثر و(عفوته) و(عفا) المنزل و(عفوته) الريح (وخسف) المكان و(خسفه) الله و(وفر) الشيء و(وفرته) و(ذرى) الحب و(ذرته) الريح و(رفع) البعير في السير و(رفعته) و(نفى) الرجل و(نفيته) و(عاب) الشيء و(عبته) و(ثرم) الرجل و(ثرمه) الله و(شتر) و(شتره) الله و(سعد) و(سعده) الله و(أسعده) و(نزفت) البئر و(نزفتها) و(نشر) الشيء و(نشره) الله و(فتن) الرجل و(فتنته) و(افتتنته) و(خسأت) الكلب (فخسأ)

﴿ باب فعلت وفعلت بمعنيين متضادين ﴾

(بعت) الشيء اشتريته وبعته و(شريت) الشيء اشتريته وبعته (رتوت) الشيء شددته وأرخيته (خفيت) الشيء أظهرته وكتمته (شعبت) الشيء جمعته وفرقته (طلعت) على القوم أقبلت عليهم حتى يروني و(طلعت) عنهم غبت عنهم حتى لا يروني (بهأت) عطشت ورويت (مثأت) قئت واطمأنت بالارض (ثم بعدت)

ولهذا ذهب الشافعي رحمه الله الى أن اللمس هو مصافحة الجسد الجسد فاوجب الوضوء على الرجل اذا لمس المرأة وذلك هو الحقيقة في اللمس وذهب غيره الى أن المراد باللمس هو الجماع وذلك مجاز فيه وهو الكناية وكل موضع ترد فيه الكناية فانه يتجاذبه جانبا حقيقة ومجاز ويجوز حمله على كليهما معا وأما التشبيه فليس كذلك ولا غيره من أقسام المجاز لانه لا يجوز حمله الا على جانب المجاز خاصة ولو حمل على جانب الحقيقة لاستحال المعنى ألا ترى أنا اذا قلنا زيد أسد لا يصح الا على جانب المجاز خاصة وذاك أنا شبهنا زيدا بالاسد في شجاعته ولو حملناه على جانب الحقيقة لاستحال المعنى لان زيدا ليس ذلك الحيوان ذا الاربع والذنب والوبر والانياب والمخالب واذا كان الامر كذلك فحد الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز والدليل على ذلك أن الكناية في أصل الوضع أن تتكلم بشئ وتريد غيره يقال كنيت بكذا عن كذا فهي تدل على ما تكلمت به وعلى ما أردته من غيره وعلى هذا فلا تخلو اما أن تكون في لفظ تجاذبه جانبا حقيقة ومجاز أو في لفظ تجاذبه جانبا مجاز ومجاز أو في لفظ تجاذبه جانبا حقيقة وحقيقة وليس لها قسم رابع ولا يصح أن تكون في لفظ تجاذبه جانبا حقيقة وحقيقة لان ذلك هو اللفظ المشترك واذا أطلق من غير قرينة تخصصه كان مبهما غير مفهوم واذا أضيف اليه القرينة صار مختصا بشئ بعينه والكناية أن تتكلم بشئ وتريد غيره وذلك مخالف للفظ المشترك اذا أضيف اليه القرينة لانه يختص بشئ واحد بعينه لا يتعداه الى غيره وكذلك لا يصح أن تكون الكناية في لفظ تجاذبه جانبا مجاز ومجاز لان المجاز لا بد له من حقيقة نقل عنها لانه فرع عليها وذلك اللفظ الدال على المجازين اما أن يكون للحقيقة شركة في الدلالة عليه أو لا يكون لها شركة فان كان لها شركة في الدلالة فيكون اللفظ الواحد قد دل على ثلاثة أشياء أحدها الحقيقة وهذا مخالف لأصل الوضع لان أصل الوضع أن تتكلم بشئ وأنت تريد غيره وههنا تكون قد تكلمت بشئ وأنت تريد شيئين غيره وان لم يكن للحقيقة شركة في الدلالة كان ذلك مخالفا للوضع أيضا لان أصل الوضع أن تتكلم بشئ وأنت تريد غيره فيكون الذي تكلمت به دالا على ما تكلمت به وعلى غيره واذا أخرجت الحقيقة عن أن يكون لها شركة في الدلالة لم يكن الذي تكلمت به دالا على ما تكلمت به وهذا محال فتحقق حينئذ أن الكناية أن تتكلم بالحقيقة وأنت تريد المجاز وهذا الكلام في حقيقة الدليل على تحقيق أمر الكناية لم يكن لأحد فيه قول سابق (واعلم) أن الكناية مشتقة من الستر يقال كنيت الشئ اذا سترته وأجرى هذا الحكم في الالفاظ التي يستر فيها المجاز بالحقيقة فتكون دالة على الساتر وعلى المستور معا ألا ترى الى قوله تعالى أو لامستم النساء فانه ان حمل على الجماع كان كناية لانه ستر الجماع بلفظ اللمس الذي حقيقته مصافحة الجسد الجسد وان حمل على الملامسة التي هي مصافحة الجسد الجسد كان حقيقة ولم يكن كناية وكلاهما يتم به المعنى وقد تأولت الكناية بغير هذا وهي أنها مأخوذة من الكنية التي يقال فيها أبو فلان فانا اذا نادينا رجلا اسمه عبد الله وله ولد اسمه محمد فقلنا يا أبا محمد كان ذلك مثل قولنا يا عبد الله فان شئنا ناديناه بهذا وان شئنا ناديناه بهذا وكلاهما واقع عليه وكذلك يجري الحكم في الكناية فانا اذا شئنا حملناها على جانب المجاز واذا شئنا حملناها على الحقيقة الا أنه لا بد من الوصف الجامع بينهما لئلا يلحق بالكناية ما ليس منها ألا ترى الى قوله تعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فكنى بذلك عن النساء والوصف الجامع بينهما هو التأنيث ولولا ذلك لقيل في مثل هذا الموضع ان أخي له تسع وتسعون كبشا ولي كبش واحد وقيل هذه كناية عن النساء ومن أجل ذلك

صليت بالليل وغث وقال بعضهم تهجدت وسهرت وهجدت غث قال لبيد * قال هجدنا فقد طال السرى * أي نومنا

(ظننت) تيقنت وشككت (لقت) كتنت وكحوت

﴿باب أفعلته ففعل﴾

تقول (أدخلته) فدخل و(أخرجته) فخرج و(أجلسته) فجلس و(أفزعته) ففزع و(أخفته) فخاف و(أجلته) فجال و(أجأته) فجاء و(أمكنته) فكث هذا القياس وقد جاء في هذا انفعل وافتعل قال الكميت

* ولا يدي في حميت السكن تندخل *

وقال آخر

وأبي الذي ورد الكلاب مسوما
بالخيل تحت عجاجها المنجال

والقياس تدخل والجائل وقالوا (أحرقته) فاحترق (وأطلقته) فانطلق و(أقحمته) فاقتحم ويقال (محوته) فامحى ولا يقال امتحى وقد يجئ الشئ على فعلته فيشركه أفعلته تقول (فرحته) و(أفرحته) ففرح و(غرمته) و(أغرمته) فغرم و(فزعته) و(أفزعته) ففزع و(ألامهم) الله و(ألامهم) فقتلوا وقد كان بعضهم يفرق بين أقل وأكثر وبين قال وكثر وبين نزل وأنزل (وقد جاء) فعلته فأفعل وهو قليل قالوا (فطرته) فأفطر و(بشرته) فأبشر

﴿باب فعلته فانفعل وافتعل﴾

يقال (كسرته) فانكسر و(خسرته) فانخسر و(حطمته) فانحطم و(صرفته) فانصرف (ومنه ما يأتي) على افتعل قالوا (عزلته) فاعتزل و(رددته) فارتد و(عددته) فاعتد و(كلته) فاكتال و(منه) ما جاء فيه هذان جميعا قالوا (شويته) فانشوى واشتوى هذا قول سيبويه وقال غيره لا يقال اشتوى لان المشتوي الشاوي واشتوى فعله وقالوا

لم يلتفت الى تأويل من تأول قوله تعالى وثيابك فطهر أنه أراد بالثياب القلب على حكم الكناية لانه ليس بين الثياب والقلب وصف جامع ولو كان بينهما وصف جامع لكان التأويل صحيحا ﴿فان قيل﴾ فما الدليل على اشتقاق الكناية من كنيت الشيء اذا سترته ومن الكنية ﴿قلت﴾ في الجواب أما اشتقاقها من كنيت الشيء اذا سترته فان المستور فيها هو المجاز لان الحقيقة تفهم أولا ويتسارع الفهم اليها قبل المجاز لان دلالة اللفظ عليها دلالة وضعية وأما المجاز فانه يفهم منه بعد فهم الحقيقة وانما يفهم بالنظر والفكرة ولهذا يحتاج الى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ فالحقيقة أظهر والمجاز أخفى وهو مستور بالحقيقة ألا ترى الى قوله تعالى أو لامستم النساء فان الفهم يتسارع فيه الى الحقيقة التي هي مصافحة الجسد الجسد وأما المجاز الذي هو الجماع فانه يفهم بالنظر والفكر ويحتاج الذاهب اليه الى دليل لانه عدول عن ظاهر اللفظ وأما اشتقاقها من الكنية فلان محمدا في هذه الصورة المذكورة هو حقيقة هذا الرجل أي الاسم الموضوع بازائه أولا وأما أبو عبد الله فانه طارئ عليه بعد محمد لانه لم يكن له الا بعد أن صار له ولد اسمه عبد الله وكذلك الكناية فان الحقيقة لها هو الاسم الموضوع بازائها أولا في أصل الوضع وأما المجاز فانه طارئ عليها بعد ذلك لانه فرع والفرع انما يكون بعد الاصل وانما يعمد الى ذلك الفرع للمناسبة الجامعة بينه وبين الاصل على ما تقدم الكلام فيه وهذا القدر كاف في الدلالة على اشتقاق الكناية من ذينك المعنيين المشار اليهما ﴿فان قيل﴾ انك قد ذكرت أقسام المجاز في باب الاستعارة التي قدمت ذكرها في كتابك هذا وحصرتها في أقسام ثلاثة وهي التوسع في الكلام والاستعارة والتشبيه وها انك قد ذكرت الكناية في المجاز أيضا فهل هي قسم رابع لتلك الاقسام الثلاثة أم هي من جملتها فان كانت قسما رابعا فذلك نقض للحصر الذي حصرته وان كانت من جملتها فقد أعدت ذكرها ههنا مرة ثانية وهذا المكرر لا حاجة اليه ﴿فالجواب عن ذلك﴾ أني أقول أما الحصر الذي حصرته في باب الاستعارة فهو ذاك ولا زيادة عليه وأما الكناية فانها جزء من الاستعارة ولا تأتي الا على حكم الاستعارة خاصة لان الاستعارة لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المستعار له وكذلك الكناية فانها لا تكون الا بحيث يطوى ذكر المكنى عنه ونسبتها الى الاستعارة نسبة خاص الى عام فيقال كل كناية استعارة وليس كل استعارة كناية ويفرق بينهما من وجه آخر وهو أن الاستعارة لفظها صريح والصريح هو ما دل عليه ظاهر لفظه والكناية ضد الصريح لانها عدول عن ظاهر اللفظ وهذه ثلاثة فروق أحدها الخصوص والعموم والآخر الصريح والآخر الحمل على جانب الحقيقة والمجاز وقد تقدم القول في باب الاستعارة أنها جزء من المجاز وعلى ذلك فتكون نسبة الكناية الى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص الخاص وكان ينبغي أن نذكر الكناية عند ذكر الاستعارة في النوع الاول من هذه الانواع المذكورة في المقالة الثانية وانما أفردتها بالذكر ههنا من أجل التعريض لان من العادة أن يذكرا جميعا في مكان واحد وقد يأتي في الكلام ما يجوز أن يكون كناية ويجوز أن يكون استعارة وذلك يختلف باختلاف النظر اليه بمفرده والنظر الى ما بعده كقول نصر بن سيار في أبياته المشهورة التي يحرض بها بني أمية عند خروج أبي مسلم

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون له ضرام

فان النار بالزندين تورى * وان الحرب أولها كلام

أقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام

فان هبوا فذاك بقاء ملك * وان رقدوا فاني لا ألام

(غممته) فاغتم و(انغم) قال سيبويه وليس هذا مطردا في كل شيء تقول (طردته) فذهب ولا تقول فاطرد ولا اطرد وتقول (كسرته) فتكسر و(عشيته) فتعشى و(غديته) فتغدى

﴿باب فعلت وأفعلت غيري﴾

(بركت) الابل و(أبركتها) و(ربضت) الغنم و(أربضتها) و(سامت) الابل و(أسمتها) و(كمنت) و(أكمنت) غيري و(ونيت) في الامر و(أونيت) غيري (خضت) الماء و(أخضته) دابتي (تلد) المال و(أتلدته) أنا (نأى) الخرز و(أنأيته) و(نبت) الموضع و(أنبت) دابتي (رهن) لي الشيء أي قام و(أرهنته) لك (خنعت) لك و(أخنعتني) الحاجة و(قرت) الدابة وأنا أوقرتها و(رهصت) وأنا أرهصتها و(نقبت) الدار وأنا أنقبتها (راع) الطعام وأرعته

﴿باب أفعل الشيء وفعلته أنا﴾

(أقشع الغيم) و(قشعته) الريح وكذلك (أقشع) القوم اذا تفرقوا و(أنسل) ريش الطائر ووبر البعير اذا سقط و(نسلته) أنا نسلا و(أنزفت) البئر اذا ذهب ماؤها و(نزفتها) أنا و(مرت) الناقة اذا در لبنها و(مريتها) أنا بالمسح و(أشنق) البعير اذا رفع رأسه و(شنقته) أنا (مددته) بالزمام حتى رفع رأسه و(أكب) على وجهه قال الله تعالى فكبت وجوههم في النار

﴿معاني ابنية الافعال﴾

﴿باب فعلت ومواضعها (بتشديد العين)﴾

(تأتي فعلت بمعنى أفعلت) كقولك خبرت وأخبرت وسميت وأسميت وبكرت وأبكرت وكذبت وأكذبت وكان الكسائي يفرق بينهما وكذلك قللت وأقللت وكثرت وأكثرت (وتدخل فعلت على فالبيت

فالبيت الاول لو ورد بمفرده كان كناية لانه يجوز حمله على جانب الحقيقة وحمله على جانب المجاز أما الحقيقـة فانه أخـبر أنه رأى وميض جمر فى خلل الرماد وأنه سيضطرم وأما المجاز فانه أراد أن هناك ابتداء شر كامن ومثله بوميض جمر من خلل الرماد واذا نظرنا الى الابيات جملتها اختص البيت الاول منها بالاستعارة دون الكناية وكثيرا ما يرد مثـل ذلك ويشكل لتجاذبه بين الكناية والاستعارة على أنه لا يشكل الا على غير العارف (وأما التعريض) فهو اللفظ الدال على الشئ من طريق المفهوم لا بالوضع الحقيقى ولا المجازى فانك اذا قلت لمن تتوقع صلته ومعروفه بغير طلب والله انى لمحتاج وليس فى يدى شئ وأنا عريان والبرد قد آذانى فان هذا وأشباهه تعريض بالطلب وليس هـذا اللفظ موضوعا فى مقابلة الطلب لا حقيقـة ولا مجازا انما دل عليـه من طريق المفهوم بخلاف دلالة اللمس على الجماع وعليـه ورد التعريض فى خطبة النكاح كقولك للمرأة انك لخليـة وانى لعزب فان هـذا وأمثاله لا يدل على طلب النكاح حقيقـة ولا مجازا والتعريض أخـفى من الكناية لان دلالة الكناية لفظية وضـعية من جهـة المجاز ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقى ولا المجازى وانما سمى التعريض تعريضا لان المعنى فيه يفهم من عرضه أى من جانبه وعرض كل شئ جانبه (واعلم) أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا فتأتى على هـذا تارة وعلى هـذا أخرى وأما التعـريض فانه يختص باللفظ المركب ولا يأتى فى اللفظ المفرد البتة والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيـه من جهة الحقيقة ولا من جهـة المجاز وانما يفهم من جهـة التلويح والاشارة وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد ولكنه يحتاج فى الدلالة عليه الى اللفظ المركب وعلى هذا فان بيت امرئ القيس الذى ذكره ابن سنان مثالا للكناية هو مثال للتعريض فان غرض امرئ القيس من ذلك أن يذكر الجماع غير أنه لم يذكره بل ذكر كلاما آخر يفهم الجماع من عرضـه لان المصـير الى الحسـناء ورقة الكلام لا يفهم منهما ما أراده امرؤ القيس من المعنى لا حقيقة ولا مجازا وهذا لا خفاء به فاعرفه وحيث فرقنا بين الكناية والتعريض وميزنا أحدهما عن الآخر فلنفصلهما ونذكر أقسامهما ولنبدأ أولا بالكناية فنقول (اعلم) أن الكناية تنقسم قسمين أحـدهما ما يحسن استعماله والآخر ما لا يحسـن استعماله وهو عيب فى الكلام فاحش وقد ذهب قوم الى أن الكناية تنقسم أقساما ثلاثة تمثيلا وارداقا ومجاورة (فأما التمثيل) فهو أن تراد الاشارة الى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر ويكون ذلك مثالا للمعنى الذى أريدت الاشارة اليه كقولهم فلان نقى الثوب أى منزه من العيوب (وأما الارداف) فهو أن تراد الاشارة الى معنى فيوضع لفظ لمعنى آخر ويكون ذلك ارداقا للمعنى الذى أريدت الاشارة اليه ولازما له كقولهم فلان طويل النجاد أى طويل القامة فطول النجاد رادف لطول القامـة ولازم له بخـلاف نقاء الثوب فى الكناية عن النزاهـة من العيوب لان نقاء الثوب لا يلزم منـه النزاهة من العيوب كما يلزم من طول النجاد طول القامـة (وأما المجاورة) فهى أن تريد ذكر الشئ فتتركه الى ما جاوره كقول عنترة

بزجاجة صفراء ذات أسرة * قرنت بأزهر فى الشمال مفدم

يريد بالزجاجة الخمر فذكر الزجاجة وكنى بها عن الخمر لانها مجاورة لها وهـذا التقسيم غير صحيح لان من شرط التقسيم أن يكون كل قسم منـه مختصا بصفة خاصـة تفصله عن عموم الاصل كقولنا الحيوان ينقسم أقساما منها الانسان وحقيقته كذا وكذا ومنها الاسـد وحقيقته كذا وكذا ومنها الفرس وحقيقتـه كذا وكذا ومنها غير ذلك وههنا لم يكن التقسيم كذلك فان التمثيل على ما ذكر عبارة عن مجموع الكناية لان الكناية انما هى أن تراد الاشارة الى معـنى فيوضع لفظ لمعنى آخر

افعلت اذا أردت تكثير العمل والمبالغة) تقول أجدت وجودت وأغلقت الابواب وغلقت وأقفلت وقفلت (وقد تدخل فعلت على فعلت اذا أردت كثرة العمل) فتقول قطعته باثنين وقطعته آرابا وكذلك كسرته وكسرته وجرحته وجرحته اذا أكثرت الجراحات فى جسده وتجولت فى البـلاد وطوفت اذا أردت كثرة التطواف والجولان فيها فاذا لم ترد الكثرة قلت جلت وطفت قال الله عز وجـل جنات عدن مفتحة لهـم الابواب وقال تعالى وفجرنا الارض عيونا وقال الفرزدق

مازلت أفتح أبوابا وأغلقها
حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

فجاء به مخففا وهى جماعـة أبواب وهـو جائز الا ان التشـديد كان أحسن وأشبه بالمعنى (وتأتى فعلت مضادة لافعلت) نحـو أفرطت جزت المقـدار وفرطت قصرت وأعـذرت فى طلب الشئ بالغت وعذرت قصرت وأقذيت العـين ألقيت فيها القذى وقذيتها نظفتها من القذى وأمرضـته فعلت به فعلا مرض منه ومرضـته قمت عليـه فى مرضـه (وتأتى فعلت لا يراد بها التكثير) نحو كلمتـه وعلمته وغديته وعشيته وصبحت القوم أتيتهم صباحا (وتأتى فعلت مخالفة لفعلت) نحو غيبت الحديث نقلته على جهة الاصـلاح وغنيته نقلته على جهـة الافساد وجاب القميص قور جيبه وجيبه جعل له جيبا (وتأتى فعلت للشئ ترمى به الرجـل) نحو شجعتـه وجبنته وسرقته وخطأته وضللته وظلمته وفسقته وفجرته وزنيته وكفرته اذا رميته بذلك وعاديشبه هذا قولهم حييته ولبيته ورعيتـه وسقيته اذا قلت له حياك الله وسقاك الله الغيث ورعاك ومثل هـذا لحيته وجدعته وعقرته اذا قلت له جدعا وعقرا وأففت به اذا قلت له أف

وقد تدخل أفعلت عليها بمعنى على فعلت في هذا المعنى لانهما يشتركان كادخلت فعلت

مشهد الان ذلك قليل قالوا سقيته وأسقيته قلت له سقيا قال ذو الرمة

وقفت على ربع لمية ناقتي
فمازلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه
تكلمني أحجاره وملاعبه

(وتجيء أفعلت بمعنى فعلت) نحو شغلته وأشغلته ومحضته الود وأمحضته وجددت في الامر وأجددت (وتجيء أفعلت مخالفة لفعلت) نحو أجبرت فلانا على الامر وجبرت العظم (وأنشدت) الضالة عرفتها (ونشدتها) طلبتها (وتجيء أفعلت مضادة لفعلت) نحو (نشطت) العقدة عقدتها بأنشوطة (وأنشطتها) حللتها (وتربت) يداك افتقرت (وأتربت) استغنت (وأخفيت) الشيء سترته (وخفيته) أظهرته (وتجيء أفعلت الشيء عرضته للفعل) نحو (أقتلت) الرجل عرضته للقتل و(أبعت) الشيء عرضته للبيع (وتجيء أفعلت الشيء وجدته كذلك) نحو (أحمدت) الرجل وجدته محمودا وأذممته وأبخلته وأجبنته وأحمقته كذلك (وتجيء أفعل الشيء حان منه ذلك) نحو (أركب) المهر (وأحصد) الزرع (وأقطف) الكرم أي حان أن يركب وأن يحصد وأن يقطف (وتجيء أفعل الشيء صار كذلك وأصابه ذلك) نحو (أجرب) الرجل و(أهزل) اذا أصاب ماله الجرب والهزال (وأرغد) صار في رغد من العيش وتجيء (أفعل) الشيء أتى بذلك نحو (أذم) الرجل أتى ما يذم عليه و(ألام) أتى بما يلام عليه (وأخنس) أتى بخسيس من الفعل (وتجيء أفعلت الشيء جعلت له ذلك) نحو (أقبرت) رجلا جعلت له قبرا يدفن فيه ألست

ويكون ذلك اللفظ مثالا للمعنى الذي أريدت الاشارة اليه ألا ترى الى قوله تعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فانه أراد الاشارة الى النساء فوضع لفظ المعنى آخر وهو النعاج ثم مثل به النساء وهكذا يجري الحكم في جميع ما يأتي من الكنايات لكن منها ما يتضح التمثيل فيه وتكون الشبهية بين الكناية والمكني عنه شديدة المناسبة ومنه ما يكون دون ذلك في الشبهية وقد تأملت ذلك وحققت النظر فيه فوجدت الكناية اذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهية واذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة في قوة المناسبة والمشابهة ألا ترى الى قولهم فلان نقي الثوب وقولهم اللمس كناية عن الجماع فان نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبها لانا اذا قلنا نقاء الثوب من الدنس كنزاهة العرض من العيوب اتضحت المشابهة ووجدت المناسبة بين الكناية والمكني عنه شديدة الملاءمة واذا قلنا اللمس كالجماع لم يكن بتلك الدرجة في قوة المشابهة وهذا الذي ذكرته من أن من الكناية تمثيلا وهو كذا وكذا غير سائغ ولا وارد بل الكناية كلها هي ذلك والذي قدمته من القول فيها هو الحاصر لها ولم يأت به أحد غيري كذلك (وأما الارداف) فانه ضرب من اللفظ المركب الا أنه اختص بصفة تخصه وهي أن تكون الكناية دليلا على المكني عنه ولازمة له بخلاف غيرها من الكنايات ألا ترى أن طول النجاد دليل على طول القامة ولازم له وكذلك يقال فلان عظيم الرماد أي كثير اطعام الطعام وعليه ورد قول الاعرابية في حديث أم زرع في وصف زوجها له ابل قليلات المسارح كثيرات المبارك اذا سمعن صوت المزهر أيقن أنهن هوالك وغرض الاعرابية من هذا القول أن تصف زوجها بالجود والكرم الا أنها لم تذكر ذلك بلفظه الصريح وانما ذكرته من طريق الكناية على وجه الارداف الذي هو لازم له * وكذلك ورد في الاخبار النبوية أيضا وذاك أن امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن غسلها من الحيض فأمرها أن تغتسل ثم قال خذي فرصة من مسك فتطهري بها قالت كيف أتطهر بها فقال تطهري بها قالت كيف أتطهر بها قال سبحان الله تطهري بها فاجتذبتها عائشة رضي الله عنها اليها وقالت تتبعي بها أثر الدم فقولها أثر الدم كناية عن الفرج على طريق الارداف لان أثر الدم في الحيض لا يكون الا في الفرج فهو رادف له ومما ورد من ذلك شعرا قول عمر بن أبي ربيعة

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

فان بعد مهوى القرط دليل على طول العنق ومن لطف هذا الموضع وحسنه ما يأتي بلفظة مثل كقول الرجل اذا نفى عن نفسه القبيح مثلي لا يفعل هذا أي أنا لا أفعله فنفى ذلك عن مثله ويريد نفيه عن نفسه لانه اذا نفاه عمن يماثله ويشابهه فقد نفاه عن نفسه لا محالة اذ هو بنفي ذلك عنه أجدر وكذلك يقال مثلك اذا سئل أعطى أي أنت اذا سئلت أعطيت وسبب ورود هذه اللفظة في هذا الموضع أنه يجعل من جماعة هذه أوصافهم تثبيتا للامر وتوكيدا ولو كان فيه وحده لقلق منه موضعه ولم يرس فيه قدمه وهذا مثل قول القائل اذا كان في مدح انسان أنت من القوم الكرام أي لك في هذا الفعل سابقة وأنت حقيق به ولست دخيلا فيه وقد ورد هذا في القرآن الكريم كقوله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والفرق بين قوله ليس كمثله شيء وبين قوله ليس كالله شيء هو ما أشرت اليه وان كان الله سبحانه وتعالى لا مثل له حتى يكون لمثله مثل وانما ذكر ذلك على طريق المجاز قصد المبالغة وقد يأتي هذا الموضع بغير لفظة مثل وهي مقصودة كقولك للعربي العرب لا تخفر الذمم أي أنت لا تخفر الذمم وهذا أبلغ من قولك أنت لا تخفر الذمم لما أشرت اليه وعلى نحو من هذا جاء قول أبي الطيب المتنبي

ألست من القوم الذى من رماحهم * نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل

(واذا فرغت) من ذكر الاصول التى قدمت ذكرها فانى أتبعها بضرب الامثلة لتزداد تطامحتى يزداد ماذكرته وضوحا (فمن ذلك) ماورد فى القرآن الكريم نحو قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فانه كنى عن الغيبة بأكل الانسان لحم انسان آخر مثله ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتا ثم جعل ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فهذه أربع دلالات واقعة على ماقصدت له مطابقة للمعنى الذى وردت من أجله فأما جعل الغيبة كأكل الانسان لحم انسان آخر مثله فشديد المناسبة جدا لان الغيبة انما هى ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه لان أكل اللحم تمزيق على الحقيقة وأما جعله كلحم الأخ فلما فى الغيبة من الكراهة لان العقل والشرع مجتمعان على استكراهها آمران بتركها والبعد عنها ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ فى كراهته ومن المعلوم أن لحم الانسان مستكره عند انسان آخر الا أنه لا يكون مثل كراهته لحم أخيه فهذا القول مبالغة فى استكراه الغيبة وأما جعل اللحم ميتا فمن أجل أن المغتاب لا يشعر بغيبته ولا يحس بها وأما جعله ماهو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة فلما جبلت عليه النفوس من الميل الى الغيبة والشهوة لها مع العلم بقبحها فانظر أيها المتأمل الى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبها لانك اذا نظرت الى كل واحدة من تلك الدلالات الاربع التى أشرنا اليها وجدتها مناسبة لما قصدت له (وكذلك) ورد قوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها والارض التى لم يطؤها كناية عن مناكح النساء وذلك من حسن الكناية ونادره (وكذلك) ورد قوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فانه كنى بالماء عن العلم وبالاودية عن القلوب وبالزبد عن الضلال وهذه الآية قد ذكرها أبو حامد الغزالى رحمه الله فى كتابه الموسوم باحياء علوم الدين وفى كتابه الموسوم بالجواهر والاربعين وأشار بها الى أن فى القرآن الكريم اشارات وايماآت لا تنكشف الا بعد الموت وهذا يدل على أن الغزالى رحمه الله لم يعلم أن هذه الآية من باب الكنايات الذى لفظها يجوز حمله على جانبى الحقيقة والمجاز (وقد رأيت جماعة) من أئمة الفقه لا يحققون أمر الكناية واذا سئلوا عنها عبروا عنها بالمجاز وليس الامر كذلك وبيهما وصف جامع كهذه الآية وما جرى مجراها فانه يجوز حمل الماء على المطر النازل من السماء وعلى العلم وكذلك يجوز حمل الاودية على مهابط الارض وعلى القلوب وهكذا يجوز حمل الزبد على الغثاء الرابى الذى تقذفه السيول وعلى الضلال وليس فى أقسام المجاز شئ يجوز حمله على الطرفين معا سوى الكناية (وبلغنى عن الفراء النحوى) أنه ذكر فى تفسيره آية وزعم أنها كناية وهى قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فقال ان الجبال كناية عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الآيات وهذه الآية من باب الاستعارة لا من باب الكناية لان الكناية لا تكون الا فيما جاز حمله عن جانبى المجاز والحقيقة والجبال ههنا لا يصح بها المعنى الا اذا حملت على جانب المجاز خاصة لان مكر أولئك لم يكن لتزول منه جبال الارض فان ذلك محال (وأما ماورد منها فى الاخبار النبوية) فقول النبى صلى الله عليه وسلم انه كانت امرأة فيمن كان من قبلنا وكان لها ابن عم يحبها فراودها على نفسها فامتنعت عليه حتى اذا أصابتها شدة فجاءت اليه تسأله فراودها فمكنته من نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قالت له لا يحل لك أن تفض الخاتم الا بحقه فقام عنها وتركها وهذه كناية واقعة فى موقعها

(وأحلبت) الرجل جعلت له ما يحلبه و (أركبته) جعلت له ما يركبه و (أرعى) الله الماشية أنبت لها ما ترعاه

﴿باب فاعلت ومواضعها﴾

(تأتى فاعلت بمعنى فعلت وأفعلت) كقولك قاتلهم الله أى قتلهم الله وعافاك الله أى أعفاك وعاقبت فلانا وداينت الرجل اذا أعطيته الدين بمعنى أدنته وشارفت بمعنى أشرفت وباعدته بمعنى أبعدته وجاوزته بمعنى جزته وعاليت رحلى على الناقة أى أعليت (وتأتى فاعلت من واحد بغير معنى فعلت وأفعلت) تقول سافرت وظاهرت وناولت وضاعفت (وتأتى فاعلت من اثنين) وأكثر ما تكون كذلك نحو قاتلته وخاصمته ونافرته وسابقته وصارعته وضاربته وهذا كثير (وتأتى فاعلت وفعلت بمعنى واحد) قالوا ضاعفت وضعفت وبعدت وباعدت ونعمت وناعمت ويقال امرأة منعمة ومناعمة

﴿باب تفاعلت ومواضعها﴾

(تأتى تفاعلت من اثنين بمعنى افتعلت) تقول (تضاربنا) بمعنى أضربنا و (تقاتلنا) بمعنى اقتتلنا و (تجاوزنا) بمعنى اجتوزنا و (تلاقينا) بمعنى التقينا و (تخاصمنا) و (اختصمنا) و (ترامينا) و (ارتمينا) (وتأتى تفاعلت من واحد كما جاءت فاعلت من واحد) تقول (تقاضيته) و (تراءيت) له و (تماريت) فى ذلك و (تماطيت) منه أمرا قبيحا و (تأتى تفاعلت بمعنى اظهارك ما لست عليه) نحو (تغافلت) و (تجاهلت) و (تعاميت) و (تعاشيت) و (تعارجت) و (تعاوات) و (تخازرت) قال الشاعر * اذا تخازرت وما بى من خزر * فقوله ما بى من خزر يدل على ما ذكرنا وبالله التوفيق

(ومن ذلك) أيضا قول النبى صلى الله عليه وسلم رويدك سوقك بالقوارير يريد بذلك النساء فكنى عنهن بالقوارير وذلك أنه كان فى بعض أسفاره وغلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال له يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير وهذه كناية لطيفة (وكذلك) ورد حديث الحديبية وذلك أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الركية جاءه بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من أهل تهامة فقال تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت وهذه كناية عن النساء والصبيان والعوذ جمع عائذ وهى الناقة التى وضعت وقوى ولدها وهذا يجوز حمله على طريق الحقيقة كما جاز حمله على طريق المجاز أى معهم الاموال من الابل وهى كانت جل أموال العرب أى أنهم قد أحضروا أموالهم ليقاتلوا دونها ولما جاز حمل العوذ المطافيل على النساء والصبيان وعلى الاموال كان من باب الكناية (ومن ذلك) ما ورد فى اقامة الحد على الزانى وهو أن يشهد عليه برؤية الميل فى المكحلة وذلك كناية عن رؤية الفرج فى الفرج (ومن لطائف الكناية) أن امرأة جاءت الى عائشة رضى الله عنها فقالت لها أقيد جملى فقالت عائشة رضى الله عنها لا أرادت المرأة أنها تصنع لزوجها شيأ يمنعه عن غيرها أى تربطه أن يأتى غيرها فظاهر هذا اللفظ هو تقييد الجمل وباطنه ما أرادته المرأة وفهمته عائشة منها (وكذلك) يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك أنه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما أهلكك قال حولت رحلى البارحة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة (ويروى) أن عمرو بن العاص زوج ولده عبد الله رضى الله عنه فمكثت المرأة عنده ثلاث ليال لم يدن منها وانما كان ملتفتا الى صلاته فدخل عليها عمرو بعد ثلاث فقال كيف ترين بعلك فقالت نعم البعل الا أنه لم يفتش لنا كنفا ولا قرب لنا مضجعا فقولها لم يفتش لنا كنفا ولا قرب لنا مضجعا من الكناية الغراء الظاهرة (ومن ألطف ما بلغنى فى هذا) قول عبد الله بن سلام فانه رأى على رجل ثوبا معصفرا فقال لو أن ثوبك فى تنور أهلك أو تحت قدرهم كان خيرا فذهب الرجل فأحرقه نظرا الى حقيقة قول عبد الله وظاهره فهو مفهوم مما أراد المجاز منه وهو أنك لو صرفت ثمنه الى دقيق تخبزه أو حطب تطبخ به كان خيرا والمعنى متجاذب بين هذين الوجهين فالرجل فهم منه الظاهر الحقيقى فمضى فأحرق ثوبه ومراد عبد الله غيره (ومن هذا القسم ما ورد فى أمثال العرب) كقولهم اياك وعقيلة الملح وذلك كناية عن المرأة الحسناء فى منبت السوء فان عقيلة الملح هى اللؤلؤة تكون فى البحر فهى حسنة وموضعها ملح وكذلك قولهم لبس له جلد النمر كناية عن العداوة وقد يقاس على هذا أن يقال لبس له جلد الاسد ولبس له جلد الذئب ولبس له جلد الارقم لان هذا كله مثل قولهم لبس له جلد النمر اذ المراد العداوة محتملة فى الجميع وكذلك قولهم قلب له ظهر المجن كناية عن تغيير المودة (ومما ورد فى ذلك شعرا) قول أبى نواس

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

وهذه له حكاية وهو أنه كان لأبى نواس صديقة تغشاه فقيل له انها تختلف الى آخر من أهل الريب فلم يصدق ذلك حتى تبعها يوما من الايام فرآها تدخل منزل ذلك الرجل ثم ان ذلك الرجل جاءه وكان صديقا له فكلمه فصرف وجهه عنه ثم نظم قصيدته المشهورة التى مطلعها

* أيها المنتاب عن عفره * وهذا البيت من جملة أبياتها (وكذلك) ورد قوله أيضا

وناظرة الى من النقاب * تلاحظنى بطرف مستراب
كشفت قناعها فاذا عجوز * مموهة المفارق بالخضاب

(باب تفعلت ومواضعها) (تأتى تفعلت بمعنى ادخالك نفسك فى أمر حتى تضاف اليه أو تصير من أهله) نحو (تشجعت) و(تجلدت) و(تبصرت) و(تمرأت) أى صرت ذا مروءة و(تخشعت) و(تنبلت) و(تدهقنت) أى تشبهت بالدهاقين و(تحلمت) قال حاتم

تحلم عن الادنين واستبق ودهم * ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

و(تقيست) و(تنزرت) و(تعربت) قال الراجز

* وقيس عيلان ومن تقيسا *

وليس تفعلت فى هذا بمنزلة تفاعلت ألا ترى انك تقول تحالمت فالمعنى انك أظهرت الحلم ولست كذلك وتقول تحلمت فالمعنى انك التمست ان تصير حليما (وتأتى تفاعلت وتفعلت بمعنى) تقول (تعطيت) و(تعاطيت) و(تجوزت) عنه و(تجاوزت) و(تذأبت) الريح و(تذاءبت) أى جاءت مرة من ههنا ومرة من ههنا قالوا وأصله من الذئب اذا حذر من وجه جاء من وجه آخر و(تكاءدنى) الشئ و(تكأدنى) أى شق على وهو من العقبة الكؤد (وتأتى تفعلت للشئ تأخذ منه الشئ بعد الشئ) نحو قولك (تفهمت) و(تبصرت) و(تأملت) و(تبينت) و(تثبت) و(تجرعت) و(تحسيت) و(تفوقت) و(تعرقته) الايام و(تنقصته) و(تخونته) و(تخوفته) وكله بمعنى تنقصته و(تقطعت) و(تدخلت) و(تقعدت) عن الامر و(تعهدت) فلانا و(تحزبت) حوائجى فهذا كله ليس عمل وقت واحد لكنه عمل شئ بعد شئ فى مهلة وكذلك (تحسست) و(تجسست) و(تدسست) و(تعززت الشراب

فما زالت تحمـني طويلا * وتأخذ في أحاديث التصابي

تحاول أن يقـوم أبو زياد * ودون قيامه شيب الغراب

أتت بجرابها تكتال فيـه * فقامت وهي فارغة الجراب

فقوله أتت بجرابها تكتال فيه من باب الكناية اذ الجراب يجوز حمله على الحقيقة والمجاز وكذلك الكيل أيضا (ومما جاء من هذا الباب) قول أبي تمام في قصيدته التي يستعطف بها مالك بن طوق على قومه ومطلعها * أرض مصردة وأرض مثجم

مالي رأيت ترابكم يبس الثرى * مالي أرى أطوادكم تتهدم

فيبس الثرى كناية عن تنكر ذات البين تقول يبس الثرى بيني وبين فلان اذا تنكر الود الذي بينك وبينه وكذلك تهدم الاطواد فانه كناية عن خفة الحلوم وطيش العقول ومن الكناية الحسنة قول أبي الطيب المتنبي في قصيدته التي يعاتب فيها سيف الدولة بن حمدان التي مطلعها * واحر قلباه ممن قلبه شبم *

وشر ما قنصته راحتي قنص * شهب البزاة سواء فيه والرخم

يشير بذلك الى أن سيف الدولة يستوي في النوال منه هو وغيره فهو البازي وغيره الرخمة وان حمل المعنى على جانب الحقيقة كان جائزا وعلى هذا ورد قول الاقيس الاسدي وكان عنينا لا يأتي النساء وكان كثيرا ما يصف ذلك من نفسه فجلس اليه يوما رجل من قيس فانشده الاقيس

ولقد أروح بمشرف ذي ميعة * عسر المكرة ماؤه يتفصد

مرح يطير من المراح لعابه * ويكاد جلد اهابه يتقدد

ثم قال له أتبصر الشعر قال نعم قال فما وصفت قال فرسا قال أفكنت تركبه لو رأيته قال اي والله وأثني عطفه فكشف له عن ايره وقال هذا وصفت فقم فاركبه فوثب الرجل عن مكانه وقال قبحك الله من جليس سائر اليوم (وكذلك أيضا يحكى) أنه وفد سعيد بن عبد الرحمن على هشام بن عبد الملك وكان جميل الوجه فاختلف الى عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدب الوليد بن يزيد فراوده عن نفسه فوثب من عنده ودخل على هشام مغضبا وهو يقول

انه والله لولا أنت لم * ينج مني سالما عبد الصمد

فقال هشام ولم ذلك قال انه قد رام مني خطة * لم يرمها قبله مني أحد

قال ماهي قال راح جهلا بي وجهلا بأبي * يدخل الافعى على حسن الاسد

قال فضحك هشام وقال لو فعلت به شيأ لم أنكره عليك (ومن ألطف ما سمعته في هذا الباب) قول أبي نواس في الهجاء اذا ما كنت جار أبي حسين * فنم ويداك في طرف السلاح

فان له نساء سارقات * اذا ما بتن أطراف الرماح

سرقن وقد نزلت عليه ايري * فلم أظفر به حتى الصباح

فجاء وقد تخدش جانباه * يئن الي من ألم الجراح

فتعبيره عن العضو المشار اليه بأطراف الرماح تعبير في غاية اللطافة والحسن (وقد أدخل في باب الكناية) ما ليس منه كقول نصيب

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

وهذا يروى عن الجاحظ وما أعلم كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن الفصاحة والبلاغة فان الكناية هي ما جاز حمله على جانب الحقيقة كما يجوز حمله على جانب المجاز وهذا لا يصح

وقد تدخل استفعلت على بعض حروف تفعلت قالوا (تعظم) و(استعظم) وتكبر و(استكبر) وتيقن و(استيقن) و(تثبت) و(استثبت) وتنجز حوائجه و(استنجز) و(تأتي استفعلت بمعنى سألته ذلك) تقول (استوهبته) كذا أي سألته هبته لي و(استعطيته) سألته العطية و(استعتبته) سألته العتبى و(استعفيته) سألته الاعفاء و(استفهمته) سألته الافهام و(استخبرته) سألته أن يخبرني و(استخرجته) سألته أن يخرج أو يخرج ما عنده وكذلك (استنزلته) و(استثرته) و(استخففته) أي طلبت خفته و(استعملته) طلبت اليه العمل و(استعجلته) طلبت منه عجلته (وتأتي استفعلت بمعنى وجدته كذلك) تقول (استجدته) أي أصبته جيدا و(استكرمته) و(استعظمته) و(استسمنته) و(استخففته) و(استثقلته) اذا أصبته كذلك (وتأتي استفعلت بمعنى فعلت وأفعلت) تقول (استقر) في مكانه كقولك قر وعلا قرنه و(استعلاه) و(استخلف) لاهله وأخلف أي استقى (وتأتي استفعلت بمعنى التحول من حال الى حال) كقولهم (استنوق) الجمل و(استتيست) الشاة و(استنسر) البغاث و(استضرب) العسل أي صار ضربا محركة الراء

﴿باب افتعلت ومواضعها﴾

(تأتي افتعلت بمعنى اتخذت ذلك) تقول (اشتويت) أي اتخذت شواء وشويت أنضجت وكذلك (اختبزت) وخبزت و(اطبخت) وطبخت و(اذبحت) وذبحت فذبحت قتلت واذبحت اتخذت ذبيحة وحبسته كقولك صبغته و(احتبسته) اتخذته حبيسا (وأما كسب) فمعناه أصاب و(اكتسب) فمعناه تصرف

وطلب والاعتمال بمنزل الاضطراب (ويأتى افتعل لا يراد به شىء من هذا) وذلك (افتقر) و (اشتد) وقلع و (اقتلع) وجذب و (اجتذب) وقرأت و (اقترأت) و (تأتى افتعلت بمعنى تفاعلت من اثنين) نحو (اقتتلنا) بمنزلة تقاتلنا او (اجتورنا) بمنزلة تجاورنا

﴿باب أفعوعلت وأشباهها وما يتعدى من الافعال وما لا يتعدى﴾

(تأتى أفعوعلت بمعنى المبالغة والتوكيد) تقول (أعشبت الارض) فاذا أردت أن تجعل ذلك كثيرا عاما قلت (اعشوشبت) وكذلك حلا (واحلولى) وخشن و (اخشوشن) وهو يتعدى قال الشاعر

فلما أتى عامان بعد انفصاله
عن الضرع واحلولى دماثا يرودها

وقالوا (اعروريت) الفلوّ اى ركبته عريا واعروريت منى أمرا قبيحا أى ركبته (وافعوّل يتعدى) تقول (اعلوّطه) و (فعللت يتعدى) قالوا صعررته فتصعرر وأنشد

* سود كحب الفلفل المصعرر *

و (دحرجته) و (جلببته) وفوعلت نحو (صومعته) و (ما كان على فعلت) فانه لا يتعدى الى مفعول لا تقول (فعلته) نحو (مكث) و (كرم) و (عظم) و (ظرف) ولا يقال (طلته) لانه فعلت وأما قولهم قلته فان أصلها معتلة من فعلت حوّلت اليها ليغير والحركة الفاء عن حالها ولم تعتل فلو لم يحوّلوها وجعلوها تعتل من فعلت نحو قولت لكانت ألفا (وما كان على انفعلت فانه لا يتعدى الى مفعول) لا تقول (انفعلته) نحو (انطلقت) و (انكمشت) و (انحدرت) و (انسلكت) وما كان على (افعللت وافعاللت فانه لا يتعدى) نحو (احمررت) و (احماررت) و (اشهببت) و (اشهاببت)

ذلك ولا يستقيم لان الثناء للحقائب لا يكون الا مجازا وهذا من باب التشبيه المضمر الاداة الخارج عن الكناية والمراد به أن فى الحقائب من عطايا لك ما يعرب عن الثناء لو سكت أصحابها عنه (وأما القسم المختص بما يقبح ذكره من الكناية) فانه لا يحسن استعماله لانه عيب فى الكلام فاحش وذلك لعدم الفائدة المرادة من الكناية فيه (فمما جاء منه) قول الشريف الرضى يرثى امرأة ❊ ان لم تكن نصلا فغمد نصال ❊ وفى هذا من سوء الكناية ما لا خفاء به فان الوهم يسبق فى هذا الموضع الى ما يقبح ذكره وهذا المعنى أخذه من قول الفرزدق فمسخه وشوّه صورته فان الفرزدق رثى امرأته فقال

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح ❊ عليه ولم أبعث اليه البواكيا
وفى جوفه فى دارم ذو حفيظة ❊ لو أن المنايا أمهلته لياليا

وهذا حسن بديع فى معناه وما كنى عن امرأة ماتت بجمع أحسن من هذه الكناية ولا أعلم شأنا لجاء الشريف الرضى فأخذ معناها وفعل به ما ترى وليس كل من تصرف فى المعانى أحسن فى تصريفها وأبق هذه الرموز فى تأليفها وقد عكس هذه القصة مع أبى الطيب المتنبى فأحسن فيما أساء به أبو الطيب طريق الكناية فاخطأ حيث قال

انى على شغفى بما فى خمرها ❊ لأعف عما فى سراويلاتها

وهذه كناية عن النزاهة والعفة الا أن الفجور أحسن منها وقد أخذ الشريف الرضى هذا المعنى فأبرزه فى أجمل صورة حيث قال

أحن الى ما تضمن الخمر والحلى ❊ وأصدف عما فى ضمان المآزر

وأمثال هذا كثير وفيما ذكرناه من هذين المثالين مقنع (وأما التعريض) فقد سبق الاعلام به وعرّفناك الفرق بينه وبين الكناية (فمما جاء منه) قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وغرض ابراهيم صلوات الله عليه من هذا الكلام اقامة الحجة عليهم لانه قال فاسألوهم ان كانوا ينطقون وذلك على سبيل الاستهزاء وهذا من رموز الكلام والقول فيه أن قصد ابراهيم عليه السلام لم يرد به نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته على أسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من الزام الحجة عليهم والاستهزاء بهم وقد يقال فى هذا غير ما أشرت اليه وهو أن كبير الاصنام غضب أن تعبد معه هذه الاصنام الصغار فكسرها وغرض ابراهيم عليه السلام من ذلك أنه لا يجوز أن يعبد مع الله تعالى من هو دونه فان من دونه مخلوق من مخلوقاته فجعل احالة القول الى كبير الاصنام مثالا لما أراده (ومن هذا القسم) أيضا قوله تعالى قال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فقوله ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم أحق بالنبوة منه وأن الله لو أراد أن يجعلها فى أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب أنك واحد من الملأ وموازيهم فى المنزلة فما جعلك أحق منهم بها ألا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل وكان مروان بن الحكم واليا على المدينة من قبل معاوية فعزله فلما قدم عليه قال له عزلتك لثلاث لو لم تكن الا واحدة منهن لاوجبت عزلك احداهن أنى أمرتك على عبد الله بن عامر وبينكما ما بينكما فلم تستطع أن تشتفى منه والثانية كراهتك أمر زياد والثالثة أن ابنتى رملة استعدتك على زوجها عمرو بن عثمان فلم تعدها فقال له مروان أما عبد الله بن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ولكن اذا تساوت الاقدام علم أين موضعه وأما كراهتى أمر زياد فان سائر بنى أمية

كرهوه وأما استهداء رملة على عمر بن عثمان والله انه لتأتى على سنة وأكثر وعندى بنت عثمان فما أكشف لها ثوبا يريد بذلك أن رملة بنت معاوية انما استعدت لطلب الجماع فقال له معاوية ياابن الوزغ لست هنالك فقال له مروان هو ذاك وهذا من التعريضات اللطيفة ﴿ومثله فى اللطافة﴾ ما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذلك أنه كان يخطب يوم جمعة فدخل عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال عمر أية ساعة هذه فقال عثمان ياأمير المؤمنين انقلبت من أمر السوق فسمعت النداء فما زدت على أن توضأت فقال عمر والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا بالغسل فقوله أية ساعة هذه تعريض بالانكار عليه لتأخره عن المجىء الى الصلاة وترك السبق اليها وهو من التعريض المعرب عن الادب (ووقفت فى كتاب العقد) على حكاية تعريضية حسنة الموقع وهى أن امرأة وقفت على قيس بن عبادة فقالت أشكو اليك قلة الفأر فى بيتى فقال ما أحسن ماورّت عن حاجتها املؤا لها بيتها خبزا وسمنا ولحما ﴿ومن خفى التعريض وغامضه﴾ ما ورد فى الحديث النبوى وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج وهو محتضن أحد ابنى ابنته وهو يقول والله انكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله وان آخر وطأة وطئها الله بوج اعلم أن وجا واد بالطائف والمراد به غزاة حنين وحنين واد قبل وج لان غزاة حنين آخر غزاة أوقع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المشركين وأما غزوتا الطائف وتبوك اللتان كانتا بعد حنين فلم يكن فيهما وطأة أى قتال وانما كانتا مجرد خروج الى الغزو من غير ملاقاة عدو ولا قتال ووجه عطف هذا الكلام وهو قوله صلى الله عليه وسلم وان آخر وطأة وطئها الله بوج على ما قبله من الحديث هو التأسف على مفارقة أولاده لقرب وفاته لان غزوة حنين كانت فى شوال سنة ثمان ووفاته صلى الله عليه وسلم كانت فى ربيع الاول من سنة احدى عشرة وبينهما سنتان ونصف فكأنه قال وانكم لمن ريحان الله أى من رزقه وأنا مفارقكم عن قريب الا أنه صانع عن قوله وأنا مفارقكم عن قريب بقوله وان آخر وطأة وطئها الله بوج وكان ذلك تعريضا بما أراده وقصده من قرب وفاته صلى الله عليه وسلم ﴿ومما ورد من هذا الباب شعرا﴾ قول الشميرد الحارثى

بنى عمنا لاتذكروا الشعر بعدما ＊ دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

وليس قصده هنا الشعر بل قصده ماجرى لهم فى هذا الموضع من الظهور عليهم والغلبة الا أنه لم يذكر ذلك بل ذكر الشعر وجعله تعريضا بما قصده أى لا تفخروا بعد تلك الوقعة التى جرت لكم وانا بذلك المكان ﴿ومن أحسن التعريضات﴾ ما كتبه عمرو بن مسعدة الكاتب الى المأمون فى أمر بعض أصحابه وهو أما بعد فقد استشفع بى فلان الى أمير المؤمنين ليتطول فى الحاقه بنظرائه من الخاصة فأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى فى مراتب المستشفعين وفى ابتدائه بذلك تعدى طاعته فوقع المأمون فى ظهر كتابه قد عرفت تصريحك له وتعريضك لنفسك وقد أجبناك اليهما ﴿واعلم﴾ ان هذين القسمين من الكناية والتعريض قد وردا فى غير اللغة العربية ووجدتهما كثيرا فى اللغة السريانية فان الانجيل الذى فى أيدى النصارى قد أتى منهما بالكثير ﴿ومما وجدته من الكناية فى لغة الفرس﴾ أنه كان رجل من أساورة كسرى وخواصه فقيل ان الملك يختلف الى امرأتك فهجرها لذلك وترك فراشها فأخبرت كسرى فدعاه وقال له قد بلغنى أن لك عينا عذبة وأنك لاتشرب منها فما سبب ذلك قال أيها الملك بلغنى أن الاسد يردها فخفته فاستحسن كسرى منه هذا الكلام وأسنى عطاءه ﴿النوع العشرون فى المغالطات المعنوية﴾ وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام وألطفه لما فيه من التورية وحقيقته أن يذكر معنى من المعانى له مثل فى شئ آخر ونقيض

ونظيره من بنات الاربعة (اطمأننت) و (اشمأززت) لاتقول فيه (فعلته) و (ما كان على افعللت فانه لا يتعدى) نحو (اصككت) و (اخرنجمت) و (الخصال التى تكون فى الاشياء من القبح والحسن والشدة والضعف والجراءة والجبن والصغر والعظم تأتى على فعل يفعل) وليست تتعدى نحو (قبح يقبح) و (صغر يصغر) و (عظم يعظم) و (صعب يصعب) و (سرع يسرع) وأشباه ذلك وشذ منه شئ فقالوا (نضر وجهه ينضر) وقال بعضهم (جبن يجبن) و (علم يعلم) و (جهل يجهل) و (فقه يفقه) و (بخل يبخل) و (نبه ينبه) و (المضاعف يستثقل فيه فعل يفعل) نحو (ذل يذل) و (قل يقل) و (شح يشح) الا حرفا حكاه يونس (لببت تلب) من اللب

﴿باب فعلت بفتح العين فى الواو والياء بمعنى واحد﴾

(كنوت) الرجل و (كنيته) و (محوت) الكتاب أمحوه و (محيته) أمحاه و (حثوت) التراب أحثوه و (حثيته) أحثيه و (حنوت) العود و (حنيته) و (نقوت) العظم و (نقيته) اذا استخرجت نقيه وهو المخ و (عزوت) الرجل وعزيته اذا نسبته الى أبيه و (هذوت وهذيت) و (قنوت الغنم وقنيتها) و (لحوت العصا ولحيتها) اذا قشرتها فاما لحيت الرجل من اللوم فبالياء لاغير و (جبيت) الخراج و (جبوته) جباية وجباوة و (زقوت) بالطائر و (زقيت) و (طغوت) يارجل و (طغيت) و (صغوت) و (صغيت) و (قلوت) الحب و (قليته) و (منوت) الرجل و (منيته) اذا اختبرته و (شأوت) القوم شأوا و (شايتهم) أى سبقتهم و (سحوت) الطين عن الارض أى قشرته و (سحيته) وكذلك تقول فى القرطاس

والنقيض أحسن موقعا وألطف مأخذا فالاول الذي يكون له مثل يقع في الالفاظ المشتركة فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي

يشاهم وبكل أقب نهد * لفارسه على الخيل الخيار
وكل أصم يعسل جانباه * على الكعبين منه دم ممار
يغادر كل ملتفت اليه * ولبته لثعلبه وجار

فالثعلب هو هذا الحيوان المعروف والوجار اسم بيته والثعلب أيضا هو طرف سنان الرمح فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ذكر الوجار في طرف السنان وهذا نقل المعنى من مثل الى مثله وعليه ورد قول المتنبي أيضا

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسي وأنت يماني

فان شبيبا الخارجي الذي خرج على كافور الاخشيدي وقصد دمشق وحاصرها وقتل على حصارها كان من قيس ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب وأخبار ذلك مشهورة والسيف يقال له يماني في نسبته الى اليمن ومراد المتنبي من هذا البيت أن شبيبا لما قتل وفارق السيف كفه فكأن الناس قالوا لسيفه أنت يماني وصاحبك قيسي ولهذا جانبه السيف وفارقه وهذه مغالطة حسنة وهي كالاولى الا أنها أدق وأغمض (وكذلك ورد قول بعضهم) من أبيات يهجو بها شاعرا لجأه من جملتها قوله

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء في الانعام

ومعنى ذلك أن الشعراء اسم سورة من القرآن الكريم والانعام اسم سورة أيضا والشعراء جمع شاعر والانعام ما كان من الابل والبقر (وكذلك) ورد قول بعض العراقيين يهجو رجلا كان على مذهب أحمد بن حنبل رضي الله عنه ثم انتقل الى مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه ثم تنقل الى مذهب الشافعي رضي الله عنه

من مبلغ عني الوجيه رسالة * وان كان لا تجدي لديه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل * وفارقته اذ أعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي تدينا * ولكنما تهوى الذي منه حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر * الى مالك فافطن لما أنا قائل

ومالك هو مالك بن أنس صاحب المذهب رضي الله عنه ومالك هو خازن النار وهذه مغالطة لطيفة (ومن أحسن ما سمعته) في هذا الباب قول أبي العلاء بن سليمان في الابل

صاب العصا بالضرب قد دماها * تود أن الله قد أفناها
اذا أرادت رشدا أغواها * محاله من رقه اياها

فالضرب لفظ مشترك يطلق على الضرب بالعصا وعلى الضرب في الارض وهو المسير فيها وكذلك دماها فانه لفظ مشترك يطلق على شيئين أحدهما يقال دماه اذا أسال دمه ودماه اذا جعله كالدمية وهي الصورة وهكذا لفظ الفناء فانه يطلق وعلى عنب الثعلب على اذهاب الشئ اذا لم يبق منه بقية يقال أفناه اذا أذهبه وأفناه اذا أطعمه الفناء وهو عنب الثعلب والرشد والغوى نبتان يقال أغواه اذا أضله وأغواه اذا أطعمه الغوى ويقال طلب رشدا اذا طلب ذلك النبت وطلب رشدا اذا طلب الهداية وبعض الناس يظن هذه الابيات من باب اللغز وليس كذلك لانها تشتمل على ألفاظ مشتركة وذلك معنى ظاهر يستخرج من دلالة اللفظ عليه واللغز

اذا مددته حتى يتسع و(طلوت) الطلى و(طليته) بمعنى ربطته برجله والطلى الطلا (حلوت) المرأة و(حليتها) اذا جعلت لها حليا و(حزوت) الطير و(حزيتها) و(أثوت) به و(أثيت) ثأوة وأثاية اذا وشيت به و(رثيت) الرجل و(رثوته) و(رثأت) أيضا (صغوت) النار فأنا أصغاها صغوا و(صغيت) أصغى صغيا وذلك اذا أوقدت فاجتمع الجمر والرماد فقرجته (لحوت) العود و(لحيته) اذا سعطته وأسعطته قليل وقد يقالان جميعا

﴿أبنية من الافعال مخففة بالياء والواو بمعنى واحد﴾

(تحيزت) الى فئة و(تحوزت) أى انحزت وتقول مالك تحوز كما تحوز الحية وتحيز و(توهت) رجل و(تيهته) و(طوحته) و(طيحته) و(تبوغ) الدم بصاحبه و(تبيغ) و(تصوح) البقل و(تصيح) اذا هاج و(تهور) الجرف و(تهير) اذا انهار و(تضوع) ريحه و(تضيع) و(شوطه) و(شيطه) و(دوخته) تدويخا و(ديخته) تديخا (لا توجل) و(لا تيجل) و(لا تاجل) بغير همز وقد همزه قوم (ما أعج) من كلامه بشئ أى ما أعبأ به وبعضهم يقول (ما أعوج) بكلامه أى ما التفت اليه مأخوذ من عجت الناقة

﴿باب ما يهمز أوله من الافعال ولا يهمز بمعنى واحد﴾

(أرشت) بينهم و(ورشت) و(وكدت عليهم) و(أكدت) قال الله جل ثناؤه ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها و(ورخت) الكتاب و(أرخته) و(وقت) و(أقت) من الوقت و(آكفت) الحمار و(أوكفته) وهو الاكاف والوكاف هو

هو الذي يستخرج من طريق الحزر والحدس لا من دلالة اللفظ عليه وسأوضح ذلك ايضاحا جليا في النوع الحادي والعشرين وهو الذي يتلو هذا النوع فيؤخذ من هنالك ﴿ويروى﴾ في الاخبار الواردة في غزاة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ ذلك الرجل يفكر ويقول من ماء من ماء لينظر أي بطون العرب يقال لها ماء فسار النبي صلى الله عليه وسلم لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وهذا من المغالطة المثالية لانه يجوز أن يكون بعض بطون العرب يسمى ماء ويجوز أن يكون المراد أنا خلقنا من ماء وقد جاء في شئ من ذلك في الكلام المنثور (فمنه) ما كتبته في فصل من كتاب عند دخولي الى بلاد الروم أصف فيه البرد والثلج فقلت ومن صفات هذا البرد أنه يعقد الدر في خلفه والدمع في طرفه وربما تعدى الى قلب الخاطر فأجفه أن يجري بوصفه فالشمس مأسورة والنار مقرورة والارض شهباء غير أنها حولية لم ترض ومسيلات الجبال أنهار غير أنها جامدة لم تخض ومكان المغالطة من هذا الكلام في قولي والارض شهباء غير أنها حولية لم ترض فان الشهباء من الخيل يقال فيه حولية أي لها حول ويقال انها مروضة أي ذللت للركوب وهذه الارض مضى للثلج عليها حول فهي شهباء حولية وقولي لم ترض أي لم تسلك بعد ﴿ومن ذلك ما ذكرته في وصف كريم فقلت﴾ ولقد نزلت منه بواهي الصنع أحنى الاخلاق ولقيته فكأني لم أرع من أحب بلوعة الفراق ولا كرامة للاهل والوطن حتى أقول اني قد استبدلت به أهلا ووطنا وعهدي بالايام وهي من الاحسان فاطمة فاستولدتها بجواره حسنا وهذه تورية لطيفة فان فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن رضي الله عنهما ولدها وفاطمة هي اسم فاعلة من الفطام يقال فطمت فهي فاطمة كناية الى فطم فهو فاطم والحسن هو الشئ الحسن (ومن هذا الاسلوب) ما كتبته في فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت وعهده بقلبي وهو يتجلى من البيان بأسمائه وتبرز أنوار المعاني من ظلماته وقد أصبحت يدي منه وهي حمالة الحطب وأصبح خاطري أبا جهل بعد أن كان أبا لهب وهذا أحسن من الاول وأخلب عبارة فانظر أيها المتأمل الى ما فيه من التورية اللطيفة ألا ترى أن الخاطر يحمد فيوصف بأنه وقاد وملتهب ويذم فيوصف بأنه بليد وجاهل وأبو لهب وأبو جهل هما الرجلان المعروفان وكذلك حمالة الحطب هي المرأة المعروفة واذا ذم القلم قيل انه حطب وان صاحبه حاطب فلما نقلت أنا هذا الى المعنى الذي قصدته جئت به على حكم المغالطة ووريت فيه تورية والمسلك الى مثل هذه المعاني وتصحيح المقصد فيها عسر جدا لا جرم أن الاجادة فيها قليلة (ومما يجري هذا المجرى) ما ذكرته في وصف شخص بمعالي الامور وهو من أثر مساعيه أنه حاز قفل المكرمات ومفتاحها فاذا استثل منقبة كان مناعها واذا استثل موهبة كان مناحها وأحسن آثار من ذلك أنه أخذ بأعنة الصعاب والآن جماحها فاذا شهد حومة حرب كان منصورها واذا لقي مهجة خطب كان سفاحها والمغالطة في هذا الكلام في ذكر المنصور والسفاح فانهما لقب خليفتين من بني العباس والسفاح أول خلفائهم والمنصور أخوه الذي ولي الخلافة من بعده وهما أيضا من النصر في حومة الحرب والسفح الذي هو الاراقة والمهجة دم القلب فكأني قلت هو منصور في حومة الحرب ومريق لدم الخطوب وقد اجتمع في هذا الكلام المنصور والمنصور والسفاح والسفاح وهذا من المغالطة المثالية لا من النقيضية ولا خفاء بما فيهما من الحسن (ومن ذلك) ما كتبته في كتاب الى بعض الاخوان فقلت وقد علمت أن ذلك الانس بقربه يعقب ايحاشا وأن تلك

و(أوصدت)الباب و(آصدته) وقرئ (موصدة) بالهمز وغير الهمز و(أوصدت)الكلاب و(آصدته) اذا أغريته بالصيد الاصمعي يقال الحمد لله الذي (آجدني) بعد ضعف أي قواني من قولهم ناقة أجد اذا كانت موثقة الحلق قوية وبناء مؤجد والحمد لله الذي أوجدني بعد فقر أي أغناني من الواجد وهو الغني والوجد السعة قال ❊ الحمد لله الغني الواجد ❊

﴿باب ما يهمز أوسطه من الافعال ولا يهمز بمعنى واحد﴾

(ذوى) العود يذوي ذويا و(ذأى) يذأى ذأوا وذأيا قال يونس و(ذوى) لغة (رقأت) في الدرجة و(رقيت) بكسر القاف وترك الهمز أجود قال الله عز وجل أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك وأما (رقأ) الدم والدمع فمهموز يقال (رقأ) يرقأ رقوا (تأممتك) وتيممتك وأممتك أي تعمدتك (ناوأت) الرجل وناويته و(دارأته) و(داريته) و(احبنطأت) و(احبنطيت) و(روأت) في الامر و(روّيت) و(أرجأت) الامر (أرجيته) وقد روى أيضا (أومبت) الى فلان و(أومأت) و(أرفأت) السفينة و(أرفيت) و(أخطأت) و(أخطيت) و(أطفأت) النار و(أطفيت) و(رفأت) الثوب و(رفوت) هذا بالواو

﴿باب فعلت وفعلت بمعنى أي بفتح العين وضمها﴾

(سخن) يومنا يسخن و(سخن) و(صلح) الشئ و(صلح) و(شحب) لونه يشحب و(شحب) لغة و(خثر) اللبن يخثر و(خثر) و(رعف) الرجل يرعف و(رعف) يرعف و(طهرت) المرأة و(طهرت) وحكى سيبويه عن بعض (جبن) يجبن و(جبن) و(نبه) ينبه و(نبه)

النهلة من لقائه تجعل الا كباد عطاشا فان من شيمة الدهر أن يبدل الصفو كدرا ويوسع أيام عقوقه طولا وأيام بره قصرا وما أقول الا أنه شمر بتلك المسرة المسروقة فأقام عليها حد القطع ورأى العيش فيها خفضا فأراه بعامل الرفع والمغالطة في هذا الكلام هي في ذكر الخفض والرفع فان الخفض هو سعة العيش والخفض هو أحد العوامل النحوية والرفع هو من قولنا رفعت الشيء اذا أزلته والرفع هو أحد العوامل النحوية أيضا وهذا من المغالطات الخفية (ومن ذلك) ما كتبته في فصل أصف فيه الحمى وكنت اذ ذاك بحصن سميساط وهو بلد من بلاد الارمن فقلت ومما أذكره في حال المرض بهذه الارض ان الحمى خيمت بها فاستقرت ولم تقنع بأهلها حتى سرت الى تربتها فثرى وقد أخذتها المنافض فاقشعرت ولم يشكل أمرها الا أنها حمى أرمنية مستعجمة اللسان وقد نشأت بها الامراض وأهل بلادها في الاباء واذا كانت الحمى كافرة لم تزل للمسلم حربا وشكاتها الانسى شكاة واغا تسمى طعنا وضربا ولهذا صارت الادوية في علاجها تبت بأدوية وأصبحت أيام نحرها في الناس غير مبتدأة بأيام تروية وليس موسمها في فصل معلوم بل كل فصول العام من مواسمها ولو كانت بالنصيبين أو ميافارقين بكتاب الترجمة بعيدها وحادمها والمغالطة ههنا في قولي وأصبحت أيام نحرها في الناس غير مبتدأة بأيام تروية والمراد بذلك أنها تقبل بغتة من غير تروأي من غير تلبث ويوم النحر هو يوم عيد الاضحى وقبله يوم يسمى يوم التروية فالمغالطة حصلت بين نحر الحمى للناس ونحر الضحايا الآن يوم النحر مبتدأ بيوم تروية ولا خفاء بما في هذه المغالطة من الحسن واللطافة (وأما القسم الآخر) وهو النقيض فانه أقل استعمالا من القسم الذي قبله لانه لا يتهيأ استعماله كثيرا في جملته ما ورد شعر المعصوم وهو قوله

وما أشياء تشريها بمال ✽ فان نفقت فأ كسد ما تكون

يقال نفقت السلعة اذا راجت وكان لها سوق ونفقت الدابة اذا ماتت وموضع المناقضة ههنا في قوله انها اذا نفقت كسدت فجاء بالشيء وضده وجعل هذا سببا لهذا وذلك من المغالطة الحسنة (ومن ذلك ما كتبته في جملة كتاب) الى ديوان الخلافة يتضمن فتوح بلد من بلاد الكفار فقلت في آخر الكتاب وقد ارتاد الخادم من يبلغ عنه مشاريح هذه الوقائع التي اختصرها ويمثل صورها لمن غاب عنها كما تمثلت لمن حضرها ويكون مكانه من البلاغة كريما كمكانها وهي عرائس المساعي فأحسن الناس بيانا مؤهل لابداع حسانها والساعي بها فلان وهو راوي أخبار نصرها التي صحتها في تجريح الرجال وعوالي اسنادها مأخوذة من طرق العوالي والليالي والأيام لها رواة فى الظن براوية الايام والليالي في هذا الفصل مغالطة نقيضية ومغالطة مثلية أما المغالطة المثلية فهي في قولي وعوالي اسنادها مأخوذة من طرق العوالي وقد تقدم الكلام على هذا وما يجري مجراه في القسم الاول وأما المغالطة النقيضية فهي قولي وهو راوي أخبار نصرها التي صحتها في تجريح الرجال وموضع المغالطة منه انه يقال في رواة الاخبار فلان عدل صحيح الرواية وفلان مجروح أي سقيم الرواية غير موثوق به فأتيت بهذا المعنى على وجه النقيض فقلت صحة أخبار هذه الفتوح في تجريح الرجال أي تجريحهم في الحرب وفي هذا من الحسن ما لا خفاء به وقد أوردت من هذه الامثلة ما فيه كفاية ومقنع ﴿فان قيل﴾ ان الضرب الاول من هذا النوع هو التجنيس الذي لفظه واحد ومعناه مختلف كالمثال الذي مثلته وفي قول أبي الطيب المتنبي ثعلب وجار فان الثعلب هو الحيوان المعروف وهو أيضا طرف السنان وكذلك باقي الامثلة (قلت في الجواب) ان الفرق بين هذين النوعين ظاهر وذلك أن التجنيس

﴿باب فعلت وفعلت بمعنى أي بكسر العين وضمها﴾ (سفه) يسفه و(سفه) يسفه و(حرمت) الصلاة على المرأة تحرم و(حرمت) تحرم و(سرى) الرجل يسرى و(سرو) يسرو و(سخى) يسخى و(سخو) يسخو وروى سيبويه عن يونس ان بعض العرب يقول (لببت) اللب بالضم وهذا حرف شاذ لا يعرف له مثل لانه يستثقل في المضاعف فعل يفعل قال الفراء قد (عجف) و(عجف) و(حمق) و(حمق) و(سمر) و(سمر) من السمرة و(خرق) و(خرق)

﴿باب فعل (بفتح العين) يفعل ويفعل بضمها وبكسرها﴾

(عطس يعطس) و(يعطس) و(عتب يعتب) و(يعتب) من المعتبة وكذلك هو من المشي على ثلاث و(رفض يرفض) و(يرفض) و(هذر في منطقه يهذر) و(يهذر) و(فسق يفسق) و(يفسق) و(خرز يخرز) و(يخرز) و(زمر يزمر) و(يزمر) و(نفر ينفر) و(ينفر) و(خشن الحجام يخشن) و(يخشن) و(شرط يشرط) و(يشرط) وكذلك هو من الشرائط (عزفت نفسي عن الشيء تعزف) و(تعزف) و(فتك يفتك) و(يفتك) و(عثر يعثر) و(يعثر) و(أبق يأبق) و(يأبق) و(خفق الفؤاد يخفق) و(يخفق) و(عدل يعدل) و(يعدل) و(برض له من ماله يبرض) و(يبرض) و(عند عن الحق يعند) و(يعند) و(عطت الجدي أعطه) و(أعطه) و(تلد المال يتلد) و(يتلد) و(جلب المتاع يجلبه) و(يجلبه) و(حشر يحشر) و(يحشر) و(حجل الغراب يحجل) و(يحجل) و(قتر يقتر) و(يقتر) و(حسد يحسد) و(يحسد) و(شعب الشجرة يشعبها) و(يشعبها) اذا قشرها و(كرم يكرم) و(يكرم) و(حنك الدابة يحنكها) و(يحنكها) اذا جعل الرسن في يذكر

يذكر فيه اللفظ الواحد مرتين فهو يستوي في الصورة ويختلف في المعنى كقول أبي تمام

بكل فتى ضرب يعرض للقنا * محيا محلى حليه الطعن والضرب

فالضرب الرجل الخفيف والضرب هو الضرب بالسيف في القتال فاللفظ لا بد من ذكره مرتين والمعنى فيه مختلف والمغالطة ليست كذلك بل يذكر فيها اللفظ مرة واحدة ويدل به على مثله وليس بمذكور ﴿النوع الحادي والعشرون في الاحاجي﴾ وهي الاغاليط من الكلام وتسمى الالغاز جمع لغز وهو الطريق الذي يلتوي ويشكل على سالكه وقيل جمع لغز بفتح اللام وهو ميلك بالشيء عن وجهه وقد يسمى هذا النوع أيضا المعمى وهو يشتبه بالكناية تارة وبالتعريض أخرى ويشتبه أيضا بالمغالطات المعنوية ووقع في ذلك عامة أرباب هذا الفن (فمن ذلك) أن أبا الفرج الاصفهاني ذكر بيتي الاقيس الاسدي في جملة الالغاز وهما

ولقد أروح بمشرف ذي ميعة * عسر المكرة ماؤه يتفصد

مرح يطير من المراح لعابه * ويكاد جلد اهابه يتقدد

وهذان البيتان من باب الكناية لانهما يحملان على الفرس وعلى العضو المخصوص واذا حمل اللفظ على الحقيقة والمجاز فكيف يعد من جملة الالغاز وكذلك فعل الحريري في مقاماته فانه ذكر في الاحاجي التي جعلها على حكم الفتاوى كناية ومغالطة معنوية وظن أنهما من الاحاجي الملغزة كقوله أيحل للصائم أن يأكل نهارا والنهار من الاسماء المشتركة بين النهار الذي هو ضد الليل وبين فرخ الحبارى فانه يسمى نهارا واذا كان من الاسماء المشتركة صار من باب المغالطات المعنوية لا من باب الاحاجي والالغاز شيء منفصل عن ذلك كله ولو كان من جانبه لم قيل لغز واحجية وانما قيل كناية وتعريض أو مغالطة ولكن وجد من الكلام ما يطلق عليه الكناية ومنه ما يطلق عليه التعريض ومنه ما يطلق عليه المغالطة ومنه شيء آخر خارج عن ذلك فجعل لغزا واحجية وكنت قدمت القول بأن الكناية هي اللفظ الدال على جانب الحقيقة وعلى جانب المجاز فهو يحمل عليهما معا وأن التعريض هو ما يفهم من عرض اللفظ لا من دلالته عليه حقيقة ولا مجازا وأن المغالطة هي التي تطلق ويراد بها شيآن أحدهما دلالة اللفظ على معنيين بالاشتراك الوضعي والآخر دلالة اللفظ على المعنى ونقيضه (وأما اللغز والاحجية) فانهما شيء واحد وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازا ولا يفهم من عرضه لان قول القائل في الضرس

وصاحب لا أمل الدهر صحبته * يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد

ما ان رأيت له شخصا فمذ وقعت * عيني عليه افترقنا فرقة الابد

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من طريق المفهوم وانما هو شيء يحدس ويحزر والخواطر تختلف في الاسراع والابطاء عند عثورها عليه ﴿فان قيل﴾ ان اللغز يعرف من طريق المفهوم وهذان البيتان يعلم معناهما بالمفهوم (قلت في الجواب) ان الذي يعلم بالمفهوم انما هو التعريض كقول القائل اني لفقير واني لمحتاج فان هذا القول لا يدل على المسئلة والطلب لا حقيقة ولا مجازا وانما فهم منه أن صاحبه متعرض للطلب وهذان البيتان ليسا كذلك فانهما لا يشتملان على ما يفهم منه شيء الا بالحدس والحزر لا غير وكذلك كل لغز من الالغاز (واذا ثبت هذا فاعلم) أن هذا الباب الذي هو اللغز والاحجية والمعمى يتنوع أنواعا فمنه المصحف ومنه المعكوس ومنه ما ينقل الى لغة من اللغات غير العربية كقول القائل اسمي اذا صحفته بالفارسية آخر وهذا معه اسم تركي وهو دنكز بالدال المهملة والنون وآخر

فيها و (حلبت عينه تحلب) و (تحلب) و (ذملت الناقة تذمل) و (تذمل) و (جلب الجرح يجلب) و (يجلب) اذا علته جلبة البرء و (عرم الغلام يعرم) و (يعرم) و (قدر يقدر) و (يقدر) و (عضل الايم يعضلها) و (يعضلها) و (خمش وجهه يخمش) و (يخمش) و (حزر النخل يحزره) و (يحزره) و (جزر الماء يجزر) و (يجزر) و (أهل يأهل) و (يأهل) أهولا اذا تزوج و (نطف ينطف) و (ينطف) اذا قطر و (نطف ينطف) أيضا و (حدرت الشيء أحدره) و (أحدره) و (خدرت العين أخدره) و (أخدره) و (فطرته) مثله و (ذبر الكتاب يذبره) و (يذبره) و (زبره يزبره) و (يزبره) كتبه و (عمرت الرجل أعمره) و (أعمره) اذا طلبت الدين منه على عسرة و (طمث المرأة يطمثها) و (يطمثها) اذا جامعها و (قنط يقنط) و (يقنط) وهو (ينسب) بالنساء و (ينسب) و (أبنت الرجل آبنه) و (آبنه) اذا اتهمته و (نخر الرجل ينخر) و (ينخر) و (عرنت البعير أعرنه) و (أعرنه) و (قرت الرجل أقره) و (أقر بكسر العين لغة) الاصمعي عن عيسى بن عمر (همت عينه تهمل) وتهمل (ومن المضاعف) قال الفراء ما كان على فعلت من ذوات التضعيف غير متعد فان يفعل منه مكسور العين مثل (عففت أعف) و (خففت أخف) و (شححت أشح) وقال غيره (وقد جاء بعضه باللغتين جميعا قالوا (جد يجد ويجد) و (شب الفرس يشب ويشب) و (جم يجم ويجم) و (صد عني يصد ويصد) و (شح يشح ويشح) وعن أبي زيد (نمت الاذن تنم تنم) قال الفراء ما كان على فعلت من ذوات التضعيف متعديا مثل رددت ومددت وعددت فان يفعل منه مضموم الا ثلاثة أحرف نادرة

جاءت باللغتين جميعا وهي (شده يشده ويشده) و(نم الحديث ينمه وينمه) و(عله في الشراب يعله ويعله) وزاد غيره (بت الشيء يبته ويبته) و(من المعتل) قالوا (وجد يجد ويجد) من الموجدة والوجدان جميعا وهو حرف شاذ لا نظير له (ومن ذوات الياء والواو) و(طما الماء يطمو ويطمي) اذا ارتفع (فاحت القدر تفوح وتفيح) و(لاط حبه بقلبي يلوط ويليط) و(طباني الشيء يطبوني ويطبيني) و(صار عنقه يصورها ويصيرها) أمالها وقرئت فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها و(صاف عني يصوف ويصيف) أي عدل و(غار يغور ويغير) من الدية والاسم الغيرة وجمعها غير (بان الرجل صاحبه يبينه ويبونه) وبينهما بون بعيد وبين بعيد وهذا في فصل أحدهما على الآخر فان أردت القطيعة فالبين لا غير و(غار أهله يغيرهم ويغورهم) أي يميرهم و(ساغ الطعام يسيغه ويسوغه) والجيد أساغ يسيغ و(ماهت الركية تموه وتميه وتماه) و(صاره يضيره ويضوره) و(لاته يليته ويلوته) و(ماث الشيء فهو يموثه ويميثه) اذا دافه و(فاح يفوح ويفيح) و(ناخت رجله في الوحل تنوخ وتنيخ) و(فاد يفود ويفيد) اذا مات (نما الحديث ينمو وينميه) و(فعل يفعل ويفعل) و(جنح الفؤاد يجنح ويجنح) اذا مال و(مضغ يمضغ ويمضغ) و(دبغ يدبغ ويدبغ) و(صبغ يصبغ ويصبغ) و(سلخ يسلخ ويسلخ) و(مخض اللبن يمخضه ويمخضه) و(نشب اللبن ينشب وينشب) و(رج يرج ويرج) و(شم يشم ويشم) ومن ذوات الواو والالف و(شعوت في أشعاه وأشعوه) اذا شعه و(عوت بصرى شغاء وأشعوه) اذا صرفه

بالفارسية ذيكر بالدال المهملة والياء المعجمة بنقطتين من تحت واذا صحفت هذه الكلمة صارت ذنكر بالنون فانقلبت الياء نونا بالتصحيف وهذا غير مفهوم الا للبعض من الناس دون بعض وانما وضع واستعمل لانه مما يشحذ القريحة ويحد الخاطر لانه يشتمل على معان دقيقة يحتاج في استخراجها الى توقد الذهن والسلوك في معاريج خفية من الفكر وقد استعمله العرب في أشعارهم قليلا ثم جاء المحدثون فأكثروا منه وربما أتى منه بما يكون حسنا وعليه مسحة من البلاغة وذلك عندي بين بين فلا أعده من الاحاجي ولا أعده من فصيح الكلام فمما جاء منه قول بعضهم

فسقيت آبالهم بالنار * والنار قد تشفي من الاوار

ومعنى ذلك أن هؤلاء القوم الذين هم أصحاب الابل ذوو جاه وتقدم ولهم وسم معلوم فلما وردت ابلهم الماء عرفت بذلك الوسم فأفرج لها الناس حتى شربت وقد اتفق له أنه أتى في هذا البيت بالشيء وضده وجعل أحدهما سببا للآخر فصار غريبا عجيبا وذلك أنه قال سقيت بالنار وقال ان النار تشفي من الاوار وهو العطش وهذا من محاسن ما يأتي في هذا الباب (ومما يجري على هذا النهج) قول أبي نواس في شعر الكرم

لنا هجمة لا يدري الذئب سخلها * ولا راعها غض الفعالة والخطر
اذا امتحنت ألوانها مال صفوها * الى الحو الا أن أوبارها خضر

ومن هذا القبيل قول بعضهم

سبع رواحل ينخن من الونا * شيم تساق بسبعة زهر
متواصلات لا الدؤوب عليها * باق تعاقبها على الدهر

هذان البيتان يتضمنان وصف أيام الزمان ولياليه وهي الاسبوع فكان الزمان عبارة عنه وذلك من الالغاز الواقعة في موقعها (وعلى هذا الاسلوب) ورد قول أبي الطيب المتنبي في السفن من جملة قصيدته التي مدح بها سيف الدولة عند ذكر عبوره الفرات وهي

* الرأي قبل شجاعة الشجعان * فقال

وحشاه عادية بغير قوائم * عقم البطون حوالك الالوان
تأتي بما سبت الخيول كأنها * تحت الحسان مرابض الغزلان

وهذا حسن في بابه ومن ذلك قول بعضهم في حجر المحك

ومدرع من صنعة الليل برده * يفوق طورا بالنضار وطاس
اذا سألوه عن عويص أشكله * أجاب بما أعيا الورى وهو أخرس

وهذا من اللطافة على ما يشهد لنفسه وكان سمعه بعض المتأخرين من أهل زماننا فأجاب عنه بيتين على وزنه وقافيته وهما

سؤالك مجلود من الصخر أسود * خفيف لطيف ناعم الجسم أطلس
أقيم بسوق الصرف حكما كأنه * من الزنج قاض بالحلوق مطلس

وقد رأيت هذا الشاعر وهو حائك بجزيرة ابن عمر وليس عنده من أسباب الادب شيء سوى أنه قد أصلح لسانه بطرف يسير من علم النحو لا غير وهو مع ذلك يقول الشعر طبعا وكان يجيد في الكثير منه (ومن الالغاز) ما يرد على حكم المسائل الفقهية كالذي أورده الحريري في مقاماته وكنت سئلت عن مسئلة منه وهي

ولي خالة وأنا خالها * ولي عمة وأنا عمها * فأما التي أنا عم لها
فان أبي أمه أمها * أبوها أخي وأخوها أبي * ولي خالة هكذا حكمها

فأين الفقيه الذي عنده ✽ فنون الدراية أو علمها
يبين لنا انسابا نالها ✽ ويكشف للنفس ما بها
فلسنا مجوسا ولا مشركين ✽ شريعة أحمد نأتيها

وهذه المسئلة كنت اذا فكرت فيها تأمل غير ملجج في الفكر ولم ألبث أن انكشف لي ما تحتها من اللغز وهو أن الحالة التي الرجل عليها تصور على هذه الصورة وذلك أن رجلا تزوج امرأتين اسم احداهما عائشة واسم الاخرى فاطمة فأولد عائشة بنتا وأولد فاطمة ابنا ثم زوج بنته من أبي امرأته فاطمة فجاءت ببنت فتلك البنت هي خالة ابنه وهو خالها لانه أخو أمها وأما العمة التي هو عمها فصورتها أن رجلا له ولد ولولده أخ من أمه فزوج أخاه من أمه أم أبيه فجاءت ببنت فتلك البنت هي عمته لانها أخت أبيه وهو عمها لانه أخو أبيها وأما قوله ولي خالة هكذا حكمها فهو أن تكون أمها أخته وأختها أمه كما قال أبوها أخي وأخوها أبي وصورتها أن رجلا له ولد ولولده أخت من أمه فزوجها من أبي أمه فجاءت ببنت فأختها أمه وأمها أخته (وأحسن من ذلك كله وألطف وأحلى) قول بعضهم في الخلخال

ومضروب بلا جرم ✽ مليح اللون معشوق له قد الهلال على ✽ مليح القد ممشوق
وأكثر ما يرى أبدا ✽ على الامشاط في السوق

وبلغني أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال قد دخلت السوق فما رأيت على الامشاط شيأ وظن أنها الامشاط التي يرجل بها الشعر وأن السوق سوق البيع والشراء (واعلم) أنه قد يأتي من هذا النوع ما هو ضروب وألوان فمنه الحسن الذي أوردت شيأ منه كما تراه ومنه المتوسط الذي هو دونه في الدرجة فلا يوصف بحسن ولا قبح كقول بعضهم

راحت ركائبهم وفي أكوارها ✽ ألعان من عم الاثيل الواعد
ما إن رأيت ولا بار كب هكذا ✽ حملت حدائق كالظلام الراكد

وهذا وصف قوما وفدوا على ملك من الملوك فأعطاهم نخلا وكتب لهم بها كتابا والاثيل الموضع الذي كتب لهم اليه والعم العظام الرؤس من النخيل والواعد الاقناء من النخل فلما حملوا الكتب في أكوارهم فكأنهم حملوا النخل وهذا من متوسط الالغاز وقد جاء من ذلك ما هو بشع بارد فلا يستخرج الا بمسائل الجبر والمقابلة أو بخطوط الرمل من القبض الداخل أو القبض الخارج والبياض والحمرة وغيرها ولئن كان معناه دقيقا يدل على فرط الذكاء فاني لا أعده من اللغة العربية فضلا عن أن يوصف بصفات الكلام المحمودة ولا فرق بينه وبين لغة الفرس والروم وغيرهما من اللغات في عدم الفهم ﴿وأما ما ورد من الالغاز نثرا﴾ فقد ألغز الحريري في مقاماته ألغازا ضمنها ذكر الابرة والمرود وذكر الدينار وهي أشهر كما يقال من قفا نبك فلا حاجة الى ايرادها في كتابي هذا وقد ورد من الالغاز شيء في كلام العرب المنثور غير أنه قليل بالنسبة الى ما ورد في أشعارها وقد تأملت القرآن الكريم فلم أجد فيه شيأ منها ولا ينبغي أن يتضمن منها شيأ لانه لا يستنبط بالحدس والحزر كما تستنبط الالغاز (وأما ما ورد للعرب) فيروى عن امرئ القيس وزوجته عدة من الالغاز وذلك أنه سألها قبل أن يتزوجها فقال ما ثنتان وأربعة وثمانية فقالت أما الاثنان فثديا المرأة وأما الاربعة فأخلاف الناقة وأما الثمانية فأطباء الكلبة ثم انه تزوجها وأرسل اليها هدية على يد عبد له وهي حلة من عصب اليمن ونحي من عسل ونحي من سمن فنزل العبد ببعض المياه ولبس الحلة فعلق طرفها بسمرة فانشق وفتح النحيين وأطعم أهل الماء ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف فسأل عن أبيها وأمها وأخيها ودفع اليها الهدية فقالت له

﴿فعل يفعل ويفعل﴾

(نفخ ينفخ وينفخ) و(نبح الكلب ينبح وينبح) و(نطح الثور ينطح وينطح) و(نهق الحمار ينهق وينهق) و(شحج البغل يشحج ويشحج) و(شهق يشهق ويشهق) و(نهش ينهش وينهش) و(طحر يطحر ويطحر) طحيرا اذا زحر وطحرت العين قذاها تطحره اذا ألقته وتطحره (ومن المثل عام الى الاين دمام ودميم) وقالوا (كل ما جاء على فعل مفتوح العين فان مستقبله بالكسر والضم) نحو (ضرب يضرب) و(قتل يقتل) الا أن تكون لام الفعل أو عين الفعل أحد حروف الحلق وهي العين والغين والحاء والخاء والهمزة والهاء فان الحرف اذا جاء كذلك فربما جاء يفعل منه مفتوحا نحو (قرأ يقرأ) و(بدأ يبدأ) و(صنع يصنع) و(ذبح يذبح) و(نسخ ينسخ) و(قرع يقرع) و(فخر يفخر) و(سأل يسأل) و(ثأر يثأر) و(قهر يقهر) و(نعب ينعب) و(نحر ينحر) و(فغر فاه يفغر) و(ربما جاء يفعل على الاصل) (هنأ يهنئ) و(نزع ينزع) و(رجع يرجع) و(دخل يدخل) و(صلح يصلح) ولم يأت فعل يفعل بالفتح في الماضي والمستقبل اذا لم يكن فيه أحد حروف الحلق لاما ولا عينا الا في حرف واحد جاء نادرا وهو أبى يأبى وزاد أبو عمرو ركن يركن والنحويون من البصريين والبغداديين يقولون (ركن يركن) و(ركن يركن)

﴿فعل يفعل ويفعل﴾

(حسب يحسب ويحسب) و(يئس ييأس وييئس) و(نعم ينعم وينعم) و(بئس يبأس ويبئس) على المضمر

تكسر وسفلاها تفتح وقراءة رسول الله ٢٥٨ صلى الله عليه وعلى آله يحسب ويحسبون بالكسر وهذه الحروف الاربعة فى الافعال السالمة شواذ وماسواها من فعل فان المستقبل منه يفعل نحو (علم يعلم) و (جهل يجهل) ﴿فاما المعتل فمنه ماجاء ماضيه ومستقبله بالكسر﴾ نحو (ورم يرم) و (ولى يلى) و (وثق يثق) و (ومق يمق) و (ورع يرع) و (ورث يرث) و (ورى الزند يرى) و (وفق أمره يفق)

﴿فعل يفعل و يفعل﴾

أبو عبيدة يقال (فضل) منه شئ قليل فاذا أرادوا المستقبل ضموا الضاد فقالوا (يفضل) وليس فى الكلام حرف من السالم يشبهه وقد جاء من المعتل مثله قالوا (مت) فكسروا ثم قالوا (تموت) وكذلك (دمت) ثم قالوا (تدوم) قال وروى ان من العرب من يقول (فضل يفضل) مثل حذر يحذر وقالوا أيضا يدام ويمات والاجود (فضل يفضل) و (مت تموت) و (دمت تدوم) قال سيبويه بلغنا أن بعض العرب يقول (نعم ينعم) مثل (فضل يفضل)

﴿باب فعل يفعل (بضم العين فى الماضى وفتحها فى المضارع)﴾

(كل ما كان على فعل فمستقبله بالضم) لم يأت غير ذلك الا فى حرف واحد من المعتل رواه سيبويه قال بعض العرب يقول كدت تكاد فقالوا فعلت تفعل كما قالوا فعلت تفعل فى فعل يفعل قال الفراء أما الذين ضموا كدنا فانهم أرادوا أن يفرقوا بين فعل الكيد من المكيدة فى فعل وبين فعل الكيد فى القرب فقالوا كدنا نفعل ذلك وقالوا كدنا لقوم من المكيدة كما فرقوا بينهما فى يفعل فقالوا فى الاول يكاد وفى الثانى يكيد ﴿باب المبدل﴾ قالوا (مدهته) بمعنى مدحته

فوى

أعلم مولاك أن أى ذهب بقرب بعيد او يبعد قريبا وان أى ذهبت تشق النفس نفسين وان أخى يرقب الشمس وأخبره أن سماءكم انشقت وان وعاءكم نضب فعاد العبد الى امرئ القيس وأخبره بما قالته له فقال أما أبوها فانه ذهب يحالف قوما على قومه وأما أمها فانها ذهبت تقبل امرأة وأما أخوها فانه فى سرح يرعاه الى أن تغرب الشمس وأما قولها ان سماءكم انشقت فان الحلة انشقت وأما قولها ان وعاءكم نضب فان النحيين نقصا ثم قال للعبد أصدقنى فقال له انى نزلت بماء من مياه العرب وفعلت كذا وكذا فهذا وأمثاله قد ورد عنهم الا أنه يسير (وكذلك يروى عن شن بن أقصى) وكان ألزم نفسه أن لا يتزوج الا امرأة تلائمه فصاحبه رجل فى بعض أسفاره فلما أخذ بهما السير قال له شن أتحملنى أم أحملك فقال له الرجل ياجاهل هل يحمل الراكب راكبا فأمسك عنه وسارا حتى أتيا على زرع فقال شن أترى هذا الزرع قد أكل فقال له ياجاهل أما تراه فى سنبله فأمسك عنه ثم سارا فاستقبلتهما جنازة فقال شن أترى صاحبها حيا فقال له الرجل ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا الى القبر حيا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فسار به الى بيته وكانت له بنت فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت ما نطق الا بالصواب ولا استفهم الا عما يستفهم عن مثله أما قوله أتحملنى أم أحملك فانه أراد أتحدثنى أم أحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث وأما قوله أترى هذا الزرع قد أكل فانه أراد هل استسلف ربه ثمنه أم لا وأما استفهامه عن صاحب الجنازة فانه أراد هل خلف له عقبا يحيا بذكره أم لا فلما سمع كلام ابنته خرج الى شن وحدثه بتأويلها فخطبها فزوجه اياها (وأدق من هذا كله وألطف) ما يحكى عن رجل من المنافقة أصحاب شيزر وهو أولهم الذى استنقذه من أيدى الروم بالمكر والخديعة ولذلك قصة ظريفة وليس هذا موضع ذكرها وكان قبل ملكه اياها فى خدمة محمود بن صالح صاحب حلب وكان اذ ذاك يلقب بسديد الملك فنبا به مكانه وحدثت له حادثة أوجبت له أن هرب ومضى الى مدينة ترابلس فى زمن بنى عمار أصحاب البلد فأرسل اليه ابن صالح واستعطفه ليعود اليه فخافه ولم يعد فاحضر ابن صالح رجلا من أهل حلب صديقا لابن منقذ بينه وبينه لحمة مودة أكيدة وأجلسه بين يديه وأمره أن يكتب اليه كتابا عن نفسه يوثقه من جهة ابن صالح ليعود فلم يسعه الا أن يكتب وهو يعلم أن باطن الامر فى ذلك خلاف ظاهره وأنه متى عاد ابن منقذ الى حلب هلك فأفكر وهو يكتب فى اشارة عمياء لا تفهم ليضعها فيه يحذر بها ابن منقذ فأداه فكره أن كتب فى آخر الكتاب عند انهائه ان شاء الله تعالى وشدد ان وكسرها ثم سلم الكتاب الى ابن صالح فوقف عليه وأرسله الى ابن منقذ فلما صار فى يده وعلم ما فيه قال هذا كتاب صديقى وما يغشنى ولولا أن يعلم صفاء قلب ابن صالح لى لما كتب الى ولا غرنى ثم عزم على العود وكان عنده ولده فأخذ الكتاب وكرر نظره فيه ثم قال له يا أبة مكانك فان صديقك قد حذرك وقال لا تعد فقال وكيف قال انه قد كتب ان شاء الله تعالى فى آخر الكتاب وشدد ان وكسرها وضبطها ضبطا صحيحا لا يصدر مثله عن سهو ومعنى ذلك أنه يقول ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك وان شككت فى ذلك فأرسل الى حلب وهذا من أعجب ما بلغنى من حدة الذهن وفطانة الخاطر ولولا أنه صاحب الحادثة المخوفة لما تفطن الى مثل ذلك أبدا الا أنه ضرب من علم الغيب وانما الخوف دله على استنباط ما استنبطه (ووجد لبعض الادباء لغز فى حمام) فمنه ما أجاد فيه كقوله وقد أظلتها سماء ذات نجوم لا استراق لها ولا رجوم وهى مركبة فى ذلك صحت استدارته وسكنت ادارته

أعجب بها من أنجم ● عند الصباح ظاهره لكنها اذا بدا ● نجم الظلام غائره

فهي على القياس جنة نعيم مبنية على لظى جحيم لا حلول فيها ولا مقام ولا تزاور بين أهلها ولا سلام أنهارها متدفقة ومياهها مترقرقة والاكواب بها موضوعة والنمارق عنها منزوعة

يطيع بها المولى أوامر عبده * ويصبح طوعا في يديه مقاتله
ويرفع عنه التاج عند دخوله * ويسلب من قبل الجلوس غلائله

التجمل بها معدوم والخادم فيها المخدوم ينكر بها التستر من البرد ويكره حرها اذا جاوز الحد هذا اللغز من فصيح الالغاز ولا يقال ان صاحبه في المعمى صانع المكاز واذا طرز غيره بلمة من الوشي فهذا كله طراز (ومما سمعته) من الالغاز الحسان التي تجري في المحاورات ما يحكى عن عمر بن هبيرة وشريك النميري وذلك أن عمر بن هبيرة كان سائرا على برذون له والى جانبه شريك النميري على بغلة فتقدمه شريك في المسير فصاح به عمر اغضض من لجامها فقال أصلح الله الامير انها مكتوبة فتبسم عمر ثم قال له ويحك لم أرد هذا فقال له شريك ولا أنا أردته وكان عمر أراد قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فأجابه شريك بقول الآخر

لا تأمنن فزاريا نزلت به * على قلوصك واكتبها باسيار

وهذا من الالغاز اللطيفة وتفطن كل من هذين الرجلين لذلك ألطف وأحسن (ومما يجري هذا المجرى) أن رجلا من تميم قال لشريك النميري ما في الجوارح أحب الي من البازي فقال له شريك اذا كان يصيد القطا وكان التميمي أراد قول جرير

أنا البازي المطل على نمير * أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد شريك قول الطرماح

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت طرق المكارم ضلت

واعلم أن خواطر الناس تتفاضل كتفاضل الاشخاص ومن ههنا قيل سبحان خالق أبي موسى وعمرو بن العاص (النوع الثاني والعشرون في المبادي والافتتاحات) هذا النوع هو أحد الاركان الخمسة البلاغية المشار اليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب وحقيقة هذا النوع أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالا على المعنى المقصود من ذلك الكلام ان كان فتحا ففتحا وان كان هناء فهناء أو كان عزاء فعزاء وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني وفائدته أن يعرف من مبدا الكلام ما المراد به ولم هذا النوع والقاعدة التي يبنى عليها أساسه أنه يجب على الشاعر اذا نظم قصيدا أن ينظر فان كانت مديحا صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل بل يرتجل المديح ارتجالا من أولها كقول القائل

ان مارت الالباب كيف تقول * في ذا المقام فعذرها مقبول
سامح بفضلك مادحيك فمالهم * أبدا الى ما تستحق سبيل
ان كان لا يرضيك الا محسن * فالمحسنون اذا اليك قليل

فان هذا الشاعر ارتجل المديح من أول القصيد فأتى به كما ترى حسنا لا ئقا وأما اذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح معقل أو هزيمة جيش أو غير ذلك فانه لا ينبغي أن يبدأ فيها بغزل وان فعل ذلك دل على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية أو على جهله بوضع الكلام في مواضعه (فان قيل) انك قلت يجب على الشاعر كذا وكذا فلم ذلك (قلت في الجواب) ان الغزل رقة محضة والالفاظ التي تنظم في الحوادث المشار اليها من فحل الكلام ومتين القول وهي ضد الغزل وأيضا فان الاسماع تكون متطلعة الى ما يقال في تلك الحوادث والابتداء بالخوض في ذكرها لا الابتداء بالغزل اذ المهم واجب التقديم ومن أدب هذا النوع أن لا يذكر الشاعر في

و(الايم والاين الحية)و القبر(جدث)وجدف(استأديت عليه)واستعديت ٢٥٩ و(آدني)عليه وأعدني عليه (فناء الدار)وثناؤها واحد (سبد رأسه)و(سمده) اذا استأصله وهي (المغافير)و(المغاثير) جثوت عليه و(جذوت) مرث الخبز في الماء و(مرده)و(نبض) العرق ونبذ و(هرد فلان الستر) وهرته اذا خرقه وهو (شثن الاصابع) وشثل وأخس الله حظه و(أحته) فهو خسيس وحتيت (جاحفت) عن الرجل وجاحشت سواء مددت و(متت) وهو المد و(المت) و(المط) ألح به و(ابط) به اذا ضرب بنفسه الارض دهدهت الحجر و(دهديت) ربيت الصبي وربيته وربته (كلب هراش) وخراش (قشوت العود) وقشرته نشرت الخشبة و(وشرتها) و(أشرتها) وهو المنشار والمئشار لص و(لصت) طس و(طست) قمح يقمح قموحا و(قه يقمه قموها) اذا رفع البعير رأسه فلم يشرب أهمني الامر و(أحمني) أحم خروجنا و(أجم) اذا أزف (وصيت) الشيء بالشيء ووصلته ومنه قول ذي الرمة

نصي الليل بالايام حتى صلاتنا * مقاسمة يشتق أنصافها السفر

(طامه) الله على الخير وطامه أي جبله نشزت المرأة على زوجها و(نشصت) سمرت اليه و(ترت) اليه نفر و(نفز) سواء قال الشماخ

* وان ردع منها أسلمته النواقر *

يعني القوائم لانها تنقر (أفزعتهم) وأفرزتهم (عانشت) الرجل وعانقته الماء (جامس) وجامد سكنت الريح و(سكرت) من قول أوس * فليست بطلق ولا ساكره *

(ثاخ) وساخ في الارض سواء أي دخل قال أبو ذؤيب * فهو تثوخ فيها الاصبع * انتقيت من الشيء و(انتقلت) سواء أرقت الماء

و(هرقته) الفراء (غمار الناس) وخمار ولصق و(زق) و(اصق) صفت الزعفران و(سهكته)

افتتاح قصيدة بالمديح ما يتطير منه وهذا يرجع الى أدب النفس لا الى أدب الدرس فينبغي أن يحترز منه في مواضعه كوصف الديار بالدثور والمنازل بالعفاء وغير ذلك من تشتت الألاف وذم الزمان لاسيما اذا كان في التهاني فانه يكون أشد قبحا وانما يستعمل ذلك في الخطوب النازلة والنوائب الحادثة ومتى كان الكلام في المديح مفتتحا بشيء من ذلك تطير منه سامعه وانما خصت الابتداآت بالاختيار لانها أول ما يطرق السمع من الكلام فاذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه ويكفيك من هذا الباب الابتداآت الواردة في القرآن كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور وكذلك الابتداآت بالنداء كقوله تعالى في مفتتح سورة النساء يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وكقوله تعالى في أول سورة الحج يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذا الابتداء مما يوقظ السامعين للاصغاء اليه وكذلك الابتداآت بالحروف كقوله تعالى الم وطس وحم وغير ذلك فان هذا أيضا مما يبعث على الاستماع اليه لانه يقرع السمع شيء غريب ليس له بمثله عادة فيكون ذلك سببا للتطلع نحوه والاصغاء اليه (ومن قبيح الابتداآت) قول ذي الرمة * ما بال عينك منها الماء ينسكب * لانه مقابل الممدوح بهذا الخطاب لاخفاء بقبحه وكراهته ولما أنشد الاخطل عبد الملك بن مروان قصيدته التي أولها * خف القطين فراحوا منك أو بكروا * قال له عند ذلك لا بل منك وتطير من قوله فغيرها ذو الرمة وقال

خف القطين فراحوا اليوم أو بكروا * ومن شاء أن يذكر الديار والاطلال في شعره فليتأدب بأدب القطامي على جفاء طبعه وبعده عن فطانة الادب فانه قال انا محيوك فاسلم أيها الطلل * فبدأ قبل ذكر الطلل بذكر التحية والدعاء له بالسلامة وقد قيل ان امرأ القيس كان يجيد الابتداء كقوله ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي * وكقوله * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل (ومما يكره من الابتداآت) قول أبي تمام * تجرع أسى قد أقفر الجرع الفرد وانما ألقى أبا تمام في مثل هذا المكروه تتبعه للتجنيس بين تجرع والجرع وهذا دأب الرجل فانه كثيرا ما يقع في مثل ذلك وكذلك استقبح قول البحتري فؤاد ملاه الحزن حتى تصدعا * فان ابتداء المديح بمثل هذا طيرة ينبو عنها السمع وهو أجدر بأن يكون ابتداء مرثية لامديح وما أعلم كيف يخفى هذا على مثل البحتري وهو من مفلقي الشعراء (وحكي) أنه لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان جلس فيه وجمع أهله وأصحابه وأمرهم أن يخرجوا في زينتهم فما رأى الناس أحسن من ذلك اليوم فاستأذن اسحق بن ابراهيم الموصلي في الانشاد فأذن له فأنشد شعرا حسنا أجاد فيه الا أنه استفتحه بذكر الديار وعفائها فقال

يا دار غيرك البلى ومحاك * يا ليت شعري ما الذي أبلاك

فتطير المعتصم بذلك وتغامز الناس على اسحق بن ابراهيم كيف ذهب عليه مثل ذلك مع معرفته وعلمه وطول خدمته للملوك ثم أقاموا يومهم وانصرفوا فما عاد منهم اثنان الى ذلك المجلس وخرج المعتصم الى سر من رأى وخرب القصر فاذا أراد الشاعر أن يذكر دارا في مديحه فليذكرها ذكر أشجع السلمي حيث قال قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام وما أجدر هذا البيت بمفتتح شعر اسحق بن ابراهيم الذي أنشده للمعتصم فانه لو ذكر هذا أو ما جرى مجراه لكان حسنا لائقا (وسئل) بعضهم عن أحذق الشعراء فقال من أجاد الابتداء والمطلع الا ترى الى قصيدة أبي نواس التي أولها

يا دار ما فعلت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام

﴿ابدال الياء من أحد الحرفين المثلين اذ اجتمعا﴾

(تظنيت) من الظن وأصله تظننت قال العجاج

* تقضي البازي اذا البازي كسر *

أراد تقضض وقال الله عز وجل وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال أبو عبيدة المكاء الصفير والتصدية التصفيق ورفع الاصوات وأصله من صددت أصد ومنه قول الله عز وجل اذا قومك منه يصدون أي يضجون ويعجون فجعل احدى الدالين ياء (ابلت) هو من ألب بالمكان اذا أقام به فابدل من احدى الباءين ياء قال أبو عبيدة (دساها) من دسست (تمطى) أصله تمطط أي تمدد ومنه المشية المطيطاء وهي التبختر (أمليت) الكتاب وأمللته قال الله جل ثناؤه فليملل وليه بالعدل وقال في موضع آخر فهي تملى عليه بكرة وأصيلا

﴿الابدال من المشدد﴾

(تكمكم) الرجل من الكمة وهي القلنسوة والاصل تكمم و(تململ) على فراشه والاصل تملل من الملة وهي الرماد الحار قال الشاعر

* باتت تكركره الجنوب *

أصله تكرره من التكرير وقول الفرزدق

* ويخلفن ما ظن الغيور المشفشف *

(أي المهزول) هو من شففته الغيرة وشفه الحزن وأصله المشفف (فكبكبوا) فيها هي فكببوا من كببت الرجل على وجهه

﴿ما أبدل من القوافي﴾

أنشد الفراء قال أنشدني أبو الجراح

والله ما فضلي على الجيران * الا على الاخوال والاعمام

وأنشد غيره في مثل ذلك

فانما

فانه امن أشرف شعره وأعلاه منزلة وهى مع ذلك مستكرهة الابتداء لانها فى مدح الخليفة الامين وافتتاح المديح بذكر الديار ودثورها مما يتطير منه لاسيما فى مشافهة الخلفاء والملوك ولهذا يختار فى ذكر الاماكن والمنازل مارق لفظه وحسن النطق به كالعذيب والغوير ورامة وبارق والعقيق وأشباه ذلك ويختار أيضا أسماء النساء فى الغزل نحو سعاد وأميم وفوز وما جرى هذا المجرى وقد عيب على الاخطل فى تغزله بقذور وهو اسم امرأة فانه مستقبح فى الذكر وقد عيب على غيره التغزل باسم تماضر فانه وان لم يكن مستقبحا فى معناه فانه ثقيل على اللسان كما قال البحترى

ان للبين منة لاتؤدّى * ويدا فى تماضر بيضاء

فتغزله بهذا الاسم مما يشوه رقة الغزل ويثقل من خفته وأمثال هذه الاشياء يجب مراعاتها والتحرز منها (وقد استثنى من ذلك) ما كان اسم موضع تضمن وقعة من الوقائع فان ذكره لا يكره وان كان فى اسمه كراهة كما ذكر أبو تمام فى شعره مواضع مكروهة الاسماء لضرورة ذكر الوقائع التى كانت بها كذكر الحشال وعقوقس وأمثالهما وكذلك ذكر أبو الطيب المتنبى هنزيط وشمشاط وما جرى مجراهما وهذا لاعيب فى ذكره لمكان الضرورة التى تدعو اليه وهكذا يسامح الشاعر والكاتب أيضا فى ذكر ما لابد من ذكره وان قبح ومهما أمكنه من التورية فى هذا المقام فليسلكها وما لا يمكنه فانه معذور فيه (واعلم) أنه ليس من شرط الابتداء أن لا يكون مما يتطير منه فقط فان من الابتداآت ما يستقبح وان لم يتطير منه كقول أبى تمام * قدك اتئب أربيت فى الغلواء * وكقوله * تقى جمعاتى لست طوع مؤنبى * وكقول أبى الطيب المتنبى أقل فعالى بله أكثره مجد * وكقوله * كفى أرانى ويك لومك ألوما * والعجب أن هذين الشاعرين المفلقين يبتدئان بمثل ذلك ولهما من الابتداآت الحسنة ما أذكره (أما أبو تمام) فانه افتتح قصيدته التى مدح بها المعتصم عند فتحه مدينة عمورية فقال

السيف أصدق أنباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وهذه الابيات لها قصة وذلك أنه لما حضر المعتصم مدينة عمورية زعم أهل النجامة أنها لا تفتح فى ذلك الوقت وأفاضوا فى هذا حتى شاع وصار أحدوثة بين الناس فلما فتحت بنى أبو تمام مطلع قصيدته على هذا المعنى وجعل السيف أصدق من الكتب التى خبرت بامتناع البلد واعتصامها ولذلك قال فيها

والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية أم أين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة * ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

وهذا من أحسن ما يأتى فى هذا الباب وكذلك قوله فى أول قصيدة يمدحه بها أيضا ويذكر فيها خروج بابك الخرمى عليه وظفره به وهى من أمهات شعره فقال

الحق أبلج والسيوف عوار * فحذار من أسد العرين حذار

وكذلك قوله متغزلا عسى وطن يدنو بهم ولعلما * وان تعتب الايام فيهم فربما

وهذا من الاغزال الحلوة الرائقة وهو من محاسن أبى تمام المعروفة وكذلك قوله فى أول مرثية

أصم بك الناعى وان كان أسمعا * وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

(وأما أبو الطيب) فانه أكثر من الابتداآت الحسنة فى شعره كقوله فى قصيدة يمدح بها كافورا وكان قد جرت بينه وبين ابن سيده نزغة فقد أقصيدته بذكر الغرض المقصود فقال

يارب جعد فيهم لو تدرين * يضرب ضرب السبط المقاديم وأنشد غيره كأن أصوات القطا المنقض * بالليل أصوات الحصا المنقز

وأنشد غيره والله لولا شيخنا عباد
لكمرونا عندها أو كادوا
فرشط لما كره الفرشاط
بفيشة كأنها ملطاط
وأنشد الفراء
كأن تحت درعها المنقد
شطا رميت فوقه بشط
والشط السنام وأنشد غيره
اذا رجعت فاجعلونى وسطا
انى كبير لا أطيق العندا
وأنشد ابن الاعرابى
أزهر لم يولد بنجم الشح
ميمم البيت كريم السنخ
وأنشد
قبحت من سالفة ومن صدغ
كأنها كشية ضب فى صقع
وأنشد
كأنما الهود مدة أنباط
أسبر امير على وجاذ
الجرموز الحوض الصغير والوجاذ
المشرق من الارض وأنشد غيره
حشورة الجنبين معطاء القفا
لا تدع الدمن اذا الدمن طفا
الا بجرع مثل اثباج القطا
(ومن المقلوب جذب وجبذ)
اضمحل الشئ و(امضحل) أحجمت
عن الامر و(أجحمت) (طمس
الطريق) وطسم اذا درس (ثنت
اللحم) ونثت اذا أنتن (أنى الشئ)
يأنى مثل أتى يأتى وآن يئين اذا
حان بئر عميقة و(معيقة) * (قاع
الفحل) على الناقة وقعا يقعو اذا
ضربها حسب يومنا و(محت) اذا
اشتد حره شفنت و(شنفت) أى
نظرت صمق الرجل و(صقم) وهى
الصاعقة والصاقعة عقاب عقنباة
و(عبنقاة) وهى ذات المخالب
اشاف الرجل على الشئ و(أشفى)
اذا أشرف اعتام و(اعتمى) اذا اختار واعتاق الامر فلانا و(اعتقاه) اذا حبسه (بات) الشئ وبتته قطعته ومنه قول الشنفرى

حسم الصلح ما اشتهته الاعادي * وأذاعته ألسن الحساد

وهذا من بديع الابتداء ونادره وكذلك ورد قوله في سيف الدولة وكان ابن الشمشقيق حلف ليلقينه كفاحا فلما التقيا لم يطق ذلك وولى هاربا فافتتح أبو الطيب قصيدته بفحوى الامر فقال

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم * ماذا يزيدك في اقدامك القسم

وفي اليمين على ما أنت واعده * ما دل أنك في الميعاد متهم

وكذلك قوله وقد فارق سيف الدولة وسار الى مصر فجمع بين ذكر فراقه اياه ولقائه كافورا في أول بيت من القصيد فقال فراق ومن فارقت غير مذمم * وأم ومن يممت خير ميمم

(ومن البديع النادر في هذا الباب) قوله متغزلا في مطلع قصيدته القافية وهي

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في المآقي

وله مواضع أخر كثيرة لا حاجة الى ذكرها (ومن محاسن الابتدا آت) التي دلت على المعنى من أول بيت في القصيدة ما قرأته في كتاب الروضة لأبي العباس المبرد فانه ذكر غزوة غزاها الرشيد هرون رحمه الله في بلاد الروم وأن نقفور ملك الروم خضع له وبذل الجزية فلما عاد عنه واستقر بمدينة الرقة وسقط الثلج نقض نقفور العهد فلم يجسر أحد على اعلام الرشيد لمكان هيبته في صدور الناس وبذل يحيى بن خالد للشعراء الاموال على أن يقولوا أشعارا في اعلامه فكلهم أشفق من لقائه بمثل ذلك الاشعار من أهل جدة يكنى أبا محمد وكان شاعرا مفلقا فنظم قصيدا وأنشدها الرشيد أولها

نقض الذي أعطيته نقفور * فعليه دائرة البوار تدور

أبشر أمير المؤمنين فانه * فتح أتاك به الاله كبير

نقفور انك حين تغدر ان نأى * عنك الامام لجاهل مغرور

أظننت حين غدرت أنك مفلت * هبلتك أمك ما ظننت غرور

فلما أنهى الابيات قال الرشيد أوقد فعل ثم غزاه في بقية الثلج وفتح مدينة هرقلة (وقرأت في كتاب الاغاني لأبي الفرج الاصبهاني) ما رواه من شعر سديف في تحريض الخليفة السفاح رحمه الله على بني أمية فقال قدم سديف من مكة الى الحيرة والسفاح بها ووافق قدومه جلوس السفاح للناس وكان بنو أمية يجلسون عنده على الكراسي تكرمة لهم فلما دخل عليه سديف حسر لثامه وأنشده أبياتا من الشعر فالتفت رجل من أولاد سليمان بن عبد الملك وقال لآخر الى جانبه قتلنا والله العبد فلما أنهى الابيات أمرهم السفاح فأخرجوا من بين يديه وقتلوا عن آخرهم وكتب الى عماله بالبلاد يأمرهم بقتل من وجدوه منهم ومن الابيات

أصبح الدين ثابتا في الاساس * بالبهاليل من بني العباس

أنت مهدي هاشم وهداها * كم أناس رجوك بعد اياس

لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس

أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس

خوفهم أظهر التودد فيهم * وبهم منكم كحز المواسي

أقصهم أيها الخليفة واحسم * عنك بالسيف شأفة الارجاس

واذكرن مصرع الحسين وزيد * وقتيلا بجانب المهراس

والقتيل الذي بحران أمسى * ثاويا بين غربة وتناسي

ولقد ساءني وساء سوائي * قربهم من منابر وكراسي

وهذه الابيات من فاخر الشعر ونادره افتتاحا وابتداء وتحريضا وتأليبا ولو وصفتها من الاوصاف بما شاء الله وشاء الاسهاب والاطناب لما بلغت مقدار ما لها من الحسن (ومن لطيف الابتدا آت)

كان لها في الارض نسيانقصه * على أمها وان تحدثك تبات أي تقطع انف الرجل وجهه و(قتله) أي صرعه * جمعت بالسبع

و(جهجهت) به اذا صحت به وزجرته ترجرحت عن المكان و(تعزعزت) أهنف في المشي و(أهبذ) انتق الشئ و(انتاقه) من النقاوة قال الراجز * مثل القياس انتاقها المنقي * قال الكسائي هو من النيقة شاءني الامر و(شآني) اذا حزنك وراءني و(رآني) مثل رعى و(راع) ابن الاعرابي غرسه و(رغسه) رجل أرغل و(أغرل) جاءت الخيل شوائع و(شواعي) أي متفرقة الامة ناداء و(دأنا) * (استدمى الرجل غريمه) واستدامه اذا رفق به شاكي السلاح و(شائك) ولاث و(لاثت) عمج في السير و(معج) وهار و(هائر) وعاقني عنه عائق و(عاق) وعات و(عائث) وآن و(أين) والصبر و(البصر) الجانب والحرف من كل شئ استماع الشئ و(استمى) اذا تقدم قلقلت الرجل و(لقلقته) ما أطيبه و(أيطبه) أنبضت القوس و(أنضبتها) اذا أنت جذبت وترها ثم أرسلته فصوت

﴿ ما تكلم به العامة من الكلام الاعجمي ﴾

الاصمعي (الزرجون) الخمر وأصله بالفارسية زركون أي لون الذهب قال و(الخندريس) الخمر و(اسفنط) و(اسفند) الخمر قال وأحسبها بالرومية قال و(السجنجل) المرآة بالرومية فيما أحسب و(البرنساء) الخلق وأصله بالنبطية ابن الانسان يقال في المثل ما أدري أي البرنساء هو و(الفشليل) المغرفة وأصله بالفارسية كفجلاز و(الكرد) العنق وأصله بالفارسية كردن وأنشد وكنا اذا القيسي نب عتوده * ضربناه دون الانثيين على الكرد

ماذكره

ماذكره مهيار وهو
أماوهواها عذرة وتنصلا * لقد نقل الواشي اليها فأمحلا
سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قللا

فانه أبرز الاعتذار في هيئة الغزل وأخرجه في معرض النسيب وكان وشى به الى الممدوح فافتتح قصيده تمهذا المعنى فأحسن (ومما جاء على نحو من ذلك) قول بعض المتأخرين من العراقيين

وراءك أقوال الوشاة الفواجر * ودونك أحوال الغرام المخامر
ولولا ولوع منك بالصد ماسعوا * ولولا الهوى لم أنتدب للعاذر

فسلك في هذا القول مسلك مهيار الا أنه زاد عليه زيادة حسنة وهي المعاتبة على الاصغاء الى أقوال الوشاة والاستماع منهم وذلك من أغرب ماقيل في هذا المعنى (ومن الحذاقة في هذا الباب) أن تجعل التحميدات في أوائل الكتب السلطانية مناسبة لمعاني تلك الكتب وانما خصصت الكتب السلطانية دون غيرها لان التحاميد لاتصدر في غيرها فانها تكون قد تضمنت أمور الائقة بالتحميد كفتح معقل أو هزيمة جيش أو ماجرى هذا المجرى (ووجدت أبا اسحق الصابي) على تقدمه في فن الكتابة قد أخل بهذا الركن الذي هو من أوكد أركان الكتابة فاذا أتى بتحميدة في كتاب من هذه الكتب لاتكون مناسبة لمعنى ذلك الكتاب وانما تكون في واد والكتاب في واد الا ماقل من كتبه (فمما خالف فيه مطلع معناه) انه كتب كتابا يتضمن فتح بغداد وهزيمة الاتراك عنها وكان ذلك قضاء عليهما فابتدأ بالتحميد فقال الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين الوحيد الفريد العلي المجيد الذي لايوصف الا بسلب الصفات ولا ينعت الا برفع النعوت الازلي بلا ابتداء الابدي بلا انتهاء القديم لامنذ أمد محدود الدائم لا الى أجل معدود الفاعل لامن مادة امتدها ولا بآلة استعملها الذي لاتدركه الاعين بلحاظها ولاتحده الالسن بألفاظها ولاتخلقه العصور بمرورها ولاتهرمه الدهور بكرورها ولا تضارعه الاجسام بأقطارها ولاتجانسه الصور بأعراضها ولاتجاريه أقدام النظر أو الاشكال ولاتزاحمه مناكب القرناء والامثال بل هو الصمد الذي لاكفؤ له والفرد الذي لاتوأم معه والحي الذي لاتخترمه المنون والقيوم الذي لاتشغله الشؤون والقدير الذي لاتؤوده المعضلات والخبير الذي لاتعييه المشكلات وهذه التحميدة لاتناسب الكتاب الذي افتتح بها ولكنها تصلح أن توضع في صدر مصنف من مصنفات أصول الدين ككتاب الشامل للجويني أو كتاب الاقتصاد أو ماجرى مجراهما واما أن توضع في صدر كتاب فتح فلا وهو وان أساء في هذا الموضع فقد أحسن في مواضع أخر وذلك أنه كتب كتابا عن الخليفة الطائع رحمه الله تعالى الى الاطراف عند عوده الى كرسي مملكته وزوال مانزل به وبأبيه المطيع رحمه الله من قادحة الاتراك فقال الحمد لله ناظم الشمل بعد شتاته وواصل الحبل بعد بتاته وجابر الوهن اذا ألم وكاشف الخطب اذا أظلم والقاضي للمسلمين بما يضم نشرهم ويشد أزرهم ويصلح ذات بينهم ويحفظ الالفة عليهم وان شابت ذلك في الاحيان شوائب من الحدثان فلن تتجاوز بهم الحد الذي يوقظ غافلهم وينبه ذاهلهم ثم انهم عائدون الى فضل ما أولاهم الله وعوّدهم ووثقهم ووعدهم من ايمان سربهم واعذاب شربهم واعزاز جانبهم واذلال مجانبهم واظهار دينهم على الدين كله ولو كره المشركون وهذه تحميدة مناسبة لموضوع الكتاب وان كانت المعاني فيها مكررة كالذي أنكرته عليه وعلى غيره من الكتاب وقدمت القول فيه في باب السجع فليؤخذ من هنالك (ومن المبادي التي قد أخلقت وصارت مزدراة) أن يقال في أوائل التقليدات ان أحق الخدم بأن ترعى خدمة كذا وكذا وان أحق من قلد

(والاثيان) الاذنان أبو عبيدة قال ربما وافق الاعجمي العربي قالوا غزل (مغت) ٢٦٣ أي صلب و(الزورة) القوة و(الدشت) الصحراء وأنشد للاعشى
قد علمت فارس وحمير والـ * ـاعراب بالدشت أيكم نزلا
يريد الصحراء وهي دشت بالفارسية ولم يكن أبو عبيدة يذهب الى ان في القرآن شيأ من غير لغة العرب وكان يقول هو اتفاق يقع بين اللغتين وكان غيره يزعم ان القسطاس الميزان بلغة الروم والغساق البارد المنتن بلسان الترك والمشكاة الكوة بلسان الحبشة والسجيل بالفارسية سنك وكل أي حجارة وطين والطور الجبل بالسريانية واليم البحر بالسريانية وروى عن ابن عباس انه قال التنور بكل لسان عربي وعجمي (وعن علي) عليه السلام انه قال التنور وجه الارض و(البرق) الحمل أصله بالفارسية بره و(السرق) الحرير أصله بالفارسية سره و(اليلق) القباء أصله بالفارسية يله و(المهرق) الصحيفة وهي بالفارسية مهره و(الدمج) البلاس وهو بالفارسية ولاس قال لبيد
فخمة ذفراء ترتى بالعرا * قردمانيا وتركا كالبصل
عن أبي عبيدة هو قباء محشو وعن غيره انه قال هي دروع وأصله بالفارسية كردمانه معناه عمل وبقي (البوريا) بالفارسية وهي بالعربية بارى وبورى قال العجاج * كالخص اذ جلله البارى * و(السبيج) قميص وأصله بالفارسية شبي وهو القميص قال العجاج
كما رأيت في الملاء البردجا * كالحبشي التف أو تسبجا
قال (البردج) السبي وهو بالفارسية برده وقوله * عكف النبيط يلعبون الفنزجا * وهو بالفارسية بنجكان وقوله * يوم خراج يخرج السمرجا *

الاجمل من اجتمع فيه كذا وكذا فان هذا ليس من المبادى المستحسنة ومن استعمله أولا فقد ضعفت فكرته عن اقتراح مايحسن استعماله من المبادى والذى تبعه فى ذلك امامقلد ليس عنده قوة على أن يختار لنفسه واما جاهل لا يفرق بين الحسن والقبيح والجيد والردىء وأهل زماننا هذا من الكتاب قد قصروا مبادى تقاليدهم على هذه الفاتحة دون غيرها وان أتوا بتحميدة من التحاميد كانت مباينة لمعنى التقليد الذى وضعت فى صدره وكذلك قد كان الكتاب يستعملون فى التقليدات مبدأ واحدا لا يتجاوزونه الى غيره وهو هذا ماعهد فلان الى فلان والتحميد خير ما افتتح به التقليدات وكتب الفتوح وما يجرى مجراهما وقد أنكرت ذلك على مستعمله فى مفتتح تقليد أنشأته بولاية والى وقلت كانت التقاليد تفتتح بكلام ليس بذى شان ولا يوضع فى ميزان ولا يجتنى من أفنان وغاية ماقال هذا ماعهد فلان الى فلان وتلك وتحة لم تكن جديدة فتخلق بتطاول الايام ولا حسنة النظم فيضاهى بهاما من ذوات النظام وهذا التقليد مفتتح بحمد الله الذى تكفل لحامده بالزيادة وبدأ النعمة ثم قرنهامن فضله بالاعادة وهو الذى بلغ بنا أسمى ما ترب الدنيا منتهى الارادة وسلم الينا مقاده فذلل لنا بها كل مقادة ووسد الامر منا الى أهله فاستوطأت الرعايا منه على وسادة ونرجو أن يجمع لنا بين سعادة الاولى والاخرى حتى تتصل هذه السعادة بتلك السعادة ثم نصلى على نبيه محمد الذى ميزه الله على الانبياء بشرف السيادة وجعل انشقاق القمر له من آيات النبوة وانشقاق الايوان من آيات الولادة وعلى آله وأصحابه الذين شادوا الدين من بعده فأحسنوا فى الاشادة وبسطت عليهم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلهم فلم يحولوا عن خلق الزهادة أمابعد كذا وكذا ثم أمضيت التقليد الى آخره (ومن الحذاقة فى هذا الباب) أن يجعل الدعاء فى أول الكتاب من السلطانيات والاخوانيات وغيرهما مضمنا من المعنى ما بنى عليه ذلك الكتاب وهذا شىء انفردت بابتداعه وتراه كثيرا فيما أنشأته من المكاتبات فانى توخيته فيها وقصدته (فمن ذلك) ما كتبته فى الهناء بفتح وهو هذا الكتاب مشافه بخدمة الهناء للمجلس السامى الفلانى جدد الله له فى كل يوم فتحا وبدل عرش كل ذى سلطان لديه صرحا وجعل كل موقف من مواقف جوده وبأسه يوم فطر ويوم أضحى وكتب له على لسان الاسلام ولسان الايام ثناء خالدا ومدحا وأسكنه بعد العمر الطويل دار الابد لا يظمأ فيها ولا يضحى ثم أخذت بعد ذلك فى انشاء الكتاب المتضمن ما يقتضيه معانى ذلك الفتح (ومن ذلك) ماذكرته فى الهناء بمولود وهو جدد الله مسرات المجلس السامى الفلانى ووصل صبوح هباته بغبوقه وأمتعه بسلالة المثمر بطروقه وأبقاه حتى يستضىء بنوره ويرى من فوقه وسر به أبكار المعانى حتى تخلق أعطافها بخلوقه وجعله كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ثم أخذت فى اتمام الكتاب بالهناء بالمولود على حسب ما اقتضاه ذلك المعنى فتأمل ما أوردته ههنا من هذين المثالين وانسج على منوالهما فيما تقصده من المعانى التى تبنى عليها كتبك فان ذلك من دقائق هذه الصناعة (وأما فواتح الكتب التى أنشأتها) فمنها ما اخترعته اختراعا ولم أسبق اليه وهى عدة كثيرة وقد أوردت ههنا بعضها (ومن ذلك) مفتتح كتاب الى ديوان الخلافة وهو نشأت سحابة من سماء الديوان العزيز النبوى جعل الله الخلود لدولته أوطانا والحدود لها أركانا ونصب أيامها فى أيام الدهر أحيانا وصورها فى وجهه عينا وفى عينه انسانا ومدّ ظلها على الناس عدلا واحسانا وجمع الامم على دين طاعتها وان تفرقوا أديانا وآتاها من معجزات سلطانه مالم ينزل به لغيرها سلطانا فارتاح الخادم لالتقائها وبسط يده لاستسقائها وقال رحمة مرسلة لا تختشى

قال أصله بالفارسية سه مره أى استخراج الخراج فى ثلاث مرات وقوله * مباحة تبع مشيار هوجاء * قال الرهوج السهل وهو بالفارسية رهوار اى هملاج وقوله

* وكان ما اقتض الجفاف بهرجا *

(البهرج) الباطل وهو بالفارسية نبهره (البالغاء) ممدود الاكارع وهو بالفارسية بايها و (الالوة) العود وأصلها بالفارسية وقال الشاعر وهو أوس بن حجر

وبارقت وهى لم تعرب وباع لها

من الفصافص بالنمى سفسير

و (السفسير) بالفارسية السمسار (المقمجر) و (القمنجر) القواس وهو بالفارسية كمانكر قال الاعشى

وبيداء تحسب آرامها

رجال اياد بأجيادها

قال أبو عبيدة أراد الجوز بابالنبطية أو الفارسية وهو الكساء والاصمعى يرويه بأجلادها أى شخوصها وخلقها و (القيروان) وأصله بالفارسية كاروان فعرب وقال امرؤ القيس

وغارة ذات قيروان

كأن أسرابها الرعال

والقيروان معظم الشئ والكاروان بالفارسية جماعة الناس والقافلة (والبالة) الجراب بالة قال الاعشى

ودكر الجار

أظل مظلته بالسراج

والليل غامر جدادها

(الجداد) الخيوط المعقدة وهى بالفارسية كداد قال اوس

تضمنها وهم ركوب كانه

اذا ضم جنبيه المخارم رزدق

(رزدق) سطر ممدود وهو بالفارسية رسته وقال رؤبة

* ضوابعا ترمى بهن الرزدقا *

و (الديابوذ) ثوب ينسج على نيرين وهو بالفارسية دوابوذ قال الشماخ

وذكرطبية

كأنها وابن أيام تربيه * من قرة العين مجتابا ديابوذ (واليرندج) جلد أسود وهو بالفارسية رنده (الكرد) البازى رعودها

وهو الرجل الحاذق بالفارسية كره (مرعزى) وهو بالنبطية مرنزى و (الصيق) الريح وأصله نبطى زيقا و (الطست) والتور

رعودها ولا تخلف وعودها ومن شأنها روض الصنائع التي يبقى آثارها لا الخمائل التي تذوي أزهارها وقد يعبر عن الكتاب ونائله بالسحاب ووابله فان صدر عن يد كبد الديوان العزيز فقد وقع التشبيه موقع الصواب وصدق حينئذ قول القائل ان البحر عنه من السحاب لكن فرق بين ما يجود بعطائه وما يجود بنعمائه وبين ما يسم الارض الماحلة وبين ما يسمى الاقدار الخاملة ومازالت كتب الديوان العزيز تضرب لها الامثال وتصرف نحوها الآمال ويرى الحسد فيها حسنا وان عد في غيرها من سيء الاعمال وهذا فصل من أول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وأرسلته اليه من الموصل الى أرض الشمال من بلاد الروم وهو وطلع كوكب من أفق المجلس السامي لا خلت سيادته من عدو وحاسد ولا شيبت بتوأم يخرجها عن حكم الواحد ولا عدمت صحبة الجدود المتيقظة في الزمن الراقد ولا أوحشت الدنيا من ذكره الخالد الذي هو عمر خالد ولا زال مرفوعا الى المحل الذي يعلم به أن الدهر للناس ناقد والكواكب تختلف مطالعها في الشمال والجنوب فمنها ما يطلع دائما في أحدهما وهو في الآخر دائم الغروب وكتاب المجلس كوكب لم ير بهذه الارض مطلعه وان علم من السماء أين موضعه ولما ظهر الآن للخادم سجد له حامدا وخر له ساجدا وقال قد عبدت الكواكب من قبلي فلا عجب أن أكون لهذا الكوكب عابدا وها أنا قد أصبحت بالعكوف على عبادته مغرى وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب لا ابن أبي كبشة الشعرى وهذا مطلع غريب والسياقة التالية لطالعه أغرب ومن أغرب ما فيها قولي وها أنا قد أصبحت بالعكوف على عبادته مغرى وقال الناس هذا ابن كبشة الكتاب لا ابن أبي كبشة الشعرى والمراد بذلك أن ابن كبشة كان رجلا في الجاهلية يعبد الشعرى فخالف بذلك دين قومه ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قالت قريش هذا قد خالف ديننا وسموه ابن أبي كبشة أي انه قد خالفنا كما خالف أبو كبشة قومه في عبادة الشعرى فأخذت أنا هذا المعنى وأودعته كتابي هذا فجاء كما تراه مبتدعا غريبا (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان بالشام وهو طلعت من الغرب شمس فقيل قد آذنت أشراط الساعة بالاقتراب ولم يعلم أن تلك الانوار انما هي أنوار الكتاب لم تألف الابصار من قبله أن تطلع الشمس من الغرب وليس ذلك الا كتاب المجلس لا سلبه الله مرتبة هذا الوصف الكريم وآتاه من الفضل ما يقال معه وفوق كل ذي علم عليم وأحيا النفوس من كلمه بروح كلمه كما شفى غليلها من أقلامه بسقيا الكليم ولما ورد عن الخادم صار ليله نهارا وأصبح الناس في الحديث به أطوارا والمنصف منهم يقول قد جرت الشمس الى مستقرها والشمس لا تعدو قرارا وهذا الكتاب في الحسن والغرابة كالذي قبله (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وهو تأوب زور من جانب المجلس السامي أدنى الله داره وجعل كلماته التامة جاره وأشهد أفعال التقوى ليله وأفعال المكارم نهاره ووهبه من أعوام العمر طواله ومن أعوام العيش قصاره ولا أقدر السابقين الى المعالي أن يجروا معه ولا أن يشقوا غباره وليس ذلك الزور الا سطورا في قرطاس ولا فرق بين الكتاب وبين مرسله في ملاطفة الايناس والله لا يصغر عني هذا الزائر وتقريني برؤيته حتى لا أزال به قرير الناظر ومع هذا فاني عاتب لتأخره وههنا مظنة العتاب ومن تأخر عنه كتاب صديقه فلا بد أن يخطر له خاطر الارتياب والظنين بالمودة لا يرى الا ظنينا وقد قيل نها وديعة وقليلا ما تجد على الودائع أمينا وهذا فصل من أول الكتاب (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وهو سنحت روضة من جانب المجلس

والقمقم بالرومية و (البستان) فارسي معرب و (الطابق) و (الطاجن) فارسي (الصرد) و (الجرم) البرد والحر و (المرج) و (العسكر) و (الديبان) و (الخندق) و (الموزج) و (الموق) هذه كلها فارسية أعربت و (الغرانق) انما هو برواته (السدير) فارسي معرب وأصله سادلي أي قبة في ثلاث قباب متداخلة وهو الذي يسميه الناس سه دلي فأعرب والعرب تقول (قربز) للجربز قال ودرهم (قسي) انما هو تعريب قاش ويقال هو فعيل من القسوة أي فضة رديئة صلبة ليست بلينة وقول الاعشى في النعمان

* حتى مات وهو محرزق *

قالوا هو بالنبطية هرزوقا محبوس أو نحو ذلك وقول رؤبة في جسم ثخت المنكبين (قوش) قال قوش صغير وهو بالفارسية كوشك فعربه وقول العبدي كدكان الدرابنة المطين قال و (الدرابنة) البوابون واحدهم دربان بالفارسية وقول أبي دواد

فسروا عنه الجلال كما سل لبيع اللطيمة الدخدار

(الدخدار) الثوب وهو بالفارسية تخت دار أي يمسكه التخت وقال الكميت يصف بقرة

* تجلو البوارق عنها صفح دخدار *

(الخورنق) كان يسمى الخورنكاه أي موضع الشرب فأعرب

(دخول بعض الصفات على بعض)

(تدخل من على عند) تقول جئت (من عندك) و (تدخل على على) أنشد الكسائي

باتت تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

(وتدخل على عن) قال ذو الرمة

الساى جعل الله المعالى له رداء ونهايات المساعى له ابتداء وفداه من يقصر عن درجته حتى تكون الاكارم له فداء وهدى المحامد لادعاله وأهدى البقاء لايامه حتى يجتمع له الامران هدى واهداء وأتاه من السيادة ما يجعل أعداءه أصادق ومن السعادة ما يجعل أصدقاءه أعداء فاستنشق انداء رباها وتق بالتحية محياها واستمتع بازهارها التى أنبتها سقيا الاقلام لاسقى الغمام وقال هذا ربيع الارواح لا ربيع الاجسام ولو رام الاحاطة بوصفها الكاتب الاقوال المطولة فيها مختصرة ولكنها اكتفى بأن يرفعها على رأسه حتى يتمثل أن الجنة فى شجرة ومن أوصافها أنها جاءت رائدة ومن شأن الروض أن يرتاد وحلت محاسنها التى هى فى غيرها من حظ البصر وفيها من حظ السمع والبصر والفؤاد ولما سرح فيها ناظره وجد شوقه حمامة تتردد فى أكنافها وتردد الشجى لبعد أليفها اذا رددته الحائم لقرب الافها وهذا قول له عند اخوان الصفاء علامة واذا تمثل كتاب الحبيب روضة فهل يتمثل شوق محبه الا حمامة وأى فرق بين هذه وبين أخواتها من ذوات الاطواق لولا أنها تعلى شجوها على صفحات القلوب وتلك تعليه على عذبات الاوراق وهذا فصل من الكتاب وهو غريب عجيب وفيه معنيان مبتدعان وأعجبهما وأغربهما قولى حتى يتمثل أن الجنة فى شجرة وهذا مستخرج من الحديث النبوى (ومن جملة الكتب المشار اليها) مفتتح كتاب كتبته الى بعض الاخوان وهو تضوعت نفحة من تلقاء المجلس السامى رعى الله عهده وسقاه وصان وده ووقاه ويسر لى لقاءه المصابة قاه فعطرت الطريق التى سايرتها والريح التى جاورتها وأنت فافرشتها خدى وضممت عليها ودى وجعلتها ردعا لجيبى ولطيمة لردنى وصقالا لمقودى وعلمت أنها ليست بنفحة طيب ولكنها كتاب حبيب فان مناشق الارواح غير مناشق الاجسام ولا يستوى عرف الطيب وعرف الاقلام ثم مددت يدى الى الكتاب بعد أن صافحت يد موصله كما صافحت عبقة منذله وقت أهلا بمن أدنى من الحبيب مزارا وأهدى لعينى قرة ولقلبى قرارا وهذا فى الغرابة كاخواته التى تقدمت ولم أستقص ما اخترعته من هذا الباب فى مطالع الكتب (وأما ما أتيت فيه بالحسن) من المعانى ولكنه غير مخترع فمن ذلك مطلع كتاب كتبته عن الملك نور الدين ارسلان بن مسعود صاحب الموصل الى الملك الافضل على بن يوسف يتضمن تعزية وتهنئة أما التعزية فبوفاة أخيه الملك العزيز عثمان صاحب مصر وأما التهنئة فبوراثة الملك من بعده وهو لا يعلم القلم أينطق بلسان التعزية أم بلسان التهنية لكنه جمعهما جميعا فأتى بهما على حكم التثنية وفى مثل هذا الخطب يظل القلم حائرا وقد وقف موقف السخط والرضا فسخط أولا ثم رضى آخرا وهذا البيت الناصرى يتداول درجات العلى فما تمضى الاوائله ترجع وشموسه وأقماره تتناقل مطالع السعود فما يغيب منها غائب الا وآخر يطلع والناس ان فجعوا بماجد ردفه من بعده ماجد وان قيل ان الماضى كان واحدا قيل بل الآتى هو الواحد وهذا فصل من أول الكتاب ثم كتبت فى هذا المعنى كتابين آخرين وفى الذى أوردته من هذا الفصل مقنع (ومن هذا الاسلوب) ما كتبته الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وكانت الكتب قد انقطعت بينى وبينه زمانا وهو القاء كتب الاحباب كالقاء الاحباب وقد تأتى بعد يأس منها فيشتبه لها دمع السرور بدمع الاكتئاب ومن أحسنها كتاب المجلس السامى الفلانى جعل الله الليالى له صحبا والمعالى له عقبا ورفع مجده فوق كل ماجد حتى تكون حسناتهم لدى حسناته ذنبا ولا زال اسمه فى الافواه عذبا وذكره فى الالسنة رطبا ووده لكل انسان انسانا ولكل قلب قلبا ثم انتهيت الى آخر الكتاب على هذا النسق وانما ذكرت ههنا مبتدأه لانه الغرض المقصود فى هذا الموضع (ومن

* اذا انفصت من عن يمين المشارق * وقال القطامى * من عن يمين الحبيا نظرة قبل * وتقول كنت مع أصحابى فى أوقات من معهم وكان معها فانتزعته من معها وقال الكسائى سمعت بعض العرب يقول أخذته من كمكان ذلك قال سيبويه العرب تقول جئت من عليه كقولك من فوقه وجئت من معه كقولك من عنده وقال مزاحم

غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها
تصل وعن قيض ببيداء مجهل

قال الكسائى من تدخل على جميع حروف الصفات الا على الباء واللام وفى قال الفراء ولا تدخل أيضا عليها نفسها قال وانما امتنعت العرب من ادخالها على الباء واللام لانهما قلتا فلم يتوهم وانهما الاسماء لانه ليس من أسماء العرب اسم على حرف وأدخلت على الكاف لانها فى معنى مثل (والباء تدخل على الكاف) وقال الشاعر

وزعت بكالهراوة أعوجى
اذا ونت الركاب جرى وثابا

وقال امرؤ القيس

ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا
تصوب فيه العين طورا وترتقى

كأنه قال بمثل ابن الماء وأنشد سيبويه

* وصاليات ككما يؤثفين *

فأدخل الكاف على الكاف وأنشد القاسم بن معن

على كالخنيف السحق يدعو به الصدى

(دخول بعض الصفات مكان بعض)

(فى مكان على) تقول لا يدخل الخاتم فى أصبعى أى على أصبعى قال الله عز وجل ولاصلبنكم فى جذوع النخل أى على جذوع النخل وقال الشاعر

وهم صلبوا العبدى فى جذع نخلة
فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وقال عنترة * بطل كأن ثيابه فى سرحة * أى على سرحة من طوله (الى مكان فى) قال النابغة ذلك

ذلك) ما كتبته الى بعض الاخوان جوابا عن كتابه وهو البشرى تعطي لا كتاب كما تعطي لرسله وكل منهما يوفي حق قدره وينزل في منزله وكذلك فعل الخادم بكتاب المجلس السامي الفلاني لازال محبه آيبا وذكره للفرقدين جليسا وسعيه على المكارم حبيسا ومجده جديد الملابس اذا كان المجد لبيسا وههنا ذكرت في هذا الكتاب كما ذكرته من الذي قبله فاني لم أذكر الا مبدأه الذي هو الغرض (ومما ينتظم في هذا السلك) ما كتبته في صدر كتاب يتضمن تعزية وهو لولم يلبس قلمي ثوب الحداد لهجر مداده ونفى عنه سواده وبعد عن قريته وعاد الى طينته وحرم على نفسه أن يمتطي يدا أو يجري الى مدى لكنه أحدّ فندب وبكى فسكب وسطر هذا الكتاب من دموعه وضمنه ما جالت أحناء ضلوعه وانما استعاره للثمس صاحبه الذي أعداه وأبدى اليه من حزنه ما أبداه وهو نائب عنه في تعزية سيدنا أحسن الله صبره ويسر أمره وأرضى عنه دهره ثم أنهيت الكتاب الى آخره (ومن محاسن هذا الباب) أن يفتتح الكتاب بآية من القرآن الكريم أو بخبر من الاخبار النبوية أو ببيت من الشعر ثم يبنى الكتاب عليه (فمن ذلك) ما كتبته في ابتداء كتاب يتضمن البشرى بفتح وهو

ومن طالب الفتح الجليل فانما * مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

وقد أخذنا بقول هذا الشاعر الحكيم وجعلنا السيف وسيلة الى استنتاج الملك العقيم ورأينا الجد لا ينصب الا على النصب والراحة الكبرى لا تنال الا على جسر من التعب وكتابنا هذا وقد استولينا على مملكة فلانة وهي المملكة التي تمنى الا آمال دونها مصرعى وادعى انه ليس غيرها من الممالك كانت أصلا وكان غيرها فرعا وهذا فصل من أول الكتاب (ومن ذلك) ما كتبته في مفتتح تقليد بالحسبة وهو ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون هذا أمر يشتمل على معنى الخصوص دون العموم ولا يختص به الا ذوو الاوامر المطاعة وذوو العلوم وقد جمع الله لنا هذين الوصفين كليهما وجعلنا من المستخلفين عليهما فبدأ أولا بحمده لذي هو سبب المزيد ثم لنأخذ في القيام بأمره الذي هو على كل نفس منه رقيب عتيد ولا ريب أن اصلاح العباد يسري الى الارض حتى تزكو بطونها وتتم عيونها ويشترك في بركات السماء ساكنها ومسكونها والامر بذلك جلل ان لم تتوزعه الا كف ثقل على الرقاب واذا انتشرت أطراف البلاد فانها تفتقر الى مساعدة من مستنيب ومستناب وقد اخترنا المدينة فلانة رجلا لم نأل في اختياره جهدا وقدمنا فيه خيرة الله التي اذا صدقت نيتها صادفت رشدا وهو أنت أيها الشيخ فلان فابسط يدك بقوة الى أخذ هذا الكتاب وكن حسنة من حسناتنا التي يرجح بها ميزان الثواب وحقق نظرنا فيك فانه من نور الله الذي ليس دونه حجاب فتأمل كيف فعلت في هذه الآية التي بنيت التقليد عليها وهو من محاسن المبادي والافتتاحات (وكذلك فعلت في موضع آخر) وهو مفتتح كتاب كتبته الى شخص كلفته السفارة الى مخدومه في حاجة عرضت وهو ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا هذا القول تتبع آثاره وتحمل عليه أنظاره وأولى الناس بسيدنا من شاركه في لحمة أدبه وان لم يشاركه في لحمة نسبه فان المناقب أقارب والمآثر أواصر

وليس يعرف لي فضلي ولا أدبي * الا امرؤ كان ذا فضل وذا أدب

ونتيجة هذه المقدمة بعث خلقه الكريم على عوارف اهتمامه واستهداء صنيعة جاهه التي هي أكرم من صنيعة ماله ولا تجارة أربح من هذه التجارة والساعي فيها شريك في الكسب بريء من الخسارة (وأما الاخبار النبوية) فسلكت بها هذا المسلك بأن يذكر الخبر في صدر الكتاب ثم

فلا تتركني بالوعيد كأنني * الى الناس مطلي به القار أجرب يريد في الناس وقال طرفة وان يلتق الحي الجميع تلاقني * الى ذروة البيت الكريم المصمد

أي في ذروة البيت الكريم الذي يصمد اليه ويقصد ويقال جلست الى القوم أي فيهم (على مكان عن) يقال رضيت عليك بمعنى عنك وقال القحيف العقيلي

اذا رضيت على بنو قشير
لعمر الله أعجبني رضاها

ورميت على القوس بمعنى عنها قال

* أرمي عليها وهي فرع أجمع *

وقال ذو الاصبع

لن تنفع لا جفرة على ولم
أوذ صديقا ولم أنل طبعا

أي عني وقال آخر

اذا ما امرؤ ولى على بوده
وأدبر لم يصدر بادباره ودي

أي ولى عني بوده (من مكان عن) يقال حدثني فلان من فلان بمعنى عنه ولهيت من فلان بمعنى عنه (الباء مكان عن) انما تأتي الباء بمعنى عن بعد السؤال قال الله عز وجل فاسأل به خبيرا أي عنه ويقال أتيناه لانسأل به أي عنه وقال علقمة بن عبدة

فان تسألوني بالنساء فانني
بصير بأدواء النساء طبيب

وقال ابن أحمر

تسائل بابن أحمر من رآه
أعارت عينه أم لم تعارا

وأنشد أبو عمرو بن العلاء

دع المغمر لا تسأل بمصرعه
واسأل بمصقلة البكري ما فعلا

وقال آخر

ولا يسأل الضيف الغريب اذا شتا
بما زخرت قدري له حين ودعا

(عن مكان الباء) يقال رميت عن القوس بمعنى بالقوس قال امرؤ القيس * تصد وتبدي عن أسيل * أي تصد بأسيل وقال أبو عبيدة في قول الله عز وجل وما ينطق عن الهوى (في مكان الى) قال الله

بني عليه ولئذ كرمنها ولو مثالا واحدا وهو توقيع كتبته لولد رجل من أصحاب السلطان توفى والده ونقل ما كان باسمه اليه فقلت قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وترك مالا فلورثته ومن ترك دينا أوكلا أوضياعا فالى وعلى وهذا خلق من الاخلاق النبوية لامزيد على حسنه وأساليب المكارم بأسرها موضوعة في ضمنه ونحن نرجو أن نمشي على أثره فنتنزل منزلة رديفه أوان نتشبه به فنبلغ مبلغ مدّه أو نصيفه وقد أرانا الله ذلك في قوم صحبونا فاسعفناهم بمساعي الانعام وأحمدناهم صحبة الليالي والايام وتكفلنا أيتامهم من بعدهم حتى ودّوا أن يكونوا اهم الايتام وهذا فلان بن فلان رحمه الله ممن كان له في خدمة الدولة قدم صدق وأولية سبق وحفظ كتاب المحافظة عليها فقيل له في تلاوته اقرأ وارق ثم أنهيت التوقيع الى آخره فتأمل مفتتح هذا التوقيع فانه من نص الخبر من غير تغيير وقد ضمنته بعض خبر آخر من الاخبار النبوية وهو قوله اقرأ وارق قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرأها (وقد مثلت لك) ههنا أمثالا يقتدى بها فاحذ حذوها وامض على نهجها والله الموفق للصواب

(النوع الثالث والعشرون في التخلص والاقتضاب) وهذا النوع أيضا كالذي قبله في أنه أحد الاركان الخمسة التي تقدمت الاشارة اليها في الفصل التاسع من مقدمة الكتاب وينبغي لك أيها المتوشح لهذه الفضيلة أن تصرف اليه جل همتك فانه مهم عظيم من مهمات البلاغة (أما التخلص) وهو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني فبينما هو فيه اذ أخذ في معنى آخر غيره وجعل الاول سببا اليه فيكون بعضه آخذا برقاب بعض من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ افراغا وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام يضيق عليه ويكون متبعا للوزن والقافية فلا تواتيه الالفاظ على حسب ارادته وأما الناثر فانه مطلق العنان يمضي حيث شاء فلذلك يشق التخلص على الشاعر أكثر مما يشق على الناثر (وأما الاقتضاب) فانه ضد التخلص وذلك أن يقطع الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاما آخر غيره من مديح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة بالاول وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين وأما المحدثون فانهم تصرفوا في التخلص فأبدعوا وأظهروا منه كل غريبة (فمن ذلك) قول أبي تمام

يقول في قومس صحبي وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

وهذان البيتان من بديع ما يأتي في هذا الباب ونادره وكذلك قوله أيضا في وصف أيام الربيع ثم خروج من ذكر الربيع وما وصفه به من الاوصاف فقال

خلق أطل من الربيع كأنه * خلق الامام وهديه المتيسر
في الارض من عدل الامام وجوده * ومن النبات الغض سرج تزهر
تنسى الرياض وما يروض جوده * أبدا على مر الزمان ويذكر

وهذا من ألطف التخلصات وأحسنها وكذلك قوله في قصيدته الفائية التي أولها

* أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا * فقال فيها

غيد أجادولي الحسن سنتها * فصاغها بيديه روضة أنفا
يفضي المذول على تأنيبه كلفا * بعذر من كان مشغوفا بها كلفا
ودع فؤادك توديع الفراق فما * أراه من سفر التوديع منصرفا

عزوجل فردوا أيديهم في أفواههم أي الى أفواههم (في مكان الباء) قال زيد الخيل ويركب يوم الروع فيها فوارس *

بصيرون في طعن الاباهر والكلى

وقال آخر

وخضخضن فينا البحر حتى قطعنه
على كل حال من غمار ومن وحل

أي خضخضن بنا وقال آخر

* تلوذ في أم لنا ما تغتصب *

أي بأم وقال الاعشى

* واذا تنوشد في المهارق أنشدا *

أي اذا سئل بكتب الانبياء أجاب (على مكان اللام) قال الراعي

رعته أشهرا وخلا عليها
فطار النيّ فيها واستغارا

أي خلا لها (اللام مكان على) يقال سقط لفيه بمعنى على فيه وقال آخر

* فخر صريعا لليدين وللفم *

أي على اليدين والفم

وقال آخر

كأن مخواها على ثفناتها
معرس خمس وقعت للجناجن

أي وقعت على الجناجن (الى مكان من) قال ابن أحمر

* يسقى فلا يروى الي ابن أحمرا *

أي مني (الى مكان عند) يقال هو أشهى الي من كذا أي عندي قال أبو كبير

أم لا سبيل الى الشباب وذكره
أشهى الي من الرحيق السلسل

أي عندي قال الراعي

ثقال اذا راد النساء خريدة
صناع فقد سادت الي الغوانيا

وقال الجعدي

وكان اليها كالذي اصطاد بكرها
شقاقا وبغضا أو أطم واهجرا

أي عندها وقال حميد بن ثور

* وذكرك سبات الي عجيب *

أي عندي (عن مكان على) قال ذو الاصبع

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب * عني ولا أنت دياني فتخزوني

أي لم تفضل في الحسب علي وقال قيس بن الخطيم

تجاهد

تجاهد لشوق طورا ثم تجذبه * جهاده للقوافى فى أبى دلها

وهذا أحسن من الذى قبله وأدخل فى باب الصنعة وكذلك جاء قوله

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت * منها طلول باللوى ورسوم

لا والذى هو عالم أن النوى * أجل وأن أبا الحسين كريم

ما حلت عن سنن الوداد ولا غدت * نفسى على الف سواك تحوم

وهذا خروج من غزل الى مديح أغزل منه (ومن البديع فى هذا الباب) قول أبى نواس من جملة قصيدته المشهورة التى أولها * أجارة بيتينا أبوك غيور * فقال عند الخروج الى ذكر الممدوح

تقول التى من بيتها خف مركبى * عزيز علينا أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى فى جريهن عبير

ذرينى أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

ومما جاء من التخلصات الحسنة قول أبى الطيب المتنبى فى قصيدته الدالية التى أولها

* عواذل ذات الخال فى حواسد *

وأورد نفسى والمهند فى يدى * موارد لا يصدرن من لا يجالد

ولكن اذا لم يحمل القلب كفه * فكيف اذا لم يحمل الكف ساعد

خليلى انى لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد

ولا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

وهذا هو الكلام الآخذ بعضه برقاب بعض ألا ترى الى الخروج الى مدح الممدوح فى هذه الابيات كأنه أفرغ فى قالب واحد ثم ان أبا الطيب جمع بين مدح نفسه ومدح سيف الدولة فى بيت واحد وهو من بدائعه المشهورة (وكذلك) قوله أيضا وهو من أحسن ما أتى به من التخلصات وهو فى قصيدته التائية التى أولها * سرب محاسنه حرمت ذواتها * فقال فى أثنائها

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كأننى لم آتها

ومقانب بمقانب غادرتها * أقوات وحش كن من أقواتها

أقبلتها غرر الجياد كأنما * أيدى بنى عمران فى جبهاتها

الثابتين فروسة كجلودها * فى ظهرها والطعن فى لباتها

فكأنها نتجت قياما تحتهم * وكأنهم ولدوا على صهواتها

تلك النفوس الغالبات على العلا * والمجد يغلبها على شهواتها

سقيت منابتها التى سقت الورى * بيدى أبى أيوب خير نباتها

فانظر الى هذين التخلصين البديعين فالاول خرج به الى مدح قوم الممدوح والثانى خرج به الى نفس الممدوح وكلاهما قد أغرب فيه كل الاغراب وعلى هذا جاء قوله

اذا صلت لم أترك مصالا لفاتك * وان قلت لم أترك مقالا لعالم

والا فخانتنى القوافى وعاقنى * عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

والشعراء متفاوتون فى هذا الباب وقد يقصر عنه الشاعر المفلق المشهور بالاجادة فى ايراد الالفاظ واختيار المعانى كالبحترى وان مكانه من الشعر لا يجهل وشعره هو السهل الممتنع الذى تراه كالشمس قريبا ضوؤها بعيدا مكانها وكالقناة لينا مسها خشنا سنانها وهو على الحقيقة قينة الشعراء فى الاطراب وعنقاؤهم فى الاغراب ومع هذا فانه لم يوفق فى التخلص من الغزل الى

* تدحرج عن ذى سامه المتقارب * أى على ذى سامه (عن مكان بعد) منه قوله ٢٦٩ * اقفت حرب وائل عن حيال * أى بعد حيال ومنه * تؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل * ومنه * ومنهل وردته عن منهل * أى بعد منهل ويقال أنا فاعل ذلك عن قليل أى بعد قليل قال الجعدى

واسأل بهم أسدا اذا جعلت

حرب العدو تشول عن عقم

أى بعد عقم (على بمعنى فى) قال الله عز وجل واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان أى فى ملك سليمان ويقال كان كذا على عهد فلان وفى عهده (عن مكان من أجل) قال لبيد

* لورد تقاص الغطان عنه *

أى من أجله وقول النمر بن تولب

ولقد شهدت اذا القداح توحدت

وشهدت عند الليل موقد نارها

عن ذات أوكية أساود ربها

وكأن لون الملح فوق شفارها

أى من أجل (الباء بمعنى من) قال الشاعر

شربن بماء البحر ثم ترفعت

متى لجج خضر لهن نئيج

أى شربن من ماء البحر ومثله قول عنترة

شربت بماء الدحرضين فأصبحت

زوراء تنفر عن حياض الديلم

(الى بمعنى فى) قال الاعشى

* ما بكاء الكبير بالاطلال *

أى فى الاطلال (الى بمعنى مع) يقال ان فلانا ظريف عاقل الى حسب ثاقب أى مع حسب وقال ابن مفرغ

شدخت غرة السوابق فيهم

فى وجوه الى اللمام الجعاد

أى مع اللمام وقال ذو الرمة

* بها كل خوار الى كل صعلة *

أى مع كل صعلة وقال أبو عبيدة فى قوله جل ثناؤه ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أى مع أموالكم وقوله عز وجل من أنصارى الى الله أى مع الله وقولهم الذود الى الذود ابل أى مع الذود (الى بمعنى اللام)

يقال هديته له واليه قال الله عز وجل الحمد لله ٢٧٠ الذي هدانا لهذا وفي موضع آخر وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى
وأوحى ربك الى النحل وفي موضع
آخر بان ربك أوحى لها (على بمعنى
الباء) يقال اركب على اسم الله أي
باسم الله ويقال عنف عليه وبه
وخرق عليه وبه وقول الشاعر
* شدوا المطي على دليل دائب *
أي بدليل وقول أبي ذؤيب
وكأنهن ربابة وكأنه
يسر يفيض على القداح ويصدع
أي بالقداح (على بمعنى مع) قال
لبيد
كأن مصعصات في ذراه
وأنواحا عليهن المآلي
أي كأن مصعصات على ذرى
الصاب وأنواحا معهن المآلي
وقال الشماخ
وبردان من خال وسبعون درهما
على ذاك مقروظ من القد ماعر
أي مع ذلك (على بمعنى من) قال
أبو عبيدة في قول الله عز وجل اذا
اكتالوا على الناس يستوفون أي
من الناس وقال صخر الغي
متى ما تنكروها تعرفوها
على أقطارها علق نفيث
أي من أقطارها (في بمعنى من)
قال امرؤ القيس
وهل ينعمن من كان أقرب عهده
ثلاثون شهرا في ثلاثة أحوال
أي من ثلاثة أحوال (في بمعنى مع)
يقال فلان عاقل في حلم أي مع حلم
وقال الجعدي ولوح ذراعين في
بركة أي مع بركة وقال الآخر
أو طعم غادية في جوف ذي حدب
من ساكن المزن يجري في
الغرانيق
أي مع الغرانيق وهي طير الماء
(اللام بمعنى مع) قال متمم بن نويرة
فلما تفرقنا كأني ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا أي مع طول اجتماع (اللام بمعنى بعد) كقولهم كتبت لثلاث خلون حين

المديح بل اقتصبه اقتضابا ولقد حفظت شعره فلم أجد له من ذلك شيأ مرضيا الا اليسير كقوله في قافية الباء من قصيدة وكفاني اذا الحوادث أظلمن شهابا بغرة ابن شهاب
وكقوله في قافية الدال من قصيدة
قصدت لنجران العراق ركابنا * قتلان ازجيها لعلة ماجد
آليت لا تلقين جدا صاعدا * في مطلب حتى تناخ بصاعد
وكقوله في قصيدته التي أولها * حلفت لها بالله يوم التفرق * فانه تشوق فيها الى العراق من الشام ووصف العراق ومنازله ورياضه فأحسن في ذلك كله ثم خرج الى مدح الفتح بن خاقان بسياقة آخذة بعضها برقاب بعض فقال
رباع من الفتح بن خاقان لم تزل * غنى لعديم أو فكا كالوثق
ثم أخذ في مدحه بعد ذلك بضروب من المعاني وكذلك ورد قوله في قصيدته التي أولها * ميلوا الى الدار من ليلى نحييها * فانه وصف البركة فأبدع في أوصافها ثم خرج منها الى مدح الخليفة المتوكل فقال كأنها حين لجت في تدفقها * يد الخليفة لما سال واديها
وأحسن ما وجدته له وهو مما لطف فيه كل التلطيف قوله في قصيدته التي يمدح بها ابن بسطام ومطلعها * نصيب عينك من سح وتسجام * فقال عند تخلصه الى المديح
هل الشباب ملم بي فراجعة * أيامه لي في أعقاب أيام
لو أنه بابل عمر يجاذبه * اذا تطلبته عند ابن بسطام
وهذا من الملائم في هذا الباب وله مواضع أخرى يسيرة بالنسبة الى كثرة شعره وقال أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغنوي ان كتاب الله خال من التخلص وهذا القول فاسد لان حقيقة التخلص انما هي الخروج من كلام الى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج اليه وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة من ذلك كالخروج من الوعظ والتذكير بالانذار والبشارة بالجنة الى أمر ونهي ووعد ووعيد ومن محكم الى متشابه ومن صفة لنبي مرسل وملك منزل الى ذم شيطان مريد وجبار عنيد بلطائف دقيقة ومعان آخذ بعضها برقاب بعض (فما جاء من التخلص في القرآن الكريم) قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين هذا كلام يسكر العقول ويسحر الألباب وفيه كفاية لطالب البلاغة فانه متى أنعم فيه نظره وتدبر أثناءه ومطاوي حكمته علم أن في ذلك غنى عن تصفح الكتب المؤلفة في هذا الفن ألا ترى ما أحسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين

حين سألهم أولا عما يعبدون سؤال مقرر لا سؤال مستفهم ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليد آبائهم الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم أراد الخروج من ذلك الى ذكر الاله الذي لا تجب العبادة الا له ولا ينبغي الرجوع والانابة الا اليه فصور المسئلة في نفسه دونهم بقوله فانهم عدو لي على معنى اني فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو وهو الشيطان فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله في يده وأراهم بذلك أنها نصيحة ينصح بها نفسه لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك أدعى لهم الى القبول لقوله وأبعث على الاستماع منه ولو قال فانهم عدو لكم لم يكن بتلك المثابة فتخلص عند تصويره المسئلة في نفسه الى ذكر الله تعالى فأجرى عليه تلك الصفات العظام من تفخيم شأنه وتعديد نعمه من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ليعلم من ذلك أن من هذه صفاته حقيق بالعبادة واجب على الخلق الخضوع له والاستكانة لعظمته ثم خرج من ذلك الى ما يلائمه ويناسبه فدعا الله بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين لان الطالب من مولاه اذا قدم قبل سؤاله وتضرعه الاعتراف بالنعمة كان ذلك أسرع للاجابة وأنجح لحصول الطلبة ثم ادرج في ضمن دعائه ذكر البعث ويوم القيامة ومجازاة الله تعالى من آمن به واتقاه بالجنة ومن ضل عن عبادته بالنار فجمع بين الترغيب في طاعته والترهيب من معصيته ثم سأل المشركين عما كانوا يعبدون سؤالا ثانيا عند معاينة الجزاء وهو سؤال موبخ لهم مستهزئ بهم وذكر ما يدعون اليه عند ذلك من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني العودة ليؤمنوا فانظر أيها المتأمل الى هذا الكلام الشريف الآخذ بعضه برقاب بعض مع احتوائه على ضروب من المعاني فيتخلص من كل واحد منها الى الآخر بلطيفة ملائمة حتى كأنه أفرغ في قالب واحد فخرج من ذكر الاصنام وتنفير أبيه وقومه عن عبادتهم اياها مع ما هي فيه من التعري عن صفات الالهية حيث لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع الى ذكر الله تعالى فوصفه بصفات الالهية فعظم شأنه وعدد نعمه ليعلم بذلك أن العبادة لا تصح الا له ثم خرج من هذا الى دعائه اياه وخضوعه له ثم خرج منه الى ذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه فتدبر هذه التخلصات اللطيفة المودعة في أثناء هذا الكلام وفي القرآن مواضع كثيرة من التخلصات كالذي ورد في سورة الاعراف فانه ذكر فيها قصص الانبياء والامم الخالية من آدم الى نوح عليهما السلام وكذلك الى قصة موسى عليه السلام حتى انتهى الى آخرها الذي هو واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون هذا تخلص من التخلصات الحسان فان الله تعالى ذكر الانبياء والقرون الماضية الى عهد موسى عليه السلام فلما أراد ذكر نبينا صلوات الله عليه وسلامه ذكره بتخلص انتظم به بعض الكلام ببعض ألا ترى أنه قال موسى عليه السلام واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي

أي بعد ثلاث خلون وقال الراعي حتى وردن لتم خمس بائص * جدا تعاوره الرياح وبيلا أي بعد تمام خمس (اللام بمعنى من أجل) تقول فعلت ذلك لك أي من أجلك وفعلت ذلك لعيون الناس أي من أجل عيونهم وقال العجاج

تسمع للجرع اذا استحيرا
للماء في أجوافها خريرا

أراد تسمع للماء خريرا في أجوافها من أجل الجرع (الباء بمعنى على) قال عمرو بن قميئة

بودك قومي على أن تركتهم
سليمى اذا هبت شمال وريحها

أي على ودك قومي وما زائدة (الباء بمعنى من أجل) قال لبيد غلب تشذر بالذحول أي من أجل الذحول

﴿زيادة الصفات﴾

قال الله جل ثناؤه تنبت بالدهن وقال تعالى اقرأ باسم ربك أي اسم ربك وقال عز وجل عينا يشرب بها عباد الله أي يشربها وقال أمية * اذ يسفون بالدقيق * وقال الراعي * سود المحاجر لا يقرأن بالسور * وقال آخر

بواد يمان ينبت الشث صدره
وأسفله بالمرخ والشبهان

وقال الاعشى

* ضمنت برزق عيالنا أرماحنا *

وقال الله عز وجل وهزي اليك بجذع النخلة وقال عز وجل فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أي أيكم المفتون قال امرؤ القيس

* هصرت بغصن ذي شماريخ ميال *

أي غصنا وقال آخر

* نضرب بالسيف ونرجو بالفرج *

أي نرجو الفرج وقال حميد بن ثور

أبى الله الا أن سرحة مالك
على كل افنان العضاه تروق

أراد تروق كل

﴿ادخال الصفات واخراجها﴾

(شكرتك) وشكرت لك (ونصحتك) ونصحت لك (وكلتك) وكلت لك (واستجبتك) واستجبت لك وقال الشاعر كعب بن سعد الغنوي

* فلم يستجبه عند ذاك مجيب * (ومكنتك) ٢٧٢ ومكنت لك قال الله عز وجل مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم (واشتقتك) واشتقت

الآخرة فأجيب بقوله تعالى قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين من حالهم كذا وكذا ومن صفتهم كيت وكيت وهم الذين يتبعون الرسول النبي الامي ثم وصفه صلوات الله عليه بصفاته الى آخر الكلام ويالله العجب كيف يزعم الفاغي أن القرآن خال من التخلص ألم يكفيه سورة يوسف عليه السلام فانها قصة برأسها وهي متضمنة شرح حاله مع اخوته من أول أمره الى آخره وفيها عدة تخلصات في الخروج من معنى الى معنى وكذلك الى آخرها ولو أخذت في ذكر ما في القرآن الكريم من هذا النوع لاطلت ومن أنعم نظره فيه وجد من ذلك أشياء كثيرة (وقد جاء في من التخلصات في الكلام المنثور أشياء كثيرة) وسأذكر ههنا نبذة يسيرة منها (فمن ذلك) ما أوردته في كتاب الى بعض الاخوان أصف فيه الربيع ثم خرجت من ذلك الى ذكر الاشواق فقلت وكان هذه الاوصاف في شأنها بديعة فكذلك شوقي في شأنه بديع غير أنه لحره فصل صيف وهذا فصل ربيع فأنا أملي أحاديثه العجيبة على النوى وقد عرفت حديث من قتله الشوق ولا أستفض حديث من قتله الهوى (ومن هذا الاسلوب) ما كتبته في كتاب الى بعض الاخوان أيضا وأرسلته اليه من بلاد الروم وهو كتاب يشتمل على وصف البرد وما لاقيته منه ثم خرجت من ذلك الى ذكر الشوق فقلت ومما أشكوه من بردها أن لفر ولا يلبس الا في شهر ناجر وهو قائم مقام الظل الذي يتبرد به من أليم الهواجر ولعمر طشته لم أجد ما يخففه فضلا عما يذهبه فان النار المعدة له تطلب من الدفء أيضا ما أطلبه لكن وجدت نار أشواقي أشد حرا فاصطليت بجمرها التي لا تذكي بزناد ولا تؤول الى رماد ولا يدفع البرد الوارد على الجسد بأشد من حر الفؤاد غير أني كنت في ذلك كمن سد خلة بخلة واستشفى من علة بعلة وأقسل ما أملاك مشمالك فاظنك بمن يصطلي نار الاشواق وقد قنع من أحبته بالاوراق فضن عليه بالاوراق (ومما ينتظم في هذا العقد) ما ذكرته في مفتتح كتاب يتضمن عناية بعض المتطلبين فاستطردت فيه المعنى الى ذكر المكتوب اليه وهو هدايا المكارم أنفس من هدايا الاموال وأبقى على تعاقب الايام والليال وقد حمل هذا الكتاب منها هدية تورث حمدا وتكسب مجدا وهي خير ثوابا وخير مردا ولا يسيرها الا سجية طبعت على الكرم وخلقت من عنصر القديم كسجية مولانا أعلاه الله علوا تفخر به الارض على السماء وتحسده شمس النهار ونجوم الظلماء ولا زالت أياديه مخجلة صوب الغمام معدية على نوب الايام مغنية بشرف فضلها على شرف الاخوال والاعمام وتلك الهدية هي تجريد الشفاعة في أمر فلان ومن ايمان المرء سعيه في حاجة أخيه وان لم يمسه بشيء من أسباب أواخيه فان المؤمنين اخوة وان تباينت مناسبهم وتفاوتت مراتبهم ومن صفتهم أن يسعى بذمتهم أدناهم وخيرهم من عناه من الامر ما عناهم ثم مضيت على هذا النهج الى آخر الكتاب (ومن ذلك) ما كتبته من كتاب الى صديق استحدثت مودته وهو من أهل العراق وكنت اجتمعت به بالموصل ثم سار عني فكتبت اليه أستهديه رطبا فقلت هذه المكاتبة ناطقة بلسان الشوق الذي ترف كلمه رفيف الاوراق وتسجع سجع ذوات الاطواق وتهتف وهي مقيمة بالموصل فتسمع من هو مقيم بالعراق وأبرح الشوق ما كان عن فراق غير بعيد وود استجدت حلته واللذة مقترنة بكل شيء جديد وأرجو أن لا يبلي قدم الايام لهذه الجدة لباسا وأن يعاذ من نظرة الجن والانس حتى لا يغشى جنة ولا باسا وقد قيل ان للمودات طعما كما أن لها وسما وان ذا اللب يصادف مقابل أن يصادق جسما واني لاجد لمودة سيدنا حلاوة يستلذ دوامها ولا يعل استطعامها وقد أذكرتني الآن بحلاوة الرطب الذي هو من أرضها وغير عجيب لمناسبة

اليك (باغتك) وباغت اليك (وهديته الطريق) والى الطريق (وعددتك مائة) وعددت لك (اخترت الرجال زيدا) واخترت من الرجال زيدا قال الله جل ثناؤه واختار موسى قومه سبعين رجلا واستغفر الله ذنبي ومن ذنبي قال

أستغفر الله ذنبا لست محصيه
رب العباد اليه الوجه والعمل

(وكنيتك أبا فلان) وبأبي فلان (وسميتك فلانا) وبفلان (واستنطلقا) واستنطلق (وسرقت زيدا مالا) وسرقت من زيد مالا وكذلك سلبت (وزوجته) امرأة وبامرأة أبو زيد (شبعت) على القوم وشبعتهم (وشبعت) خبزا ولحما ومن خبز ولحم (ورويت) ماء ولبنا ومن ماء ولبن (ورحت) القوم ورحت اليهم (وتعرضت) معروفهم وتعرضت لمعروفهم (ونأيتهم) ونأيت عنهم (وحللتهم) وحللت بهم (ونزلتهم) ونزلت بهم (وأملتهم) وأملت عليهم من الملالة (ونعم الله بك عينا) ونعمك عينا (وطرحت الشيء) وطرحت به (أثقنت الرجل بمتاعه) وأثقلت له (وأشاب الحزن) برأسه ورأسه (وبت القوم) وبت بهم (وحققت أن تفعل) وحق لك (غاليت السلعة) وغاليت بها (وثويت البصرة) وثويت بها (جاورت بني فلان) وجاورت فيهم (وأويت الى الرجل) وأويته اذا نزلت به (وظفرت بالرجل) وظفرته قال عنترة

ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل

أي أظل عليه (جملك الله) وجمل عليك (حاطهم الله بقصاهم) وحاطهم قصاهم * معناه كان منهم في قاصيتهم

الاشياء

الاشياء أن يذكر بعضها بعضا الا أن هذه الحلاوة تنال بالافواه وتلك تنال بالاسرار وفرق بين ما يغترس بالارض وما يغترس بالقلب فى شرف الثمار فلا ينظر سيدنا الى فى هذا التمثيل ولربما كان ذلك تمريضا ينوب بعاب التطفيل وهذا من التخلصات البديعة فانظر أيها المتأمل كيف ساق الكلام الى استهداء الرطب وجعلت بعضه آخذا برقاب بعض حتى كأنه أفرغ فى قالب واحد وكذلك فليكن التخلص من معنى الى معنى وهذا القدر من الامثلة كاف للمتعلم (ومما استطرف من هذا النوع فى الشعر) قول ابن ارمكرم الموصلي وهو

وليل كوجه البرقعيدى مظلم * وبرد أغانيه وطول قرونه
سريت ونومى فيه نوم مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
على أولق فيه التفات كأنه * أبو جابر فى خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه * سنا وجه قرواش وضوء جبينه

وهذه الابيات لها حكاية وذلك أن هذا الممدوح وهو شرف الدولة قرواش ملك العرب وكان صاحب الموصل فاتفق أنه كان جالسا مع ندمائه فى ليلة من ليالى الشتاء وفى جملتهم هؤلاء الذين هجاهم الشاعر وكان البرقعيدى مغنيا وسليمان بن فهد وزيرا وأبو جابر حاجبا فالتمس شرف الدولة من هذا الشاعر أن يهجو المذكورين ويمدحه فأنشد هذه الابيات ارتجالا وهى غريبة فى بابها لم يسمع بمثلها ولم يرض قائلها بصناعة التخلص وحدها حتى رقى فى معانيه المقصودة الى أعلى منزلة فابتدأ البيت الاول بهجو البرقعيدى فجاء فى ضمن مراده ذكر أوصاف ليل الشتاء جميعها وهى الظلمة والبرد والطول ثم ان هذه الاوصاف الثلاثة جاءت ملائمة لما شبهت به مطابقة له وكذلك البيت الثانى والثالث ثم خرج الى المديح بألطف وجه وأدق صنعة وهذا يسمى الاستطراد وما سمعت فى هذا الباب بأحسن من هذه الابيات ومما يجرى على هذا الاسلوب ما ورد لابن الحجاج البغدادى وهى أبيات لطيفة جدا

ألا ياماء دجلة لست تدرى * بأنى حاسد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن ياماء تجرى
فقال الماء ما هذا عجيب * بما استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لانك كل يوم * تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شئ * يضيق عن احتمالك فيه صبرى

وما علمت معنى فى هذا المقصد ألطف ولا أرق ولا أعذب ولا أحلى من هذا اللفظ ويكفى ابن الحجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الابيات ولا تظن أن هذا شئ انفرد به المحدثون لما عندهم من الرقة واللطافة وفات من تقدمهم لما عندهم من قشف العيش وغلظ الطبع بل قد تقدم أولئك الى هذا الاسلوب وان أقلوا منه وأكثر منه المحدثون وأى حسن من محاسن البلاغة والفصاحة لم يسبقوا اليه وكيف لا وهم أهله ومنهم علم وعنهم أخذ (فى ذلك) ما جاء للفرزدق وهو

وركب كأن الريح تطلب عندها * لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهى تلفهم * الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت أيديهم نار غالب

فانظر الى هذا الاستطراد ما أحلاه وأفخمه واعلم أنه قد يقصد الشاعر التخلص فيأتى به قبيحا كما فعل أبو الطيب المتنبى فى قصيدته التى أولها

هلت القطر أعطشها ربوعا * فقال عند الخروج من الغزل الى المديح

(الا ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) أى يخوفكم بأوليائه وقوله عز وجل (لتنذر يوم التلاق) أى لينذركم يوم التلاق وقوله عز وجل (لينذر بأسا شديدا) أى لينذركم بأس شديد

﴿أبنية الاسماء﴾

ما جاء من ذوات الثلاثة فيه لغتان ﴿فعل وفعل﴾ أبو عبيدة (شاة يبس ويبس) اذا لم يكن لها لبن (وطريق يبس ويبس) أى يابس قال الله جل ثناؤه فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا وقال علقمة

تخشخش يبس الحصاد جنوب

(وماله عندى قدر ولا قدر) وكذلك قدر الله وقدره وقال الكسائى وما قدروا الله حق قدره لو ثقلت كان صوابا وقوله عز وجل أودية بقدرها لو خففت كان صوابا وأنشد

وما صب رجلى فى حديد مجاشع
مع القدر الا حاجة لى أريدها

أراد القدر والبرد قرس وقرس) وهو (الدرك والدرك) قرئ بهما جميعا فى الدرك الاسفل والدرك الاسفل (والطرد) والطرد (والظعن) والظعن (والعذل) والعذل (والشلل) والشلل (والدأب) والدأب (ونشز من الارض) ونشز (ولغط) ولغط (وشمع) وشمع (وسطر) وسطر (ورجل صدع) وصدع الخفيف اللحم (وليلة النفر) من منى والنفر (ورجل قط الشعر) وقطط وهو (السحر) والسحر للرئة (والشعر) والشعر (والنهر) والنهر (والصخر) والصخر (والعصم) والعصم (والبعر) والبعر (والشمع) والشمع قال الفراء (الشمع) بتحريك الميم لغة العرب والمولدون يقولون (شمع) وروى ابن الاعرابى عن اعرابية بفيه (حفر) وحفر والاجود حفر بالسكون ومن المعتل (أيد) وآد القوة (وذيم) وذام (وعيب)

غدا بك كل خلو مستهاما * وأصبح كل مستور خليعا
أحبك أو يقولوا جر غل * ثبيرا وابن ابراهيم ريما

وهذا تخلص كما تراه بارد ليس عليه من مسحة الجمال شئ وههنا يكون الاقتضاب أحسن من التخلص فينبغي لسالك هذه الطريق أن ينظر الى ما يصوغه فان واتاه التخلص حسنا كما ينبغي والا فليدعه ولا يستكرهه حتى يكون مثل هذا كما فعل أبو الطيب ولهذا نظائر وأشباه وقد استعمل ذلك في موضع آخر في قصيدته التي أولها * أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا * فقال

علّ الامير يرى ذلي فيشفع لي * الى التي تركتني في الهوى مثلا

والاضراب عن مثل هذا التخلص خير من ذكره وما ألقاه في هذه الهوة الا أبو نواس فانه قال

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعل الفضل يجمع بيننا

على أن أبا نواس أخذ ذلك من قيس بن ذريح لكنه أفسده ولم يأت به كما أتى به قيس ولذلك حكاية وهو أنه لما هام بلبنى في كل واد وجن بها رق له الناس ورحموه فسعى له ابن أبي عتيق الى أن طلقها من زوجها وأعادها الى قيس فتزوجها اياه فقال عند ذلك

جزى الرحمن أفضل ما يجازي * على الاحسان خيرا من صديق
وقد جربت اخواني جميعا * فما ألفيت كابن أبي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع * ورأي حرت فيه عن طريق
وأطفى لوعة كانت بقلبي * أغصتني حرارتها بريقي

وبين هذا الكلام وبين كلام أبي نواس بون بعيد وقد حكي عن ابن أبي عتيق أنه قال يا حبيبي أمسك عن هذا المديح فما يسمعه أحد الا ظنني قوادا ﴿وأما الاقتضاب﴾ فهو الذي أشرنا اليه في صدر هذا النوع وهو قطع الكلام واستئناف كلام آخر غيره بلا علاقة تكون بينه وبينه (فمن ذلك) ما يقرب من التخلص وهو فصل الخطاب والذي أجمع عليه المحققون من علماء البيان أنه أما بعد لان المتكلم يفتتح كلامه في كل أمر ذي شأن بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله تعالى بقوله أما بعد (ومن الفصل الذي هو أحسن من الوصل لفظة هذا) وهي علاقة وكيدة بين الخروج من كلام الى كلام آخر غيره كقوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الابواب ألا ترى الى ما ذكر قبل هذا ذكر من ذكر من الانبياء عليهم السلام وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر غيره وهو ذكر الجنة وأهلها فقال هذا ذكر ثم قال وان للمتقين لحسن مآب ثم لما أتم ذكر أهل الجنة وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للطاغين لشر مآب وذلك من فصل الخطاب الذي هو ألطف موقعا من التخلص وقد وردت لفظة هذا في الشعر الا أن ورودها فيه قليل بالنسبة الى الكلام المنثور فمن ذلك قول الشاعر المعروف بالخباز البلدي في قصيدة أولها * العيش غض والزمان غرير

اني ليعجبني الزناي سميرة * ويروق لي بالجاشرية زير
وأكاد من فرح السرور اذا بدا * ضوء الصباح من الستور أطير
واذا رأيت الجو في فضية * للغيم في جنباتها تكسير
منقوشة صدر البزاة كأنه * فيروزج قد زانه بلور

وعاب (ماله هيد) ولا هاد (ورجع ريده) ورادة أسوت الجرح (أسوا) وأساوهو (اللغو) واللغا قال العجاج * عن اللغا ورفث التكلم *
﴿فعل وفعل﴾ بفتح الفاء وكسرها (حجر الانسان) وحجره (ورطل) ورطل (والزرع) والزرع (والبذر) والبذر (والنفط) والنفط (وسترشف) وشف (وجص) وجص (ورخو) ورخو (ونهى) ونهى للغدير (وسلم) وسلم المسالمة والعرب تقول اما سلم فخزية واما حرب فجلية وقال أبو عمرو (السلم) الاسلام (والسلم) المسالمة (أجلك) وأجلك بكسر الجيم وفتحها يعني مالك (وصلاة الوتر والوتر) وكذلك الرحل يقال فيه وتر ووتر (وكسر البيت) وكسره (والجرس) والجرس الصوت وخدعته (خدعا) وخدعا وصرعته (صرعا) وصرعا (وجسر) وجسر (والحج) والحج (وقمع) وقمع اضرب من المكاة (وبضع سنين) وبضع سنين (وأثر) وأثر (وصنف) من المتاع وصنف وهو (في ملكه) وملكه (وهيد) وهيد وخرص النخلة (خرصا) وخرصا (وحيص بيص) وحيص بيص وهو (البثق) والبثق (وزرب) البهم وزرب والعالم (حبر) وحبر ففات ذلك من (أجلك) وأجلك حذق الغلام (حذقا) وحذقا وفي صدره (ضيق) وضيق
﴿فعل وفعل بفتح الفاء وضمها﴾ (سم) وسم (وسحر) وسحر الرئة (وعقر الدار) وعقرها (والزعم) والزعم (والضعف) والضعف (والفقر) والفقر وضربه بالسيف (صاتا) وصلتا ونظر اليه (بصفح وجهه) وصفح وجهه وهو (السد) والسد للجبل وبعضهم يفرق بينهما وقد بيا ذلك (وضوء) وضوء (والرفع) والرفع أصول الفخذين وسامه (الخسف) والخسف (وسم الخياط) وسم ثقب الابرة

نادت

نادت بى اللذات وبعث فانتهز * فرص المنى بأيام الغرور

مل بى الى جور السقاة فاننى * أهوى سقاة الكاس حين تجور

هذا وكم لى بالجنينة سكرة * أنا من بقيلها بشربها مخمور

باكرتها وغصونها مغروزة * والماء بين مروزها مذعور

فى ستة أنا والنديم وقينة * والكاس والمزمار والطنبور

هذه الابيات حسنة وخروجها من شدق هذا الرجل الخباز عجيب ولو جاءت فى شعر أبى نواس زانت ديوانه * والاقتضاب الوارد فى الشعر كثير لا يحصى والتخلص بالنسبة اليه قطرة من بحر ولا يكاد يوجد التخلص فى شعر الشاعر المجيد الا قليلا بالنسبة الى المقتضب من شعره (فمن الاقتضاب) قول أبى نواس فى قصيدته النونية التى أولها * يا كثير النوح فى الدمن * وهذه القصيدة هى عين شعره والملاحة للعيون وهى تنزل منه منزلة الالف لا منزلة النون الا أنه لم يكمل حسنها بالتخلص من الغزل الى المديح بل اقتضبه اقتضابا فبيناهو يصف الخمر ويقول

فاسقنى كأسا على عذل * كرهت مسموعه أذنى

من كميت اللون صافية * خير ما سلسلت فى بدنى

ما استقرت فى فؤاد فتى * فدرى ما لوعة الحزن

حتى قال

تضحك الدنيا الى ملك * قام بالآثار والسنن

سن للناس الندى فندوا * فكأن البخل لم يكن

فأكثر مدائح أبى نواس مقتضبة هكذا والتخلص غير ممكن فى كل الاحوال وهو من مستصعبات علم البيان (ومن هذا الباب) الذى نحن بصدد ذكره قول البحترى فى قصيدته المشهورة بالجودة التى مدح بها الفتح بن خاقان وذكر لقاءه الاسد وقتله اياه وأولها * أجدك ما ينفك دمعى ان يغنيا * وهى من أمهات شعره ومع ذلك لم يوفق فيها التخلص من الغزل الى المديح فانه بيناهو فى تغزله وهو يقول

عهدتك ان منيت منيت موعدا * جهاما وان أبرقت أبرقت خلبا

وكنت أرى أن الصدود الذى مضى * دلال فان كان الاجتنابا

فوا أسفا حتام أسأل مانعا * وآمن خوانا وأعتب مذنبا

حتى قال فى اثر ذلك

أقول لركب معتفين تدرعوا * على عجل قطعا من الليل غيهبا

ردوا نائل الفتح بن خاقان انه * أعم ندى فيكم وأيسر مطلبا

فخرج الى المديح بغير وصلة ولا سبب وكذلك قوله فى قصيدته المشهورة بالجودة التى مدح بها الفتح بن خاقان أيضا وذكر نجاته عند انخساف الجسر به وقد أغرب فيها كل الاغراب وأحسن كل الاحسان وأولها * متى لاح برق أو بدا طلل قفر * فبيناهو فى غزلها حتى قال

لعمرك ما الدنيا بناقصة الجدى * اذا بقى الفتح بن خاقان والقطر

فخرج الى المديح مقتضبا له لا متعلقا به وأمثال هذا فى شعره كثير ﴿النوع الرابع والعشرون فى التناسب بين المعانى﴾ وينقسم الى ثلاثة أقسام ﴿القسم الاول فى المطابقة﴾ وهذا النوع يسمى البديع أيضا وهو فى المعانى ضد التجنيس فى الالفاظ لان التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى وهذا هو أن يكون المعنيان ضدين وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة فى الكلام هى الجمع بين الشئ وضده كالسواد والبياض والليل والنهار وخالفهم فى ذلك قدامة بن جعفر الكاتب فقال المطابقة ايراد لفظين متساويين فى البناء والصيغة مختلفين فى المعنى وهذا الذى ذكره هو التجنيس بعينه غير أن الاسماء لا مشاحة فيها الا اذا

وهو (العمر) والعمر و(الدف) والدف الذى يلعب به فأما الجنب فهو الدف بالفتح وهو (الحشر) والحشر لجماعة النحل (والشهد) والشهد (والينع) والينع ادراك الثمرة و(عمق البئر) وعمقها و(البوص) والبوص عجيزة المرأة وهو (العقم) والعقم من الرحم المعقومة وهو (لحد القبر) ولحده و(الزهو) والزهو البسر الملون وشده فلان (شدها) وشدها اذا تحير والريح (هيف) وهوف لا أذهبن فاما (هلك واما ملك) واما هلك واما ملك

﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وفتحهما﴾ (بخل وبخل) و(حزن وحزن) و(عرب وعرب) و(عجم وعجم) وطعام قليل (النزل والنزل) و(سقم وسقم) و(سخط وسخط) و(رجل غمر وغمر) الذى لم يجرب الامور و(عدم وعدم) و(رشد ورشد) و(رهب ورهب) و(رغب ورغب) و(شغل وشغل) و(ثكل وثكل) و(صلب الظهر وصلب) وهو (الخبر والخبر) يقال لأخبرن خبرك وخبرك ورجل بين (العقم والعقم) وسكر من النبيذ (سكرا وسكرا) و(الجد والجد) من قلة الخير يقال رجل مجد أى قليل الخير ولا تمه (العبر والعبر) وهو بين (الضر والضر) للعليل أو السيء الحال ومن المثل (الكوع) فى السدو (الكاع) و(جول البئر) جانبها و(الجال) و(راد ورود) لاصل اللحى و(حاب وحوب) للاثم و(فاق وفوق) للطويل و(قار وقور) لجمع قارة و(لاب ولوب) لجمع لابة وهى الحرة

﴿فعل وفعل بفتح الفاء وكسر العين وفتحها وضمها﴾ رجل (حذر وحذر) و(يقظ ويقظ) و(عجل وعجل) و(طمع وطمع) و(فطن وفطن) و(أشر وأشر) و(حدث وحدث) اذا كان كثير

كانت مشتقة ولمنتظر نحن في ذلك وهو أن نكشف عن أصل المطابقة في وضع اللغة وقد وجدنا المطابق في اللغة من طابق البعير في سيره اذا وضع رجله موضع يده وهذا يؤيد ما ذكره قدامة لان اليد غير الرجل لا ضدها والموضع الذي يقعان فيه واحد وكذلك المعنيان يكونان مختلفين واللفظ الذي يجمعهما واحد فقدامة سمى هذا النوع من الكلام مطابقا حيث كان الاسم مشتقا مما سمى به وذلك مناسب وواقع في موقعه الا أن يجعل للتجنيس اسما آخر وهو المطابقة ولا بأس به الا ان كان مثله بالضدين كالسواد والبياض فانه يكون قد خالف الاصل الذي أصله بالمثال لذى مثله وأما غيره من أرباب هذه الصناعة فانهم سموا هذا الضرب من الكلام مطابقا لغير اشتقاق ولا مناسبة بينه وبين مسماه هذا الظاهر لنا من هذا القول الا أن يكونوا قد علموا لذلك مناسبة لطيفة لم نعلمها نحن وانرجع الى ذكر هذا القسم من التأليف وايضاح حقيقته فنقول الاليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة لانه لا يخلو الحال فيه من وجهين اما أن يقابل الشئ بضده أو يقابل بما ليس بضده وليس لنا وجه ثالث (فأما الاول) وهو مقابلة الشئ بضده كالسواد والبياض وما جرى مجراهما فانه ينقسم قسمين أحدهما مقابلة في اللفظ والمعنى والآخر مقابلة في المعنى دون اللفظ (أما المقابلة في اللفظ والمعنى) فكقوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا فقابل بين الضحك والبكا والقليل والكثير وكذلك قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وهذا من أحسن ما يجئ في هذا الباب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير المال عين ساهرة لعين نائمة (ومن الحسن المطبوع الذي ليس بمتكلف) قول على رضى الله عنه لعثمان رضى الله عنه ان الحق ثقيل مرئ والباطل خفيف وبئ وأنت رجل ان صدقت سخطت وان كذبت رضيت فقابل الحق بالباطل والثقيل المرئ بالخفيف الوبئ والصدق بالكذب والسخط بالرضا وهذه خمس مقابلات في هذه الكلمات القصار وكذلك ورد قوله رضى الله عنه لما قال الخوارج لا حكم الا لله تعالى هذه كلمة حق أريد بها باطل (وقال الحجاج بن يوسف لسعيد بن جبير رضى الله عنه) وقد أحضره بين يديه ليقتله فقال له ما اسمك قال سعيد بن جبير قال بل أنت شقى بن كسير وقد كان الحجاج من الفصحاء المعدودين وفى كلامه هذا مطابقة حسنة فانه نقل الاسمين الى ضدهما فقال في سعيد شقى وفي جبير كسير وهذا النوع من الكلام لم تختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات ﴿ومما وجدته في لغة الفرس﴾ انه لما مات قباذ أحد ملوكهم قال وزيره حركنا بسكونه وأول كتاب الفصول لابقراط في الطب قوله العمر قصير والصناعة طويلة وهذا الكتاب على لغة اليونان ﴿ومن كلامى في هذا الباب﴾ ما كتبته في صدر مكتوب الى بعض الاخوان وهو صدر هذا الكتاب عن قلب مقيم وجسد سائر وصبر ملیم وجزع عاذر وخاطر أدهشته لوعة الفراق فليس بخاطر (وكذلك) كتبت الى بعض الاخوان أيضا فقلت صدر هذا الكتاب عن قلب مأنوس بلقائه وطرف مستوحش لفراقه فهذا مروع بكآبة ظلامه وهذا ممتع ببهجة اشراقه غير أن لقاء القلوب لقاء غيبت بمثله خواطر الافكار وتناجى به من وراء الاستار وذلك أخو الطيف الملم في المنام الذي يموه ببقاء الارواح على لقاء الاجسام (ومن هذا النوع) ما ذكرته في كتاب أصف المسير من دمشق الى الموصل على طريق المناظر فقلت من جملته ثم نزلت أرض الخابور فغربت الارواح وشرقت الجسوم وحصل الاعدام من المسار والاثرال من الهموم وطالبتنى النفس بالعود والقدرة مفلسة وأوت الى ظل الآمال والآمال مشمسة (ومن ذلك) ما ذكرته في جملة كتاب الى بعض الاخوان وعرضت فيه بذكر

الحديث حسنه و(فرح وفرح) و(قذر وقذر) و(نطس ونطس) اذا كان متنوقا و(نكر ونكر) و(بكر) فى حاجته و(بكر) و(نجد ونجد) للشجاع و(ندس وندس) وظيف (عجر وعجر) و(وعل ووعل) و(وقل ووقل) للمتوقل فى الجبل

﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وكسرها وسكونها﴾ (عضو وعضو) و(صفر وصفر) للذى تعمل منه الآنية و(سقط) للولد و(سقط) وكذلك سقط النار وسقط الرمل وهو (الشح والشح) و(جرو وجرو) و(طبى وطبى) واحد الاطباء و(سفل الدار وعلوها) و(سفلها وعلوها) ويقال أنت منى على (ذكر وذكر) وأنت ابن (انسه وأنسه) و(نصف ونصف) و(جلب الرحل وجلبه) أحناؤه وكذلك الجلب من السحاب والجلب وهلكت فلانة (بجمع وجمع) أى وهى حامل ويقال للتى لم تقتض هى (بجمع وجمع) و(ولد وولد) للولد ويكون الولد واحدا وجمعا و(قوت وقيت) وجمع عائط (عوط وعيط) وهى الناقة التى لم تحمل قال الاصمعى (اص ولص) قال والضم أعجب الى وواحد الاصبار (صبر وصبر) وأتانا (لمى) خامسة و(صمى) خامسة وكذلك (لصمع) خامسة وصمع خامسة و(جنح الليل وجنح) وهو (النسك والنسك) وجاءنا (بجمع كفى وجمع) وهو (الاسم والاسم)

﴿فعل وفعل بكسر الفاء وسكون العين وفتحهما﴾ (مثل ومثل) و(شبه وشبه) و(نجس ونجس) وان ذكرت مع رجس نجسا قلت رجس نجس ولم تقل نجس وان أفردت قلت نجس و(عشق وعشق) و(ضفن وضفن) ومثله فى صدره على (غمر وغمر) وناس من العرب يقولون ليس فى هذا الامر (حرج وحرج)

جماعة

جماعة من أهل الادب فقلت وهم مسؤلون أن لا ينسوني في نادي فضلهم الذي هو منبع الآمال وملتقط الآمل فوجوه ألفاظه مشرقة بأيدي الاقلام المتسودة وقلوب معانيه مستنبطة بنار الخواطر المتوقدة والواصل اليه يسكر من خمرته التي تنبه العقول من اغفائها ولا يتبرم أحد غير أكفائها وهذه الفصول المذكورة لاخفاء بما تضمنته من محاسن المقابلة ومما ورد من هذا النوع شعراً قول جرير

وأعور من نبهان أما نهاره * فأعمى وأما ليله فبصير

وهكذا ورد قول الفرزدق

قبح الاله بني كليب انهم * لا يغدرون ولا يفون بجار
يستيقظون الى نهيق حمارهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

فقابل بين الغدر والوفاء وبين التيقظ والنوم وفي البيت الاول معنى يسأل عنه وكذلك ورد قول بعضهم

فلا الجود يفني المال والجد مقبل * ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

وقد أكثر أبو تمام من هذا في شعره فأحسن في موضع وأساء في موضع فمن احسانه قوله

ما ان ترى الاحساب بيضا وضحا * الا بحيث ترى المنايا سودا

وكذلك قال من هذه القصيدة أيضا

سوف على أولي الزمان وانما * خلق المناسب ما يكون جديدا

وعلى هذا النهج ورد قوله

اذا كانت النعمى سلوبا من امرئ * غدت من خليجي كفه وهو منبع
وان عثرت بيض الليالي وسودها * بوحدته ألفيتها وهي مجمع
ويوم يظل العز يحفظ وسطه * بسمر العوالي والنفوس تضيع
مصيف من الهيجاء ومن حاجم الوغى * واكنه من وابل الدم مربع

ومن هذا الاسلوب قوله أيضا

تقرب الشقة القصوى اذا أخذت * سلاحها وهو الارقال والرمل
اذا تظلمت من أرض فصلت بها * كانت هي العز الا أنها ذلل
لمرضيات ما أرغمت آنفها * والهاديات وهي الشرّد الضلل

وعلى هذا النحو ورد قوله

وناضرة الصبا حين اسبكرت * طلاع المرط والدرع النديّ
تشكي الاين من نصف سريع * اذا قامت ومن نصف بطيّ

وقد جاء لابي نواس ذلك فقال

أقاني قد ندمت على الذنوب * وبالاقرار عدت من الجحود
أنا استهديت عفوك من قريب * كما استعفيت سخطك من بعيد

فقابل بين الاضداد من الجحود والاقرار والعفو والسخط والقرب والبعد وعلى نحو من ذلك ورد قول علي بن جبلة في أبي دلف العجلي وهو

أيم المهير وناكح الايم * يوماك يوم أبؤس وأنعم * وجمع مجد وندى مقسم وكذلك قوله أيضا

هو الامل المبسوط والاجل الذي * يمرّ على أيامه الدهر أو يحلو
ولا تحسب الايام تفعل فعله * وان كان في تصريفها النقض والعقل
فعش واحدا أما الثراء فمسلم * مباح وأما الجار فهو حمى بسل

و(حلس وحلس) و(قتب وقتب) و(بدل وبدل) وفلان (نكل لاعدائه ونكل) أي ينكل به أعداؤه (ومن المعتل) قد كثر (القيل والقال) و(القير والقار) و(كيح الجبل) وكاحه عرضه و(دير ودار) للذائب من الهزال و(القاد والقيد) القدر يقال قيد رمح وقاد رمح وقدا رمح و(قاب قوس وقيب قوس) و(قيس رمح وقاس رمح) ورجل (فيل الرأي وفال الرأي) وقائل (صعلوك معه وصعالك) و(غير وغار) للغيرة وأنشد

* ضرائر حرمي تفاحش غارها *

(والطيب والطاب)

﴿فعل وفعل بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسر العين﴾ رجل (سبط الشعر وسبط) وشعر (رجل ورجل) ورجل (دنف ودنف) ورجل (ضنى وضن) و(دوى ودو) للفاسد الجوف وفرس (عتد وعتد) و(كتد وكتد) لمجتمع الكتفين وثغر (رتل ورتل) اذا كان مفلجا وكلام (رتل ورتل) اذا كان مرتلا ومكان (حرج وحرج) أي ضيق وقرى يجعل صدره (حرجا وحرجا) وفلان (حرا بكذا وحر) و(قن وقن) أي خليق القرا ورجل (وحد فرد ووحد فرد) و(وتد ووتد) ومن أدغم قال ود أبيض (يقق ويقق) و(لهق ولهق) قطعت يده (على السرق والسرق)

﴿فعل وفعل بفتح الفاء والعين وكسر الفاء وفتح العين﴾ ماء (صرى وصرى) للذي يطول مكثه وواحد الالخا (لخا ولخا) وهي ابراز القدر وآلاء الله واحدها الاوآلا وهو (الجرر للذي يؤكل والجرر) وذهبت ابله (شذر مذر وشذر مذر) و(بذر وبذر) اذا تفرقت وكذلك (شغر بغر) مثله و(نطع ونطع) ورأيته (قبلا وقبلا) أي معاينة ﴿فعل وفعل بضم الفاء والعين وضم الفاء وفتح العين﴾

وعما جاء من هذا القسم قول البحترى

أحسن الله فى ثوابك عن نفـ * ـس مصاع أحسنت فيه البلاء

كان مستضعفا فعز ومحرو * ما فأجدى ومظلما فأضاء

ومن أحسن ما ورد له فى هذا الباب قوله

أشكو اليك أناملا لاما تنطوى * بخلا وأملا كا تقصفها اليد

أرضيهم قولا ولا يرضوننى * فعلا وتلك قضية لا تقصد

فأذم منهـــم ما يذم وربما * سامحتهم فحمدت ما لا يحمد

وعلى هذا النهج ورد قوله

وتوقعى منك الاساءة جاهدا * والعـــدل أن أتوقع الاحسانا

وكاـمرك لين مسى راضيا * فكذاك فاخش خشونتى غضبانا

(وأما أبو الطيب المتنبى) فانه استعمل هذا النوع قليلا فى شعره فن ذلك قوله

ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * كثير اذا اشتدوا قليل اذا عدوا

وكذلك قوله الى رب مال كلما شت شمله * تجمع فى تشتيته للعلا شمل

ومما استعذبته من قوله فى هذا الباب

كأن سهاد الليل يعشق مقلتى * فبينهما فى كل هجر لنا وصل

ومما جاء من هذا الباب

لما اعتنقنا للوداع وأعربت * عبراتنا عنا بدمع ناطق

فرقن بين مهاجر ومحاجر * وجمعن بين بنفسج وشقائق

وهذا تحته معنى يسئل عنه غير المقابلة وذهب بعض أهل العلم الى أن المراد بالبنفسج والشقائق هو عارض الرجل وخد المرأة لان من العادة ان يشبه العارض بالبنفسج وهذا قول غير سائغ لان العارض انما يشبه بالبنفسج عند أول ظهوره فاذا طر وظهرت خضرته فى ابتداء سن الشباب شبه بالبنفسج لانه يكون بين الاخضر والاسود وليس فى الشعر ما يدل على أن المودع كان شابا قد طر عارضه والذى يقتضيه المعنى أن المرأة قامت للوداع فرقت خمارها ولطمت خدها فجمعت بين أثر اللطم وهو شبيه بالبنفسج وبين لون الخد وهو شبيه الشقائق وفرقت بين خمارها وبين وجهها بالتمزيق ولطمها وجدها على الوداع هذا هو معنى البيت لا ما ذهب اليه هذا الرجل (وأما المقابلة فى المعنى دون اللفظ فى الاضداد) فمما جاء منه قول المقنع الكندى من شعراء الحماسة لهم جل مالى ان تتابع لى غنى * وان قل مالى لم أكلفهم رفدا

فقوله تتابع لى غنى بمعنى قوله كثر مالى فهو اذا مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ لان حقيقة الاضداد اللفظية انما هى فى المفردات من الالفاظ نحو قام وقعد وحل وعقد وقل وكثر فان القيام ضد القعود والحل ضد العقد والقليل ضد الكثير فاذا ترك المفرد من الالفاظ وتوصل الى مقابلته بلفظ مركب كان ذلك مقابلة من جهة المعنى لا من جهة اللفظ كقول هذا الشاعر تتابع لى غنى فى معنى كثر مالى وهذه مقابلة معنوية لا لفظية فاعرف ذلك (وأما مقابلة الشئ بما ليس بضده فهى ضربان) أحدهما أن لا يكون مثلا والآخر أن يكون مثلا (فالضرب الاول) يتفرع الى فرعين (الاول) ما كان بين المقابل والمقابل نوع مناسبة وتقارب كقول قريط ابن أنيف يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

فقابل الظلم بالمغفرة وليس ضدا لها وانما هو ضد العدل الا أنه لما كانت المغفرة قريبة من

العدل

تنح عن (سنن الطريق وسننه) وهو (أشر الاسنان وأشرها) وهو (شطب السيف وشطبه) للطرائق فيه

﴿فعل وفعل بكسر الفاء وسكون العين وكسر الفاء وفتح العين﴾ (قمع وقمع) و (ضلع وضلع) و (نطع ونطع)

﴿فعل وفعل بفتحهما وضمهما﴾ فلاة (قذف وقذف)

﴿فعل وفعل بضم الفاء وفتح العين وكسرها وفتحها﴾ يقال (صور وصور) قال الله عز وجل مكانا (سوى وسوى) وقوم (عدى وعدى) أى أعداؤهم الغرباء أيضا الاصمعى اذا ضممت أول عدى ألحقت الهاء فقلت عداة

﴿فعل وفعل بفتحهما وضم الفاء وفتح العين﴾ يقال للقدح (زلم وزلم) وهو سدى وسدى اذا أهمل

﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وكسر الفاء وفتح العين﴾ يقال قطع (سر الصبى وسرره) الذى تقطعه القابلة فأما السرة فهو ما يبقى

﴿فعل وفعل بضم الفاء وسكون العين وضمهما﴾ (قفل وقفل) و (هزؤ وهزؤ) و (كفؤ وكفؤ) و (غفل وغفل) و (أكل وأكل) و (السحت والسحت) و (الرعب والرعب) و (النكر والنكر) و (أذن وأذن) و (الصبق والصبق) و (البعد والبعد) و (العقب والعقب) و (الحقب والحقب) و (الشغل والشغل) و (الثلث والثلث) و (العذر والعذر) و (النذر والنذر) و (العمر والعمر) ولا قبل (قبلك وقبلك) وقرأ بعض القـــراء (الجرؤ) و (العسر واليسر) والاكثر التخفيف واذا توالت الضمتان فى حرف واحد كان لك ان تخفف مثل (رسل ورسل) و (كتب وكتب) و (طنب وطنب) وكذلك اذا توالت

العدل حسنت المقابلة بينها وبين الظلم وعلى هذا جاء قوله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم فان الرحمة ليست ضدا للشدة وانما ضد الشدة اللين الا أنه لما كانت الرحمة من مسببات اللين حسنت المقابلة بينها وبين الشدة وكذلك ورد قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل فان المصيبة سيئة لان كل مصيبة سيئة وليس كل سيئة مصيبة فالتقابل ههنا من جهة العام والخاص (الفرع الثانى) ما كان بين المقابل والمقابل به بعد وذلك مما لا يحسن استعماله كقول أم الحنف وهو سعد بن قرط وقد تزوج امرأة كانت نهته عنها فقالت من أبيات تذمها فيها

تربص بها الايام علّ صروفها * سترمى بها فى جاحم متسعر
فكم من كريم قد مناه الهه * بمذمومة الاخلاق واسعة الحر

فقولها بمذمومة الاخلاق واسعة الحر من المقابلة البعيدة بل الاولى أن كانت قالت بضيقة الاخلاق واسعة الحر حتى تصح المقابلة وهذا مما يدل على ان العربى غير مهتد الى استعمال ذلك بصنعته وانما يجىء له منه ما يجىء بطبعه لا بتكلفه واذا أخطأ فانه لا يعلم الخطأ ولا يشعر به والدليل على ذلك أنه لو أبدلت لفظة مذمومة بلفظة ضيقة لصح الوزن وحصلت المقابلة وانما يعذر من يعذر فى ترك المقابلة فى مثل هذا المقام اذا كان الوزن لا يواتيه (وأما المحدثون من الشعراء) فانهم اعتنوا بذلك خلاف ما كانت العرب عليه لا جرم أنهم أشد ملامة من العرب فمن ذلك قول أبى الطيب المتنبي

لمن يطلب الدنيا اذا لم يردبها * سرور محب أو مساءة مجرم

فان المقابلة الصحيحة بين المحب والمبغض لا بين المحب والمجرم وليست متوسطة أيضا حتى يقرب الحال فيها وانما هى بعيدة فانه ليس كل من أجرم اليك كان مبغضا لك (ومما يتصل بهذا الضرب) ضرب من الكلام يسمى المواخاة بين المعانى والمواخاة بين المبانى وكان ينبغى أن نعقد له بابا مفردا لكنا رأيناه ينظر الى التقابل من وجه وصلناه به (أما المواخاة بين المعانى) فهو أن يذكر المعنى مع أخيه لا مع الاجنبي مثاله أن تذكر وصفا من الاوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به فان ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدحا فى الصناعة وان كان جائزا فمن ذلك قول الكميت أم هل ظعائن بالعلياء رافعة * وان تكامل فيها الدل والشنب

فان الدل يذكر مع الغنج وما أشبهه والشنب يذكر مع اللعس وما أشبهه وهذا موضع يغلط فيه أرباب النظم والنثر كثيرا وهو مظنة الغلط لانه يحتاج الى ثاقب فكرة وحذق بحيث توضع المعانى مع أخواتها لا مع الاجنبي منها ﴿وقرأت فى كتاب الاغانى لابى الفرج﴾ انه اجتمع نصيب والكميت وذو الرمة فأنشد الكميت أم هل ظعائن البيت فعقد نصيب واحدة فقال له الكميت ماذا تحصى قال خطأك فانك تباعدت فى القول أين الدل من الشنب الا قلت كما قال ذو الرمة

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى أنيابها شنب

ورأيت أبا نواس يقع فى ذلك كثيرا كقوله فى وصف الديك

له اعتدال وانتصاب قد * وجلده يشبه وشى البرد
كأنما الهداب فى الفرند * محدودب الظهر كريم الجد

فانه ذكر الظهر وقرنه بذكر الجد وهذا لا يناسب هذا لان الظهر من جملة الخلق والجد من النسب وكان ينبغى أن يذكر مع الظهر ما يقرب منه ويواخيه أيضا وكذلك أخطأ أبو نواس فى قوله وقد حلفت يمينا * مبرورة لا تكذب برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب

الكسر نان خففوا فقالوا فى (ابل ابل) ولم يسكنوا شيأ من المفتوح لخفة الفتحة نحو جمل وجبل وقتب لا يقولون جبل وجمل فاذا خففوا مثل عضد وفخذ وكبد فربما ألقوا الحركة التى أسقطوها على أول الحرف فقالوا فى فخذ وكبد وعضد فخذ وكبد وعضد وربما تركوا حركة الحرف الاول على حالها فقالوا فخذ وكبد وعضد وقالوا فى تخفيف رجل رجل ولم أسمع رجل وقالوا فى تخفيف لعب لعب ولم نسمع لعب والافعال اذا كانت على فعل أو فعل أو فعل خففت يقولون قد علم ذاك أى علم وقال أبو النجم

لو عصر منه البان والمسك انعصر

ويقولون كرم الرجل يريدون كرم ونعم وبئس انما أصلهما فعل خففتا واذا جاء الفعل على فعل لم يخففوه نحو ضرب وقتل وأكل لانهم لا يستثقلون الفتحة وقال الاخطل

وما كل مغبون ولو سلف صفقه * يراجع ما قد فاته برداد

أراد سلف فسكن المفتوح وهذا شاذ

﴿وما جاء على فعلة فيه لغتان فعلة وفعلة بفتح الفاء وسكون العين وكسرها وسكونها﴾

العقاب (القوة والقوة) فأما التى تسرع اللقح فهى لقوة بالفتح فلان بعيد (الهمة والهمة) وهذه أمة حسنة (المهنة والمهنة) أى الخدمة وقوم (نجعة ونجعة) للشعراء ولفلان فى بنى فلان (حوبة وحيبة) وهى (الام والاخت والبنت) وتكون فى موضع آخر الهم والحاجة فلان يأكل (الحبنة والحبنة) أى مرة فى اليوم وهى (الطسة والطسة) للطست عن أبى زيد فلان حسن (الهيئة والهيئة) وهى (اللقعة واللقعة) ومن المعتل (ضعة وضعة) و(قحة وقحة) و(وطىء بين الطئة والطأة) ويقال الوطاءة (وان أردت فى فعلة المرة الواحدة فهى بالفتح) تقول قعد (قعدة) وجلس

فان ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب غير مناسب وانما يذكر الحوض مع الصراط والميزان وما يجري مجراهما وأما زمزم والصفا والمحصب فيذكر معها الركن والحطيم وما يجري مجراهما وعلى هذا الاسلوب ورد قوله أيضا

أحسن من منزل بذي قار * منزل خمارة وخمار
وشم ريحانة وترجسة * أحسن من أينق بأكوار

فالبيت الثاني لا مقاربة بين صدره وعجزه وأين شم الريحان من الاينق بالاكوار وكان ينبغي له أن يقول شم الريحان أحسن من شم الشيح والقيصوم وركوب القينات الرود أحسن من ركوب الاينق بالاكوار وكل هذا لا يتفطن لوضعه في مواضعه في كل الاوقات وقد كان يغلب على السهو في بعض الاحوال حتى أسلك هذه الطريق في وضع المعاني مع غير أنسابها وأقاربها ثم اني كنت أتأمل ما صنعته بعد حين فأصلح ما سهوت عنه (وأما المواخاة بين المباني) فانه يتعلق بمباني الالفاظ فمن ذلك قول أبي تمام في وصف الرماح

مثقفات سلبن العرب سمرتها * والروم زرقتها والعاشق القضفا

وهذا البيت من أبيات أبي تمام الافراد غير أن فيه نظرا وهو قوله العرب والروم ثم قال العاشق ولو صح أن يقول العشاق لكان أحسن اذ كانت الاوصاف تجري على واحد وكذلك قوله سمرتها وزرقتها ثم قال القضفا وكان ينبغي أن يقول قضفها أو دقتها وعلى هذا ورد قول مسلم بن الوليد

نقضت بك الاحلاس نقض اقامة * واسترجعت نزاعها الامصار
فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة * يثني عليها السهل والاوعار

والاحسن أن يقال السهل أو الوعر أو السهول والاوعار ليكون البناء اللفظي واحدا أي أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجمع أو الافراد ولا يكون أحدهما مجموعا والآخر مفردا وكذلك ورد قول أبي نواس في الخمر

صفراء مجدها مرازبها * جلت عن النظراء والمثل

فجمع وأفرد في معنى واحد وهو أنه قال النظراء مجموعا ثم قال المثل مفردا وكان الاحسن أن يقول النظير والمثل أو النظراء والامثال وعلى ذلك ورد قوله أيضا والانكار يتوجه فيه أكثر من الاول وهو

ألا يا ابن الذين فنوا فماتوا * أما والله ما ماتوا لتبقى
وما لك فاعلمن فيها مقام * اذا استكملت آجالا ورزقا

وموضع الانكار ههنا أنه قال آجالا ورزقا وكان ينبغي أن يقول أرزاقا أو أن يقول أجلا ورزقا وقد زاده انكارا أنه جمع الاجل فقال آجالا والانسان ليس له الا أجل واحد ولو قال أجلا وأرزاقا لما عيب لان الاجل واحد والارزاق كثيرة لاختلاف ضروبها وأجناسها واذا أنصفنا في هذا الموضع وجدنا الناثر مطالبا به دون الناظم لمكان امكانه من التصرف وقد كنت أرى هذا الضرب من الكلام واجبا في الاستعمال وأنه لا يحسن الحيد عنه حتى مر بي في القرآن الكريم ما يخالفه كقوله تعالى في سورة النحل أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل ولو كان الاحسن لزوم البناء اللفظي على سنن واحد لجمع اليمين كما جمع الشمائل أو أفرد الشمال كما أفرد اليمين وكذلك ورد قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون فجمع القلوب والابصار وأفرد السمع وكذلك ورد قوله تعالى حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم فذكر السمع بلفظ الافراد وذكر الابصار والجلود بلفظ الجمع وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة هكذا ولو كان هذا معتبرا في الاستعمال لورد في كلام الله تعالى الذي هو أفصح من كل كلام والاخذ في مقام الفصاحة

والبلاغة

(جلسة) و(ان أردت الضرب من الفعل كسرت) تقول هو حسن (القعدة والجلسة والركبة) وقتله شر (قتلة) ومات ميتة سوء

﴿فعلة وفعلة بكسر الفاء وسكون العين وضمها وسكونها﴾ (كسوة وكسوة) و(رشوة ورشوة) و(قدوة وقدوة) و(اسوة وأسوة) والرحم (شجنة من الله وشجنة) و(نسوة ونسوة) و(حبوة وحبوة) وحظي فلان (حظوة وحظوة) و(خصية وخصية) و(خفية وخفية) و(نسبة ونسبة) و(مرية ومرية) من الشك وفاق بين (الفقوة والفقوة) و(الشقة والشقة) للسفر البعيد (والعدوة والعدوة) المكان المرتفع (وعدوة الوادي وعدوته) وفيه (غلظة وغلظة) و(رفقة ورفقة) و(كنية وكنية) وامرأة ذات (كدنة وكدنة) اذا كانت ذات لحم (ومدية ومدية) السكين والعيبة (الاكلة والاكلة) و(حشوة البطن وحشوة) و(منية الناقة ومنيتها) وهي الايام التي يتعرف فيها ألاقح هي أم حائل (وذروة الشئ وذروته) أعلاه (واخوة واخوة) وجدنا آباءنا على (أمة وأمة) أي دين (الجثوة والجثوة) الحجارة المجتمعة (وجذوة من النار وجذوة) و(قنوة المال وقنوة) و(قنية وقنية) ويقال (سروة وسروة) للنصال القصار

﴿فعلة وفعلة بفتح الفاء وسكون العين وضم الفاء وسكون العين﴾ خطوت (خطوة وخطوة) وهي (لحمة الثوب ولحمة) قال ابن الاعرابي لحمة النسب والثوب مفتوحان ولحمة السبع والبازي وكل صائد مضموم عن أبي زيد في لحمة مثل ذلك سواء وهي (كفوة الابل وكفأة) وهي أن تفرق فرقتين فيضرب الفحل احداهما سنة والفرقة الاخرى سنة وهي (البلجة والبلجة)

والبلاغة أن يكون منه والمعول عليه وما ينبغي أن يقاس على هذا قوله تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وربما قيل ان هذه الآية اشتملت على تثنية وجمع وافراد وظن أنها من هذا الباب وليس كذلك لانها مشتملة على خطاب موسى وهرون عليهما السلام أولا في اتخاذ المساجد لقومهما ثم ثنى الخطاب لهما ولقومهما جميعا ثم أفرد موسى عليه السلام ببشارة المؤمنين لانه صاحب الرسالة (الضرب الثاني في مقابلة الشئ بمثله وهو يتفرع الى فرعين أحدهما) مقابلة المفرد بالمفرد والآخر مقابلة الجملة بالجملة (الفرع الاول) كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم وكقوله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وقد روعي هذا الموضع في القرآن الكريم كثيرا فاذا ورد في صدر آية من الآيات ما يحتاج الى جواب كان جوابه مماثلا كقوله تعالى من كفر فعليه كفره وكقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وهذا هو الاحسن والا فلو قيل من كفر فعليه ذنبه كان ذلك جائزا لكن الاحسن هو ما ورد في كتاب الله تعالى وعليه مدار الاستعمال وهذا الحكم يجري في النظم والنثر من الاسجاع والابيات الشعرية فأما ان كان ذلك غير جواب فانه لا يلتزم فيه هذه المراعاة اللفظية ألا ترى أنه قد قوبلت الكلمة بكلمة هي في معناها وان لم تكن مساوية لها في اللفظ وهذا يقع في الالفاظ المترادفة ولهذا يستعمل ذلك في الموضع الذي ترد فيه الكلمة غير جواب (فمما جاء منه) قوله تعالى ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ولو كان لا تورد الكلمة الا مثلها لقيل وهو أعلم بما تعملون وكذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فقال لا تخف بعد قوله ففزع ولما كان هذا في معنى هذا قوبل أحدهما بالآخر ولم يقابل اللفظ بنفسه وكذلك جاء قوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن فذكر الاستهزاء الذي هو في معنى الخوض واللعب وقابل به الخوض واللعب ولو ذكره على حد المماثلة والمساواة لقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تخوضون وتلعبون ﴿فان قيل﴾ انك قد احتججت بالقرآن الكريم فيما ذكرته وها قد ورد في القرآن الكريم ما ينقضه كقوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ولم يقل جزاء سيئة سيئة مثلها ﴿الجواب عن ذلك﴾ أني أقول أردت أن تنقض على ما ذكرته فلم تنقضه ولكنك شيدته والذي ذكرته هو دليل لي لا لك ألا ترى أنه لا فرق بين قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها وبين قوله جزاء سيئة سيئة مثلها اذ المعنى واحد لا يختلف ولو جاء عوضا عن السيئة لفظة أخرى في معناها كالاذى والسوء أو ما يجري مجراهما لصح لك ما ذهبت اليه وقد ذهب بعض المتصدرين في علم البيان أنه اذا ذكرت اللفظة في أول كلام يحتاج الى تمام وان لم يكن جوابا كالذي تقدم فينبغي أن تعاد بعينها في آخره ومتى عدل عن ذلك كان معيبا ثم مثل ذلك بقول أبي تمام وقول أبي الطيب المتنبي فقال ان أبا تمام أخطأ في قوله

بسط الرجاء لنا برغم نوائب ٭ كثرت بهن مصارع الآمال

حيث ذكر الرجاء في صدر البيت فكان ينبغي أن يعيد ذكره أيضا في عجزه أو كان ذكر الآمال في صدر البيت وعجزه وكذلك أخطأ أبو الطيب المتنبي في قوله

اني لاعلم واللبيب خبير ٭ ان الحياة وان حرصت غرور

فانه قال اني لاعلم واللبيب خبير وكان ينبغي أن يقول اني لاعلم واللبيب عليم ليكون ذلك تقابلا صحيحا وهذا الذي ذكره هذا الرجل ليس بشئ بل المعتمد عليه في هذا الباب أنه اذا كانت اللفظة في معنى أختها جاز استعمالها في المقابلة بينهما والدليل على ذلك ما قدمناه من آيات القرآن

وهي (الدلجة والدلجة) ومنهم من يفرق بينهما وقد بينا ذلك وعليه (مهلة الله ومهلته) وجاءت (نبذة ونبذة) أي ناحية (وحوبة الرجل وحوبته) أم الرجل (وسدفة من الليل وسدفة) و(حسوة وحسوة) و(غرفة وغرفة) و(جرعة وجرعة) و(نقبة ونقبة) و(لحسة ولحسة) و(بقعة وبقعة) و(برهة من الدهر وبرهة) و(جهمة من الليل وجهمة) وهي بقية من الليل وفلان ينام (الصبحة والصبحة) وما لي عليه (عرجة ولا عرجة)

﴿فعلة وفعلة بضم الفاء وسكون العين وفتحهما﴾ (فلقة وفلقة) و(قطعة وقطعة) لقطع اليد (وجذمة وجذمة) مثل قطعة (وصلعة وصلعة)

﴿فعلة وفعلة بضم الفاء وسكون العين وضم الفاء وفتح العين﴾ الحرب (خدعة وخدعة) وزاد يونس (وخدعة) وهو العبد (زغة وزغة) و(زلة وزلة) ويقال أيضا زلمة وزغة قال (وفعلة) من صفات المفعول (وفعلة) من صفات الفاعل تقول (رجل هزأة) يهزأ بالناس (وهزءة) يهزؤن منه وكذلك (سخرة وسخرة) و(ضحكة وضحكة) و(لعنة ولعنة) و(سبة وسبة) و(خدعة وخدعة)

﴿فعلة وفعلة بضم الفاء وفتح العين وفتحهما﴾ رجل (أمنة وأمنة) للذي يثق بكل أحد (ودرجة ودرجة)

﴿فعلة وفعلة بفتح الفاء وسكون العين وفتحهما﴾ (لخمة الشاء ولخمة) و(صعرة وصعرة) و(غزوة وغزاة) وهو في عز (ومنعة ومنعة) وهو فصيح (اللهجة واللهجة) وهي (المغرة والمغرة)

و(الودعة والودعة) ﴿فعلة وفعلة بفتح الفاء وكسر العين وكسرها وسكونها﴾ (معدة ومعدة) (وضبنة الرجل

الكريم وكفى به دليلا وهذه الرموز التى هى أسرار الكلام لا يتفطن لاستعمالها الا أحد رجلين اما فقيه فى علم البيان قد مارسه واما مشقوق اللسان فى الفصاحة قد خلق عارفا بلطائفها مستغنيا عن مطالعة صحائفها وهذا لا يكون الا عربى الفطرة يقول ما يقوله طبعا على أنه لا يسدد فى جميع أقواله ما لم تكن معرفته الفطرية ممزوجة بمعرفته العرفية ﴿الفرع الثانى فى مقابلة الجملة بالجملة﴾ اعلم انه اذا كانت الجملة من الكلام مستقبلة قوبلت بمستقبلة وان كانت ماضية قوبلت بماضية وربما قوبلت الماضية بالمستقبلة والمستقبلة بالماضية اذا كانت احداهما فى معنى الاخرى (فمن ذلك) قوله تعالى قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى فان هذا تقابل من جهة المعنى ولو كان التقابل من جهة اللفظ لقال وان اهتديت فانما اهتدى لها وبيان تقابل هذا الكلام من جهة المعنى هو أن النفس كل ما عليها فهو بها أعنى أن كل ما هو وبال عليها او ضار لها فهو بسببها ومنها لانها الامارة بالسوء وكل ما هو لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه اياها وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسند ذلك الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع علو محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (ومن هذا الضرب) قوله تعالى ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا فانه لم يراع التقابل فى قوله ليسكنوا فيه ومبصرا لان القياس يقتضى أن يكون والنهار ليبصروا فيه وانما هو مراعى من جهة المعنى لا من جهة اللفظ وهذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى قوله مبصرا لتبصروا فيه طرق التقلب فى الحاجات ﴿واعلم﴾ أن فى تقابل المعانى بابا عجيب الامر يحتاج الى فضل تأمل وزيادة نظر وهو يختص بالفواصل من الكلام المنثور وبالاعجاز من الابيات الشعرية (فمما جاء من ذلك) قوله تعالى فى ذم المنافقين واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون وقوله تعالى واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون الا ترى كيف فصل الآية الاخرى بيعلمون والآية التى قبلها بيشعرون وانما فعل ذلك لان أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر العلم والمعرفة بذلك وأما النفاق وما فيه من البغى المؤدى الى الفتنة والفساد فى الارض فأمر دنيوى مبنى على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب وما كان فيهم من التحارب والتغاور فهو كالمحسوس عندهم فلذلك قال فيه يشعرون وأيضا فانه لما ذكر السفه فى الآية الاخيرة وهو جهل كان ذكر العلم معه أحسن طباقا فقال لا يعلمون وآيات القرآن جميعها فصلت هكذا كقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير وكقوله له ما فى السموات وما فى الارض وان الله لهو الغنى الحميد وكقوله ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بامره ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحيم فانه انما فصلت الآية الاولى بلطيف خبير لان ذلك فى موضع الرحمة لخلقه بانزال الغيث وغيره وأما الآية الثانية فانما فصلت بغنى حميد لانه قال له ما فى السموات وما فى الارض له لا لحاجة بل هو غنى عنها جواد بها لانه ليس كل غنى نافعا بغناه الا اذا كان جوادا منعما واذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه واستحق عليه الحمد فذكر الحميد ليدل على أنه الغنى النافع بغناه خلقه وأما الآية الثالثة فانها فصلت برؤف رحيم لانه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما فى الارض لهم واجراء الفلك فى البحر بهم وتسييرهم فى ذلك الهول العظيم وخلقه السماء فوقهم وامساكه اياها عن

الوقوع

وضبنة) و (لبنة ولبنة) و (قطنة) للتى تكون مع الكرش و (قطنة) و (كلة وكلة) و (سملة الناس وسفلة)

﴿فعلة وفعلة بفتح الفاء وكسر العين وفتحها او سكونها﴾ هى (الحصبة والحصبة) و (الوسمة والوسمة) التى يختضب بها

﴿فعلة وفعلة بضم الفاء وسكون العين وضمها﴾ (ظلمة وظلمة) و (حلبة وحلبة) وفى هذا (رخصة ورخصة) و (هدنة وهدنة)

﴿فعلة بالواو والياء﴾ هى (الجبوة والجبية) وهى (النقوة والنقية) لكل ما نقيته وما فى بين (الحقية والحقوة) و (قنية وقنوة) للشئ تقتنيه

﴿فعلة بالياء وأصله بالواو﴾ قالوا (ربية) من الربا (وحبية) من الاحتباء وأصلهما (ربوة) و (حبوة)

﴿ما جاء على فعال فيه لغتان﴾

﴿فعال وفعال﴾ (صداق المرأة وصداقها) و (وجار الضبع ووجارها) و (ملاك الامر وملاكه) و (جهاز العروس وجهازها) و (سرار الشهر) وسرر أجود (وفكاك الرهن وفكاك) و (حجاج العين وحجاج) لعظم الحاجب (والمحاص والمخاض) وجع الولادة (الرضاع والرضاع) و (الدجاج والدجاج) وكذلك الواحدة (نم ونمام) عيى و (طاف المكوك وطفاف) وهو مثل جمام المكوك و (الوطاء والوطاء) الفراش اللين وكذلك (الوثار والوثار) و (الوقاء والوقاء) (بغاث الطير وبغاث) و (الوحام والوحام) الشهوة على الحبل وهو (الدواء والدواء) ورجل (خشاش وخشاش) وهو اللطيف الرأس الضرب الجسم جارية بينة (الشطاط والشطاطة والشطاطة) جارية بينة (الجراء والجراء) مصدر جارية ليس بينى وبينه (وجاح ووجاح)

الوقوع حسن أن يفصل ذلك بقوله رؤف رحيم أي ان هذا الفصل فعل رؤف بكم رحيم لكم (واعلم) أيها المتأمل لكتابنا هذا أنه قلما توجد هذه الملاءمة والمناسبة فى كلام ناظم أو ناثر ومن الآيات ما يشكل فاصلته فيحتاج الى فكرة وتأمل كقوله تعالى والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم فانه قد وردت الفاصلة فى غير هذا الموضع بتواب رحيم ويظن الظان أن هذا كذلك ويقول ان التوبة مع الرحمة لا مع الحكمة وليس كما ظن بل الفاصلة بتواب حكيم أولى من تواب رحيم لان الله عز وجل حكم بالتلاعن على الصورة التى أمر بها وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده وذلك حكمة منه ففصلت الآية الواردة فى آخر الآيات بتواب حكيم يجمع فيها بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية وبين الحكمة فى سترها على تلك الصورة وهذا الباب ليس فى علم البيان أكثر منه نفعا ولا أعظم فائدة ومما جاء من هذا الباب قول أبى الطيب المتنبي

وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقد أوخذ على ذلك وقيل لو جعل آخر البيت الاول آخر البيت الثانى وآخر البيت الثانى آخرا للبيت الاول لكان أولى ولذلك حكاية وهى أنه لما استنشده سيف الدولة يوما قصيدته التى أولها * على قدر أهل العزم تأتى العزائم * فلما بلغ الى هذين البيتين قال قد انتقدتهما عليك كما انتقد على امرئ القيس قوله

كأنى لم أركب جوادا للذة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل * لخيلى كرى كرة بعد اجفال

فبيتاك لم يلتئم شطراهما كما لم يلتئم شطرا بيتى امرئ القيس وكان ينبغى لك أن تقول

وقفت وما فى الموت شك لواقف * ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبي ان صح أن الذى استدرك على امرئ القيس هذا هو أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ومولانا يعلم أن الثوب لا يعلمه البزاز كما يعلمه الحائك لان البزاز يعرف جملته والحائك يعرف تفاصيله وانما قرن امرؤ القيس النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة بسباء الخمر للاضياف بالشجاعة فى منازلة الاعداء وكذلك لما ذكرت الموت فى صدر البيت الاول أتبعته بذكر الردى فى آخره ليكون أحسن تلاؤما ولما كان وجه المنهزم الجريح عبوسا وعينه باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم لاجمع بين الاضداد ﴿القسم الثانى فى صحة التقسيم وفساده﴾ ولسنا نريد بذلك ههنا ما تقتضيه القسمة العقلية كما يذهب اليه المتكلمون فان ذلك يقتضى أشياء مستحيلة كقولهم الجواهر لا تخلو اما أن تكون مجتمعة أو مفترقة أو لا مجتمعة ولا مفترقة أو مجتمعة ومفترقة معا أو بعضها مجتمعة وبعضها مفترقة ألا ترى أن هذه القسمة صحيحة من حيث العقل لاستيفاء الاقسام جميعها وان كان من جملتها ما يستحيل وجوده وانما نريد بالتقسيم ههنا ما يقتضيه المعنى مما يمكن وجوده من غير أن يترك منها قسم واحد واذا ذكرت قام كل قسم منها بنفسه ولم يشارك غيره فتارة يكون

و(أباج وإباج) أي سمر وحكى ابن الاعرابى (سداد من عوز وسداد) وهذا (قوامهم وقوامهم) و(الوثاق والوثاق) وأيام (الحصاد والحصاد) و(القطاف والقطاف) و(الجزاز والجزاز) لجذاذ النخل والغنم (والجداد والجداد) و(الصرام والصرام) و(القطاع والقطاع) و(الكناز والكناز) حين يكتنز التمر و(الجرام والجرام) و(الرفاع والرفاع) حين يحصد الزرع فيرفع قال الكسائى سمعت أخواتها بالوجهين الا الرفاع فانى لم أسمعها مكسورة فقر (تمام وتمام) و(ولد تمام وتمام) وليل (تمام) لا غير

﴿فعال وفعال﴾

(سوار المرأة وسوار) وهو حسن (الجوار والجوار) و(حوار الناقة وحوار) و(شواظ من نار وشواظ) و(خوان وخوان) للذى يؤكل عليه (والهيام والهيام) داء يأخذ الابل و(النداء والنداء) و(الهتاف والهتاف) و(رجل شجاع وشجاع) وقوم (شجعان وشجعان) وهو كريم (النجار والنجار) (والنحاس والنحاس) أي الاصل و(الصياح والصياح) و(صوان الثوب وصوان) التخت أو الوعاء الذى يصان فيه (هم رهاق مائة ورهاق مائة) كقولك هم زهاء مائة (وصار البيض فلاقا وفلاقا) أي فلقا (وابل طلاحية وطلاحية) تأكل الطلح ورجل (نباطى ونباطى) منسوب (وأصابه اطام واطام) اذا احتبس بطنه

﴿فعال وفعال﴾

بالثوب (عوار وعوار) و(فواق الناقة وفواقها) ما بين الحلبتين الصقر (قطامى وقطامى) أجاب الله (غواثه وغواثه) من الاستغاثة ولم يأت فى الاصوات الا مضموم مثل (الحداء) و(الدعاء) و(البكاء) غير غواث فانه يفتح ويضم وجاء فى الاصوات مكسورا نحو (النداء)

التقسيم بالصحة اما وتارة بصحة بين كقولنا بين كذا وكذا وتارة منهم كقولنا منهم كذا ومنهم كذا وتارة بأن يذكر العدد المراد أولا بالذكر ثم يقسم كقولنا فانشعب القوم شعبا أربعة فشعبة ذهبت يمينا وشعبة ذهبت شمالا وشعبة وقفت بمكانها وشعبة رجعت الى ورائها (فمما جاء من هذا القسم) قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات وهذه قسمة صحيحة فانه لا يخلو أقسام العباد من هذه الثلاثة فاما عاص ظالم لنفسه واما مطيع مبادر الى الخيرات واما مقتصد بينهما (ومن ذلك) أيضا قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وهذه الآية منطبقة المعنى على الآية التي قبلها فأصحاب المشأمة هم الظالمون لأنفسهم وأصحاب الميمنة هم المقتصدون والسابقون هم السابقون بالخيرات (وعلى نحو من ذلك) جاء قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا فان الناس عند رؤية البرق بين خائف وطامع وليس لنا قسم ثالث ﴿فان قيل﴾ ان استيفاء الاقسام ليس شرطا وترك بعض الاقسام لا يقدح في الكلام وقد ورد في القرآن الكريم كقوله تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون فذكر أصحاب الجنة دون أصحاب النار (فالجواب عن ذلك) أني أقول هذا لا ينقض على ما ذكرته فان استيفاء الاقسام يلزم فيما استبهم الاجمال فيه الا ترى الى قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم فانه حيث قال فمنهم لزم استيفاء الاقسام الثلاثة ولو اقتصر على قسمين منها لم يجز وأما هذه الآية التي هي لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة فانه انما خص أصحاب الجنة بالذكر للعلم بأن أصحاب النار لا فوز لهم ولو خص أصحاب النار بالذكر لعلم أيضا ما لاصحاب الجنة وكذلك كل ما يجري هذا المجرى فانه انما ينظر فيه الى المستبهم وغير المستبهم فاعرفه وكان جماعة من أرباب هذه الصناعة يعجبون بقول بعض الاعراب ويزعمون أن ذلك من أصح التقسيمات وهو قولهم النعم ثلاثة نعمة في حال كونها ونعمة ترجى مستقبلة ونعمة تأتي غير محتسبة فأبقى الله عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما ترتجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه وهذا القول فاسد فان في أقسام النعم التي قسمها نقصا لا بد منه وزيادة لا حاجة اليها فأما النقص فاغفال النعمة الماضية وأما الزيادة فقوله بعد المستقبلة ونعمة تأتي غير محتسبة لان النعمة التي تأتي غير محتسبة داخلة في قسم النعمة المستقبلة وذلك أن النعمة المستقبلة تنقسم قسمين أحدهما يرجى حصوله والآخر لا يحتسب فقوله ونعمة تأتي غير محتسبة يوهم أن هذا القسم غير المستقبل وهو داخل فيه وعلى هذا فكان ينبغي له أن يقول النعم ثلاث نعمة ماضية ونعمة في حال كونها ونعمة تأتي مستقبلة فأحسن الله آثار النعمة الماضية وأبقى عليك النعمة التي أنت فيها ووفر حظك من النعمة التي تستقبلها ألا تراه لو قال ذلك لكان قد طبق به مفصل الصواب وقد استوفى أبو تمام هذا المعنى في قوله

جمعت لنا فرق الاماني منكم * بأبر من روح الحياة وأوصل
فصنيعة في يومها وصنيعة * قد أحولت وصنيعة لم تحول
كالمزن من ماضي الرباب ومقبل * متنظر ومخيم متهلل

(ووقف أعرابي) على مجلس الحسن البصري رضي الله عنه فقال رحم الله عبدا أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو آثر من قلة فقال الحسن البصري ما ترك لأحد عذرا (وقد عاب أبو هلال العسكري على جميل قوله

﴿فعال وفعيل﴾

ورجل (شحاح وشحيح) و (عقام وعقيم) و (صحاح الاديم وصحيح) و (بجال وبجيل) وهو الضخم الجليل ورجل (كهام وكهيم) الذي لا دفع عنده (والجرام والجريم) النوى وهما أيضا التمر اليابس و (ثقال وثقيل)

﴿فعال وفعيل﴾

(طوال وطويل) و (عراض وعريض) و (كبار وكبير) و (خفاف وخفيف) و (عجاب وعجيب) و (جلال وجليل) و (دقاق ودقيق) و (رقاق ورقيق) و (كرام وكريم) و (ملاح ومليح) و (جمال وجميل) و (كثار وكثير) و (قلال وقليل) و (زحير وزحار) و (أنين وأنان) و (نسيل ونسال) ما سقط من الوبر والشعر والريش (وشحيج البغل والغراب وشحاج) و (نهيق الحمار ونهاق) و (صهيل وصهال) و (نبيح ونباح) و (ضغيب وضغاب) لصوت الارنب و (ذنين وذنان) لما يسيل من الانف و (عظيم وعظام) و (جسيم وجسام) و (شجيع وشجاع) وحكى الفراء (صغير وصغار) وحكى أبو زيد عظام و (جسام) و (ضخام) و (طوال) ولم يقل في ضخام (ضخيم) انما هو (ضخم) ولكن الاصل فيه (ضخيم) على بناء أمثاله مثل (عظيم) و (كبير) و (ثقيل) و (بطيء) و (غليظ) فاجازوا فيه (ضخام) على أصل الحرف وقد بينت أمثلة هذه الحروف وأضدادها وروى أبو عبيدة عن المؤرج في الامثال

زو المرار استجهل الفرار قال (الفرر) ولد البقرة الوحشية قال ويقال له (فرير وفرار) مثل (طويل وطوال) وكان غيره يزعم لو

ان(فرارا) جمع فرير قال ولم يأت شيء من الجمع على فعال الا أحرف هذا أحدها (توأم وتؤام) وشاة (ربى وغنم رباب) و(ظئر وظؤار)

لو كان في قلبي كقدر قلامة * حبا وصلتك أو أتتك رسائلي

فقال أبو هلال ان اتيان الرسائل داخل في جملة الوصل وليس الامر كما وقع له فان جميلا انما أراد بقوله وصلتك أي أتيتك زائرا وقاصدا أو كنت واصلتك مراسلة والوصل لا يخرج عن هذين الوصفين اما زيارة واما رسالة (ومن أعجب ما وجدته في هذا الباب) ما ذكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي وهو قول العباس بن الاحنف

وصالكم هجر وحبكم قلا * وعطفكم صد وسلمكم حرب

ثم قال الغانمي هذا والله أصح من تقسيمات اقليدس ويا لله العجب أين التقسيم من هذا البيت هذا والله في واد والتقسيم في واد ألا ترى أنه لم يذكر شيئا تحصره القسمة وانما ذم أحبابه في سوء صنيعهم به فذكر بعض أحواله معهم ولو قال أيضا

وأينكم عنف وقربكم نوى * واعطاؤكم منع وصدقكم كذب

لكان هذا جائزا وكذلك لو زاد بيتا آخر لجاز ولو أنه تقسيم لما احتمل زيادة والاولى أن يضاف هذا البيت الذي ذكره الغانمي الى باب المقابلة فانه أولى به لانه قابل الوصل بالهجر والعطف بالصد والسلم بالحرب (ومن فساد التقسيم) قول البحتري في قصيدته التي مطلعها * ذاك وادي الاراك فاحبس قليلا * فقال

قف مشوقا أو مسعدا أو حزينا * أو معينا أو عاذرا أو عذولا

فان المشوق يكون حزينا والمسعد يكون معينا وكذلك يكون المسعد عاذرا وكثيرا ما يقع للبحتري في مثل ذلك وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي وهو

فافخر فان الناس فيك ثلاثة * مستعظم أو حاسد أو جاهل

فان المستعظم يكون حاسدا والحاسد يكون مستعظما (ومن شرط التقسيم) أن لا تتداخل أقسامه بعضها في بعض ومن هذا الاسلوب ما ورد في أبيات الحماسة وهو

وكنت امرأ اما ائتمنتك خاليا * فخنت واما قلت قولا بلا علم

فأنت من الامر الذي قد أتيته * بمنزلة بين الخيانة والاثم

فان الخيانة من الاثم وهذا تقسيم فاسد ﴿ومما جاء من ذلك نثرا﴾ قول بعضهم في ذكر منهزمين فمن جريح متضرج بدمائه وهارب لا يلتفت الى ورائه فان الجريح قد يكون هاربا والهارب قد يكون جريحا ولو قال فمن بين قتيل ومأسور وناج لصح له التقسيم أو لو قال فمن بين قتيل ومأسور لصح له التقسيم أيضا لعدم الناجي بينهما وقد أحسن البحتري في هذا المعنى حيث قال

غادرتهم أيدي المنية صبحا * بالقنا بين ركع وسجود

فهم فرقتان بين قتيل * قنصت نفسه بحد الحديد

أو أسير غدا له السجن لحدا * فهو حي في حالة الملحود

فرقة للسيوف ينفذ فيها الحكم قصدا وفرقة للقيود

(ومن فساد التقسيم) قول أبي تمام

وموقف بين حكم الذل منقطع * صاليه أو بحبال الموت متصل

فانه جعل صالي هذا الموقف اما ذليلا عنه أو هالكا فيه وههنا قسم ثالث وهو أن لا يكون ذليلا ولا هالكا بل يكون مقدما فيه ناجيا وفي هذا نظر على من ادعى فساد تقسيمه فان أبا تمام قصد التشوق ووصف هذا الموقف فقال ان الناس فيه أحد رجلين اما ذليل عن مورده واما هالك فيه أي انه لا ينجو منه أحد يرده وهذا تقسيم صحيح لا فساد فيه ﴿القسم الثالث في ترتيب التفسير﴾

و(عرق وعراق) و(رخل ورخال) و(فرير وفرار) قال ولا نظير لهذه الاحرف قال أبو عبيدة فاذا أرادوا المبالغة شددوا فقالوا (كرّام) و(كبّار) و(طرّاف) و(عجّاب) فالكرّام أشد كرما من الكرام وقد يجيء من المشدد ما ليس من هذا الباب قالوا (حسان) حسن وقرّاء القارئ و(وضّاء) الوضيء

﴿فعال وفعول﴾

(الثبات والثبوت) و(الذهاب والذهوب) و(الفساد والفسود) و(الصلاح والصلوح) و(قطاع الطير وقطوعها) وهو ان تقطع من بلد الى بلد فاما (قطاع الماء) يعني انقطاعه فمفتوح و(القتام والقتوم) وفرغت من الامر (فراغا وفروغا)

﴿فعال وفعول﴾

هو (الكلاح والكلوح) و(السكات والسكوت) و(الصمات والصموت) ورزحت الناقة (رزوحا ورزاحا) اذا سقطت من الهزال والتعب

﴿فعال وفعول﴾

هو النفار (والنفور) و(الشراد والشرود) و(الشباب) من شب الفرس و(الشبوب) و(الشماس) من شمس و(الشموس) و(الطماح) من طمح و(الطموح)

﴿فعل وفعال﴾ رجل (حل وحلال) و(حرم وحرام)

﴿فعل وفعال﴾ (ريش ورياش) و(لبس ولباس) و(دبغ ودباغ)

﴿ما جاء على فعالة مما فيه لغتان فعالة وفعالة﴾

هي (الرطانة والرطانة) و(الوقية والوقاية) و(الوكالة والوكالة) ودليل بين (الدلالة والدلالة) ومهرت الشيء (مهارة ومهارة) و(الوصاية

والوصابة)و(الجنازة والجنازة)و(الجراية ٢٨٦ والحراية)و(البداوة والبداوة)و(الحضارة والحضارة)و(الولاية من الموالاة

وما يصح من ذلك وما يفسده﴾ اعلم أن صحة الترتيب فى ذلك أن يذكر فى الكلام معان مختلفة فاذا عيد اليها للذكر لتفسر قدم المقدم وأخر المؤخر وهو الاحسن الا أنه قد ورد فى القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ولم يراع فيه تقديم المقدم ولا تأخير المؤخر كقوله تعالى أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب ولو قدم تفسير المقدم فى هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لقيل ان يشأ يسقط عليهم كسفا من السماء أو يخسف بهم الارض وكذلك ورد قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم فقدم المؤخر وأخر المقدم والقسمان قد وردا جميعا فى القرآن الكريم (فمما روعى فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر) قوله تعالى وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ومن ذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وكذلك قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ولتبتغوا من فضله فلما قدم الليل فى الذكر على النهار قدم سبب الليل وهو السكون على سبب النهار وهو التعيش (ومن ذلك) ما كتبته فى كتاب تعزية وهو فصل منه فقلت ولقد أوحشت منه المعالى كما أوحشت المنازل وآمت المكارم كما آمت الحلائل وعمت لوعة خطبه فما تشتكى ثكلى الا الى ثاكل وما أقول فيمن عدمت الارض منه حياها والمحامد محياها فلو نطق الجماد بلسان أو تصور المعنى لعيان لاعربت تلك عن ظما صعيدها وبرزت هذه حاسرة حول فقيدها (ومن ذلك) ما كتبته فى فصل من كتاب الى بعض الاخوان فقلت وما زالت أيادى سيدنا متنوعة فى زيادة جودها وكمالها فهذه متطولة بترقية وردها وهذه آخذة بسنة اغبابها وأحسن ما فى الاولى أنها تأتى متحلية بفواضل الاكثار وفى الثانية أنها تأتى متحلية بفضائل الاختصار فاختصار هذه فى فوائد أقلامها كتطويل تلك فى عوائد انعامها وقد أصبحت خواطرى مستغرقة بانشاء القول المبتكر فى شكر الفضل المطول وجواب البيان المختصر وما جعل الله لها من سلطان البلاغة ما يستقل بأداء حقوق تثقل على الرقاب ومقابلة بلاغات تثقل على الالباب (ومما جاء من ذلك) شعرا قول ابراهيم بن العباس

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا ＊ ويفتر عنها أرضها وسماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤنا ＊ ومن دوننا أن تستباح دماؤها

حمى وقرى فالموت دون مرامها ＊ وأيسر خطب يوم حق فناؤها

وهذه الابيات من نادر ما يجىء فى هذا الباب معنى وترتيب تفسير ومما جاء منه أيضا قول أبى تمام

وما هو الا الوحى أو حد مرهف ＊ تميل ظباه أخدعى كل مائل

فهذا دواء الداء من كل عالم ＊ وهذا دواء الداء من كل جاهل

وكذلك قوله أيضا

وكان لهم غيثا وعلما لمعدم ＊ فيسأله أو باحث فيسائله

وهذا من بديع ما يأتى فى هذا الباب ومما ورد منه قول على بن جبلة

فتى وقف الايام بالسخط والرضا ＊ على بذل عرف أو على حد منصل

ومن الحسن فى هذا الباب قول أبى نواس

ولولاية) و (الوزارة والوزارة) والكسر أجود و (الرضاعة والرضاعة) و (الدلالة والدلالة) بصدر دليل ويقال أيضا الدلولة وقد نوت الناقة تنوى (نواية ونواية) اذا سمنت و (الجداية والجداية) الرشاء

﴿فعالة وفعالة﴾

(بشارة وبشارة) قال الاصمعى الكسر وحده لا غير وروى الكسائى (الزيارة والزوارة) و (دواية اللبن ودوايته) الجلدة الرقيقة التى تعلوه وهى (الخفارة والخفارة) و (الفتاحة والفتاحة) وهى الحاكمة

﴿فعالة وفعالة﴾ فى صونه (رفاعة ورفاعة) أى علو وعليه (طلاوة من الحسن وطلاوة)

﴿فعالة وفعولة﴾ (فسل فسالة وفسولة) و (رذل رذالة ورذولة) وفارس بين (الفراسة والفروسية) ولحية كثة بينة (الكثاثة والكثوثة) وجلد بين (الجلادة والجلودة) ووحف بين (الوحافة والوحوفة) اذا كان كثيرا وشعر جثل بين (الجثالة والجثولة) ووقاح بين (الوقاحة والوقوحة)

﴿ما جاء على مفعل فيه لغتان مفعل ومفعل﴾

(مسح الثوب حيث ينسج ومنسج) و (مغسل الموتى حيث يغسلون ومغسل) و (مقبض السيف ومقبضه) و (مضربه ومضربه) و (المنسك والمنسك) و (المسكن والمسكن) ومفرق الطريق و (مفرقه) وكذلك (مفرق الرأس) و (مطلع ومطلع) و (محشر ومحشر) و (منبت ومنبت) و (مدب السيل ومدب) وهو (محل أجر ومحل أجر) ﴿كل ما كان على فعل يفعل فالاسم

يرجو

يرجو ويخشى حالتيك الورى * كأنك الجنة والنار

وكذلك ورد قول بعض المتأخرين وهو القاضي الارجاني

يوم المتيم فيك حول كامل * يتعاقب الفصلان فيه اذا أتى
ما بين حر جوى وماء مدامع * ان حن صاف وان بكى وجدا شتا

ومما أخذ على الفرزدق في هذا الباب قوله

لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم أو حاملا ثقل مغرم
لألفيت منهم معطيا أو مطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

لانه أصاب في التفسير وأخطأ في الترتيب وذلك أنه أتى بتفسير ما هو أول في البيت الاول ثانيا في البيت الثاني والاولى أن كان أتى بتفسير ذلك مرتبا فقسر ما هو أول في البيت الاول بما هو ثان في البيت الثاني واعلم أن الناظم لا ينكر عليه مثل هذا ما ينكر على الناثر لان الناظم يضطره الوزن والقافية الى ترك الاولى (وأما فساد التفسير) فانه أقبح من فساد ترتيبه وذلك أن يؤتى بكلام ثم يفسر بتفسير لا يناسبه وهو عيب لا تسامح فيه بحال وذلك كقول بعضهم

فيا أيها الحيران في ظلمة الدجى * ومن خاف أن يلقاه بغي من العدا
تعال اليه تلق من نور وجهه * ضياء ومن كفيه بحرا من الندى

وكان يجب لهذا الشاعر أن يقول بازاء بغي العدا ما يناسبه من النصرة والاعانة أو ما يجري مجراهما ليكون ذلك تفسيرا له كما جعل بازاء الظلمة الضياء وفسرها به فاما ان جعل بازاء ما يتخوف منه بحرا من الندى فان ذلك غير لائق ﴿النوع الخامس والعشرون في الاقتصاد والتفريط والافراط﴾ اعلم أن هذه المعاني الثلاثة من الاقتصاد والتفريط والافراط توجد في كل شيء من علم وصناعة وخلق ولا بد لنا من ذكر حقيقتها في أصل اللغة حتى يتبين نقلها الى هذا النوع من الكلام فاما الاقتصاد في الشيء فهو من القصد الذي هو الوقوف على الوسط الذي لا يميل الى أحد الطرفين قال الله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فظلم النفس والسبق بالخيرات طرفان والاقتصاد وسط بينهما وقال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالاسراف والاقتار طرفان والقوام وسط بينهما وقال الشاعر

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق يأتي دونه الخلق

وأما التفريط فهو التقصير والتضييع ولهذا قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء أي ما أهملنا ولا ضيعنا وأما الافراط فهو الاسراف وتجاوز الحد يقال أفرط في الشيء اذا أسرف وتجاوز الحد والتفريط والافراط هما الطرفان البعيدان والاقتصاد هو الوسط المعتدل وقد نقلت هذه المعاني الثلاثة الى هذا النوع من علم البيان وأما الاقتصاد فهو أن يكون المعنى المضمر في العبارة على حسب ما يقتضيه المعبر عنه في منزلته وأما التفريط والافراط فهما ضدان أحدهما أن يكون المعنى المضمر في العبارة دون ما تقتضيه منزلة المعبر عنه والآخر أن يكون المعنى فوق منزلته والتفريط في ايراد المعاني الخطابية قبيح لا يجوز استعماله بوجه من الوجوه والافراط يجوز استعماله فمنه الحسن ومنه دون ذلك فما جاء من التفريط قول الاعشى

وما مزبد من خليج الفرا * ت جون غواربه تلتطم
بأجود منه بماعونه * اذا ما سماؤهم لم تغم

فانه مدح ملكا بالجود بماعونه والماعون كل ما يستعار من قدوم أو قصعة أو قدر أو ما أشبه ذلك وليس للملوك في مثله مدح ولا لأوساط الناس أيضا وفي مدح السوقة به قولان نوع مدح

منه مكسور والمصدر مفتوح﴾ قال الله جل ثناؤه (أين المفر) فمن قرأه بالفتح أراد أين الفرار وان أراد المكان الذي يفر اليه قال المفر بالكسر وتقول هذا (مضرب فلان) تريد الموضع الذي ضرب اليه وبلغه فان أردت المصدر قلت ان في ألف درهم لمضربا أي ضربا قال الله جل ثناؤه وجعلنا النهار (معاشا) يريد عيشا وهو مصدر (وقد جاء بعض المصادر على مفعل) والاول أكثر وأقيس قال جل ثناؤه الى الله (مرجعكم) أي رجوعكم وقال عز وجل يسألونك عن (المحيض) أي الحيض (فاذا كان يفعل مفتوح العين فالموضع والمصدر مفتوحان) نحو (المذهب) و (المشرب) وربما كسروا العين في مفعل اذا أرادوا الاسم وليس بالكثير قالوا (المكبر) وهو شاذ وكذلك (المحمدة) فاذا كان يفعل مضموم العين فالاسم والمصدر مفتوحان (مثل المدخل) و (المخرج) و (المطلب) الا أحرفا كسرت مثل (المسجد) و (المطلع) و (المغرب) و (المشرق) و (المسقط) و (المفرق) و (المجزر) و (المنسك) من نسك ينسك جعلوا الكسر علامة الاسم وربما فتحه بعض العرب في الاسم ولزموا القياس فقد روي (مسكن ومسكن) و (مسجد ومسجد) وقال بعضهم (المسجد موضع السجود والمسجد اسم البيت) وقالوا (مطلع ومطلع) وقال الفتح في هذه الاحرف التي كسرت جائز وان لم نسمع في بعضها ﴿وما كان من ذوات الياء والواو﴾ مثل (مغزى من غزوت) و (مرمى من رميت) فمفعل مفتوح اسما كان أو مصدرا الا (مأقي العين) و (مأوي الابل) فان العرب قد تكسر هذين الحرفين وهما نادران ﴿وما كان فاء الفعل منه واوا﴾ مثل و (عد) و (ورد) و (وضع) فان مفعلا منه مكسور اسما كان

الملوك به عيب وذم فاحش وهذا من أقبح التفريط ومما يجرى هذا المجرى قول الفرزدق

ألا ليتنا كنا بعيرين لا نرد * على حاضر الا نشل ونقذف

كلانا به عر يخاف قرافه * على الناس مطلى المشاعر أخشف

هذا رجل ذهب عقله حين نظم هذين البيتين فان مراده منهما التغزل بمحبوبه وقد قصر همته على أن يكون هو ومحبوبه كبعيرين أجربين لا يقربهما أحد ولا يقربان أحدا الا طردهما وهذا من الامانى السخيفة وله فى غير هذه الامنية مندوحات كثيرة وما أشبه هذا بقول القائل

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللاقداح أولا للكؤس

واذا حكمت لنا بعين مراقب * فى الدهر فلتك من عيون النرجس

فانظر كم بين هاتين الامنيتين (ومما أخذ على أبى نواس) فى قصيدته الميمية الموصوفة التى مدح بها الامين محمد بن الرشيد وهو قوله

أصبحت يا ابن زبيدة ابنة جعفر * أملا لعقد حباله استحكام

فان ذكر أم الخليفة فى مثل هذا الموضع قبيح وكذلك قوله فى موضع آخر

وليس كجدتيه أم موسى * اذا نسبت ولا كالخيزران

وهذا النوع من الحديث لا فائدة فيه فان شرف الانساب انما هو الى الرجال لا الى النساء وياليت شعرى أما سمع أبو نواس قول قتيلة بنت النضر فى النبى صلى الله عليه وسلم

أمحمد ولانت نجل كريمة * من قومها والفحل فحل معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق

فانها ذكرت الام بغير اسم الام وأبرزت هذا الكلام فى هذا اللباس الانيق وكذلك فليكن المادح اذا مدح وأبو نواس مع لطافة طبعه وذكائه وما كان يوصف به من الفطنة قد ذهب عليه مثل هذا الموضع مع ظهوره وليس لقائل أن يعترض على ما ذكرته بقوله تعالى حكاية عن موسى وأخيه هرون عليهما السلام قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى فان الفرق بين الموضعين ظاهر لان المنكر على أبى نواس انما هو التلفظ باسم الام وهى زبيدة وكذلك اسم الجدة وهى الخيزران وليس كذلك ما ورد فى الآية ﴿فان قيل﴾ فقد ورد فى القرآن الكريم ما يسوغ لابى نواس مقالته وهو قوله تعالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فناداه باسم أمه قلت الجواب عن ذلك من وجهين أحدهما أن عيسى عليه السلام لم يكن له أب ينودى باسم أمه ضرورة اذ لو كان له أب لنودى باسم أبيه الوجه الآخر أن هذا النداء انما هو من الاعلى الى الادنى اذ الله سبحانه وتعالى هو الرب وعيسى عليه السلام عبده وهذا لا يكون تفريطا لانه لم يعبر عنه بما هو دون منزلته على أن أبا نواس لم يوقعه فى هذه العثرة الا ما سمعه من جرير فى مدح عمر بن عبد العزيز كقوله

وتبنى المجد يا عمر بن ليلى * وتكفى الممحل السنة الجمادا

وكذلك قال فيه كثير عزة أيضا وليس العيب من هذا بخاف فان العرب قد كان يعير بعضها بعضا بنسبته الى أمه دون أبيه ألا ترى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يقال له ابن حنتمة وانما كان يقول ذلك من يغض منه وأما قول النبى صلى الله عليه وسلم للزبير بن صفية بشر قاتل ابن صفية بالنار فان صفية كانت عمة النبى صلى الله عليه وسلم وانما نسبه اليها رفعا لقدره فى قرب نسبه منه وأنه ابن عمته وليس هذا كالاول فى الغض من عمر رضى الله عنه فى نسبه الى أمه (وقد عاب بعض من يتهم نفسه بالمعرفة) قول أبى نواس فى قصيدته السينية التى أولها

أو مصدر نحو (الموعد) و(المورد) ٢٨٨ و(الموضع) و(الموقع) الا أحرفا جاءت نادرة قال أكثرهم موجل وقال بعضهم موحل قال الهذلى فأصبح العين ركودا على الأوشاز أن يرسخن فى الموحل يروى (الموحل والموحل) جميعا قال و(مورق) و(موهب) و(موكل) اسم رجل أو مكان و(موحد) معدول عن واحد يقال دخل القوم (موحد موحد) كما يقال أحاد أحاد

﴿مفعل ومفعل﴾ (مصحف ومصحف) و(مغزل ومغزل) و(مخدع ومخدع) و(مطرف ومطرف) و(مجسد ومجسد) قال بعضهم المجسد ما صبغ بالجساد فأجيد وأشبع صبغه والجساد الزعفران والمجسد الذى يلى الجسد من الثياب قال الفراء المجسد والمجسد واحد وهو من اجسد أى ألصق بالجسد فكسر أوله بعضهم استثقالا للضم وكذلك قالوا مصحف وهو مأخوذ من أصحف أى جمعت فيه الصحف فكسر أوله بعضهم استثقالا للضم وأصله الضم ومطرف من أطرف أى جعل فى طرفيه العلمان ومغزل أدير وفتل قال فمن ضم الحرف من هذه جاء به على أصله ومن كسره فلاستثقاله الضمة

﴿مفعل ومفعل﴾ قالوا (معصر ومعصر) بكسر الميم لا يعرف غيره

﴿مفعل ومفعل﴾ قالوا (منتن ومنتن) بكسر الميم لا يعرف غيره فمن أخذه من أنتن قال منتن ومن أخذه من نتن قال منتن

﴿مفعل ومفعل﴾ قالوا (مدق ومدق) لا يعرف غيره فمن قال مدق جعله مثل مسعط ومدهن ومن قال مدق جعله مثل محلب

﴿مفعل ومفعل﴾ (ما جاوز بنات الثلاثة) فلك فيه وجهان (مخرج صدق) (ومدخل صدق) ان جعلته من أخرج وأدخل وان جعلته من دخل

نبهندعك قدنمس * فقال من جلتها ورث الخلافة خامسا * وبخير سادسهم سدس

قال وفي ذكر السادس نظر ويا عجباه مع معرفته بالشعر كيف ذهب عليه هذا الموضع أما قرأ سورة الكهف يريد قوله تعالى ويقولون خمسة سادسهم كلبهم وهذا ليس بشيء لانه قد ورد في القرآن الكريم ماينقضه وهو قوله تعالى ألم تر أن الله يعلم مافي السموات ومافي الارض مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم (ومما عبته على البحتري) قوله في مدح الفتح بن خاقان في قصيدته المشهورة عند لقائه الاسد التي مطلعها * أجدك مايتفك يسري لزينبا

فقال

شهدت لقد أنصفته حين تبتري * له مصلتا عضبا من البيض مقضبا

فلم أر ضرغامين أصدق منكما * عراكا اذا الهيابة النكس كذبا

قوله اذا الهيابة النكس تفريط في المدح بل كان الاولى أن يقول اذا البطل كذب والا فأي مدح في اقدام المقدم في الموضع الذي يفر منه الجبان والا كما قال أبو تمام

فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى * مفرا غداة المازق ارتاد مصرعا

وعلى أسلوب البحتري ورد قول بعضهم من شعراء الحماسة

واني لقوال لعافي مرحبا * وللطالب المعروف انك واجده

واني لمن أبسط الكف بالندى * اذا شنجت كف البخيل وساعده

وهذا معيب من جهة أنه لا فضل في بسط يده عند قبض يد البخيل وانما الفضيلة في بسطها عند قبض الكرام أيديهم ومن هذا الباب قول أبي تمام

يقظ وهو أكثر الناس اغضا * على نائل له مسروق

فانه أراد أن يمدح فذم ومما هو أقبح من ذلك قوله أيضا

يتقي الحرب منه حين تغلى * مراجلها بشيطان رجيم

وقد استعمل هذا في شعره حتى أفحش كقوله

أنت دلو وذو السماح أبو مو * سى قليب وأنت دلو القليب

ومراده من ذلك أنه جعله سببا لعطاء المشار اليه كما أن الدلو سبب في امتياح الماء من القليب ولم يبلغ هذا المعنى من الاغراب الى حد يتدندن أبو تمام حوله هذه الدندنة ويلقيه في هذا المثل السخيف على أنه لم يقنع بهذه السقطة القبيحة في شعره بل أوردها في مواضع أخرى منه فمن ذلك

قوله

مازال يهذي بالمكارم والعلا * حتى ظننا أنه محموم

فانه أراد أن يبالغ في ذكر الممدوح باللهج بالمكارم والعلا فقال مازال يهذي وما أعلم ما كانت حاله عند نظم هذا البيت وعلى نحو منه جاء قول بعض المتأخرين

ويطفه عند المكارم هزة * كما انتفض المحموم من أم ملدم

وهذا وأمثاله لا يجوز استعماله وان كان المعنى المقصود به حسنا وكم ممن يتأول معنى كريما فاساء في التعبير عنه حتى صار مذموما كهذا وأمثاله ومن أحسن ماقيل في مثل هذا الموضع قول ابن

الرومي

ذهب الذين تهزهم مداحهم * هز الكماة عوالي المران

كانوا اذا امتدحوا رأوا مافيهم * فالاريحية منهم بمكان

ومن شاء أن يمدح فليمدح هكذا والا فليسكت (ووجدت) أبا بكر محمد بن يحيى المعروف بالصولي قد عاب على حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن في الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

وقال انه جمع الجفنات والاسياف جمع قلة وهو في مقام فخر وهذا مما يحط من المعنى ويضع منه

وخرج قلت (مدخل ومخرج) وكذلك (ممسى ومصبح) و(ممسى ومصبح) وباسم الله (مجراها ومرساها) و(مجراها ومرساها) وقد قرئ بهما جميعا

﴿مفعل ومفعل﴾ الكسائي (المشعر الحرام) و(المشعر الحرام) وأكثر العرب على كسرها ولا يقرأ بذلك ولا يعرف غير هذا الحرف وأكثر ماجاء مما يستعمل مكسور الميم نحو (مقطع) و(مبضع) و(مخرز) و(محلب) للقدح الذي يحلب فيه فان جعلت شيأ من هذا المكان أفتحت الميم (فالمقطع) الموضع الذي يقطع فيه و(المقطع) الشيء الذي يقطع به و(المقص) الموضع الذي يقص فيه و(المقص) المقراض و(المفتح) الموضع الذي يفتح فيه و(المفتح) المفتاح وكذلك ان جعلت شيأ من هذا مصدرا فهو مفتوح

﴿مفعل ومفعل﴾ قالوا (منخل ومنخل) و(منصل ومنصل) للسيف وهذا مما يستعمل وأوله مضموم ومما ضم من هذا الفن أوله (مسعط) و(مدهن) و(مكحلة) لا يقال فيه غير ذلك

﴿مفعل وفعال﴾ قالوا (مسن وسنان) و(مسرد وسراد) وهو الاشفى و(معطف وعطاف) و(ملحف ولحاف) و(مقرم وقرام) و(منطق ونطاق)

﴿مفعل ومفعال﴾ (مفتح ومفتاح) وأصله مفتح وكذلك (مضراب ومقراض) و(مصبح ومصباح) و(منسج ومنساج) و(مقول ومقوال)

﴿ماجاء على مفعلة فيه لغتان مفعلة ومفعلة﴾

أرض (مهلكة ومهلكة) و(مضلة ومضلة) وهو علق (مضنة ومضنة) و(متبة ومتبة) ولا تأتوا بدار (معجزة ومعجزة) أي تعجز عن طلب رزق أخذتني منه (مذمة ومذمة) وهي (مضربة السيف ومضربته)

﴿مفعلة ومفعلة﴾ عبد (مملكة ومملكة) اذا ملك ولم يملك أبواه و(مأكلة ومأكلة) و(مأربة ومأربة) الحاجة و(المأدبة والمأدبة)

الطعام يدعى اليه و(مصنعة البناء ومصنعة) و(محرمة ومحرمة) و(مزبلة ومزبلة) و(مقبرة ومقبرة) و(مخرأة ومخرؤة) و(مخبرة ومخبرة) و(مأثرة ومأثرة) و(معركة ومعركة) و(ميسرة وميسرة) و(مفخرة ومفخرة) و(مزرعة ومزرعة) و(مبطخة ومبطخة) و(مشربة ومشربة) وهي كالصفة بين يدي الغرفة و(مقنأة ومقنؤة) المكان الذي لا تطلع عليه الشمس وما بينهم (مقربة ولا مقربة) أي قرابة

﴿مفعلة ومفعلة﴾ (المباة والمباة) المنطع و(مثناة ومثناة) الحبل الفراء يقال (مرقاة ومرقاة) والفتح أكثر وكذلك (مسقاة ومسقاة) من جعلها آلة تستعمل كسر مثل (مغرفة ومقدحة ومصدغة) ومن جعلها موضعا للارتقاء والسقي نصب

﴿مفعلة ومفعلة﴾ أغنيت عنك (مغناة فلان ومغناته) وأجزأت عنك (مجزأة فلان ومجزأته)

﴿ما جاء على فعال وفيه لغتان فعال وفعال﴾

(دخال فلان ودخاله) أي خاصته ورجل (قعدد وقعدد) اذا كان قريب الآباء الى الجد الأكبر (جؤذر وجؤذر) و(قنفذ وقنفذ) و(عنصل وعنصل) للبصل البري (والعنصر والعنصر) الأصل و(البرقع والبرقع) و(طحلب وطحلب)

﴿فعال وفعال﴾ (جنجن وجنجن) لواحد الجناجن وهي عظام الصدر وبعضه (الأثأب والأثأب) و(الكثكث والكثكث) أي التراب (ومما جاء بالهاء) ناقة (جمازة وجمزة) والمال بيننا شق (الأبلة والأبلة) وقد روى الأبلة وهي الخوصة

فهل

وقد ذهب الى هذا غيره أيضا وليس بشيء لأن الغرض انما هو الجمع فسواء أكان جمع قلة أم جمع كثرة ويدل على ذلك قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم أفترى نعم الله كانت قليلة على ابراهيم صلوات الله عليه وكذلك ورد قوله عز وجل في سورة النمل وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فقال واستيقنتها أنفسهم فجمع النفس جمع قلة وما كان قوم فرعون بالقليل حتى تجمع نفوسهم جمع قلة بل كانوا مئين ألوفا وهذا أيضا مما يبطل قول الصولي وغيره في مثل هذا الموضع وكذلك ورد قوله عز وجل الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها والنفوس المتوفاة والنائمة لا ينتهى الى كثرتها كثرة لأنها نفوس كل من في العالم (واعلم) أن للمدح ألفاظا تخصه وللذم ألفاظا تخصه وقد تعمق قوم في ذلك حتى قالوا من الأدب أن لا تخاطب الملوك ومن يقاربهم بكاف الخطاب وهذا غلط بارد فان الله الذي هو ملك الملوك قد خوطب بالكاف في أول كتابه العزيز فقيل اياك نعبد واياك نستعين وقد ورد أمثال هذا في مواضع من القرآن غير محصورة الا أني قد راجعت نظري في ذلك فرأيت الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم والعوائد لا حكم لها ولا شك أن العادة أوجبت للناس مثل هذا التعمق في ترك الخطاب بالكاف لكني تأملت أدب الشعراء والكتاب في هذا الموضع فوجدت الخطاب لا يعاب في الشعر ويعاب في الكتابة اذا كان المخاطب دون المخاطب درجة وأما ان كان فوقه فلا عيب في خطابه اياه بالكاف لانه ليس من التفريط في شيء فن خطاب الكاف قول النابغة

وانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

(وكذلك قوله أيضا)

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للمرء مذهب

وعليه جاء قول بعض المتأخرين أيضا فقال أبو نواس

اليك أبا المنصور عذبت ناقتي * زيارة خل واقتضاء كريم

لأعلم ما يأتي وان كنت عالما * بأنك مهما تأت غير ملوم

وكذلك ورد قول السلامي

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصار المطايا أن يلوح له القصر

وبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

وعليه ورد قول البحتري

ولقد أتيتك طالبا فبسطت من * أملي وأطلب جود كفك مطلبي

وجل خطاب الشعراء للممدوحين انما هو بالكاف وذلك محظور على الكتاب فانه ليس من الأدب عندهم أن يخاطب الأدنى الأعلى بالكاف وانما يخاطبه مخاطبة الغائب لا مخاطبة الحاضر على أن هذا الباب بجملته يوكل النظر فيه الى فطانة الخطيب والشاعر وليس مما يوقف فيه على المسموع خاصة (ومن ألطف ما وجدته) أنك اذا خاطبت الممدوح أن تترك الخطاب بالأمر بأن تقول افعل كذا وكذا وتخرجه مخرج الاستفهام وهذا الأسلوب حسن جدا وعليه مسحة من جمال بل عليه الجمال كله (فمما جاء منه) قول البحتري في قصيدة أولها

* بودي لو يهوى العذول ويعشق * فقل منها

فهل أنت يا ابن الراشدين مختمي * بياقوتة تبهى علي وتشرق

وهذا من الادب الحسن في خطاب الخليفة فانه لم يخاطبه بأن قل ختمي بياقوتة على سبيل الامر بل خاطبه على سبيل الاستفهام وقد أعجبني هذا المذهب وحسن عندي وقد حذا حذو البحتري شاعر من شعراء عصرنا فقال في مدح الخليفة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد من قصيدة له على قافية الدال فقال من أبيات يصف بها قصيدة

أمقبولة يا ابن الخلائف من فتى * لديك بوصفي غادة الشعر رودة

فقوله أمقبولة من الادب الحسن الذي نسج فيه على منوال البحتري وهذا باب مفرد وهو باب الاستفهام في الخطاب واذا كان الشاعر فطنا عالما بما يضعه من الالفاظ والمعاني تصرف في هذا الباب بضروب التصرفات واستخرج من ذات نفسه شيأ لم يسبقه اليه أحد (واعلم) أن من المعاني ما يعبر عنه بالفاظ متعددة ويكون المعنى المندرج تحتها واحدا فمن تلك الالفاظ ما يليق استعماله بالمدح ومنها ما يليق استعماله بالذم ولو كان هذا الامر يرجع الى المعنى فقط لكانت جميع الالفاظ الدالة عليه سواء في الاستعمال وانما يرجع في ذلك الى العرف دون الاصل ولنضرب له مثالا فنقول هل يجوز أن يخاطب الملك فيقال له وحق دماغك قياسا على وحق رأسك وهذا يرجع الى أدب النفس دون أدب الدرس فاذا أراد مؤلف الكلام أن يمدح ذكر الرأس والهامة والكاهل وما جرى هذا المجرى فاذا أراد أن يذم ذكر الدماغ والقفا والقذال وما جرى هذا المجرى وان كانت معاني الجميع متقاربة ومن أجل ذلك حسنت الكناية في الموضع الذي يقبح فيه التصريح (ومن أحسن ما بلغني) من أدب النفس في الخطاب أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل قباث بن أشيم فقال له أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أقدم منه في الميلاد فانظر الى أدب هذا العربي الذي من شأنه وشأن أمثاله جفاء الاخلاق والبعد عن فطانة الآداب (وأما الافراط) فقد ذمه قوم من أهل هذه الصناعة وحمده آخرون والمذهب عندي استعماله فان أحسن الشعر أكذبه بل أصدقه أكذبه لكنه تتفاوت درجاته فمنه المستحسن الذي عليه مدار الاستعمال ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى لانه مهما ذكر به من المعاملات في صفاته فانه دون ما يستحقه ومما ورد من ذلك في الشعر قول عنترة

وأنا المنية في المواطن كلها * والطعن مني سابق الآجال

وقد يروى بالياء وكلا المعنيين حسن الا أن الياء أكثر غلوا ومما جاء على نحو من ذلك قول بشار

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

ومنه ما يستهجن كقول النابغة الذبياني

اذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها * ومن يتعلق حيث علق يفرق

وهذا يصف طول قامتها لكنه من الاوصاف المنكرة التي خرجت بها المغالاة عن حيز الاستحسان وكذلك ورد قول أبي نواس

وأخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التي لم تخلق

وهذا أشد افراطا من قول النابغة ويروى أن العتابي لقي أبا نواس فقال له أما استحييت الله حيث تقول وأنشده البيت فقال له وأنت ما راقبت الله حيث قلت

ما زلت في غمرات الموت مطرحا * يضيق عني وسيع الرأي من حيلي

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لي * حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

فقال له العتابي قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل قولك ولكنك قد أعددت لكل ناصح جوابا

﴿فعلال وفعلول﴾ (شمراخ وشمروخ) و(عشكال وعشكول) و(انكال وأنكول) مثله و(عنقاد وعنقود) و(جذمار وجذمور) وهي قطعة تبقى من السعفة اذا قطعت و(تفراق وتفروق) و(مملاق ومملوق) ﴿أفعل وفعل﴾ (أشعث وشعث) و(أجرب وجرب) و(أخشن وخشن) و(أحمق وحمق) و(أقعس وقعس) و(أكدر وكدر) و(أعمى وعم) و(انكد ونكد) و(أوجل ووجل) قال الشاعر

لعمرك ما أدري واني لاوجل
على أينا تعدو المنية أول

و(أوجر ووجر) و(أشنع وشنع) قال أبو ذؤيب * واليوم يوم أشنع * و(شنيع) أيضا و(أرمد ورمد) ﴿فعيل وفاعل﴾ (ضريب قداح وضارب) و(صريم وصارم) و(عريف وعارف) وأنشد * بعثوا الى عريفهم يتوسم * أي عارفهم و(سميع وسامع) و(عليم وعالم) و(قدير وقادر) و(حفيظ وحافظ) و(غريق وغارق) قال أبو النجم * من بين مقتول وطاف غارق * أي غريق ﴿فعل وفعيل﴾ (جدب وجديب) و(شخت وشخيت) و(سمج وسميج) قال أبو ذؤيب

فان تصرمي حبلي وان تتبدلي
خليلا ومنهم صالح وسميج

﴿فعل وفعيل﴾ (أنق وأنيق) و(بهج وبهيج) ولسان (ذلق وذليق) و(طرف في النسب وطريف) و(حزن وحزين) و(كد وكديد) ﴿فعول وفعيل﴾ سمعت (قرونه وقرينه) أي نفسه و(الحصور والحصير) الذي لا يشرب مع القوم من بخله وأثمان (وديق وودوق) وهو الكذاب (الاثيم والاثوم) و(العنيت والعتوت) وهو (نجي العين) و(نجوء العين) ﴿فاعل وفاعل﴾ (تابل القدر وتابل) و(رامك ورامك) لضرب من الطيب

وقد أراد أبو نواس هذا المعنى في قالب آخر فقال

كذت منادمة الدماء سيوفه * فلقلما تحتازها الاجفان

حتى الذى فى الرحم لم يك صورة * لفؤاده من خوفه خفقان

ومايجرى فى هذا الباب مايجرى هذا المجرى وقد استعمل أبو الطيب المتنبي هذا القسم فى شعره كثيرا فاحسن فى مواضع منه فن ذلك قوله

عجاجا تعثر العقبان فيه * كأن الجو وعث أو خبار

ثم أعاد هذا المعنى فى موضع آخر فقال

عقدت سنابكها عليها عثيرا * لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا

وهذا أكثر مغالاة من الاول ومن ذلك قوله أيضا

كأنما تتلقاهم لتسلكهم * فالطعن يفتح فى الاجواف مايسع

وعلى هذا ورد قول قيس بن الخطيم

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها * يرى قائم من دونها ماوراءها

لكن أبو الطيب أكثر غلوا فى هذا المعنى وقيس بن الخطيم أحسن لانه قريب من الممكن فان الطعنة تنفذ حتى يتبين فيها الضوء واما أن يجعل المطعون مسالك يسلك كما قال أبو الطيب فان ذلك مستحيل ولا يقال فيه بعيد ﴿وأما الاقتصاد﴾ فهو وسط بين المنزلتين والامثلة به كثيرة لاتحصى اذ كل ماخرج عن الطرفين من الافراط والتفريط فهو اقتصاد ومن أحسنه أن يجعل الافراط مثلا ثم يستثنى فيه بلو أو بكاد وماجرى مجراهما فن ذلك قوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم وكذلك قوله عز وجل وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا وقد ورد هذا فى القرآن الكريم كثيرا ومما ورد منه شعرا قول الفرزدق

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم

وكذلك ورد قول البحترى

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

وهذا هو المذهب المتوسط ﴿النوع السادس والعشرون فى الاشتقاق﴾ اعلم أن جماعة علماء البيان يفصلون الاشتقاق عن التجنيس وليس الامر كذلك بل التجنيس أمر عام لهذين النوعين من الكلام وذلك أن التجنيس فى أصل الوضع من قولهم جانس الشئ الشئ اذا ماثله وشابهه ولما كانت الحال كذلك ووجدنا من الالفاظ مايتماثل ويتشابه فى صيغته وبنائه علمنا أن ذلك يطلق عليه اسم التجنيس وكذلك لما وجدنا من المعانى مايتماثل ويتشابه علمنا أن ذلك يطلق عليه اسم التجنيس أيضا فالتجنيس اذن ينقسم قسمين أحدهما تجنيس فى اللفظ والآخر تجنيس فى المعنى فأما الذى يتعلق باللفظ فانه لم ينقل عن بابه ولا غير اسمه وقد تقدم ذكره فى باب الصناعة اللفظية وأما الذى يتعلق بالمعنى فانه نقل عن بابه فى التجنيس وسمى الاشتقاق أى أحد المعنيين مشتق من الآخر (وهو على ضربين) صغير وكبير فالصغير أن تأخذ أصلا من الاصول فتجمع بين معانيه وان اختلفت صيغه ومبانيه كتركيب س ل م فانك تأخذ منه معنى السلامة فى تصرفه نحو سلم وسالم وسلمان وسلمى والسليم اللديغ أطلق عليه ذلك تفاؤلا بالسلامة والاصل فى ذلك أن يضع واضع اللغة اسما أولا لمسمى أول ثم يجد مسمى آخر ومسميات شبيهة بالمسمى الاول فيضع لها اسما كالاسم الاول كقوله ضرير اسم للأعمى والضر ضد النفع والضراء الشدة من الامر والضر بالضم الهزال وسوء الحال والضر والضيق والضرة احدى

﴿فعلى وفعلى﴾ قالوا (قتيا وقتوى) و(بقوى وبقيا) و(ثنوى وثنيا) و(رعوى ورعيا) واما (القصوى والقصيا) فضمومة الاول فى اللغتين جميعا ﴿فاعل وفاعال﴾ (دانق وداناق) و(خاتم وخاتام) ﴿ماجاء فيه لغتان من حروف مختلفة الابنية﴾ مايضم ويكسر (القرطم والقرطم) و(الحولاء والحولاء) انفية (وانفية) يقال للوسادة (غرقة وغرقة) ولواحد الاساورة (اسوار واسوار) و(اخوة واخوة) جمع أخ و(قضبان وقضبان) جمع قضيب و(قثاء وقثاء) ورجل (ترعية وترعية) للذى يجيد رعية الابل و(الخيلاء والخيلاء) و(جندب وجندب) اسم و(يوسف ويوسف) و(يونس ويونس) و(سفيان وسفيان) و(ذبيان وذبيان) و(المغيرة والمغيرة) ﴿مايضم ويفتح﴾ (الجحدرى والجحدرى) وقوم (كسالى وكسالى) و(عجالى وعجالى) و(غيارى وغيارى) و(سكارى وسكارى) جاء القوم (بأجمعهم وأجمعهم) ﴿مايكسر ويفتح﴾ (منجنيق ومنجنيق) ديماس (وديماس) (الشريان والشريان) شجر تعمل منه القسى (يوم الاربعاء) بكسر الباء وفتح الهمزة وهى الجيدة وحكى الاصمعى الاربعاء بفتح الباء وحكاها ابن الاعرابى أيضا و(معرب ومغرب) أى بعيد بعيد (الدفارى والدفارى) جمع دفرى و(عذارى وعذارى) و(صحارى وصحارى) وهى (الطنفسة والطنفسة) زبيل مفتوحة الزاى فان كسرتها زدت نونا فقلت (زنبيل) ولا يقال (زنبيل) المرعزى ان شددت الزاى قصرت وان خففتها مددت وكذلك (القبيطاء) والقبيطى الناطف (والباقلى) ايضا (والحلى) ان شددت

الروحتين

الزوجتين فان هذه المسميات كلها تدل على الاذى والشر وأسماؤها متشابهة لم تخرج عن الضاد والراء الا أنا الآن لا نعلم ما هو الاول منها حتى نحكم على الثاني أنه مشتق منه لكن نعلم في السليم اللديغ أنه مشتق من السلامة لانه ضده قيل من أجل التفؤل بالسلامة وعلى هذا جاء غيره من الاصول كقولنا هشيم هاشم وحارب محارب وسالم سالم وأصاب الارض صيب فهذه الالفاظ كلها لفظها واحد ومعناها واحد أما هاشم فانه لم يسم بهذا الاسم الا لانه هشم الثريد في عام محل فسمي بذلك وأما محارب فانه اسم فاعل من حارب فهو محارب وأما سالم فمن السلامة وهو اسم فاعل من سلم وأما الصيب فهو المطر الذي يشتد صوبه أي وقعه على الارض ولا يقاس على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله فان أسلم وغفار وعصية أسماء قبائل ولم تسم أسلم من المسالمة ولا غفار من المغفرة ولا عصية من تصغير عصا وهذا هو التجنيس وليس بالاشتقاق والنظر في مثل ذلك يحتاج الى فكرة وتدبر كي لا يختلط التجنيس بالاشتقاق ومما جاء من ذلك شعرا قول البحتري * أعلى سلمى بكاظمة اسلمي * وكذلك قول الآخر

ومازال معقولا عقال من الندى * ومازال محبوسا عن الخير حابس

وربما ظن أن هذا البيت وما يجري مجراه تجنيس حيث قيل فيه معقول وعقال ومحبوس وحابس وليس الامر كذلك وهذا الموضع يقع فيه الاشتباه كثيرا على من لم يتقن معرفته وقد تقدم القول أن حقيقة التجنيس هي اتفاق اللفظ واختلاف المعنى وعقال ومعقول وحابس ومحبوس اللفظ فيهما واحد والمعنى أيضا واحد فهذا مشتق من هذا أي قد شق منه وكذلك ورد قول عنترة

لقد علم القبائل أن قومي * لهم حد اذا لبس الحديد

فان حدا وحديدا لفظهما واحد ومعناهما واحد (وأما الاشتقاق الكبير) فهو أن تأخذ أصلا من الاصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحدا يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وان تباعد شيء من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتأويل اليها ولنضرب لذلك مثالا فنقول ان لفظة ق م ر من الثلاثي لها ست تراكيب وهي قدم قمر رقم رمق مقر مرق فهذه التراكيب الست يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة فالقرم شدة شهوة اللحم وقمر الرجل اذا غلب من يقامره والرقم الداهية وهي الشدة التي تلحق الانسان من دهره وعيش مرمق أي ضيق وذلك نوع من الشدة أيضا والمقر شبه الصبر يقال امقر الشيء اذا أمر وفي ذلك شدة على الذائق وكراهة ومرق السهم اذا نفذ من الرمية وذلك لشدة مضائه وقوته (واعلم) أنه اذا سقط من تراكيب الكلمة شيء جاز ذلك في الاشتقاق لان الاشتقاق ليس من شرطه كمال تركيب الكلمة بل من شرطه أن الكلمة كيف تقلبت بها تراكيبها من تقديم حروفها وتأخيرها أدت الى معنى واحد يجمعها فمثال ما سقط من تركيب الثلاثي لفظة و س ق فان لها خمس تراكيب وهي وس ق وق س س وق ق س و ق و س وسقط من جملة التراكيب قسم واحد وهو سقو وجميع الخمسة المذكورة تدل على القوة والشدة أيضا فالوسق من قولهم استوسق الامر أي اجتمع وقوي والوقس ابتداء الجرب وفي ذلك شدة على من يصيبه وبلاء والسوق متابعة السير وفي هذا عناء وشدة على السائق والمسوق والقسوة شدة القلب وغلظه والقوس معروفة وفيها نوع من الشدة والقوة لنزعها السهم واخراجه الى ذلك المرمى المتباعد (واعلم) أنا لا ندعي أن هذا يطرد في جميع اللغة بل قد جاء شيء منها كذلك وهذا مما يدل على شرفها وحكمتها لان الكلمة الواحدة تنقلب على ضروب من التقاليب وهي مع ذلك دالة على معنى واحد وهذا من أعجب الاسرار التي توجد في لغة العرب وأغربها فاعرفه الا أن الاستعمال في

ضمت أوله وان خففت فتحت أوله فقلت (الحلى) الفراء الحلى جمع حلى مثل وحى ووحى (قوبا) بفتح الواو مؤنثة لا تنصرف وجمعها اقوب وان كسرت الواو ذكرت وصرفت وهي (القلنسوة والقلنسية) اذا فتحت القاف ضممت السين واذا ضممت القاف كسرت السين وهي (الارزبة) التي يضرب بها بالتشديد فاذا قلتها بالميم خففت فقلت مرزبة أنشد الفرا

* ضربك بالمرزبة العود النخر *

وهو (البارى) بالتشديد فاذا خففت زدت ألفا فقلت البارياء ممدود وهو (عشير الشيء) فان فتحت العين قلت (عشير) فزدت ياء وكذلك (ثمين وخميس وثليث ونصيف) في الثمن والخمس والثلث والنصف قال أبو زيد (تسيع وسبيع وسديس) وأنكر خميس وثليث قال الشاعر

* فما صار لي في القسم الا ثمينها *

وقال آخر

* لم يغذها مد ولا نصيف *

ويقال (أحاد وثناء وثلاث ورباع) كل ذلك لا ينصرف ولم نسمع فيما جاوز ذلك شيأ على هذا البناء غير قول الكميت خص الاعشارا وأجرى هذا المجرى وأنشد الصخر السلمي

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا
وتركت مرة مثل أمس الدابر

ويقال مثنى كافيل موحد ولا ينون لانه معدول قال الشاعر

وأنكحها أهلي بواد أنيسه
ذئاب تبغى الناس مثنى وموحدا

(ما يقال بالياء والواو)

رجل (سبروت وسبريت) وبينهما (بون) في الفضل (وبين) فأما في البعد فلا يقال الا بين أتانا (التوفاق الهلال وتيفاق) أي حين أهل هو يعني (الحوزلى والحيزلى) وهو (العجاوة والعجاية) لعصبة تكون في فرس البعير وهو سريع (الاية

النظم والنثر انما يقع فى الاشتقاق الصغير دون الكبير وسبب ذلك أن الاشتقاق الصغير تكثر الالفاظ الواردة عليه والاشتقاق الكبير لا يكاد يوجد فى اللغة الا قليلا وأيضا فان الحسن اللفظى الذى هو الفصاحة انما يقع فى الاشتقاق الصغير ولا يقع فى الاشتقاق الكبير ألا ترى الى هذين الاصلين الواردين ههنا وهما قدم و ومق اذا نظرنا الى تراكيبهما وأردنا أن نسبكهما فى الاستعمال لم يأت منهما مثل ما يأتى فى الاشتقاق الصغير حسنا وزنا ولو قالان ذلك لفظه لفظ تجنيس ومعناه معنى اشتقاق والاشتقاق الكبير ليس كذلك ﴿النوع السابع والعشرون فى التضمين﴾ وهذا النوع فيه نظر بين حسن يكتسب به الكلام طلاوة وبين معيب عند قوم وهو عندهم معدود من عيوب الشعر ولكل من هذين القسمين مقام (فأما الحسن) الذى يكتسب به الكلام طلاوة فهو أن يضمن الآيات والاخبار النبوية وذلك يرد على وجهين أحدهما تضمين كلى والآخر تضمين جزئى فأما التضمين الكلى فهو أن تذكر الآية والخبر بجملتهما وأما التضمين الجزئى فهو أن تدرج بعض الآية والخبر فى ضمن كلام فيكون جزأ منه كالذى أوردته فى حل الآيات والاخبار فى الفصل العاشر من مقدمة الكتاب وقد قيل انه لا يجوز درج آيات القرآن الكريم فى مضمون الكلام من غير تبيين كى لا يشتبه وهذا القول لا أقول به فان القرآن الكريم أبين من أن يحتاج الى بيان وكيف يخفى وهو المعجز الذى لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله فان كانت المفاوضة فى التفرقة بينه وبين غيره من الكلام اذا أدرج فيه مع جاهل لا يعرف الفرق فذاك لا كلام معه وان كان الكلام مع عالم بذلك فذاك لا يخفى عنه القرآن الكريم من غيره ومذهبى فى هذا وما تقدم ذكره فى الفصل العاشر من مقدمة الكتاب وهو أحسن الوجهين عندى وذاك أنه لا تؤخذ الآية بكمالها بل يؤخذ جزء منها ويجعل أولا للكلام أو آخرا هذا اذا لم يقصد به التضمين فأما اذا قصد التضمين فتؤخذ الآية بكمالها وتدرج درجا وهذا ينكره من لم يذق مذاقه من طعم البلاغة ولا رأى ما رأيته (وأما المعيب عند قوم) فهو تضمين الاسناد وذلك يقع فى بيتين من الشعر أو فصلين من الكلام المنثور على أن يكون الاول منهما مسندا الى الثانى فلا يقوم الاول بنفسه ولا يتم معناه الا بالثانى وهذا هو المعدود من عيوب الشعر وهو عندى غير معيب لانه ان كان سبب عيبه أن يعلق البيت الاول على الثانى فليس ذلك بسبب يوجب عيبا اذ لا فرق بين البيتين من الشعر فى تعلق أحدهما بالآخر وبين الفقرتين من الكلام المنثور فى تعلق احداهما بالاخرى لان الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى فالفرق بينهما يقع فى الوزن لا غير والفقر المسجوعة التى يرتبط بعضها ببعض قد وردت فى القرآن الكريم فى مواضع منه فمن ذلك قوله عز وجل فى سورة الصافات فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون فهذه الفقر الثلاث الاخيرة مرتبط بعضها ببعض فلا تفهم كل واحدة منهن الا بالتى تليها وهذا كالابيات الشعرية فى ارتباط بعضها ببعض ولو كان عيبا لما ورد فى كتاب الله عز وجل وكذلك ورد قوله تعالى فى سورة الصافات أيضا فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم فالآيتان الاوليان لا تفهم احداهما الا بالاخرى وهكذا ورد قوله عز وجل فى سورة الشعراء أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فهذه ثلاث آيات لا تفهم الاولى ولا الثانية الا بالثالثة ألا ترى أن الاولى والثانية فى معرض استفهام يفتقر الى جواب والجواب هو فى الثالثة ومما ورد من ذلك شعرا قول بعضهم

والاوبة)وهى(المصايب والمصاوب) أجود بقلى(لوطا وليطا)وهذه(نقاوة الشئ ونقايته)أى خياره فلان(أحول منك وأحيل)من الحيلة وهو(المتأوب والمتأيب) وهو(من صيابة قومه وصوابتهم) أى صميمهم و(داهية دهياء ودهواء) أرض (مسنوة ومسنية) وفلان (مرضو ومرضى) و(مجفو ومجفى)قال الشاعر

* ما أنا بالجافى ولا المجفى *

قالوا بناه على جفى وقال الآخر

* أنا الليث معديا عليه وعاديا *

بناه على عدى عليه اشتد (حمو الشمس وحميها)وهو(بلو سفر وبلى سفر)للذى قد بلاه السفر وهو (العيثران والعيثوران) لضرب من النبت طيب الريح أبو زيد تثنية عرق النسا(نسيان ونسوان)وتثنية الرضا(رضوان ورضيان)والحى(حووان وحييان) والرحا(رحوان ورحيان) ونقا الرمل (نقوان ونقيان) جمع صائم (صوم وصيم)ونائم(نوم ونيم) وخائف(خوف وخيف) قال الفراء من قاله بالواو فعلى أصله ومن قاله بالياء فعلى خائف ونائم بنوا جمعه على واحده وجمع ميثرة (مياثر ومواثر) والميثاق(مواثق ومياثق) و(الاقاوم والاقايم) القوم وجمع حائر(حوران وحيران)

﴿مما قال بالهمز والياء﴾

(يبرين وأبرين)الرمل(ويسروع وأسروع) دودة (اليرقان والارقان) يقال(زرع مأروق وميروق) رمح (يزنى وأزنى) منسوب الى ذى يزن (ورجل يلندد وألندد) الخصم(رجل يلمعى والمعى)الذكى (أعصر ويعصر) و(الارندج واليرندج) الجلد الاسود(يلملم وألملم)ميقات أهل اليمن فى احرامهم(يلنجوج وألنجوج) العود الذى يتبخر به طير(يناديد وأناديد)

ومن

ومن البلوى التي ليس لها في الناس كنه * أن من يعرف شيأ * يدعي أكثر منه

ألا ترى أن البيت الاول لم يقم بنفسه ولا تم معناه الا بالبيت الثاني وقد استعملته العرب كثيرا وورد في شعر فحول شعرائهم فمن ذلك قول امرئ القيس

فقلت له لما تمطى بصلبه * وأردف أعجازا وناء بكلكل
الا أيها الليل الطويل الا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

وكذلك ورد قول الفرزدق

وما أحد من الاقوام عدوا * عروق الاكرمين الى التراب
بمحتفظين ان فضلتمونا * عليهم في القديم ولا غضاب

وكذلك ورد قول بعض شعراء الحماسة

لعمري لرهط المرء خير بقية * عليه وان عالوا به كل مركب
من الجانب الاقصى وان كان ذا غنى * جزيل ولم يخبرك مثل مجرب

﴿الضرب الثاني من التضمين﴾ وهو أن يضمن الشاعر شعره والناثر نثره كلاما آخر لغيره قصدا للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود ولو لم يذكر ذلك التضمين لكان المعنى تاما وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه كما قال حطئة

قم فاسقنيها يا غلام وغنني * ذهب الذين يعاش في أكنافهم

ألا ترى أنه لو لم يقل في هذا البيت ذهب الذين يعاش في أكنافهم لكان المعنى تاما لا يحتاج الى شيء آخر فان قوله قم فاسقنيها يا غلام وغنني فيه كفاية اذ لا حاجة له الى تعيين الغناء لان في ذلك زيادة على المعنى المفهوم لا على الغرض المقصود وقد ورد هذا في عدة مواضع من شعر أبي نواس في الخمريات كقوله في مخاطبة بعض خلطائه على مجلس الشراب

فقلت هل لك في الصهباء تأخذها * من كف ذات حر فالعيش مقتبل
حمرية كشعاع الشمس صافية * تطير بالكأس من لألائها شعل
فقال هات وغننا على طرب * ودع هريرة ان الركب مرتحل

وكذلك قوله أيضا وظبي خلوب اللفظ حلو كلامه * مقبله سهل وجانبه وعر

فحلت له منها لخز لوجهه * وأمكن منه ما يحيط به الازر
فقمت اليه والكرى كحل عينه * فقبلته والصب ليس له صبر
الى أن تجلى نومه عن جفونه * وقال كسبت الذنب قلت لي العذر
فأعرض مزورا كأن بوجهه * تفقأ رمان وقد برد الصدر
فما زلت أرقيه وألثم خده * الى أن تغنى راضيا وبه سكر
ألا فاسلمي يا دارمي على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وقد استعمل هذا الضرب كثيرا الخطيب عبد الرحمن بن نباتة رحمه الله فمن ذلك قوله في بعض خطبه وهو فيا أيها الغفلة المطرقون أما أنتم بهذا الحديث مصدقون فما لكم منه لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وكذلك قوله في ذكر يوم القيامة وهو فيومئذ تفد والخلائق على الله بهما فيحاسبهم على ما أحاط به علما وينفذ في كل عامل بعمله حكما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ألا ترى الى براعة هذا التضمين الذي كأنه قد رصع في هذا الموضع ترصيعا وعلى نحو من ذلك جاء قوله في ذكر يوم القيامة وهو هنالك يقع الحساب على ما أحصاه الله كتابا وتكون الاعمال المشوبة بالنفاق سرابا يوم يقوم الروح

متفرقة بمعنى أبابيل (عظاءة وعظاية) و (عباية وعباءة) و (صلاءة وصلاية) ﴿وما يقال بالهمز وبالواو﴾ (وشاح وإشاح) و (عاء وإعاء) (اكاف ووكاف) (اسادة ووسادة) (وقاء وأقاء) ﴿وما جاء فيه ثلاث لغات من بنات الثلاثة﴾ رأيته (قبلا وقبلا وقبلا) أي معاينة (خرص الرمح وخرصه وخرصه) (قطب الرحا وقطب وقطب) وهو (العمر والعمر والعمر) وكذلك (العصر والعصر والعصر) الدهر وهو (الولد والولد والولد) وهو (الرغم والرغم والرغم) وهو (المشط والمشط والمشط) و (سقط الرمل وسقط وسقط) أي منقطعه (وسقط المرأة والنار) فيه اللغات الثلاث (والفتك والفتك والفتك) أن يقتل الرجل مجاهرة (الددن والددا والدد) اللعب (صفوه مملك وصفوه وصفاه) شربت (شربا وشربا وشربا) وهذا (فم وفم وفم) وكان الاصمعي يرويه

* اذ تقاص الشفتان عن وضح الفم *

وشنئته (شنأ وشنأ وشنأ) ورجل (قزوقز وقز) للمتقزز وهو (الزعم والزعم والزعم) وهو (الوجد والوجد والوجد) من المقدرة ورجل (ذو طب وطب وطب) أي حذق وهو (قلب النخلة وقلبها وقلبها) والصنم (نصب ونصب ونصب) مثل (العمر والعمر والعمر) ﴿فعلة بثلاث لغات﴾ كلمته (بحضرة فلان وحضرة وحضرة) قال الكسائي وكلهم يقولون (بحضرة فلان) واليمين (ألوة وألوة وألوة) و (رغوة اللبن ورغوة ورغوة) و (صفوة الشيء وصفوة وصفوة) فاذا نزعوا الهاء قالوا (صفو الشيء) ففتحوا لا غير قال الاصمعي (أخذت صفوة الشيء وصفوه) كما يقال للصدر (برك

والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا وعما ينتظم بهذا السلك قوله فى خطبة أخرى وهو أسكتهم الله الذى أنطقهم وأبادهم الذى خلقهم وسيجددهم كما أخلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوم يعيد الله العالمين خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا (ومن هذا الباب) قوله أيضا هنالك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب ويجمع من وجب له الثواب ومن حق عليه العقاب فيضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وأمثال هذه التضمينات فى خطبه كثيرة وهى من محاسن ما يجىء فى هذا النوع ﴿النوع الثامن والعشرون فى الارصاد﴾ وحقيقته أن يبنى الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له أى أعدها فى نفسه فاذا أنشد صدر البيت عرف ما يأتى به فى قافيته وذلك من محمود الصنعة فان خير الكلام ما دل بعضه على بعض وفى الافتخار بذلك يقول ابن نباتة السعدى

خذها اذا أنشدت فى القوم من طرب * صدورها عرفت منها قوافيها
ينشى لها الراكب العجلان حاجته * ويصبح الحاسد الغضبان يطويها

فمن هذا الباب قول النابغة

فداء لامرئ سارت اليه * بعذرة ربها عمى وخالى
ولو كفى اليمين بغتك خونا * لافردت اليمين عن الشمال

الا ترى أنه يعلم اذا عرفت القافية فى البيت الاول أن فى البيت الثانى ذكر الشمال وكذلك جاء قول البحترى

أحلت دمى من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامى
فليس الذى حللته بمحلل * وليس الذى حرمته بحرام

فليس يذهب على السامع وقد عرف البيت الاول وصدر البيت الثانى أن عجزه هو ما قاله البحترى (وقد جاء الارصاد فى الكلام المنثور كما جاء فى الشعر) فمن ذلك قوله تعالى وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون فاذا وقف السامع على قوله تعالى لقضى بينهم فيما فيه عرف أن بعده يختلفون لما تقدم من الدلالة عليه (ومن ذلك أيضا) قوله عز وجل فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وعلى نحو منه جاء قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت فاذا وقف السامع على قوله عز وجل وان أوهن البيوت يعلم أن بعده بيت العنكبوت (ورأيت أبا هلال العسكرى) قد سمى هذا النوع التوشيح وليس كذلك بل تسميته بالارصاد أولى وذلك حيث ناسب الاسم مسماه ولاق به وأما التوشيح فانه نوع آخر من علم البيان وسيأتى ذكره بعد هذا النوع ان شاء الله تعالى ﴿واعلم﴾ أنه قد اختلف جماعة من أرباب هذه الصناعة فى تسمية أنواع علم البيان حتى ان أحدهم يضع للنوع الواحد منه اسمين اعتقادا منه أن ذلك النوع نوعان مختلفان وليس الامر كذلك بل هما نوع واحد فممن غلط فى ذلك الغانمى فانه ذكر بابا من أبواب علم البيان وسماه التبليغ وقال هو أن يأتى الشاعر بالمعنى فى البيت تاما من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع ثم يأتى بها لحاجة الشعر اليها حتى يتم وزنه فيبلغ بذلك الغاية القصوى فى الجودة كقول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

وبركه) أوطأته (العشوة والعشوة والعشوة) وهى (الربوة والربوة والربوة) المكان المرتفع وهى (وجنة ووجنة ووجنة) و (جذوة من النار وجذوة وجذوة) و (جثوة وجثوة وجثوة) وهى (الغشوة والغشوة والغشوة) وفيه (غلطة وغلطة وغلطة) والحرب (خدعة وخدعة وخدعة) زاد يونس وخدعة

﴿فعال بثلاث لغات﴾ هو (الزجاج والزجاج والزجاج) وهو مقطوع (النخاع والنخاع والنخاع) وهو الابيض الذى فى جوف الفقار (وقصاص الشعر وقصاص وقصاص) وهو (الوشاح والاشاح والوشاح) وفى طعامه (زوان وزؤان) مهموز (وزوان) وهو (جمام المكوك وجمام وجمام) صوان (وصوان وصيان) عن أبى زيد نحن منكم (براء وبراء وبراء)

﴿فعالة بثلاث لغات﴾ أتيته (ملاوة من الدهر وملاوة وملاوة) وهى (رغاوة اللبن ورغاية ورغاوة) و (الحلالة والحلالة والحلولة) مصدر حاللته (سقط على حلاوة القفا وحلاوة القفا وحلاوى القفا)

﴿ما جاء فيه ثلاث لغات من حروف مختلفة الابنية﴾

هو (برقع وبرقع وبرقع) الخوصة (الابلة والابلة والابلة) خاتم و (خيتام) وخاتام (سيما) مقصور و (سيماء) ممدود (سيمياء) بزيادة الياء وهى لغة لثقيف بالمدعاق (تحلبة وتحلبة وتحلبة) التى تحلب قبل أن تحمل عن أبى زيد

﴿ما جاء فيه أربع لغات من بنات الثلاثة﴾

(العفو والعفو والعفو والعفا) ولد الحمار وأنشد * وطعن كتشهاق العفا هم بالنهق * ويقال (عضد وعضد وعضد وعضد) و (عجز وعجز وعجز وعجز) ومنه

فانه أتى بالتشبيه تاما قبل القافيـــة ثم لما جاء بها بلغ الامد الاقصى فى المبالغة ثم ان الغانمى ذكر بعد هذا الباب بابا آخر وسماه الاشباع فقال هو أن يأتى الشاعر بالبيت معلق القافية على آخر أجزائه ولا يكاد يفعل ذلك الا حـذاق الشعـراء وذلك أن الشاعر اذا كان بارعا جلب بقدرته وذكائه وفطنته الى البيت وقد تمت معانيه واستغنى عن الزيادة فيه قافية متممة لا عار بضه ووزنه جماها بمثا المذكور كقول ذى الرمة

قف العيس فى أطلال مية فاسأل * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

هذا كلام الغانمى بعينه والبابان المذكوران سواء لا فرق بينهما بحال والدليل على ذلك أن بيت امرئ القيس يتم معناه قبل أن يؤتى بقافيتـه وكذلك بيت ذى الرمة ألا ترى أن امرأ القيس لما قال * كأن عيون الوحش حول خبائنا * وأرحلنا الجزع أتى بالتشبيه قبل القافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهى قوله لم تثقب وهكذا ذو الرمة فانه لما قال

* قف العيس فى أطلال مية فاسأل * رسوما كأخلاق الرداء أتى بالتشبيه أيضا قبل أن يأتى بالقافية ولما احتاج اليها جاء بزيادة حسنة وهى قوله المسلسل واعلم أن أبا هلال العسكرى قد سمى هذين القسمين بعينهما الايغال وقال هو أن يستوفى الشاعر معنى الكلام قبل البلوغ الى مقطعه ثم يأتى بالمقطع فيزيد به معنى آخر وأصل الايغال من أوغل فى الامر اذا أبعد الذهاب فيـه ثم مثـل أبو هلال ذلك بقول ذى الرمة قف العيس فى أطلال مية فاسأل البيت وهـذا أقرب أمرا من الغانمى لانه ذكره فى باب واحد وسماه باسم واحد ولم يذكره فى باب آخر كما فعل الغانمى وليس الاخـذ على الغانمى فى ذلك مناقشة على الاسمـاء وانما المناقشـة على أن ينتصب لايراد علم البيان وتفصيل أبوابه ويكون أحـد الابواب التى ذكرها داخلا فى الآخر فيذهب عليه ويخفى عنه وهو أشهر من فلق الصباح (وهذا ما هو أغرب من ذلك) وذلك أنه قد سلك قوم فى منثور الكلام ومنظومه طرقا خارجة عن موضوع علم البيان وهى بنجوة عنه لانها فى واد وعلم البيان فى واد فمن فعل ذلك الحريرى صاحب المقامات فانه ذكر تلك الرسالة التى هى كلمة معجمة وكلمة مهملة والرسالة التى حرف من حروف ألفاظها معجم والآخر غير معجم ونظم غيره شعرا آخر كل بيت منه أول البيت الذى يليه وكل هذا وان تضمن مشقة من الصناعة فانه خارج عن باب الفصاحة والبلاغة لان الفصاحة هى ظهور الالفاظ مع حسنها على ما أشرت اليه فى مقدمة كتابى هـذا وكذلك البلاغة فانها الانتهاء فى محاسـن الالفاظ والمعانى من قولنا بلغت المكان اذا انتهيت اليه وهذا الكلام المصوغ بما أتى به الحريرى فى رسالته وأورده ذلك الشاعر فى شعره لا يتضمن فصاحة ولا بلاغة وانما يأتى ومعانيه غثـة باردة وسبب ذلك أنها تستكره استكراها وتوضع فى غير مواضعها وكذلك ألفاظه فانها تجىء مكرهة أيضا غير ملائمة لاخواتها وعلم البيان انما هو الفصاحة والبلاغة فى الالفاظ والمعانى فاذا خرج منه شئ من هذه الاوضاع المشار اليها لا يكون معدودا منه ولا داخـلا فى بابه ولو كان ذلك مما يوصف بحسـن فى ألفاظه ومعانيـه لورد فى كتاب الله عز وجل الذى هو معدن الفصاحة والبـلاغة أو ورد فى كلام العرب الفصحاء ولم نره فى شئ من أشعارهم ولا خطبهم ولقد رأيت رجلا أديبا من أهل المغرب وقد تمحـل فى شئ عجيب وذلك أنه شجر شجرة ونظمها شعرا وكل بيت من ذلك الشعـر يقرأ على ضروب من الاساليب اتباعا لشعب تلك الشجرة وأغصانها فتارة تقرأ كذا وتارة تقرأ كذا وتارة يكون جزء منـه ههنا وتارة ههنا وتارة يقرأ مقلوبا وكل ذلك الشعر وان كان له معنى يفهـم الا أنه ضرب من الهـذيان والاولى به وبأمثاله أن يلحق بالشعبذة والمعالجـة والمصارعة

و(نطع ونطاع ونطاع ونطع) و (شغل وشغل وشغل وشغل) و (رحم ورحم ورحم ورحم) اسم (وأسم وسم وسم) حسـ المرأة (وجوها) مثل أبوها و(حوها) مهموز و (حماها لا همز)

﴿ما جاء فيه أربع لغات من حروف مختلفة الابنية﴾

(صداق المرأة وصداق وصدقة وصدقة) عنوان الكتاب (وعنوان وعنيان وعلوان) هو (العربان والعربون والاربان والاربون) أغنيت عنك (مغنى فلان ومغناه ومغناته ومغنانه) وكذلك أجزأت (مجزأ فـلان ومجزأته ومجزاه ومجـزأته) الموت و(الموتان والموتان والموات) هى (الاصبع والاصبع والاصبع والاصبع) قال الاصمعى الاضحية فيها أربع لغات (أضحية واضحيـة) وجمعها أضاحى (وضحيـة) وجمعها ضحايا (وأضحاة) وجمعها أضحى كما يقال أرطاة وأرطى قال وبه سمى يوم الاضحى وجاء فى الحديث ان على كل امرئ فى كل عام أضحاة وعتيرة فلان (نجىء العين على فعيـل) و (نجوء العين) على فعول (ونجئ العين) على فعل و (نجؤ العين) على فعل اذا كان شديد العين يقال قد نجأته بعينى وردّ نجأة السائل بشئ تحصت (قرونه وقرينـه وقرونته وقرينته) أى نفسه

﴿ما جاء فيـه خمس لغـات من حروف مختلفة الابنية﴾

(الشمـال والشمأل والشامـل والشمل والشمل) أفرة الحر (وفره وأفرة وعفرة وعفرة) وهى شدة الحر ويقال فيـه طال (طولك وطيلك وطولك وطيلك وطوالك)

﴿ما جاء فيه ست لغات﴾

(فسطاط وفسطاط وفستاط وفستاط وفساط وفساط) رغوة اللبن (ورغوة ورغوة ورغاوة ورغاوة ورغاية)

لابد رجة الفصاحة والبلاغة (ورأيت أبا محمد) بن عبد الله بن سنان الخفاجي قد ذكر بابا من الابواب في كتابه فقال ينبغي أن لا تستعمل في الكلام المنظوم والمنثور ألفاظ المتكلمين والنحويين والمهندسين ومعانيهم ولا الالفاظ التي تختص بها بعض المهن والعلوم لان الانسان اذا خاض في علم وتكلم في صناعة وجب عليه أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة ثم مثل ذلك بقول أبي تمام

مودة ذهب أثمارها شبه * وهمة جوهر معروفها عرض

وبقوله أيضا خرقاء يلعب بالعقول حبابها * كتلعب الافعال بالاسماء

وهذا الذي أنكره ابن سنان هو عين المعروف في هذه الصناعة

ان الذي تكرهون منه * هو الذي يشتهيه قلبي

وسأبين فساد ما ذهب اليه فأقول أما قوله انه يجب على الانسان اذا خاض في علم أو تكلم في صناعة أن يستعمل ألفاظ أهل ذلك العلم وأصحاب تلك الصناعة فهذا مسلم اليه ولكنه شذ عنه أن صناعة المنظوم والمنثور مستمدة من كل علم وكل صناعة لانهما موضوعة على الخوض في كل معنى وهذا لا ضابط له يضبطه ولا حاصر يحصره فاذا أخذ مؤلف الشعر أو الكلام المنثور في صوغ معنى من المعاني وأداه ذلك الى استعمال معنى فقهي أو نحوي أو حسابي أو غير ذلك فليس له أن يتركه ويحيد عنه لانه من مقتضيات ذلك المعنى الذي قصده ألا ترى الى قول أبي تمام في الاعتذار

فان يك جرم عن أو تك هفوة * على خطامني فعذري على عمدي

فان هذا من أحسن ما يجيء في باب الاعتذار عن الذنب وكان ينبغي له على ما ذكره ابن سنان أن يترك ذلك ولا يستعمله حيث فيه لفظتا الخطا والعمد اللتان هما من أخص ألفاظ الفقهاء وكذلك قول أبي الطيب المتنبي

واقيت كل الفاضلين كأنما * رد الاله نفوسهم والاعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدما * وأتى فذلك اذ أتيت مؤخرا

وهذا من المعاني البديعة وما كان ينبغي لابي الطيب أن يأتي في مثل هذا الموضع بلفظة فذلك التي هي من ألفاظ الحساب بل كان يترك هذا المعنى الشريف الذي لا يتم الا بتلك اللفظة موافقة لابن سنان فيما رآه وذهب اليه وهذا محض الخطا وعين الغلط وأما ما أنكره على أبي تمام في قوله

مودة ذهب أثمارها شبه * وهمة جوهر معروفها عرض

فان هذا البيت ليس منكرا لما استعمل فيه من لفظتي الجوهر والعرض اللتين هما من خصائص ألفاظ المتكلمين بل لانه في نفسه ركيك لتضمنه لفظة الشبه فانها لفظة عامية ركيكة وهي التي أضعفت البيت بجملته ورب قليل أفسد كثيرا وأما لفظتا الجوهر والعرض فلا عيب فيهما ولا ركاكة عليهما وأما البيت الآخر وهو

خرقاء يلعب بالعقول حبابها * كتلعب الافعال بالاسماء

فليس بمنكر وهل يشك في أن التشبيه الذي تضمنه واقع في موقعه ألا ترى أن الفعل ينقل الاسم من حال الى حال وكذلك يفعل الخمر بالعقول في تنقل حالاتها فما الذي أنكره ابن سنان من ذلك وقد جاء لبعض المتأخرين من هذا الاسلوب ما لا يدافع في حسنه وهو قوله

عوامل رزق أعربت لغة الردى * بجسم له خفض ورأس له نصب

فانه لما حصل له المشابهة في الاسمية بين عوامل الرماح والعوامل النحوية حسن موقع ما ذكره من الخفض والنصب وعلى ما ذكره ابن سنان فان ذلك غير جائز وهو من مستحسنات

﴿معاني أبنية الاسماء﴾

كل اسم على فعلان فمعناه الحركة والاضطراب نحو (ضربان) و (نزوان) و (غليان) و (جولان) و (طيران) و (لهبان النار) و (قفزان) و (نقزان) و (نغزان) و (خطران) و (امان) و (وهجان النار) و (دوران) و (طوفان) وأشباه ذلك كثيرة وقد شذ منه شيء قالوا (الميلان وموتان الارض) وليس هما من الحركة في شيء وقال هذا البناء لا يجيء فعله يتعدى الفاعل الا أن يشذ شيء قالوا (شنئته شنآنا) قال وفعلان كثيرا ما يأتي في الجوع والعطش وما قاربهما قالوا (ظمآن وعطشان) و (صديان) و (هيمان) بمعنى (عطشان) وقالوا (جوعان) و (غرثان) و (عليان) وهو الشديد الغرث والحرص على الطعام ورجل (شهوان) للطعام و (عيمان) الى اللبن وقالوا (قرم الى اللحم) فأخرجوه من هذه البنية وجعلوه بمنزلة الداء كما قالوا (دو ووجع) قال ومما قارب هذا المعنى فبنوه بناءه (لهفان) و (حران) و (ثكلان) و (غضبان) و (غيران) و (خزيان) قال ومما ضاده هذا المعنى فبنوه بناءه (شبعان) و (ريان) و (ملآن) و (سكران) قال سيبويه (وحيران) في معنى سكران لان كليهما مرتج عليه قال وفعل يأتي في الادواء وما قارب معناها يقال (وجع) و (دو) و (حبط) و (حبج) و (لو) و (وج) و (عمي قلبه) فهو (عم) جعل العمى في القلب بمنزلة (الادواء) وكذلك (وجل) وأشباهه مما يكون من الذعر والخوف شبه به لانه داء أصاب قلبه نحو (فرق) و (وجل)

المعانى هذا من أعجب الاشياء وعلى هذا الاسلوب ورد قول بعضهم

وفتى من مازن * ساد أهل البصره

أمه معرفة * وأبوه نكره

وهل يشك فى حسن هذا المعنى ولطافته وكذلك ورد من هذا النوع فى شعر بعض العراقيين يهجو طبيبا فقال

قال حمار الطبيب توما * لو أنصفونى لكنت أركب

لاننى جاهل بسيط * وراكبي جهله مركب

وهذا من المعنى الذى أغرب فى الملاحة وجمع بين خفة الحضرية ووقار الفصاحة وقد تقدم القول فى صدر كتابى هذا أنه يجب على صاحب هذه الصناعة أن يتعلق بكل علم وكل صناعة ويخوض فى كل فن من الفنون لانه مكلف بأن يخوض فى كل معنى من المعانى فاضمم يدك على ماذكرته ونصصت عليه واترك ماسواه فليس القائل بعلمه واجتهاده كالقائل بظنه وتقليده وهذا النوع اذا استعمل على الوجه المرضى كان حسنا واذا استعمل بخلاف ذلك كان قبيحا كما جاء فى كلام أبى العلاء بن سليمان المعرى وهو قوله فى رسالة كتبها الى بعض اخوانه حرس الله سعادته ما أدغمت التاء فى الظاء وتلك سعادة بغير انتهاء وهذا من الغث البارد لكن قد جاء فى الشعر ماهو حسن فائق كقوله

فدونكم خفض الحياة فاننا * نصبنا المطايا فى الفلاة على القطع

والخفض والنصب من الاعراب النحوى والخفض رفاهة العيش والقطع من منصوبات النحو والقطع قطع الشئ يقال قطعته اذا بترته ﴿النوع التاسع والعشرون فى التوشيح﴾ وهو أن يبنى الشاعر أبيات قصيدته على بحرين مختلفين فاذا وقف من البيت على القافية الاولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض واذا أضاف الى ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الاخرى كان أيضا شعرا مستقيما من بحر آخر على عروض وصار مايضاف الى القافية الاولى للبيت كالوشاح وكذلك يجرى الامر فى الفقرتين من الكلام المنثور فان كل فقرة منهما تصاغ من سجعتين وهذا لا يكاد يستعمل الا قليلا وليس من الحسن فى شئ واستعماله فى الشعر أحسن منه فى الكلام المنثور فمن ذلك قول بعضهم

اسلم ودمت على الحوادث مارسا * ركنا ثبير أو هضاب حراء

ونل المراد ممكنا منه على * رغم الدهور وفز بطول بقاء

وهذا من الجيد الذى يأتى فى هذا النوع الا أن أثر التكلف عليه باد ظاهر واذا نظر الى هذين البيتين وجدا وهما يذكران على قافية أخرى وبحر آخر وذلك أن يقال

اسلم ودمت على الحوا * دث مارسا ركنا ثبير

ونل المراد ممكنا * منه على رغم الدهور

وقد استعمل ذلك الحريرى فى مقاماته نحو قوله

*

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ماأضحكت فى يومها * أبكت غدا بعدا لها من دار

واذا أظل سحابها لم ينتفع * منه صدى لجهامه الغرار

(واعلم) أن هذا النوع لا يستعمل الا تكلفا عند تعاطى التمكن من صناعة النظم وحسنه منوط بما فيه من الصناعة لا بما فيه من البراعة ألا ترى أنه لو نظم عليه قصيد من أوله الى آخره يتضمن غزلا ومديحا على ماجرت به عادة القصائد أليس أنه كان يجئ باردا غثا لا يسلم منه على محك النظر عشره والعشر كثير وما كان على هذه الصورة من الكلام فانما يستعمل أحيانا على الطبع لا على التكلف وهو وأمثاله لا يحسن الا اذا كان يسيرا كالرقم فى الثوب أو الشية فى الجلد ﴿النوع الثلاثون فى السرقات الشعرية﴾ وربما اعترض معترض فى هذا الموضع فقال

و(فزع) وقالوا (جرب) و(شعث) و(حمق وقعس) و(كدر) و(خشن) وقالوا (سهك) و(لحس) و(نكد) و(لكن) و(قنم) و(حسك) كل هذا للشئ يتغير من الوسخ ويسود جعلوه كالداء لانه عيب وشبيه بذلك ما تقدم ولم يسهل نحو (عسر) و(شكس) و(لقس) و(ضبس) و(لحز) و(نكد) و(لحج) لان هذه أشياء مكروهة فجاءت كالادواء وقد يدخل فعيل على فعل فى بعض هذا البناء قالوا (سقيم) و(مريض) و(حزين) ويدخل أفعل عليه قالوا (شعث وأشعث) و(جرب وأجرب) و(حمق وأحمق) و(قعس وأقعس) وجاءت أشياء مضادة لما ذكرنا فبنوها على فعل قالوا (أشر) و(بطر) و(فرح) و(بجح) و(جذل) و(سكر) وأدخل فعيل على فعل كما أدخل فى الباب الاول فقالوا (نشيط) وقد يأتى فعل أيضا فيما كان معناه الهيج قالوا (أرج) تحرك الريح وسطوعها ورجل (حمس) اذا هاج به الغضب و(قلق) و(نزق) لانه خفة وتحرك و(غلق) لانه طيش وخفة و(سلس) لانه ضد لعسر و(لج) فبنى بناءه ويقال فى هذا كله فعل يفعل

﴿والصفات بالالوان تأتى على أفعل﴾

نحو (أدم) و(أعيس) و(أصهب) و(أكهب) و(أقهب) و(أشهب) و(أصدأ) و(أسود) و(أحمر) و(أصفر) و(أخضر) و(أبقع) و(أبلق) هذا الاكثر وقد جاء منه أشئ على غير ذلك قالوا (جون) و(ورد) و(خصيف) ﴿والافعال تأتى على فعل﴾ نحو (صهب) و(أدم) و(كهب) وعلى فعل نحو (صدئ) وعلى افعال نحو (احمار) و(اصفار) وافعل نحو (احمر) و(اصفر) و(اخضر) ﴿والصفات بالعيوب والادواء﴾ قد تأتى على أفعل نحو (أزرق)

قد تقدم نثر الشعر فى أول الكتاب وهو أخذ الناثر من الناظم ولا فرق بينه وبين أخذ الناظم من الناظم ولم يكن الى ذكر السرقات الشعرية اذن حاجة ولو أنعم هذا المعترض نظره لظهر له الفرق وعلم أن نثر الشعر لم يتعرض فيه الى وجوه المأخذ وكيفية التوصل الى مداخل السرقات وهذا النوع يتضمن ذكر ذلك مفصلا (واعلم) أن الفائدة من هذا النوع أنك تعلم أين تضع يدك فى أخذ المعانى اذ لا يستغنى الآخر عن الاستعارة من الاول لكن لا ينبغى لك أن تهجم فى سبك اللفظ على المعنى المسروق فتنادى على نفسك بالسرقة فكثيرا ما رأينا من يجهل فى ذلك فيعثر ويتعاطى فيه البديهة فيعقر والاصل المعتمد عليه فى هذا الباب التورية والاختفاء بحيث يكون ذلك أخفى من سفاد الغراب وأطرف من عنقاء مغرب فى الاغراب وقد ذهب طائفة من العلماء الى أنه ليس لقائل أن يقول ان لاحد من المتأخرين معنى مبتدعا فان قول الشعر قديم منذ نطق باللغة العربية وأنه لم يبق معنى من المعانى الا وقد طرق مرارا وهذا القول وان دخل فى حيز الامكان الا أنه لا يلتفت اليه لان الشعر من الامور المتناقلة والذى نقلته الاخبار وتواردت عليه أن العرب كانت تنظم المقاطيع من الابيات فيما يعن لها من الحاجات ولم يزل الحال على هذه الصورة الى عهد امرئ القيس وهو قبل الاسلام بمائة سنة ونيف فقصد القصائد وهو أول من قصد ولو لم يكن له معنى اختص به سوى أنه أول من قصد القصائد لكان فى ذلك كفاية وأى فضيلة أكبر من هذه الفضيلة ثم تتابع المقصدون واختير من القصائد تلك السبع التى علقت على البيت وانفتح للشعراء هذا الباب فى التقصيد وكثرت المعانى المقولة بسببه ولم يزل الامر ينمى ويزيد ويرقى فى المعانى الغريبة واستمر ذلك الى عهد الدولة العباسية وما بعدها الى الدولة الحمدانية فعظم الشعر وكثرت أساليبه وتشعبت طرقه وكان ختامه على الثلاثة المتأخرين وهم أبو تمام حبيب بن أوس وأبو عبادة الوليد بن عبيد البحترى وأبو الطيب المتنبى فاذا قيل ان المعانى المبتدعة سبق اليها ولم يبق معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته والصحيح أن باب الابتداع للمعانى مفتوح الى يوم القيامة ومن الذى يحجر على الخواطر وهى قاذفة بما لا نهاية له الا أن من المعانى ما يتساوى الشعراء فيه ولا يطلق عليه اسم الابتداع لاول قبل آخر لان الخواطر تأتى به من غير حاجة الى اتباع الآخر الاول كقولهم فى الغزل

عفت الديار وما عفت ☆ آثارهن من القلوب

وكقولهم ان الطيف يجود بما يبخل به صاحبه وان الواشى لو علم بمزار الطيف لساءه وكقولهم فى المديح ان عطاءه كالبحر وكالسحاب وانه لا يمنع عطاء اليوم عطاء غد وانه يجود ابتداء من غير مسئلة وأشباه ذلك وكقولهم فى المراثى ان هذا الرزء أول حادث وانه استوى فيه الاباعد والاقارب وان الذاهب لم يكن واحدا وانما كان قبيلة وان بعد هذا الذاهب لا يعد للمنية ذنب وأشباه ذلك وكذلك يجرى الامر فى غير ما أشرت اليه من معان ظاهرة تتوارد الخواطر عليها من غير كلفة وتستوى فى ايرادها ومثل ذلك لا يطلق على الآخر فيه اسم السرقة من الاول وانما يطلق اسم السرقة فى معنى مخصوص كقول أبى تمام

لا تنكروا ضربى له من دونه ☆ مثلا شرودا فى الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره ☆ مثلا من المشكاة والنبراس

فان هذا معنى مخصوص ابتدعه أبو تمام وكان لابتداعه سبب والحكاية فيه مشهورة وهى أنه لما أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التى مطلعها ما فى وقوفك ساعة من باس ☆ انتهى الى قوله

اقدام عمرو فى سماحة حاتم ☆ فى حلم أحنف فى ذكاء اياس

و(أحور)و(أعور)و(أشتر)و(أدر) و(أصلع)و(أقطع)و(أجذم) وهو المقطوع اليد و(أجبن)و(أشل)و(أثول) و(أهوج)و(أشيب)و(أشمط) و(أرسح)و(أوقص)و(أميل) و(أصيد) وقد يبنون ضد هذا الاسم من هذه الاسماء على بنيته فيقولون (أسنه) كما يقولون (أرسح) ويقولون (أفرع) للوافى الشعر كما يقولون (أصلع) ويقولون (فرس أحزم) كما يقولون (أهضم) ويقولون (آدن) كما يقولون (أملك) ويقولون للغليظ (الرقبة أرقب) و(أغلب) كما قالوا (أوقص) وقالوا (أزب) و(أشعر) كما قالوا (أجرد)

﴿والافعال تأتى فى هذا الباب من العيوب على فعل﴾

نحو (عور) و(شتر) و(صلع) و(قطع) و(أدر) و(جبن) و(هوج) وشذ منه شئ فقالوا (مال) فى الاميل والقياس (ميل) وقالوا فى الاشيب (شاب) شبهوه (بشاخ) والقياس (شيب) مثل (صيد يصيد) و(شمط يشمط)

﴿وقالوا الادواء اذا كانت على فعال﴾ أتت بضم الفاء مثل (القلاب) و(الخال) و(الخمار) و(الزكام) و(السهام) و(السكات) و(الصفار) و(الصداع) و(الكباد) و(البوال) و(الدوار) و(الحمار) لانه داء و(العطاش) و(الهيام) يقال (عطش عطشا) واذا كان العطش يعتريه كثيرا قالوا به (عطاش) وتقول (قاء يقئ قيأ) فاذا كان القئ يعتريه كثيرا قالوا (به قياء) وتقول (قام يقوم قياما كثيرا) اذا أردت انه يختلف الى المتوضأ وان أردت اسم ما به قلت (به قوام) هذا كله وأشباهه بضم الفاء من فعال الاحرف واحدا كان أبو عمرو الشيبانى يفتح أوله وتابعه على ذلك عمارة وهو (السواف) داء من أدواء الابل وكان الاصمعى يضم أوله ويلحقه بأمثاله من الادواء

فقال

قال الحكيم الكندي وأي فخر في تشبيه ابن أمير المؤمنين بأجلاف العرب فأطرق أبو تمام ثم أنشد هذين البيتين معتذرا عن تشبيهه اياه بعمرو وحاتم واياس وهذا معنى يشهد به الحال أنه ابتدعه فمن أتى من بعده بهذا المعنى أو بجزء منه فانه يكون سارقا له وكذلك ورد قول أبي الطيب المتنبي في عضد الدولة وولديه

وأنت الشمس تبهر كل عين * فكيف وقد بدت معها اثنتان
فعاشا عيشة القمرين يحيى * بضوئهما ولا يتحاسدان
ولا ملكا سوى ملك الاعادي * ولا ورثا سوى من يقتلان
وكان ابنا عدو كاثراه * له ياءي حروف أنيسيان

وهذا معنى لأبي الطيب وهو الذي ابتدعه أي أن زيادة أولاد عدوك كزيادة التصغير فانها زيادة نقص ومما ينبغي أن يقال ان ابن الرومي ابتدع هذا المعنى الذي هو

يشكي المحب ويلقي الدهر شاكيه * كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

فان علماء البيان يزعمون أن هذا المعنى مبتدع لابن الرومي وليس كذلك ولكنه مأخوذ من المثل المضروب وهو قولهم يلدغ ويصي ويضرب ذلك لمن يتعدى بالاذى ثم يشكو وانما ابن الرومي قد ابتدع معاني أخر غير ما ذكرته وليس الغرض أن يؤتى على جميع ما جاء به هو ولا غيره من المعاني المبتدعة بل الغرض أن يبين المعنى المبتدع من غيره والذي عندي في السرقات أنه متى أورد الآخر شيأ من ألفاظ الاول في معنى من المعاني ولو لفظة واحدة فان ذلك من أدل الدليل على سرقته (واعلم) أن علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فأكثروا وكنت ألفت فيه كتابا وقسمته ثلاثة أقسام نسخا وسلخا ومسخا أما النسخ فهو أخذ اللفظ والمعنى برمته من غير زيادة عليه مأخوذا ذلك من نسخ الكتاب وأما السلخ فهو أخذ بعض المعنى مأخوذا ذلك من سلخ الجلد الذي هو بعض الجسم المسلوخ وأما المسخ فهو احالة المعنى الى ما دونه مأخوذا ذلك من مسخ الآدميين قردة (وههنا قسمان آخران) أخللت بذكرهما في الكتاب الذي ألفته فأحدهما أخذ المعنى مع الزيادة عليه والآخر عكس المعنى الى ضده وهذان القسمان ليسا بنسخ ولا سلخ ولا مسخ وكل قسم من هذه الاقسام يتنوع ويتفرع وتخرج به القسمة الى مسالك دقيقة وقد استأنفت ما فاتني من ذلك في هذا الكتاب والله الموفق للصواب ومن المعلوم أن السرقات الشعرية لا يمكن الوقوف عليها الا بحفظ الاشعار الكثيرة التي لا يحصرها عدد فمن رام الاخذ بنواصيها والاشتمال على قواصيها فان يتصفح الاشعار تصفحا يقتنع بتأمله ناظراته لا يظفر منها الا بالحوشي والاطراف وكنت سافرت الى الشام في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من شعر ابن الخياط في قصيدة له أولها * خذا من صبا نجد أمانا لقلبه * ويزعمون أنه من المعاني الغريبة وهو

أغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا عليه أن تكون لحبه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من شعر أبي الطيب المتنبي في قوله

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لأغرته بفدائه

وقول أبي الطيب أدق معنى وان كان قول ابن الخياط أرق لفظا ثم اني وقفتهم على مواضع كثيرة من شعر ابن الخياط قد أخذها من شعر المتنبي وسافرت الى الديار المصرية في سنة ست وتسعين فوجدت أهلها يلهجون ببيت من الشعر يعزونه الى شاعر من أهل اليمن يقال له عمارة وكان حديث عهد بزماننا هذا في آخر الدولة العلوية بمصر وذلك البيت من جملة قصيدة له يمدح بها

نحو (الرغاء) و(الدعاء) و(البكاء) و(الحداء) و(الصراخ) و(النباح) و(الهتاف) قال و(الصياح) بضم أوله ويكسر وكذلك (النداء) بضم أوله ويكسر قال الفراء من كسرها جعلها مصدر الفاعلت الا الغناء فانه جاء مكسور الاول لا يضم (والغوات والغواث) من الاستغاثة بضم أوله ويفتح

﴿قال وأكثر الاصوات يأتي على فعيل﴾ نحو (الهدير) و(الهرير) و(النهيق) و(الشحيج) و(الصهيل) و(الصهيل) و(القليخ) و(النئيم) و(الضغيب)

﴿وقد أدخلوا فعالا على فعيل﴾ في أكثر الاصوات فقالوا (النهاق والنهيق) و(الشحاج والشحيج) و(النباح والنئيم) و(الضغاب والضغيب) و(الصهال والصهيل)

﴿قال وفعال يأتي كثيرا فيما يرفض وينبذ﴾ نحو (رفات) و(حطام) و(جذاذ) و(فصاص) و(فتات) و(رذال) قال و(فعالة) تأتي كثيرا في فضلة الشيء وفيما يسقط (فالنخالة) اسم ما وقع عن النخل و(النحاتة) اسم ما وقع عن النحت و(القوارة) اسم ما وقع عن التقوير و(قلامة الظفر) اسم ما وقع عن التقليم و(القصالة) اسم ما وقع عن القصل و(الخلالة) اسم ما وقع عن التخلل من الفم و(الكساحة) اسم ما تبدد عن الكسح وكذلك (القمامة) اسم ما وقع عن القم وهو الكسح و(الفضالة) اسم ما بقي بعد الاخذ و(النقاية) اسم ما بقي بعد الاختيار

﴿قال وبنوا النقاوة من الشيء﴾ (بنا النقاية) اذ كان ضده لانهم كثيرا ما يبنون الشيء على بناء ضده ﴿قال وفعالة تأتي كثيرا في الصناعات والولايات﴾ (كالقصارة)

بعض خدامها عند قدومه عليه من اليمن وهو

فهل درى البيت أنى بعد فرقته * ماسرت من حرم الا الى حرم

فقلت لهم هذا البيت ماخوذ من شعر أبى تمام فى قوله مادحا لبعض الخلفاء فى حجة حجها وذلك بيت من جملة أبيات حسنة

يامن رأى حرما يسرى الى حرم * طوبى لمستلم يأتى وملتزم

ثم قلت فى نفسى يالله العجب ليس أبو تمام وأبو الطيب من الشعراء الذين درست أشعارهم ولاهما ممن لم يعرف ولا اشتهر أمره بل هما كما يقال أشهر من الشمس والقمر وشعرهما دائر فى أيدى الناس بخلاف غيرهما فكيف خفى على أهل مصر ودمشق بيتا ابن الخياط وعمارة المأخوذان من شعرهما وعلمت حينئذ أن سبب ذلك عدم الحفظ للاشعار والاقتناع بالنظر فى دواوينهما ولما نصبت نفسى للخوض فى علم البيان ورمت أن أكون معدودا من علمائه علمت أن هذه الدرجة لاتنال الا بنقل مافى الكتب الى الصدور والاكتفاء بالمحفوظ عن المسطور

ليس بعلم ماحوى القمطر * ما العلم الا ماحواه الصدر

ولقد وقفت من الشعر على كل ديوان ومجموع وأنفدت شطرا من العمر فى المحفوظ منه والمسموع فألفيته بحرا لا يوقف على ساحله وكيف ينتهى الى احصاء قول لم تحص أسماء قائله فعند ذلك اقتصرت منه على ما تكثر فوائده وتتشعب مقاصده ولم أكن ممن أخذ بالتقليد والتسليم فى اتباع من قصر نظره على الشعر القديم اذ المراد من الشعر انما هو ايداع المعنى الشريف فى اللفظ الجزل واللطيف فمتى وجدت ذلك فكل مكان خيمت فهو بابل وقد اكتفيت فى هذا بشعر أبى تمام حبيب بن أوس وأبى عبادة الوليد وأبى الطيب المتنبى وهؤلاء الثلاثة هم لات الشعر وعزاه ومناته الذين ظهرت على أيديهم حسناته ومستحسناته وقد حوت أشعارهم غرابة المحدثين الى فصاحة القدماء وجمعت بين الامثال السائرة وحكمة الحكماء (أما أبو تمام) فانه رب معان وصيقل ألباب وأذهان وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر فهو غير مدافع عن مقام الاغراب الذى برز فيه على الاضراب ولقد مارست من الشعر كل أول وأخير ولم أقل ما أقول فيه الا عن تنقيب وتنقير فمن حفظ شعر الرجل وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله فى البلاغة ماقالت حذام فخذ منى فى ذلك قول حكيم وتعلم ففوق كل ذى علم عليم (وأما أبو عبادة البحترى) فانه أحسن فى سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى ولقد حاز طرفى الرقة والجزالة على الاطلاق فبينا يكون فى شظف نجد اذ تشبث بريف العراق وسئل أبو الطيب المتنبى عنه وعن أبى تمام وعن نفسه فقال أنا وأبو تمام حكيمان والشاعر البحترى ولعمرى انه أنصف فى حكمه وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه فان أبا عبادة أتى فى شعره بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء فى اللفظ المصوغ من سلاسة الماء فأدرك بذلك بعد المرام مع قربه الى الافهام وما أقول الا أنه أتى فى معانيه بأخلاط الغالية ورقى فى ديباجة لفظه الى الدرجة العالية (وأما أبو الطيب المتنبى) فانه أراد أن يسلك مسلك أبى تمام فقصرت عنه خطاه ولم يعطه الشعر من قياده ما أعطاه لكنه حظى فى شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع فى وصف مواقف القتال وأنا أقول قولا لست فيه متأثما ولا منه متلثما وذلك أنه اذا خاض فى وصف معركة كان لسانه أمضى من نصالها وأشجع من أبطالها وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها حتى تظن الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقه فى ذلك تضل بسالكه وتقوم بعذر تاركه ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف الدولة ابن حمدان فيصف لسانه

و(الوصاية) و(الجراية) و(الخلافة) و(الامارة) و(النكابة) وهى (العرافة) و(التجارة) و(الخياطة) والوكالة و(السعاية) ولاية الصدقات و(الابالة) حسن القيام على الابل و(العرافة) و(السياسة)

﴿قال والصناعة انما هى بمنزلة الولاية للشئ والقيام به﴾ فلذلك جمع بينهما فى البناء

﴿قال وقد جاء فعال فى أشياء تقاربت معانيها فجىء بها على مثال واحد﴾ وهو (الفرار) و(الشراد) و(النفار) و(الشماس) و(الطماح) و(الضراح) مشبه بذلك و(الضرح) الرمح (ضرح) أى رمح لانه اذا ضرح باعدك و(الشباب) مشبه بالشماس و(الخراط) مشبه بالشراد و(العضاض) مشبه بالضراح وقالوا (الحران) فى الخيل و(الخلاء) فى النوق فجىء بهما على هذا المثال لانهما فرق وتباعد من شئ بهاب ولانهما فى العيوب بمنزلة ما تقدم

﴿قال وقد يأتى فعال فى الوسوم﴾ نحو (العلاط) و(الخباط) و(العراض) و(الجناب) و(الكشاح) وهذه أسماء آثار الوسوم والمصدر يأتى على فعل نحو خبطته (خبطا) وكشحته (كشحا)

﴿قال وقد يأتى فعال فى الهياج﴾ نحو (النزع) لانه يهيج فيذكر و(الهباب) و(الصراف) فى الشاء و(الكلاب)

﴿وقد تأتى فعال فى أشياء بلغت الغاية﴾ نحو (الصرام) و(الجزاز) و(الجداد) و(الحصاد) و(القطاع) و(القطاف) وقد جاءت هذه كلها على فعال بالفتح والمصدر يأتى على فعل

﴿قال والاسماء التى بنيت على فعيل﴾ تجىء وأضدادها على بناء واحد وما قل ما يعتاب قالوا (كثير) و(قليل) و(كبير)

ما

ما أدى اليه عيانه ومع هذا فاني رأيت الناس عادلين فيه عن سنن التوسط فاما مفرط في وصفه واما مفرط وهو وان انفرد بطريق صار أبا عذره فان سعادة الرجل كانت أكبر من شعره وعلى الحقيقة فانه خاتم الشعراء ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الاطراء ولقد صدق في قوله من أبيات يمدح بها سيف الدولة

لا تطلبن كريما بعد رؤيته * ان الكرام بأسخاهم يدا ختموا
ولا تبال بشعر بعد شاعره * قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

ولما تأملت شعره بعين المعدلة البعيدة عن الهوى وعين المعرفة التي ما ضل صاحبها وما غوى وجدته أقساما خمسة خمس في الغاية التي انفرد بها دون غيره وخمس من جيد الشعر الذي يساويه فيه غيره وخمس من متوسط الشعر وخمس دون ذلك وخمس في الغاية المتقهقرة التي لا يعبأ بها وعدمها خير من وجودها ولو لم يقلها أبو الطيب لوقاه الله شرها فانها هي التي ألبسته لباس الملام وجعلت عرضه شارة لسهام الاقوام ولسائل هنا أن يسأل ويقول لم عدلت الى شعر هؤلاء الثلاثة دون غيرهم فأقول اني لم أعدل اليهم اتفاقا وانما عدلت اليهم نظرا واجتهادا وذلك اني وقفت على أشعار الشعراء قديمها وحديثها حتى لم أترك ديوانا لشاعر مفلق يثبت شعره على المحك الا وعرضته على نظري فلم أجد أجمع من ديوان أبي تمام وأبي الطيب للمعاني الدقيقة ولا أكثر استخراجا منهما للطيف الاغراض والمقاصد ولم أجد أحسن تهذيبا للالفاظ من أبي عبادة ولا أنقش ديباجة ولا أبهج سبكا فاخترت حينئذ دواوينهم لاشتمالها على محاسن الطرفين من المعاني والالفاظ ولما حفظتها ألغيت ما سواها مع ما بقي على خاطري من غيرها (وقد أوردت) في هذا الموضع من السرقات الشعرية ما لم يورده غيري ونبهت على غوامض منها وكنت قدمت القول أني قسمتها الى خمسة أقسام منها الثلاثة الاول وهي النسخ والسلخ والمسخ ومنها القسمان الآخران وها أنا أبين ما تنقسم اليه هذه الاقسام من تشعبها وتفريعها فأقول (أما النسخ) فانه لا يكون الا في أخذ المعنى واللفظ جميعا أو في أخذ المعنى وأكثر اللفظ لانه مأخوذ من نسخ الكتاب وعلى ذلك فانه ضربان (الاول) يسمى وقوع الحافر على الحافر كقول امرئ القيس

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وكقول طرفة

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقد أكثر الفرزدق وجرير من هذا في شعرهما فمنه ما ورد فيه مورد امرئ القيس وطرفة في تخالفهما في لفظة واحدة كقول الفرزدق

أتعدل أحسابا لئاما حماتها * بأحسابنا اني الى الله راجع

وكقول جرير

أتعدل أحسابا كراما حماتها * بأحسابكم اني الى الله راجع

(ومنه) ما تساويا فيه لفظا بلفظ كقول الفرزدق

وغر قد وسقت مشمرات * طوالع لا تطيق لها جوابا
بكل ثنية وبكل ثغر * غرائبهن تنتسب انتسابا
بلغن الشمس حين تكون شرقا * ومسقط رأسها من حيث غابا

وكذلك قال جرير من غير أن يزيد وقد حكي أن امرأة من عقيل يقال لها ليلى كان يتحدث اليها الشباب فدخل الفرزدق اليها وجعل يحادثها وأقبل فتى من قومها كانت تألفه فدخل اليها فأقبلت عليه وتركت الفرزدق فغاظه ذلك فقال للفتى أتصارعني فقال ذاك اليك فقام اليه فلم يلبث أن أخذ الفرزدق فصرعه وجلس على صدره فضرط فوثب الفتى عنه وقال يا أبا فراس هذا

و(صغير)و(ثقيل)و(خفيف)و(بطيء)و(سريع)و(شريف) و(وضيع)و(قوي)و(ضعيف)و(كريم) و(لئيم)و(عزيز)و(ذليل) و(غني)و(فقير)و(سعيد)و(شقي) و(قبيح)و(مليح)و(وسيم)و(دميم) و(غوي)و(رشيد) و(قديم) و(حديث)و(طويل)و(قصير) و(سخي) و(شحيح) و(غليظ) و(دقيق) و(نحيف) و(رقيق) و(حليم) و(سفيه) و(دني) و(رفيع)و(بطين)و(خميص) وقالوا (جميل)و(سمح)و(سميج) وقالوا (عظيم) ولم يأت له ضد استغنوا بضد مثله عن ضده وهو (كبير) وضده (صغير) وقالوا (سمين) ولم يأت له ضد على سائه فأما قولهم (هزيل) فانما هو فعيل بمعنى مفعول وقالوا (شديد) ولم يأت له ضد استغنى بضد مثله عن ضده مثل (قوي)و(ضعيف) وقد جاءت أشياء على غير هذا البناء قالوا (حسن) ولم يقولوا حسين كما قالوا (جميل) وقالوا (جريء) و(شجيع) ولم يقولوا جبين من الجبان وقالوا (عظيم) ولم يقولوا (ضخيم) وقالوا (كبش) فاستغنوا بضد مثله عن ضده مثل (سريع) و (بطيء) وقالوا (لبيب) ولا ضد له استغنى بضد مثله عن ضده وهو (عاقل وجاهل) وقالوا (شحيح وضنين وبخيل) ولم يأت في ضد ذلك (الاسخى) على هذا البناء قال وليس اسم من هذه الافعال التي لحقتها الزوائد يكون أبدا الاصفة الا ما كان من مفعل فانه جاء اسما في (مخدع) ونحوه

﴿شواذ البناء﴾

قال سيبويه ليس في الاسماء ولا في الصفات فعل ولا تكون هذه البنية الا للفعل قال ابو محمد قال لي ابو حاتم السجستاني سمعت الاخفش يقول قد جاء على فعل حرف واحد وهو (الدئل) وقال هي دويبة

مقام العائذ بك والله ما أردت ما جرى فقال ويحك والله ما بي أنك صرعتني ولكن كأني بابن الاتان يعني جريرا وقد بلغه خبري فقال يهجوني

جلست الى ليلى لتحظى بقربها * فخانك دبر لا يزال يخون
فلو كنت ذا حزم شددت وكاءه * كما شد جربان الدلاص قيون

قال فوالله ما مضى الأيام حتى بلغ جريرا الخبر فقال فيه هذين البيتين وهذا من أغرب ما يكون في مثل هذا الموضع وأعجبه ويقال ان الفرزدق وجريرا كانا ينطقان في بعض الاحوال عن ضمير واحد وهذا عندي مستبعد فان ظاهر الامر يدل على خلافه والباطن لا يعلمه الا الله تعالى واذا رأينا شاعرا متقدم الزمان قد قال قولا ثم سمعناه من شاعر أتى من بعده علمنا بشهادة الحال أنه أخذه منه وهب أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة فكيف تتفق الالسنة أيضا في صوغ الالفاظ (ومما كنت أستحسنه) من شعر أبي نواس قوله من قصيدته التي أولها

* دع عنك لومي فان اللوم اغراء *

دارت على فتية ذل الزمان لهم * فما يصيبهم الا بما شاؤا

وهذا من عالي الشعر ثم وقفت في كتاب الاغاني لابي الفرج على هذا البيت في أصوات معبد وهو

لهفي على فتية ذل الزمان لهم * فما أصابهم الا بما شاؤا

وما أعلم كيف هذا ﴿والضرب الثاني من النسخ﴾ وهو الذي يؤخذ فيه المعنى وأكثر اللفظ كقول بعض المتقدمين يمدح معبدا صاحب الغناء

أجاد طويس والسريجي بعده * وما قصبات السبق الا لمعبد

ثم قال أبو تمام

محاسن أصناف المغنين جمة * وما قصبات السبق الا لمعبد

وهذه قصيدة أولها * غدت تستجير الدمع خوف نوى غد * فقال

وقائع أصل النصر فيها وفرعه * اذا عدد الاحسان أو لم يعدد
فمهما تكن من وقعة بعد لا تكن * سوى حسن مما فعلت مردد
محاسن أصناف المغنين جمة * البيت

﴿وأما السلخ﴾ فانه ينقسم الى اثني عشر ضربا وهذا تقسيم أوجبته القسمة واذا تأملته علمت انه لم يبق شيء خارج عنه (فالاول) أن يؤخذ المعنى ويستخرج منه ما يشبهه ولا يكون هو اياه وهذا من أدق السرقات مذهبا وأحسنها صورة ولا يأتي الا قليلا في ذلك قول بعض شعراء الحماسة

لقد زادني حبا لنفسي أنني * بغيض الى كل امرئ غير طائل

أخذ المتنبي هذا المعنى واستخرج منه معنى آخر غيره الا أنه شبيه به فقال

واذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل

والمعرفة بأن هذا المعنى أصله من ذلك المعنى عسر غامض وهو غير متبين الا لمن أعرق في ممارسة الاشعار وغاص في استخراج المعاني وبيانه أن الاول يقول ان بغض الذي هو غير طائل اياي مما زاد نفسي حبا الى أي جعلها في عيني وحسنها عندي كون الذي هو غير طائل مبغضي والمتنبي يقول ان ذم الناقص اياي شاهد بفضلي فذم الناقص اياه كبغض الذي هو غير طائل ذلك الرجل وشهادة ذم الناقص اياه بفضله كتحسين بغض الذي هو غير طائل نفس ذلك الرجل عنده ومن هذا الضرب ما هو أظهر مما ذكرته وأبين كقول أبي تمام

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة * رعاها وماء الروض ينهل ساكبه

أخذ البحتري هذا المعنى واستخرج منه ما يشابهه كقوله في قصيدة يفخر فيها بقومه

صغيرة تشبه ابن عرس قال وأنشدني الاخفش

جاؤا بجمع لو قيس معرسه * ما كان الا كمعرس الدئل

قال وبها سميت قبيلة أبي الاسود الدؤلي وهي من كنانة الا أنك اذا نسبت الى (الدئل) قلت (الدؤلي) ففتحت استثقالا الكسرتين بعد ضمة وياءي النسب وكذلك تنسب الى (ابل) فتقول (ابلي) ويستثقلون تتابع الكسرات وياءي النسب وقال سيبويه ليس في الكلام فعل الا حرفان في الاسماء (ابل) و(الحبر) وهو القلح في الاسنان وحرف في الصفة قالوا امرأة (بلز) وهي الضخمة وقد جاء حرف آخر وهو أطل وقال سيبويه ليس في الكلام فعل وصف الا حرف من المعتل يوصف به الجميع وذلك قولك قوم (عدى) وهو مما جاء على غير واحده وقال غيره وقد جاء مكان (سوى) و(زيم) وقال سيبويه لا نعلم في الكلام أفعلاء الا الاربعاء قال أبو محمد قال لي أبو حاتم قال أبو زيد وقد جاء (الارمداء) وهو الرماد العظيم وأنشد

لم يبق هذا الدهر من آيائه
غير أثافيه وارمدائه

جمع (آيا) على آياء وهو أفعال قال سيبويه وليس في الكلام يفعول وأما قولهم (يسروع) فانهم ضموا الياء لضمة الراء كما قالوا الاسود بن (يعفر) فضموا الياء لضمة الفاء ويقوي هذا أنه ليس في الكلام يفعل قال وليس في الكلام مفعل الا (منخر) وأما (منتن) و(مغيره) فانهما من أغار وأنتن ولكنهم كسروا كما قالوا أجوءك ولامك قال وليس في الكلام مفعل قال الكسائي قد جاء حرفان نادران لا يقاس عليهما وهو قول الشاعر

* أيوم روع أو فعال مكرم * وقال الآخر

بثين الزمي لا ان لا ان لزمته * على كثرة الواشين أي معون

شيخان

شيخان قد ثقل السلاح عليهما * وعداهما رأى السميع المبصر
ركبا القنا من بعد ما حملا القنا * فى عسكر متحامل فى عسكر

فأبو تمام ذكر أن الجمل رعى الارض ثم سار فيها فرعته أى أهزلته فكأنما فعلت به مثل ما فعل بها والبحترى نقل هذا الى وصف الرجل بعلو السن والهرم فقال انه كان يحمل الرمح فى القتال ثم صار يركب عليه أى يتوكأ منه على عصا كما يفعل الشيخ الكبير وكذلك ورد قول الرجلين أيضا فقال أبو تمام

لا أظلم النأى قد كانت خلائقها * من قبل وشك النوى عندى نوى قذفا

أخذه البحترى فقال

أعانك ما كان الشباب مقربى * اليك فالحى الشيب اذ هو مبعدى

وهذا أوضح من الذى تقدمه وأكثر بيانا (الضرب الثانى من السلخ) أن يؤخذ المعنى مجردا من اللفظ وذلك مما يصعب جدا ولا يكاد يأتى الا قليلا فمنه قول عروة بن الورد من شعراء الحماسة

ومن يك مثلى ذا عيال ومقترا * من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليبلغ عذرا أو ينال رغيبة * ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

أخذ أبو تمام هذا المعنى فقال

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة * تقوم مقام النصر اذ فاته النصر

فعروة بن الورد جعل اجتهاده فى طلب الرزق عذرا يقوم مقام النجاح وأبو تمام جعل الموت فى الحرب الذى هو غاية اجتهاد المجتهد فى لقاء العدو قائما مقام الانتصار وكلا المعنيين واحد غير أن اللفظ مختلف وهذا الضرب فى سرقات المعانى من أشكلها وأدقها وأغربها وأبعدها مذهبا ولا يتفطن له ويستخرجه من الاشعار الا بعض الخواطر دون بعض وقد يجيء منه ما هو ظاهر لا يبلغ فى الدقة مبلغ هذه الابيات المشار اليها كقول ابن المقفع فى باب الرثاء من كتاب الحماسة

فقد جر نفعا فقدنا لك أننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع

وجاء بعده من أخذ هذا المعنى فقال

وقد عزى ربيعة أن يوما * عليها مثل يومك لا يعود

وهذا من البديع النادر وههنا ما هو أشذ ظهورا من هذين البيتين فى هذا الضرب من السرقات الشعرية وذلك يأتى فى الالفاظ المترادفة التى يقوم بعضها مقام بعض وذلك لا اعتداد به لمكان وضوحه لكن قد يجيء منه ما هو صفة من صفات الترادف لا الاسم نفسه فيكون حسنا كقول جرير ولا يعلمك من أرب لحاهم * سواء ذو العمامة والخمار

أخذ أبو الطيب المتنبى هذا المعنى فقال

ومن فى كفه منهم قناة * كمن فى كفه منهم خضاب

(الضرب الثالث من السلخ) وهو أخذ المعنى ويسير من اللفظ وذلك من أقبح السرقات وأظهرها شناعة على السارق فمن ذلك قول البحترى فى غلام

فوق ضعف الصغير ان وكل الأمـ * ـر اليه ودون كيد الكبار

سبقه أبو نواس فقال

لم يخف من كبر عما يراد به * من الامور ولا أزرى من الصغر

وكذلك قوله أيضا كل عيد له انقضاء وكلى * كل يوم من جوده فى عيد

أخذه من على بن جبلة

قال الفراء (مكرم) جمع مكرمة (ومعون) جمع معونة قال سيبويه وقد جاء (مفعول) وهو قليل غريب جعلوا الميم بمنزلة الهمزة فقالوا (مفعول) كما قالوا (افعول) وكما قالوا (مفعال) لما قالوا (افعال) و (مفعيل) لما قالوا افعيل قالوا (معلوق) للعلاق وزاد غيره (مغرود) لضرب من الكمأة (ومغفور) لواحد المغافير ويقال (مغثور) أيضا و (منخور) للمنخر قال شبه بفعلول وقال أيضا غيره وليس يأتى (مفعول) من ذوات الثلاثة وهى من بنات الواو بالتمام وانما يأتى بالنقص مثل (مقول) و (مخوف) لا حرفان قالوا مسك (مدووف) وثوب (مصوون) فاما ذوات الياء فتأتى بالنقص والتمام يقال بر (مكيل) و (مكيول) وثوب (مخيط) و (مخيوط) ورجل (معين) و (معيون) وقال سيبويه ولم يأت على (فعول) اسم ولا صفة قال غيره جاء (سبوح) و (قدوس) و (ذروح) لواحد الذراريح وحكى سيبويه (قدوس) و (سبوح) بالفتح وكان يقول فى واحد الذراريح (ذرحرح) قال سيبويه وليس فى الكلام (فعلول) بفتح الفاء وتسكين العين وانما يجئ على (فعلول) نحو (هذلول) و (زنبور) و (عصفور) وفى الصفة (حلكوك) أو على (فعلول) بفتح العين نحو (بلصوص) و (بعكوك) وقال غيره قد جاء (فعلول) فى حرف واحد نادر قالوا (بنى صعفوق) لخول باليمامة قال العجاج

* من آل صعفوق وأتباع أخر *

قال سيبويه ولم يأت (فعيل) فى الكلام الا قليلا قالوا (مريق) وكوكب (درىء) وأما الفراء فزعم أن الدرى منسوب الى الدر ولم يجعله على فعيل قال سيبويه لا نعلم (فعلالا)

للعيد يوم من الايام منتظر * والناس في كل يوم منك في عيد

وكذلك قوله جاد حتى أفنى السؤال فلما * بادمنا السؤال جاد ابتداء

أعطيت حتى لم تدع لك سائلا * وبدأت اذ قطع العفاة سؤالها

وقد افتضح البحتري في هذه المآخذ غاية الافتضاح هذا على بسطة باعه في الشعر وغناه عن مثلها وقد سلك هذه الطريق فحول الشعراء ولم يستنكفوا من سلوكها فمن فعل ذلك أبو تمام فانه قال قد قلصت شفتاه من حفيظته * فخيل من شدة التعبيس مبتسما

سبقه عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن فقال

واذا تشاء أن ترى الموت في صو * رة ليث في ابدتي رئبال

فالقه غير أغا البدتاه * أبيض صارم وأسمر عال

تلق ليثا قد قلصت شفتاه * فيرى ضاحكا العبس الصيال

وكذلك قال أبو تمام فلم أمدحك تفخيما بشعري * ولكني مدحت بك المديحا

أخذه من حسان بن ثابت في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال

ما ان مدحت محمدا بمقالتي * لكن مدحت مقالتي بمحمد

ولا شك أن أبا بكر رضي الله عنه سمع قول حسان حيث استخلف عمر رضي الله عنه فقال له عمر استخلف غيري فقال أبو بكر رضي الله عنه ما حبوناك بها وانما حبوناها بك وهكذا فعل ابن الرومي فيما جاء له قوله

جرحته العيون فاقتص منها * بجوى في القلوب دامى الندوب

سبقه أبو تمام فقال ادميت باللحظات وجنته * فاقتص ناظره من القلب

وكذلك قول ابن الرومي

وكلت مجدك في اقتضائك حاجتي * وكفى به متقاضيا ووكيلا

سبقه أبو تمام فقال واذا المجد كان عوني على المر * ء تقاضيته بترك التقاضي

وكذلك قال ابن الرومي ومالي عزاء عن شبابي علمته * سوى أنني من بعده لا أخلد

سبقه منصور النمري فقال

قد كدت أقضي على فوت الشباب أسى * لولا تعزي أن العيش منقطع

وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي فيما جاء منه قوله

فدى نفسه بضمان النضار * وأعطى صدور القنا الذابل

أخذه من قول الفرزدق كان الفداء له صدور رماحنا * والخيل اذ رهج الغبار مثار

وكذلك قوله أيضا أين ازمعت أيهذا الهمام * نحن نبت الربا وأنت الغمام

أخذه من بشار حيث قال

كأن الناس حين تغيب عنهم * نبات الارض أخطأه القطار

وكذلك قوله فلا زالت ديارك مشرقات * ولا دانيت يا شمس الغروبا

لاصبح آمنا فيك الرزايا * كما أنا آمن فيك العيوبا

أخذه من ابن الرومي حيث قال

أسالم قد سلمت من العيوب * الا فاسلم كذلك من الخطوب

والذي عندي في الضرب المشار اليه أنه لا بد من مخالفة المتأخر المتقدم اما بأن يأخذ المعنى فيزيد به معنى آخر أو يوجز في لفظه أو يكسوه عبارة أحسن من عبارته (ومن هذا الضرب)

في الكلام الا المضعف نحو (الجرجار) و(الدهداه) و(الصلصال) و(الحقحاق) وقال الفراء ليس في الكلام (فعلال) بفتح الفاء من غير ذوات التضعيف الا حرف واحد يقال ناقة بها (خزعال ظلع) فأما ذوات التضعيف (فالقلقال) و(الزلزال) وما أشبه ذلك وهو مفتوح اسم فاذا كسرته فهو مصدر وتقول (قلقلته قلقالا) و(زلزلته زلزالا) قال سيبويه و(فعلال) من غير المضاعف (حملاق) و(قنطار) و(شملال) والصفة (سرداح) و(هلباج) قال سيبويه وقد جاء (فعلاء) بفتح العين في الاسماء دون الصفات قالوا (قرماء) و(جنفاء) وهما مكانان وأنشد

على قرماء عالية شواه
كأن بياض غرته خمار

وأنشد

رحلت اليك من جنفاء حتى
أنخت فناء بيتك بالمطالي

قال غير سيبويه وقد جاء (فعلاء) في حرف واحد وهو صفة قالوا للأمة (ثأداء) بتسكين الهمزة و(ثأداء) بفتحها وأنشد للكميت

وما كنا بني ثأداء حتى
شفينا بالاسنة كل وتر

ويروى قضينا قال سيبويه ولا يكون في الكلام (فعلاء) الا وآخره علامة التأنيث نحو (نفساء) وناقة (عشراء) وهو يتنفس (الصعداء) و(الرحضاء) الحمى تأخذ بعرق و(القوباء) وقال غيره من قال (قوباء) فتح الواو وجعلها مؤنثة لا تنصرف وجمعها قوب ومن قال (قوباء) فسكن الواو فهي حينئذ مذكر ينصرف وقال أيضا وليس في الكلام (فعلاء) مضمومة الفاء ساكنة العين ممدودة الا (قوباء) و(خشاء) وهو العظم الناتئ خلف الاذن وقال بعضهم الاصل (قوباء) و(خششاء) فسكنوا ما

ما يستعمل على وجه يزداد قبحه وتكثر الشناعة به وهو أن يأخذ أحد الشاعرين معنى من قصيدة لصاحبه على وزن وقافية فيودعه قصيدة له على ذلك الوزن وتلك القافية ومثاله فى ذلك كمن سرق جوهرة من طوق أو نطاق ثم صاغها فى مثل ما سرقها منه والاولى به ان كان تمام تلك الجوهرة فى عقد أو صاغها فى سوار أو خلخال ليكون أكتم لامرها وممن فعل ذلك من الشعراء فافتضح أبو الطيب المتنبى حيث قال فى قصيدته التى أولها * غيرى باكثر هذا الناس ينخدع

لم يسلم الكر فى الاعقاب مهجته * ان كان أسلمها الاصحاب والشيع

وهذه القصيدة مصوغة على قصيدة لابى تمام فى وزنها وقافيتها أولها

أى القلوب عليكم ليس ينصدع * وهذا المعنى الذى أورده أبو الطيب مأخوذ من بيت منها وهو

ما غاب عنكم من الاقدام أكرمه * فى الروع اذ غابت الانصار والشيع

وليس فى السرقات الشعرية أقبح من هذه السرقة فانه لم يكتف الشاعر فيها بأن يسرق المعنى حتى ينادى على نفسه أنه قد سرقه (الضرب الرابع من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيعكس وذلك حسن يكاد يخرجه حسنه عن حد السرقة فمن ذلك قول أبى نواس

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم * أشهى المطى الى ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة * لبست وحبة لؤلؤ لم تثقب

فقال مسلم بن الوليد فى عكس ذلك

ان المطية لا يلذ ركوبها * حتى تذلل بالزمام وتركبا

والحب ليس بنافع أربابه * حتى يفصل فى النظام ويثقبا

ومن هذا الباب قول ابن جعفر

ولما بدا لى أنها لا تريدنى * وأن هواها ليس عنى بمنجلى

تمنيت أن تهوى سواى لعلها * تذوق صبابات الهوى فترق لى

وقال غيره ولقد سرنى صدودك عنى * فى طلابيك وامتناعك منى

حذرا أن أكون مفتاح غيرى * واذا ما خلوت كنت التمنى

أما ابن جعفر فانه تداعب وألقى عن منكبه رداء الغيرة وأما الآخر فجاء بالضد من ذلك وتغالى به غاية الغلو وكذلك ورد قول أبى الشيص

أجد الملامة فى هواك لذيذة * شغفا بذكرك فليلمنى اللوم

أخذ أبو الطيب المتنبى هذا المعنى وعكسه فقال

أأحبه وأحب فيه ملامة * ان الملامة فيه من أعدائه

وهذا من السرقات الخفية جدا ولأن يسمى ابتداعا أولى من أن يسمى سرقة وقد توخيته فى شئ من شعرى فجاء حسنا فمن ذلك قولى

لولا الكرام وما سنوه من كرم * لم يدر قائل شعر كيف يمتدح

أخذته من قول أبى تمام

ولولا خلال سنها الشعر ما درى * بناة العلى من أين تؤتى المكارم

(الضرب الخامس من السلخ) وهو أن يؤخذ بعض المعنى فمن ذلك قول أمية بن أبى الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

عطاؤك زين لامرئ ان حبوته * ببذل وما كل العطاء يزين

وليس بشين لامرئ بذل وجهه * اليك كما بعض السؤال يشين

وكل حرف جاء على (فعلاء) فهو ممدود الا أحرفا جاءت نادرة (وهى الاربى) وهى الداهية (وشعبى) وهو اسم موضع و(ادمى) أيضا اسم بلد قال سيبويه وليس فى الكلام (فعلى) والالف لغير التأنيث ولانه لم يجئ (فعلى) والالف لغير التأنيث الا أنهم قالوا (بهماة) فالحقوا الهاء كما قالوا امرأة (سعلاة) ورجل (عزهاة) وقال عبد الله بن قتيبة قال لى أبو حاتم عن الاخفش أو غيره قال لا يكون (فعلى) صفة قال وأما قولهم قسمة (ضيزى) فانهم فعلى بالضم فكسرت الضاد لمكان الياء

قال وليس فى الكلام (فعلى) الا بالالف واللام أو بالاضافة نحو (الصغرى) و(الكبرى) ولا تقل هذه امرأة (صغرى) كما لا تقول هذا رجل (أصغر) حتى تقول منك وتقول هذه (الصغرى) وهذا الاصغر قال سيبويه وغيره ليس فى الكلام من ذوات الاربعة (مفعل) بكسر العين وانما جاء بالفتح نحو (مرمى) و(مدعى) و(مغزى) قال الفراء قد جاء على ذلك حرفان نادران سمعتهما بالكسر وهما (مأقى العين) و(مأوى الابل) وسائر الكلام بالفتح قال الاصمعى ليس فى الكلام (فعلل) بكسر الفاء وفتح اللام الا حرفان (درهم) و(هجرع) وهو الطويل المفرط الطول قال سيبويه و(قلعم) وهو اسم و(هبلع) وهو صفة وأنشد غيره

* فشلت اعفافه جراف هبلع *

قال أبو عبيدة ولم يأت (مفعيل) فى غير التصغير الا فى حرفين (مسيطر) و(مبيطر) وزاد غيره (مهيمن) قال غير واحد قالوا لم يأت (فعلة) فى الواحد الا قليلا قالوا (التولة) اضرب من السحر وهذا (سبى طيبة) وتقول (اياك والطيرة) ومحمد صلى الله عليه وسلم (خيرة الله)

أخذه أبو تمام فقال تدعى عطاياه وفرا وهي ان شهرت * كانت فخارا لمن يعفوه مؤتنفا
مازلت منتظرا أعجوبة زمنا * حتى رأيت سؤالا يجتني شرفا

وأمية بن أبي الصلت أتى بمعنيين اثنين أحدهما أن عطاءك زين والآخر أن عطاء غيرك شين وأما أبو تمام فانه أتى بالمعنى الاول لا غير ومن هذا الضرب قول علي بن جبلة

وآثل مالم يحوه متقدم * وان نال منه آخر فهو تابع

وقال أبو الطيب المتنبي

ترفع عن عون المكارم قدره * فما يفعل الفعلات الا عذاريا

فعلي بن جبلة اشتمل ما قاله على معنيين أحدهما أنه فعل مالم يفعله أحد ممن تقدمه وان نال منه الآخر شيأ فانما هو مقتد به وتابع له وأما أبو الطيب المتنبي فانه لم يأت الا بالمعنى الواحد وهو أنه يفعل مالا يفعله غيره غير أنه أبرزه في صورة حسنة ومن ذلك قول أبي تمام

كلف بربّ المجد يعلم أنه * لم يبتدأ عرف اذا لم يتمم

وقال البحتري ومثلك ان أبدى الفعال أعاده * وان صنع المعروف زاد وتمما

فأبو تمام قال ان الممدوح يرب صنيعه أي يستديمه ويعلم أنه اذا لم يستدمه فما ابتدأه والبحتري قال انه يستديم صنيعه لا غير وذلك بعض ماذكره أبو تمام وكذلك قال البحتري

ادفع بأمثال أبي غالب * عادية العدم أو استعفف

أخذه عمن تقدمه حيث قال انتج الفضل أو تخل عن الدنيا فهاتان غاية الهمم

فالبحتري أخذ بعض هذا المعنى ولم يستوفه وكذلك ورد قول ابن الرومي

نزلتم على هام المعالي اذا ارتقى * اليها أناس غيركم بالسلالم

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

فوق السماء وفوق ما طلبوا * فاذا أرادوا غاية نزلوا

وهذا بعض المعنى الذي تضمنه قول ابن الرومي لانه قال انكم نزلتم على هام المعالي وان غيركم يرقى اليها رقيا وأما المتنبي فانه قال انكم اذا أردتم غاية نزلتم وأما قوله فوق السماء فانه يغني عنه قول ابن الرومي نزلتم على هام المعالي اذ المعالي فوق كل شيء لانها مختصة بالعلو مطلقا (الضرب السادس من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيزاد عليه معنى آخر فمما جاء منه قول الاخنس بن شهاب

اذا قصرت أسيافنا كان وصلها * خطانا الى أعدائنا فنضارب

أخذه مسلم بن الوليد فزاد عليه وهو قوله

ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا * أو عرّد السيف لم يهمم بتعريد

وكذلك ورد قول جرير في وصف أبيات من شعره

غرائب آلاف اذا حان وردها * أخذن طريقا للقصائد معلما

أخذه أبو تمام فزاد عليه اذ قال في وصف قصيدة له وقرن ذلك بالممدوح

غرائب لاقت في فنائك أنسها * من المجد فهي الآن غير غرائب

وكذلك ورد قول ولد مسلمة بن عبد الملك

أذل الحياة وكره الممات * وكلا أراه طعاما وبيلا
فان لم يكن غير احداهما * فسيرا الى الموت سيرا جميلا

أخذه أبو تمام فقال مثّل الموت بين عينيه والذل وكلا أراه خطبا عظيما
ثم صارت به الحمية قدما * فأمات العدا ومات كريما

من خالفه وهو في الجمع كثير نحو (كوز وكوزة) و(عود وعودة) و(هز وهرزة) قالوا جمع (هزة هرد) وجمع (هزهرزة) وكذلك (عود وعودة) وناقة (عودة وعود) قال سيبويه و(أفعل) في الكلام قليل قالوا (أصبع) قال ولم يأت على (افعل) الا قليل في الاسماء قالوا (أبلم) و(أصبع) ولم يأت وصفا قال ولم يأت على (افعال) الا حرف واحد قالوا (اصدار) لضرب من الشجر قالوا (وافعلان) قليل في الكلام لا نعلمه جاء الا (اسحمان) وهو جبل و(امدان) و(اربيان) وفي الصفة (ليلة اضحيان) قال ولم يأت على (أفعلان) الا حرفان يوم (أرونان) وعجين (انبخان) قال ولم يأت على (أفعلاء) الا حرف واحد قالوا (الاربعاء) وهو اسم عمود من عمد الاخبية قال وكذلك (أفعلاء) لم يأت الا في الجمع نحو (أصدقاء) و(أنصباء) الا حرف واحد لا يعرف غيره وهو (يوم الاربعاء) قال ولم يأت على (أفعلى) الا حرف واحد قالوا هو بدعو (الاجفلى) ويقال أيضا (الجفلى) قال (وفاعال) قليل في الاسماء ولا نعلمه جاء صفة نحو (ساباط) و(خاتام) و(داناق) للخاتم والدانق قال ولم يأت على (فعاليل) الا حرف واحد قالوا ماء (سخاخين) قال ولم يأت على (افنعل) الا حرفان قالوا (الحنبج) و(النندد) من الالد قال ولم يأت على (فعيل) الا حرف واحد (عليب) اسم واد قال ولم يأت على (فعلان) الا قليل قالوا (السلطان) قال ولم يأت على (فعلان) الا حرف قال * ألا يا ديار الحي بالسبعان * قال ولم يأت على (فعلاء) الا قليل قالوا (السيراء) و(الخيلاء) قال و(فوعال) قليل قالوا (التوراب) للتراب قال ولم يأت على (فعولاء) الا حرف قالوا (عشوراء) وهو اسم (وفعلان)

قراد

فزاد عليه بقوله * فأمات العداوة ومات كريما * ويروى أنه نظر عبد الله بن علي رضي الله عنه عند قتال المروانية الى فتى عليه أبهة الشرف وهو يبلي في القتال بلاء حسنا فناداه يافتى لك الامان ولو كنت مروان بن محمد فقال الا أكنه فلست بدونه قال ولك الامان ولو كنت من كنت فأطرق ثم تمثل بهذين البيتين المذكورين وكذلك ورد قول أبي تمام

يصد عن الدنيا اذا عن سودد * ولو برزت في زي عذراء ناهد

أخذه من قول المعذل بن غيلان

ولست بنظار الى جانب العلا * اذا كانت العلياء في جانب الفقر

الا أنه زاده زيادة حسنة بقوله * ولو برزت في زي عذراء ناهد * ومما يجري هذا المجرى قول البحتري

تخل عنا فانما أنت فينا * واو عمرو أو كالحديث المعاد

أخذه من قول أبي نواس

قل لمن يدعي سليما سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت ملصق مثل واو * ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

الا أن البحتري زاد على أبي نواس في قوله أو كالحديث المعاد وهكذا ورد قول البحتري أيضا

ركبوا الفرات الى الفرات وأملوا * جذلان يبدع في السماح ويغرب

أخذه من مسلم بن الوليد في قوله

ركبت اليه البحر في موخراته * فأوفت بنا من بعد بحر الى بحر

الا أن البحتري زاد عليه بقوله جذلان يبدع في السماح ويغرب وكذلك ورد قول أبي نواس

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وهذا البيت قد لهج به الناس لهجا كثيرا ومنهم من ظنه مبتدعا لأبي نواس ويحكى عن أبي تمام أنه دخل على ابن أبي دواد فقال له أحسبك عاتبا يا أبا تمام فقال انما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا قال من أين هذه يا أبا تمام قال من قول الحاذق أبي نواس وأنشده البيت وهذه الحكاية عندي موضوعة لان أبا تمام كان عارفا بالشعر حتى انه قال لم أنظم شعرا حتى حفظت سبعة عشر ديوانا للنساء خاصة دون الرجال وما كان يخفى عنه أن هذا المعنى ليس لابي نواس وانما هو مأخوذ من قول جرير

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

الا أن أبا نواس زاده زيادة حسنة وذلك أن جريرا جعل الناس كلهم بني تميم وأبا نواس جعل العالم كله في واحد وذلك أبلغ ومما ينتظم في هذا السلك قول الفرزدق

علام تلفتين وأنت تحتي * وخير الناس كلهم أمامي

متى تأتي الرصافة تستريحي * من الانساع والدبر الدوامي

أخذه أبو نواس فصار أملك به وأحسن فيه غاية الاحسان فقال

واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

فالفرزدق قال تستريحي من الانساع والدبر الدوامي وليست استراحتها نافعة من معاودة أتعابها مرة أخرى وأما أبو نواس فانه حرم ظهورهن على الرجال أي أنهن تعفى من السفر اعفاء مستمرا ولا شك أن أبا نواس لم يتنبه لهذه الزيادة الا من فعل العرب في السائبة والبحيرة وعلى هذا الاسلوب ورد قول المتنبي

وملمومة زرد ثوبها * ولكنه بالقنا مخمل

أخذه من أبي نواس في قوله

امام خميس أرجوان كأنه * قميص محوك من قنا وجياد

فزاد أبو الطيب زيادة صار بها أحق من أبي نواس بهذا المعنى وكذلك قال أبو الطيب المتنبي

وهو طائر وزاد غيره (تنوط) وهو طائر أيضا ويقال (تنوط) أيضا قال ولم يأت (فيعل) في الكلام الا في المعتل نحو (سيد) و (ميت) غير حرف واحد جاء نادرا قال رؤبة

ما بال عيني كالشعيب العين

فجاء به على فيعل وهذا في المعتل شاذ قال وكان بعض النحويين يزعم ان (سيدا) و (ميتا) وأشباههما فيعل غيرت حركته كما قالوا (بصري) و (أموي) و (دهري) فكذلك غيروا حركة فيعل وقال الفراء هو (فيعل) واحتج بأنه لا يعرف في الكلام (فيعل) انما جاء (فيعل) مثل (صيرف) و (خيفق) و (ضيغم) وقال البصريون هو (فيعل) واحتجوا بأنه قد يبنى المعتل بناء لا يكون للصحيح قالوا (قضاة) و (غزاة) و (رماة) فجمعوه على (فعلة) ولا يجمعون غير المعتل على ذلك (فالمعتل) جنس على حياله و (السالم) جنس على حياله قالوا و (فعليل) قليل في الكلام قالوا (غرنيق) لضرب من طير الماء قال وهو صفة

﴿شواذ التصريف﴾

قال الفراء وغيره العرب اذا ضمت حرفا الى حرف فربما أجروه على بنيته ولو أفرد لتركوه على جهته الاولى من ذلك قولهم (اني لآتيه بالعشايا) و (الغدايا) فجمعوا الغداة (غدايا) لما ضمت الى (العشايا) وأنشد

هتاك أخبية ولاج أبوبة
يخلط بالجد منه البر واللينا

فجمع الابواب (أبوبة) اذا كان متبعا الاخبية ولو أفرد لم يجز وقال آخر

أزمان عيناء سرور المسرور * عيناء حوراء من العين الحير

فقال (الحير) اذ كان بعد العين

وان جاد قبلك قوم مضوا ❊ فانك في الكرم الاول

فاخذته أنا وزدت عليه فقلت

أنت في الجود أول وقضى الله بأن لا يرى لك الدهر ثان

وهذا النوع من السرقات قليل الوقوع بالنسبة الى غيره (الضرب السابع من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى فيكسى عبارة أحسن من العبارة الاولى وهذا هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة فمن ذلك قول أبي تمام

جذلان من ظفر حران ان رجعت ❊ مخضوبة منكم وأظفاره بدم

أخذه البحتري فقال

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها ❊ تذكرت القربى ففاضت دموعها

ومن هذا الاسلوب قوله أيضا فقال أبو تمام

ان الكرام كثير في البلاد وان ❊ قلوا كما غيرهم قلوا وان كثروا

وقال البحتري قل الكرام فصار يكثر مدهم ❊ ولقد يقل الشئ حتى يكثر

وعلى هذا الصور ورد قول أبي نواس

يدل على ما في الضمير من الفتى ❊ تقلب عينيه الى شخص من يهوى

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

واذا خامر الهوى قلب صب ❊ فعليه لكل عين دليل

ومما ينتظم في هذا السلك قول أبي الطيب المتنبي

اذا ما ازددت من بعد التناهي ❊ فقد وقع انتقاصي في ازدياد

أخذه ابن نباتة السعدي فقال

اذا كان نقصان الفتى من تمامه ❊ فكل صحيح في الانام عليل

وكذلك ورد قول أبي العلاء بن سليمان في مرثية

وما كلفة البدر المنير قديمة ❊ ولكنه في وجهه أثر اللطم

أخذه الشاعر المعروف بالقيسراني فقال

وأهوى التي أهوى لها البدر ساجدا ❊ ألست ترى في وجهه أثر الترب

وكذلك قول ابن الرومي

اذا شنئت عين امرئ شيب نفسه ❊ فعين سواه بالشناءة أجدر

أخذه من تأخر زمانه عنه فقال

اذا كان شيبي بغيضا الي ❊ فكيف يكون اليها حبيبا

ومما ينخرط في هذا السلك قول بعضهم

مخصرة الاوساط زانت عقودها ❊ بأحسن مما زينتها عقودها

أخذه أبو تمام فقال

كأن عليها كل عقد ملاحة ❊ وحسنا وان أضحت وأمست بلا عقد

ثم أخذه البحتري فقال

اذا أطفأ الياقوت اشراق وجهها ❊ فان عناه ما توخت عقودها

وأمثال هذا كثيرة وفيما أوردناه مقنع (الضرب الثامن من السلخ) وهو أن يؤخذ المعنى ويسبك سبكا موجزا وذلك من أحسن السرقات لما فيه من الدلالة على بسطة النظم في القول

قال الفراء وأرى قولهم في الحديث (ارجعن مأزورات غير مأجورات) من هذا ولو أفردوا لقالوا (موزورات) وقالوا (أرض مسنية) من يسنوها المطر والقياس (مسنوة) وقال

❊ ما أنا بالجافي ولا الجفي ❊

قال الفراء بناه على جفي وقال الآخر

❊ أنا الليث معديا عليه وعاديا ❊

قالوا بناه على (عدي عليه) وقالوا (العلياء) والاصل (العلواء) لانه من الواو ألا ترى انك تقول (عشواء) و (قنواء) و (سفواء) فان كانت من الياء قلتها بالياء مثل (ظمياء) و (عمياء) ترد الى الواو ما كانت أصله والى الياء ما كانت أصله قال الخليل انما قالوا (علياء) لانه لا ذكر لها فأرادوا أن يفرقوا بين ماله ذكر وبين ما ليس له ذكر قال الفراء قد جاءت حروف على فعلاء لا ذكر لها قالوا وقالوا (اللأواء) و (الحلواء) ولكنهم بنوه على (عليت) وهما لغتان (علوت) و (عليت) والياء في (عليت) أصلها الواو وقلبت ياء لكسرة ما قبلها وقالوا (فلان مرضي المذهب) والاصل (مرضو) لانه من الرضوان فبني على (رضيت) وقالوا في جمع أبيض (بيض) والقياس (بوض) مثل (حمر) و (سود) وقالوا في جمع قوس (قسي) والاصل (قووس) وقالوا في جمع حاجة (حوايج) على غير قياس و (أينق) والاصل (أنوق) وقالوا (مذروان) والاصل (مذريان) وهما طرفا كل شئ وانما بني بالواو لانه بني (مثنى) لم يأت له واحد فيثنى عليه وكذلك قولهم عقله (بثنايين) والاصل (بثناءين) كما تقول (كساءين) و (رداءين) وانما جاء بغير همز لانه بني (مثنى) ولم يقولوا (ثناء) فيثنى عليه قال الفراء انما قالوا هو (أليط بقلبي منك) بالياء وأصله الواو ليفرقوا بينه وبين المعنى

وسمة

وسعة باعه في البلاغة فمن ذلك قول بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته • وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أخذه سلم الخاسر وكان تلميذه فقال

من راقب الناس مات غما • وفاز باللذة الجسور

فبين البيتين لفظتان في التأليف ومن هذا الاسلوب قول أبي تمام

برزت في طلب المعالي واحدا • فيها تسير مغوّرا ومنجدا

عجبا بأنك سالم في وحشة • في غاية مازلت فيها مفردا

أخذه ابن الرومي فقال

غربته الخلائق الزهر في النا • س وما أوحشته بالتغريب

وكذلك ورد قول أبي نواس

وكانت بالدهر عينا غير غافلة • من جود كفك تأسو كل ما جرحا

أخذه ابن الرومي فقال

الدهر يفسد ما استطاع وأحمد • يتتبع الافساد بالاصلاح

وعلى هذا ورد قول ابن الرومي

كأني أستدني بك ابن حنية • اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

أخذه بعض شعراء الشام وهو ابن قسيم الحموي فقال

فهو كالسهم كلما زدته منـ • ـك دنوا بالنزع زادك بعدا

واقيت جماعة من الادباء بالشام ووجدتهم يزعمون ان ابن قسيم هو الذي ابتدع هذا المعنى وليس كذلك وانما هو لابن الرومي ومما يجري هذا المجرى قول أبي العتاهية

واني لمعذور على فرط حبها • لان لها وجها يدل على عذري

أخذه أبو تمام فقال له وجه اذا أبصر • ته ناجاك عن عذري

فأوجز في هذا المعنى غاية الايجاز ومما يجري على هذا النهج قول أبي تمام

كانت مساءلة الركبان تخبرني • عن أحمد بن سعيد أطيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت • أذني بأحسن مما قد رأى بصري

أخذه أبو الطيب المتنبي فأوجز حيث قال

وأستكبر الاخبار قبل لقائه • فلما التقينا صغر الخبر الخبر

وكذلك قولهما في موضع آخر فقال أبو تمام

كم صارم عضب أناف على فتى • منهم لأعباء الوغى حمال

سبق المشيب اليه حتى ابتزه • وطن النهى من مفرق وقذال

أخذه أبو الطيب فزاد وأحسن حيث قال

يسابق القتل فيهم كل حادثة • فما يصيبهم موت ولا هرم

ومن هذا الضرب قول بعض الشعراء

أمن خوف فقر تعجلته • وأخرت انفاق ما تجمع

فصرت الفقير وأنت الغني • وما كنت تعدو الذي تصنع

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

ومن ينفق الساعات في جمع ماله • مخافة فقر فالذي فعل الفقر

الآخر قالوا ومثله قولهم (رجل نشيان الاخبار) وهو من (نشيت الخبر) وأصل الياء في (نشيت) واو فقلبت ياء للكسرة فقالوا بالياء ليفرقوا بينه وبين (نشوان) من السكر وجمعوا العيد (أعيادا) وأصله الواو كراهية أن يوافق جمع العود قال وأهل الحجاز يقولون (القصوى) بالواو والقياس (القصيا) بالياء مثل (العليا) وهو من (علوت) و (الدنيا) من دنوت وهذا نادر خرج على الاصل وروى عنهم (خذ الحلوى وأعطه المرّى) قال ومن البلاد (حزوى) بالياء ومن الشاذ قولهم (حل حبيته) و (حبيته) وأصلها بالواو وقد قالوا (حبوته) أيضا قال وانما غير واوها لان الفعل يأتي منها بالزيادة يقال (احتبيت) ولا يقال (حبوت) فلذلك غيرت كما قالوا (رجل غديان) بالياء قال الفراء وانما بنوا (العليا) و (الدنيا) بالياء واصلها الواو على ذكرها وكان الذكر من هذا النوع يكون للانثى والذكر يقال هو (أعلى منك) وهي (أعلى منك) فكان أعلى قد انتقلت واوه الى الياء لانه لو ثني لقيل (الاعليان) وقال الفراء قولهم (أخوة) بالضم غلط أو خطأ وانما هو مثل (غلمة) و (جلة) و (غزلة) فضموا أوله تشبيها (بكسوة) و (رشوة) قال و (التبيان) جاء مكسور الاوّل وهو مصدر (بينت تبيينا) و (تبيانا) مثل (كررته تكريرا) و (تكرارا) ولا يكون (التفعال) الا اسما موضوعا مثل (التمثال) و (التقصار) و (التلقاء) وموضع يقال له (التبراع) وموضع يقال له (تبراك) قال وانما شبهوا (التبيان) بـ (العصيان) و (النسيان) وقال البصريون كل اسم جاء على (التفعال) فهو مفتوح التاء نحو (التهيام) و (التهذار) و (التلعاب) و (الترداد) و (التجوال) و (التسيار)

(الضرب التاسع من السلخ) وهو أن يكون المعنى عاما فيجعل خاصا أو خاصا فيجعل عاما وهو من السرقات التي يسامح صاحبها فمن ذلك قول الاخطل

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

أخذه أبو تمام فقال أألوم من بخلت يداه واغتدى * للبخل تربا ساء ذاك صنيعا

وهذا من العام الذي جعل خاصا ألا ترى أن الاول نهى عن الاتيان بما ينهى عنه مطلقا وجاء بالخلق منكرا فجعله شائعا في بابه وأما أبو تمام فانه خصص ذلك بالبخل وهو خلق واحد من جملة الاخلاق وأما جعل الخاص عاما فكقول أبي تمام

ولو حاردت شول عذرت لقاحها * ولكن منعت الدر والضرع حافل

أخذه أبو الطيب المتنبي فجعله عاما اذ يقول

وما يؤلم الحرمان من كف حارم * كما يؤلم الحرمان من كف رازق

(الضرب العاشر من السلخ) وهو زيادة البيان مع المساواة في المعنى وذلك بأن يؤخذ المعنى فيضرب له مثال يوضحه فما جاء منه قول أبي تمام

هو الصنع ان يعجل فنفع وان يرث * فللريث في بعض المواطن أنفع

أخذه أبو الطيب فأوضحه بمثال ضربه له وذلك قوله

ومن الخير بطء سيبك عني * أسرع السحب في المسير الجهام

وهذا من المبتدع لا من المسروق وما أحسن ما أتى بهذا المعنى في المثال المناسب له وكذلك قولهما في موضع آخر فقال أبو تمام

قد قلصت شفتاه من حفيظته * فخيل من شدة التعبيس مبتسما

أخذه أبو الطيب المتنبي فقال

وجاهل مده في جهله ضحكي * حتى أتته يد فراسة وفم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث مبتسم

ومما ينخرط في هذا السلك قول أبي تمام

وكذاك لم تفرط كآبة عاطل * حتى يجاورها الزمان بحال

أخذه أبو عبادة البحتري فقال

وقد زادها افراط حسن جوارها * لاخلاق أصغار من المجد خيب
وحسن دراري الكواكب أن ترى * طوالع في داج من الليل غيهب

فانه أتى بالمعنى مضروبا له هذا المثال الذي أوضحه وزاده حسنا (الضرب الحادي عشر من السلخ) وهو ايجاد الطريق واختلاف المقصد ومثاله أن يسلك الشاعران طريقا واحدة فتخرج بهما الى موردين أو روضتين وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر فما جاء من ذلك قول أبي تمام في مرثية ولدين صغيرين

مجد تأوب طارقا حتى اذا * قلنا أقام الدهر أصبح راحلا
نجمان شاء الله أن لا يطلعا * الا ارتداد الطرف حتى يأفلا
ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لأجل منها بالرياض ذوابلا
لهفي على تلك الشواهد فيهما * لو أخرت حتى تكون شمائلا
ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا
قل للامير وان لقيت موقرا * منه بريب الحادثات حلاحلا
ان ترز في طرفي نهار واحد * رزأين هاجا لوعة وبلابلا

و(التقتال) و(التصعاق) في الصعق الاحرفين فانهم ماجاآ بكسر التاء قالوا (التبيان) و(التلقاء) بمعنى اللقاء وأنشد

أملت خيرك هل تأتي مواعده
فاليوم قصر عن تلقائك الامل

قال وقولهم (بني يبني بنيانا) بالضم أصله الكسرة مثل (العصيان) و(الغشيان) وكذلك مصادر هذا الباب قال و(سمعت الطغيان) و(الطغيان) و(الغنيان) و(الغنيان) والكسر أحب اليه قال ومما بني مفعوله على (فعل) ولم يأت على الاصل قول الشاعر

٭ مكتسب للون مريح ممطور ٭

أراد (مروح) وقال الآخر

٭ وما قدور في القصاع مشيب ٭

يريد (مشوب) فبناه على شيب قالوا أكثر ما يأتي على هذا المنقول عن الواو الى الياء قال وأنشد الكسائي فيما جاء بالواو

ويأوي الى زغب مساكين دونهم
فلا لا تخطاه الركاب مهوب

قال بناه على قول من قال (قد هوب الرجل) قال الفراء وقولهم (العصى) و(الحقى) بالياء لانهم يجمعون ما بين الثلاثة منه الى العشرة بالياء فيقال (ثلاث أدل) و(عشرة أحق) و(عشر أعص) فبنوا الكثير على ذلك قال وقولهم (العنوة) بالواو وأصلها الياء وهي مصدر من مصادر الياء شاذ حمل على مصادر الواو وهو قولك (أب بين الابوة) و(أخ بين الاخوة) و(رخو بين الرخوة) فلما جاءت الفتوة على مصادر الواو جعلت بالواو كما جاءت (الشروى) وهو المثل على الواو اذا شبهت مصادر الواو مثل (دعوى) و(نجوى) قال ثم جمعوا (الفتى فتوا) على ذلك بالواو وكان القياس (فتى) ولم تجد ياء بعدها واو غير ٭ موزة في الاسماء (الاي يوم) قال ولا يقال (من يوم) فعلت ولا يفعل قال ومن الشاذ قولهم (للرجل حيوة)

فالثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا
لا غروان فننان من عيدانه * لقيا حماما للبرية آكلا
ان الاشاء اذا أصاب مشذب * منه اتمهل ذرا وأث أسافلا
شمخت خلالك أن يواسيك امرؤ * أو أن تذكر ناسيا أو غافلا
الا مواعظ قادها لك سمحة * اسجاح لبك سامعا أو قائلا
هل تكلف الايدي بهز مهند * الا اذا كان الحسام القاصلا

وقال أبو الطيب في مرثية طفل صغير

فان تك في قبر فانك في الحشا * وان تك طفلا فالاسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكى على قدر سنه * ولكن على قدر الفراسة والاصل
ألست من القوم الذي من رماحهم * نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل
بمولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن في أعطافه منطق الفصل
تسليهم علياؤهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل
عزاءك سيف الدولة المقتدى به * فانك نصل والشدائد للنصل
تخون المنايا عهده في سليله * وتنصره بين الفوارس والرجل
بنفسي وليد عاد من بعد حمله * الى بطن أم لا تطرق بالحمل
بدا وله وعد السحابة بالروى * وصد وفينا غلة البلد المحل
وقد مدت الخيل العتاق عيونها * الى وقت تبديل الركاب من النعل
وريع له جيش العدو وما مشى * وجاشت له الحرب الضروس وما تغلي

فتأمل أيها الناظم الى ما صنع هذان الشاعران في هذا المقصد الواحد وكيف هام كل واحد منهما في واد منه مع اتفاقهما في بعض معانيه وسأبين لك ما اتفقا فيه وما اختلفا وأذكر الفاضل من المفضول فأقول أما الذي اتفقا فيه فان أبا تمام قال

لهفي على تلك الشواهد فيهما * لو أخرت حتى تكون شمائلا

وأما أبو الطيب فانه قال

بمولودهم صمت اللسان كغيره * ولكن في أعطافه منطق الفصل

فأتى بالمعنى الذي أتى به أبو تمام وزاد عليه بالصناعة اللفظية وهي المطابقة في قوله صمت اللسان ومنطق الفصل وقال أبو تمام

نعمان شاء الله أن لا يطلعا * الا ارتداد الطرف حتى يأفلا

وقال أبو الطيب بدا وله وعد السحابة بالروى * وصد وفينا غلة البلد المحل

فوافقه في المعنى وزاد عليه بقوله * وصد وفينا غلة البلد المحل * لانه بين قدر حاجتهم الى وجوده وتمتعهم بحياته (وأما ما اختلفا فيه) فان أبا الطيب أشعر فيه من أبي تمام أيضا وذلك أن معناه أمتن من معناه ومبناه أحكم من مبناه وربما أكبر هذا القول جماعة من المقلدين الذين يقفون مع شبهة الزمان وقدمه لا مع فضيلة القول وتقدمه وأبو تمام وان كان أشعر عندي من أبي الطيب فان أبا الطيب أشعر منه في هذا الموضع وبيان ذلك أنه قد تقدم القول على ما اتفقا فيه من المعنى وأما الذي اختلفا فيه فان أبا الطيب قال

عزاءك سيف الدولة المقتدى به * فانك نصل والشدائد للنصل

وهذا البيت بمفرده خير من بيتي أبي تمام اللذين هما

ان ترز في طرفي نهار واحد * رزأين هاجا لوعة وبلابلا

و (للقطضيون) قال سيبويه قالوا (أرقت الماء) ثم أبدلوا من الهمزة هاء فقالوا (هرقت الماء) قال الفراء والهمزة تبدل منها الهاء في أول الحرف كثيرا قالوا (هبرية) وأصلها (أبرية) وقالوا (هرت) وأصله (أرت) و (هرحت) وأصله (أرحت) قال سيبويه ثم لزمت الهاء فصارت كأنها من نفس الحرف ثم أدخلت الالف بعد على الهاء وتركت الهاء عوضا من حذفهم العين لان أصله (أريقت) فقالوا (أهرقت) ونظيره (أسطعت) تسطع قال الفراء توهموا أن قولهم (أسطعت) أفعلت لانه بوزنه وقال الاحمر يقال (مشمشت الدابة) باظهار التضعيف ليس في الكلام غيره وزاد غيره (لححت عينه) اذا التصقت و (ضبب البلد) اذا كثرت ضبابه و (ألل السقاء) اذا تغيرت ريحه و (قطط شعره) و (صككت الدابة) من الصكك في القوائم وقالوا (شجرة فنواء) أي كثيرة الافنان والقياس فناء قال س ومما جاء على أصله * وصاليات ككما يؤثفين * وهو من أثفيت (وقول الآخر) كرات غلام في كساء مؤرنب * قال الخليل كان الاصل في مثل أخرج يخرج أن تثبت الهمزة في يفعل وأخواتها فحذفت استثقالا وجاء هذان الحرفان على الاصل قال الفراء وانما قالوا (يهريق) ففتحوا الهاء لانها أبدلت من همزة لو كانت ظاهرة لكانت مفتوحة لانهم لو قالوا بالقياس في يخرج لكان يؤخرج قال الفراء الميم تزاد في أول الحرف وآخره ولا تزاد في وسطه فاما ما زيدت فيه أولا فمفعل ونحوه وأما ما زيدت فيه آخرا (فسهم) (واللهم) (وزرقم) (وستهم) (وابنم) قال سيبويه وكل ميم كانت في أول

حرف فهي مزيدة لا ميم معزى فانها من نفس الحرف لانك تقول معز ولو كانت زائدة لقلت عزي وميم معد

فالثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا

فان قول أبي الطيب والشدائد للنصل أكرم لفظا ومعنى من قول أبي تمام ان الثقل انما يضاعف للبازل من المطايا وقوله أيضا

تخون المنايا عهده في سليله * وتنصره بين الفوارس والرجل

وهذا أشرف من بيتي أبي تمام اللذين هما

لا غرو ان فنتان من عيدانه * لقيا حماما للبرية آكلا

ان الاشاء اذا أصاب مشذب * منه اتمهل ذرا وأث أسافلا

وكذلك قال أبو الطيب

ألست من القوم الذي من رماحهم * نداهم ومن قتلاهم مهجة البخل

تسليهم علياؤهم عن مصابهم * ويشغلهم كسب الثناء عن الشغل

وهذان البيتان خير من بيتي أبي تمام اللذين هما

شمخت خلالك أن يواسيك امرؤ * أو أن تذكر ناسيا أو غافلا

الا مواعظ قادها لك سمحة * اسجاح لبك سامعا أو قائلا

واعلم أن التفضيل بين المعنيين المتفقين أيسر خطبا من التفضيل بين المعنيين المختلفين وقد ذهب قوم الى منع المفاضلة بين المعنيين المختلفين واحتجوا على ذلك بأن قالوا المفاضلة بين الكلامين لا تكون الا باشتراكهما في المعنى فان اعتبار التأليف في نظم الالفاظ لا يكون الا باعتبار المعاني المندرجة تحتها فاذا لم يكن بين الكلامين اشتراك في المعنى حتى يعلم مواقع النظم في قوة ذلك المعنى أو ضعفه واتساق ذلك اللفظ أو اضطرابه والا فكل كلام له تأليف يخصه بحسب المعنى المندرج تحته وهذا مثل قولنا العسل أحلى من الخل فانه ليس في الخل حلاوة حتى تقاس حلاوة العسل عليها وهذا القول فاسد فانه لو كان ما ذهب اليه هؤلاء من منع المفاضلة حقا لوجب أن تسقط التفرقة بين جيد الكلام ورديئه وحسنه وقبيحه وهذا محال وانما خفي عليهم ذلك لانهم لم ينظروا الى الاصل الذي تقع المفاضلة فيه سواء اتفقت المعاني أو اختلفت ومن ههنا وقع لهم الغلط وسأبين ذلك فأقول من المعلوم أن الكلام لا يختص بمزية من الحسن حتى تتصف ألفاظه ومعانيه بوصفين هما الفصاحة والبلاغة فثبت بهذا أن النظر انما هو في هذين الوصفين اللذين هما الاصل في المفاضلة بين الالفاظ والمعاني على اتفاقهما واختلافهما فاذا وجدا في أحد الكلامين دون الآخر أو كانا أخص به من الآخر حكم له بالفضل (وقرأت في كتاب الاغاني) لابي الفرج في تفضيل الشعراء أشياء تتضمن خبطا كثيرا وهو مروي عن علماء العربية لكن عذرتهم في ذلك فان معرفة الفصاحة والبلاغة شيء خلاف معرفة النحو والاعراب (فمما وقفت عليه) أنه سئل أبو عمرو بن العلاء عن الاخطل فقال لو أدرك يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا وهذا تفضيل بالاعصار لا بالاشعار وفيه ما فيه ولو أن أبا عمرو عندي بالمكان العلي لسطت لساني في هذا الموضع (وسئل جرير) عن نفسه وعن الفرزدق والاخطل فقال أما الفرزدق ففي يده نبعة من الشعر وهو قابض عليها وأما الاخطل فأشدنا اجتراء وأرمانا للقرائض وأما أنا فمدينة الشعر وهذا القول في التفضيل قول اقناعي لا يحصل منه على تحقيق لكنه أقرب حالا مما روي عن أبي عمرو بن العلاء (وسئل الاخطل) عن أشعر الناس فقال الذي اذا مدح رفع واذا هجا وضع فقيل فمن ذاك قال الاعشى قيل ثم من قال طرفة وهذا قول فيه بعض التحقيق اذ ليس كل من رفع بمدحه ووضع بهجائه كان أشعر الناس لان

لانك تقول (تمعدد) و (تمعدل) قليل قالوا من مسكين (تمسكن) وهو من التمسكن (وتمدرع) وهو من المدرعة قالوا الميم في (المنجنيق) من نفس الحرف بمنزلة وهو عنتريس (ومنجنون) كذلك بمنزلة عرطليل وميم (ماجج) وميم (مهدد) من الحرف لانهما لو كانتا زائدتين لادغمت كردومفر وانما هما بمنزلة الدالين في قردد قال سيبويه وكل همزة جاءت أولا فهي مزيدة في نحو أحمر وأفكل وأشباه ذلك الا أولق فان الهمزة من نفس الحرف ألا ترى انك تقول (ألق الرجل) قال وهو فوعل و (ارطى) لانك تقول (اديم مأروط) ولو كانت الهمزة زائدة لقلت (مرطى) قال و (امرواتمع) الهمزة من نفس الحرف لان افعل لا يكون وصفا وانما هو فعل (وألق) من (التألق) كذلك هو مثل هج قال ومما همزوه وهو من نفس الحرف أول وأوائل استثقلوا ألفاين واوين قال الفراء ومما همزوه ولا حظ له في الهمز (غرقىء البيض) واصله من الغرق و (الشمأل) و (الشأمل) اصله من الشمال قال الفراء وقالوا (قمت قياما) و (صمت صياما) فقلبوا في المصدر الواو ياء وقالوا (قاومته قواما) و (حاورته حوارا) فلم يقلبوا في المصدر الواو ياء لان الواو صحت في فعل هذا المصدر الثاني فصحت فيه واعتلت في فعل المصدر الاول فاعتلت فيه قال الفراء في قول العرب (صار صيرورة) و (حاد حيدودة) و (سار سيرورة) وهو خاص لذوات الياء من بين الكلام الا في أربعة أحرف من ذوات الواو (هي كينونة) و (ديمومة) و (هيعوعة جبن) و (سيدودة) وانما جاءت بالياء وهي من الواو لانها جاءت على بناء لذوات الياء ليس للواو فيه حظ فقيات بالياء كما قالوا (الشكاية) وهي من ذوات الواو لما جاءت على مصادر الياء

المعانى الشعرية كثيرة والمدح والهجاء منها (وسئل الشريف الرضى) عن أبى تمام وعن البحترى وعن أبى الطيب فقال أما أبوتمام فخطيب منبر وأما البحترى فواصف جؤذر وأما المتنبى فقاتل عسكر وهذا كلام حسن واقع فى موقعه فانه وصف كلا منهم بما فيه من غير تفصيل (ويروى عن بشار) أنه وصف نفسه بجودة الشعر والتقدم على غيره فقيل له ولم ذاك فقال لانى نظمت اثنى عشر ألف قصيدة وما تخلو واحدة منهن من بيت واحد جيد فيكون لى حينئذ اثنا عشر ألف بيت وقد تأملت هذا القول فوجدته على بشار لا له لان باقلا الذى يضرب به المثل فى العى لو نظم قصيدة المائة لامن بيت واحد جيد ومن الذى ينظم قصيدا واحدا من الشعر ولا يسلم له منه بيت واحد لكن كان الاولى ببشار أن قال لى اثنا عشر ألف قصيدة ليس واحدة منهن الا وجيدها أكثر من رديئها وليس فى واحدة منهن ما يسقط فانه لو قال ذلك وكان محقا لاستحق التقدم على الشعراء ومع هذا فقد وصل الى ما فى أيدى الناس من شعره مقصدا ومقطعا فما وجدته بتلك الغاية التى ادعاها لكن وجدت جيده قليلا بالنسبة الى رديئه وتندر له الابيات اليسيرة (وبلغنى) عن الاصمعى وأبى عبيد وغيرهما أنهم قالوا هو أشعر الشعراء المحدثين قاطبة وهم عندى معذورون لانهم ما وقفوا على معانى أبى تمام ولا على معانى أبى الطيب ولا وقفوا على ديباجة أبى عبادة البحترى وهذا الموضع لا يستفتى فيه علماء العربية وانما يستفتى فيه كاتب بليغ أو شاعر مفلق فان أهل كل علم أعلم به وكما لا يسأل الفقيه عن مسئلة حسابية فكذلك لا يسأل الحاسب عن مسئلة فقهية وكما لا يسأل أيضا النحوى عن مسئلة طبية فكذلك لا يسأل الطبيب عن مسئلة نحوية ولا يعلم كل علم الا صاحبه الذى قلب ظهره لبطنه وبطنه لظهره على أن علم البيان من الفصاحة والبلاغة محبوب الى الناس قاطبة وما من أحد الا ويحب أن يتكلم فيه حتى انى رأيت أجلاف العامة ممن لم يخط بيده ورأيت أغتام الاجناس ممن لا ينطق بالكلمة صحيحة كلهم يخوض فى فن الكتابة والشعر ويأتون فيه بكل مضحكة وهم يظنون أنهم عالمون به ولا لوم عليهم فانه بلغنى عن ابن الاعرابى وكان من مشاهير العلماء أنه عرض عليه أرجوزة أبى تمام اللامية التى مطلعها * وعاذل عذلته فى عذله * وقيل له هذه له لانه من شعراء العرب فاستحسنها غاية الاستحسان وقال هذا هو الديباج الخسروانى ثم استكتبها فلما أنهاها قيل له هذه لابى تمام فقال من أجل ذلك أرى عليها أثر الكلفة ثم ألقى الورقة من يده وقال يا غلام خرق خرق فاذا كان ابن الاعرابى مع علمه وفضله لا يدرى أى طرفيه أطول فى هذا الفن ولا يعلم أين يضع يده فيه ويبلغ به الجهل الى أن يقف مع التقليد الشنيع الذى هذا غايته فما الذى يقول غيره وما الذى يتكلم فيه سواه (والمذهب عندى فى تفضيل الشعراء) أن الفرزدق وجريرا والاخطل أشعر العرب أولا وآخرا من وقف على الاشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ما أشرت اليه ولا ينبغى أن يوقف مع شعر امرئ القيس وزهير والنابغة والاعشى فان كلا من أولئك أجاد فى معنى اختص به حتى قيل فى وصفهم امرؤ القيس اذا ركب والنابغة اذا رهب وزهير اذا رغب والاعشى اذا شرب وأما الفرزدق وجرير والاخطل فانهم أجادوا فى كل ما أتوا به من المعانى المختلفة وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون وهم أبو تمام وأبو عبادة البحترى وأبو الطيب المتنبى فان هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان فى طبقة الشعراء أما أبو تمام وأبو الطيب فربا المعانى وأما أبو عبادة فرب الالفاظ فى ديباجتها وسبكها (وبلغنى) أن أبا عبادة البحترى سأل ولده أبا الغوث عن الفرزدق وجرير أيهما أشعر فقال جرير أشعر قال وبم ذلك قال لان حوكه شبيه بحوكك قال ثكلتك أمك أو فى الحكم عصبية قال يا أبت فمن أشعر قال الفرزدق قال وبم ذاك قال

نحو (السعاية) و(الرماية) وقال البصريون (كينونة) واخواتها أريد بهن (فيعلولة) فخففن كما خفف الميت قال الفراء أريد بهن فعلولة ففتحوا أولها كراهية ان تصير الياء واوا وأما فيعلولة فانها صورة لم تأت لسقيم ولا صحيح ولو كانت الفعل على مذهبهم لوجدتها تامة فى شعر او سجع كما وجدت الميت والميت قال غير واحد كل افعل فالاسم منه مفعل بكسر العين نحو أقبل فهو مقبل (وأدبر فهو مدبر) وجاء حرف واحد نادر لا يعرف غيره قالوا (أسهب فى كلامه فهو مسهب) بفتح الهاء ولا يقال مسهب بكسر الهاء وجاء الاسم منه أيضا على فاعل فى حروف قالوا (أيفع الغلام فهو يافع) و(أورس الشجر فهو وارس) اذا أورق و(أبقل الموضع فهو باقل) ومما جاء الاسم منه على (فاعل) و(مفعل) أمحل البلد فهو ماحل و(ممحل) و(أعشب البلد فهو (عاشب) و(معشب) و(أغضى الليل) فهو (غاض) و(مغض) قال رؤبة * يخرجن من أجواف ليل غاض * أى (مغض) وأما قول العجاج * يكشف عن جماته دلو الدال * فان الدالى هو الجاذب للدلو ليخرجها يقال منه دلا يدلو و(المدلى) هو المستقى يقال أدلى دلوه اذا ألقاها فى الماء ليستقى ولو قال العجاج المدلى لكان أشبه بما أرادوا لكنه أراد القافية وعلم ان الدالى والمدلى يجوز أن يوصف بهما المستقى بالدلو فقال فأراد تكشف عن الماء دلو المستقى ويقال (أعقت الفرس) فهى عقوق ولا يقال معق و(أنتجت) فهى نتوج ولا يقال (منتج) وأما قولهم (أحببته) فهو محبوب و(أجنه الله) فهو مجنون و(أحمه) فهو محموم و(أزكمه الله) فهو مزكوم و(مثله مكرور) و(مقرور) فانه بنى على فعل لانهم يقولون فى جميع هذه

لان أهاجي جرير كلها تدور على أربعة أشياء هي القين والزنا وضرب الرومي بالسيف والنفي من المسجد ولا يهجو الفرزدق بسوى ذلك وأما فرزدق فانه يهجو جريرا بأنحاء مختلفة في كل قصيد يرميه بسهام غير السهام التي يرميه بها في القصيد الآخر وأنا أستكذب راوي هذه الحكاية ولا أصدقه فان البحتري عندي ألب من ذلك وهو عارف بأسرار الكلام خبير بأوساطه وأطرافه وجيده ورديئه وكيف يدعي على جرير أنه لم يهج الفرزدق الا بتلك المعاني الاربعة التي ذكرها وهو لقائل

لما وضعت على الفرزدق ميسمي * وعلى البعيث جدعت أنف الاخطل

يجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة في بيت واحد (ولقد تأملت كتاب النقائض) فوجدت جريرا رب تغزل ومديح وهجاء وافتخار وقد كسا كل معنى من هذه المعاني ألفاظا لائقة به ويكفيه من ذلك

قوله

وعاوعوى من غير شيء رميته * بقافية انفاذها يقطر الدما

واني لقوال لكل غريبة * ورود اذا الساري بليل ترنما

خروج بأفواه الرواة كأنها * شبا هندواني اذا هز صمما

غرائب آلاف اذا حان وردها * اخذن طريقا للقصائد معلما

ولو لم يكن لجرير سوى هذه الابيات لتقدم بها الشعراء وسأذكر من هجائه الفرزدق ما ليس فيه شيء من تلك المعاني الاربعة التي أشار البحتري اليها فمن ذلك قوله

وقد زعموا ان الفرزدق حية * وما قتل الحيات من أحد قبلي

ألم ترأني لا أنبل رميتي * فمن أرم لا تخطئ مقاتله نبلي

رأيتك لا تحمي عقالا ولم ترد * قتالا فما لاقيت شرا من القتل

وقوله

أبالغ هديتي الفرزدق انها * عب تزاد على حسير مثقل

اني انصببت من السماء عليكم * حتى اختطفتك يا فرزدق من عل

وقوله

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا * فابشر بطول سلامة يا مربع

ورأيت نبلك يا فرزدق قصرت * ورأيت قوسك ليس فيها منزع

ان الفرزدق قد تبين لؤمه * حيث التقت خششاؤه والاخدع

وقوله

أعارت خدمن شئت منا ومنهم * ودعنا نقس مجدا نعد فضائله

لبست سلاحي والفرزدق لعبة * عليه وشاحا كرج وجلاجله

فلست بذي عز ولا ذي أرومة * وما نمط من ضيم فانك قابله

وقوله

لا يخفين عليك أن مجاشعا * لو ينفخون من الخؤورة طاروا

قد يؤسرون فلا يفك أسيرهم * ويقتلون فتسلم الآثار

وقوله

بني مالك ان الفرزدق لم يزل * يلاقي المخازي من لدن أن يفعا

مددت له الغايات حتى تركته * قعود القوافي ذا علوب موقعا

وقوله

ألا انما كان الفرزدق ثعلبا * ضغا وهو في أشداق ليث ضبارم

وقوله

مهلا فرزدق ان قومك فيهم * خور القلوب وخفة الاحلام

الظاعنون على العمى بجميعهم * والنازلون بشر دار مقام

وقوله

اذا سفرت يوما نساء مجاشع * بدت سوأة مما تجن البراقع

مناشيم من عبد المرير كأنما * تصوت في أعفاجهن الضفادع

رأت ملا مثل الفرزدق قصرت * عن العلو لا يأبي عن العلو بارع

فعل بغير ألف يقولون (حب) و(جن) و(زكم) و(قر) و(كز) قال ولا يقال (قد حزنه) ولكن أحزنه ويقولون (يحزنه)

فاذا قالوا افعله ذكاه بالالف ولا يقال مفعل في شيء من هذه الا في حرف واحد قال عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

قال البصريون تقدير (انسان فعلان) زيدت الياء في تصغيره كما زيدت في تصغير ليلة فقالوا (ليلية) وفي تصغير رجل فقالوا (رويجل) وقال بعض البغداديين الاصل فيه (انسيان) على زنة فعلان فحذفت الياء استخفافا لكثرة ما يجري على ألسنتهم فاذا صغروه قالوا (أنيسيان) فردوا الياء لان التصغير ليس بكثر ككثرة الاسم مكبرا وقالوا في الجمع (أناسي) وكذلك انسان العين وقالوا اناس في الناس ولا يقال ذلك في انسان العين وروي عن ابن عباس أنه قال انما سمي انسانا لانه عهد اليه فنسي فهذا دليل على أنه انسيان في الاصل قال الفراء التوراة (من وري الزند كأنه الضياء) قالوا وآري الدابة (فاعول) من التأري وهو التحبس قالوا (أدحي النعامة افعول) من (دحا يدحو) لانها تدحوه بصدرها وهو مثل ألفحوص قال الفراء (ماء معين) (مفعول) من العيون فنقص كما قيل (مخيط ومكيل) و(السرية فعلية) من السر وهو النكاح الا أنهم ضموا أولها كما يغيرون في النسب (الاصمعي) قال وقولهم تسريت أصله (تسررت) من السر وهو النكاح قال الله جل ثناؤه ولكن لا تواعدوهن سرا أي نكاحا أبدل من الراء ياء كما قالوا (تظنيت) من الظن وأصله تظننت وقالوا (ابي فلان) من التلبية وكان أصلها البيت لانه يامن ألبيت بالمكان

تعدل

تعدل أحسابا كراما حماتها * بأحسابكم انى الى الله راجع
اذا قيل أى الناس شر قبيلة * وأعظم عارا قيل تلك مجاشع

وقوله
على الاخيطل فى حبالى بعدما * عثر الفرزدق لا لعا للعاثر
لقى الفرزدق ما لقيت وقبله * طاح التعيس بغير عرض وافر
واذا رجوا أن ينقضوا لى مرة * مرست قواى عليهم ومرائرى

ولجرير مواضع كثيرة فى هجاء الفرزدق غير هذه ولولا خوف الاطالة لاستقصيتها بجمعها ولو وصلت الى البحترى مازعم من أن جريرا ليس له فى هجاء الفرزدق الا تلك المعانى الاربعة لاعترضت عليه بأنه قد أقر لجرير بالفضيلة وذلك أن الشاعر المفلق أو الكاتب البليغ هو الذى اذا أخذ معنى واحدا تصرف فيه بوجوه التصرفات وأخرجه فى صروف الاساليب وكذلك فعل جرير فانه أبرز من هجاء الفرزدق بالقين كل غريبة وتصرف فيه تصرفا مختلف الانحاء فمن ذلك قوله

ألهى أباك عن المكارم والعلا * لى الكتائف وارتفاع المرجل

وقوله
وجد الكتيف ذخيرة فى قبره * والكلبتين بجمن والمنشار
يبكى صداه اذا تصدع مرجل * أو ان تفلق برمة أعشار
قال الفرزدق رقعى أكيارنا * قالت وكيف ترقع الاكيار

وقوله
اذا آباؤنا وأبوك جدوا * بأن المقرفات من العراب
فأورثك العلاة وأورثونى * رباط الخيل أفنية القباب
وسيف أبى الفرزدق فاعلموه * قدوم غير ثابتة النصاب

فانظر أيها الواقف على كتابى هذا الى هذه الاساليب التى تصرف فيها جرير وأدارها على هجاء الفرزدق بالقين فقال أولا ان أباه شغل عن المكارم بصناعة القيون ثم قال ثانيا انه يبكى عليه ويندبه بعد الموت المرجل والبرمة الاعشار التى يصلحها ثم قال ثالثا ان أباك أورثك آلة القيون وأورثنى أبى رباط الخيل وقد أورد جرير هذا المعنى على غير هذه الاساليب التى ذكرتها ولا حاجة الى التطويل بذلك ههنا وهذا القدر فيه كفاية وحيث انتهى بنا القول الى ههنا فلنرجع الى النوع الذى نحن بصدد ذكره وهو اتحاد الطريق واختلاف المقصد فمما جاء منه قول النابغة

اذا ما غزا بالجيش حلق فوقه * عصائب طير تهتدى بعصائب
جوانح قد أيقن أن قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب

وهذا المعنى قد توارد عليه الشعراء قديما وحديثا وأوردوه بضروب من العبارات فقال أبو نواس

تتمنى الطير غزوته * ثقة باللحم من جزره

وقال أبو مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

وقال أبو تمام
وقد ظللت أعناق أعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل
أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش الا أنها لم تقاتل

وقد ذكر فى هذا المعنى غير هؤلاء الا أنهم جاؤا بشىء واحد لا تفاضل بينهم فيه الا من جهة حسن السبك أو من جهة الايجاز فى اللفظ ولم أر أحدا أغرب فى هذا المعنى فسلك هذه الطريق مع اختلاف مقصده اليها الا مسلم بن الوليد فقال

أشربت أرواح العدا وقلوبها * خوفا فأنفسها اليك تطير
لو حاكمتك فطالبتك بذحلها * شهدت عليك ثعالب ونسور

قال ذلك الخليل قال و (معنى لبيك) ها أناذا عندك قد أجبتك فخضعت لك وتنوه على جهة التأكيد أى قد أجبتك اجابة بعد اجابة ونصبوه على جهة المصدر كما تقول حمدا لله وشكرا ومثله (حنانيك) وقال أبو عبيدة فى قول الشاعر

فقلت لها فيئى اليك فاننى * حرام وانى بعد ذاك لبيب

أراد ملب قال البصريون فى تقدير قضاة ورماة وأشباه ذلك من المعتل (فعلة) ولا يكون هذا فى جمع الصحيح وحكى الفراء عن بعض النحويين أنه قال تقديره (فعلة) مثل (كافر وكفرة وفاجر وفجرة) الا أنهم خصوا الياء والواو بضم أوله قال الفراء وليس ذلك كما قالوا الا انا وجدنا (سريا من قوم سراة) فلو كان كما قالوا لقيل سراة فتجنبوا الجمع على فعلة ولكنهم قالوا فى ذوات الياء والواو وهم يريدون مثال (صوم) و (قوم) فثقل عليهم أن يشددوا العين وبعدها ساكن كأنه ألف اعراب فخففوا الشديدة وهم يريدونها وزادوا فى آخره الهاء لتكون تكملة للحرف اذ نقص كما قالوا (أقمته اقامة) فاذا شددوا سقطت الهاء قال الله عز وجل (أو كانوا غزى) ولو قلت (الرعى) فى (الرعاة) والعفى فى العفاة لكنت مصيبا قال البصريون فى تقدير أشياء هى (فعلاء) نقلت همزتها الى أولها كما قالوا (عقاب بعنقاة) قال الفراء ولم أجد لهم فى ذلك مذهبا يشبه وجه العربية لانهم أكثروا على الشىء العلة فقدموا ما لم يتقدم ولم نسمعه وجمعوه وهو ذكر خفيف لم يأت الا فيما واحدته مثقلة مؤنثة مثل (القصبة) و (القصباء) و (الشجرة) و (الشجراء) و (الطرفة) و (الطرفاء) قال الفراء قال الكسائى وغيره من أصحابنا انما ترك اجراؤها لانها أشبهت

فهذا من المليح البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى * وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي فانه لما انتهى الامر اليه سلك هذه الطريق التي سلكها من تقدمه الا أنه خرج فيها الى غير المقصد الذي قصدوه فأغرب وأبدع وحاز الاحسان بجملته وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره فمما جاء منه قوله

تعدّى أتم الطير عمر اسلاحه * نسور الملا أحداثها والقشاعم
وما ضرها خلق بغير مخالب * وقد خلقت أسيافه والقوائم

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال

سحاب من العقبان ترجف تحتها * سحاب اذا استسقت سقتها صوارمه

وهذا معنى قد حوى طرفي الاغراب والاعجاب وقال في موضع آخر

وذي لجب لا ذو الجناح أمامه * بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الشمس وهي ضعيفة * تطالعه من بين ريش القشاعم
اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة * تدور فوق البيض مثل الدراهم

وهذا من اعجاز أبي الطيب المشهور ولو لم يكن له من الاحسان في شعره الا هذه الابيات لاستحق بها فضيلة التقدم (ومما ينتظم بهذا النوع) ما توارد عليه أبو عبادة البحتري وأبو الطيب المتنبي في وصف الاسد وقصيدتاهما مشهورتان فأول احداهما * أجدك ما ينفك يسري لزينبا * وأول الاخرى * في الخدان عزم الخليط رحيلا * أما البحتري فانه ألم بطرف مما ذكر بشر بن عوانة في أبياته الرائية التي أولها

أفاطم لو شهدت ببطن خبت * وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

وهذه الابيات من النمط العالي الذي لم يأت أحد بمثلها وكل الشعراء لم تسم قرائحهم الى استخراج معنى ليس بمذكور فيها ولولا خوف الاطالة لاوردتها بجملتها لكن الغرض انما هو المفاضلة بين البحتري وأبي الطيب فيما أورداه من المعاني في هذا المقصد المشار اليه فمما جاء للبحتري من قصيدته

وما تنقم الحساد الا أصالة * لديك وعزما أريحيا مهذبا
وقد جربوا بالامس منك عزيمة * فضلت بها السيف الحسام المجربا
غداة لقيت الليث والليث مخدر * يحدد نابا بالقاء ومخلبا
اذا شاء غادى عانة أو عدا على * عقائل سرب أو تقنص ربربا
شهدت لقد أنصفته حين تنبري * له مصلتا عضبا من البيض مقضبا
فلم أر ضرغامين أصدق منكما * عراكا اذا الهيابة النكس كذبا
هزبر مشى يبغي هزبرا وأغلب * من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا
أذل بشغب ثم هالته صولة * رآك لها أمضى جنانا وأشغبا
فأحجم لما لم يجد فيك مطمعا * وأقدم لما لم يجد عنك مهربا
فلم يغنه أن كر نحوك مقبلا * ولم ينجه أن حاد عنك منكبا
حملت عليه السيف لا عزمك انثنى * ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

ومما جاء لابي الطيب المتنبي في قصيدته

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا
وردا اذا ورد البحيرة شاربا * ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس * في غيله من لبدتيه غيلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا * تحت الدجى نار الفريق حلولا

بفعلاو كثرت في الكلام حتى جمعت (أشياوات) كما جمعوا (الفعلا) على (الفعلاوات) قال الفراء كان أصل شيء (شيئ) على مثال (شيبع) ثم جمع على أفعلاء مثل (لين) و (اليناء) ثم تركوا من أشيا الهمزة من العين تخفف وترك الاجراء لانه أفعلاء

﴿باب ما جمعه وواحده سواء﴾

(الفلك) و (السفن) واحدها ذلك

قال الله جل ثناؤه في الفلك المشحون وقال في موضع آخر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم و (الطاغوت) واحد وجمع ومذكر ومؤنث قال الله جل ثناؤه أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقال والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها و (الزوج) يكون واحدا ويكون اثنين قال الله جل ثناؤه من كل زوجين اثنين وهو ههنا واحد ويقال للاثنين اذا كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى وكانا من جنس واحد هذا زوج هذا والمعنى أجمل من كل ذكر وأنثى اثنين (الكسائي) يقال غلام (يفعة) وغلمان (يفعة) الجميع مثل الواحد قال سيبويه يقال (رجل عبر أسفار) و (رجال عبر أسفار) و (درع دلاص) و (ادرع دلاص) ورجاقيل (دلاص) و (امرأة هجان) و (نسوة هجان) ورجاقيل (هجاين) وقال من (الحلفاء) واحد وجمع وكذلك (الطرفاء) و (بهمى) واحده وجميع و (شكاعى) واحده وجميع وقال غيره (الطرفاء) جمع (طرفة) و (الحلفاء) جمع (حلفة) و (الشجراء) جمع (شجرة) و (القصباء) جمع (قصبة) قال الفراء مثل ذلك الا في الحلفاء فانه قال لم أسمع الواحدة منها (الا حلفاءه) وتصغيرها حليفية قال غيره يقال (بعير قرحان) اذا لم يصبه الجرب (وصبي قرحان) اذا لم يصبه الجدري الواحد والاثنان في

في وحدة الرهبان الا أنه * لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ البرى مترفقا من تيهه * فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه * حتى يصير لرأسه اكليلا
قصرت مخافته الخطا فكأنما * ركب الكمي جواده مشكولا
ألقى فريسته وزمجر دونها * وقربت قربا خاله تطفيلا
فتشابه القربان في اقدامه * وتخالفا في بذلك المأكولا
أسد يرى عضويه فيك كليهما * متنا أزل وساعدا مفتولا
مازال يجمع نفسه في زوره * حتى حسبت العرض منه الطولا
وكأنما غرته عين فادني * لا يبصر الخطب الجليل جليلا
أنف الكريم من الدنية تارك * في عينه العدد الكثير قليلا
والعار مضاض وليس بخائف * من حتفه من خاف مما قيلا
خذلته قوته وقد كافحته * فاستنصر التسليم والتجديلا
سمع ابن عمته به وبحاله * فنجا يهرول أمس منك مهولا
وأمر مما فر منه فراره * وكقتله أن لا يموت قتيلا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

وما حكم بين هاتين القصيدتين والذي يشهد به الحق وتنفيه العصبية أذكره وهو ان معاني أبي الطيب أكثر عددا وأسد مقصدا ألا ترى أن البحتري قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح في تشبيهه بالاسد مرة وتفضيله عليه أخرى ولم يأت بشئ سوى ذلك وأما أبو الطيب فانه أتى بذلك في بيت واحد وهو قوله

أمعفر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادخرت الصارم المصقولا

ثم انه تفنن في ذكر الاسد فوصف صورته وهيئته ووصف أحواله في انفراده في جنسه وفي هيئة مشيه واختياله ووصف خلق نجله مع شجاعته وشبه الممدوح به في الشجاعة وفضله عليه بالسخاء ثم انه عطف بعد ذلك على ذكر الانفة والحمية التي بعثت الاسد على قتل نفسه بلقاء الممدوح وأخرج ذلك في أحسن مخرج وأبرزه في أشرف معنى واذا تأمل العارف بهذه الصناعة أبيات الرجلين عرف ببديهة النظر ما أشرت اليه والبحتري وان كان أفضل من المتنبي في صوغ الالفاظ وطلاوة السبك فالمتنبي أفضل منه في الغوص على المعاني ومما يدلك على ذلك أنه لم يعترض لما ذكره في أبياته الرائية لعلمه أن بشرا قد ملك رقاب تلك المعاني واستحوذ عليها ولم يترك لغيره شيأ يقوله فيها ولفطانة أبي الطيب لم يقع فيما وقع فيه البحتري من الانسحاب على ذيل بشر لانه قصر عنه تقصيرا كثيرا ولما كان الامر كذلك عدل أبو الطيب عن سلوك الطريق وسلك غيرها فجاء فيما أورده مبرزا (واعلم) أن من أبين البيان في المفاضلة بين أرباب النظم والنثر أن يتوارد اثنان منهما على مقصد من المقاصد يشتمل على عدة معان كتوارد البحتري والمتنبي ههنا على وصف الاسد وهذا أبين في المفاضلة من التوارد على معنى واحد يصوغه هذا في بيت من الشعر وفي بيتين ويصوغه الآخر في مثل ذلك فان بعد الذي يظهر ما في السوابق من الجواهر وعنده يتبين ربح الرابح وخسر الخاسر فاذا شئت أن تعلم فضل ما بين هذين الرجلين فانظر الى قصيدتيهما في مراثي النساء التي مفتتح أحدهما يا أخت خير أخ يا بنت خير أب * كناية بهما عن أكرم العرب وهي لأبي الطيب ومفتتح الاخرى

والمذكر والمؤنث فيه سواء وكذلك (شاة) شصص وهي التي ذهب لبنها و (رجل قزم) وأصله في الشاء وهو أرذل المال وشره (وعبد قن) الواحد والاثنان والجميع والمذكر والمؤنث في هذه الاحرف سواء الا ان جريرا قال * أولاد قوم خلقوا أقنه * فجمع قال والاسم اذا وصف بالمصدر كان واحده وجمعه سواء وكذلك مذكره ومؤنثه كان بمعنى المفعول أو بمعنى الفاعل يقال (ماء غور) ومياه (غور) أي غائر وانما هذا مصدر غار الماء غورا و (يوم غم) بمعنى غام و (أيام غم) و (رجل نوم) بمعنى نائم ورجل صوم أي صائم و (رجل فطر) أي مفطر و (رجل فرط) الى الماء و (قوم فرط) و (ماء كرع) للماء يكرع فيه و (لبن حلب) أي محلوب و (ماء صرى) و (مياه صرى) ويقال هو (رضى) و (رجل كرم) و (نساء كرم) و (رجل قز) و (رجال قز) و (ماء سكب) و (اذن حشر) انما هي حشرت فهي محشورة و (هذا الدرهم ضرب بلد كذا) أي مضروب و (هذا خلق الله) و (هؤلاء خلق الله) أي مخلوق الله كل هذه مصادر لا تجمع ولا تؤنث وتقول (هم قريب منك) وهو (قريب منك) و (هو أم) و (هم أم) و (هم قن) و (هم قن) و (هو حرى) و (هم حرى) فان أدخلت الياء قلت في قن قمين فثنيت وجمعت وأنثت أبو عبيدة (فرس عباء) لا يحسن أن يغزو وفي الجمع كذلك (حصن عباء) و (رجل جنب) و (قوم جنب) قال الله جل ثناؤه وان كنتم جنبا فاطهروا و (رجل عدل ورجال عدل)

﴿باب ما جاء على بنية الجمع وهو وصف لواحد﴾ قالوا (برمة أعشار) و (ثوب أسمال) و (أخلاق) و (نعل أسماط) اذا كانت غير مخصوفة و (سراويل أسماط)

وانما قال ثوب أخلاق أرادوا أن نواحيه أخلاق فلذلك جمع

غروب دمع من الاجفان ينهمل * وحرقة بغليل الحزن تشتعل

وهي للبحتري فان أبا الطيب انفرد بابتداع ما أتى به في معاني قصيدته والبحتري أتى بما أكثره غث بارد والمتوسط منه لا فرق فيه بين رثاء امرأة أو رجل (ومن الواجب) أنه اذا سلك الناظم أو الناثر مسلكا في غرض من الاغراض أن لا يخرج عنه كالذي سلكه هذان الرجلان في رثاء بامرأة فان من حذاقة الصنعة أن يذكر ما يليق بالمرأة دون الرجل وهذا الموضع لم يأت فيه أحد عا يثبت على المحك الا أبو الطيب وحده وأما غيره من مغاني الشعراء قديما وحديثا فانهم قصروا عنه وله في هذا المعنى قصيدة أخرى مفتتحها

نعد المشرفية والعوالي * وتقتلنا المنون بلا قتال

وكفى بهما شاهدا على ما ذكرته من انفراده بالابداع فيما أتى به والفرق عندي بينه وبين البحتري أن أبا الطيب أنفذ في المضيق وأعرف باستخراج المعنى الدقيق وأما البحتري فانه أعرف بصوغ الالفاظ وحوك ديباجتها وقد قدمت أن الحكم بين الشاعرين في اتفاقهما في المعنى أبين من الحكم بينهما فيما اختلفا فيه لانهما مع الاتفاق في المعنى يتبين قولاهما ويظهر ان ظهورا يدركه لم يبديهة النظر ويتسارع اليه فهم من ليس بثاقب الفهم وأما اختلافهما في المعنى فانه يحتاج في الحكم بينهما فيه الى كلام طويل يعرفه من يعرفه ولا يتفطن له الا بعض الناس دون بعض بل لا يتفطن له الا الفذ الواحد من الناس ولي في هذا مقالة مفردة ضمنتها الحكم بين المعنيين المختلفين وتكلمت عليه كلاما طويلا عريضا وأقمت الدليل على ما نصصت عليه وما منعني من ايرادها في كتابي هذا الا أنها سنحت لي بعد تصنيفه وشياعه في أيدي الناس وتناقل النسخ به وعلى هذا الاسلوب توارد البحتري والشريف الرضي على ذكر الذئب في قصيدة للبحتري دالية أولها * سلام عليكم لا وفاء ولا عهد * ومقطوعة للشريف الرضي أولها

وعاري الشوى والمنكبين من الطوى * أتيح له بالليل عاري الاشاجع

وقد أجاد البحتري في وصف حاله مع الذئب والشريف أجاد في وصف الذئب نفسه (وأما المسخ) فهو قلب الصورة الحسنة الى صورة قبيحة والقسمة تقتضي أن يقرن اليه ضده وهو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة فالاول كقول أبي تمام

فتى لا يرى أن الفريصة مقتل * ولكن يرى أن العيوب مقاتل

وقول أبي الطيب المتنبي

يرى أن ما ما بان منك لضارب * بأقتل مما بان منك لعائب

فهو وان لم يشوه المعنى فقد شوه الصورة ومثاله في ذلك كمن أودع الوشي شملا وأعطى الورد جعلا وهذا من أرذل السرقات وعلى نحو منه جاء قول عبد السلام بن رغبان

نحن نعزيك ومنك الهدى * مستخرج والصبر مستقبل
نقول بالعقل وأنت الذي * نأوي اليه وبه نعقل
اذا عفا عنك وأودى بنا الدهر فذاك المحسن المجمل

أخذه أبو الطيب فقلب أعلاه أسفله فقال

ان يكن صبر ذي الرزية فضلا * تكن الافضل الاعز الاجلا
أنت يا فوق أن تعزى عن الاحباب فوق الذي يعزيك عقلا
وبألفاظك اهتدى فاذا عزاك قال الذي له قلت قبلا

والبيت الاخير من هذه الابيات هو الاخر قد راوه هو المخصوص بالمسخ وأما قلب الصورة

القبيحة

اذا كانت غير محشوة قال الكسائي ما كان من النعوت على (فعلان) فالانثى (فعلى) هذا هو الاكثر نحو (غضبان) و(غضبى) و(سكران) و(سكرى) وبعضهم يقول (سكرانة) و(غضبانة) وقالوا (رجل سيفان) للطويل الممشوق و(امرأة سيفانة) و(رجل موتان الفؤاد) و(امرأة موتانة) ولم يقولوا في هذين فعلى

{وما كان على فعلان فمؤنثه بالهاء}

نحو (خمصان) و(خمصانة) و(عريان) و(عريانة) و(أفعل) مؤنثه (فعلاء) نحو (أحمر) و(حمراء) و(أعشى) و(عشواء) وربما قالوا في المذكر أفعل ولم يقولوا في المؤنث فعلاء قالوا للفرس الخفيف الناصية (أسفى) ولم يقولوا للانثى (سفواء) وقالوا للبغلة (سفواء) ولم يقولوا للبغل أسفى وربما قالوا في المؤنث (فعلاء) ولم يقولوا في المذكر (أفعل) قالوا (ناقة قصواء) وهي المقطوعة طرف الاذن أو المشقوقة الاذن ولم يقولوا في البعير (أقصى) انما هو (مقصى) و(مقصى) و(مقصو) وقالوا (ناقة قروعا) اذا كانت نشيطة ولا يقال للجمل (أروع) و(ناقة قرواء) طويلة الظهر ولم يقولوا للجمل (أقرى) وقد حكى ابن الاعرابي أقرى وقال العجاج وذكر ريحا (حدواء) جاءت من جبال الطور جعلها حدواء لانها تحدو السحاب أي تسوقه ولم يقولوا في المذكر أحدى وقال امرؤ القيس

* ديمة هطلاء فيها وطف *

ولم يقولوا في المذكر (أهطل) انما يقال هطل وقد يوصف المؤنث بما لا يوصف به المذكر الا تراهم قالوا (ناقة اجد) ولم يقولوا (بعير اجد) وعلامات التأنيث تكون آخرا بعد كمال

القبيحة الى صورة حسنة فهذا لا يسمى سرقة بل يسمى اصلاحا وتهذيبا فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي

لو كان ما تعطيهم من قبل أن * تعطيهم لم يعرفوا التأميلا

وقول ابن نباتة السعدي

لم يبق جودك لي شيأ أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

وعلى هذا الاسلوب ورد قول أبي نواس في أرجوزة يصف فيها اللعب بالكرة والصولجان فقال من جملتها

جن على جن وان كانوا بشر * كأنما خيطوا عليها بالابر

ثم جاء المتنبي فقال

فكأنها نتجت قياما تحتهم * وكأنهم ولدوا على صهواتها

وبين القولين كما بين السماء والارض فانه يقال ليس للارض الى السماء نسبة محسوسة وكذلك يقال ههنا أيضا فان بقدر ما في قول أبي نواس من النزول والضعف فكذلك في قول أبي الطيب من العلو والقوة وربما ظن بعض الجهال أن قول الشماخ

اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقول أبي نواس

واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

من هذا القبيل الذي هو قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة وليس كذلك فان قلب الصورة القبيحة الى صورة حسنة هو أن يؤخذ المعنى الواحد فيكسى عبارتين احداهما قبيحة والاخرى حسنة فالحسن والقبح انما يرجع الى التعبير لا الى المعنى نفسه وقول أبي نواس هو عكس قول الشماخ وقد تقدم مثل ذلك فيما مضى من ضروب السرقات ألا ترى الى قول أبي الطيب المتنبي وقول الشريف الرضي فقال أبو الطيب

اني على شغفي بما في خمرها * لأعف عما في سراويلاتها

وقول الشريف الرضي

أحن الى ما تضمن الخمر والحلى * وأصدف عما في ضمان المآزر

فالمعنى واحد والعبارة مختلفة في الحسن والقبح وهذه السرقات وهي ستة عشر نوعا لا يكاد يخرج عنها شيء واذا أنصف الناظر في الذي أتيت به ههنا علم اني قد ذكرت ما لم يذكره غيري وأنا أسأل الله التوفيق لان أكون لفضله شكورا وأن لا أكون مختالا فخورا (واذ فرغت من تصنيف هذا الكتاب) وحررت القول في تفصيل أقسام الفصاحة والبلاغة والكشف عن دقائقهما وحقائقهما فينبغي أن أختمه بذكر فضيلتهما فأقول ﴿اعلم﴾ أن هذا الفن هو أشرف الفضائل وأعلاها درجة ولولا ذلك لما فخر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدة مواقف فقال تارة أنا أفصح من نطق بالضاد وقال تارة أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث في قومه وبعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر وأوتيت جوامع الكلم وما سمع بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتخر بشيء من العلوم سوى علم الفصاحة والبلاغة فلم يقل انه أفقه الناس ولا أعلم الناس بالحساب ولا بالطب ولا بغير ذلك كما قال أنا أفصح من نطق بالضاد وأيضا فلو لم تكن هذه الفضيلة من أعلى الفضائل درجة لما اتصل الاعجاز بها دون غيرها فان كتاب الله تعالى نزل عليها ولم ينزل بمعجز من مسائل الفقه ولا من مسائل الحساب ولا من مسائل الطب ولا غير ذلك من العلوم ولما كانت هذه الفضيلة بهذه المكانة صارت في الدرجة العالية والمنثور منها أشرف من المنظوم لاسباب من جملتها أن الاعجاز لم يتصل بالمنظوم وانما اتصل بالمنثور الآخر أن أسباب النظم أكثر ولهذا نجد المجيدين منهم أكثر من المجيدين من الكتاب بل لا نسبة

الاسم الا (كلتا) فان التاء وهي علامة التأنيث جعلت قبل آخر الحرف وقالوا (بهماة) فأدخلوا الهاء التي هي علامة التأنيث على ألف فعلى وهي علم التأنيث وفعلى لا تكون الا للمؤنث

﴿أبنية المصادر﴾

(فعل يفعل) المصدر من هذا (فعل) نحو (ضرب ضربا) و (حطم حطما) ويجيء على فعل قالوا (حرمه يحرمه حرما) و (سرقه سرقا) ويجيء على فعال نحو (نكح نكاحا) و (سبق سباقا) ويجيء على فعلان نحو (وجد يجد وجدانا) و (حرم يحرم حرمانا) و (أتاه اتيانا) ويجيء على فعالة نحو (جباه جباية) و (نكاه ينكيه نكاية) ويجيء على فعلة نحو (جبيته جبية) وعلى فعلة وفعل نحو (غلبه يغلبه غلبة وغلبا و سرقه سرقا) وعلى فعلان نحو (لواه ليانا) وعلى فعلان نحو (عسل يعسل عسلانا) و (مال يميل ميلانا) وعلى فعول نحو (ثب وثوبا) وعلى فعيل نحو (صهل صهيلا) و (وجب قلبه وجيبا) ويجيء على فعال قالوا (قضى قضاء) و (مضى مضاء) و (غنى غناء) ويجيء في المعتل على فعل قالوا (هداه يهديه هدى) و (سرى يسري سرى) وليس يجيء مصدر على فعل الا في المعتل وقالوا (التقى) أيضا

(فعل يفعل) يجيء المصدر من هذا على فعول نحو (سكت سكوتا) و (خرج خروجا) وعلى فعل نحو (قتله قتلا) و (دقه دقا) وعلى فعل نحو (حلب حلبا) و (طرد يطرد طردا) و (سلبه سلبا) و (حزنه حزنا) و (طلبه طلبا) و (جلب جلبا) وهو قليل وعلى فعل (خنقه خنقا) وعلى فعل نحو (ذكر ذكرا) و (قال يقول قيلا) وعلى فعل نحو (شكر شكرا) و (كفر كفرا) وعلى فعلان نحو (شكر شكرانا) و (كفر كفرانا)

الى هؤلاء ولو شئت أن تحصى أرباب الكتابة من أول الدولة الاسلامية الى الآن لما وجدت منهم من يستحق اسم الكاتب عشرة واذا أحصيت الشعراء فى تلك المدة وجدتهم عددا كثيرا حتى لقد كان يجتمع منهم فى العصر الواحد جماعة كثيرة كل منهم شاعر مفلق وهذا لا نجده فى الكتاب بل ربما ندر الفرد الواحد فى الزمن الطويل وليس ذلك الا لوعورة المسلك من النثر وبعد مناله والكاتب هو أحد دعامتى الدولة فان كل دولة لا تقوم الا على دعامتين من السيف والقلم وربما لا يفتقر الملك فى ملكه الى السيف الا مرة أو مرتين وأما القلم فانه يفتقر اليه على الايام وكثيرا ما يستغنى به عن السيف واذا سئل عن الملوك الذين غبرت أيامهم لا يوجد منهم من حسن اسمه من بعده الا من حظى بكاتب خطب عنه وفخم أمر دولته وجعل ذكرها خالدا يتناقله الناس رغبة فى فصل خطابه واستعذابا لبداعة كلامه فيكون خلود ذكرها فى نضارة مادونه قلمه ورقمته أساطيره وليس الكاتب بكاتب حتى يضطر عدو الدولة أن يروى أخبار مناقبها فى حفله ويصبح ولسانه حامد لمساعيها أو بقلبه ما به من غله ولقد أحسن أبو تمام فى هذا المعنى حيث قال

ساجهد حتى أبلغ الشعر شأوه * وان كان طوعا لى ولست بجاهد

فان أنا لم يحمدك عنى صاغرا * عدوك فاعلم أننى غير حامد

وهذا الذى ذكرته حق وصدق لا ينكره الا جاهل به وأنا أسأل الله الزيادة من فضله وان لم أكن أهلا له فانه هو من أهله (ووقفت على كلام لابى اسحق الصابى) فى الفرق بين الكتابة والشعر وهو جواب لسائل سأله فقال ان طريق الاحسان فى منثور الكلام يخالف طريق الاحسان فى منظومه لان الترسل هو ما وضح معناه وأعطاك سماعه فى أول وهلة ما تضمنته ألفاظه وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه الا بعد مماطلة منه ثم قال بعد ذلك ولسائل أن يسأل فيقول من أية جهة صار الاحسن فى معنى الشعر الغموض وفى معنى الترسل الوضوح فالجواب أن الشعر بنى على حدود مقررة وأوزان مقدرة وفصلت أبياته فكان كل بيت منها قائما بذاته وغير محتاج الى غيره الا ما جاء على وجه التضمين وهو عيب فلما كان النفس لا يمتد فى البيت الواحد بأكثر من مقدار عروضه وضربه وكلاهما قليل احتيج الى أن يكون الفضل فى المعنى فاعتمد أن يلطف ويدق والترسل مبنى على مخالفة هذه الطريق اذ كان كلاما واحدا لا يتجزى ولا ينفصل الا فصولا طوالا وهو موضوع وضع ما يهذ هذا أو يمر به على أسماع شتى من خاصة ورعية وذوى أفهام ذكية وأفهام غبية فاذا كان متسلسلا ساغ فيها وقرب فجميع ما يستحب فى الاول يكره فى الثانى حتى ان التضمين عيب فى الشعر وهو فضيلة فى الترسل ثم قال بعد ذلك والفرق بين المترسلين والشعراء أن الشعراء انما أغراضهم التى يرمون اليها وصف الديار والآثار والحنين الى الاهواء والاوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء والمديح والهجاء وأما المترسلون فانما يترسلون فى أمر سداد ثغر واصلاح فساد أو تحريض على جهاد أو احتجاج على فئة أو مجادلة لملة أو دعاء الى ألفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية أو ما شاكل ذلك هذا ما انتهى اليه كلام أبى اسحق فى الفرق بين الترسل والشعر ولقد عجبت من مثل ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان وبلاغة البيان كيف يصدر عنه مثل هذا القول الناكب عن الصواب الذى هو فى باب ونص النظر فى باب اللهم غمر أو سأذكر ما عندى فى ذلك لا ارادة للطعن عليه بل تحقيقا لمحل النزاع فأقول أما قوله ان الترسل هو ما وضح معناه والشعر ما غمض معناه فان هذه دعوى لا مستند لها بل الاحسن فى الامرين معا انما هو

وعلى فعال نحو (نعس ينعس نعاسا) و (صرخ يصرخ صراخا) وعلى فعلان نحو (نزا ينزو نزوانا) و (طاف يطوف طوفانا) وعلى فعيل نحو (خب يخب خبيبا) وعلى فعالة نحو (زار يزور زيارة) و (ساس سياسة) و (عبد عبادة) وعلى فعال نحو (قام قياما وصام صياما) و (كتب كتابا) وبعض العرب يقول كتبا على القياس و (حجبه حجابا) ويجئ على فعال نحو (زال يزول زوالا) و (ثبت يثبت ثباتا وثبوتا)

(فعل يفعل) يجئ المصدر من هذا على فعل نحو (تعب تعبا) و (سخط سخطا) وعلى فعل نحو (بلع يبلع بلعا) و (لحس يلحس لحسا) وعلى فعول نحو (لزمه لزوما) و (نهكته الحمى نهوكا) وعلى فعل نحو (شربت شربا) و (وددت فلانا ودا) وعلى فعال نحو (سفد يسفد سفادا) وعلى فعلان نحو (غشى غشيانا) و (حسب حسبانا) وعلى فعال نحو (سمع يسمع سماعا) وعلى فعلة نحو (رحمته رحمة) وعلى فعلان (شنئته أشنأه شنآنا) وعلى فعل نحو (ضحك ضحكا) و (لعب لعبا) وعلى فعالة نحو (زهد زهادة) و (سئمت سآمة) و (قنعت قناعة) وعلى فعولة نحو (شهب يشهب شهوبة) و (كهب يكهب كهوبة) و (صدى يصدى صداة) وعلى فعل نحو (علم يعلم علما)

(فعل يفعل) يجئ المصدر من هذا على فعول (جحده يجحده جحودا) وعلى فعال نحو (سأله يسأله سؤالا) و (مزح يمزح مزاحا) وعلى فعلان نحو (لمع يلمع لمعانا) و (دأل يدأل دألانا) وعلى فعل نحو (نفع ينفع نفعا) و (ذبح يذبح ذبحا) وعلى فعال نحو (ذهب يذهب ذهابا) وعلى فعالة نحو (قرأ قراءة) وعلى فعالة نحو (نصح ينصح نصاحة) وعلى فعال نحو (طعم طعاما)

الوضوح

الوضوح والبيان على ان اطلاق القول على هذا الوجه من غير تقييد لا يدل على الغرض الصحيح بل صواب القول فى هذا أن يقال كل كلام من منثور ومنظوم فينبغى أن تكون مفردات ألفاظه مفهومة لانها ان لم تكن مفهومة فلا تكون فصيحة لكن اذا صارت مركبة نقلها التركيب عن تلك الحال فى فهم معانيها فمن المركب منها ما يفهمه الخاصة والعامة ومنه ما لا يفهمه الا الخاصة وتتفاوت درجات فهمه ويكفى من ذلك كتاب الله تعالى فانه أفصح الكلام وقد خوطب به الناس كافة من خاص وعام ومع هذا فمنه ما يتسارع الفهم الى معانيه ومنه ما غمض فيعز فهمه والالفاظ المفردة ينبغى أن تكون مفهومة سواء كان الكلام نظما أو نثرا واذا تركبت فلا يلزم فيها ذلك وقد تقدم فى كتابى هذا أدلة كثيرة على هذا فتؤخذ من مواضعها وأما الجواب الذى أجاب به فى الدلالة على غموض الشعر ووضوح الكلام المنثور فليس ذلك بجواب وهب أن الشعر كان كل بيت منه قائما بذاته فلم كان مع ذلك غامضا وهب أن الكلام المنثور كان واحد الانجرى فلم كان مع ذلك واضحا ثم لو سلمت اليه هذا فما يقول فى الكلام المسجوع الذى كل فقرة منه بمنزلة بيت من شعر وأما قوله فى الفرق بين الشاعر والكاتب ان الشاعر من شأنه وصف الديار والآثار والحنين الى الاهواء والاوطار والتشبيب بالنساء والطلب والاجتداء والمديح والهجاء وأن الكاتب من شأنه الافاضة فى سداد ثغر أو اصلاح فساد أو تحريض على جهاد او احتجاج على فئة أو مجادلة اسئلة أو دعاء الى الفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة بعطية أو تعزية برزية فان هذا تحكم محض لا يستند الى شبهة فضلا عن بينة وأى فرق بين الشاعر والكاتب فى هذا المقام فكما يصف الشاعر الديار والآثار ويحن الى الاهواء والاوطار فكذلك يكتب الكاتب فى الاشتياق الى الاوطان ومنازل الاحباب والاخوان ويحن الى الاهواء والاوطار ولهذا كانت الكتب الاخوانيات بمنزلة الغزل والنسيب من الشعر وكما يكتب الكاتب فى اصلاح فساد أو سداد ثغر أو دعاء الى الفة أو نهى عن فرقة أو تهنئة أو تعزية فكذلك الشاعر فان شذ عن الصابى قصائد الشعراء فى أمثال هذه المعانى فكيف خفى عنه قصيدة أبى تمام فى استعطاف مالك بن طوق على قومه التى مطلعها [1]

* لو أن دهرا رد رجع جوابى * أم كيف أخذ بالمطرفى ديوان أبى الطيب المتنبى وهما فى زمن واحد فما تأمل قصيدته فى الاصلاح بين كافور الاخشيدى وبين مولاه الذى مطلعها

* حسم الصلح ما اشتهته الاعادى [2] * وكذلك لا شك أنه لم يقف على قصيد أبى عبادة البحترى فى غزو البحر التى مطلعها * ألم تر تغليس الربيع المبكر [3] * ولو أخذت فى تعداد قصائد الشعراء فى الاعراض التى أشار اليها وخص بها الكاتب لاطلت وذكرت الكثير الذى يحتاج الى أوراق كثيرة وكل هذه الفروق التى نص عليها وعددها فليست بشئ ولا فرق بين الكتابة والشعر فيها والذى عندى فى الفرق بينهما هو من ثلاثة أوجه (الاول) من جهة نظم أحدهما ونثر الآخر وهذا فرق ظاهر (الثانى) أن من الالفاظ ما يعاب استعماله نثرا ولا يعاب نظما وذلك شئ استخرجته ونبهت عليه فى القسم الاول المختص باللفظة المفردة فى المقالة الاولى من هذا الكتاب وسأعيد ههنا منه شيأ فأقول قد ورد فى شعر أبى تمام قوله

هى العرمس الوجناء وابن ملمة * وجاش على ما يحدث الدهر خافض

وكذلك ورد فى شعر أبى الطيب المتنبى كقوله

ومهمه جبته على قدمى * تعجز عنه العرامس الذلل

فلفظة المهمه والعرامس لا يعاب استعمالها فى الشعر ولو استعملا فى كتاب أو خطبة كان

و(ضرح ضراح) ﴿فعل يفعل﴾ يجيء المصدر من هذا على فعالة نحو (ملح يملح ملاحة) و(نبل ينبل نبالة) وعلى فعولة نحو (قبح يقبح قباحة وقبوحة) و(سهل يسهل سهولة) وعلى فعل نحو (حسن يحسن حسنا) و(قبح يقبح قبحا) وعلى فعل نحو (صغر صغرا) و(عظم عظما) و(سرع يسرع سرعا) وعلى فعل قالوا (كرم كرما) و(شرف شرفا) وعلى (فعلة وفعلة) نحو (وضع يوضع ضعة وضعة) و(وقع يوقع قعة وقعة) وعلى فعل قالوا (ظرف يظرف ظرفا) قال سيبويه اما قولهم الجمال فانه مصدر جمل يجمل وأصله جمالة كما قالوا (صبح صباحة) و(قبح قباحة) فحذفوا وقالوا من غير هذا الباب (شقى شقاء وشقاوة) كما قالوا (سعد سعادة) وقالوا (اللذاذ واللذاذة) وانما هو مصدر (لذاذ) وقالوا (بهو يبهو بهاء) و(بذو يبذو بذاء) مثل جمال

﴿باب مصادر بنات الاربعة فما فوق﴾

يجيء مصدر أفعلت على افعال تقول (أكرمت اكراما) و(أعطيت اعطاء) والالف مقطوعة وفى المعتل على افعالة تقول (أقمته اقامة) و(أجبته اجابة) وانما أدخلت الهاء فيه تعويضا لما ذهب منه والذاهب منه موضع العين من الفعل وربما حذفت الهاء اذا أضيفت نحو قول الله جل ثناؤه وأقام الصلاة وكذلك الاستفعالة نحو الاستقامة

(ويجيء مصدر فعلت على التفعيل والفعال) نحو كلمته (تكليما وكلاما) و(كذبته تكذيبا وكذابا) و(جملته تجميلا وجمالا) وفى بنات الياء والواو على تفعلة نحو (تعزية)

(ويجيء مصدر فاعلت على مفاعلة وعلى فعال وعلى فيعال) نحو (جالسته مجالسة) و(قاعدته مقاعدة) و(ماريته مراء) وجادلته جدالا وقال

استعمالهما معيبا وكذلك ما يشا كلهما ويناسبهما من الالفاظ وكل ذلك قد ضبطته بضوابط وحددته بحدود تفصله من غيره من الالفاظ فليؤخذ من المقالة الأولى ولولا خوف التكرار لاعدته ههنا (الثالث) أن الشاعر اذا أراد أن يشرح أمورا متعددة ذوات معان مختلفة فى شعره واحتاج الى الاطالة بأن ينظم مائتى بيت أو ثلثمائة أو أكثر من ذلك فانه لا يجيد فى الجميع ولا فى الكثير منه بل يجيد فى جزء قليل والكثير من ذلك ردىء غير مرضى والكاتب لا يؤتى من ذلك بل يطيل فى الكتاب الواحد اطالة واسعة تبلغ عشر طبقات من القراطيس أو أكثر وتكون مشتملة على ثلثمائة سطر أو أربعمائة أو خمسمائة وهو مجيد فى ذلك كله وهذا لا نزاع فيه لانا رأيناه وسمعناه وقلناه (وعلى هذا) فانى وجدت العجم يفضلون العرب فى هذه النكتة المشار اليها فان شاعرهم يذكر كتابا مصنفا من أوله الى آخره شعرا وهو شرح قصص وأحوال ويكون مع ذلك فى غاية الفصاحة والبلاغة فى لغة القوم كما فعل الفردوسى فى نظم الكتاب المعروف بشاه نامه وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس وهو قرآن القوم وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس فى لغتهم أفصح منه وهذا لا يوجد فى اللغة العربية على اتساعها وتشعب فنونها وأغراضها وعلى أن لغة العجم بالنسبة اليها كقطرة من بحر اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين



بحمد الله قد تم طبع هذا الكتاب الباهر الذى هو فى حسنه المثل السائر محلى بحلية البيان
والمعانى مشيدا بجواهر التركيب والمبانى مطرزا هامشه بكتاب
أدب الكاتب لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى
وذلك بالمطبعة البهيه التى بحوش قدم بالغوريه
تعلق الراجى من الله كمال الوفا محمد افندى
مصطفى فى أوائل شهر صفر سنة
١٣١٢ من الهجرة النبويه
على صاحبها أفضل
الصلاة وأزكى
التحيه

يقولون (قاتلته قيتالا) ويجئ مصدر (تفعلت) على التفعل (يقولون تقولت تقولا)

والذين يقولون (تفعلت تفعالا) و(تكذبت تكذابا) والذين يقولون كلمته كلاما يقولون (تحملت تحمالا)

(ويجئ مصدر تفاعلت على التفاعل) بضم العين نحو (تغافلت تغافلا) وقد شذ منه حرف تقوله بعض العرب بالكسر وبعضها بالفتح قالوا (تفاوت الامر تفاوتا وتفاوتا) حكاه أبو زيد قال والكلابيون يفتحون

(ويجئ مصدر افتعلت على افتعال) نحو (اقتتلنا اقتتالا) و(احتبست احتباسا)

(ويجئ مصدر انفعلت على انفعال) نحو (انطلقت انطلاقا) و(انصرم الشئ انصراما)

(ويجئ مصدر افعللت على افعلال) نحو (احمررت احمرارا) و(اسوددت اسودادا)

(ويجئ مصدر افعاللت على افعيلال) نحو (اشهاببت اشهيبابا) ومصدر افعوللت على افعوال نحو (اجلوذ اجلواذا) ومصدر افعنللت على افعنلال نحو (اقعنسس اقعنساسا) ومصدر افعوعلت على افعيعال نحو (اغدودنت اغديدانا) ومصدر استفعلت على استفعال نحو (استخرجت استخراجا)

﴿باب ما جاء فيه المصدر على غير المصدر﴾

قال الله عز وجل (والله أنبتكم من الارض نباتا) فجاء على نبت وقال الله جل ثناؤه (وتبتل تبتيلا) فجاء على بتل وقال الشاعر

وخير الامر ما استقبلت منه
وليس بأن تتبعه اتباعا

فجاء على اتبعت وقال الآخر

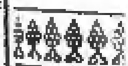
* وان شئتم تعاودنا عوادا * فجاء على عاودنا وانما تجئ هذه المصادر مخالفة الافعال لان الافعال وان اختلفت أبنيتها واحدة فى المعنى (تم)

﴿فهرسة كتاب المثل السائر﴾

صحيفة

صحيفة

﴿تمت﴾



﴿فهرسة كتاب ادب الكاتب للامام عبد الله بن قتيبة الدينورى الذى بالهامش﴾

﴿تمت﴾